بستان الرهبان

ⲡⲓϭⲱⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲙⲟⲛⲁⲭⲟⲥ

لآباء الكنيسة القبطية

حقوق الطبع محفوظة

قام بمراجعته وتنقيحه

لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا

القديس الأنبا باخوميوس أب الشركة

صدر عن مطرانية بنى سويف والبهنسا

جميع حقوق الطبع محفوظة لها فلا يجوز أعادة نشر أو تصوير أو طبع الكتاب أو أى جزء منه دون أذن كتابى من المطرانية.

أسم الكتاب: بستان الرهبان

الناشر: لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف

رقم الإيداع: ١٥٢٥/١٩٧٧

دولى ٥ ـ ٣٣ ـ ٩٧٧/٧٢٢٢

المطبعة: دار الجيل للطباعة

الصور الملونة طُبعت بمطبعة الأنبا رويس الأوفست

القديس العظيم الأنبا أنطونيوس الكبير

القديس العظيم الأنبا مكاريوس الكبير

قداسة البابا شنودة الثالث

دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد . آمين

مقدمة الطبعة الأولى

كتاب **بستان الرهبان** من اهم نفائس الكتب الرهبانية يصدر فى هذه الطبعة بعد استطلاع نسخ عربية مختلفة له ، ومراجع أجنبية متصلة به . وبعد محاولة لفحصه وتبويبه .

عسى أن تساعد صورة البستان الحالية بما حدث من شمول وتنسيق ، على زيادة تمتع الداخل اليه بالنضرة الروحية التى لغروسه الضخمة ، والعذوبة السمائية التى لثمار فضائلهم . وعبيق البخور الطيب الذى لتعاليمهم .

هدانا الله ونفعنا بظل رضاهم .

بشنس ١٦٨٤ ش
مايو ١٩٦٨ م

لجنة التحرير والنشر
مطرانية بنى سويف والبهنسا

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد . آمين

مقدمة الطبعة الثانية

نشأة الرهبنة فى مصر

جاء عصر الرهبنة فى الكنيسة القبطية تاليا لعصر التبشير والاستشهاد . فلقد كانت الشهادة للرب يسوع فى العصر الأول بالصمود أمام الوثنية المضطهدة المسيحية . وحاولت الوثنية وأد المسيحية ، ولكن الانتشار المقدس غلبها . وكان له سلاحان ، حياة القداسة التى عجز الشر عن النفاذ خلالها ، ثم الثبات بأمانة لاسم المخلص أمام كل ضيق . فعاش المسيحيون فى قداسة وشجاعة بلا تزعزع حتى انهارت الوثنية .

ثم استقرت الأمور . وتحول الجهاد الأفقى الى جهاد رأسى . وتحولت شهادة البعض من أمام العالم المنظور الى عالم الملائكة والشياطين فى تركيز فكرى عند قدمى الرب بالتأمل فيه . انتهى عصر المستشهدين وجاء عصر العابدين .

وليست الصلاة أساسا طلب احتياجات عالمية ، بل طلب ملكوت السماء حبا فى الخلاص . وفى طلب هذا يحلو التأمل ، ويلهج القلب بالتسبيح . وحينئذ يهدأ الاحساس بالوسط المادى ، ويضطرد الحب المتركز فى الاحساس بالعالم الروحى . فنشأت الرهبنة ، أى الارتباط بالاله والانحلال من العالم ، أو التحول من التناقش مع العالم أساسا الى الاستمتاع بالنظر والتحدث الى الله .

فما كانت الرهبنة هروبا بل حبا ، وما كانت حياة سلبية ، بل ايجابية مركزة، انها انطلاق النفس فى فعل التسبيح .

ولعل الفنان الذى يغرق فى استجلاء أحاسيسه ليعبر عنها صامتا فى خطوط أو ألوان ، أو العالم فى معمله الذى يقضى السنوات الطوال فاحصا نقاط صغيرة محددة آملا أن يصل الى كنهها . لعل هذا أو ذاك يشبه الراهب الذى تملكه التأمل فى الحبيب يسوع فثبت نفسه على استماع صوته فى القلب ، وتحركات القلب فى اللهج بتسبيحه .

ونشأت الرهبنة فى مصر .

على ان الفضائل المسيحية لزام على كل مؤمن . فحب مناجاة الله المخلص ، والتعفف من اللذة ، والعزوف عن محبة القنية ، وتسليم المشيئة الشخصية للمشيئة الالهية فى ارتياح وفرح وقوة ، ومحبة الخير للناس جميعا ، وانكار الذات ، هى

صفات واجبة على كل مؤمن . ولذا نجد فى سير الآباء الرهبان الأوائل قصصا تشير الى المستوى الروحى الذى كان عليه ساكنو العالم . فلقد أعلن الرب يوما للانبا أنطونيوس أنه فى مدينة ما يوجد طبيب يماثله فى الحب لله ، وان كان يخالفه فى صورة الحياة . فانه يعمل ويوزع جميع ايراده على الفقراء والمحتاجين ، ويسبح الرب شريكا للملائكة ثلاث مرات فى اليوم (أنظر صفحة ٢٥) . وأعلن للأب مقاريوس الكبير يوما انه فى مدينة ما توجد سيدتان متزوجتان تضارع حياتهما حياة كبار العابدين فى الصحراء ، فذهب اليهما واطلع على سيرتهما (أنظر صفحة ٤٠) واقتنع أن الفضائل التى تظهر فى حياة الرهبان فى البرية تظهر أيضا فى سكان المدن .

على أن الرهبان جماعة تفرغوا لخدمة التحدث الى القدوس ، وجندوا أنفسهم لذلك ، متخلين عما يعوقهم من مشغوليات الأسرة واعالتها . فهم متخصصون لممارسة عمل العبادة الدائم ، وما يلزمه من أوضاع . قلبهم منشغل بعبادة الرب . وما اهتمامهم بعمل اليدين الا لكى يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم أولا ، وهم يمارسونه والقلب فى هدوء واتصال بالله ثانيا . ولقد توسمت الكنيسة فى الرهبان الذين خدموا فيها هذه الصفات،اى أنهم فى كل عملهم يعملون بروح العبادة.ولعل هذا يشبه ماقاله الرسول « أنسكب أيضا على ذبيحة ايمانكم وخدمته » . فى ٢ : ١٧ . انهم منسكبون على استماع صوت الرب داخلهم ، وما يؤدونه من أعمال المحبة فبذات الانسكاب على جسد الرب .

أنماط الرهبنة :

انخرط الرهبان فى سلك معين ، شعاره المخصص لتطبيق الفضائل المسيحية تعمدا . غير أنهم فى أساليب حياتهم اختلفوا الى انماط معينة .

التوحد Hermitage وفيه يسكن الراهب منفردا . واسسه القديس انطونيوس وتفرعت منه صورة خاصة كالحبساء والسواح (١١٥ ــ ١٢٠ (١)) .

الشركة Cenobitism وأنشأه القديس باخوميوس . وفيه يحيا الرهبان جماعات يصلون الصلوات المختلفة مجتمعين ، وينام كل ثلاثة منهم فى قلاية واحدة . وينقسمون فى العمل الى فرق حسب الصناعات والأعمال المختلفة .

ومن هذا النظام أنشأ القديس شنوده أديرته . وكان فيها نظام الشركة فى الحياة ، والارتباط بخدمة الكنيسة ارتباطا كبيرا داخل الدير وخارجه .

---

(١) لقد درجت الكنيسة فى بعض عصورها على أن تختار الاساقفة من بين المشهورين فى حياة العبادة والوحدة ، حتى انها حين كانت تختار راهبا ليس من لابسى اسكيم التوحد ، تضع عليه أن يلبس هذا الاسكيم عشية سيامته اسقفا الى أن أسقط هذا الاجراء أخيرا من سيامة الاساقفة فى عهد قداسة البابا شنوده أطال الله حياته .

الفردية المترابطة Idiorhythmism أى الحياة الفردية فى تناسق مع الجماعة وأنشأه القديس مقاريوس. وفيه عاش البعض فى قلال منفردين، وبعضهم عاش جماعات فى قلاية واحدة (ص ٤١ ـ ٤٣ و ٩٢) . وكانوا يجتمعون مساء كل سبت فى الكنيسة يستمعون لتعليم الشيوخ . ويسبحون ثم يحضرون القداس ، ويتناولون الطعام سويا صباح الأحد .

ولقد كان منهم من أحب خدمة المؤمنين فى صور مختلفة (٢٥و٦٦و٦٧و٧٢ .. الخ أنظر الفهرس كلمة « خدمة ») .

على أن الانكماش الذى حدث فى الرهبنة ـ كما فى الكنيسة القبطية عامة ـ خلال قرون متوالية ، قد أدى الى تناقص عدد الرهبان والأديرة . والى تجمع مختلف الأنماط واختلاطها ، حتى صار الدير الواحد قد يحوى من تابعى الفردية المترابطة ، والمتوحدين ، والمجمعيين ، والحبساء ، ومحبى الخدمة ، والكهنة ، والعازفين عن الكهنوت وغيرهم .

مبادىء الرهبنة

ليس ما يسمى بمبادىء الرهبنة الثلاثة ـ الفقرَ ، والطاعة ، والعفة ـ فى الحقيقة الا ممارسات سلوكية . فالرهبنة هى الانشغال بالتحدث الى الله أو الاستماع اليه . والراهب يجب ان يستمع لصوت الله فى القلب أى فى طبيعته الخاصة ، وفى الطبيعة حوله فيلجأ الى حياة السكون والتأمل والصلاة .

وليست الرهبنة مذهبا صوفيا يعتقد فيه الراهب انه يرضى الله بممارسات نسكية ، أو مذهبا نفسانيا يهدف فيه الى اكتساب قوى نفسانية مما قد يكون كامنا فى الطبيعة البشرية ، بل هى حب الفادى الذى يتملك المؤمن ، بفعل النعمة التى تنسكب فيه ، فجعلته يركز ذاته على الرب . وأخذت الاهتمامات العالمية والمادية تسقط عنه ، بحكم انطلاقه فى دروب حب المخلص والتأمل فيه . ولذا جاء ما سمى بالنذر الثلاثى ـ الفقر ، والطاعة ، والعفة ـ تصويرا لسلوكه من الخارج أكثر منه اهدافا يسعى اليها . ففى انشغاله بالمتعة الروحية جاء تعففه عن المتعة الجسدية بأنواعها . وفى انسحاق أمام الفضل الالهى يجىء انكاره لذاته ، وهو ما يظهر خارجيا فى طاعته لمشيئة المدبر . وفى شبعه بالروح يجىء تجرده عن مطالب الراحة الجسدية أى الفقر . وهو فى كل ذلك يسلك بروح الصلاة ، وسكون التأمل ، والالتزام بالعمل كمن لا يمتلك متاعا . فهذه الصفات السلوكية هى الصورة الخارجية للحالة الداخلية .

كتاب بستان الرهبان :

توجد مجموعات كثيرة من الأقوال لآباء البرية النساك عرفت باسماء مختلفة مثل الفردوس ، فردوس الآباء ، بستان الرهبان ، أقوال الآباء الشيوخ ... الخ . وجدت فى نسخ بلغات كثيرة منها اليونانية والقبطية والسريانية واللاتينية والعربية . وترجمت الى اللغات الحية الانجليزية والفرنسية والألمانية . والملاحظ أن كثيرا من الأقوال والحوادث ذكرت فى أكثر من هذه الأصول القديمة .

النسخ العربية : توجد نسـخ كثيرة باللغة العربية ابتـداء من القرن العاشر وترجمت هـذه النسـخ بعضـها عن اللغة القبطية والآخر عن اليونانية واحيـانا السريانية .

النسخة القبطية : وهى أقدم النسـخ التى اخذت عنها اللغات جميعا سواء اليونانية أو السريانية أو اللاتينية . وقد نشرها العلامة اميلينو باللغة القبطية مـع ترجمة لها بالفرنسية(١) .

وتوجد مجموعة أخرى من الأقوال والسير جمعها بلاديوس سنة ٤٢٠ وقدمها الى أحد معاونى الملك ثاؤدوسيوس الثانى المسمى (لوساس) Lausus ولذلك سمى تاريخ بلاديوس اللوساسى أو اللوزاكى . ولو أن اسمه الحقيقى عند آباء الرهبـان الفردوس Paradisus . وقـد قام البـاحث الانجليزى الكبير بطلر Butler سنة ١٨٩٨ بدراسة هذا الكتاب اثبت فيه أصالة التاريخ وصدق نسبته لبلاديوس وحقيقة روايته من الوجهة التاريخية البحتة(٢) .

والنسخة السريانية : من هذا الكتاب قام مؤخرا العالم السير ارنست أ. بدج أمـين قسـم الآثار المصرية والسريانية بالمتحف البريطانى بترجمتها الى اللغـة الانجليزية(٣) .

ثم جاءت أول محاولة لطباعة كتاب بستان الرهبان فى اللغة العربية فى عصرنا فى الأربعينات ، وأعيدت بعد ذلك عام ١٩٥١ ، ١٩٥٦ . وقد حوى ذلك الكتاب حوالى ثلاثة أخماس المادة المنشورة فى هذه الطبعة . وجاءت الاضافات فى نسختنا هـذه من نسخ مختلفة خطية فى الأديرة او سير للآباء منشورة بلغات أجنبية . وقد حاولنا

---

(١) Le Manuscrit de la version Copte en dialect Sahidique des Apophthe gmes Patristiques Caire 1960).

(٢) وبدأ الأستاذ رشدى السيسى بترجمته بمجلة الكرازة ابتداء من العـدد ٤٤ السنة السادسة ٣١/١٠/١٩٧٥م .

(٣) The Wit and Wisdom of the Christian Fathers of Egypt (Trans ation) Cambridge 1934.

ويوجد كتاب آخر قام فيه شخص مجهـول بترتيب الاقوال المتفرقه حسب قائليها ترتيبا أبجديا مبتدئا بأقوال الأنبا انطونيوس الكبير الى ان انتهى بأقوال الانبا أور . ومجمـوعه اقـوال لا يعرف قائلها وكان ذلك فى القرن السادس ويعرف باسم أقوال الآباء المعروف باسم أنفجمانا باترام قام بترجمته الى الفرنسية :

بعنوان J.C Guy : Les Apophtegmes des Pères du Desert Bellefontaine

والى الانجليزية الراهبة Benedicta Ward

فى جزئين : The Sayings of The Desert Fathers. London 1975.

وترجم د. جورج حبيب بباوى الجزء الخاص بالانبا انطونيوس الى العربية يناير ١٩٧٣م .

بدقة أن نحفظ للكتاب طبيعته فلم نكثر من تعاليم بعض الآباء الذين ورد عنهم الكثير فى كتب أخرى غير بستان الرهبان ، والا طغت خصوصياتهم على هذا الكتاب العام .

كما لم نحاول أن نضع به القوانين المعروفة بالباخومية ، كما لم نضمنه شيئا من أخبار الشنودية التى أهملها البستان تماما . وغنى عن البيان أن كلا من أولئك الآباء وطرائقهم يحتاج دراسة جديدة من الاقباط المعاصرين ونشرها فى كتب خاصة. فان زوايا كثيرة فى حياتهم غير معروفة . وجاءت صورهم عند الكثيرين انهم رجال نسك ونفور من المجتمع واعتماد على الجهاد والتصوف دون النعمة . وحقيقتهم أنهم قديسون مملوءون نعمة وحلاوة ومحبة .

ولا يخف على القارىء أن مؤسسى الرهبنة كانوا يحفظون قواعد الاعتدال فى كل شىء أكثر من غيرهم الذين وردت عنهم أخبار نسك شديد مارسوه ربما لاستعدادت خاصة عندهم .

كما أن الكتاب أورد قصصا مختلفة تبين مدى اختلاف المشارب بين كبار الرهبان . فبينما يرفض أنبا أرسانيوس أن يستقبل الزائرين ، نجد أنبا موسى يستقبلهم ببشاشة ويكرمهم بمعاملة طيبة (ص ٥٨) . وبينما يحل أنبا شيشوى الذى من برية أنطونيوس صومه حين يزوره ضيوف (ص ٤٧) يرفض أنبا شيشوى الصعيدى أن يفعل ذلك . وحين يلتزم أنبا مقاريوس برفض أى خدمة للعالم ، يطوف أنبا أغاثون البلاد فى حلاوة يصنع خيرا . وبينما كانت الدموع تسيل سهلة من جفنى أنبا أرسانيوس نجد أنبا بيمين وأنبا سيرابيون يسلكان فى بساطة وتلطف ساذجين . واحد يلزم مكانه (ص ١٨٩) ، وآخر كأنبا بيصاريون ليس له مسند للرأس . واحد يضع فى فمه زلطه حتى لا يتكلم (ص ٥٧) وآخر لا يرقد فى نومه (ص ٥٧) أو يجاهد ضد النوم (٤٠ و ٩٤) وبالنسك الشديد (٤٤ — ٤٥) . وهكذا ورد بالبستان اتجاهات مختلفة يجب أن نتبين فرديتها وخصوصيتها .

على أننا فى تبويب الكتاب ووضع الفهارس له ؛ حاولنا أن نساعد القارىء فى أن يميز معالم هذا البستان .

كيف نقرأ البستان والكتب النسكية

"الكتب الرهبانية والنسكية جاذبية خاصة لتميزها وقوة الشخصيات التى وردت اخبارها . ووضعها بين يدى عامة الناس سلاح ذو حدين . الأول أنها تضع أمامهم مثلا قوية فى التقوى ، ونحن احوج ما نكون فى حياتنا الى مثل قوية نتعلم منها التقوى . والثانى هو ان الناس قد لا يقتدون بالروح الأمينة لله التى كان عليها هؤلاء القديسون ، بل يأخذون مسالكهم النسكية نماذج ليطبقوها فى حياتهم التى هى بعيدة بعدا شاسعا عن حياة أولئك القديسين وظروفهم .

كما أن البعض تستويهم الأعمال الخاصة المتميزة وليس الأعمال المعتدلة . وهم بذلك يحملون أنفسهم أحمالا عسرة الحمل .

كم يحتاج القارىء الى الوقوف عند الروح دون الحرف ، وعند العموميات دون الخصوصيات ، والاعتدال دون المغالاة . وان كانت القاعدة عند الآباء الرهبان أن « الطريق المتوسطة تخلص الكثيرين » فكم يجب البعد عن المغالاة من جانب ساكنى العالم ، خصوصا فى عالمنا الحاضر الملىء بالظروف التى تثقل على أعصاب الناس .

ولذا يلزم القارىء لهذه الكتب خصوصا ساكن العالم ، وغير المتفرغ للعبادة أن يراعى بعض المبادىء .

أولا – أن يسأل نفسه دائما :

١ – هل ما يقرأ هو مبدأ عام ، أم مدرسة خاصة لمعلم ، أم ميزة خاصة لشخص معين ؟

٢ – هل مارس الراهب هذا العمل فى بداية حياته الرهبانية ، أم بعد سنوات من التدرج ؟

٣ – هل يتناسب هذا الأمر مع حياة العلمانيين فى العالم المعاصر ؟

ثانيا – وعليه أن يلتزم :

١ – أن يسترشد دائما بمن اختبروا هذه الطرق .

٢ – أن يذكر أن غالبية قصص بستان الرهبان هى لرهبان من القرنين الرابع والخامس من جماعة المتوحدين والايديورثميين(١) . ولم يتعرض الا فى القلة النادرة لغيرهم أو من بعدهم . وأنها ليست نظما متكاملة ، بل لفتات مختلفة تعطى صورة عامة لبستان متعدد الغروس .

٣ – أن يستوعب الفضيلة الروحية قبل الفعل النسكى فان ما يراه سلوكا وتعليما ، ليس الا الصورة الخارجية لفعل النعمة التى من الله ، والمحبة التى شغلت قلب الراهب . فليست ممارسات نسكية للتقرب اليه ، بل صورة خارجية لقلب منشغل انشغالا كاملا به ، وذات تفنى فى التأمل فيه . ولذا ظهر تجرد بعض

(١) الفردية المترابطة .

الرهبان خصوصا بعد سنوات ثباتهم فى حياة التأمل ، فى أعمال تبدو جهادات شاقة يرتد البعض أمامها منكمشا ، أو ينبهر بها البعض فيحاول تقليدها دون أن تكون طريقه .

فالمبادىء الروحية كهدوء القلب والمحبة النقية والسلام الداخلى هى الهدف ، قبل التشبه بالممارسات النسكية .

٤ ـ الاعتدال فيما يقتبس ، والمحافظة على فرح النعمة وبركات السلام .

ولنقف متأملين وصف أنبا دانيال لمعلمه أنبا أرسانيوس « كان كاملا فى الشيخوخة ، وصحيح الجسم مبتسما . . وكان رجلا صالحا مملوءا من الروح القدس والايمان » . ٥٤ .

ولنسمع وصية أنبا أشعياء « أن سمعت أخبار القديسين وأعمالهم الشريفة ، فلا تطمع فى اقتنائها بلا تعب ، ان لم تشق نفسك أولا وتتأهل لها ، حتى اذا أقدمت على عملها جاءتك من تلقاء نفسها » .

كان للكتاب المقدس الدور الأول فى مشغوليتهم وحياتهم :

فلقد جاء فى توجيه القديس مكاريوس الكبير لثيؤبمتبس : صم حتى العشاء واستمر على ذلك . اتل فصولا من الاناجيل ومن الأسفار الأخرى واذا صعدت فكرة الى ذهنك لا تجعل عقلك ينظر الى أسفل بل ليكن فوق دائما والرب يعينك .

وكان الكتاب غذاءهم أثناء المرض فلقد مرض مرة أنبا أغاثون وكان يرقد فى قلاية كان فيها أحد الشيوخ مريضا أيضا وكان هناك أخ يقرأ لهما سفر التكوين .

ومرة تقابل أنبا موسى الأسود مع أنبا ايسيذيروس وطلب منه أن يرشده فى أمور خلاص نفسه . فأخذه أنبا ايسيذوروس وعلمه ووعظه كثيرا بكلام الله وكلمه عن الدينونة والخلاص وكان لكلمة الله الحية عملها فى داخل قلبه واستكملت فاعليتها داخل نفسه فكانت دموعه كالماء الساقى وكان الندم الحار يجتاح نفسه ويقلق نومه . وهكذا كره حياته .

لذلك قال القديس موسى الأسود : أربعة هى عون الراهب الشاب ، الهذيذ فى كل ساعة فى ناموس الله ، مداومة السهر ، النشاط فى الصلاة ، الا يعتبر نفسه شيئا .

وقال أيضا : الحفظ من الفكر الردىء يأتى من القراءة فى كتب الوصايا ، طرح الكسل ، القيام فى الليل للصلاة والابتهال ، التواضع دائما .

وكان هذا حال الجميع ، متوحدين وغيرهم . فقد جاء فى سيرة لقاء مقاره

الكاتب لبعض السواح انه قال : بعد أكل الخبز ابدا يسالنى عن الكتب المقدسة وما فيها من امر المسيح ويشرح تفسيرها وكنت انا كاتبا جميع ايامى مطلعا فى الكتب المقدسة وانا لا اعرف ما أوضحه لى . ثم سالت السائح فى عدة مشكلات فى الكتاب فاخبرنى بها وتفسيرها .

وقال شيخ : ان سيرة الراهب هى : الطاعة . الهذيذ فى ناموس الله فى الليل والنهار .

وما كانوا يوصون بالقراءة فقط ، بل بالعمل بها . فقد سأل الاخوة مرة القديس يوحنا القصير قائلين : يا ابانا هل يجب ان نقرا المزامير كثيرا فرد قائلا : ان الراهب لا تفيده القراءة والصلوات ما لم يكن متواضعا محبا للفقراء والمساكين .

من تعاليم القديس اكليمادوس : اذا دخلت الى قلايتك اهتم بقراءة الكتب الالهية والصلاة ولا تتفرغ لشغل اليد وحده .

ولخص القديس سبصويص الصعيدى قراءة الراهب حين سأله اخ ان يقول له كلمة فقال : أى شىء أقوله لك ؟ انى اقرا فى العتيقة (العهد القديم) ثم ارجع الى الحديثة (العهد الجديد) .

وتقدم أحد الحكماء فى ذلك الزمان الى القديس انطونيوس وقال له : كيف أنت ثابت فى هذه البرية وليس لديك كتب تتعزى بها . فاجابه قائلا ايها الحكيم . ان كتبى هى شكل الذين كانوا قبلى . اما ان أردت القراءة ففى كلام الله اقرا .

وقال القديس انطونيوس أيضا اتعب نفسك فى قراءة الكتب فهى تخلصك من النجاسة ... اتعب نفسك فى قراءة الكتب واتباع الوصايا فتأتى رحمة الله عليك سريعا واذا جلست فى قرائتك فلا تفارق هذه الأشياء : القراءة فى الكتب التضرع الى الله ، شغل اليدين .

وقال الأب ابيفانيوس : ان الجهل بما فى الكتب جرف عظيم السقوط وهوة عميقة .

وقال القديس مكاريوس الكبير : ان اردت ان يقبل الله دعاءك فاحفظ وصاياه .

ولنا فى سيرة القديس سرابيون مثال رائع لحب الانجيل فانه لم يمتلك شيئا البتة لا عصا ولا حذاء سوى انجيلا صغيرا وكان فى كل اموره يفضل راحة قريبه على راحة نفسه وكان كاملا فى العباده جيدا فى القراءة يتلو عن ظهر قلب كل كتب الله . وظهر حفظه للمزامير كلها عندما ذهب لخلاص الخاطئة فابتدا من اول (الابصالتس) مرتلا وفى نهاية كل مزمور كان يقول يارب ارحم هذه الشقية وردها للتوبة لتخلص ، فسمع الرب وخشع قلبها وكانت قائمة الى جانبه مرتعبة

ومرتعدة ولفزعها سقطت على الأرض فلما اكمل الشيخ الابصالتس اجمع اقامها فعلمت انه جاء ليخلص نفسها .

وكان حمله للانجيل للتنفيذ العلمى . راى مرة انسانا مسكينا عريانا فى السوق فتعرى من الثوب الذى كان يلبسه واعطاه لذلك المسكين ثم جلس هو عريانا والانجيل فى يده واتفق ان كان المحتسب مجتازا فلما ابصره قال له : يا أنبا سرابيون من عراك ؟ فأشار الى الانجيل وقال هذا هو الذى عرانى . فبعد ما كسوه قام من هناك فوجد انسانا عليه دين وهو معتقل من صاحب الدين . وحيث لم يكن لديه شيء يوفيه عنه باع الانجيل ودفع ثمنه للدائن ولما كان ماشيا لاقاه فى الطريق تلميذه هكذا فقال له : يا معلم اين الثوب الذى كنت تلبسه ؟ اجابه قائلا لقد قدمته يا ولدى قدامنا حيث نحتاجه . فقال له ايضا وأين انجيلك يا أبتاه الذى كنا نعتز به : فقال له يا ولدى لقد كان يقول لى كل يوم « بع كل مالك واعطه للمساكين فبعته » .

بل أكثر من ذلك كانوا يعلمون بالانجيل كل من يأتى الى زيارتهم بل كانوا ينزلون أحيانا للوعظ والتعليم فلقد ورد فى سيرة القديس مكاريوس « قيل أن القديس مكاريوس دخل مرة الى مدينة مصر ليعظ فيها . فلما حضر البيعة حضرت اليه جموع كثيرة وعرف الآباء من الانجيل انه حفظ الوصية لأنها هى علامة محبة المسيح » .

وفى سيرة الأنبا أغاثون قيل عنه : كان أغاثون القديس حكيما فى معرفته ، حريصا على اتمام الوصايا وفى نهاية حياته يقول على قدر طاقتى حفظت وصايا الله الا أننى انسان من أين أعلم أن عملى أرضى الله .

والقديس موسى الأسود كان يكسر تدبيره من أجل تنفيذ وصية المحبة حتى قال الآباء له مرة أيها الأب موسى حقا لقد ضحيت بوصية الناس فى سبيل اتمام وصايا الله

وقال أنبا أغاثون : بدون حفظ الوصايا الالهية لا يستطيع أحد أن يقترب الى واحدة من الفضائل .

وقال الأنبا أنطونيوس فى شرح معنى قول الرسول افرحوا بالرب قال : اذا فرحنا باتمام الوصايا فهذا فرح بالرب فلنفرح بتكميل وصايا الرب وبنجاح اخوتنا ولنحفظ أنفسنا من فرح العالم .

وكان عمل الروح القدس هو الذى يقود المجاهد فى الطريق :

قيل عن الأنبا أنطونيوس : كانت طلعته مضيئة بنور الروح القدس تنم عن نعمة عظيمة وعجيبة ، متميزا فى رصانة اخلاقه وطهارة نفسه وكان يستطيع أن يرى ما يحدث على مسافة بعيدة . وعندما رجع عنقود العنب الى القديس مكاريوس مرة

أخرى بعد أن فضل كل من الأخوة الآخر عن نفسه قال ان بستانا واحدا يسقى من ينبوع واحد تنمو فيه أثمار مختلف مذاقها وألوانها ، كذلك الرهبان فانهم يشربون من عين واحدة وروح واحد ساكن فيهم لكن ثمرهم مختلف فكل واحد منهم يأتى بثمرة على قدر الفيض المعطى له من الله .

وعندما رأى راهبا غير محب للقنية قال له يا ولدى لقد استراح روح الله عليك . ورأى أخ سفينتين عظيمتين فى لجة البحر ورأى فى احداهما انبا ارسانيوس وهو يسير سيرا هادئا وروح الله معه ورأى فى الأخرى انبا موسى وملائكة الله معه وهم يطعمونه شهد عسل .

واخبر انبا دانيال تلميذه عن الأنبا ارسانيوس : كان رجلا صالحا مملوءا من الروح القدس والايمان . وفى سيرة الأنبا زكريا نرى ذلك بوضوح فقد أتى أنبا موسى ليستقى ماء فوجد انبا زكريا على البئر يصلى وروح الله حالا عليه فقال له يا ابتاه قل لى ماذا أصنع لأخلص ، فما أن سمع الحديث حتى انطرح بوجهه عند رجليه وقال له يا ابى لا تسألنى انا . قال أنبا موسى صدقنى يا ابنى زكريا انى أبصرت روح الله حالا عليك ولذلك وجدت نفسى مسوقا من نعمة الله ان أسألك فتناول زكريا قلنسوته ووضعها عند رجليه وداسها ثم رفعها ووضعها فوق رأسه وقال : ان لم يصر الراهب هكذا منسحقا فلن يخلص . والقديس يوحنا القصير كان يثق فى نعمة الله وعطية الروح فحينما كان يستحى أخ أن يأتى اليه كان يقول له : المسكين يوحنا لو جاء اليه جميع أهل الاسقيط لما انقصوه من نعمة الروح القدس وانت متى اردت فهلم الى ولا تشك فى شىء .

وقال القديس يوحنا القصير ان نعمة الروح القدس اذا ما حلت فى عقل انسان اروته وجددته ليخرج أثمارا تصلح لعمل الله .

وشرح شيخ عن القديس بيصاريون قال : هذه الكلمات قيلت عن جميع الرهبان الذين يجاهدون ضد الشهوات والشياطين الذين تنقصهم نقاوة القلب وثمار الروح ورؤية الله .

جاء شخص الى أنبا ايسذوروس يشكو له محاربة الشياطين له ... فلما رأى القديس ايسيذوروس منه هذا الايمان حينئذ قال له وانا أؤمن بسيدى يسوع المسيح وباسم يسوع المسيح انك من هذا الوقت فصاعدا سوف تبطل الشياطين قتالها عنك ... امض الى البيعة وتناول من الأسرار الالهية واستمر القديس مواظبا على توجيه أبيه فاعطاه الله نعمة عظيمة . بهذا الايمان كان الآباء يشددون ايمان أولادهم .. جاء مرة أخ قوتل بالزنا فقال له القديس دانيال صل قائلا يا اله تومائيس العفيفة أعنى ونجنى من محنة الزنا وانى أؤمن انك ستخلص من هذه المحنة . قال شيخ : ينبغى للراهب أن يكون له افراز ويطلب من الله الهداية والمعونة حتى لا يخدع . وعليه أن يعتمد عليه بايمان تام لأنه بغير معونة من الله

لا يقدر ان يناصب الشيطان ولا يبعد عنه الأفكار الرديئة لكنه اذا سلم نفسه لله ولازم الصلاة فان الله حينئذ يملك على نفسه ويجعل فيها هواه ويكمل وصاياه . وقال آخر : ينبغى ان يكون له ايمان قوى بالله ورجاء واتضاع . وقال مار اسحق : الراهب الذى يحارب قبالة الآلام يحفظ الوصايا لكى تقطع الآلام من القلب ولا تهدأ النعمة حتى تساعده خفية . لذلك كانوا ينصحون بالبعد عن الأمور التى تحزن روح الله .

يقول الشيخ الروحانى : احرص بكل قوتك أن تخرج من جسدك أوجاع الهوان البهيمية هذه التى تفصل الانسان من الروح القدس .

الراهب لا يسكن مع المفتخرين لئلا يرتفع من نفسه فعل الروح القدس ويصبح مسكنا بكل الأوجاع الشريرة . فالحكيم هو الذى يحرص الى الموت على مرضاة الله . لنعمل بقدر قوتنا والله يعين ضعفنا .

اذا أراد العقل أن يرتفع على الصليب فانه يحتاج الى طلبة كثيرة ودموع غزيرة وخضوع فى كل ساعة قدام الرب وسؤال المعونة من قوة الصليب فيقوم الانسان غير مقهور متجددا بالروح القدس .

ان كنت مقهورا من وجع وأنت تجاهد فلا تمل بل الق نفسك قدام الله وقل أعنى يارب أنا الشقى فانى لا اقوى على هذا الوجع فيعينك سريعا ان كانت طلبتك بقلب مستقيم .

ويرفع القديس الأنبا اشعياء من ضمير وقلب المجاهد أنه بجهاده سوف ينال الخلاص بل بالنعمة فيقول : ألق ضعفك أمام الله وهو يعينك لأنه رحوم يرثى لضعف الانسان فاذا الزمت نفسك بصوم كثير وصلاة مستمرة فلا تثق بأنك ستخلص بعد ذلك ولكن قل فى فكرك انى أرجو من الله بصلاة قديسيه أن يصنع مع ضعفى رحمة من أجل الشقاء الذى شقى به جسدى .

وكانوا يحرصون على نوال الروح القدس فى الأسرار فنجد كثيرا من أحاديثهم عن المعمودية وعطية الروح القدس والأسرار . فعن المعمودية يذكرنا عماد القديس موسى الأسود بعد ان تحرك قلبه للتوبة بسبب وعظه بالكلمة الحية . أنه بدأ يعترف فأخذه القديس ايسيذوروس الى حيث يقيم أنبا مكاريوس الكبير الذى أخذ يعلمه ويرشده برفق ولين ثم منحه صبغة المعمودية المقدسة . واعترف علنا فى الكنيسة بجميع خطاياه وقبائحه الماضية وكان القديس أبو مقار أثناء الاعتراف يرى لوحة عليها كتابة سوداء وكلما اعترف موسى بخطية قديمة مسحها ملاك الله حتى اذا انتهى من الاعتراف وجد اللوح أبيضا .

فيما يلى حديث القديس بيصاريون عن غنى الروح : هذه هى فضائل غنى الروح يكتسب بعضها طبيعيا والبعض الآخر عن طريق النعمة الالهية فتلك التى نكتسب طبيعيا هى تلك التى زرعها الخالق فى طبيعتنا فى بدء الخليقة . أما التى تقتنى بالنعمة الالهية فهى الموهوبة لها بالمعمودية ، وتفقد هذه الثروة بسبب الملذات

والشهوات والسعى وراء الكرامة . اماالعوده للحصول عليها فمن طريق الضيق والسدة واحتمال الاهانة والانتهار لذلك يقول القديس أنبا أشعياء أنه واجب على كل معتمد أن يقى نفسه من كل الشرور .

هذا من جهة الحياة النقية ، لكن بالمعمودية لم ينل الانسان فقط الحياة الجديده بل وأيضا الايمان الصحيح لذلك يجب الحفاظ عليه نقيا ، لذلك يوصى أنبا أشعياء الراهب قائلا : احفظ نفسك من محاولة المخالفين بحجة انك تريد الدفاع عن الايمان لئلا يؤثر كلامهم فيك فيهلك وان وجدت كتابا من كتبهم فلا تقرأ فيه لئلا يمتلىء قلبك بسم الموت بل تمسك بأمانتك (ايمانك) كما أضاءت لك المعمودية ، وكن على حظر من تعليم الكذاب المضاد .

ثم كان سر الشركة والاتحاد بالرب أى سر الافخارستيا هو غذاء الراهب دائما فنقرأ فى سيرة كل من القديس مكسيموس ودوماديوس انهما لم يبارحا مكانهما الا كل يوم أحد فقط حيث كانا يمضيان الى الكنيسة لتناول القربان وهما صامتان .

ويرد فى سيرة القديس زكريا انه مضى الى الكنيسة لتناول الأسرار . وعن القديسة اناستاسيا الشماسة انها كانت ترى الأنبا دانيال مرة واحدة كل اسبوع ذلك كل يوم أحد للتناول من الأسرار المقدسة وكان توجيه الآباء لأولادهم للتناول أساسيا فقد تحدث القديس ايسيذوروس مع القديس موسى عن الجهاد الروحى وبعد حديث عميق قال له : امض الى البيعة وتناول من الأسرار الالهية ذلك لأن الآباء يعلموننا أن التعليم ينير العقل ولكن الاتحاد بالرب يتم بالسر فى سر الشركة المقدسة ولم يفت الآباء التوجيه لأهمية التناول بوقار واستعداد فقال القديس مكاريوس الكبير فى آخر عظته لأولاده . لازموا السهر والقراءة فى الكتب وثابروا على الصلاة واسرعوا الى الكنيسة ونقوا قلوبكم من كل دنس لتستحقوا التناول من جسد السيد المسيح ودمه الأقدسين فيثبت الرب فيكم ، فبهذا السر العظيم تحفظون من الأعداء فمن تهاون بهذا السر فان قوات الظلمة تقوى عليه فيبتعد عن الحياة بهواه . فلنتقدم الى سر الأفخارستيا بخوف وشوق وايمان تام ليبعد عنا خوف الأعداء بقوة يسوع المسيح الذى له المجد الى الأبد آمين .

ويقول الأنبا أشعياء اذا كنت واقفا فى القداس فراقب جسدك وحواسك بخوف الله لتستحق أن تتناول من القربان الذى هو جسد المسيح ودمه الأقدسين فيشفيك الرب . اذا أنت ذهبت لتناول جسد المسيح ودمه الأقدسين فاياك أن يكون فى قلبك حقد أو غيظ على انسان فان علمت أن فى قلب انسان عليك شيئا فاذهب واستغفر منه أولا لئلا تأخذ دينونة لنفسك . واعطى الله طريق أنبا يوحنا القصير عطية

لتوبة الكثيرين وقد ميزه الله بمعرفة الخفايا فعندما كان يقدس الأسرار كان يعرف من يستحق التناول ومن لا يستحق ولهذا فان كثيرين تابوا ورجعوا لله بكل قلوبهم .

وفقنا الله جميعا للاستفادة من هذه السيرة العطرة والتعاليم المشبعة .

اول توت ١٩٦٣
١١ سبتمبر ١٩٧٦

لجنة التحرير والنشر
بطرانية بني سويف والبهنسا

محتويات الكتاب

صفحة

الباب الأول : أقوال آباء الرهبنة : ١٧
أقوال القديس أنبا أنطونيوس ٢١
أقوال القديس مقاريوس الكبير ٢٧
أقوال القديس أنبا باخوميوس ٤٧
أقوال القديس مار اسحق ٥٣
أقوال القديس أنبا ارسانيوس ٥٤
أقوال القديس أنبا أغاثون ٦٦
أقوال القديس أنبا ايسيذورس ٦٩
أقوال القديس أنبا موسى الأسود ٧١
أقوال القديس أنبا زكريا ٧٩
أقوال القديس أنبا يوحنا القصير ٨١
أقوال القديس أنبا سرابيون الكبير ٨٨
أقوال القديسين أنبا أيوب وأنبا بيمين ٩٢
أقوال القديس أنبا بيصاريون ٩٦
أقوال القديس أنبا بفنوتيوس ١٠١
أقوال القديس أنبا زينون ١٠٢
أقوال القديس أنبا اخيلاس ١٠٣
أقوال القديس أنبا تادرس الاسقيطى ١٠٤
أقوال القديس أنبا دانيال الاسقيطى ١٠٦
أقوال القديس أنبا يوساب السائح ١١٥
أقوال القديس أنبا مقارة الكاتب ١١٧

الباب الثانى : تدبيرات الرهبنة : ١٢١
الفصل الأول ـ تدبير البداية : ١٢٣
ماهية الرهبنة ١٢٥
من تعاليم القديس اكليمادوس ١٣٠
من تعاليم مار اسحق ١٣٣
من تعاليم القديس نيلس وآخرين ١٣٥
من تعاليم الشيخ الروحانى ١٣٩
من تعاليم الانبا اشعيا ١٤١

	صفحة
الفصل الثانى ـ تدبير الارادة :	١٥٧
الفقر	١٦١
الطاعة	١٧٨
العفة	١٨٩
العمل	٢٠٥
الوحـــدة	٢١٢
الفصل الثالث ـ تدبير الروح :	٢٢٣
لزوم الجهاد الروحى	٢٢٥
الصـــلاة	٢٤٥
التـــوبة	٢٦٩
الاتضـــاع	٣٠٧
الصـــوم	٣٣٧
الاحتمال	٣٤٦
الهـــدوء	٣٦٠
الفصل الرابع ـ تدبير الفكر :	٣٨٧
التأمل	٣٨٩
ضبط الفكر	٣٩٣
عدم الادانة	٤٠١
الافراز	٤٠٩
الرؤى	٤١٤
الفصل الخامس ـ تدبير المحبة :	٤٢٥
الراهب والله	٤٢٧
الراهب والمجمع	٤٣١
الراهب والعالم	٤٤٧
سيرة مشاهير الآباء الذين وردت أسماؤهم بالكتاب :	٤٥٥

الأنبا اثناسيوس الرسولى ـ الأنبا ارسانيوس ـ مار أسحق مارافرام السريانى ـ الأنبا أنطونيوس الكبير ـ الأنبا أوغريس الأنبا باخوميوس ـ الأنبا دانيال ـ الأنبا مقاريوس الكبير الأنبا مقاريوس السكندرى ـ الأنبا موسى الأسود الأنبا نيلوس السينائى ـ الأنبا يوحنا ذهبى الفم مار يوحنا سابا ـ الأنبا يوحنا القصير

الباب الأول

آباء الرهبنة

	صفحة
الفصل الثاني ـ تدبير الإرادة :	١٥٧
الفقر	١٦٠
الطاعة	١٧٨
العفة	١٨٩
العمل	٢٠٥
الوحـدة	٢١٢
الفصل الثالث ـ تدبير الروح :	٢٢٣
لزوم الجهاد الروحي	٢٢٥
الصـلاة	٢٤٥
التـوبة	٢٦٦
الاتضـاع	٣٠٧
الصـوم	٣٢٧
الاحتمال	٣٤٦
السهر	٣٦٠
الفصل الرابع ـ تدبير الفكر :	٣٨٧
التأمل	٣٨٩
ضبط الفكر	٣٩٣
عدم الإدانة	٤٠١
الإفراز	٤٠٩
الرؤى	٤١٤
الفصل الخامس ـ تدبير المحبة :	٤٢٥
الراهب والله	٤٢٧
الراهب والمجتمع	٤٣١
الراهب والعالم	٤٣٧
سيرة مشاهير الآباء الذين وردت أسماؤهم بالكتاب :	٤٥٥

الأنبا أثناسيوس الرسولي ـ الأنبا أرسانيوس ـ مار اسحق مارإفرام السرياني ـ الأنبا أنطونيوس الكبير ـ الأنبا أوغريس الأنبا باخوميوس ـ الأنبـا باسيليوس ـ الأنبا مقـاريوس الكبير الأنبا مقـاريوس الإسكندري ـ الأنبا موسى الأسـود الأنبا نيلوس السـينائي ـ الأنبـا يوحـنا ذهبي الفم مار يوحنا سابا ـ الأنبا يوحنا القصير

أسماء الآباء

١ ـ القديس أنبا انطونيوس
٢ ـ القديس أنبا مقاريوس الكبير
٣ ـ القديس أنبا باخوميوس
٤ ـ القديس مار اسحق
٥ ـ القديس أنبا أرسانيوس
٦ ـ القديس أنبا أغاثون
٧ ـ القديس أنبا ايسيذورس
٨ ـ القديس أنبا موسى الأسود
٩ ـ القديس أنبا زكريا
١٠ ـ القديس أنبا يوحنا القصير
١١ ـ القديس أنبا سرابيون الكبير
١٢ ـ القديس أنبا بيمين
١٣ ـ القديس أنبا بيصاريون
١٤ ـ القديس أنبا بفنوتيوس
١٥ ـ القديس أنبا زينون
١٦ ـ القديس أنبا أخيلاس
١٧ ـ القديس أنبا تادرس الأسقيطى
١٨ ـ القديس أنبا دانيال الأسقيطى
١٩ ـ سواح : أنبا يوساب السائح
٢٠ ـ مقارة الكاتب وبعض السواح

القديس انطونيوس

كوكب البرية وأب الرهبان

نشأته :

من أهل الصعيد من جنس الأقباط ، وسيرته عجيبة طويلة اذا استوفيناها شرحا .. وانما نذكر اليسير من فضائله :

انه لما توفى والده دخل اليه وتأمل وبعد تفكير عميق قال : تبارك اسم الله : اليست هذه الجثة كاملة ولم يتغير منها شيء البتة سوى توقف هذا النفس الضعيف . فأين هى همتك وعزيمتك وأمرك وسطوتك العظيمة وجمعك للمال . انى أرى الجميع قد بطل وتركته .. فيالهذه الحسرة العظيمة والخسارة الجسيمة. ثم نظر الى والده الميت وقال : ان كنت قد خرجت انت بغير اختيارك فلا أعجبن من ذلك ، بل أعجب أنا من نفسى ان عملت كعملك .

اعتزاله العالم :

ثم أنه بهذه الفكرة الواحدة الصغيرة ترك والده بغير دفن(١) . كما ترك كل ماخلفه له من مال وأملاك وحشم ، وخرج هائما على وجهه قائلا : ها أنا أخرج من الدنيا طائعا كيلا يخرجونى مثل أبى كارها .

توغله فى الصحراء :

لم يزل سائرا حتى وصل الى شاطىء النهر حيث وجد هناك جميزة كبيرة فسكن هناك ، ولازم النسك العظيم والصوم الطويل . وكان بالقرب من هذا الموضع قوم من العرب ، فاتفق يوم من الأيام أن امرأة من العرب نزلت مع جواريها الى النهر لتغسل رجليها ورفعت ثيابها وجواريها كذلك ، فلما رأى القديس أنطونيوس ذلك حول نظره عنهن وقتا ما ظنا منه أنهن يمضين . لكنهن بدأن فى الاستحمام فى النهر ! فما كان من القديس الا أن قال لها : ياامرأة : أما تستحين منى وأنا رجل راهب ؟ أما هى فأجابت قائلة له : أصمت ياانسان . من اين لك أن تدعو نفسك راهبا ؟ لو كنت راهبا لسكنت البرية الداخلية لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان(٢) .

فلما سمع أنطونيوس هذا الكلام لم يرد عليها جوابا . وكثر تعجبه لأنه لم يكن فى ذلك الوقت قد شهد راهبا ولا عرف الاسم(٣) . فقال فى نفسه ليس هذا الكلام

---

(١) فى سيرة أنطونيوس بقلم اناسيوس الرسولى جاء أن القديس أنطونيوس ترك العالم بعد وفاة والده بستة أشهر .

(٢) كلمة موناخوس « راهب » معناها الأصلى « متوحد » ويبدو أن دهشة أنطونيوس من رد المرأة جاءت من فهمها مدلول اللفظ أنه يعنى عابدا منعزلا ، فاعتبر ردها توجيها له من الله ، فتوغل فى الصحراء .

(٣) لاشك أنه كان هناك متعبدون ينعزلون . ولكن الرهبنة بأوضاعها التى تحددت بعد ذلك لم تكن معروفة .

من هذه المراة ، لكنه صوت ملاك الرب يوبخنى . وللوقت ترك الموضع وهرب الى البرية الداخلية وأقام بها متوحدا . لأنه ما كان فى هذا الموضع أحد غيره فى ذلك الوقت . وكان سكناه فى قرية قديمة كائنة فى جبل العربة ، صلاته تكون معنا آمين .

ملاك يسلمه الزى :

وكان يوما جالسا فى قلايته ، فأتت عليه بغتة روح صغر نفس وملل وحيرة عظيمة ، وضاق صدره فبدأ يشكو الى الله ويقول : يارب انى أحب أن أخلص ، لكن الأفكار لا تتركنى فماذا أصنع ؟ وقام من موضعه وانتقل الى مكان آخر وجلس . واذا برجل جالس أمامه ، عليه رداء طويل متوشح بزنار صليب مثال الاسكيم ، وعلى راسه (كوكلس) قلنسوة شبه الخوذة . وكان جالسا يضفر الخوص واذ بذلك الرجل يتوقف عن عمله ويقف ليصلى ، وبعد ذلك جلس يضفر الخوص . ثم قام مرة ثانية ليصلى ثم جلس ليشتغل فى ضفر الخوص وهكذا .. أما ذلك الرجل فقد كان ملاك الله الذى أرسل لعزاء القديس وتقويته اذقال لأنطونيوس : « أعمل هكذا وانت تستريح » .

من ذلك الوقت اتخذ أنطونيوس لنفسه ذلك الزى الذى هو شكل الرهبنة وصار يصلى ثم يشتغل فى ضفر الخوص : وبذلك لم يعد الملل يضايقه بشــدة . فاستراح بقوة الرب يسوع المسيح له المجد .

صــلاته :

١ ــ القديس بولا البسيط
(تلميذ الأنبا أنطونيوس)

اقام القديس أنطونيوس بالبرية الداخلية فوق مدينة أطفيح بديار مصر مدة ثلاثة أيام . وبنى له قلاية صغيرة وهو قريب من وادى العربة .

وكان فى ذلك الوقت رجل علمانى ، شيخ كبير ، يقال له بولا أعنى بولس . كان ساكنا فى مدينة أطفيح . واتفق أن ماتت زوجته وتزوج امرأة صــبية . وكان له خيرات وأموال كثيرة كان قد ورثها .

فدخل يوما من الأيام الى بيته ، فوجد أحد خدامه على السرير مع زوجته . فقال لزوجته مبارك لك فيه أيتها المرأة ، ومبارك له فيك ، اذ اخترتيه دونى .

ثم أخذ بردته(١) عليه ، ومضى هائما على وجهه فى البرية الداخلية . وبقى محتارا تائها زمانا طويلا الى أن اتفق أنه وقف على قلاية القديس أنطونيوس ، فقرع باب القلاية . فلما رآه القديس عجب منه غاية العجب ، لأنه لم يكن بعد قد رأى انسانا بهذه الصفة ، فسلم على القديس وسـجد له على الأرض بين يديه فأقامه القديس وعزاه وفرح به غاية الفرح . ثم جلس عند القديس أربعين يوما ملازماالزهد الكامل والوحدة الصعبة .

فلما كمل له اربعون يوما ، قال له القديس : يا بولس اذهب الى حافة الجبل وتوحد ، وذق طعم الوحدة .

---

(١) عباءته .

فمضى بولس كما أمره وعمل له مثل مربط شاة . وفى غضون ذلك احضروا الى القديس انطونيوس رجلا اعتراه روح من الجن . فلما نظره القديس عجب منه ، ثم قال للذى أحضره : اذهب به الى القديس بولس يشفيه لأنى عاجز عنه . وهذه هى أول تجاربه . فعملوا كما أمرهم القديس وأحضروه بين يدى القديس بولس . وقالوا له معلمك الأب انطونيوس يأمرك أن تخرج هذا الشيطان من هذا الانسان . وكان القديس بولس ساذجا . فلوقته أخذ الرجل المريض وخرج الى خارج الجبل وكان الحر شديدا ، وكانت الشمس مثل وهج النار العظيم . فقال : يا شيطان استحلفك كما أمرنى معلمى أنطونيوس انك تخرج . واذ بدأ العدو الشيطان يتكلم على لسان الانسان المريض ويضحك ويشتم ويقول : من هو انت ومن هو معلمك انطونيوس المختال الكذاب . فقال له بولس : أنا أقول لك أيها الشيطان انك تخرج من هـذا الانسان وان لم تخرج انا أعذب نفسى . ثم طلع القديس بولا على حجر كان يتقد كأنه جمر نار وأخذ حجرا آخر على رأسه(١) وقال : باسم الرب يسوع المسيح ، وباسم صلوات معلمى مار أنطونيوس العظيم انى سأظل هكذا الى ان أموت ولابد أن أعمل طاعة معلمى ، وتخرج أيها الشيطان كما أمر معلمى . وبقى هكذا واقفا والعرق يتصبب منه كأنه المطر ونبع (نزف) الدم من فمه وأنفه والناس حوله مندهشون . فلما رأى الشيطان ذلك صرخ بأعلى صوته وقال : العفو العفو ! والهروب الهروب من شيخ يقسم على الله بزكاوة قلبه . حقا لقد أحرقتنى بساطتك . ثم خرج من ذلك الانسان . وصرخ الشيطان أيضا قائلا : يا بولا لا تحسب انى خرجت من أجل دمك وخروجه (أى نزف دمه) ، لكن أحرقتنى صلاة انطونيوس وهو غائب . ولما سمع الحاضرون تعجبوا . بركة صلواتهم تحفظنا آمين .

٢ ـ قصة شفاء ابن ملك الأفرنج

أخبروا عن القديس انطونيوس ان ملك الافرنج كان له ولد ، وكان وارثا للملك بعده ، فلحقه جنون وصرع . فجمع كل علماء بلاده فلم يقدر واحد أن يعينه أو يشفيه.

ثم اتصل به خبر القديس انطونيوس الصعيدى ، فأرسل اليه رسله بهدايا جليلة . ولما وصلوا اليه لم يشأ أن يقبل شيئا من الهدايا أو يفرح بالسمعة ، وكان يكلمهم بترجمان .

وقال لتلميذه : بماذا تشير على يا ابنى ؟ هل اذهب أم أبقى ؟ قال له : يا أبى ان جلست أنت انطونيوس ، وان ذهبت فانت انطونه(٢) . وكان التلميذ يحبه ولا يشتهى أن يفارقه . فقال له القديس : وانا اريد أن اكون انطونه .

وفى تلك الليلة عمل صلاة فى الدير وسار الى بلاد الافرنج(٣) وحملته سحابة بقوة الرب يسوع المسيح . ودخل الى مدينة الملك وجلس على باب دار الوزير كمثل راهب غريب . ولما عبر وزير الملك وكان الليل قد حل ، أمره الوزير بالدخول الى منزله . وبينمـــا هم على المائدة واذا بخنزيرة فى بيت الوزير كان لها صغار عمياء

---

(١) القصة فى بساطة أسلوبها وردت هكذا ولكن ما عمله بولس البسيط هذا هو الصـــلاة بتذلل أمام الله .

(٢) أى لا يتغير فيك شىء سوى نطق الناس لاسمك .

(٣) وردت هذه الكلمة فى المخطوطات « الانكبرد » .

واحدها أعرج أحضرتها وألقتها بين يدى القديس الذى خاطب الوزير قائلا : لئلا تظن أن الملك فقط يريد شفاء ابنه ! ثم صلب على أولاد الخنزيرة ، وبصق على أعين العمياء منها وأبراها . فدهش القوم جدا وصاروا كأنهم أموات ، ووصل الخبر الى الملك فأحضره للوقت وأبرأ ابنه وقال : أيها الملك بلغنى أنك أرسلت الى أنطونه المصرى وانفقت مالك وأتبعت رسلك ولأجل هذا أنفذنى الله اليك . ثم ودعه وانصرف الى ديره.

وفى اليوم الثانى تقابل معه رسل الملك وطلبوا منه الذهاب معهم لشفاء ابن الملك. فقال لهم اسبقونى وأنا أحضر خلفكم . فرجعوا واثقين بكلامه ، وقاسوا فى عودتهم شدائد كثيرة من تعب البحر وهول السفر . وعند وصولهم سمعوا بشفاء ابن الملك وأن قديسا آخر قد أبرأه . وهكذا قصد القديس أنطونيوس أن ينفى عن نفسه الفخر والعظمة . ولكن السيد المسيح لم يشأ أن يخفى فضائله وتحققت أخباره فى بلاد الأفرنج . فتعجب الرسل جدا كيف حضر القديس من بلاده الى بلادهم فى ليلة واحدة وتكلم بلسانهم . وفى اليوم الثانى كان عندهم . فمجدوا الله كثيرا .

من سيرة حياته للرهبانية وقوانين نسكه

(أ) شركته مع السمائيين :

جاءه بعض الأخوة يسألونه فى سفر اللاويين فاتجه الشيخ على الفور الى الصحراء . أما أنبا آمون الذى كان يعرف عادته فتبعه سرا . وعندما وصل الشيخ الى مسافة بعيدة رفع صوته قائلا : « اللهم ارسل الى موسى يفسر لى معنى هذه الآية » . وفى الحال سمع صوت يتحدث اليه . قال أنبا آمون أنه سمع الصوت لكنه لم يفهم قوة الكلام .

(ب) الكشف الروحى :

+ لما حضر أنبا ايلاريون من سورية الى جبل أنبا أنطونيوس قال له أنبا أنطونيوس : «هل حضرت أيها النجم المنير المشرق فى الصباح ؟» . أجابه أنبا ايلاريون: « سلام لك ياعامود النور حامى الخليقة » .

+ كانت طلعته مضيئة بنور الروح القدس تنم عن نعمة عظيمة وعجيبة . كان متميزا فى رصانة أخلاقه وطهارة نفسه وكان يستطيع أن يرى ما يحدث على مسافة بعيدة .

فقد حدث مرة بينما كان القديس جالسا على الجبل انه تطلع الى فوق فرأى فى الهواء روح المبارك آمون راهب نيتريا محمولة الى السماء بأيدى ملائكة وكان هنالك فرح عظيم .

وكانت المسافة من نيتريا الى الجبل الذى كان فيه انطونيوس نحو سفر ثلاثة عشر يوما . ولما رأى رفقاء انطونيوس انه منذهل سالوه ليعرفوا السبب فأعلمهم أن آمون مات توا فسجلوا يوم الوفاة . ولما وصل الأخوة من نيتريا بعد ثلاثين يوما سالوهم فعلموا أن آمون قد رقد فى اليوم والساعة التى رأى فيها الشيخ روحه محمولة الى فوق . فتعجب هؤلاء وغيرهم من طهارة نفس أنطونيوس وكيف انه علم فى الحال ما حدث على مسافة سفر ثلاثة عشر يوما وانه رأى الروح صاعدة .

(ج) افرازه :

+ قيل ان شيوخا كانوا قاصدين الذهاب الى أنبا أنطونيوس ، فضلوا الطريق، واذ انقطع رجاؤهم ، جلسوا فى الطريق من شدة التعب ، واذا بشاب يخرج اليهم من صدر البرية ، واتفق وقتئذ أن كانت هناك حمير وحش ترعى ، فأشار اليها الشاب بيده ، فأقبلت نحوه ، فأمرها قائلا : « احملوا هؤلاء الى حيث يقيم أنطونيوس » . فأطاعت حمير الوحش أمره ، فلما وصلوا ، أخبروا أنطونيوس بكل ما كان ، أما هو فقال لهم : « هذا الراهب يشبه مركبا مملوءا من خير ، لكنى لست أعلم ، ان كان يصل الى الميناء أم لا ؟ » .

وبعد زمان بينما كان القديس أنطونيوس جالسا فى الصحراء مع الاخوة وقع فجاة فى دهشة ، فرأوه يبكى وينتحب ، يركع ويصلى وينتف شعره فقال له تلاميذه : « ماذا حدث أيها الأب ؟ » فقال لهم الشيخ : « عامود عظيم للكنيسة قد سقط فى هذه الساعة ، أعنى ذلك الشاب الذى أطاعته حمير الوحش قد سقط من قانون حياته » وأرسل الشيخ اثنين من تلاميذه اليه . فلما رأى تلاميذ أنطونيوس بكى وناح وأهال ترابا على رأسه وسقط أمامهم قائلا : « اذهبوا قولوا لأنبا أنطونيوس ان يطلب الى الله ، كى يمهلنى عشرة أيام لعلى أتوب » . لكنه قبل أن يتم خمسة أيام توفى ولم يمكث طويلا ليقدم توبة عن خطيته(١) .

+ قال أنبا أنطونيوس : « انى أبصرت مصابيح من نار محيطة بالرهبان ، وجماعة من الملائكة بأيديهم سيوف ملتهبة يحرسونهم ، وسمعت صوت الله القدوس يقول : « لا تتركوهم ما داموا مستقيمى الطريقة » ، فلما أبصرت هذا ، تنهدت وقلت : « ويلك يا أنطونيوس ، ان كان هذا العون محيطا بالرهبان ، والشياطين تقوى عليهم ! » فجاءنى صوت الرب قائلا : « ان الشياطين لا تقوى على أحد ، لأنى من حين تجسدت ، سحقت قوتهم عن البشريين ، ولكن كل انسان يميل الى الشهوات، ويتهاون بخلاصه . فشهوته هى التى تصرعه وتجعله يقع » . فصحت قائلا : طوبى لجنس الناس وبخاصة الرهبان ، لأن لنا سيدا هكذا رحيما ومحبا للبشر» .

+ ودفعة جاء شيخ كبير فى زيارة للأنبا أنطونيوس فى البرية ، وهو راكب حمار وحش ، فلما رآه الشيخ قال : « هذا سفر عظيم ، ولكنى لست أعلم أن كان يصل الى النهاية أم لا » .

(د) يوجد نظير له :

أعلن الرب لأنبا أنطونيوس أنه فى المدينة الفلانية يوجد رجل يماثله ، وهو طبيب يعمل ويوزع كل ما يحصل عليه على الفقراء والمحتاجين ، ويقدم للرب تماجيد مع الملائكة ثلاث مرات يوميا .

---

(١) ليس المقصود أن يقدم الانسان عملا يكسب له رضى لله . لأنه لا يوجد عمل يقدمه الانسان يستطيع أن يكفر عن خطيته ، اذ لا يكفر عن الخطية سوى دم المسيح ولابد من الندم الكامل وترك الخطية . ولسنا نعلم هل ترك هذا الشاب خطيته ام لا فللرب وحده أن يقبل توبة انسان حتى فى النزع الأخير ،كما مع اللص اليمين . والمهلة التى طلبها هذا الأخ هى للانسحاق والسلوك فى التوبة وكان الاخوة يرجون أن يروه سالكا فى التوبة يعمل أعمالا صالحة تليق بها ، ليطمئنوا عليه .

(هـ) يوجد من يفوقه ايضا :

بينما كان القديس يصلى فى قلايته سمع صوتا يقول : « يا انطونيوس . انك لم تبلغ بعد ما بلغه خياط بمدينة الاسكندرية » فقام القديس عاجلا وأخذ عصاه الجريد بيده ووصل الى الخياط . فلما نظر الخياط الشيخ ارتعد . سأله القديس: « ماهو عملك وتدبيرك ؟ » أجابه الخياط : « اننى لا اظن اننى أعمل شـــيئا من الصلاح غير انى أنهض مبكرا وقبل أن ابدأ عمل يدى أشكر الله وأباركه . وأجعل خطاياى امام عينى واقول : « ان كل الناس الذين فى المدينة سيذهبون الى ملكوت السموات لأعمالهم الصالحة أما أنا فسأرث العقوبة الأبدية لخطاياى » . وأكرر هذا الكلام عينه فى المساء قبل أن أنام .

لما سمع منه القديس هذا الكلام قال له :

حقا كالرجل الذى يشتغل فى الذهب ويصنع أشـياء جميلة ونقية فى هدوء وسلام هكذا أنت أيضا فبواسطة أفكارك الطاهرة سترث ملكوت الله بينما أنا الذى قضيت حياتى بعيدا عن الناس منعزلا فى الصحراء لم أبلغ بعد ما بلغته أنت .

(و) : ترديد اسم يسوع :

قال : ان جلست فى خزانتك قم بعمل يديك .. ولاتخل اسم الرب يسوع، بل امسكه بعقلك ورتل به بلسانك وفى قلبك وقل : ياربى يسوع المسيح ارحمنى . ياربى يسوع المسيح أعنى . وقل له أيضا .. انا أسبحك ياربى يسوع المسيح

من هو أنطونيوس ؟ :

+ قال أحد الاخوة : أرانا أنبا صيصوى مغارة الأنبا أنطونيوس حيث كان يسكن : « هوذا فى مغارة أسد يعيش ذئب »(١) .

(١) لعل المغارة كانت فارغة ، فقصد أنبا صيصوى انها مأوى للوحوش الضارية ، بعد أن كانت لانطونيوس الأسد فى الفضيلة .

القديس مقاريوس الكبير

خروجه الى البرية

هروبه من القسيسية :

جاء عن القديس مقاريوس الكبير انه قال :

انى فى حال شبابى كنت جالسا فى قلاية فى مصر فامسكونى وجعلونى قسا لضيعة (قرية) . واذا لم أؤثر ان أتقلد هذه الرتبة هربت الى مكان آخر . حيث كان يأتينى رجل علمانى تقى وكان يخدمنى ويبيع عمل يدى .

تجربته الأولى :

فى يوم من الأيام حدث أن بتولا فى ذلك المكان سقطت فى زنى وحملت ؛ فلما اشهرت سئلت عمن فعل معها هذا الفعل فقالت : المتوحد .. ؟!

وسرعان ما خرجوا على وأخذونى باستهزاء مريع الى القرية وعلقوا فى عنقى قدورا قذرة جدا وآذان جرار مسودة مكسورة .

وشهروا بى فى كل شارع من شوارع القرية وهم يضربوننى قائلين : ان هذا الراهب أفسد عفة ابنتنا البتول ، أخزوه ، وهكذا ضربونى ضربا مبرحا قربت بسببه الى الموت الى أن جاءنى أحد الشيوخ فقال لهم : الى متى هذه الاهانة ، أما يكفيه كل ذلك خجلا فكانوا يشتمونه قائلين : ها هو المتوحد الذى شهدت له بالفضل ، انظر ماذا فعل . وأخيرا قال والدها : لن نطلقه حتى يأتينا بضامن أنه يتعهد بالقيام باطعامها ويدفع نفقة لولادتها الى أن يتربى الطفل . فدعوت الأخ الأمين الذى كان يخدمنى وقلت له : « اصنع محبة واضمنى » . فضمننى ذلك الرجل وأطلقونى بعد ذلك فمضيت الى قلايتى وقد كدت أن أموت . ولما دخلت قلايتى أخذت أقول لنفسى : « كد يا مقارة فها قد صارت لك امرأة . الآن يامقارة قد وجدت لك امرأة وبنون . فينبغى لك أن تعمل ليلا ونهارا لقوتك وقوتهم » وهكذا كنت أعمل دائما قففا وأدفعها الى ذلك الرجل الذى كان يخدمنى فيبيعها ويدفع للمرأة . حتى اذا ولدت تنفق على ولدها .

ولما حان وقت ولادة الشقية مكثت أياما كثيرة وهى معذبة وما استطاعت أن تلد . فقالوا لها : « ما هو هذا ؟.. ما هو ذنبك فها أنت بعد قليل تموتين ؟ » فقالت : « ان كل ما اصابنى كان بسبب انى قد ظلمت المتوحد واتهمته وهو برىء لأنه ما فعل بى شيئا قط . لكن فلان الشاب هو الذى تحايل على وفعل بى هذا » .

فجاء الى خادمى مسرورا وقال لى : ان تلك البتول ماستطاعت أن تلد حتى اعترفت قائلة : « ان المتوحد لا ذنب له فى هذا الأمر مطلقا . وقد كنت كاذبة فى اتهامى له » . وها أهل القرية كلهم عازمون على الحضور اليك ويسألونك الصفح

والغفران . فلما سمعت أنا هذا الكلام من خادمى أسرعت هاربا الى الأسقيط وهذا هو السبب الذى لأجله جئت الى جبل النطرون .

أب الرهبان :

قيل عن الأنبا مقاريوس انه بنى لنفسه قلاية غربى الملاحات وسكن فيها . وصار يضفر الخوص ويعيش من عمل يديه ويعبد الله كنحو قوته .. فلما سمع به اناس حضروا اليه وسكنوا معه . فكان لهم أبا مرشدا .

وكثر الذين يحضرون اليه فكان يلبسهم الزى ويرشدهم الى طريق العبادة. فلما كبر عددهم بنوا لهم كنيسة هى الآن موضع البراموس . فلما ضاق بهم المكان ولم تعد الكنيسة تسعهم تحول الأب من ذلك المكان وبنى كنيسة أخرى .

فضائله :

١ ــ فاعلية صلاته :

انطلق الأب مقاريوس مرة من الاسقيط حاملا زنابيل فأعيى من شدة التعب ووضع الزنابيل على الأرض وصلى قائلا : يارب . أنت تعلم أنه ما بقى فى قوة . واذا به يجد نفسه على شاطىء النهر .

٢ ــ وداعته وتواضعه :

+ أتى الأب مقاريوس يوما من الاسقيط الى نيرس(١) فقال له الشيوخ : قل كلمة للأخوة أيها الأب . فأجابهم قائلا : أنا لم أصر بعد راهبا ، لكنى رأيت رهبانا .. فقد كنت يوما جالسا فى الاسقيط فى القلاية واذا أفكار تأتينى قائلة : اذهب الى البرية الداخلية وتأمل فيمـــا تراه هناك . ومكثت مقاتلا لهذا الفكر خمس سنوات ظانا أنه من الشيطان . لكنى لما وجدت الفكر ثابتا مضيت الى البرية فصادفت هناك بحيرة ماء وفى وسطها جزيرة بها وحوش برية وقد جاءت الى الماء لتشرب وشاهدت بينها رجلين مجردين (عاريين) فجزعت منهما لأنى ظننت أنهما روحان . لكنهما لما رأيانى خائفا جزعا خاطبانى قائلين : لا تجزع فاننا بشريان مثلك .. فقلت لهما : من أنتما ؟.. ومن أين أنتما ؟.. وكيف جئتما الى هذه البرية ؟.. فقالا لى :

« كنا فى كنونيون(٢) وقد اتفقنا على ترك العالم فخرجنا الى ها هنا . ولنا منذ مجيئنا الى هنا أربعون ســـنة » . وقد كان أحدهمـــا مصريا والآخر نوبيا فسألتهما : كيف أصير راهبا فقالا لى : **ان لم يزهد الانسان فى كل أمور العالم فلن يستطيع أن يصير راهبا** . فقلت لهما : انى ضعيف فما أستطيع أن أكون مثلكما . فقالا لى : ان لم تستطع أن تكون مثلنا فاجلس فى قلايتك وابك على خطاياك . فسألتهما : أما تبردان ان صار شتاء . واذا صار حر أما يحترق جسداكما ؟..

---

(١) أو جبل نيتريا حسب رواية بلاديوس .

(٢) *Koinonia* كلمة يونانية يقصد بها ديرا ويغلب أن تعنى هنا ديرا على النظام الباخومى = حياة مشتركة .

فاجابانى : ان الله قد دبر لنا الا نجد فى الشتاء بردا ولا يضرنا فى زمن الحصاد حر(١) ، واخيرا قال القديس للأخوة : « لذلك قلت لكم انى لم أصر بعد راهبا ؟.. بل رأيت رهبانا .. فاغفروا لى » .

وأورد بلاديوس تفسيرا جاء فيه :

قال الاخوة : ماذا قصد الراهبان فى قولهما لأنبا مقاريوس :

« ان لم تقدر أن تكون راهبا مثلنا ، اجلس فى قلايتك وابك على خطاياك » .

أجاب شيخ : لأنهما عرفا أن الراهب بالحقيقة هو الرجل الذى استطاع أن يكون منعزلا بجسده ، مقيما فى حياة التأمل والسكون ، عمالا بالروح والجسد، متضعا ، باكيا كل يوم على خطاياه ، قاطعا من نفسه كل ذكريات الشهوة ، والأفكار المقلقة ، متأملا فى الله ، وفى كيف يحيا باستقامة ، وذلك مثلما قال الطوباوى أوغريس : « ان الراهب المنفرد عن العالم هو من قطع من نفسه كل حركات الشهوة وثبت فى الرب بكل أفكار روحه » .

+ قيل أنه فى احدى المرات كان أبا مقاريوس عابرا فى الطريق حاملا خوصا عندما قابله الشيطان وأراد أن يقطعه بمنجل كان ممسكا به فى يده . ولكنه لم يستطع أن يفعل هذا ، وقال له : « يامقاريوس . انك تطرحنى على الأرض بقوة عظيمة ، وأنا لا أستطيع أن أغلبك . ولكن انظر ، هوذا كل عمل تعمله أنت ، أستطيع أنا أيضا أن أعمله . أنت تصوم ، وأنا لا آكل أبدا . أنت تسهر ، وأنا لا أنام مطلقا . ولكن هناك شيئا واحدا به تغلبنى » حينئذ قال له مقاريوس : « وما هو هذا ؟ » فقال الشيطان : « انه تواضعك . لأنه من أجل هذا لا أقدر عليك » . فبسط القديس مقاريوس يديه للصلاة ، وحينئذ اختفى الشيطان .

+ وورد أيضا أنه فى مرة ما أمسك الشيطان سكينا ، ووقف على أبامقاريوس مريدا أن يقطع رجله . ولما لم يقدر أن يفعل هذا من أجل تواضع الشيخ ، أجاب وقال له : « كل شىء تملكه ، نملكه نحن أيضا . ولكنك بالتواضع فقط تتفوق علينا ، وبه وحده تغلبنا » .

+ **قيل عن أبا مقاريوس**(٢) انه عندما كان يقترب اليه الأخوة فى خوف ، كما الى شيخ عظيم وقديس . لم يكن يجيبهم بكلمة . وعندما كان أخ يقول له فى استهزاء : « أيها الأب ، لو كنت جملا ، أما كنت تسرق النطرون وتبيعه ، وأما كان الجمال يضربك ؟ » فانه كان يرد عليه(٣) . وان كان أحد يكلمه بغضب أو بكلمات مثل هذه ، فانه كان يجيب على كل سؤال يوجه اليه .

---

(١) حسب رواية بلاديوس : فسألانى أيضا قائلين : « ماهى أخبار العالم ؟.. هل مياه النهر ما زالت تأتى كالعادة ؟. وهل العالم بخير ؟.. » فأجبتهما : « نعم » ..

(٢) بالرغم مما فى هذا الكلام مما يشبه المزاح وهو مالا نجده فى أقوال القديسين الا أننا أوردناه كما أورده بلاديوس نظرا لما يثبته فى حياة القديس مقاريوس من البساطة وعدم الكلفة .

(٣) صفة عجيبة فى أنبا مقار أنه ما كان يتضايق من أحد ولا يخرج من صمته ، ولكن ان وجد متضايقا كان يسرع الى الرد عليه لراحته .

+ **وقال بلاديوس** : ان مقاريوس الطوباوى كان يتصرف مع جميع الاخوة بدون أى ظن سىء . وقد سأله بعض الناس : « لماذا تتصرف هكذا ؟ » فأجابهم : « انظروا ، اننى ابتهلت الى الرب مدة اثنتى عشرة سنة من اجل هـذا الأمر أن يمنحنى هذه الموهبة ، فهل تنصحوننى بأن أتخلى عنها ؟! » او أن انسانا اقترف اثما تحت بصر انسان معصوم من الخطية فليعف ذلك المعصوم نفسه وحده من الاشتراك فى حمل قصاص من سقط .

ومن امثلة تواضعه ايضا استرشاده بمن هو أصغر منه وذلك كما ورد فى القصة التالية :

+ **قال أبا مقاريوس** : ضجرت وقتا وانا فى القلاية ، فخرجت الى البرية وعزمت على أن أسأل أى شخص أقابله من اجل المنفعة . واذا بى أقابل صبيا يرعى بقرا ، فقلت له : « ماذا أفعل أيها الولد فانى جائع ؟ » فقال لى : كل . فقلت : أكلت ، ولكننى جائع ايضا . فقال لى : كل دفعة ثانية . فقلت له : انى قد أكلت دفعات كثيرة ولا زلت جائعا . فقال الصبى : « لست أشك فى أنك حمار يا راهب ، لأنك تحب أن تأكل دائما » . فانصرفت منتفعا ولم أرد له جوابا .

٣ ـ محبته للوحدة :

+ .. واذ كان يتضايق لأن عددا كبيرا من الناس كانوا يأتون ليتباركوا منه ، لذلك دبر الخطة التالية :

حفر سردابا فى قلايته .. ووضع فيها مخبأ ذا طول مناسب ، يمتد من قلايته الى بعد نصف ميل . وعند نهايته حفر مغارة صغيرة . وعندما كانت تأتى اليـه جموع كثيرة من النـــاس فتعكر وحدته ، كان يترك قلايته سرا ، ويمر عابرا فى السرداب دون أن يراه أحد ، ويختبىء فى المغارة حيث لا يقدر أحد أن يجده . وقد اعتاد أن يفعل هذا كلما كان يرغب فى الهروب من المجـد الباطل الذى يأتى من الناس » .

وقد قال لنا واحد من تلاميذه الغيورين انه فى تركه القلاية الى المغارة ، كان يتلو ٢٤(١) ربعا (استيخن) ، وفى رجوعه ٢٤ أخرى . وحينما كان يذهب من قلايته الى الكنيسة ، كان يصلى ٢٤ صلاة فى عبوره الى هناك ، و ٢٤ أخرى فى رجوعه » .

+ **دفعة سأل الاخوة شيخا قائلين** : اعتــادوا أن يقولوا أنه كان من عادة أبا مقاريوس أن يفر الى قلايته اذا سرحت الكنيسة . والاخوة قالوا : ان به شيطانا، لكنه يعمل عمل الرب . فمن هم الذين قالوا ان به شيطانا ؟.. وما هو عمل الرب الذى اعتاد أن يعمله ؟..

قال الشيخ : كان المتهاونون يقولون ان به شيطانا ، فعندما يرى ابليس أن رهبان الدير يعيشون فى حياة روحية مباركة فان الشياطين تحرك الاخوة المتهاونين

(١) يتضح من هذا الكلام أنهم لم يكونوا يتلون المزامير تلاوة بل كانت شعرا وتلحينا ويتلونها بالتبـادل .

أن يثيروا حربا ضدهم بالاهانة والانتهار ، والاغتياب ، والافتراء ، والمحاكمات التى يسببونها لهم .

أما عمل الرب الذى كان يعمله أبا مقاريوس بفراره الى قلايته فكان : صلاة مصحوبة ببكاء ودموع طبقا لما حث به أبا أشعيا قائلا «عندما ينصرف الجمع أو عندما تقوم عن الغذاء ، لا تجلس لتتحدث مع أى انسان ، لا فى أمور العالم ولا فى أمور روحية بل امض الى قلايتك وابك على خطاياك » . كما قال القديس مقاريوس الكبير للاخوة الذين كانوا معه : فروا يا اخوة . فقال الاخوة : أيها الأب . كيف نهرب أكثر من مجيئنا الى البرية ؟ . فوضع يده على فمه وقال : من هذا فروا(١) . وفى الحال فر كل واحد الى قلايته وصمت .

+ اعتاد أبا مقاريوس أن يقول للاخوة بخصوص برية الاسقيط « عندما ترون قلالى قد اتجهت نحو الغابة(٢) اعرفوا أن النهاية قريبة . وعندما ترون الأشجار قد غرست الى جوار الأبواب ، اعلموا أن النهاية على الأبواب . وعندما ترون شبانا يسكنون فى الاسقيط ، احملوا أمتعتكم وارحلوا » .

٤ ــ تقشفه وزهده :

+ قيل عن الأب مقاريوس : أنه كان قد جعل لنفسه قانونا وهو أنه اذا قدم له الأخوة نبيذا كان لا يمتنع عن شربه(٣) . لكنه عوض كل قدح نبيذ يشربه كان يصوم عن شرب الماء يوما . فأما الاخوة فلكى ينيحوه كانوا يعطونه . وهو لم يمتنع بدوره امعانا فى تعذيب ذاته . أما تلميذه فلمعرفته بأمر معلمه طلب من الاخوة من أجل الرب ألا يعطوا الشيخ نبيذا لأنه يعذب ذاته بالعطش . فلما علموا بالأمر امتنعوا عن اعطائه نبيذا منذ ذلك الوقت .

+ قال بعض الآباء لأبا مقاريوس المصرى : « ان جسدك قد جف سواء أكلت أو صمت » . فقال لهم الشيخ « ان قطعة الخشب التى احترقت وأكلتها النيران ، تفنى تماما ، وهكذا أيضا قلب الانسان يتطهر بخوف الله ، وبذلك تفنى الشهوات من الجسد وتجف عظامه » .

+ وقيل أيضا أن انسانا أتاه بعنقود مبكر ، فلما رآه سبح الله . وأمر أن يرسلوه الى أخ كان عليلا ، فلما رآه الأخ فرح ، وهم أن يأخذ منه حبة واحدة ليأكلها لكنه أقمع شهوته ، ولم يأخذ شيئا وقال : « خذوه لفلان الأخ لأنه مريض أكثر منى » . فلما أخذوا العنقود اليه رآه وفرح ، ولكنه اقمع شهوته ، ولم يأخذ منه شيئا ، وهكذا طافوا به على جماعة الاخوة فكان كل من أخذوه اليه يعتقد أن غيره لم يره بعد ، وهكذا لم يأخذوا منه شيئا ، وبعد أن انتهوا من مطافهم على

(١) وردت فى بلاديوس : أنه وضع يده على فمه وقال : « فروا هكذا » (أى بالصمت) .

(٢) لعله يقصد : « اتجهت نحو الريف » أى قربت من العالم .

(٣) لم يرد فى بستان الرهبان ذكر لأدوية تقدم للمحتاجين من الآباء . الا أنه يبدو ان النبيذ كان يقدم للشيوخ والمرضى كدواء وحيد . وكأنى بالاخوة هنا يقدمون للمعلم مقاريوس النبيذ أيام شيخوخته وشدة ضعفه كدواء ولالحاحهم عليه كان يقبل القليل ، وفى الخفاء ، يمتنع عن الماء تعويضا عن قبوله القدح .

اخوة كثيرون أنفذوه الى الأب فلما وجد أنه لم تضع منه حبة واحدة ، سبح الله من أجل قناعة الاخوة وزهدهم .

+ وكان القديس يقول : « كما أن بستانا واحدا يستقى من ينبوع واحد ، تنمو فيه أثمار مختلف مذاقها وألوانها ، كذلك الرهبان فانهم يشربون من عين واحدة ، وروح واحد ساكن فيهم لكن ثمرهم مختلف ، فكل واحد منهم يأتى بثمرة على قدر الفيض المعطى له من الله » .

+ قيل أن انسانا دوقس (أميرا) حضر من القسطنطينية ومعه صدقة للزيارة ، فزار قلالى الاخوة طالبا من يقبل منه شيئا ، فلم يجد أحدا يأخذ منه لا كثيرا ولا قليلا . وكان اذا قابل أحدهم أجابه بأن لديه ما يكفيه وأنه مصل من أجله كمثل من أخذ منه تماما . فصار ذلك الدوقس متعجبا ، ثم انه أحضر ذلك المال الى القديس مقاريوس وسجد بين يديه قائلا : « لأجل محبة المسيح أقبل منى هذا القليل من المال برسم الآباء » فقال له القديس : « نحن من نعمة الله مكتفون ، وليس لنا احتياج الى هذا ، لأن كلا من الاخوة يعمل بأكثر من حاجته » فحزن ذلك المحتشم جدا وقال : « يا أبتاه من جهة الله لا تخيب تعبى واقبل منى هذا القليل الذى أحضرته » .

فقال له الشيخ :

« امض يا ولدى واعطه للاخوة » . فقال له : « لقد طفت به عليهم جميعا ، فلم يأخذوا منه شيئا ، كما أن بعضهم لم ينظر اليه البتة » . فلما سمع الشيخ فرح وقال له : « ارجع يا ابنى بمالك الى العالم وأهله ، لأننا نحن أناس أموات » . فلم يقبل المحتشم ذلك . فقال له القديس : « اصبر قليلا » . ثم أخذ المال وأفرغه على باب الدير وأمر بأن يضرب الناقوس ، فحضر سائر الاخوة وكان عددهم ٢٤٠٠ ، ثم وقف الأب وقال : « يا اخوة من أجل محبة السيد المسيح ، ان كان أحدكم محتاجا الى شىء فليأخذه بمحبة من هذا المال » ، فعبر جميعهم ولم يأخذ أحد منه شيئا .

فلما رأى الدوقس منه ذلك صار باهتا متعجبا متفكرا ، ثم ألقى بنفسه بين يدى الأب وقال :

« من أجل الله رهبنى » فقال له القديس : « انك انسان كبير ذو نعمة وجاه ومركز ، وشقاء الرهبنة كثير ، وتعبها مرير ، فجرب ذاتك ثم خبرنى » . فقال : « وبماذا تأمرنى أن أفعل من جهة هذا المال ؟ » فقال له : «عمر به موضعا بالأديرة» . ففعل ، وبعد قليل ترهب .

+ وقيل انه بينما كان أنبا مقاريوس سائرا فى البرية وجد بقعة جميلة مثل فردوس الله وبها ينابيع ماء ونخيل كثير وأشجار من أنواع مختلفة ذات ثمار .

ولما أخبر الاخوة بذلك الحوا عليه أن يقودهم للاقامة فى ذلك المكان ، فرد مع الشيوخ عليهم قائلا : ان وجدتم اللذة والراحة فى ذلك المكان ، واذا عشتم هناك بلا متاعب ومضايقات فكيف تتوقعون الراحة واللذة من الله ، اما نحن فيليق بنا أن نحتمل الآلام لكى نتمتع بالسرور فى الحياة الأبدية .

ولما قال هذا سكت الاخوة ولم يرحلوا .

٥ ـ اجهاده لنفسه :

+ حدث مرة ان مضى أبا مقاريوس الى القديس أنطونيوس فى الجبل وقرع بابه . فقال أبا انطونيوس : « من الطارق ؟ » فقال : « أنا مقاريوس أيها الأب » فتركه أبا أنطيونيوس ودخل ولم يفتح له الباب . لكنه لما رأى صبره فتح له أخيرا وخرج معه وقال له : « منذ زمان وأنا مشتاق ان أراك » . وأراحه لأنه كان مجهدا من أثر تعب شديد . ولما حان المساء بل أنطونيوس قليلا من الخوص لنفسه فقال له مقاريوس : اتسمح ان أبل لنفسى أنا أيضا قليلا من الخوص ؟ فقال له بل . فأصلح حزمة كبيرة وبلها وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس وكانت الضفيرة تنحدر من الطاقة فرأى أبا انطونيوس باكرا أن مقاريوس قد ضفر كثيرا جدا . فقال : « ان قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين » .

٦ ـ حكمته :

+ قيل ان أبا مقاريوس المصرى ذهب فى احدى المرات من الاسقيط الى جبل نتريا . ولما اقترب من مكان معين قال لتلميذه : « تقدمنى قليلا » . ولما فعل التلميذ هذا ، قابله كاهن وثنى كان يجرى حاملا بعض الخشب ، وكان الوقت حوالى الظهر . فصرخ نحوه الأخ قائلا : « ياخادم الشيطان ، الى أين أنت تجرى ؟ » فاستدار الكاهن وانهال عليه بضربات شديدة ، وتركه ولم يبق فيه سوى قليل نفس . ثم حمل ما معه من خشب ومار فى طريقه .

ولما ابتعد قليلا ، قابله الطوباوى مقاريوس فى الطريق وقال له : « فلتصحبك المعونة يارجل النشاط » فاندهش الكاهن واقبل نحوه وقال « أى شىء جميل رأيته فى حتى حييتنى هكذا ؟ » فقال الشيخ : « انى أرى أنك تكد وتتعب وان كنت لا تدرى لماذا » فأجاب الكاهن « وأنا اذ تأثرت بتحيتك عرفت أنك تنتمى الى الاله العظيم ولكن هناك راهبا شريرا صادفنى قبلك ولعننى ، فضربته ضرب الموت » . فعرف الشيخ أنه تلميذه . أما الكاهن فأمسك بقدمى مقاريوس الطوباوى وقال له: « لن أدعك تمضى حتى تجعلنى راهبا » ، واذ سارا معا وصلا الى المكان الذى كان فيه الأخ مطروحا ، وحملاه وأتيا به الى كنيسة الجبل . ولكن الاخوة عندما رأوا الكاهن الوثنى مع المغبوط مقاريوس تعجبوا كيف تحول عن الشر الذى كان فيه . وأخذه أبا مقاريوس وجعله راهبا ، وعن طريقه صار كثير من الوثنيين مسيحيين . وكان مقاريوس الطوباوى يقول : « ان الكلمات الشريرة والمتكبرة تحول الناس الأخيار الى أشرار . ولكن الكلام الطيب المتواضع يحول الأشرار أخيارا » .

+ كان أبا مقاريوس يسكن وحده فى البرية ، وكان تحته برية أخرى حيث يسكن كثيرون . وفى أحد الأيام كان الشيخ يرقب الطريق ، فرأى الشيطان سائرا فيه على هيئة رجل مسافر وقد أقبل اليه ، وكان مرتديا جلبابا كله ثقوب ، وكانت أنواع مختلفة من الفاكهة معلقة فيها فقال له الشيخ مقاريوس « الى أين أنت ذاهب ؟ » فأجاب(١) : « أنا ماض لأزور الاخوة لأذكرهم بعملهم » فقال له الشيخ :

---

(١) ليس معنى هذا ان أبا مقاريوس كان يصدق الشياطين أو انه كان يتلقى منهم أخبارا . انها قصة فريدة تبين كيف ان الله أخضع الشياطين للاباء ولأبا مقاريوس حتى انطق هذا بما هو ضد مصلحته ، مثلما انطق بلعام بالبركة (عدد ٢٣ : ٧ ـ ٢٤) .

« لأى غرض هذه الفاكهة المعلقة عليك ؟ » فأجاب : « انى احملها للاخوة كطعام » . فسأله الشيخ : «كل هذه ؟» فأجاب الشيطان : «نعم . حتى ان لم ترق لأحدالاخوة واحدة أعطيته غيرها ، وان لم تعجبه هذه أعطيه تلك . ولابد ان واحدة أو أخرى من هذه ستروقه بالتأكيد » . واذ قال الشيطان هذا ، سار فى طريقة .

فظل الشيخ يرقب الطريق حتى أقبل الشيطان راجعا . فلما رآه قال له : « هل وفقت ؟ » فأجاب الشيطان : « من أين لى أن أحصل على معونة ؟! » . فسأله الشيخ : « لأى غرض ؟ » أجابه الشيطان : « الكل قد تركونى وثاروا على. وليس واحد منهم يسمح لنفسه أن يخضع لاغرائى » فسأله الشيخ : « ألم يبق لك ولا صديق واحد هناك ؟ » فقال له الشيطان : « نعم ، لى أخ واحد . ولكنه واحد فقط هذا الذى يخضع لى ، على الرغم من انه حينما يرانى يحول وجهه عنى كما لو كنت خصما له » . فسأله الشيخ : « وما هو اسم هذا الأخ ؟ » فقال الشيطان : « ثيئوبمبتس Theopemptus » واذ قال هذا رحل وسار فى طريقه .

حينئذ قام الشيخ ونزل الى البرية السفلى . فلما سمع الاخوة بمجيئه اقبلوا للقائه بسعف النخل . وجهز كل راهب مسكنه ظانا أنه قد يأتى اليه . ولكن الشيخ سأل فقط عن الأخ الذى يدعى ثيئوبمبتس واستقبله بفرح . وبينما كان الاخوة يتحدثون مع بعضهم البعض قال له الشيخ : « هل عندك شىء تقوله ياأخى؟ وكيف هى أحوالك ؟ » فقال له ثيئوبمبتس : « فى الوقت الحاضر الأمور حسنة معى » وذلك لأنه خجل أن يتكلم .

فقال له الشيخ : « هوذا أنا قد عشت فى نسك شديد مدى سنين طويلة ، وصرت مكرما من كل أحد . وعلى الرغم من هذا ، ومع اننى رجل شيخ ، الا أن شيطان الزنا يتعبنى » فأجابه ثيئوبمبتس «صدقنى يا أبى ، انه يتعبنى أنا أيضا» . واستمر الشيخ يوجد سببا للكلام ـ كما لو كان متعبا من أفكار كثيرة ـ الى أن قاد الأخ أخيرا الى أن يعترف بالأمر . وبعد ذلك قال : « الى متى تصوم ؟ » فأجاب الأخ : « الى الساعة التاسعة » فقال له الشيخ : « صم حتى العشاء واستمر على ذلك . اتل فصولا من الأناجيل ومن الأسفار الأخرى . واذا صعدت فكرة الى ذهنك ، لا تجعل عقلك ينظر الى أسفل ، بل فليكن فوق دائما . والرب يعينك » . وهكذا اذ جعل الأخ يكشف أفكاره ، واذ شجعه ، عاد ثانية الى بريته . وسار فى سبيله وكان يرقب الطريق كعادته .

ورأى الشيطان ثانية ، فقال له : « الى أين انت ذاهب ؟ » فأجاب وقال له : « أنا ذاهب لأذكر الاخوة بعملهم » . ولما رحل ورجع ثانية ، قال له القديس : «كيف حال الاخوة ؟ » فأجاب الشيطان : « انهم فى حالة رديئة » فسأله الشيخ كيف ؟ فأجاب الشيطان « كلهم مثل حيوانات متوحشة . كلهم متمردون . وأسوأ ما فى الأمر أنه حتى الأخ الواحد الذى كان مطيعا لى قد انقلب هو الآخر ، لأى سبب لست أعلم ! ولم يعد يخضع لاغرائى بأى حال . وصار أكثرهم نفورا منى . ولذلك قد أقسمت انى لن أذهب الى ذلك المكان ، الا بعد مدة طويلة على الأقل » .

٧ ـ محبته :

+ قال بلاديوس : ذهب أبا مقاريوس فى احدى المرات ليزور راهبا ، فوجده مريضا . فسأله ان كان يحتاج الى شىء ليأكل اذ لم يكن له شىء فى قلايته . فقال

له الراهب : « أريد خبزا طريا (أو فطيرا) » . فلما سمع الرجل العجيب هذا الطلب ، سار الى الاسكندرية ـ ولم يحسب الرحلة اليها متعبة على الرغم من أن المدينة كانت تبعد عنهم ٦٠ ميلا ـ وأحضر طلب المريض . وقد فعل هذا بنفسه ولم يكلف أحدا آخر بأن يحضره . وبهذا أوضح الشيخ مقدار الاهتمام الذى يشعر به نحو الرهبان.

٨ ـ عدم ادانته للآخرين :

+ ومن أبرز صفاته انه كان صفوحا متسامحا ولا يدين أحدا عاملا بالوصية القائلة : « لا تدينوا لكى لا تدانوا ـ مت ٧ : ١ » . « أيها الاخوة أن انسبق أحد فاخذ فى زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة . ناظرا الى نفسك لئلا تجرب أنت أيضا ـ غل ١ : ٨ » . وبذلك اقتاد كثيرين الى حياة الشركة العميقة مع الله .

والدليل على صدق هذه الحقيقة ما يلى :

+ قيل عن القديس مقاريوس انه كان فى بعض القلالى أخ صدر منه أمر شنيع وسمع به الأب مقاريوس ، ولم يرد أن يبكته .. فلما علم الاخوة بذلك لم يستطيعوا صبرا ، فما زالوا يراقبون الأخ الى ان دخلت المرأة الى عنده ، فأوقفوا بعض الاخوة لمراقبته ، وجاءوا الى القديس مقاريوس . فلما أعلموه قال : « ياأخوة لا تصدقوا هذا الأمر ، وحاشا لأخينا المبارك من ذلك » فقالوا : « يا أبانا ، اسمح وتعال لتبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدق كلامنا » . فقام القديس وجاء معهم الى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادما ليسلم عليه وأمر الاخوة أن يبتعدوا عنه قليلا . فما أن علم الأخ بقدوم الأب حتى تحير فى نفسه ، وأخذته الرعدة وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده ، فلما دخل الأب جلس على الماجور ، وأمر الاخوة بالدخول ، فلما دخلوا وفتشوا القلاية لم يجدوا أحدا ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور ، ثم تحدثوا مع الأخ وأمرهم بالانصراف . فلما خرجوا أمسك القديس بيد الأخ وقال : « يا أخى ، على نفسك احكم قبل أن يحكموا عليك ، لأن الحكم لله » . ثم ودعه وتركه ، وفيما هو خارج ، اذ بصوت أتاه قائلا : « طوباك يا مقاريوس الروحانى ، يا من قد تشبهت بخالقك ، تستر العيوب مثله » . ثم ان الأخ رجع الى نفسه وصار راهبا حكيما مجاهدا وبطلا شجاعا .

+ اعتادوا أن يقولوا قصة عن أبا مقاريوس الكبير انه صار متشبها بالرب . لأنه كما أن الله يستر على العالم ، هكذا فعل أبا مقاريوس أيضا وستر على الأخطاء التى رآها ، كأنه لم يرها ، والتى سمعها كأنه لم يسمعها .

ففى احدى المرات أتت امرأة الى أبا مقاريوس لتشفى من شيطان . ووصل أخ من دير كان فى مصر أيضا ، وخرج الشيخ بالليل ، فرأى الأخ يرتكب الخطية مع المرأة . ولكنه لم يوبخه وقال :

« ان كان الله الذى خلقه يراه ويطيل أناته ، لأنه ان كان يشاء ، كان يستطيع أن يفنيه ، فمن أكون أنا حتى أوبخه ؟! »

رأسه عليها ـ فلما رأى الشياطين ذلك منه تركوه بخزى عظيم وصرخوا قائلين : امض عنا يا مقاريوس وهربوا .

(ب) كشفه أسلحة الشيطان المحتال :

جاء عن القديس مقاريوس انه كان فى وقت ما سائرا فى أقصى البرية . فأبصر شخصا هرما حاملا حملا ثقيلا يحيط بسائر جسمه ، وكان ذلك الحمل عبارة عن أوعية كثيرة فى كل منها ريشة ، وكان لابسا اياها بدلا من الثياب ، فوقف مقابله وجها لوجه يتأمله ، وكان يتظاهر بالخجل تظاهر اللصوص المحتالين . فقال للبار : ماذا تعمل فى هذه البرية تائها وهائما على وجهك فأجابه الأب قائلا : أنا تائه طالب رحمة السيد المسيح . ولكنى أسألك أيها الشيخ باسم الرب أن تعرفنى من أنت؟.. لأنى أرى منظرك غريبا عن أهل العالم ، كما تعرفنى أيضا ماهى هذه الأوعية المحيطة بك ، وما هو هذا الريش أيضا ؟..

وقد كان الثوب الذى عليه مثقبا كله . وفى كل ثقب قارورة ـ فأقر العدو بغير اختياره وقال : يامقاريوس ، أنا هو الذى يقولون عنه شيطان محتال . أما هذه هذه الأوعية فبواسطتها أجذب الناس الى الخطية ، وأقدم لكل عضـو من أعضائهم ما يوافقه من أنواع الخديعة ، وبريش الشهوات أكحل من يطيعنى ويتبعنى وأسر بسقوط الذين أغلبهم ، فاذا أردت أن أضل من يقرأ نواميس الله وشرائعه ، فما على الا أن أدهنه من الوعاء الذى على رأسى ، ومن أراد أن يسهر فى الصلوات والتسابيح فانى آخذ من الوعاء الذى على حاجبى والطخ عينيه بالريشة وأجلب عليه نعاسا كثيرا وأجذبه الى النوم . والأوعية الموجودة على مسامعى معدة لعصيان الأوامر وبها أجعل من يسمع الى لا يذعن لمن يرشده . والتى عند أنفى بها أجتذب الشاب الى اللذة . أما الأوعية الموضوعة عند فمى فبواسطتها أجتذب النساك الى الأطعمة ، وبها أجذب الرهبان الى الوقيعة والكلام القبيح ، وبذور أعمالى كلهـا أوزعها على من كان راغبا . ليعطى أثمارا لائقة بى . فأبذر بذور الكبرياء . أما من كان على ذاته متكلا فانى أجعله يتعالى بالأسلحة التى فى عنقى . والتى عند صدرى فهى مخازن أفكارى ومنها أسقى القلوب مما يؤدى الى سكر الفكر واشتت وأبعد الأفكار الصالحة من أذهان أولئك الذين يريدون أن يذكروا مسـتقبل حياتهم الأبدية . أما الأوعية الموجودة عند جوفى فهى مملوءة من عدم الحس وبها أجعل الجهال لا يحسون وأحسن لهم المعيشة على مذبح الوحوش والبهائم .. أما التى تحت بطنى فمن شأنها أن تسوق الى فعل سائر أنواع وضروب الزنى والعشـق واللذات القبيحة . والتى على يدى فهى معدة لضرب الجسد والقتل . والمعلقة وراء ظهرى ومنكبى فهى مملوءة من أنواع المحن المختصة بى وبها أقارع الذين يرومون محاربتى فأنصب خلفهم فخاخا . وأذل من كان على قوته متكلا ، والتى على قدمى فهى مملوءة عثرات أعرقل بها طرق المستقيمين . ومن شأنى أن أخلط فى بذر فلاحتى صنوفا من الحسك والشوك . والذين يحصـدون منها يساقون الى أن ينكروا طريق الحق .

وبعد أن قال هذا صار دخانا واختفى . وأن القديس القى بنفسـه على الأرض وابتهل الى الله بدموع لكى يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم .

(ج) الشياطين تحاول ان تقتله :

قيل أن الأب مقاريوس مضى مرة الى البهلس(١) ليقطع خوصا . فأتاه الشيطان وأخذ منه المنجل وهم أن يضربه به . أما هو فلم يفزع بل قال له : ان كان السيد المسيح قد أعطاك سلطانا على فها أنا مستعد لأن تقتلنى ، فانهزم الشيطان وانصرف عنه هاربا

شجاعته أمام الشيطان :

ويروى بلاديوس حادثة أخرى مشابهة يقول فيها :

وبينما كان أبا مقاريوس ذاهبا من الحصاد الى قلايته فى احدى المرات ، وكان حاملا بعض الخوص لاقاه ابليس ممسكا بيده منجلا فى الطريق . ولما هم بأن يجرح مقاريوس عاد ابليس فخاف وسقط وقدم خضوعا الرجل الطوباوى . حينئذهرب الشيخ من ذاك المكان ، وأخبر الاخوة بما جرى . فعندما سمعوا مجدوا الله .

حسد الشياطين للرهبان :

اتى للقديس مقاريوس يوما احد كهنة الأصنام ساجدا له قائلا : من أجل محبة المسيح عمدنى ورهبنى . فتعجب الأب من ذلك وقال له أخبرنى كيف جئت الى المسيح بدون وعظ . فقال له :

« كان لنا عيد عظيم . وقد قمنا بكل مايلزمنا . وما زلنا نصلى الى منتصف الليل حتى نام الناس . وفجأة رايت داخل أحد هياكل الأصنام ملكا عظيما جالسا وعلى رأسه تاج جليل وحوله أعوانه الكثيرون فأقبل اليه واحد من غلمانه فقال له الملك : من اين جئت ؟.. فأجاب : من المدينة الفلانية ، قال : وأى شيء عملت ؟.. قال : القيت فى قلب امراة كلمة صغيرة تكلمت بها الى امراة أخرى لم تستطع احتمالها فأدى ذلك الى قيام مشاجرة كبيرة بين الرجال تسبب عنها قتل كثيرين فى يوم واحد .

فقال الملك : ابعدوه عنى لأنه لم يعمل شيئا . فقدموا له واحدا آخر فقال له : من أين اقبلت ؟.. قال : من بلاد الهند . قال : وماذا عملت ؟ .. أجاب وقال : دخلت دارا فوجدت نارا قد وقعت من يد صبى فأحرقت النار الدار فوضعت فى قلب شخص أن يتهم شخصا آخر وشهد عليه كثيرون زورا بانه هو الذى أحرقها . قال فى اى وقت فعلت ذلك ؟.. قال : فى نصف الليل . فقال الملك : ابعدوه عنى خارجا . ثم قدموا اليه ثالثا . فقال له : من أين جئت ؟.. أجاب وقال : كنت فى البحر وأقمت حربا بين بعض الناس فغرقت سفن وتطورت الى حرب عظيمة ثم جئت لأخبرك فقال الملك : ابعدوه عنى . وقدموا له رابعا وخامسا وهكذا أمر بابعادهم جميعا بعد أن وصف كل منهم أنواع الشرور التى قام بها حتى آخر لحظة . الى أن أقبل اليه أخيرا واحد منهم فقال له : من أين جئت ؟.. قال : من الاسقيط . قال له : وماذا كنت تعمل هناك ؟.. قال : لقد كنت أقاتل راهبا واحدا ولى اليوم أربعون سنة وقد صرعته فى هذه اللحظة وأسقطته فى الزنا

---

(١) البهلس كلمة قبطية ⲡⲓϩⲉⲗⲟⲥ ومعناها الوادى .

وجئت لأخبرك . فلما سمع الملك ذلك قام منتصبا وقبله ونزع التاج من على رأسه وألبسه اياه وأجلسه مكانه ووقف بين يديه وقال :

« حقا لقد قمت بعمل عظيم » . فلما رأيت أنا كل ذلك ، وقد كنت مختبئا فى الهيكل ، قلت فى نفسى : ما دام الأمر كذلك فلا يوجد شىء أعظم من الرهبنة ، وللوقت خرجت وجئت بين يديك .

فلما سمع الأب منه هذا الكلام عمده ورهبنه وكان فى كل حين يقص على الاخوة أمر هذا الرجل الذى أصبح بعد ذلك راهبا جليلا .

ولكنه عانى أيضا من تجارب داخلية مثلما يلى :

+ طلب أبونا القديس أن يعرفه الرب من يضاهيه فى سيرته ، فجاءه صوت من السماء قائلا : « تضاهى امرأتين هما فى المدينة الفلانية »(١) . فلما سمع هذا تناول عصاه الجريد ومضى الى المدينة . فلما تقصى عنهما وصادف منزلهما ، قرع الباب فخرجت واحدة وفتحت له الباب . فلما نظرت الشيخ ألقت ذاتها على الأرض ساجدة له دون أن تعلم من هو ــ اذ أن المرأتين كانتا تريان زوجيهمــــا يحبان الغرباء ــ ولما عرفت الأخرى ، وضعت ابنها على الأرض وجاءت فسجدت له ، وقدمت له ماء ليغسل رجليه كما قدمت له مائدة ليأكل .

فأجاب القديس قائلا لهما : « ما أدعكما تغسلان لى رجلى بماء ، ولا آكل لكما خبزا ، الا بعد أن تكشفا لى تدبيركما مع الله كيف هو ، لأنى مرسل من الله اليكما » . فقالتا له : « من أنت يا أبانا ؟ » فقال لهما : « أنا مقاره الساكن فى برية الاسقيط » . فلما سمعتا ارتعدتا وسقطتا على وجهيهما أمامه باكيتين . فأنهضهما ، فقالتا له : « أى عمل تطلب منا نحن الخاطئتين أيها القديس ؟! »

فقال لهما : « من أجل الله تعبت وجئت اليكما ، فلا تكتما عنى منفعة نفسى » . فأجابتا قائلتين : « نحن فى الجنس غريبتان احدانا عن الأخرى(٢) ، ولكننا تزوجنا أخوين حسب الجسد وقد طلبنا منهما أن نمضى ونسكن فى بيت الراهبات ونخدم الله بالصلاة والصوم ، فلم يسمحا لنا بهذا الأمر . فجعلنا لأنفسنا حدا أن تسلك احدانا مع الأخرى بكمال المحبة الالهية .

وها نحن حافظتان نفسينا بصوم دائم الى المساء وصلاة لا تنقطع . وقد ولدت كل واحدة منا ولدا . فمتى نظرت احدانا ابن أختها يبكى ، تأخذه وترضعه كأنه ابنهما . هكذا تعمل كلتانا . ورجلانا راعيا ماعز وغنم ، يأتيان من المساء الى المساء الينا كل يوم فنقبلهما مثل يعقوب ويوحنا بنى زبدى ، كأخوين قديسين . ونحن مسكينتان بائستان ، وهما دائبان على الصدقة الدائمة ورحمة الغرباء . ولم نسمح لأنفسنا أن تخرج من فم الواحدة منا كلمة عالمية البتة ، بل خطابنا وفعلنا مثل قاطنى جبال البرية .

---

(١) جاء فى رواية بلاديوس : « بينما كان الأبا مقاريوس يصلى فى قلايته فى بعض الأوقات ، سمع صوتا يقول له : « يا مقاريوس انك لم تصل بعد الى درجة امرأتين فى المدينة الفلانية » .

(٢) فى رواية بلاديوس : « بالنسبة الى الاعتبارات العالمية نحن غريبتان الواحدة عن الأخرى اذ ليست بيننا قرابة جسدية » .

فلما سمع هذا منهما ، خرج من عندهما ، وهو يقرع صدره ويلطم وجهه ، قائلا : «ويلى ويلى ، ولا مثل هاتين العالميتين لى محبة لقريبى» وانتفع منهماكثيرا.

***

القديس مقاريوس صانع المعجزات

انطاق الزوج صاحب الوديعة :

مرة نزل الأب مقاريوس الاسقيطى الى الحصاد وبصحبته سبعة اخوة . وكانت امرأة تلتقط خلف الحصادين وهى لا تكف عن البكاء فاستفهم الأب من رئيس الحصادين عن أمر هذه العجوز وعن سبب بكائها دائما .. فأجابه : ان رجلها عنده وديعة لانسان مقتدر . وقد مات فجأة ولا تعلم هذه المرأة موضع هذه الوديعة فلما استراح الحصادون من الحر دعا الشيخ المرأة وقال لها : هلمى أرينى قبر زوجك. فلما وصل اليه(١) صلى مع الاخوة . ثم نادى الميت قائلا : يافلان أين تركت الوديعة التى عندك ؟.. فأجابه : انها فى بيتى تحت رجل السرير فقال له القديس: نم ايضا . فلما عاين الاخوة ذلك تعجبوا . فقال لهم القديس(٢) « ليس من أجلى كان هذا الأمر لأنى لست شيئا . بل انما صنع الله هذا من أجل الأرملة واليتامى». ولما سمعت المرأة بموضع الوديعة انطلقت وأخذتها وأعطتها لصاحبها . وكل الذين سمعوا هذا سبحوا الله .

صلة القديس مقاريوس بالقديسين

أولا ــ القديس انطونيوس :

لما سمع القديس مقاريوس بسيرة الأنبا أنطونيوس ، وبأعماله الفاضلة ، مضى اليه . فقبله القديس انطونيوس وعزاه وأرشده الى طريق الرهبنة وألبسه الزى، ثم عاد الى موضعه .

ثانيا ــ القديسان مكسيموس ودوماديوس :

قال الأب مقاريوس : حدث يوما وانا جالس بالاسقيط أن أتانى شابان غريبان أحدهما متكامل اللحية ، والآخر قد بدأت لحيته ، فقالا لى : أين قلاية مقاريوس؟ فقلت لهما : وماذا تريدان منه ؟ أجابانى نريد مشاهدته . فقلت لهما : أنا هو . فصنعا مطانية وقالا : يا معلم نشاء أن نقيم عندك فلما وجدت أنهما فى حالة ترف ومن أبناء نعمة وغنى أجبتهما : لكنكما لا تحتملان السكنى هاهنا . فأجابنى

---

(١) يقول بلاديوس : ان القديس مقاريوس صرف المرأة الى منزلها ثم صلى وبعد انتهائه من صلاته نادى الميت .

(٢) جاء فى رواية بلاديوس : ارقد الآن الى يوم القيامة . فلما رأى الاخوة ما حدث وقعوا على قدميه فى خوف فقال لهم الشيخ : لم يحدث هذا من أجلى يا اخوتى ، وليس الأمر شيئا عظيما بل من أجل الأرملة واليتامى صنع الله هذا الأمر . أما الشىء العظيم فهو ان الله يريد نفسا نقية وبلا خطية .

الأكبر قائلا : ان لم نحتمل السكنى هاهنا فاننا نمضى الى موضع آخر . فقلت فى نفسى : لماذا أطردهما ، وشيطان التعب(١) يشككهما فيما عزما عليه ؟ فقلت لهما : هلما فاصنعا لكما قلاية ان قدرتما . فقالا : أرنا موضعا يصلح . فأعطيتهما فأسا وقفة وكذلك قليلا من الخبز والملح وأريتهما صخرة صلبة وقلت لهما : انحتا ههنا واحضرا لكم خصا من الغابة وسقفا واجلسا . وتوهمت أنهما سوف ينصرفان من شدة التعب . فقالا لى : وماذا تصنعون هاهنا ؟ فقلت لهما : اننا نشتغل بضفر الخوص . وأخذت سعفا وأريتهما بدء الضفيرة وكيف تخاط وقلت لهما : اعملا زنابيل وادفعاها الى الخفراء ليأتوكما بخبز ، وعرفتهما ما يحتاجان من معرفة ثم انصرفت عنهما .

أما هما فأقاما ثلاث سنوات ولم يأتيانى . فبقيت مقاتلا الأفكار من أجلهما اذ لم يأتيا الى ولا سألانى فى شىء . ولم يحاولا الكلام مع أحد قط . ولم يبارحا مكانهما الا كل يوم أحد فقط حيث كانا يمضيان الى الكنيسة لتناول القربان وهماصامتان. فصليت صائما أسبوعا كاملا الى الله ليعلن لى أمرهما . وبعد الأسبوع مضيت اليهما لأفتقدهما وأعرف كيف حالهما . فلما قرعت الباب عرفانى وفتحا لى وقبلانى صامتين وجلست . وأوما الأكبر الى الأصغر بأن يخرج . أما الأكبر فجلس يضفر فى الضفيرة ولم يتكلم قط . فلما حانت الساعة التاسعة أومأ الى الشاب فأتاه وأصلحا مائدة وجعلا عليها ثلاث خبزات بقسماطات وداما صامتين .

فقلت لهما : هيا بنا نأكل . فنهضنا وأكلنا ، وأحضرا كوز ماء فشربنا . ولما حان المساء قالا لى : أتنصرف ؟ فقلت لهما : لن أنصرف ، لكنى سوف أبيت هاهنا الليلة . فبسطا حصيرة فى ناحية وبسطا أخرى لهما فى ناحية أخرى وحلا اسكيميهما(٢) ومنطقتيهما ورقدا قدامى على الحصيرة . فصليت الى الله أن يعلن لى ماذا يعملان . واذ كنت راقدا ظهر فجأة فى القلاية ضوء كضوء النهار قدامى وكانا يشاهدانه فلما ظنا أنى نائم نخس الأكبر الأصغر وأقامه . وتمنطقا وبسطا أيديهما الى السماء وكنت أراهما وهما لا يبصرانى . واذا بى أرى الشياطين مقبلين نحو الأصغر كالذباب ، فمنهم من كان يريد الجلوس على فمه ، ومنهم من كان يريد أن يجلس على عينيه . فرأيت ملاك الرب حاملا سيفا ناريا وهو يحيط بهما . ويطرد الشياطين عنهما . أما الأكبر فلم يقدروا على الاقتراب منه .

فما حان الفجر حتى وجدتهما وقد طرحا نفسيهما على الأرض وناما . فتظاهرت كأنى استيقظت وهما كذلك .

فقال لى الأكبر هذه الكلمة فقط : أتشاء أن نقول الاثنى عشر مزمورا . فقلت نعم . فقرأ الصغير خمس مزامير وفى نهاية كل ست استيخونات الليلويا واحدة ،

---

(١) فى رواية بلاديوس : ان التعب ذاته سيجعلهما يهربان .

(٢) الاسكيم ويسمى Ⲡⲓⲥⲭⲏⲙⲁ أو ϯⲙⲟⲣϭⲛⲁϩ يصنع من جلد عليه اشكال صلبان مضفورة يلبسه النساك من الرهبان الذين بلغوا مرتبة عالية فى الزهد والتقشف .

ومع كل كلمة كان يقولها ، كان يبرز من فمه شهاب نار يصعد الى السماء . كذلك الكبير ، الذى اذ كان يفتح فمه ويقرأ كان كلامه مثل جبل نار خارجا وصاعدا الى السماء .

فلما انقضت الصلاة انصرفت قائلا : صليا من أجلى . فصنعا لى مطانية وهما صامتان . وبعد أيام قليلة تنيح الأكبر وفي ثالثه تنيح الصغير كذلك . ولما كان الآباء يجتمعون بالأب مقاريوس كان يأخذهم الى قلايتهما ويقول : هلموا بنا نعاين شهادة الغرباء الصغار .

+ سأل اخوة شيخا : لماذا حدث أن الأخوين الرومانيين اللذين أتيا الى الأنبا مقاريوس لم يذهبا اليه طوال مدة الثلاث سنوات التى قضياها الى جواره — ولا الى أحد من الشيوخ — ليسألا أسئلة عن أفكارهما ؟

فأجاب الشيخ : لأن الأخ الأكبر كان حكيما الى درجة كبيرة ، وكان كاملا ومتواضعا . فان كان قد ذهب الى الأبا مقاريوس أو الى واحد من الشيوخ الآخرين ، فان كماله كان سينكشف . وكان سينال مديحا فى كل الاسقيط من الآباء الذين كانوا سيتعجبون قائلين : « كيف يحدث هذا : أن يصير شاب كاملا فى ثلاث سنوات ؟ » فلا يليق بنا — على أية الحالات — أن نقلد هذين الآخوين ونهمل تعليم الشيوخ ! فمن جهة الأخوين ، كان الأكبر كاملا ، والأصغر كان متواضعا وكان يتعلم منه(١) .

***

عظة للقديس مقاريوس

حدث مرة أن أرسل شيوخ الجبل الى أنبا مقاريوس يقولون له : سر الينا لنشاهدك قبل أن تنصرف الى الرب ولا تضطر الشعب كله الى المجىء اليك . فلما سار الى الجبل اجتمع اليه الشعب كله وطلب اليه الشيوخ قائلين : قل للشعب كلمة أيها الأب . فقال :

ترك الهوى :

يا أولادى الأحباء . عظيم هو مجد القديسين فينبغى أن نفحص عن تدبيرهم الذى نالوا بواسطته هذا المجد وبأى عمل وفى أى طريق وصلوا اليه . وقد علمنا انهم لم يشتروه بغنى هذا العالم ولا حصلوه بصناعة ما أو بتجارة ما . ولا أقتنوه بشىء مما يملكون . اذ أنهم تمسكنوا وتغربوا عن هذا العالم . وجالوا جياعا فقراء .

---

(١) لا ننسى أن مكسيموس ودوماديوس كانا قبل مجيئهما الى الاسقيط قد ترهبا عند الشيخ المتوحد اغابيوس فى سوريا وسكنا معه ستة أعوام ولما قرب زمان نياحة القديس أغابيوس أمرهما ان ينزلا الى مصر ويبقيا بقرب القديس مقاريوس .

فعلى ما اراه اجد انهم نالوا ذلك المجد العظيم بتسليمهم ذواتهم وتدبير امورهم ونياتهم لله . تركوا اهويتهم كلها من اجـــل الرب وتبعوه حاملين الصليب ، ولم يفصلهم حب شيء آخر عن محبته تعالى . لأنهم لم يحبوه أكثر من الأولاد فقط مثل ابراهيم ، بل واكثر من ذواتهم ايضا كما يقول بولس الرسول لا شيء يستطيع ان يفصله عن حب الله . فالآن يابنى الأحباء جاهدوا واصبروا الى الموت كالقديسين لتصيروا مسكنا لله .

المحبة والسلام :

ان احببتم بعضكم بعضا فان الله يسكن فيكم . وان كان فى قلوبكم شر فلن يسكن الله فيكم . احذروا الوقيعة لئلا تصيروا كالحية أوان للشيطان . احفظوا اسماعكم من كلام النميمة لتكون قلوبكم نقية واهربوا من كل ما يجنس القلب . اكرموا بعضكم بعضا لتكون السلامة والمحبة بينكم . ان غضب أحد على أخيـــه واخوته فلا يسترح له بال قبل أن يصلحه بحلاوة المحبة . فقد كتب : لا تغرب الشمس على غيظكم . قبلوا بعضكم بعضا بقبلة السلام . وذلك ليخزى عدو السلام ويفرح اله السلام وتكونوا له بنين لأنه قال : فاعلى الســلام يدعون أبنـــاء الله . صلوا بالروح دائما كما أمر الرسول . أتضعوا لأخوتكم واخدموهم حسب قوتكم لأجل المســيح لتنالوا منه الجزاء . فقد قال له المجد : ما تصـنعونه بهم فبى تصنعونه .

الجهــاد :

ان كل أعمالنا نجدها ساعة مفارقة انفسنا لأجسادنا فقد كتب : ان الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وودكم الذى اظهرتموه باسمه اذ خدمتم الأطهار وتخدمونهم ايضا . ليكن تعب أجسادكم مشتهاكم ومحبوبا لديكم . ولا تستسلموا للانحلال والكسل فتندموا يوم القيامة ، بينما يلبس أكاليل المجد أولئك الذين قد أتعبوا أجسادهم ، وتوجدون انتم عراة بخزى أمام منبر المسيح بمحضر الملائكة والناس جميعا . لا تنعموا اجسادكم فى هذا الزمان اليسير بالطعام والشراب والنوم لئلا تعدموا الخيرات الدائمة التى لا توصف فمن ذا الذى تكلل قط بدون جهاد ؟ ومن استغنى بدون عمل ؟ ومن ربح ولم يتعب أولا ؟ أى بطال جمع مالا ؟ أو أى عاطل لا تنفد ثروته ؟ انه بأحزان كثيرة تدخل ملكوت السموات . فليحرص كل منكم على قبول الأتعاب بفرح عالما ان من ورائها كل غنى وراحة . أما الذى لا يستطيع أن يحتمل الأتعاب لضعف أو أمراض ، فليمجد أولئك الذين يتعبون ويغبطهم كمـا يفرح معهم فى خيراتهم .

عدم الادانة :

لا تقلبوا فى فكركم ولا تصوروا فى كلامكم اى انسان بانه شرير . لأن بطرس الرسول يقول : « ان الله اراني واوصاني بان لا اقول عن انسان انه نجس او رجس .

فالقلب النقى ينظر كل الناس أنقياء . فقد كتب ان كل شىء طاهر للأطهار والقلب النجس ينجس كل واحد لأن كل شىء للأعمى ظلام . هوذا الرب قد حلنا من عبودية الشيطان فلا نعد نربط انفسنا أو نستعبدها بسوء رأينا .

التوبة :

احفظوا ما كلمتكم به ليكون لأنفسكم منه دواء وصحة ولا تجعلوه شاهدا عليكم لأنه سيأتى وقت فيه تطالبون بالجواب عن كلامى هذا . تمسكوا بالتوبة واحذروا لئلا تصطادوا بفخ الغفلة . لا تتهاونوا لئلا تكون الطلبة من أجلكم باطلة . داوموا على التوبة ما دام يوجد وقت . فانكم لا تعرفون وقت خروجكم من هذا العالم .

العمل وترك التهاون :

لنعمل مادام لنا زمان . لنجد عزاء فى وقت الشدة فمن لا يعمل ويتعب فى حقله فى أوان الشتاء لن يجد فى الصيف غلة بها يملأ مخازنه ليقتات بها . فليحرص كل واحد على قدر طاقته فان لم يمكنه أن يربح خمس وزنات ، فليجاهد بكل قوته فان ساعة واحدة من نياحه تنسيه جميع أتعابه . فويل وويل لمن تغافل وكسل لأنه سيندم حيث لا ينفع الندم . لا تكملوا شهوة الجسد لئلا تحرموا من خيرات الروح فان الرسول قد كتب أن اهتمام الجسد هو موت واهتمام الروح هو حياة .

افرحوا بكمال اخوتكم وضعوا نفوسكم لهم وتشبهوا بهم واحزنوا على بعضهم . اصبروا للتجارب التى تأتى عليكم من العدو واثبتوا فى قتاله ومقاومته فان الله يعينكم ويهبكم أكاليل النصرة . فقد كتب طوبى للرجل الذى يصبر للبلايا ويصبح مجربا فانه ينال اكليل الحياة . لا غلبة بدون قتال ولا اكليل بدون غلبة . اصبروا اذا فقد سمعنا قول الرب لأحبائه : أما أنتم الذين صبرتم معى فى تجاربى ، ها أنا اعد لكم الملكوت كما وعدنى أبى . وقوله أيضا : ان الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . وقد قدم لنا نفسه مثالا كيف نصبر الى المنتهى . ففى الوقت الذى كان فيه يسب ويعير ويهان من اليهود نراه يتراءف عليهم ويحسن اليهم ، فكان يشفى امراضهم ويعلمهم ، وهكذا قبل الآلام بجسده وصبر حتى الصلب والموت . ثم قام بالمجد وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين الله . اشكروا الرب فى تعبكم من اجل الرجاء الموضوع امامكم . اصبروا فى البلايا لتنالوا اكاليل المجاهدين . اغفروا لبعضكم بعضا لتنالوا الغفران . فقد قال الرب : اغفروا يغفر لكم .. داوموا على حفظ هذه الوصية فان ربحها عظيم ولا تعب فيها . كونوا ابناء السلام ليحل سلام الرب عليكم . كونوا أبناء المحبة لترضوا محب البشر . كونوا بنى الطاعة لتنجوا من المحتال . ان أول العصيان كان من آدم أبينا فى الفردوس بسبب شهوة الطعام . وأول الجهاد من سيدنا المسيح كان فى البرية فى الصيام . وتعلمنا من التجربة ان

الراحة والطعام هما أسباب الطغيان . والصوم هو سبب الغلبة والنصرة . فصوموا مع المخلص لتتمجدوا معه وتغلبوا الشيطان . والصيام بدون صلاة واتضاع يشبه نسرا مكسور الجناحين . احتفظوا بحرصكم ولا تهربوا من أتعابكم . فان الطوبى لمن لازم التوبة حتى يمضى الى الرب .

لازموا السهر وقراءة الكتب وثابروا على الصلاة وأسرعوا الى الكنيسة ونقوا قلوبكم من كل دنس لتستحقوا التناول من جسد السيد المسيح ودمه الأقدسين فيثبت الرب فيكم . فبهذا السر العظيم تحفظون من الأعداء . فمن يتهاون بهذا السر فان قوات الظلمة تقوى عليه فيبتعد عن الحياة بهواه . فلنتقدم الى سر الأفخارستيا بخوف وشوق وايمان تام ، ليبعد عنا خوف الأعداء بقوة ربنا يسوع المسيح الذى له المجد الى الأبد آمين .

الأنبا باخوميوس

أب الشركة

قصة اعتناقه المسيحية ورهبنته :

كان والده من الصعيد الأعلى عابدا للأصنام . ففى ذات يوم تجند باخوميوس ضمن جنود الملك . فحدث بينما كانوا مسافرين وهم بحال سيئة للغاية أن أتاهم قوم مسيحيون من اسنا بطعام وشراب فى المعسكر . فسأل باخوميوس : كيف أمكن لهؤلاء الناس أن يتحننوا علينا وهم لا يعرفوننا قط ؟ فقيل له انهم مسيحيون وانهم يفعلون ذلك من أجل اله السماء .

فلما سمع باخوميوس هذا الكلام قرر فى نفسه أنه لو اتيحت له فرصة يصير مسيحيا ويخدم المحتاجين ، وبتدبير الله غلب الملك أعداءه وأصدر أوامره بتسريح الجنود . فرجع باخوميوس وتعمد .

وبعد ثلاث سنين ترهب عند قديس اسمه بلامون .

اقامته نظام الشركة :

وشرع لوقته فى اقامة شركة حتى يساعدوا بعضهم بعضا ويقوموا باعالة المحتاجين والضعفاء ، فاجتمع اليه كثيرون وبنوا أديرة واتخذوا لهم عيشة مشتركة . وكان القديس يرسل لهم قانون العبادة وشغل اليد والتصريف اللائق ويدبرهم فى الجلوس والقيام والسكوت والكلام ويتشدد فى ذلك الى أبعد حد .

ولقد كان لخدمته العسكرية أثر كبير فى حياته اذ تدرب فيها على الطاعة والعمل اليدوى والحياة المشتركة ، وقد تضمن تنظيم حياة الشركة وتدبيره للآباء الرهبان جميع هذه النواحى العملية .

وفيما يلى تطبيقات عملية لبعض قوانين الرهبنة التى نظمها القديس :

١ – كان مفروضا على طالب الرهبنة أن يعرف معنى الرهبنة :

الرهبنة هى : الصوم بمقدار ، والصلاة بمداومة ، وعفة الجسد وطهارة القلب وسكوت اللسان وحفظ النظر والتعب بقدر الامكان ، والزهد فى كل شيء .

وكان يقول : جميع آبائنا القديسين ، بجوع وعطش وحزن كثير ، أكملوا سعيهم ونالوا المواعيد . ان كنت قد نذرت لله بكورية بمحبة واشتياق فاطلبه من كل قلبك واسلك حسب وصاياه . وحينئذ يجعلك الله ابنا له ، ويباركك ، ويصير بركتك نهرا ، ونهرك بحرا ، ويجعلك كبركة نار ، وسراجه يضيء عليك ، وتمتلىء نورا من الاشراق الالهى . ويعطيك الاله مجدا مثل مجد القديسين ، فتضع ثقلا على أراكنة الظلمة ، وترى قوة الله فى يمينك ، وتغرق فرعون وجنوده فى بحر ملح وتخلص شعبك من عبودية الغرباء ، وتورثهم أرض الخيرات التى تفيض لبنا وعسلا ، التى هى كمال سعيك وخروجك من هذا العالم بسلام . آمين .

٢ ـ النوم :

كان القديس باخوميوس يديم الصلاة بنسك زائد وسهر . واذا اراد أن يرقد ، لم يكن يرقد ممتدا . ولا على مصطبة بل كان يجلس مستندا الى الحائط. وكان اذا مضى الى موضع خارج الدير مع الاخوة واضطروا الى المبيت كان يأمرهم (يفرض عليهم) أن يحفر كل واحد منهم لنفسه حفرة فى الأرض مثل مراقدهم فى الدير قائلا لهم :

انه من الواجب على الانسان الراهب أن يتعب نفسه فى مرقده لكون روح الزنى يقفز على الرجل ليجربه بشدة لاسيما اذا رقد منفرشا ممتدا براحة .

٣ ـ العمل اليدوى :

وهذا ما كان راهب أو رئيس رهبنة ليعفى منه . وعليه فلقد كان انبا باخوميوس يشاطر رهبانه أعمالهم اليدوية . يخرج معهم الى الحقول لمزاولةالزرع والحصاد ويحمل مؤونته بنفسه أسوة بهم .

وقيل انه مضى دفعة ، فى أمر مع الاخوة وكان ذلك الأمر يحتاج الى أن يحمل كل واحد منهم كمية من الخبز . فقال له أحد الشبان : حاشاك أن تحمل شيئا يا أبانا . هوذا أنا قد حملت كفافى وكفافك . فأجابه القديس : هذا لا يكون أبدا. ان كان قد كتب من أجل الرب أنه يليق به أن يتشبه باخوته فى كل شىء ، فكيف أميز نفسى أنا الحقير عن اخوتى حتى لا أحمل حملى مثلهم . وهذا هو السبب فى ان الأديرة الأخرى كائنة بانحلال لأن صغارهم مستعبدون لكبارهم وليس من اللائق أن يكون هذا لأنه مكتوب : من يريد أن يكون كبيرا فيكم فليكن لكم عبدا .

٤ ـ العقـــاب :

واذ كان العقاب ضرورة لا بد منها فى حياة الشركة كان يوبخ للهفوات البسيطة.

(أ) توبيخه أحد الرهبان على كلام باطل :

قيل انه فى أحد الأيام سمع الأب باخوميوس أحد الاخوة يخاطب صبيا قائلا : الآن هو أوان العنب .. فانتهره الأب قائلا : هوذا أجساد الأنبياء الكذبة قد ماتت ولكن الأرواح التى كانت تحاربهم تطوف بين الناس تلتمس مسكنا فيهم . وأنت الآن لماذا أعطيت للشيطان موضعا كى يتكلم من فيك . أما سمعت الرسول قائلا : كلمة رديئة لا يجب أن تخرج من أفواهكم بل لتخرج كل كلمة صالحة لبنـــاء الجماعة لكى تعطى السامع نعمة ، الا تعلم ان الكلمة التى قلتها لا تبنى رفيقك بل تهدمه . ولماذا نطقت بها ؟ الم يكتب « نفس بنفس » ؟ الا تعلم أن نفسك تؤخذ عوضا عن نفسه . فانى الآن أشهد لكم أن كل كلمة بطالة أو استهزاء أو لعب أو مزاح أو جهل هذه كلها زنى للنفس . ولكى أبين لكم مقدار غضب الله الذى يكون على ذلك الانسان الذى يتكلم بالكلام البطال وبكلام الاستهزاء أقول لكم المثل الآتى :

دعا رجل غنى اناسا الى وليمة لكى يأكلوا ويشربوا ويفرحوا . وفى أثناء الوليمة قام بعض المتكئين يمزحون فكسروا الأوانى الموجودة فى بيت ذلك الغنى..

ترى ماذا عمل الغنى ؟ انه غضب عليهم ووبخهم قائلا : يا عديمى الشكر ، لقد دعوتكم لكى تأكلوا وتشربوا فكيف تمزحون وتكسرون الأوانى ؟ هكذا يغضب الرب على أولئك الذين دعاهم لدعوته قائلا لهم : دعوتكم لكى تتوبوا عن خطاياكم وتخلصوا ولكنكم هدمتم نفوسكم ونفوس الذين جمعتهم لى ليخلصوا ، بالضحك والكلام الباطل.

(ب) توبيخه لتلميذه تادرس لاستسلامه للراحة الجسدية وشكواه من ألم :

حدث بينما كان الاخوة يقومون بالحصاد وتادرس يعمل معهم وهو صائم ان شعر بارتفاع حرارة رأسه . ومن بعد انتهاء العمل جلس يستظل ، فمر به الأب باخوميوس وقال له بوجع قلب : أتستظل يا تادرس ؟! فقام تادرس بسرعة . ولما كان المساء تقدم تادرس اليه وقال : يا ابى انى اشعر بألم فى رأسى بسبب ضربة الشمس . فقال له الأب : يا تادرس ، ان رجلا راهبا يسلك طريق الكمال اذا مكث يعانى مرضا فى جسده عشرين عاما ، وهو متألم يجب ألا يشكو لأحد من الناس الا من تلك الأمراض التى لا يمكنه أن يخفيها ، وهذه الأخرى أيضا عليه أن يحتملها على قدر قوته والا يعطى نفسه راحة الا فى أمر يفوق طاقته ، لأنه مكتوب أن الروح مستعدة والجسد ضعيف . هل تظن أن تقطيع الأعضاء والحريق وحده شهادة ؟ لا ! بل أيضا تعب النسك والضربات التى من الشياطين والأمراض ، فمن يحتمل كل ذلك بشكر فذلك هو الشهيد والا فما الحاجة لأن يكتب بولس الرسول : « انى أموت كل يوم » فانه لم يكن يموت فى الظاهر كل يوم بل كان بصبر يحتمل ما يأتى عليه وكذلك رجال الله اليوم اذا كانوا فى أمراض ويخفونها عن الناس فانهم يعتبرون شهداء أيضا .

جهاده فى الصلاة والسهر :

+ لقد قيل دائما عن أنبا باخوميوس انه كان يقضى وقتا طويلا فى جهاد الشياطين كمصارع حقيقى مثلما كان يفعل القديس انطونيوس ، ولما كانت شياطين كثيرة تأتيه فى الليل فانه طلب من الله أن يخلصه من النوم فى الليل كما فى النهار ، حتى يستمر فى الصحو ويتمكن من أن يقهر العدو كما هو مكتوب :(١) « لا أرجع حتى أفنيهم » لأن الايمان بالرب يفنى قوتهم ، فأعطى الله له هذه النعمة كما طلبها الى فترة(٢) . ولما كان الأنبا باخوميوس طاهرا فانه كان يرى الله غير المنظور كما فى مرآه .

اتضاعه العجيب :

+ بينما كان الأنبا باخوميوس يعمل مع رهبانه بفرح وغبطة روحية قام انبا اثناسيوس الرسولى بزيارة رعوية . ولما دنا من منطقة دندره سمع أصوات ترانيم وتسابيح الرهبان الذين يسكنون تلك الناحية ، الذين خرجوا من اديرتهم لاستقباله متهللين . وطلب منه سرابيون أسقف دندره أن يرسم باخوميوس كاهنا لأن سرابيون حاول عبثا أن يضع اليد عليه . وحين سمع باخوميوس ذلك الكلام اختفى عن الأنظار لأنه من فرط اتضاعه كان يعتقد انه احط من أن ينال هذه

---

(١) مزمور ١٨ : ٣٧

(٢) وردت فى سيرة الأب باخوميوس أن هذه الفترة استمرت اربعين يوما .

الدرجة الكهنوتية السامية . فجمع البابا أثناسيوس رهبان انبا باخوميوس وقال لهم : سلموا لى على أبيكم وقولوا له بلسانى لقد هربت من المجد الباطل الذى كثيرا ما يثير الحسد فى النفوس . فليمنحك الله سؤل قلبك ، وانك مع هربك من المجد الفانى ، سعيت وراء المجد الباقى . لذلك أعدك بأننى لن أضع اليد عليك قسرا . وآمل أن أتيح لى المرور من هذا الطريق مرة أخرى أن أفرح بلقياك . ولما شعر انبا باخوميوس بانصراف البابا الاسكندرى خرج من مكمنه آمنا مطمئنا .

+ جاء ضمن سيرة الأب باخوميوس ، انه فى بعض الأوقات بينما كان باخوميوس مع الأب بلامون ، وافاهما راهب قد استولت عليه الخيلاء والاعتداد بالذات . واذ كان الوقت شتاء ، فقد كانت فدامهما نار تشتعل . فلما رآها الأخ الضعيف ،داخله السبح الباطل وقال لهما : « من منكما له ايمان صادق بالله ، فليقف على هذا الجمر ويقول الصلاة التى علمها السيد لتلاميذه » . فلما سمع الشيخ قوله هذا ، زجره قائلا : « ملعون هو ذلك الشيطان النجس ، الذى ألقى هذا الضمير الفارغ فى قلبك ، فكف عن هذا الأمر ، لأنه من شيطان العجب » . فلم يحفل ذلك الأخ بقول الشيخ ، ولكنه قال : « أنا ، انا » ، ثم نهض قائما ووقف على ذلك الجمر المتقد كثيرا ، وقال الصلاة الانجيلية مهلا ، مهلا ، ثم خرج من النار ولم تضره بشىء ، ومضى الى مسكنه بكبرياء قلب .

فقال باخوميوس للشيخ : « يعلم الرب ، انى عجبت من ذلك الأخ ، الذى وقف على هذا الجمر ولم تحترق قدماه » .

فقال له الشيخ : « لا تعجب يا ابنى من هذا ، لأنه بلا شك من فعل الشيطان ، ولأجل أنه لم يذلل قلبه ، تسامح الله فى أن لا تحترق قدماه ، كالمكتوب: ان الله يرسل لذوى الاعوجاج طرقا معوجة(١) . ولو علمت يا ابنى ما ينتهى اليه أمره ، لكنت تبكى على شقاوته » .

وبعد أيام قليلة ، لما رأى الشيطان أنه جانح لخداعه ، تشكل بصورة امرأة جميلة جدا ، متزينة بثياب فاخرة ، فجاءت اليه ، وقرعت بابه ، ففتح لها لوقته، حينئذ أسفرت عن وجهها وقالت له : « اعلم أيها الأب الخير ان على دينا لأقوام مقتدرين ، وهم يطالبوننى ، وليس لى ما أوفيهم ، وأخشى أن يقبضوا على ، ويأخذونى عبدة لهم ، لأنهم مسافرون ، فاعمل جميلا ، وآونى عندك يوما واحدا أو يومين حتى يمضوا ، فيكون لك من الله جزيل الأجر ، ومنى انا المسكينة صالح الذكر » . فاما هو فلانغلاق قلبه ، لم يحس البلاء الذى دبر له ، داخل قلايته ، حينئذ لعبت عليه أفكاره ، فعول على معاشرتها ، ومد يده نحوها ليتم الفعل النجس فلوقته باغته الشيطان وصرعه على الأرض ، فضاع عقله وبقى مسبخا كالميت نهارا وليلا ، ثم عاوده رشده فقام ، وجاء الى الشيخ بلامون وهو باك ، فطرح ذاته بين يديه قائلا : « انا هو السبب فى هلاكى ، وعلة مماتى ، لأنى لم أصغ الى كلامك ، ولذلك حل بى ما حل » . وشرح ما حدث له ، ثم طلب صلاة ، فلما فاما ليصلى عليه باغته الروح النجس ، وطفر به طفرة منكرة ومضى مستكبرا مسافة بعيدة ، حتى وصل مدينة تدعى بانوس ، وبقى فيها ضائع العقل وقتا ،

---

(١) مزمور ١٨ : ٢٦ .

واخيرا زج بنفسه فى تنور متقد ، حيث احترق وهلك(١) .

+ حدث أن تقدم بعض الرهبان الى انبا باخوميوس يسألونه : « قل لنا يا أبانا ما الذى يمكننا أن نعمله لنحظى بالقدرة على اجراء الآيات والعجائب ؟ » أجابهم بابتسامة : « ان شئتم أن تسعوا سعيا روحيا ساميا فلا تطلبوا هذه القدرة لأنها مشوبة بشىء من الزهو ، بل اسعوا بالحرى لتظفروا بالقوة التى تمكنكم من اجراء العجائب الروحية . فان رأيتم عابد وثن وانرتم امامه السبيل الذى يقوده الى معرفة الله فقد أحييتم ميتا ، واذا رددتم أحد المبتدعين فى الدين الى الايمان الأرثوذكسى فتحتم أعين العميان ، واذا جعلتم من البخيل كريما شفيتم يدا مشلولة ، واذا حولتم الكسول نشيطا منحتم الشفاء لمقعد مفلوج ، واذا حولتم الغضوب وديعا أخرجتم شيطانا ، فهل هناك شىء يطمع الانسان أن يناله أعظم من هذا ؟ » .

+ ولما سمع بسيرة الأب باخوميوس قوم من رهبان هراطقة أرسلوا اليه جماعة لابسين شعرا وقالوا للاخوة : ان كبيرنا مقدونيوس قد أرسلنا الى ابيكم قائلا : « أن كنت رجل الله حقا ، وما سمعناه عنك صحيحا ، فتعال لنعبر انا وانت النهر سائرين بأرجلنا على سطح الماء ، فيعرف كل واحد عمليا من منا له دالة ووجاهة عند الله » ، فعرف الاخوة الأب بذلك ، فأنكر عليهم ذلك قائلا :

« لماذا استجزتم سماع هذا الكلام بالجملة ؟ اما علمتم أن هذه المسائل بعيدة عن الله ، ولا تقبلها سيرتنا ؟ لأنه اى ناموس يأمر بهذا ويبعثنا على القيام به ؟ » .

فقال الاخوة : « أيتجاسر هراطيقى بعيد عن الله أن يستدعيك لمثل هذا ؟ » .

فأجابهم : « قد يمكن للهراطيقى ان يعبر على ظهر النهر كعبوره على أرض يابسة بمظافرة الشيطان اياه ، وبسماح من الله حتى لاينفك كفره ، فامضوا وقولوا لهم : هكذا قال عبد الله باخوميوس : ان حرصى انا ، هو هذا : ليس لكى أعبر هذا النهر ماشيا ، بل كيف أعبر دينونة الله الرهيبة ، وان أعبر ايضا هذه الأعمال الشيطانية بقوة الرب » .

ولما قال هذا الكلام اقتنع الاخوة بألا يفتخروا بأعمالهم ، ولا يشتهوا اجتراح الآيات ، ولا يجربوا الله البتة حسبما كتب : « لا تجرب الرب الهك » .

افرازه :

ذكر بعض الآباء ، انه كان أخ من الاخوة يتنسك كثيرا ليس من اجل الله . فلما رآه ابونا القديس باخوميوس وعلم امره ، قال له على انفراد : تعلم يا اخى ان الرب يقول انى نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى لكن مشيئة الآب الذى ارسلنى . فاسمع منى ما أريد أن أقوله لك لأنى أرى أن الشيطان قد حسدك ويريد أن يهلك تعبك فاذا علمت أن الاخوة يريدون أن يأكلوا اذهب معهم وكل قليلا دون شبعك لأجل تدبير الجسد ، وهذا الشىء ما يمنعك عن عبادة الله . واذا فرغت

---

(١) نحن نلمس روح التوبة من هذا الشاب فى قصته ولا يمكن لانسان ان يجزم بأنه هلك أبديا اذا كان قد ألقى بنفسه فى النار دون وعى .

صلاة الاخوة أيضا لا تصل وحدك كثيرا حتى تغلب الشيطان وتهلك شيطان العجب والافتخار لأنه قد اشتملك .

فلما سمع هذا الكلام قبله من ذلك الوقت فقط ، ثم انه رجع الى ضلالته قائلا فى نفسه : ان كنت لا تصوم ولا تصلى ولا تتنسك فأنا أباشر هذه اعمال التى تخلصنى .. ثم بدأ يصلى أيضا . فلما سمع القديس بذلك ، دعا تلميذه تادرس وقال له : انى حزين كثيرا من أجل فلان . امض فانظر أى شىء يعمل . فلما ذهب اليه وجده يصلى بدوام فرجع الى عند الشيخ وأخبره بذلك فقال له القديس : ارجع اليه وامنعه من الصلاة ، واذا منعته حينئذ يتبين لك الشيطان الذى استولى عليه . واذا رأيت ذلك امسكه أنت الى أن أجىء أنا . فانطلق تادرس وصنع كذلك . فلما منعه من الصلاة صرخ على تادرس قائلا : يامنافق أنت تمنعنى أن لا اصلى . ثم تناول عودا عظيما وقصد أن يضرب به تادرس على رأسه فانتهره باسم الرب وللحين ترك العود ، وقال لتادرس ذلك المجنون : أتريد أن تعلم أن الذين يصلون بلذة من فعلنا يضلون . فسمع ذلك وبدأ المريض يصلى تسبحة موسى الأولى ، فلما سمع ذلك تادرس تعجب وفزع قائلا : كم من اليقظة والانتباه تلزم الانسان حتى يتخلص من تجارب الشيطان ! وان أبونا باخوميوس أتى وأخذ الأخ المطغى الى الكنيسة وجمع الاخوة وأمرهم أن يصلوا معه ويطلبوا من الله أن يرحم ذلك الأخ . وان الله الرحيم شفاه وخلصه من الشيطان النجس وعاد الأخ فيما بعد بكل طاعة واجتهاد واتضاع خاضعا للقديس ، مطيعا أوامره الحسنة . بركة صلاته تكون معنا .

+ فى بعض الأحيان ظهر الشيطان للأب باخوميوس فى صورة السيد المسيح يتجلى ، وقال له : « افرح يا باخوميوس لأنى جئت لافتقادك » ففكر فى نفسه قائلا : « من شأن المناظر الالهية أنها من لذة بهجتها وحلاوة نعيمها تسبى خيال مستحقيها اليها ولا يبقى لهم فكر آخر ، ولكن أفكارى الآن تروى فنونا وألوانا »

فلما وجده الشيطان مفكرا فى هذا ، أبعد عنه الأفكار ، فقال الأب فى نفسه : « انى كنت أفكر أفكارا والآن فلا وجود لها » ، واذ قال ذلك فى نفسه قام الى الشيطان وهو باسط يده كمن يريد أن يمسكه وفى الحال صار كدخان وتلاشى .

رعايتـه :

ومما يؤثر عن العناية البالغة التى كان يبديها أبو الشركة برهبانه أنه كان يجلس كل مساء معهم بعد صلاة الغروب ليستمع الى أسئلتهم ويجيب عنها .

نباهتـه :

فى سنة ٣٤٨ م تفشى فى مصر وباء الطاعون وبلغ أديرة الصحارى . فكان الأنبا باخوميوس فى هذا الظرف يطوف بين المصابين بهذا الداء . وبينما كان أبو الشركة يحضر شعائر القداس الالهى ليلة عيد الصعود(١) المجيد أحس بعوارض ذلك المرض الخبيث فى جسمه . وبعد انتهاء الخدمة دعا تلاميذه وأخذ يوصيهم بالمحافظة على قوانين الشركة الروحية والعمل بها . وما أن فرغ من وصيته لهم حتى أسلم روحه الطاهرة .

---

(١) ما نعرفه أن قداس عيد الصعود يقام صباحا ، لكن هذا ماورد فى المخطوطة .

القديس مار اسحق

هو ناسك عظيم من محبى الوحدة والسكون ، ترهب هو واخوه حسب الجسد فى أحد أديرة طورسينا ونال الاثنان شهرة كبيرة ثم اتجه كل منهما اتجاها خاصا فاختار مار اسحق حياة السكون الكامل بينما صار أخوه رئيسا للدير . ووصلت محبة الوحدة بمار اسحق انه عاتب أخاه عتابا شديدا فى رسالة مشهورة له عندما طلب منه أن يزور الرهبان فى الدير وشرح مار اسحق الأضرار التى تصيبه من مجرد النزول الى الدير ..

والعجيب فى كل ذلك أن هذا المتوحد العظيم على الرغم م نمحبته الكاملة لحياة السكون صار أسقفا لنينوى . لسنا ندرى ما هى الظروف التى لابست هذاالأمر ، ولكن التاريخ يسجل لنا أنه لما وجد أن الأسقفية تحرمه من حياة السكون ترك الأسقفية ومضى . وفى هروبه لم يرجع الى مغارته الأولى وانما ذهب الى برية شيهيت واستقر فيها سنوات وقد وضع مؤلفا ضخما من أربعة كتب عن طقس الوحدة يعتبر من أروع الكتب فى هذا الموضوع وانتفع فيه بآراء كبار الآباء فى هذا المجال كالقديس مقاريوس الكبير ومار أوغريس والقديس يوحنا التبايسى وغيرهم

الأنبا أرسانيوس

مُعلم أولاد الملوك

حياة القديس ارسانيوس الأولى ونشأته :

جاء عن القديس أرسانيوس أنه كان من روما العظمى وكان من أفاضل فلاسفتها . وكان والده من أكابر البلاط المقربين الى الملك فلما ملك تاوُدسيوس أرسل الى الملك والبابا بروما طالبا رجلا فيلسوفا يحسن اللغتين الرومية (اللاتينية) واليونانية لكى يعلم أولاده الحكم والأدب ، فلم يجدوا فى كل فلاسفة روما رجلا يشبه أرسانيوس فى الحكمة والفضل ومخافة الله فأرسلوه الى الملك بالقسطنطينية ففرح به الملك وأحبه لفيض معرفته ، ولأجل نعمة الله التى كانت عليه . فسلم له الملك أولاده وقدمه على كل أكابر مملكته . وكان اذا ركب يكون قريبا من الامبراطور وكان له أمر نافذ وعبيد كثيرون يقومون بخدمته ولم يتخذ فى بيته امرأة .

خروجه من العالم :

لما بلغ مركزا عظيما هكذا بدأ يفكر فى نفسه قائلا : « ان كل هذا لا بد له أن يتلاشى كما ينحل المنام ، وان كل غنى الدنيا ومجدها وجاهها عبارة عن حلم . ولا يوجد شىء ثابت غير قابل للتغيير وأنه لا ينفع الانسان الا خير يقدمه قدامه » . فزهدت نفسه كل شىء ، وصار يطلب من الله كل وقت قائلا : « عرفنى يا رب كيف أخلص » فجاءه يوما صوت يقول له : « يا ارسانى اهرب من الناس وأنت تخلص » .

وصوله الاسقيط :

قام لوقته وترك كل شىء ونزل الى البحر فوجد سفينة اسكندرية تريد السفر ، فركب فيها وجاء بها الى الاسكندرية ومن هناك أتى الى الاسقيط ، الى الأب مقاريوس ، ذاك الذى أسكنه فى احدى القلالى الخارجة عن الدير لأنه وجده عاشقا للهدوء . وبعد حضوره بأيام قلائل تنيح الأب مقاريوس .

حياته الرهبانية الأولى

بدأ القديس ارسانيوس حياته الرهبانية بنسك عظيم وصلاة وقداسة وزهد حتى فاق كثيرين وسمع بفضله أولاد أكابر القسطنطينية وأمرائها وابتدأ كثيرون منهم يتزهدون ويجيئون الى ديار مصر ويترهبون .

+ ميله الشديد للتعليم :

بدأ القديس حياته الرهبانية بميل شديد للتعليم ، فقد قيل عنه :

كان انبا ارسانيوس دفعة يسأل أحد الشيوخ المصريين عن أفكاره فرآه شيخ آخر وقال له : يا أبتاه ارسانيوس كيف ــ وأنت المتأدب بالرومية واليونانية ــ

تحتاج الى أن تسأل هذا المصرى الأمى عن أفكارك ؟ .. أجابه أنبا أرسانيوس قائلا: « أما الأدب الرومى واليونانى فانى عارف به جيدا . أما ألفا فيطا التى أحسنها هذا المصرى فانى الى الآن لم أتعلمها » وكان يقصد طريق الفضيلة .

+ طريقة تدريبه :

ان أنبا أرسانيوس لأجل انه ربى فى الملك ونشأ فى الملك وكان ذا جسد مترفه كأولاد الملوك ، لم يقدر سريعا أن يعبر فى طريقة رهبان المصرين ولا صعوبة مسلكهم عاجلا ، بل كان يأخذ نفسه بقطع شـهوته بالتدريج قليلا قليلا حتى يصل الى درجاتهم(١) .

والعجيب أنه لم يكن محتاجا الى طريقة مباشرة فى تعليمه بل كان يستقى الحياة النسكية مما يحدث حوله وأحيانا كثيرة كانت تكفيه الاشارة كما حدث فى القصتين التاليتين :

١ ـ جلس الأب أرسانيوس فى بعض الأيام يأكل فولا مسلوقا مع الاخوة وكانت عادتهم أن لا ينقوه . أما هو فكان ينقى الفول الأبيض من بين الأســـود والمسوس ويأكله فلم يوافق رئيس الدير على ذلك وخشى أن يفسد نظام الدير . فاختار رئيس الدير أحد الاخوة وقال له : «احتمل ما أفعله بك من أجل الرب» . فأجابه الأخ : أمرك يا أبى . قال : اجلس بجانب أرسانيوس ونق الفول الأبيض وكله ـ فعمل الأخ كما أمره رئيس الدير الذى فاجأه بلطمة مرة على صدغه وقال: كيف تنقى الفول الأبيض لنفسك وتترك الأسود لاخوتك ؟.. فصنع أرسانيوس ميطانية للرئيس وللاخوة وقال لذلك الأخ : « يا أخى .. ان هذه اللطمة ليست لك ولكنها موجهة لخد ارسانيوس » ، وأردف قائلا : « هوذا أرسانيوس معلم أولاد الملوك اليونانيين لم يعرف كيف يأكل الفول مع رهبان أسقيط مصر » . وهكذا ازداد فهما واحتفاظا بموهبته .

٢ ـ قيل أن أحد الاخوة المجاورين لقلاية أنبا أرسانى خرج يوما ليقطع خوصا . وكان يوما حره شديد . فلما قطع الخوص ورجع أراد أن يأكل . فلم يمكنه أن يبلع الخبز اليابس لأن الحر كان قد يبس حلقه . وفى ذلك الوقت كان الاخوة بالاسقيط يسلكون بتقشف عظيم ونسك زائد فأخذ الأخ وعاء به ماء واذاب فيه قليلا من الملح ، وبل الخبز وبدأ يأكل .. فدخل اليه الأب أشعياء ليفتقده ، فلما أحس الأخ بالأنبا أشعياء رفع الوعاء وخبأه تحت الخوص . وكان أنبا أشعياء رجلا ذكيا حارا فى الروح جدا . وكان يعلم بأن أنبا أرسانيوس يعمل صنفين من الطعام : بقلا وخلا ولكن لأجل احتشامه لم يرد الآباء أن يكسروا قلبه سريعا. فوجد أنبا أشعياء أنها فرصة مناسبة لأن يؤدب أنبا أرسانيوس بواسطة هذا الأخ . فقال للأخ : ما هذا الذى خبأته منى ؟.. فقال الأخ : « اغفر لى يا أبى من أجل محبة السيد المسيح . لقد دخلت البرية لأقطع خوصا فاشتد على الحر جدا لدرجة أنه سد حلقى . فلما دخلت القلاية أردت أن آكل فلم استطع بلع الخبز لجفاف فمى وحلقى فأخذت ماء واذبت فيه قليلا من الملح وبللت به القراقيش (الخبز الجاف) ليسهل لى بلعه » .

(١) ٢٨٠ ميامر : ص ٥ .

فأخذ الأنبا أشعياء الوعاء وخرج ووضعه قدام قلاية أنبا أرسانيوس وقال للمراقب : دق الجرس كى يحضر الاخوة ليبصروا الأخ زينون كيف يأكل مرقا ، فلما حضروا التفت الى الأخ وقال له أمام الاخوة : يا أخى ، لقد تركت تنعمك وكل مالك وجئت الى الاسقيط حبا فى الرب وفى خلاص نفسك . فكيف تريد الآن أن تلذذ ذاتك بالأطعمة ؟ .. ان تريد أن تأكل مرقا امض الى مصر لأنه لا يوجد فى الاسقيط تنعم فلما سمع الأنبا أرسانيوس قال لنفسه : هذا الكلام موجه اليك يا ارسانى ، وفى الحال أمر خادمه أن يعمل له بقولا فقط . وقال : ها أنا قد تأدبت بسائر حكمة اليونانيين أما حكمة هذا المصرى بخصوص الأكل وحسن تدبيره فانى لم أصل اليها بعد . لقد صدق الكتاب اذ يقول : وتأدب موسى بكل حكمة المصريين .

+ موته عن العالم :

دفعة أتى اليه رجل يدعى جسريانوس بوصية من رجل شريف من جنسه مات وأوصى له بمال كثير جدا . فلما علم القديس بذلك هم بتمزيق الوصية فوقع جسرياتوس على قدميه وطلب اليه الا يمزقها والا فرأسه عوضها ، فقال له القديس:

انا قد مت منذ زمان وذاك مات أيضا . وبذلك صرفه ولم يأخذ منه ولا فلسا واحدا .

حيـاته فى التوحـد

١ ــ جهاده فى الصلاة والسهر

+ قيل عنه انه كان يستمر الليل كله ساهرا . فاذا كان الغد كان يرقد من اجل الطبيعة مستدعيا النوم قائلا : هلم يا عبد السوء وكان يغفو قليلا وهو جالس ، ولوقته يقوم وكان يقول : « يكفى للراهب أن يرقد ساعة واحدة من الليل ان كان عمالا .

+ وقيل ايضا انه فى ليلة الأحـــد كان يخرج خارج قلايته ويقف تحت السماء ويجعل الشمس خلفه ويبسط يديه للصلاة حتى تسطع الشمس فى وجهه ثم يجلس .

وفى جهاده مع الشياطين ورد ما يلى :

قصده الشياطين مرة ليجربوه . فلما جاءه الذين يخدموه سمعوا صوته وهم خارج القلاية وهو يصرخ الى الله ويقول : « يا رب لا تخذلنى فانى ما صنعت قدامك شيئا من الخير .. لكن هبنى من فضلك أن ابدأ فى عمل الخير .. » .

+ وقد اخبر عنه دانيال تلميذه فقال : « انه ما طلب قط أن يتكلم من كتاب بل كان يصلى من أجل ذلك لو أراد . وما كان يكتب رسالة » .

+ حدث مرة أن ذهب احد الاخوة الى قلاية القديس أرســانيوس فى الاسقيط ، وتطلع من النافذة فأبصر الشيخ واقفا وجسمه كله مثل نار ، وهذا الأخ كان مستحقا لرؤية ذلك المنظر . فطرق الباب وخرج اليه الشيخ ولما رأى

الشيخ أن الأخ كان مندهشا من المنظر الذى رآه قال له : « هل كنت تطرق على الباب لمدة طويلة ؟.. وهل رأيت شيئا غير عادى ؟.. ثم خاطبه أبا أرسانيوس وصرفه

+ مرة دعا تلميذيه الكسندر وزويل وقال لهما : ان الشياطين تقاتلنى ولكونى لا أدرى ان كانت تحاربنى بالنوم فهلما اتعبا معى فى هذه الليلة واسهرا وراقبانى وانظرا ان كنت أغفو أثناء سهرى ، فجلسا واحد عن يمينه والآخر عن يساره من غروب الشمس الى شروقها ، وقد قالا : اننا نمنا واستيقظنا ولم نلاحظ أنه نام بالمرة ولكن لما بدأ النهار يلوح نفخ ثلاث نفخات كأنه نائم وسواء أكان ذلك عن قصد حتى نظن نحن أنه قد نام أو أن النعاس قد غلبه لسنا ندرى ـ ثم نهض وقال لنا : هل كنت نائما ؟.. فقلنا له : لا ندرى يا أبانا لأننا أنفسنا قد غلبنا النوم .

وهكذا كان القديس يخفى فضائله ويتظاهر أنه يغلب بالنوم لكنه كان يقظا ساهرا .

٢ ـ صمته .. وهدوئه

+ قيل عن انبا أرسانيوس أنه بعدما هرب من القسطنطينية وأتى الى الاسقيط كان يداوم على الصلاة والتضرع الى الله أن يرشده الى ما ينبغى له أن يعمل وكيف يتدبر . وبعد مضى ثلاث سنين جاءه صوت يقول له : « يا أرسانيوس. الزم الهدوء والبعد عن الناس واصمت وأنت تخاص لأن هذه هى عروق عدم الخطية » .

فما أن سمع الصوت دفعة ثانية حتى كان يهرب من الاخوة ويلزم نفسه الهدوء والصمت .

+ ذكر عنه أيضا أنه لما ابتدأ أن يتعلم الصمت كما جاءه الصوت لم يقدر سريعا . فوضع حصاة وزنها اثنا عشر درهما فى فمه ثلاث سنين لا يخرجها الا وقتما كان يأكل أو يجيئه غريب فكان يعزيه لأجل الله . وبهذه الفضيلة قوم السكوت وعلم فمه الصمت (٨٢٠ ميامر) ص ٥

+ وخبر عنه أيضا أنه من كثرة الهدوء والسكينة التى كانت له ، دخلت عليه فى قلايته الشياطين وتقدم منه واحد ومعه سكين يريد أن يقطع بها يديه فلم ينزعج القديس ولا اختبل بل مد يده وقال اعمل ما شئت لأجل محبة المسيح . فلما رأى العدو الشيطان هذا الهدوء وهذا الصبر صاح : « أحرقتنى أيها الشيخ بكثرة هدوئك واتضاعك(١) » .

+ قال : « كثيرا ما تكلمت وندمت ، وأما عن السكوت فما ندمت قط » .

والقصة التالية توضح مقدار محبة القديس أرسانيوس للسكوت من جهة ومن جهة أخرى كيف أن مواهب الروح القدس فى الكنيسة متعددة .

+ حدث مرة أن جاء أخ غريب الى الاسقيط ليبصر الأنبا ارسانيوس فأتى الى الكنيسة وطلب من رجال الاكليروس أن يروه اياه ، فقالوا له : كل كسرة خبز

(١) توجد قصة مماثلة لها فى خبر أبى مقار . وهو على النخلة يقطع خوصا .

وبعد ذلك تبصره . فقال : لن أتذوق شيئا حتى أبصره . فارسلوا معه أخا ليرشده اليه لأن قلايته كانت بعيدة جدا . فلما قرع الباب فتح له فدخل وصليا وجلسا صامتين . فقال الأخ الذى من الكنيسة : أنا منصرف فصليا من أجلى . اما الأخ الغريب فلما لم يجد له دالة عند الشيخ قال : وأنا منصرف معك كذلك . فخرجا معا . فطلب اليه أن يمضى به الى قلاية أنبا موسى الذى كان أولا لصا . فلما أتى اليه قبله بفرح ونيح وغربته وصرفه .

فقال له الأخ الذى أرشده : ها قد أريتك اليونانى والمصرى . فمن من الاثنين ارضاك ؟ أجابه قائلا : اما أنا فأقول : ان المصرى قد أرضانى . فلما سمع أحد الاخوة ذلك صلى الى الله قائلا : يا رب اكشف لى هذا الأمر ، فان قوما يهربون من الناس من أجل اسمك وقوما يقبلونهم من أجل اسمك أيضا . وألح فى الصلاة والطلبة فتراءت له سفينتان عظيمتان فى لجة البحر . ورأى فى احداهمـــا انبا أرسانيوس وهو يسير سيرا هادئا وروح الله معه . ورأى فى الأخرى أنبا موسى وملائكة الله معه وهم يطعمونه شهد العسل(١) .

٣ـ حياة التخشع المستمرة والدموع

+ قيل عنه : انه اذا جلس يضفر الخوص كان يأخذ خرقة ويضعها على ركبتيه لينشف بها الدموع التى كانت تتساقط من عينيه . وفى زمان الحر كان يرطب الخوص بدموعه وهو يضفر من أجل ذلك كان شعر جفونه يتساقط من كثرة البكاء .

+ قيل عنه أيضا : انه فى كل بكرة وعشية كان يحاسب نفسه ويقول : «ماذا عملنا مما يحب الله ، وماذا عملنا مما لا يحب الله» ، وهكذا كان يفتقد حياته بالتوبة .

+ وكان يقول كل الأوقات : « تأمل يا أرسانى فيما خرجت لأجله » .

٤ ـ تقشفه

(أ) الأكل بقدر :

+ قال عنه دانيال أحد تلاميذه : ان مؤونته فى السنة كان تليس قمح ، واذا جئنا الى عنده كنا نأكل منها .

+ وقيل عنه أيضا : أنه عندما كان يسمع أن الفواكه نضجت على الأشجار كان يطلب من الأخوة أن يحضروا له بعضا منها ، اذ اعتاد أن يأكل مرة واحدة فى السنة كل نوع من أنواع الفواكه حتى يقدم التمجيد لله .

(ب) التعرى من الترف :

وما كان يجدد ماء الخوص الا دفعة واحدة فى السنة فكلما نقص الماء أضاف اليه قليلا منه وهكذا صارت له رائحة كريهة جدا ونتن لا يطاق وكان يعمل الضفيرة ويخيط الى ست ساعات يوميا . وحدث أن زاره الأب مقاريوس الاسكندرى . فلما

---

(١) للناس طبائع مختلفة ، ومحبة الله تعامل كل فرد بالطريقة التى تنميه . والله كشف هذه الرؤيا للاخ مبينا أن كلا طريقتى انبا ارسانيوس وانبا موسى سليمة .

اشتم الرائحة قال له : « يا أبانا ارسانيوس لم لا تغير هذا الماء لانه قد أنتن ؟ فأجابه انبا ارسانيوس قائلا : « الحق انى لا استطيع ان اطيقها . لكنى أكلف نفسى باحتمال هذه الروائح الكريهة وذلك عوض الروائح الزكية التى تلذذت بها فى العالم » . فلما سمع الاخوة الموجودون ذلك انتفعوا .

(ج) عمل اليدين :

+ ذكر عن انبا ارسانيوس انه من يوم اخذ الاسكيم لم يبق فى قلايته أكثر من حاجته بل كان يتصدق بالباقى للجميع . وكان قد تعلم ضفر الخوص من الرهبان ، وكان يضفر القفف والمراوح وغيرها ويبيع ويأكل منه ويشترى خوص الضفائر ويتصدق بما تبقى . وهكذا كان عمله دائما(١) .

اتضاع القديس وانكار ذاته

+ جىء الى الاسقيط مرة بقليل من التين فاقتسمها الرهبان فيما بينهم ولأجل انه شىء ضئيل استحوا أن يرسلوا له منه شيئا قليلا وذلك لجلالة منزله . فلما سمع الشيخ امتنع عن المجىء الى الكنيسة وقال : « أفرزتمونى من الاخوة ولم تعطونى من البركة التى أرسلها الله كأنى لست اهلا لأن آخذ منها ، ولوجه آخر نسيتمونى بسبب كبريائى » فلما سمعت الجماعة انتفعوا من اتضاع الشيخ وانطلق القس وأتاه بنصيب من التين ففرح وجميعهم سبحوا الله وجاء معهم الى المجمع .

+ قيل عن انبا ارسانيوس وتادرس الفرمى انهما كانا مبغضين للسبح الباطل جدا أكثر من غيرهم من الناس . أما انبا ارسانيوس فلم يكن يلتقى بالناس كيفما اتفق . وأما تادرس فانه وان كان يلتقى بهم لكنه كان يجوز بسرعة كالرمح .

+ مرض الانبا ارسانيوس مرة واحتاج الى شىء قيمته خبزة واحدة . واذ لم يكن له ما يشترى به ، اخذ من انسان صدقة وقال : « أشكرك يا الهى يامن اهلتنى لأن اقبل الصدقة من اجل اسمك » .

+ وحدث وهو فى الاسقيط أن مرض فمضى القسيس وجاء به الى الكنيسة ووضعه على فراش صغير ووضع تحت رأسه وسادة من جلد الغنم ، فلما جاء بعض الشيوخ ليتفقدوه ورأوا الفراش والوسادة قالوا : أهذا هو ارسانيوس المتكىء على هذا الفراش .. ؟! فما كان من القسيس الا أن اختلى بأحدهم وسأله قائلا : ماذا كان عملك فى بلدتك قبل أن تترهب ؟ قال : راعيا . قال له : وكيف كان تدبيرك فى عيشتك ؟ أجابه : تدبير المشقة والتعب . والآن كيف حالك فى قلايتك فاجابه : بكل ارتياح أفضل مما كنت فى العالم . فقال له القسيس : الا تعلم أن أنبا ارسانيوس هذا كان فى العالم أبا للملوك . وكان له ألف غلام من أصحاب المناطق الموشاة بالذهب واطواق اللؤلؤ .. وكان له عبيد وخدم يقومون بخدمته وهو جالس على الكرسى الملوكية وتحته البرفير والحرير الخالص الملون . فأما أنت فقد كنت راعيا ولم يكن لك فى العالم ما هو لك الآن من النياح ، أما هذا فليس له شىء من النعيم الذى كان له فى العالم . فالآن انت مرتاح أما هو فمتعب .

---

(١) ٢٨٠ ميامر .

فلما سمع الشيخ ذلك ندم وصنع مطانية قائلا : اغفرلى يا أبى فقد أخطأت . بالحقيقة هذا هو الراهب لأنه أتى الى الاتضاع وأما أنا فقد أتيت الى نياح وانصرف منتفعا .

+ قال أنبا دانيال عن أنبا أرسانيوس أنه بتمسكه بالسكون كان يمتنع عن الكلام فى تفسير الكتاب المقدس بالرغم من قدرته على ذلك ، اذا رغب . كما أنه لم يكن ليكتب حرفا واحدا بسرعة .

محبته للوحدة وتجلده فيها

قيل أن قلايته كانت على بعد اثنين وثلاثين ميلا ، وما كان يأتى بسرعة وكان آخرون يهتمون به . فلما خرب الاسقيط خرج باكيا وقال : أهلك العالم رومية : وأضاع الرهبان الاسقيط .

لماذا يهرب من الناس :

سأل الأب مقاريوس أنبا أرسانيوس مرة قائلا : لماذا تهرب منا يا أبتاه ؟ »

فأجابه الشيخ قائلا : « الله يعلم أنى أحبكم ، ولكنى لا أستطيع أن أكون مع الله ومع الناس لأن ألوف الملائكة والربوات العلوية لهم ارادة واحدة ، أما الناس فلهم أرادات كثيرة ، وهكذا لا أستطيع أن أترك الله وأصير مع الناس » .

الخروج الى الدير ثم الى الوحدة :

+ سأل الاخوة : « .. لماذا اعتبر الشيوخ أنبا أرسانيوس فى خروجه من العالم الى الدير ثم فى خروجه من المجمع الى الوحدة مثالا سجلوه فى الكتب ؟ »
هنا رد أحد الشيوخ : « ذلك لأن أنبا ارسانيوس قد أخرجه الله الى الدير — ثم أخرجه الى الوحدة . ولأننا واثقون أن هاتين الدعوتين كانتا حسب ارادة الله فحق للشيوخ أن يأخذوا قانونهم من حياة رجل الله هذا » .

وقد فسر أحد الشيوخ القدماء هذين الندائين فقال :

سأل بعض الأخوة أحد الشيوخ القديسين : « فسر لنا الندائين اللذين سمعهما أنبا أرسانيوس » . ما معنى ما قيل له فى النداء الأول . « فر واهرب من الناس وأنت تحيا » . وما معنى ما قيل له فى النداء الثانى : « اهرب ، احفظ السكون ، عش حياة التأمل فى السكون لأن هذه هى الأمور الرئيسية التى تحفظ الانسان من الخطية ؟ » .

أجاب الشيخ : ان النداء « فر واهرب من الناس وانت تحيا » معناه أن أردت أن تتخلص من الموت الكامن فى الخطية ، وان تحيا الحياة الكاملة التى فى الصلاح اترك ممتلكاتك وعائلتك ووطنك ، وارحل الى البرية « أى الى الصحارى والجبال الى الرجال القديسين واتبع معهم وصاياى وانت تحيا حياة النعمة . والمقصود من : « اهرب ، الزم السكون ، عش حياة التأمل فى السكون » . انك لما كنت فى العالم وكنت مسوقا بمشاغل الأمور التى فى العالم جعلتك تخرج منه وأرسلتك للسكنى مع الرهبان ، حتى بعد فترة قصيرة من السكنى فى مجمع الرهبان يمكنك أن تسمو باتباع وصاياى بانطلاق ، وللتأمل فى السكون .

والآن اذ قد تدربت التدريب الكافى فى النداء الأول تستطيع أن تهرب من الدير « مجمع الاخوة » وتدخل الى الوحدة فى قلايتك ، تماما كما انطلقت من العالم ودخلت الى الدير .

أما معنى « احفظ السكون وعش حياة التأمل فى السكون » فهو : انك اذ قد دخلت الى الوحدة فى قلايتك فلا تعط للزائرين فرصة المجىء اليك والتحدث معهم بلا ضرورة الا فى الأمور التى تتعلق بسمو الروح ، فاذا فعلت هذا فسوف تجنى ثمار الجلوس فى السكون والتأمل ، لأنه بالنظر وبالسمع وبالحديث مع الزائرين الذين يأتون اليك فقوة الأفكار التى تطيش فيها تنقلك بعيدا فتشتت تأملاتك وسكونك ، ولكن لا تظن أن مجرد ترك الاخوة فى الدير أو عدم قبول زائرين فى قلايتك يكون كافيا ليجعل عقلك هادئا أو يمكنك من التأمل فى الله واصلاح ذاتك ما لم تحترس بالأكثر الا تشغل عقلك بهم بأية طريقة حينما يكونون بعيدين عنك . . فان الراهب عندما يتذكر أى انسان انما يتذكره مرتبطا ببعض الميول أى بميول الاشتياق أو الغضب أو المجد الباطل ، فان حدث أن العقل جال فى أمور عادية فانه ما لم يقطعها عنه لابد أن يتجه تفكيره بالضرورة الى الذكريات المتصلة ببعض هذه الأمور .

وهكذا الحال مع المبتدىء فى حياة التأمل فى السكون اذا ما تذكر النساء فانه يسقط فى شهوة الزنا . واذا ما تذكر الرجال يسقط فى الغضب بالفكر . ويحاججهم ويؤنبهم ويدينهم أو يطلب منهم تكريما له ثم يميل الى الحياة السلبية . وكذلك لما سألوا أنبا مقاريوس : ما هو الطريق السليم للمبتدىء فى قلايته ؟.

قال : « لا يتذكرن الراهب فى قلايته انسانا فانه لا ينتفع شيئا من اجهاد افكاره فى المناقشات مع الناس وعليه أن يعتنى بضبط أفكاره فى الخفاء من محاججتهم وهذا ما قصد بنداء : « أهرب ، الزم السكون والتأمل الصامت »».

أرسانيوس والأب البطريرك :

+ اتى ذات يوم البابا ثاؤفيلس البطريرك ومعه والى البلاد الى أنبا أرسانيوس وسألوه كلمة فسكت قليلا ثم قال لهم : « ان قلت لكم شيئا فهل تحفظونه ؟ » فلما ضمن له البابا البطريرك أمر حفظه قال لهم : « أينما سمعتم بأرسانى فلا تدنوا منه » .

+ وحدث أيضا مرة أن اشتهى البابا البطريرك أن يراه ، فأرسل اليه يستأذنه ان كان يفتح له فأجاب : ان جئت فتحت لك . وان فتحت لك فلن استطيع أن أغلق فى وجه أحد . وان انا فتحت لكل الناس فلن أستطيع الاقامة هاهنا » .

فلما سمع الأب البطريرك هذا الكلام قال : « ان مضينا اليه فكأننا نطرده : فالأفضل الا نمضى اليه » .

زيارة أخ للقديس :

دفعة أتاه أحد الاخوة وقرع بابه ففتح له ظانا انه خادمه ، فلما رآه انه ليس هو وقع على وجهه ـ فقال له الأخ :

قم يا أبى حتى أسلم عليك ولو على الباب . فقال له الشيخ : لن أقوم حتى تنصرف . وألح الأخ فى الطلب فلم يقم . فتركه الأخ وانصرف

زيارة بعض الآباء للقديس :

زاره مرة بعض الشيوخ وسألوه عن السكوت وعن قلة اللقاء فقال لهم :

ان العذراء مادامت فى بيت والديها فكثيرون يريدون خطبتها . فان هى دخلت وخرجت فانها بذلك لن ترضى كل الناس لأن بعضهم يزدريها وبعضهم يشتهيها ، ولن تكون لها الكرامة الا وهى مختفية فى بيت أبيها . هكذا النفس المهتدية الهادئة المعتكفة متى اشتهرت تهلهلت ...

زيارة احدى العذارى من بنات رؤساء البلاط فى روما :

سمعت بخبره عذراء من بنات رؤساء البلاط فى روما . وكانت غنية جدا وخائفة من الله ، فلما جاءت لتبصره ومعها مال كثير وحشم وجنود ، تلقاها البابا ثاؤفليس البطريرك بوقار كثير وأضافها . فسألته أن يطلب الى الشيخ بأن يفسح لها الطريق للمضى اليه . فكتب يقول له : ان السيدة «ايلارية السقليكى»(١) ابنة فلان من بلاط ملك رومية تريد أن تأذن لها برؤيتك لأخذ بركتك .

وكتب كذلك لمقدم الأديرة بأن يمكن السيدة « ايلارية السقليكى » من زيارة الآباء القديسين وأخذ بركتهم . فلم يشاء الأنبا أرسانيوس أن تأتى الى البرية وأنفذ لها بركة من عنده وقال لها : « هوذا قد علمت بتعبك وسفرك ونحن مصلون لأجلك . فلا تحضرى لأنى لا أشاء أن أبصر وجه امرأة » . أما هى فلم تقبل وقالت: « ان ثقتى بالله أن أبصر وجهك الملائكى ، لأنى ما تعبت وجئت لأنظر انسانا ـ فبلدى كثيرة الناس ـ بل أتيت لأعاين ملاكا » . وأمرت أن يشدوا على الدواب حتى أتت الى البرية . فلما وصلت اليه كان القديس أرسانيوس خارج قلايته . فما أن ابصرته حتى خرت عند قدميه فأقامها بغضب وقال : « لقد آثرت أن تبصرى وجهى . وها أنت قد أبصرتيه فماذا استفدت » ؟

اما هى فمن احتشامها لم تستطع النظر فى وجهه . فقال لها : « اذا سمعت باعمال فاضلة فاعملى على أن تمارسيها ولا تجولى طالبة فاعليها . كيف تجرأت فعبرت هذه البحار ؟ أما تعلمين انك امراة ولا يليق بك الخروج الى مكان ما . اتريدين المضى الى رومية قائلة للنساء الباقيات اننى رأيت ارسانى . فتحولين البحر طريقا للنساء ليأتوا اليه » . فأجابته السيدة قائلة : « انى لايمانى يا أبى

(١) نسبة الى Scilla احدى مدن ايطاليا قرب صخرة Scylla على طريق سينا فى الجنوب الغربى تشرف على جزيرة صقلية Sicily .

أتيت اليك وان شاء الله لن أدع امرأة تأتى اليك ، فصلِّ من أجلى واذكرنى دائما ». فأجابها منتهرا قائلا : « لا بل انى أصلى الى الله أن يمحوا خيالك واسمك وذكرك وفكرك من قلبى » . وتركها ودخل قلايته . فلما سمعت ذلك لم ترد له جوابا ورجعت وهى قلقة الأفكار . ولما دخلت الاسكندرية اعترتها حمى لفرط حزنها . أما البابا ثاؤفيلس البطريرك فانه استقبلها باكرام جزيل وسألها عن أمرها . فقالت : « يا أبتاه ليتنى ما قابلت الشيخ لأنى لما سألته ان يذكرنى أجابنى » : « انى أصلى الى الله أن يمحوا خيالك واسمك وذكرك وفكرك من قلبى » . وهوذا عبدتك تموت من الحزن . فقال لها البابا البطريرك : « الا تعلمين انك امرأة . وان العدو يقاتل الرهبان بالنساء . فالى ذلك أشار الشيخ . واما عن نفسك فهو يصلى دائما وغير ناس تعبك وسفرك » . فطاب قلبها ورجعت الى بلادها مسرورة .

+ حدث مرة أن كان انبا ارسانيوس قلقا فعزم على أن يترك قلايته دون أن يأخذ معه شيئا منها ، وذهب الى تلميذيه الكسندر وزويل بشخصه وقال لألكسندر قم واذهب الى المكان الذى كنت فيه (وفعل الكسندر ذلك) ، وقال لزويل قم وتعال معى الى النهر وابحث لى عن سفينة قاصدة الاسكندرية ثم ارجع واذهب الى أخيك ، وقد تعجب زويل من هذا الحديث ، وعلى ذلك فقد افترقوا — أما القديس أرسانيوس فقد انطلق الى الاسكندرية حيث مرض مرضا خطيرا . وعاد تلميذاه الى المكان الذى كانا يسكنان فيه قبلا وقال أحدهما للآخر : « ربما أساء أحدنا الى الشيخ ولهذا افترق عنا » ولكن لم يمكنهما أن يجدا فى نفسيهما سببا يكون قد ضايقه . وكان لما عوفى الشيخ انه قال « أقوم واذهب الى الآباء » وارتحل وعاد الى « البترا Patara »(١) حيث كان تلاميذه ، واثناء عبوره النهر رأته جارية حبشية وأتت من ورائه وامسكت بثوبه وجذبته ، فزجرها الشيخ . أما هى فأجابته : « ان كنت راهبا فاذهب الى الجبل » فأنت الشيخ نفسه بهذه الاشارة وقال فى نفسه : « أرسانيوس ، ان كنت راهبا فامض الى الجبل » .

من ثم استقبله تلميذاه الكسندر وزويل وخرا عند قدميه فطرح هو أيضا نفسه قدامهم . وبكوا جميعا فقال الشيخ :

« أما سمعتم أنى كنت مريضا ؟ » اجابوه : « نعم » فقال لهم :

« فلماذا لم تأتوا لتبصرونى ! » أجابه الكسندروس قائلا : « ان الطريقة التى افترقت بها لم تكن صحيحة وبسببها عثر كثيرون وقالوا : لو انهم لم يعصوا الشيخ فى أمر ما .. ما كان افترق عنهم .

قال لهم الشيخ : « اننى أعرف هذا ولكن أناسا أيضا عتيدون أن يقولوا ان الحمامة اذ لم تجد موضعا لرجليها رجعت الى الفلك(٢) » . وهكذا استراح التلاميذ وسكنوا معه مرة أخرى .

---

(١) هكذا وردت فى بلاديوس .

(٢) جميل أن يعترف الشيخ بخطئه وأن يقول أنه لم يجد راحة بعيدا عنهم فعاد ، وجميل أن يتكلم التلميذان معه بهذه الصراحة ، وان يسمع ويعترف لهما هكذا .

حياته الأخيرة ونياحته

+ أخبر عنه دانيال تلميذه فقال :

كان كاملا فى الشيخوخة وصحيح الجسم مبتسما . وكانت لحيته تصل الى بطنه . كان طويل القامة ، لكنه انحنى أخيرا من الشيخوخة وبلغ من العمر سبعا أو خمسا وتسعين سنة . اربعون سنة منها حتى خروجه من بلاط الملك . وباقيها فى الرهبنة والوحدة . وكان رجلا صالحا مملوءا من الروح القدس والايمان . وقد ترك لى ثوبا من الجلد وقميصا من الشعر ونعالا من ليف وبهذه الأشياء كنت أنا الغير المستحق اتبارك .

وقال تلميذه أيضا عنه :

انه لما قربت أيامه أوصى قائلا : « لا تهتموا بأن تعملوا تذكارا لى ولكن قدموا قربانا فقط .. وكان يقول دائما : اذا كنت فعلت شيئا فى حياتى يستحق الذكرى فسوف أجده .

+ ولما قرب وقت نياحته دعا تلاميذه وعزاهم ووعظهم وقال لهم : « اعلموا أن زمانى قد قرب فلا تهتموا بشىء سوى خلاص نفوسكم ولا تنزعجوا بالنحيب على . » وكان البار يتكلم بهذا ودموعه تنهمر من عينيه فقالوا له : « يا أبانا . أتفزع انت أيضا ؟! . اجابهم قائلا : « ان فزع هذه الساعة ملازم لى منذ جئت الى الرهبنة » .

وقال أيضا : « هأنذا واقف معكم أمام منبر المسيح المهاب ، فاذا جاءت الساعة رجائى الا تعطوا جسدى لأحد من الناس » . فقالوا له : فماذا نصنع لأننا لا نعرف كيف نكفنه ؟ فقال لهم الشيخ : « أما تعرفون كيف تربطون رجلى بحبل وتجروننى الى الجبل لتنتفع به الوحوش والطيور » — وكان الشيخ يقول لنفسه دائما :

« ارسانى ارسانى تأمل فيما خرجت لأجله »

.. هكذا رقد القديس ودموعه تسيل من عينيه . فبكى تلاميذه بكاء مرا وصاروا يقبلون قدميه ويودعونه كانسان غريب يريد السفر الى بلده الحقيقى .

ولما سمع الأنبا بيمين بنياحته تنهد وقال : « طوباك يا أنبا أرسانيوس لأنك بكيت على نفسك فى هذا العالم فان من لا يبكى على نفسه هاهنا زمانا قليلا ، سوف يبكى هناك زمانا طويلا . فان كان ها هنا بكاء بارادتنا وأما هناك فالبكاء من العذاب وعلى كلتا الحالتين لن تنجو من البكاء . وعلى ذلك **فما أمجد أن يبكى الانسان على نفسه هاهنا »** .

* * *

ولما حضرت البابا ثاوفيلس البطريرك الوفاة قال :

« طوباك يا أنبا ارسانيوس لأنك لهذه الساعة كنت تبكى كل أيام حياتك » .

ولما كان بلاديوس قد أورد سيرة مختصرة حوت بعض أمور لم ترد فيما سبق فاننا نوردها كما هى اتماما للمنفعة :

قيل عن انبا ارسانيوس انه حين كان فى العالم كان رداؤه انعم من أى انسان آخر ، وحين عاش فى الاسقيط كان رداؤه أحقر من الجميع .

ولما كان يأتى الى الكنيسة ــ على فترات متباعدة ــ كان يقف وراء عامود حتى لا يرى أحد وجهه ولا يرى هو وجوه الآخرين . وكان وجهه مثل وجه ملاك ، وشعره أبيض كالثلج وكثيفا ، أما جسده فكان جافا من الاتعاب ولحيته مستطيلة الى وسطه ورموش عينيه قد تساقطت من البكاء . وكان طويل القامة مع انحناء خفيف من الكبر ، وقد انتهت حياته وهو فى سن الخامسة والتسعين وقد عاش فى العالم أربعين سنة فى البلاط أيام الملك ثيئودوسيوس الكبير والد الامبراطورين أونوريوس وأركاديوس ، وقضى فى الاسقيط أربعين عاما ، وقضى عشرة أعوام فى طرة التى بجانب بابلون فى مواجهة منف التى فى مصر . وسكن ثلاثة أعوام فى كانوبيس الاسكندرية . وفى العامين الباقيين جاء الى طرة مرة أخرى حيث رقد ، ولقد أنهى حياته فى سلام وخوف الرب .

الأنبا أغاثون

سيرته الرهبانية :

كان أغاثون القديس حكيما فى معرفته ، حريصا على اتمام الوصايا ، بسيطا فى جسمه وكفئا فى كل الأمور فى عمل اليدين وفى طعامه وفى ملبسه .

حكمته :

قيل عن القديس الكبير أنبا أغاثون :

ان أناسا مضوا اليه لما سمعوا بعظم افرازه وكثرة دعته . فأرادوا ان يجربوه فقالو له : أأنت هو أغاثون الذى نسمع عنك انك متعظم ؟ فقال : نعم الأمر هو كذلك كما تقولون . فقالوا له : أأنت أغاثون المهذار المحتال ؟ قال لهم : نعم أنا هو. قالوا له : أأنت أغاثون المهرطق ؟ فأجاب : حاشا وكلا : انى لست مهرطقا فسألوه قائلين : لماذا احتملت جميع ما قلنا لك ولم تحتمل هذه الكلمة ؟ فأجابهم قائلا : ان جميع ماتكلمتم به على قد اعتبرته لنفسى ربحا ومنفعة الا الهرطقة لأنها بعد عن الله . وأنا لا أشاء البعد عنه . فلما سمعوا عجبوا من افرازه ومضوا منتفعين .

+ اعتاد أنبا يوسف أن يقول :

لما كنا جالسين مع أنبا بيمين ذكر أنبا أغاثون فقلنا له : « انه رجل حديث السن ، فلماذا تدعوه أبا ؟ » قال أنبا بيمين : « ان فمه هو الذى جعله يدعى أبا » .

+ قال الشيوخ الذين كانوا فى مصر لأنبا ايليا ان أنبا أغاثون كان رجلا عظيما فقال لهم الشيخ :

« من جهة حداثته ، كان رجلا عظيما فى جيله ، لقد رأيت فى الاسقيط شيخا استطاع أن يحجز الشمس عن مسلكها فى السماء مثل يشوع بن نون : «ولما سمعوا هذا تعجبوا ومجدوا الله » .

صمته :

أخبروا عن الانبا أغاثون : انه وضع فى فمه حجرا ثلاث سنين حتى أتقن السكوت .

محبتـه :

+ قال : انى ما رقدت قط وأنا حاقد على انسان ولا تركت انسانا يرقد وهو حاقد على حسب طاقتى . (أف ٤ : ٢٦) ، (رو ١٢ : ٨) .

+ وقال أيضا : ان أنا ربحت أخى فقد قربت قربانا .

+ قال أنبا يوسف : ان أخا جاء الى أنبا أغاثون فوجد معه مسلة خياطة (ابرة كبيرة) فأعجب الأخ بها لأنها جيدة . فما كان من الشيخ الا أنه لم يتركه يمضى الا بها .

+ مضى الأب أغاثون مرة ليبيع عمل يديه فوجد انسانا غريبا مطروحا عليلا وليس له من يهتم به . فحمله وأجر له بيتا وأقام معه يخدمه ويعمل بيديه ويدفع أجرة المسكن وينفق على العليل مدة أربعة أشهر حتى شفى . وبعد ذلك انطلق الى البرية وكان يقول : كنت أشاء لو وجدت رجلا مخذوما يأخذ جسدى ويعطينى جسده .

+ حدث مرة أن مضى الى المدينة ليبيع عمل يديه فوجد انسانا مجذوما على الطريق فقال له المجذوم : الى أين تذهب ؟ قال له : الى المدينة . فقال له المجذوم: اصنع معى رحمة وخذنى معك . فحمله وأتى به الى المدينة . ثم قال له المجذوم : خذنى الى حيث تبيع عمل يديك . فأخذه . ولما باع عمل يديه سأله المجذوم : بكم بعت ؟ فقال : بكذا وكذا . فقال له المجذوم : اشتر لى شبكة . فاشترى له. ومضى وباع ثم عاد وقال له المجذوم : خذ لى كذا وكذا من الأطعمة فأخذ له . ولما أراد المضى الى قلايته قال له المجذوم : خذنى الى الموضع الذى وجدتنى فيه أولا. فحمله ورده اليه . فقال له الرجل :

« مبارك أنت من الرب الهنا الذى خلق السماء والأرض » . فرفع أنبا اغاثون عينه فلم يره لأنه كان ملاك الرب أرسل اليه ليجربه .

شعوره بالغربة وبعده عن الاخوة المنحلين :

+ قال ان كان أحد يحبنى وانا أحبه للغاية . وعلمت انه قد لحقتنى نقيصة بسبب محبته فانى أقطعه منى وانقطع منه بالكلية .

+ وقيل عنه أيضا : انه مكث زمانا يبنى مع تلاميذه قلاية فلما تمت وجلسوا فيها ظهر له فى الأسبوع الأول أمر ضايقه ، فقال لتلاميذه : هيا بنا ننصرف من هنا ، فانزعجوا جدا قائلين : حيث انك كنت عازما على الانصراف فلماذا تعبنا فى بناء القلاية ؟ الا يصبح من حق الناس الآن أن يشكوا قائلين : ان هؤلاء القوم لا ثبات لهم ؟

فلما رآهم صغيرى النفوس هكذا ، قال لهم : ان شك قليلون منهم فكثيرون سوف ينتفعون ويقولون : « طوبى لأولئك الذين من أجل الرب انتقلوا واختبروا كل شىء » . فمن أراد منكم ان يتبعنى فليجىء لأنى قد اعتزمت نهائيا على الانصراف فما كان منهم الا أن طرحوا انفسهم على الأرض طالبين اليه أن يأذن لهم بالمسير معه.

بســـاطته :

+ قيل عنه انه لما كان ينتقل ، ما كان يرافقه أحد سوى الجريدة التى كان يشق بها الخوص لا غير — ولما كان يعبر النهر كان يمسك المجداف بنفسه . واذا رافق أخا كان يهىء بنفسه المائدة لأنه كان مملوءا حلاوة ومحبة ونشاطا .

تدقيقه فى حياته « نقاوته » :

قيل عنه أنه اذا تصرف فى أمر وأخذ فكره يلومه كان يخاطب نفسه قائلا : يا اغاثون ، لا تغفل أنت هكذا مرة أخرى . . وبذلك كان يسكن قلبه . وقال أيضا : ان الراهب هو ذلك الانسان الذى لا يدع ضميره يلومه فى أمر من الأمور .

+ وقال أيضا : ان لى عشرين سنة وانا مداوم على محاربة فكر واحد حتى ارى جميع الناس بعقل واحد .

٣ ـ محبته للوحدة :

توجه أنبا ايسيذورس مرة الى البابا ثيئوفيلس بطريرك الاسكندرية ولما رجع سأله الاخوة عن حال مدينة الاسكندرية فقال لهم : انى لم أبصر فيها انسانا الا البطريرك وحده . فتعجبوا وقالوا له : أتريد أن تقول ان مدينة الاسكندرية خالية من الناس ؟ قال : كلا . لكنى لم أسمح لعقلى أن يفكر فى رؤية اى انسان .

٤ ـ تجلده فى القلاية :

+ قيل عنه : اتفق أن دعاه أحد الاخوة الى تناول الطعام فرفض الشيخ قائلا : أن آدم بالطعام خدع فصار خارج الفردوس بأكلة واحدة . فقال له الأخ : أبهذا المقدار تخشى الخروج خارج القلاية ؟ قال له الشيخ : وكيف لا أخشى يا ولدى والشيطان يزار مثل سبع ملتمسا من يبتلعه .

+ وكان اذا مضى اليه انسان فانه يدخل الى القلاية الداخلية ويكلمه من من داخل الباب . فقال له الاخوة : لماذا تفعل هكذا ؟ فقال لهم : ان الوحوش اذا أبصرت من يخيفها هربت الى جحورها ونجت .

٥ ـ اجهاده لنفسه :

+ قال أنبا بيمين : ان أنبا ايسيذورس كان يضفر فى كل ليلة حزمة خوص فسأله الاخوة قائلين :

أيها الأب ارح نفسك لأنك قد شخت ؟ فأجابهم : لو أحرقوا ايسيذورس بالنار وذروا رماده فى الهواء ، فلن يكون لى أفضل لأن ابن الله من أجلى نزل الى الأرض .

+ وقال أيضا : فى احدى المناسبات قال أنبا ايسيذورس قس الكنيسة للشعب : « يا اخوتى ، لا يليق أن تنتقلوا من موضع بسبب التعب ، أما من جهتى فانى أحزم أمرى وأمضى حيث يوجد التعب ، والجهاد يصبح للنفس لذة .

+ وقال انبا ايسيذورس : ها ان لى أربعين سنة ، لم أستند على شىء ولم أرقد(١) .

+ وقال أيضا : ها ان لى أربعين ليلة . وأنا واقف لم أرقد(٢) .

(١) كان هناك قديسون يدربون انفسهم على عدم الرقاد وكان الواحد منهم اذا نام ينام جالسا.

(٢) تكررت فى سيرة القديس بيصاريون .

الأنبا موسى الأسود

نشأته وحياته الأولى :

لا يعرف على وجه التحديد فى اية منطقة نشأ القديس موسى ولا الى أية قبيلة كان ينتمى ، قيل انه من احدى قبائل البربر والقليل المعروف عن طفولته وشبابه ليس فيه ما يعجب به .

حيـاة التوبة :

بالرغم من شرور موسى وحياته السوداء أمام الجميع الا أن الله الرحوم وجد فى قلب موسى استعدادا للحياة معه .. فكان موسى من وقت سماعه عن آباء برية شيهيت القديسين وشدة طهارة سيرتهم وجاذبيتهم العجيبة للآخرين .. يتطلع الى الشمس التى لا يعرف غيرها الها ويقول لها : « أيتها الشمس ان كنت أنت الاله فعرفينى . وأنت أيها الاله الذى لا أعرفه عرفنى ذاتك » فسمع موسى من يخبره ان رهبان وادى هبيب (برية شيهيت) يعرفون الله . فقام لوقته وتقلد سيفه وأتى الى البرية .

توبتـه :

هناك فى البرية تقابل مع أنبا ايسيذورس وطلب منه أن يرشده الى خلاص نفسه فأخذه أنبا ايسيذورس وعلمه ووعظه كثيرا بكلام الله وكلمه عن الدينونة والخلاص ، وكان لكلمة الله الحية عملها فى داخل قلبه واستكملت فاعليتهـا داخل نفسه فكانت دموعه مثل الماء الساقى ، وكان الندم الحار يجتاح نفسه ويقلق نومه وهكذا كره حياته الشريرة وعزم على التخلص منها فقام الى القديس ايسيذورس ثانية .

اعترافه بخطاياه ونواله سر العماد :

كان يركع أمام قس الاسقيط ويعترف بصوت عال بعيوبه وجرائم حياته الماضية فى تواضع كثير وبشكل يدعو الى الشفقة ووسط دموع غزيرة . فأخذه القديس ايسيذورس الى حيث يقيم أنبا مقاريوس الكبير الذى أخذ يعلمه ويرشده برفق ولين ثم منحه صبغة المعمودية المقدسة . واعترف علنا فى الكنيسة بجميع خطاياه وقبائحه الماضية وكان القديس أبو مقار أثناء الاعتراف يرى لوحا عليه كتابة سوداء ، وكلما اعترف موسى بخطية قديمة مسحها ملاك الله حتى اذ انتهى من الاعتراف وجد اللوح أبيضا .

حيـاته الرهبانية :

بعد أن سمع موسى لكلام ايسيذورس سكن مع الاخوة الرهبان وقيل انهم كانوا يفزعون منه فى بادىء الأمر لأنه كان فى حياته الماضية « رعب المنطقة » ولكنهم لم يلبثوا أن رأوا فيه مثال الاتضاع والجهاد الروحى والنظام ، ولكثرة الزائرين له أشار عليه القديس مقاريوس بأن يبتعد من ذلك المكان الى قلاية

منفردة فى القفر وللحال اطاع القديس موسى وانفرد فى قلايته وعاش فى وحدته مثابرا على الجهاد الروحى وتزايد فيه جدا وكان مندفعا فى الصوم والصلاة والتأمل والندم ، لكن الشيطان لم يحتمل فعل القديس هذا فابتدأ يقاومه بكل قوته .

جهاده ونصرته فى الحياة الرهبانية

١- تدريب الصوم والصلاة :

بينما كان القديس موسى مداوما على الصوم والصلاة والتأمل اذ بشيطان الخطية يعيد الى ذاكرته العادات المرذولة القديمة ويزينها له بعد أن استنارت روحه وعاد الى معرفة الله ، ولما اشتدت عليه وطأة الأفكار الشريرة مضى الى القديس ايسيذورس وأخبره بحرب الجسد الثائرة ضده فعزاه قائلا . « لا تحزن هكذا وانت مازلت فى بدء الصعوبات ولمدة طويلة سوف تأتى رياح التجارب وتقلق روحك فلا تخف ولا تجزع — وأنت اذا ثابرت على الصوم والسهر واحتقار أباطيل هذا الدهر سوف تنتصر على شهوات الجسد » . واستفاد موسى من كلام القديس ايسيذورس ورجع الى قلايته منفردا وممارسا أنواعا كثيرة من اماتة الجسد ، ولم يتناول سوى القليل من الخبز مرة واحدة فقط فى اليوم كله مثابرا على الصلوات وعمل اليدين .

٢ — خدمة الآخرين والهرب من الفراغ :

كانت المياه يصعب احضارها الى القلالى اذ كان يلزم أن يسيروا مسافة كثيرة واستغل موسى الأسود هذه الفرصة وأخذ يدرب نفسه على أعمال المحبة ، فكان يخرج ليلا ويطوف بقلالى الشيوخ ويأخذ جرارهم ويملأها بالماء ، فلما رأى الشيطان هذا العمل لم يحتمله فتركه الى أن أتى فى بعض الأيام الى البئر ليملأ قليلا من الماء وضربه ضربا موجعا حطم عظامه حتى وقع على الأرض مثل الميت وجاء بعض الاخوة فحملوه ومضوا به الى البيعة . وهناك أقام القديس بالبيعة نحو ثلاثة أيام ثم رجعت روحه اليه .

٣ — الانسحاق أمام الله وعدم الاتكال على برنا وقوتنا :

+ تزايد الأب موسى جدا فى نسكه وفى مقاتلته لذاته لدرجة كبيرة ولكن بالرغم من هذه الأماتات والسهر وقهر الذات — لم يمكنه أن يلاشى من مخيلته تلك الأشباح الدنسة بل كانت تزداد كلما ازداد هو فى محاربتها ، وربما كانت زيادة تقشفاته هذه بدون اذن من مرشده الروحى ، لأنه لما ذهب اليه يشكو حاله قال له : « ينبغى عليك الاعتدال فى كل شىء حتى فى أعمال الحياة النسكية » ، كما قال له ايضا : « يا ولدى كف عن محاربة الشياطين لأن الانسان له حد فى قوته . ولكن اذا لم يرحمك الله ويعطيك الغلبة عليهم هو وحده فما تقدر عليهم ابدا . امض الآن وسلم أمرك لله وانسحق أمامه وداوم على الاتضاع وانسحاق النفس فاذا نظر الله الى صبرك واتضاعك فانه يرحمك » . فأجاب موسى : « انى أثق فى الله الذى وضعت فيه كل رجائى أن أكون دائما متسلحا ضد الشيطان ولا أبطل اثارة الحرب ضدهم حتى يرحلوا عنى » ، فلما رأى القديس ايسيذورس

منه هذا الايمان . حينئذ قال له : « وأنا أؤمن أيضا بسيدى يسوع المسيح .. وباسم يسوع المسيح من هذا الوقت فصاعدا سوف تبطل الشياطين قتالها عنك » وقال له : امض الى البيعة المقدسة وتناول من الأسرار الالهية . واستمر القديس موسى يصنع كقول الشيخ مواظبا على ذلك فأعطاه الله نعمة عظيمة وتواضعا وسكونا فانحلت عنه قوة الأفكار ومن ذلك الوقت عاش موسى فى سلام وازداد حكمة .

جهادة فى الفضائل

١ ـ تواضعه واحتماله الاهانات :

+ انعقد مجلس وأرادوا أن يمتحنوا أنبا موسى فنهروه قائلين : لماذا يأتى هذا النوبى هكذا ويجلس فى وسطنا ؟ فلما سمع ذلك الكلام سكت . وعند انفضاض المجلس قالوا له : يا أبانا ! لماذا لم تضطرب ؟ فاجابهم قائلا : « الحق انى اضطربت ولكنى لم أتكلم شيئا » .

وسأل بعض الاخوه أحد الشيوخ عن المعنى الذى قصده أنبا موسى بقوله : « الحق انى اضطربت ولكنى لم أقل شيئا » فأجاب الشيخ :

« ان كمال الرهبان يكون فى ناحيتين ، الأولى سكون حواس الجسد ، والثانية سكون حواس النفس . وأن سكون حواس الجسد يكون عندما يحتمل الانسان الاهانة لأجل السيد المسيح فلا يتكلم ولو أنه قد يضطرب . أما سكون النفس فهو أن يهان الانسان دون أن تضطرب نفسه أو يتسرب الى قلبه الغضب » .

+ قيل عنه : انه لما رسم قسا ألبسوه ثوب الخدمة الأبيض فقال له أحد الأساقفة : ها أنت قد صرت كلك أبيض يا أنبا موسى . فقال : « ليت ذلك يكون من داخل كما من خارج » .

+ أراد رئيس الأساقفة أن يمتحنه فقال للكهنة : « اذا جاء أنبا موسى الى المذبح اطرده لنسمع ماذا يقول » فلما دخل انهروه وطردوه قائلين له : « اخرج يا اسود . الى خارج الكنيسة » . فخرج أنبا موسى وهو يقول : « حسنا فعلوا بك يارمادى اللون يا أسود الجلد . وحيث أنك لست بانسان فلماذا تحضر مع الناس ؟ »(١) .

٢ ـ هروبه من المجد الباطل :

سمع حاكم المنطقة يوما بفضائل القديس موسى وأراد ان يراه فاتخذ طريقه الى شيهيت فعلم الآب القديس (وكان متقدما فى السن) بهذه الزيارة ، ولكى يهرب من المجد الباطل اختبأ وسط البوص فى المستنقع ، وفى طريقه تقابل مع الحاكم وحاشيته الكريمة ، فقال له الحاكم : « أيها الرجل العجوز هل يمكن ان تعلمنى أين توجد قلاية الآب موسى » فرد عليه : « وماذا تريد اذن ان تسأله فهو

---

(١) ليس المقصود طبعا أن الرهبان كانوا يعيرون أو يحترمون أحدا بسبب جسمه أو أصله . ولكن هذا الكلام هنا لتجربته واظهار وداعته .

رجل متقدم فى الأيام وغير مستقيم » ؟.. فسبب هذا الحديث قلقا للحاكم واستمر فى طريقه وقرع باب الدير حيث كان الاخوة ينتظرونه ، فقال لهم : « يا آبائى لقد سمعت كلاما كثيرا عن الأب موسى ، وجئت للصحراء لكى أراه ، وعلى مسافة من هذا المكان تقابلت عند المستنقع مع عجوز وسألته أين قلاية الأب موسى فرد على أن فى الذهاب اليه مشقة كبيرة ، وهو رجل عجوز غير مستقيم .. » وكان لهذه الكلمات وقع كبير فى نفوس الجميع ، فأخذوا يصرخون ويحتجون بشدة من ترى يكون هذا العجوز الضعيف العقل هكذا حتى يتكلم بهذه الطريقة عن الأب القديس المكرم فى كل شيهيت ، فقال الزائر العظيم انه عجوز ضئيل الجسم يلبس ملابس طويلة وبالية جدا ووجهه أسمر من الشمس ، وله ذقن بيضاء طويلة ونصف رأسه خال من الشعر ، وعند ذلك فهموا السر ، فقد كان الحاكم قد تقابل مع الأب موسى نفسه وتصنع ذلك ووصف نفسه بالكلمات المذكورة ، فرجع الحاكم متأثرا جدا .

٣ ـ زهده :

حدث أن قوما أتوا اليه من مصر وكان موضوعا على المائدة ثعبان مشوى ، ولما حان وقت الغذاء وأراد الاخوة أن يأكلوا منعهم القديس قائلا : « لا تقربوا هذا يا اخوتى فانه وحش شرير » فقالوا له : « لماذا فعلت هكذا يا أبانا ؟ » فقال لهم : « يا اخوتى ان هذه النفس المسكينة اشتهت سمكا ففعلت هذا كى ماأكسر شهوتها الرديئة » ، فتعجب الاخوة كثيرا ومجدوا الله الذى أعطى قديسه هذه النعمة العظيمة .

٤ ـ فاعلية صلاته :

قيل عن أنبا موسى : انه لما عزم على الاقامة فى الصخرة تعب ساهرا . فقال فى نفسه كيف يمكننى أن أجد مياها لحاجتى ها هنا . فجاءه صوت يقول له : ادخل ولا تهتم بشىء . فدخل وفى أحد الأيام زاره قوم من الآباء ولم يكن له وقتئذ سوى جرة ماء فقط . فأعد عدسا يسيرا ، فلما نفذ الماء حزن الشيخ وصار يخرج ويدخل ثم يخرج ويدخل هكذا .. وهو يصلى الى الله . واذ بسحابة ممطرة قد جاءت فوقه حيث كانت الصخرة . وسرعان ما تساقط المطر فامتلأت اوعيته من الماء . فقال له الآباء : لماذا كنت تدخل وتخرج ؟ فأجابهم وقال : كنت أصلى الى الله قائلا : انك أنت الذى جئت بى الى هذا المكان وليس عندى ماء ليشرب عبيدك . وهكذا كنت أدخل وأخرج مصليا لله حتى أرسل لنا الماء .

٥ ـ اخفاء تدبيره وحفظه وصية المسيح :

حدث مرة أن أعلن فى الاسقيط أن يصام أسبوع وتصادف وقتئذ أن زار الأنبا موسى اخوة مصريون . فأصلح لهم طبيخا يسيرا . فلما أبصر القاطنون بجواره الدخان اشتكوا لخدام المذبح قائلين : هوذا موسى قد حل الوصية اذ أعد طبيخا . فطمأنهم أولئك قائلين : بمشيئة الرب يوم السبت سوف نكلمه . فلما

كان السبت وعلموا السبب قالوا لأنبا موسى أمام المجمع : « أيها الأب موسى ، حقا لقد ضحيت بوصية الناس فى سبيل اتمام وسية الله »(١) .

٦ ـ جلوسه فى القلاية وصبره على أحزانها :

+ قيل أن الأب الكبير الأنبا موسى الأسود قوتل بالزنا قتالا شديدا فى بعض الأوقات . فقام ومضى الى انبا ايسيذورس وشكا له حاله فقال له : ارجع الى قلايتك . فقال أنبا موسى : انى لا أستطيع يا معلم . فصعد به الى سطح الكنيسة وقال له : انظر الى الغرب فنظر ورأى شياطين كثيرين ، يتحفزون للحرب والقتال ثم قال له : أنظر الى الشرق فنظر ورأى ملائكة كثيرين يمجدون الله . فقال له : أولئك الذين رأيتهم فى الغرب هم محاربونا . أما الذين رأيتهم فى الشرق فانهم معاونونا . ألا نتشجع ونتقو اذن ما دام ملائكة الله يحاربون عنا ؟ فلما رآهم أنبا موسى فرح وسبح الله ورجع الى قلايته بدون فزع .

+ قيل أضاف أنبا موسى أخا فطلب منه كلمة فقال له : امض واجلس فى قلايتك والقلاية سوف تعلمك كل شىء .

٧ ـ فضائله :

عطفه على الخطاة وعدم ادانته لهم :

قيل : أخطأ اخ فى الاسقيط يوما فانعقد بسببه مجلس لادانته وأرسلوا فى طلب أنبا موسى ليحضر . فأبى وامتنع عن الحضور . فأتاه قس المنطقة وقال : « ان الآباء كلهم ينتظرونك » فقام وأخذ كيسا مثقوبا وملأه رملا وحمله وراء ظهره وجاء الى المجلس . فلما رآه الآباء هكذا قالوا له : ما هذا أيها الأب ؟ فقال : « هذه خطاياه وراء ظهرى تجرى دون أن أبصرها ، وقد جئت اليوم لادانة غيرى عن خطاياه » . فلما سمعوا ذلك غفروا للأخ ولم يحزنوه فى شىء .

+ اعتادوا القول ان وجه « أنبا بموا » كان مثل الضياء تماما ، كما أخذ موسى مجدا شبه آدم ولمع وجهه وكان مثل ملك مستو على عرشه ، كذلك كان الحال مع أنبا سلوانس وأنبا صيصوى .

استشهاده

+ بينما كان الاخوة جالسين بالقرب من القديس موسى فى احدى المناسبات قال لهم :

« سوف يقبل البربر اليوم الى البرية « الاسقيط » ، قفوا ، اهربوا » ، قالوا له : ألا تريد أنت الهرب يا أبانا ؟ أجابهم : طوال هذه السنين وأنا أنتظر هذا اليوم لكى يتم قول فادينا الذى قال : « الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون مت ٢٦ : ٥٢ » قالوا : « نحن أيضا لا نهرب ولكن نموت معك » فأجاب وقال لهم : « هذا ليس شأنى انما رغبتكم ، ليهتم كل انسان بنفسه فى الموضع الذى

(١) « وصية جديدة انا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم انا » (يو ١٣ : ٣٤)

يسكن فيه » وكانوا سبعة اخوة . وبعد برهة من الزمن قال لهم : « هوذا البربر يقتربون الى الباب ، فدخل البربر وقتلوهم ولكن واحدا(١) منهم كان خائفا هرب بين الحصير ورأى سبعة تيجان نازلة من السماء توجت السبعة الذين ذبحوا ».

* * *

أقوال القديس فى الفضائل والرذائل

خوف الله يطرد جميع الرذائل والضجر يطرد خوف الله . كما يفعل السوس فى الخشب كذلك تفعل الرذيلة فى النفس .

+ ستة أشياء تدنس النفس والجسد :

المشى فى المدن . اهمال العينين بلا حفظ ـ التعرف بالنساء ـ مصادفة الرؤساء ـ محبة الأحاديث الجسدانية ـ الكلام الباطل .

+ أربعة يجب أقتناؤها :

الرحمة . غلبة الغضب . طول الروح . التحفظ من النسيان .

+ أربعة يحتاج اليها العقل كل ساعة :

الصلاة الدائمة بسجود قلبى ـ محاربة الأفكار ـ أن تعتبر ذاتك خاطئا ـ الا تدين أحدا .

+ أربعة عون الراهب الشاب :

الهذيذ فى كل ساعة فى ناموس الله ـ مداومة السهر ـ النشاط فى الصلاة ـ الا يعتبر نفسه شيئا .

+ أربعة تؤدى الى الزنى :

الأكل والشرب ـ الشبع من النوم ـ البطالة واللعب ـ التزين بالملابس .

+ أربعة مصدر ظلمة العقل :

مقت الرفيق ـ الازدراء به ـ حسده ـ سوء الظن به .

+ أربعة أمور بها يتحرك فى الانسان الغضب :

الأخذ والعطاء ـ اتمام الهوى ـ محبته فى أن يعلم غيره ـ ظنه فى نفسه انه عاقل .

---

(١) روت المخطوطة ٣٥٧ طقس بالمتحف القبطى « ان هذا الأخ الذى هرب واختفى ، أبصر ملاك الرب والأكاليل بيده وللوقت خرج مسرعا أمام البربر ونال اكليل الحياة من يد الملاك » .

+ **أربعة تقتنى بصعوبة :**

البكاء ـ تأمل الانسان فى خطاياه ـ جعل الموت بين عينيه ـ أن يقول فى كل أمر « أخطأت » ، « اغفر لى » .

ومن يحرث ويتعب فانه يخلص بنعمة ربنا يسوع المسيح .

* * *

أقوال القديس عن العقل

١ ـ جودته :

ثلاثة أشياء تكون من جودة العقل : الايمان بالله . والصبر على كل محنة ، وتعب الجسد حتى يذل .

٢ ـ فرحه :

ثلاثة أمور يفرح بها العقل : تمييز الخير من الشر ، التفكير فى الأمر قبل الاقدام عليه ، والبعد عن المكر .

٣ ـ استنارته :

ثلاثة اشياء يستنير بها العقل : الاحسان الى من أساء اليك ، والصبر على ما ينالك من أعدائك ، وترك النظر أو الحسد لمن يتقدمك فى الدنيا .

٤ ـ تطهيره :

ستة أشياء يتطهر بها العقل : الصمت ، حفظ الوصايا ، الزهد فى القوت ، الثقة بالله فى كل الأمور مع ترك الاتكال على أى رئيس من رؤساء الدنيا ، قمع القلب عن الفكر الردىء وعدم استماع كلام الأغنياء ، والامتناع عن النظر الى النساء

٥ ـ ما يحارب العقل :

ثلاثة أمور تحارب العقل : الغفلة ـ الكسل ـ ترك الصلاة .

أقوال القديس عن النفس

١ ـ حفظ النفس :

أربعة تحفظ النفس : الرحمة لجميع الناس ـ ترك الغضب ـ الاحتمال ـ اخراج الذنب وطرحه من القلب بالتسبيح .

٢ ـ ظلام النفس يأتى من :

المشى فى المدن والقرى ـ النظر الى مجد العالم ـ الاختلاط بالرؤساء فى الدنيا .

٣ ـ عمى النفس ... يأتى من :

البغضه لأخيك ـ الإزدراء بالمساكين خاصة ـ الحسد والوقيعة .

٤ ـ هلاك النفس .. يأتى من :

الجولان من موضع الى موضع ـ محبة الاجتماع بأهل الدنيا ـ الاكثار من الترف والبذخ ـ كثرة الحقد فى القلب .

أمور تولد النجاسة :

تتولد من الشبع من الطعام ـ السكر من الشراب ـ كثرة النوم ـ نظافة البدن بالماء والطيب وتعاهد ذلك كل وقت .

أمور تولد الغضب :

المعاملة ـ المساومة ـ الانفراد برأيك فيما تهواه نفسك ـ عدولك عن مشورة الآخرين ـ واتباع شهواتك .

الحفظ من الفكر الردىء :

يأتى من : القراءة فى كتب الوصايا ـ طرح الكسل ـ القيام فى الليل للصلاة والابتهال ـ التواضع دائما .

الوصول للملكوت :

يساعد عليه : الحزن والتنهد دائما ـ البكاء على الذنوب والآثام ـ انتظار الموت فى كل يوم وساعة .

قال الكتاب المقدس

+ « **اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق** »

(لو ١٣ : ١٤)

+ « .. لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين . لأنكم ان فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا . لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول الى مكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيخ الأبدى » .

(٢ بط : ١٠ ، ١١)

الأنبا زكريا

سيرته وتعاليمه

كيف صار شبه الملائكة : « طهارة الحقيقية »

رهبتـه :

كان لرجل اسمه قاريون ولد صغير اسمه زكريا ، هـذا أتى الى الأسقيط وترهب به ومعه ابنه . وقد ربى ابنه هناك وعلمه بما ينبغى . وكان الصبى جميل الخلقة ، وحسن الصورة جدا . فلما شب حدث بسببه تذمر بين الرهبان. فلما سمع الوالد بذلك قال لابنه : يا زكريا هيا بنا نمضى من هاهنا لأن الآباء قد تذمروا بسببك ، فأجاب الصبى أباه قائلا : يا أبى ان الكل هاهنا يعرفون أنى ابنك ولكن ان مضينا الى مكان آخر ، فلن يقولوا انى ابنك ، فقال الوالد : هيا بنا يا ابنى نمضى الآن فان الآباء يتذمرون بسببنا .

وفعلا قاما ومضيا الى الصعيد ، وأقاما فى قلاية ، فحدث سجس كذلك ، فقام الاثنان ومضيا الى الأسقيط ثانية ، فلما أقاما أياما عاد السجس عينه فى أمر الصبى .

لما رأى زكريا ذلك مضى الى غدير ماء معدنى (كبريتى) وخلع ملابسه وغطس فى ذلك الماء حتى أنفه ، وأقام غاطسا عدة ساعات منفخا ، فتشوه وتغيرت ملامحه ، فلما لبس ثيابه وجاء الى والده لم يتعرف عليه الا بصعوبة .

حدث ان مضى بعد ذلك الى الكنيســة لتنــاول الأسرار فعرفه القس ايسيذورس ، وعندما رآه هكذا تعجب مما فعله وقال :

ان زكريا الصبى جاء فى الأحد الماضى وتقرب على أنه انسان . أما الآن فقد صار شبه ملاك .

المرشـد الروحى :

ودفعة عندما كان أنبا زكريا ساكنا فى الاسـّقيط ظهرت له رؤية من الله . فنهض وجاء الى أبيه ، أنبا قاريون ، وكان الشيخ كاملا ، ولم يأل جهـدا فى أن يفاخر بهذه الأمور بل نهض وضربه قائلا : « هذه الرؤية من الشياطين » . وعندما فكر فى الأمر طويلا قام ومضى ليلا الى أنبا بيمين ، وأعلمه بالأمر ، وكيف كانت أفكاره تلتهب فى قلبه . فعلم الشيخ أن الأمر هو من الله ، وقال له : « امض الى ذاك الشيخ . وافعل كل ما يوصيك به » . ولما مضى الى ذاك الشيخ ، وقبل أن يخاطبه بشىء ، قال له الشيخ : « ان الرؤية من الله ، ولكن امض واخضـع الى أبيك » .

فضـــائله

اتزان عقله وسكونه :

قال أنبا قاريون : انى بذلت أتعابا كثيرة بجسدى لكنى لم أصل الى رتبة ابنى زكريا فى اتزان العقل والسكون .

تعـــاليمه

ما هو الراهب الحقيقى :

سأل الأب مقاريوس الكبير مرة زكريا وهو مازال فى حداثة سنه قائلا : قل لى : « يا زكريا ما هو الراهب الحقيقى ؟ »

قال له زكريا : يا أبى أتسألنى أنا ؟! قال له الشيخ : نعم يا ابنى زكريا ، فان نفسى متيقنة بالروح القدس الذى فيك ، ان شيئا ينقصنى يلزم أن أسألك عنه .

فقال له الشاب : « ان الراهب هو ذلك الانسان الذى يرذل نفسه ويجهد ذاته فى كل الأمور » .

كيف يخلص الراهب :

قيل : أتى أنبا موسى مرة ليستقى ماء فوجد أنبا زكريا على البئر يصلى وكان ممتلئا من روح الله . فقال له : يا أبتاه قل لى ماذا أصنع لأخلص . فما أن سمع الحديث حتى انطرح بوجهه عند رجليه وقال له : يا أبى لاتسألنى أنا . قال أنبا موسى : صدقنى يا ابنى زكريا انى أبصرت روح الله حالا عليك ولذلك وجدت نفسى مسوقا من نعمة الله أن أسألك فتناول زكريا قلنسوته ووضعها عند رجليه وداسها ، ثم رفعها ووضعها فوق رأسه وقال : ان لم يصر الراهب هكذا منسحقا فلن يخلص .

الســكوت :

لما حضرت أنبا زكريا الوفاة سأله أنبا موسى قائلا : أى الفضائل أعظم ياابنى . فأجابه على ما أراه يا أبتاه ، ليس شىء أفضـل من الســكوت . فقال له : حقـا يا ابنى بالصواب تكلمت .

نياحتـه :

وفى وقت خروج روحه كان أنبا ايسيذورس القس جالسا فنظر الى السماء وقال : اخرج يا ابنى زكريا فان أبواب ملكوت السموات قد فتحت لك .

* * *

الأنبا يوحنا القصير

من سيرة القديس :

اسمه يؤنس القصير ولوأنه فى الحقيقة – كما سنرى – كبير عظيم فى الرهبان جدا .

١ – جهاده الروحى :

أ – طاعته وتلمذته لمعلمه

مضى القديس يوحنا القصير الى شيخ يدعى أنبا بموا كان مقيما فى البرية وتتلمذ له . وحدث أن معلمه دفع اليه غصنا يابسا وأمره أن يغرسه ويسقيه كل يوم بجرة ماء . وكان الماء بعيدا عنهما ، فكان يمضى فى العشية ويجىء فى الغد ، وبعد ثلاث سنين اخضر الغصن وأعطى ثمرة ، فجاء بها الى الشيخ ، الذى جاء بها الى الكنيسة وقال للاخوة « خذو كلوا من ثمرة الطاعة » .

كانت لهذا القديس طاعة عظيمة لأبيه فقد حدث أيضا أنه كان يوجد فى تلك الأماكن مقابر ، وكانت تسكنها ضبعة ضارية ، واذ رأى الشيخ هناك قلة (يمانية) ، سأل يوحنا أن يمضى ويأتى بها فقال له : « وماذا أصنع بالضبعة يا أبتاه ؟ » ، فقال له الشيخ : « ان أقبلت الضبعة نحوك ، فاربطها وقدها الى هنا » ثم مضى الأخ وكان الوقت مساء ، فلما أقبلت الضبعة نحوه ، تقدم اليها ، فهربت ، فتعقبها قائلا : « ان معلمى طلب الى أن أمسكك وأربطك ، فوقفت ، فأمسك بها وربطها . وأقبل بها نحو الشيخ ، وكان الشيخ وقتئذ جالسا منتظرا مفكرا . فلما أبصره تعجب كيف أمكنه احضار الضبعة ، واذ أراد أن يحفظه من الكبرياء ضربه قائلا : « لقد طلبت منك أن تحضر لى الضبعة ، فتمضى وتأتينى بكلب » ، وللوقت حلها واطلقها .

مرض معلمه ونياحته :

كان الأب يوحنا القصير وهو شاب تلميذا للأنبا بموا وقد استمر فى خدمة معلمه الشيخ أثناء مرضه مدة اثنتى عشرة سنة وكان يرقد بجواره على الفراش ليستند عليه الشيخ فى قيامه ورقاده ولشدة مرضه كان يبصق فكان يقع البصاق على تلميذه يوحنا الذى تعب معه كثيرا . وفى كل هذه المدة لم يسمع منه كلمة شكر . ولما دنت وفاة الشيخ . واجتمع حوله الشيوخ أمسك بيد تلميذه وبارك عليه وسلمه اليهم قائلا : « هذا ملاك وليس انسانا » .

ب – نقاوته

أتى الى قلايته أحد الشيوخ فوجده نائما فى حر النهار وملاكا واقفا عنده يروح عليه . فانعزل عنه منصرفا . فلما استيقظ قال لتلميذه : أتى الى هنا

انسان وأنا نائم ، فقال له : « نعم ، فلان الشيخ » فعلم حينئذ أن ذلك الشيخ معادل له وأنه أبصر الملاك (١) .

وقيل عنه انه اذا أبصر انسانا أخطأ كان يبكى بكاء شديدا ، ويقول : « ان هذا أخطأ اليوم ولكنه ربما يتوب . أما أنا فانى أخطىء غدا وربما لا أعطى مهلة كى أتوب هكذا يجب أن نفكر ولا ندين أحدا » . ولهذا كان يسافر الى مسافات بعيدة لهداية الخطاة .

القديس يطلب هداية الخطاة :

علم من شيوخ البرية عن ارتداد بائيسة(٢) التى ولدت فى منوف من أبوين غنيين . ولما توفيا جعلت منزلها مأوى للغرباء والمساكين ، واجتمع بها قوم ارديا‌ء واستمالوا قلبها الى الخطية . حتى جعلت بيتها ماخورا تقبل فيه كل الأثمة . فاتصل خبرها بشيوخ شيهيت القديسين فحزنوا حزنا عميقا وطلبوا الى القديس يوحنا القصير أن يمضى اليها ويساعدها على خلاص نفسها . فذهب القديس حالا بعد أن طلب منهم أن يصلوا لأجله . ولما وصل الى بيتها قال للبوابة : أعلمى سيدتك بقدومى فلما أعلمتها تزينت واستدعته . فدخل وهو يرتل قائلا : « اذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معى » (مر ٢٣ : ٤) ولما جلس نظر اليها وقال : لماذا استهنت بالمسيح فاديك وأتيت هذا المنكر ؟ فارتعدت وذاب قلبها من تأثير كلام القديس . ثم أحنى رأسه الى الأرض وبكى . فسألته ما الذى يبكيك ؟ فأجابها لأنى أعاين الشياطين تلعب على وجهك ولهذا أنا أبكى عليك . فقالت : وهل لى توبة ؟ أجابها : نعم ولكن ليس فى هذا المكان . ثم أخذها الى البرية ولما أمسى النهار نامت والقديس نام بعيدا عنها . ثم وقف القديس ليصلى صلاة نصف الليل فرأى عامود نور نازلا من السماء . وملائكة الله يحملون روحها . فاقترب منها فوجدها قد ماتت . فسجد الى الأرض وصلى صلاة طويلة بسببها فسمع صوتا يقول : ان توبة بائيسة قد قبلت وقت توبتها لأنها تابت بقلبها توبة خالصة . وبعد أن دفن جسدها وصل الى ديره وأعلم الشيوخ فمجدوا الله الذى لا يشاء موت الخاطىء .

ج ـ تعليمه للاخوة وسعة قلبه

+ مضى اليه أخ من الاسقيط عمال بالجسد ولكنه لا يحفظ الأفكار فسأله عن النسيان فسمع منه قولا ورجع الى قلايته فنسى القول فعاد أيضا اليه فسمع منه القول أيضا بعينه فلما عاد الى قلايته نسى القول أيضا . فصنع هكذا دفعات كثيرة . وعند ذلك لقى الشيخ فقال له : « يا أبتاه اننى قد نسيت الذى قلت لى . وأنا ما اسبحك بعد ولا أرجع اليك » . فقال له أنبا يوحنا « قم واوقد سراجا » فعمل كما أمره . فقال له :« احضر سراجا آخر واوقده منه » فصنع أيضا كذلك فقال له أنبا يوحنا : « لعل السراج نقص أو أن ضررا ناله بايقادك منه السرج الكثيرة ؟! » فقال له : «ما نقص شيئا » فأجابه الشيخ قائلا : « هو هكذا المسكين

(١) ٢٨٠ ميامر ص ٨ .

(٢) ذكرها السنكسار تحت تذكار اليوم الثانى من شهر مسرى

يوحنا لو جاء اليه جميع أهل الاسقيط لما انقصوه من نعمة الروح القدس . وانت متى أردت فهلم الى ولا تشك فى بشىء » هكذا رفع عنه النسيان وكذلك كان عمل شيوخ الاسقيط يعطون نشاطا للمقاتلين ويكلفونهم بعمل الوصايا لكى يربحوا بعضهم بعضا(١) .

+ وحدث مرة أنه كان جالسا مع الاخوة أمام الكنيسة وكان كل واحدمنهم يكشف له أفكاره . فنظره أحد الشيوخ وامتلأ حسدا عليه ، فقال : « يا يوحنا انك ممتلىء سحرا » فقال : « الأمر هكذا كما تقول يا أبتاه ولكنك بنيت حكمك هذا على ما نظرته فى الظاهر ، فما عساك كنت تقول لو علمت بالخفاء » .

+ كان جالسا فى الأسقيط وقد أحدق به الاخوة يكشفون له أفكارهم فلما رآه : أحد الشيوخ قال له : يا يوحنا . لقد زينت ذاتك كالزانية التى تكثر من عشاقها . فصنع له مطانية قائلا : « حقا قلت يا أبتاه » وبعد ذلك سأله . الاخوة ان كان قد اضطرب من داخل ، فقال : « ما اضطربت البتة ،لكن كما كان خارجى كذلك كان باطنى » .

+ ودفعة سأله بعض الآباء قائلين : « ما هى الرهبنة ؟ فقال : » تعب الجسد ومقاتلة البطن » .

+ وبينما هو ذاهب مرة الى البيعة قابله أحد الشيوخ وقال له : ليس هذا وقت العبادة فارجع الى مكانك يا قصير (تعبيرا وتقريعا) وطرده فعاد الى قلايته دون أن ينطق بكلمة . فتبعه الشيخ ومن معه ليروا ماذا يفعل . وعلى أثر دخوله لقلايته خرجت منها رائحة بخور وسمعوا من يقول له : « احفظ نفسك يا يوحنا وداوم التواضع لتكون خليلا لابن الله لأن النعمة يعطيها الله لمستقيمى القلوب ولا يعوزهم شيء من الخير » . وكان يوحنا يقول آمين الليلويا . المجد والكرامة والقدرة والملك الدائم لالهنا القادر الى دهر الداهرين . فتعجب الشيخ ومن معه مما سمعوا ومجدوا الله . فادخلوا القديس للبيعة بكرامة عظيمة وكانوا يقولون لبعضهم « حقا ان يوحنا أعطى من الله اكثر منا لأنه بتول طاهر » .

د ـ حكمته وافرازه

+ أكل دفعة مع آباء الاسقيط ، فقام أحد الشيوخ وكان قسا كبيرا ليسقيهم الماء فلم يقبل منه الا يوحنا القصير . فتعجبوا منه وقالوا له : « كيف وانت أصغر الاخوة جسرت على أن يخدمك مثل هذا الشيخ الكبير ؟! » فقال : « انا ان كنت فى خدمة وأردت أن أناول أحد الاخوة كوز ماء افرح بالذى يبادر ويأخذ منى ليصير لى الأجر . فلذلك قبلت انا من الشيخ ذلك لاكمل أجره » وبدلا من أن يخجل لأنه لم يقبل منه أحد شيئا (٢) .

فلما سمعوا انتفعوا من افرازه .

+ مرة كان الأب يوحنا صاعدا من الاسقيط مع الاخوة فضل مرشدهم عن الطريق لأنه كان ليلا . فقال الاخوة لأنبا يوحنا : ماذا نصنع لأن الأخ قد ضل

---

(١) و (٢) ٢٨٠ ميامر ص ٧

الطريق ؟ فقال لهم : ان قلنا له شيئا حزن واستحى ، فالأفضل ان أتظاهر بأنى مريض وأقول : « انى لن أستطيع المشى لأنى فى شدة ، وبذلك نجلس الى الغد » . فلما أعلن لهم رأيه هذا وافقوا وقالوا : ونحن أيضا نجلس معك ، وفعلا جلسوا .

هـ ـ تأمله الدائم فى الالهيات وتحرره من القيود

+ مرة جاءه جمال ليحمل أوعيته . فلما دخل ليحضر له الضفائر نسيها لأنه كان مشغولا بالتأمل فى المناظر المعقولة الالهية ـ وقرع الجمال الباب فخرج اليه ونسى مرة أخرى ـ فقرع مرة ثالثة ، فخرج اليه ثم دخل وهو يقول : الضفائر للجمال . الضفائر للجمال) .

+ ومرة جاء اليه بعض الاخوة ليأخذوا منه (قففا) فقرع أحدهم ، فخرج اليه وقال له : ماذا تطلب أيها الأخ ؟ فأجابه : (قففا) . فتركه ودخل وجلس يخيط . فقرع أخ آخر فخرج اليه وقال : ماذا تريد أيها الأخ ؟ فقال له : هات لى قفة يا أبتاه ، فدخل وجلس يخيط ونسى من فرط تأملاته . ثم ان الأخ قرع مرة أخرى فخرج اليه وقال ماذا تريد يا أخى ؟ فقال : « القفف ، أيها الأب » فأمسكه بيده وأدخله الى القلاية وقال : ان كنت تريد قفة فخذ ما تريده فانى مشغول فى هذه الساعة .

+ وقيل عنه : انه ضفر فى بعض الأوقات ضفيرة تصلح لعمل زنبيلين ، لكنه خاطها زنبيلا واحدا ولم يعلم بذلك الا عندما وصل الى آخر الضفيرة ، وذلك لأن فكره كان مشغولا بالمناظر الالهية .

٢ ـ انتصاراته الروحية :

قال : أنا أشبه انسانا جالسا تحت شجرة عظيمة ، ينظر الى الوحوش والذئاب وهى مقبلة نحوه ، فاذا لم يستطع ملاقاتها يهرب صاعدا فوق الشجرة لينجو منها . هكذا أنا جالس فى قلايتى أبصر الأفكار الخبيثة تأتى الى فاذا لم أستطع صدها هربت الى الله بالصلاة ونجوت .

انتصاره على الغضب :

+ قال : انى كنت ماضيا مرة فى طريق الاسقيط ومعى (القفف) محمولة على جمل وفجأة أبصرت الجمال وقد تحرك فيه الغضب ، فتركت كل ما كان لى وهربت .

+ ومرة أخرى كان فى الحصاد فأبصر أخا قد غضب على آخر فهرب وترك الحصاد .

+ وجاء مرة الى الكنيسة فسمع مجادلة فى الكلام بين الاخوة فرجع الى قلايته ودار حولها ثلاث دورات ثم عاد ودخل فيها ، فسألوه لماذا فعلت ؟ فقال : ان صوت المجادلة كان لا يزال فى أذنى فقلت أخرجه من اذنى قبل أن أدخل قلايتى كى يكون عقلى داخل القلاية نقيا .

تجلده فى الصلاة :

كان منفردا فى جب جاف وكان بغير انزعاج فى مخاطبة الله بالصلاة ، وكان الشيطان يظهر له فى هيئة تنين عظيم يطوقه حول حلقة وينهش فى لحمه وينفخ فى وجهه بغير شفقة .

احتماله الضيقات :

قال أنبا بيمن عن انبا يوحنا القصير ، انه طلب الى الله فرفع عنه الآلام وصار بلا هم ، فلما توجه الى الشيخ قال له « ها انا كما ترانى يا أبى مستريحا ، وليست لى أشياء تقاتلنى بالجملة » . فقال له الشيخ : « امض اسأل الله ان يرجع اليك القتال ، لأنه بالقتال تنجح النفس وتفوز » ، فلما جاءه القتال ، لم يصل كى يرتفع عنه ، بل كان يقول : « اعطنى يا رب صبرا على الاحتمال » .

٣ ـ أحاديثه

+ مرة كان الاخوة جلوسا يأكلون على المائدة فى (أغابى) فضحك أحدهم ، فنظر اليه وبكى قائلا :

« ترى ماذا خطر ببال هذا الأخ حتى انه ضحك هكذا ، مع أنه كان يجب عليه البكاء ، لأنه يأكل طعام الصدقة » .

+ ومرة أخرى جاء اليه اخوة ليجربوه لأنه ما كان يسمح لفكره بحديث بشرى ولا كان يتلفظ بشىء من امور العالم . فقالوا له : الشكر لله يا ابانا ، أن هذه السنة أمطرت أمطارا كثيرة . وقد شرب النخل وروى وها هو يخرج السعف ليجد الاخوة حاجتهم منه لعمل أيديهم .. أما هو فقال لهم : « ان نعمة الروح القدس اذا ما حلت فى عقل انسان أروته وجددته ليخرج اثمارا تصلح لعمل الله » .

حديثه مع اخيه الأكبر :

حدث مرة ان قال لأخيه الأكبر : انى اود ان اكون بغير هم مثل الملائكة ، لأنه لا اهتمام لهم ولا شىء يعملونه سوى انهم يتعبدون لله دائما . ثم نزع ثوبه وخرج عاريا الى البرية ، فأقام أسبوعا ثم عاد الى أخيه ، فلما قرع الباب عرفه أخوه فقبل أن يفتح له الباب قال له : من انت ؟ فقال : انا يوحنا اخوك . أجابه : ان يوحنا أخى قد صار ملاكا وليس هو من الناس الآن . فرد عليه قائلا : أنا هو أخوك ، فلم يفتح له الباب وتركه الى الغد ، حيث فتح له وقال : اعلم الآن انك انسان محتاج الى عمل وغذاء لجسدك ، فصنع له مطانية واستغفر منه .

٤ ـ اصوامه :

وقد بلغ الزهد به حدا انقطع معه عن كل طعام وشراب أسبوعا مستمرا واذا أكل لا يشبع خبزا وكان يردد قول معلمه : « لا تتكل على برك ولا تصنع أمرا تندم عليه وامسك لسانك وبطنك وقلبك » .

٥ ـ عمل اليدين وعطفه على الفقراء :

كان القديس فى أوقات الفراغ من صلاته وتأملاته يعمل فى صناعة السلال وذلك ليحصل على معيشته ومعيشة الاخوة الذين معه والفقراء الذين يفدون اليه.

+ خرج مرة من قلايته ومعه سلال ليبيعها فى الريف فقابله جمال فى الطريق وطلب اليه أن يسلمه القفاف ليحملها عوضا عنه . فأعطاها له وسار وراءه فى الطريق ، ثم سمع الجمال يغنى بأغان عالمية بذيئة ورأى حوله شياطين ، فترك السلال وعاد الى البرية .

+ وكانت العادة فى زمن الحصاد أن ما يجمعه الشيوخ يحتفظون بنصفه والنصف الآخر يوزع للمحتاجين . أما القديس يوحنا فكان يعطى الكل ولا يبقى لذاته شيئا .

+ سأله الاخوة مرة قائلين : يا أبانا هل يجب أن تقرأ المزامير كثيرا . فرد قائلا : ان الراهب لا تفيده القراءة والصلوات ما لم يكن متواضعا محبا للفقراء والمساكين .

٦ ـ شفاء المرضى ومعرفة الخفايا :

+ ذهب القديس مرة الى أحد الحقول فى زمن الحصاد ليجمع شيئا فقابله فلاح مصاب بمرض البرص وطلب منه أن يشفيه فأخذ القديس ماء وصلى عليه ورشمه باسم الثالوث الأقدس فشفى الرجل ومضى ممجدا الله .

+ ثم بعد قليل جاءته امرأة بها شيطان ردىء يعذبها كثيرا فتحنن عليها ووقف الى جانبها يسأل الله من أجلها وحالا خرج منها الشيطان .

+ ومرة باع قففا واشترى بثمنها خبزا وفيما هو سائر فى الطريق أمسكته امرأة عجوز وطلبت اليه أن يعطيها خبزا لها ولابنها الأعمى الذى كاد أن يهلك جوعا . فأعطاها كل الخبز الذى معه ثم طلب اليها أن تقدم ابنها اليه ولما قدمته صلى قائلا : « أيها الرب الاله الواحد وحده الساكن فى السماء الذى بارادته نزل الى الأرض وخلص شعبه من خطاياهم وصنع الآيات والعجائب بين خليقته وأبرأ المرضى وشفى البرص وفتح أعين العميان . اسألك الآن من أجل هذا الفتى الواقف أمامك أن تعطيه نورا وبصرا » ورشم عينيه . فحالا أبصر فأخذته أمه بفرح ممجدة الله ومخبرة بصنع القديس الذى فتح عينى ابنها الأعمى وأعطاها الخبز .

+ وقد ميز الله صفيه يوحنا بمعرفة الخفايا فعندما كان يقدس الأسرار كان يعرف من يستحق التناول ومن لا يستحق ولهذا فان كثيرين تابوا ورجعوا لله بكل قلوبهم .

انتقال القديس

عند قرب انتقاله الى المكان الذى هرب منه الحزن والكآبة والم القلب ظهر له السيد فى رؤيا وأعلمه بهذا . وباكر الاحد جاءت اليه رتب الملائكة وطغماتها ولما رآهم القديس فرح كثيرا ووقف يصلى باسطا يديه ووجهه الى الشرق وأثناء

ذلك فاضت روحه الطاهرة ومضى الى النعيم الأبدى فى عشرين بابه وله من العمر سبعون سنة . وقد نال منزلة الملائكة الأطهار والرسل الأبرار . وحين عودة تلميذه للبرية رأى نفس أبيه الطوباوى بين صفوف الملائكة وأرواح القديسين ولما وصل الى قلاية معلمه وجده قد فارقالحياة فقبله وبكى كثيرا وكفنه بلفائف نقية. وذهب وأعلم السكان فأتوا وأخذوا الجسد الطاهر الى المدينة ولما وصلوا بها الى باب المدينة اذا شاب به روح نجس صرخ قائلا : « ارحمنى يا أبى القديس أنبا يحنس فانى فى عذاب شديد » . فحالا صرعه الشيطان وخرج منه وعوفى المريض.

ثم أتى انسان مفلوج ولمس الأكفان ووضع جزءا منها على جسده فللوقت شفى وخرج يمجد الله ويخبر بما صنعه الله باسم القديس .

ولما أدخلوا جسد القديس للكنيسة والجميع يبكون عليه ويتباركون منه ويضعون أكفانا أخرى اذا باعرج أتوا به وطرحوه على الأكفان فحالا شفى ووقف على رجليه وخرج أمام الجميع يشكر الله المجد فى قديسيه .

ثم بعد أن سبح الجماعة ورتلوا للرب بأصوات روحانية وضعوا الجسد فى تابوت من صاج وتركوه بجانب قديسين آخرين وهما أنبا اثناسيوس وانبا بيشاى وكانت تخرج من أجسادهم المقدسة قوة لشفاء كثيرين من أسقامهم صلواتهم جميعا تكون معنا ولربنا المجد دائما أبديا آمين .

الأب الكبير

الأنبا سرابيون

سيرته :

كان هذا القديس من أهل مصر من الآباء المشهورين بالفضل وكان يعرف (بالسبانى) لأنه كان فى كل زمانه يلبس (سبانية) وهى عبارة عن ثوب من كتان سميك . وما كان يمتلك شيئا البته حتى ولا عصا ولا حذاء ، سوى انجيلا صغيرا ، وكان فى كل أموره يفضل راحة قريبه على راحة نفسه ، وكان كاملا فى العبادة ، جيدا فى القراءة يتلو عن ظهر قلب كل كتب الله ، وكان يجول فى كل البرارى والمدن سعيا وراء اقتناء الفضائل وعمل الصالحات ، بحيث لا يبالى بشىء من أمور الدنيا حتى ولا بجسمه ، ولذلك بلغ كافة الفضائل التى أصبحت لديه كأمور طبيعية .

فضـائله :

١ ـ بساطته :

قيل عنه انه أراد مرة الذهاب الى رومية فأتى الى البحر وبتدبير الله وجد سفينة تريد الذهاب اليها فألقى بنفسه فيها ولم يكن معه وقتئذ لا خبز ولا دراهم ولا شىء البته ، فساروا خمسة أيام لم يأكل فيها ولم يشرب ، ولا كلمه انسان ،ولكنه كان جالسا صامتا فظن النواتيه أن دوار البحر منعه عن الأكل ، أما هو ففى الحقيقة لم يمنعه سوى العدم لأنه ما كان لديه شىء البته ، فسألوه : ما هو أمرك أيها الشيخ فانك لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ؟ فقال لهم ، ليس معى لا طعام ولا دراهم ولذلك فانى صائم ، أما صمتى فهذه سنة الرهبان ، فانهم يفضلون السكوت فلم يصدقوا أقواله وفتشوه ، ولما لم يجدوا معه شيئا تضجروا وانتهروه قائلين : من أين توافينا بالأجرة ؟ فقال لهم الشيخ ردونى من المكان الذى بدأت منه الركوب معكم ثم امضوا بعد ذلك بسلام : فقالوا له : أبعد أن سافرنا خمسة أيام تريدنا أن نرجع الى الوراء فتؤخرنا بذلك عشرة أيام دون أن نتقدم ، كما اننا لا نعلم ان كانت الرياح توافقنا كما الآن أم لا لأننا قطعنا مسافة طويلة لطيب الريح الذى لم نر مثله قط ، ولم يعلم القوم أن الله سهل طريقهم من أجله . أما هو فقال لهم : ان لم تردونى الى مكانى فهانذا بين أيديكم لأنه ليس لى ما أعطيكم ، وحدث بعد ذلك أنهم تحننوا عليـه ورحموه وأطعموه وأولوه جميلا .

٢ ـ القديس يطلب هداية الخطاة :

حدث مرة ان عبر الأب سرابيون على قرية من أعمال مصر فنظر امراة زانية قائمة على باب المخور . فقال لهم الشيخ : « انتظرينى عشية لأنى عازم على المجىء اليك لأقضى هذه الليلة بقربك » فأجابته : « حسـنا ياراهب حسـنا » فلما كان

المساء اتى اليها . وبعد أن اغلقت الباب قال لها : تمهلى قليلا لأنه لنا سنة لابد أن اعملها أولا : فابتدأ من أول (الأبصالتس) مرتلا ، وفى نهاية كل مزمور كان يقول : « يارب ارحم هذه الشقية وردها للتوبة لتخلص » ، فسمع الرب وخشع قلبها وكانت قائمة الى جانبه مرتعبة ومرتعدة ولفزعها سقطت على الأرض . فلما أكمل الشيخ الأبصالتس اجمع ، أقامها . فعلمت أنه جاء ليخلص نفسها . فطلبت اليه قائلة : اصنع محبة ياأبى وأوجد لى موضعا تضعنى فيه لأرضى الهى وارشدنى كيف أخلص فأخذها الشيخ الى دير العذارى وسلمها للرئيسة وقال لها : اقبلى هذه الأخت وافسحى لها المجال لتتدبر كما تشاء . فقبلتها ولما مكثت أياما يسيرة قالت : انا امرأة خاطئة والواجب على أن آكل فى كل يومين مرة واحدة. وبعد أيام قلائل قالت : انى فعلت خطايا كثيرة والواجب على أن آكل فى الأسبوع مرة . وبعد ذلك طلبت من الرئيسة فجعلتها فى قلاية صغيرة وسدت بابها عليها . وكانوا يناولونها طعامها وشغل يديها من طاقة ، وهكذا أرضت الله هناك بقية حياتها .

٣ ــ عطفه الشديد على المساكين :

ومرة مضى أنبا سرابيون الى الاسكندرية فوجد هناك انسانا مسكينا عريانا فى السوق فوقف يحدث نفسه قائلا : كيف وأنا الذى يقال عنى انى راهب صبور عمال ، أكون لابسا ثوبا ، وهذا المسكين عريان ، حقا ان هذا هو المسيح والبرد يؤلمه : وعندئذ وثب بقلب شجاع وتعرى من الثوب الذى كان يلبسه وأعطاه لذلك المسكين . ثم جلس هو عريانا والانجيل فى يده .. واتفق أن كان (البرخس) أى المحتسب مجتازا . فلما أبصره عريانا قال له : يا أنبا سرابيون من عراك ؟ فأشار الى الانجيل وقال : هذا هو الذى عرانى . فبعد ما كسوه قام من هناك ، فوجد انسانا عليه دين وهو معتقل من صاحب الدين . وحيث لم يكن لديه شىء يوفيه عنه باع الانجيل ودفع ثمنه للدائن ، ولما كان ماشيا لاقاه فى الطريق انسان يستعطى ، فأعطاه الثوب وجاء عريانا ، فدخل قلايته . فلما أبصره تلميذه هكذا قال له : يا معلم ، أين الثوب الذى كنت تلبسه ؟ أجابه قائلا : لقد قدمته ياولدى قدامنا حيث نحتاجه . فقال له أيضا « وأين انجيلك يا أبتاه الذى كنا نتعزى به » فقال له : « ياولدى لقد كان يقول لى كل يوم : « بع كل ما لك واعطه للمساكين . فبعته » .

٤ ــ أنبا سرابيون رجل المعجزات :

(أ) اقامة الميت :

حدث أن كان لانسان ولد . ومات هذا الولد ، فأخذه الى الشيخ ووضعه قدامه على وجهه واذ خاف أن يطلب من القديس اقامته من الموت لئلا يرفض اتضاعا ضرب مطانية وتراجع قليلا ولم يعرف الشيخ أن الصبى ميت . وظن أنه ساجد له وانتظر ليقوم فلم يقم ، فقال له : قم يا ولدى الرب يبارك عليك فقام الصبى حيا ، فأخذه أبوه وعاد الى بيته شاكرا لله ولقديسه .

(ب) اقامة المقعد :(١)

كان بمصر انسان له ولد مقعد . فحمله الى أنبا سرابيون وتركه عند باب قلايته وابتعد عنه قليلا مترقبا . فبكى الولد ، فلما سمع الشيخ صوت بكائه خرج وقال له : من جاء بك الى هاهنا ؟ فقال له : أبى . قال له : قم اجر والحقه ، فقام وجرى ولحقه ، فأخذه أبوه الى منزله وهو يمجد الله .

(ج) اخراج روح نجس من انسان :(٢)

حدث مرة أن أتوا بانسان الى الكنيسة وكان قد اعتراه جنون (بروح نجس) وصلوا عليه فلم يخرج لأنه كان صعبا . فقال الكهنة : ما الذى نعمله بهذا الجن لأنه لايستطيع أحد منا أن يخرجه الا أنبا سرابيون . وان نحن أعلمناه وسألناه امتنع عن المجىء الى الكنيسة . فلنجعل هذا الرجل المعذب راقدا فى الموضع الذى يقف فيه ليصلى : فعند دخوله ، تقول له يا أنبا سرابيون . أيقظ هذا الرجل الراقد فى البيعة . ففعلوا كذلك . اذ أنه لما دخل الشيخ ووقفوا للصلاة . قالوا له : أيها الشيخ . أيقظ هـــذا الرجل الراقد . فقال له : قم . وللوقت نهض معافى بكلمة الشيخ ..

مع الحبيســة :

لما وصل الى رومية مرة أخذ يجول فى المدينة سائلا عن حبيسيها وصالحيها ليعرف سيرتهم وكيف حالهم فى العبادة فدلوه على راهبة حبيسة لها ذكر فاضل وصلاح طاهر . فأحب أن يعرف سيرتها فى رهبانيتها ، فذهب اليها ، وكانت تلك الحبيسة ، كثيرا ما تمسك نفسها عن التكلم مع الناس وكانت لها خادمة عجوز .

فقال لها الشيخ : كلمى الحبيسة أن تكلمنى واعاميها بأنى حبا فى المسيح جئت اليها . فقالت له العجوز . ان الحبيسة ليس لها عادة أن تكلم انسانا وأبت أن تخبرها . فمكث القديس ثلاثة أيام وهو لا يفارق العجوز ، فلم يأكل ولم يشرب . فلما شعرت به الحبيسة وأبصرت صبره رحمته ، فأشرفت عليه وقالت: ما الذى يبقيك ها هنا يا أبى وماذا تطلب ، فقال لها : أحية أنت أم ميتة ؟ فقالت أنا حية بالله . وميتة عن العالم ، فقال لها : أقائمة أنت أم جالسة ؟ قالت له : لا يا أبى ، بل أنا سائرة ، قال لها : الى أين تسيرين قالت : الى السيد المســيح : فقال لها القديس . أريد أن أتأكد صحة كلامك . فان فعلت ما أقوله لك علمت انك صادقة :

اخرجى من حبسك وانزعى ثيابك وأنا أيضا أنزع ثيابى ونمشى عراة الواحد منا خلف الآخر وسط سوق المدينة (٣) . فقالت له : يا أبى ان لى حتى اليوم ٢٥ سنة وأنا فى هذا الحبس ، فكيف تطلب منى الآن أن أخرج منه وأفعل هــذه

---

(١) و (٢) نسبت هاتان القصتان أيضا للقديس بيصاريون

(٣) لم يقصد القديس فعل هذا الأمر وانما قصد أن يريها أنها فى داخلها لا زالت تحس بالعالم ونحن نتعلم الا ندعى أن روابطنا بالعالم قد انقطعت بل علينا أن نسلك دائما بحرص واتضــاع . لان الانسان العتيق لاينتهى منا الا مع موت الجسد .

الجهالة ؟ قال لها القديس : الست تزعمين بأنك قد مت عن العالم . فالميت من اى شيء يرتبك ؟ والميت عن العالم لا يبالى بهزء الناس ولا بمدحهم . من مات عن الدنيا لا يبالى بما يصيب جسده من أجل الرب ، فحياؤك هذا يدل على أنك لم تموتى بعد عن العالم كما قلت ، وانما أنت مخدوعة ولم تنتصرى بعد . فقالت له : انى لم أصل بعد الى هذه المنزلة . التى أخبرتنى عنها .

فقال لها القديس : اياك بعد هذا اليوم أن تعتقدى بأنك غلبت الجسد ومت عن العالم . فقالت له : لإ أننا أتينا هذا الفعل أما كانوا يتشككون فينا ويقولون : لولا ان هذين فاسدان لما فعلا ذلك قال لها القديس : كل ما تصنعينه فى سبيل الله لا تبالى بقول الناس ازاءه . ان الراهب اذا كان يغتم من الشتيمة والهوان فقد دل على أنه علمانى لم يترهب بعد .. فقالت له : اغفر لى يا أبى فانى لم أصل بعد الى هذه الدرجة . فقال لها القديس : « اتضعى فى فكرك واياك والعظمة » ثم انصرف .

مع أخ يلوم نفسه ملامة باطلة :

حدث أن زاره أخ ، فطلب منه الشيخ أن يصلى كما هى العادة فاعتذر قائلا: انى خاطىء لا أستحق ولا لاسكيم الرهبنة . فأراد الشيخ أن يغسل رجليه فأبى ولم يدعه واعتذر أيضا بمثل هذا الكلام وقال : انى خاطىء ولست مستحقا . ثم هيأ الشيخ طعاما فلما جلسا يأكلان أخذ الشيخ يعظه بمحبة ويقول له : يا ابنى ان كنت تريد أن تنتفع فاجلس فى قلايتك . واترك عنك الدوران واجعل اهتمامك فى نفسك وفى عمل يديك فانك لا تنتفع من الجولان مثلما تنتفع من الجلوس فى قلايتك . فلما سمع الأخ ذلك الكلام وهذه العظة ، تململ وتغير لون وجهه حتى أن الشيخ لاحظ ذلك فى وجهه .

فقال له الشيخ : بينما أنت تقول انى خاطىء وتصف نفسك أنك لست أهلا لأن تحيا فى هذه الدنيا فاذا بى ـ لما عاتبتك بمحبه أراك وقد تململت وتلون وجهك حتى صرت مثل السبع . ان كنت بالحقيقة تريد أن تكون متضعا فاحتمل ما يأتيك من الاغتنام من الآخرين ، ولا تلم نفسك ملامة باطلة بالرياء وبالكلام الباطل . فلما سمع الأخ هذا الكلام انتفع به وصنع له مطانية قائلا : «اغفرلى» ورجع الى قلايته .

الأنبا أيوب والأنبا بيمين

وإخوتهما

من هم :

نموذج لحياة الشركة المقدسة

قيل انهم كانوا سبعة اخوة من بطن واحدة ، وصار الجميع رهبان بالاسقيط . فلما جاء البربر وخربوا الاسقيط فى أول دفعة ، انتقلوا من هناك وأتوا الى موضع آخر يدعى « ابرين » .. فمكثوا هناك فى بربا .. للأصنام أياما قلائل .

حينئذ قال انبا ايوب لانبا بيمين : لنسكت جميعنا كل من ناحيته ، ولا يكلم احدنا الآخر كلمة البتة وذلك لمدة أسبوع .

فأجابه أنبا بيمين : « لنصنع كما أمرت » . ففعلوا كلهم كذلك . وكان فى ذلك البيت صنم من حجر فكان أنبا أيوب يقوم فى الغداة ويردم وجه ذلك الصنم بالتراب وعند المساء يقول للصنم : اغفرلى . وهكذا كان يفعل طول الأسبوع . فلما انقضى الأسبوع قال أنبا بيمين لأنبا أيوب : لقد رأيتك يا أخى خلال هذا الأسبوع تقوم بالغداة وتردم وجه الصنم ، وعند المساء تقول له اغفر لى . أهكذا يفعل الرهبان ؟. فأجاب أنبا أيوب : لما رأيتمونى وقد ردمت وجهه ، هل غضب ؟ . قال : لا . فقال ولما تبت اليه هل قال : لا أغفر لك ؟ قال : لا . فقال أنبا أيوب لاخوته : ها نحن سبعة اخوة ، ان أردتم أن يسكن بعضنا مع بعض فلنصر مثل هذا الصنم الذى لا يبالى بمجد أو هوان وان لم تؤثروا أن تكونوا هكذا فها هى أربع طرق أمامكم وليذهب كل واحد حيثما يشاء .

فأجابه اخوته قائلين : « نحن لله ولك ، ونحن مطيعون لما تشاء » . فاختاروا احدهم ليهتم بالمائدة ، وكل ما كان يقدمه لهم كانوا يأكلونه ، ولم يقل أى واحد منهم : احضر شيئا آخر . ولا قال أحدهم : « لا نريد هذا أو لسنا نشتهى ذاك » . وكان أنبا يعقوب يدبرهم فى أعمال أيديهم ، اما أنبا بيمين فقد كان معلما لهم فى طريق الفضيلة .

هكذا اجتاز الاخوة أيامهم بسلام . بركة صلاتهم تكون معنا . آمين .

الأنبا يمين

كان رحيما رقيقا يعطف على جميع الناس حتى لقد أطلق عليه لقب : « الأب الرؤوف » قضى مايقرب من قرن فى برية شيهيت اجتذب خلاله عددا من الناس الى حياة القداسة . ومما ساعده على اجتذاب الناس رقته ورحمته اللتان كانتا كالمغناطيس تحببان الناس فيه وتكتسبانهم الى الحياة النسكية .

ذات مرة جاءه راهب يستشيره . وكان الأحد الثانى للصوم المقدس . وبعد أن أصغى الى نصيحته قال له : « أتعرف يا أبى بيمين انى كنت لا آتى اليك اليوم » فسأله الشيخ : ولماذا ؟ أجابه الأخ : لقد قلت لنفسى ربما كان الباب مغلقا مدة الصوم المقدس . قال له الأنبا بيمين : اننا لم نتعلم أن نغلق الباب المصنوع من الخشب ولكننا تعلمنا أن نغلق باب فمنا .

عطفه على الخطاة :

+ حدث أن كان جالسا مع بعض رهبانه ذات يوم فقال له أحدهم : «حين أسقط أو أخطىء يوبخنى ضميرى ويضايقنى قائلا : لماذا سقطت ؟ » أجابه أنبا بيمين : « متى سقط أحدنا ثم صرخ الى الله قائلا : (لقد أخطأت) فالله جل اسمه يقبله اليه على الفور » : ولما قال القديس هذه الكلمات التفت الى المحيطين به وقال لهم : « ان رأيتم أخا على وشك السقوط فمدوا أيديكم اليه وارفعوه وعزوا قلبه بتذكيره بمحبة الله ليتشجع ويعاود جهاده فى سبيل الكمال المسيحى » .

+ ودفعة جاء أنبا بيمين الى بلاد مصر واختار مسكنه بجوار أخ كانت لديه امرأة . وبالرغم من معرفة الشيخ بهذا فانه لم يوبخه . ولما حان وقت ولادة المرأة دعا الشيخ أخا صغيرا وقال له : « انهض خذ جرة النبيذ هذه واحملها لجارنا فسوف يحتاج لها اليوم » . . ففعل الأخ كما أمره الشيخ . أما الأخ الذى عنده امرأة ، فتأوه وتاب فى قلبه وبعد أيام قليلة طرد المرأة ، وأعطاها كل ماله ثم جاء لأنبا بيمين قائلا :

يا أبى : انى تائب من هذا اليوم . لكنى أسألك أن تصلى من أجلى الى الله لكى يقبل توبتى . قال له أنبا بيمين : ان كنت تائبا من كل قلبك فانى أؤمن أن الله سوف يمنحك رحمة فلا تيأس من أمر خلاصك .

ثم مضى الأخ وبنى لنفسه مكانا منعزلا وجعل له مدخلا اعتاد عن طريقه أن يذهب لأنبا بيمين وكان الشيخ يوضح له طريق الله . فربح روحيا . وجاهد الأخ بالصوم والصلاة والبكاء والتنهد وحزن كثيرا من أجل خطيته ، وأخيرا كشف الله للشيخ قبوله لتوبة الأخ .

محبته ترفقه بالجميع :

+ كان الشيوخ يحضرون أيضا ليستقوا من ينبوع حكمته فجاء اليه بعضهم مرة وسأله : ان نحن وجدنا بعض الاخوة نياما فى الكنيسة فماذا نفعل بهم ؟.. أجابهم : ان وجدت أخى نائما فى الكنيسة اضع رأسه على ركبتى وأفسح له المكان ليستريح . فقال له أحدهم : وما الجواب الذى تؤديه لله عن هذا العمل ؟.. أجابه الانبا بيمين : سأقول لربى : لقد قلت لى اخرج الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا ان تخرج القذى من عين اخيك .

+ وحدث ايضا ان سأله أخ ذات يوم قائلا : ما المعنى أن لا تجازى احدا عن شر بشر ؟. أجابه القديس بيمين : هناك اربع خطوات للوصول الى تحقيق معنى هذه الآية وهى القلب والعين واللسان والعمل . أما ان احتدم قلبك غيظا فانك ستتفرس فيمن أساء اليك . وساعتئذ حاذر والجم لسانك . فان انفلت منك زمامه فقف عند هذا الحد لانك ان لم تتحكم فى نفسك عند هذا الحد اندفعت الى مجازاة من أساء اليك وبعدت عن وصية المسيح .

انكاره لذاته وتواضعه :

+ سمع عن الأب بيمين ، أرخن مقدم ، فأتى ليبصره ، فلما سمع به الشيخ تناول سلبة ومضى الى نخلة ليسقيها ، فلما جاءوا اعتقدوا أن المتوحد غير موجود فانصرفوا .

+ وحدث مرة أخرى أن أتى اليه انسان رئيس لينظره . فسبق اليه قوم من أصحاب الكنيسة واخبروه قائلين : « استعد فان فلانا الأرخن قد سمع بك، ها هو حاضر لينظرك ويتبارك منك . فأجابهم الشيخ قائلا : نعم ، انى سأهيىء نفسى جيدا .. فقام ولبس المرقعة التى له . وأخذ خبزا وجبنا ، وركب الحائط مفروق الرجلين كما يركب الحصان . وجعل يأكل ويهز رجليه ، فلما قدم الأرخن مع حشمه ، وابصره هكذا ، شتمه قائلا : اهذا هو المتوحد الذى سمعنا عنه ؟ ليس ههنا متوحد . وهذا هو نفس الكلام الذى توقع أن يسمعه الشيخ .

+ كما أخبروا أيضا عن الشيخ انه كان جالسا وحده ، وكان انسان علمانى يخدمه ، عمره كله ، وحدث أن مرض ابن ذلك العلمانى ، فطلب الى الشيخ قائلا : « ادخل وصل على ابنى » فلما أكثر عليه الطلب خرج الشيخ وذهب معه، فتقدمه الرجل ودخل قبله القرية وقال لأهل القرية : اخرجوا للقاء القديس فقد جاء . فلما رآهم الشيخ من بعيد مقبلين نحوه بالشموع والقراءة ، نزع لوقته ثيابه والقاها فى النهر ووقف عريانا يغسلها برجليه ، فلما رآه ذلك الانسان الذى كان يخدمه ، هكذا ، حزن ورجع يطلب الى أهل القرية قائلا لهم : ياأخوة، ارجعوا الى بيوتكم ، لأن الشيخ قد تاه ، ولا يدرى ما هو فيه . فلما رجع الناس الى بلدتهم ، تقدم الرجل اليه وقال له : يا أبى ماهذا الذى فعلته ؟ لقد قال الناس ان ذلك الشيخ مجنون لا يدرى ماهو فيه . فقال الشيخ : هذا ماأردت ان أسمعه.

تقشفــــه :

مضى الى الأب بيمين بعض الاخوة بالاسقيط وأرادوا أن يصبوا له قليلا من الزيت ، فقال لهم : « هوذا الاناء الصغير الذى جئتم به منذ ثلاث سنين ، موضوع بحاله كما تركتموه » . فلما سمعوا عجبوا من جهاد الشيخ وقالوا : « يا أبانا ، هوذا زيت طيب ، أما ذاك فانه زيت نغل » (غير نقى) . فلما سمع ذلك رسم ذاته بالصليب وقال : « انى ما علمت قط أن فى الدنيا زيتا غير هذا !! » .

موته عن العالم ـ عزلته :

+ أراد فى يوم من الأيام والى البلاد أن يشاهد أنبا بيمين . ولكن الشيخ لم يشأ ذلك . فقبض الوالى على ابن اخته بهذه الحجة وحبسه . كأنه قد عمل عملا منكرا . وقال : « ان جاء الشيخ وسألنى من أجله فسوف أطلقه » فجاءت اليه أخته باكية على الباب . فلم يجبها بجواب البتة . فكررت عليــه قائلة : « يا قاسى القلب ، ويا حديدى الأحشاء ، ارحمنى فانه وحيدى وليس لى سواه، فقال لها : « بيمين ما ولد أولادا » . فلما سمع الوالى قال : وان سألنى بالمكاتبة فقط فانى أطلقه . فأجاب الشيخ قائلا : « أستفحصه على ما يأمر به الشرع ، فان كان مستحقا للقتل فليقتل . والا فافعل ما تريد » .

وهكذا عاش القديس أنبا بيمين فى البرية سنين طويلة جاهد خلالها الجهاد الحسن وأكمل السعى فى هدوء ودعة . ثم انتقل الى بيعة الأبكار بعد أن عاش عيشة كانت محل اعجاب الملائكة وتقوية لعزائم القديسين .

الأنبا بيصاريون

قيل عن الأب بيصاريون انه كان كطيور السماء ، وكأحد وحوش البرية ، وكائنات الأرض الزاحفة . اكمل حياته فى سكينة بلا هم . ولم يهتم قط ببيت ولا خزن طعاما ، ولا اقتنى ملبسا أو كتابا ، بل كان بكليته حرا من الآلام الجسدانية ، راكبا فوق قوة الايمان ، صائرا بالرجاء مثل أسير الأمور المنتظرة ، طائفا فى البرارى كالتائه ، عاريا تحت الأهوية وكان يصبر على الضيقات مسرورا، وكان اذا وجد مكانا فيه اناس أو رهبان يعيشون حياة المجمع كان يجلس على الباب باكيا منتحبا مثل انسان نجا من الغرق . وحدث مرة أن وصل الى دير فجلس على باب الدير باكيا . فلما خرج أحد الاخوة قال له : لماذا تبكى أيها الانسان ، اننى مستعد أن أعطيك قدر استطاعتى ما تحتاج اليه من أمور هذه الحياة . انهض ادخل الى الدير وارح ذاتك على مائدة الشركة المباركة .

اجابه أنبا بيصاريون : الى أن أجد ممتلكات بيتى الذى نهب ، وغنى بيت آبائى الذى أخذ بشتى الطرق ، لن أسكن تحت سقف لأن قراصنة دفعوا بى فى البحر ، وعاصفة هبت على ، فتجردت من غناى ، وسقطت عن شرف نسبى وأصبحت موضوع احتقار .

فلما سمع ذاك الأخ منه هذا الكلام المحزن . دخل واحضر له قليلا من الخبز وقال له : خذ هذا يا أبتاه ، والله قادر أن يرد لك حاجتك التى ذكرتها . لكن أنبا بيصاريون كان يصرخ ويبكى بصوت عال ويقول : « آمين . اطلب أنت يا أخى ، كى يرد لى الله شيئا منها ، انى لست أعلم ان كنت أستطيع الحصول على ما فقدته ، وما أبحث أنا عنه وهانذا فى عذاب . وقد اقتربت من الموت بسبب العاصفة القاسية المتعددة الشرور المحيطة بى ، وانى أحتمل هذا كله على رجاء رحمة الله التى ربما استحقها فى يوم الدينونة » .

وسأل اخوة بخصوص معنى ما قاله أنبا بيصاريون على باب الدير قائلين : ماهو الغنى الذى ورثه من أبويه وفقده . ماذا تعنى هذه القصة ؟ من هما الأبوان؟ ماذا قصد بالكلمات : بحر ، عواصف وأمواج ؟ من هم اللصوص ؟ هل كانت هذه الكلمات عن نفسه أم عن آخرين ؟

أجاب الشيخ : هذه الكلمات قيلت عن جميع الرهبان الذين يجاهدون ضد الشهوات والشياطين . الذين تنقصهم نقاوة القلب ، وثمار الروح ، ورؤية الله .

يقصد القديس بكلمة « بحر » بحر العقل الذى يبحر عليه الراهب بالفضائل والحياة الروحية المباركة التى يدخل منها الى ميناء السكون .

ويدعو بيصاريون الاغراءات والتجارب « عواصف » ، ويدعو الشهوات « أمواج » والشياطين « لصوص » وأبوه هو الله الذى صنعنا على صورته وشبهه. كما قال خالقنا : « نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » . وكما قال أيضا : « كونوا مشابهين أبيكم الذى فى السموات » . ودعا الفضائل الروحية والصلاح

الروحى الذى يشمل شبه أبينا الذى فى السموات . الذى يجعلنا ورثة لله وأبناء ميراث يسوع المسيح باسم « غنى وممتلكات أبويه » وهى الايمان والرجاء ومحبة الله والناس ، الفرح ، السلام ، النعمة ، والمسرة ، والمسكنة ، والتواضـــع ، والاحتمال ، والصبر ، والكمال ، والبساطة ، والطهارة ، والرحمة ، نقاوة القلب ، قداسة ونور العقل ، الصلاة النقية ، النور الالهى الذى يرتفع على القلب ساعة الصلاة ، والصلاة بالروح ، والمعرفة الالهية ، والتاؤريا واعلانات ربنا . هذه هى غنى الروح ، يكتسب بعضها طبيعيا والبعض الآخر عن طريق النعمة الالهية . فتلك التى تكتسب طبيعيا هى تلك التى زرعها الخالق فى طبيعتها فى بدء الخليقة ، أما التى تقتنى بالنعمة الالهية فهى الموهوبة لها بالمعمودية ـ وتفقد هذه الثروة بسبب الملذات ، والشهوات ، والسعى وراء الكرامة . أما الحصول عليها فعن طريق الضيق والشدة ، واحتمال الاهانة والانتهار .

وبالرغم من أن أنبا بيصــاريون والرجال الكاملين مثله يملكون هـــذه ، فالبعض الآخر غرباء عنها وينقصونها .

أما بخصوص الكلمات : « انه جلس دفعة على باب دير . مثل شحاد » ، فالمقصود بها : ان القديس أنبا بيصاريون رأى بالروح أن كثيرين من الرهبان بعيدون عن هذا الملكوت الروحى والمواهب المذكورة سابقا . ولكونه كان مدفوعا بحسب قانون المحبة الأخوية كان يبكى منتحبا من أجلهم كما لو كان البكاء على نفسه وقدم ابتهالات وصلوات للاله الحنون المتعطف لكى يجعلهم مستحقين لغنى حبه . ونعمته

جهاده الروحى :

قال عن نفسه : « ها ان لى أربعين ليلة وأنا واقف لم أنم »(١) .

اتضــاعه :

أخطأ أحد الاخوة فى الكنيسة فطرد . فقام الأب بيصاريون وخرج معه وهو يقول : « وأنا أيضا خاطىء . ان كنتم قد حكمتم على هذا الأخ الذى فعل خطيئة واحدة أنه غير لائق لعبادة الله . فكم بالحرى . أنا الخاطىء أن أفعل هذا . أنا الغير مستحق الذى صنعت خطايا كثيرة » .

بيصاريون رجل المعجزات

١ ـ تحويل مياه البحر الى مياه عذبة :

قال أنبا شاول (دولاس) تلميذ أنبا بيصاريون : جئنا دفعة الى ضـفة بحيرة وكنت عطشانا . فقلت لأنبا بيصاريون : أنا عطشان . فصلى الشيخ وقال لى : تقدم خذ من ماء البحيرة واشرب . فمضيت وشربت واذا هى مياه عذبة .

ثم تقدمت وملأت كل الأوعية التى كانت معى لأننى ظننت اننى ربما أعطش مرة ثانية ، فى رحلتى .. ولما رآنى الشيخ قال لى : لماذا تملأ الأوعية ماء ؟

(١) تكررت فى سيرة القديس ابسيذورس .

أجبته : اغفر لى يا أبى فلقد فعلت هذا لظنى أنه لربما أعطش دفعة ثانية أثناء رحلتنا . قال لى : ليغفر الرب لك ، ان الله يرشدنا هنا وهناك وفى كل موضع .

٢ ـ عبوره فوق مياه النهر :

كما قال : ودفعة أخرى بينما كنا فى طريقنا ، وصلنا الى نهر ولم نجد شيئا نعبر به . فبسط يديه وصلى وعبر الى الشاطىء الآخر . أما أنا فقد اندهشت ، وصنعت له مطانية قائلا : أبى . عندما كنت تعبر فوق النهر ، الى أى حد كانت رجلاك تحس بالماء الذى تحتك ؟ . قال : الى المفصل بين الساق والقدم . أما تحت قدمى فكان يابسا .

٣ ـ منعه الشمس من المغيب :

ثم قال : كنا فى رحلة الى أحد الحكماء وكانت الشمس فى المغيب وصلى الشيخ قائلا : « أرجوك يا سيدى ، أن تجعل الشمس تدوم فى مكانها حتى أمضى الى عبدك » . وهذا ما حدث فعلا .

٤ ـ الصلاة من أجل نزول المياه :

وقال أنبا شاول أيضا : أتيت اليه مرة فى قلايته لأخاطبه ، فرأيته واقفا يصلى باسطا يديه نحو السماء . ومكث واقفا أربعة أيام وأربع ليال . ثم دعانى قائلا : تعال يا ابنى . فخرجنا وسرنا فى طريقنا . ولكونى عطشت قلت له : ياأبى أنا عطشان . فانفصل عنى نحو رمية حجر ، وصلى ثم عاد الى ومعه فى عباءته ماء . فشربت ومضينا فى طريقنا حتى وصلنا الى أسيوط لأنبا يوحنا . وبعد ما سلم أحدهما على الآخر . صلى وجلس وخاطبه بخصوص رؤية رآها . فقال أنبا بيصاريون : « من قبل الرب خرج أمر أن تزول جميع معابد الأصنام » . ولقد حدث هذا تماما . اذ استؤصلت جميعا فى ذلك الوقت .

٥ ـ شفاء المفلوج :(١)

كان لرجل فى مصر ابن مفلوج ، فحمله الى أنبا بيصاريون وتركه على باب القلاية وكان يبكى . وارتحل الى مكان بعيد . ولما سمع الشيخ صوت بكاء الولد ورآه سأله : من هنا ؟ أجابه الولد : احضرنى أبى ومضى وهانذا أبكى . قال له الشيخ : انهض ، أجر وراءه والحق به . وفى الحال شفى الولد ومضى الى أبيه فأخذه ورحل .

٦ ـ اخراجه الشيطان :(٢)

ومرة أخرى جاء الى الكنيسة رجل به شيطان . وأقيمت من أجله صلاة فى الكنيسة لكن الشيطان لم يخرج لأنه كان عنيدا . فقال الكاهن : ماذا نفعل فى هذا الروح النجس ؟ انه لا يستطيع انسان أن يخرجه سوى أنبا بيصاريون . دعنا نطلب اليه من أجله . ان عادة الشيخ أن يحضر الى الكنيسة باكرا جدا قبل

(١) و (٢) نسبت هاتان القصتان أيضا للقديس سيرابيون

الناس فلنضع الرجل فى المكان الذى يعتاد الشيخ الجلوس فيه . وعندما يحضر لنقف للصلاة ونقول له : « أيها الأب . دع هذا الرجل ينهض للصلاة » ففعلوا هكذا . فعندما حضر الشيخ مبكرا الى الكنيسة وقفوا للصلاة وقالوا له : « مر أيها الأب هذا الأخ ان يقوم » . فذهب اليه أنبا بيصاريون ولكمه قائلا : « انهض وقف » . وفى الحال خرج الروح النجس وشفى تماما .

خلاص الطوباويه تائيس :

والآن اننى أرغب فى سرد السيرة العطرة والتوبة الحقيقية التى للمرأة المباركة تائيس لأن الحديث عنها شيق ومملوء تشجيعا وتبكيتا لنفوس كل الذين يحبون الله .

كانت هذه الأخت على قسط وافر من الجمال واخذت والدتها لها مكانا فى السوق بسبب جمال محياها . ولما شاع صيت جمالها جاء اليها من أماكن بعيدة اناس كثيرون راغبون فى مشاهدتها . ولم يكتف ناظروها بمشاهدة جمالها اذ كانت تلهب قلوب الذين يرونها وكثير منهم اعتراهم جنون بسبب ولههم فيها فباعوا ممتلكاتهم لوالديها حتى يتاجروا معها .

ولما سمع خادم الله بيصاريون هذه الأخبار عنها وانه بسبب جمالها قد جرف الكثيرون الى الهلاك اتخذ شكل انسان فى العالم ، وأخذ معه دينار ومضى اليها ولما رآها أخرج الدينار وأعطاه لها . أما هى فأخذت الدينار قائلة : « هيا بنا الى حجرة » قال لها بيصاريون : « نعم ، هيا بنا » ولما دخلا وجد الطوباوى بيصاريون المضجع المعد وكان مرتفعا جدا . وأمرت الشيخ أن يصعد على الفراش. أما هو فقال لها : « الا يوجد حجرة أخرى بالداخل ؟ » اجابته : « نعم » قال لها : « اذن فلندخل فيها » قالت له تائيس : « ان كنت تخجل من رؤية الناس لك ، فاعلم انه لن يرانا أحد فى هذه الحجرة لكن ان كنت تخشى الله فهو يستطيع أن يرانا فى أى مكان كنا فيه » .

ولما سمع بيصاريون البار هذه الكلمات منها قال لها : « يا ابنتى ، هل تعرفين ان الله موجود ؟ » قالت له : « نعم . اننى أعلم أن الله موجود ، وانه سوف يكون هناك ملك ، ودينونة » قال لها الشيخ : « ان كنت تعلمين ان الله موجود ، وانه سوف يكون هناك ملك ودينونة فلماذا اذن تدفعين رجالا التهلكة بطريقتك هذه ؟ ولما سمعت المراة هذا القت بنفسها على قدميه وقالت : » اننى أعرف انه توجد توبة للخطاة ، لكننى ألتمس منك يا سيدى أن تنتظر معى ثلاث ساعات ، وكل ما تريد أن تصنعه بى فذلك اصنع ، من أجل الشرور التى اقترفت بواسطتى » أما القديس فأخبرها عن المكان الذى يمكن أن ينتظرها فيه وخرج .

جمعت تائيس كل ما حصلت عليه عن طريق الزنا وفى وسط المدينة أحرقته وهى تقول : « هلموا جميعا يا من تاجرتم معى ، انظروا . هانذا أحرق أمام اعينكم كل كسب جمعته بواسطة الخطيئة » . وقدر قيمة ما حرق بثلاث مائة جنيهات ذهبية ، مع بضائع وملابس من كل نوع . وبعد أن أحرقت الجميع ذهبت الى الرجل المبارك بيصاريون .

وعندما رآها بيصاريون أمسك بيدها وأخذها الى دير للعذارى ووضعها فى قلاية صغيرة ، وترك لها طاقة صغيرة فى الحائط كانت تحضر لها امرأة عن طريقها الطعام . وقال الطوباوى بيصاريون لرئيسة الدير أن تعطيها مقدارا من الخبز الجاف وماء بقدر حاجتها .

قالت المباركة تائيس للطوباوى بيصاريون : « ما هى طريقة الصلاة التى تأمرنى قداستك أن أصلى بها الى الله ليغفر لى خطاياى ؟ « أجابها بيصاريون المبارك : » أنت لا تستحقين لا أن تصلى الى الله ولا أن تذكرى اسمه بشفتيك ولا أن تبسطى يديك اليه ، لأن شفتيك نجستان ، ويديك غير طاهرتين فيجب عليك أن تجلسى ، مثبتة نظرك نحو الشرق ، وأنت تقولين : « يا من خلقتنى ارحمنى » .

وبعد ما مكثت فى هذه القلاية مدة ما . تحنن عليها البار بيصاريون ومضى الى أنبا أنطونيوس ليسترشد منه عما اذا كان الله قد غفر لها خطاياها أم لا . وبعد أن أخبر الأنبا أنطونيوس عنها . دعا العظيم أنطونيوس تلاميذه وقال لهم : « ليحبس كل منكم نفسه هذه الليلة(١) . وصلوا جميعا الى الله لنرى لمن يكشف الأمر الذى من أجله جاء لنا اليوم البار بيصاريون » ولما فعلوا ما أمرهم به ، نظر المبارك بولا البسيط الى السماء فرأى مكانا معدا بجمال عظيم وثلاثة ملائكة يحملون مصابيحا واقفين أمام المرقد ، وتاج الظفر موضوعا عليه ، ولما رأى هذا المشهد البديع قال : « أن هذا المجد لا يمكن أن يكون الا لأبى أنطونيوس » ، فجاءه صوت من السماء قائلا : « أن هذا المضجع ليس لأبيك انطونيوس . انه للعابدة الناسكة تائيس » فنهض البار بولا مبكرا ، وسرد الرؤية التى رآها . فرجع مار بيصاريون من لدن انبا أنطونيوس بفرح عظيم . ومضى الى دير العذارى . وفتح الباب ليخرج تائيس من قلايتها لكنها ، الحت عليه بالقول : « اتركنى هنا الى يوم وفاتى . لان خطاياى كثيرة » قال لها المبارك : « أن الله الرحوم ، قد تحنن عليك ، وقبل توبتك » ، فرغبت فى المضى من قلايتها ، وأجابته قائلة : « بالحقيقة ياأبى ، اننى قد جعلت خطاياى حملا ثقيلا وضعته أمام عينى منذ ان دخلت هذه القلاية وهكذا كما أن النفس لم ينفصل عنى كذلك خطاياى لم ادعها تعبر من أمام عينى » .

وقال لها المبارك بيصاريون : « أن الله لم يغفر لك خطاياك من اجل توبتك انما من أجل الفكر الذى كان لك . ومن أجل ارادتك الصادقة فى تسليم نفسك للمسيح » .

وداومت تائيس عمل الرب بأمانة الى أن وصلت الى النهاية المباركة وكأنها كانت ضالة فوجدت ميته فعادت الى الحياة بنعمة المسيح يسوع الذى من قبله الرحمة ، والتحنن والعظمة والكرامة الى أبد الأبد آمين .

* * *

(١) ليس معنى كلام أنبا بيصاريون هذا أن نسك تائيس هو الذى يكسب لها الغفران . لان الغفران هو بدم الرب يسوع . ولكن التوبة الحقيقية هى التى بندم وثبات . وكانت صلاة الآباء ليعلن لهم الرب صدق هذه التوبة وقبولها .

الأنبا بفنوتيوس [1]

جاء عن الأب بفنوتيوس انه لما كان فى البرية كان مزاجه صعبا ، وأعماله بحرارة كثيرة ، ولكنه لما صار أسقفا تغير الحال قليلا ، فطرح ذاته قدام الله قائلا : « ياترى أمن أجل الأسقفية ابتعدت عنى النعمة ؟! » فقيل له : لا ، ولكن لما كنت فى البرية حيث لا يوجد اناس ، كان الله يعضدك ، أما الآن فانك فى العالم حيث يوجد الذين يعضدونك » وما أن علم ذلك حتى هرب لوقته الى البرية .

نسكه وتقشفه :

قيل عن انبا بفنوتيوس انه لم يكن يشرب النبيذ حتى فى حالة المرض .

أمانته :

قيل أيضا انه عندما كان فتى ، وكان يرعى الثيران مع أصحابه ، حدث أن مضوا ذات مرة ليحضروا بعض الخيار للحيوانات ، فسقطت واحدة فى الطريق والتقطها انبا بفنوتيوس وأكلها . يقال انه كلما تذكر هذا الحادث كان يجلس ويبكى بحزن شديد .

انكاره لذاته :

يقال أنه لم يكن يشرب النبيذ ، ولكن دفعة مر أمام عصابة من اللصوص كانوا يشربون . وكان رئيس العصابة يعرف عن أنبابفنوتيوس أنه ناسك ولا يشرب النبيذ . فملأ كأسا له وأخرج بيده سيفا وهدده قائلا : « ان لم تشرب فسأقتلك ». أما الشيخ فعلم أن نعمة الله تريد أن تعمل فى حياة رئيس العصابة بواسطته ففكر فى عمل صلاح له . فتناول الكأس وشربه . ثم ان رئيس العصابه اعتذر له وقال : « اغفر لى يا أبتاه لأنى قد أحزنتك » ، قال له الشيخ : « انى متيقن ان الله سوف يغفر لك خطاياك من أجل هذه الكأس » قال له رئيس العصابة : « وأنا أيضا واثق بنعمة الله انى من الآن لن أحزن انسانا ما » .

وهكذا من أجل أن بفنوتيوس قد رفض مشيئته استطاع أن يصنع خيرا لعصابة اللصوص .

---

(١) ربما كان هناك أكثر من بفنوتيوس . ويتعسر تحقيق شخصياتهم وما ينسب الى كل منهم من قصص .

الأب زينون

ترك زينون العالم فى فجر حياته وذهب ليضع نفسه تحت ارشاد القديس سلوانس أحد مشاهير الآباء المتوحدين فى هذا الوقت . ومثل كل ابطال الرهبنة الشجعان ، تدرب فى ممارسة أكثر الفضائل صعوبة .

عناية الله بالقديس :

فى أثناء وجوده فى الاسقيط ترك مرة قلايته ليلا بقصد ذهابه الى المستنقعات القريبة ، لكنه ضل الطريق ومشى فى البرية ثلاثة أيام بلياليها فتعب ووقع كالميت . فوقف مقابله شاب ومعه خبز وماء قائلا : « يازينون قم وكل » ، فقام وصلى ، لأنه ظن أنه خيال فقال له ذاك : « حسنا صنعت » . أما القديس فعاد يصلى مرة ثانية ومرة ثالثة مع الاستحسانات المتكررة من الشاب العجيب الذى أضاف : « قم اكسر هذا الخبز وكل بدون خوف لأنه بقدر ما مشيت ثلاثة أيام بقدر ما يبقى لك فى الطريق لتقطعه كى ترجع الى مكان عزلتك ولكن تشجع واتبعنى » . فأطاع زينون وللحال وجد نفسه عند قلايته فقال الشيخ لذاك الشاب : « ادخل معى لنصنع صلاة » فلما دخل الشيخ غاب الشاب ولم يظهر .

انتصاره فى التجربة :

مرة كان سائرا باحدى نواحى فلسطين ، فتعب وجلس ليأكل بقرب مقثاة ، فقال له فكره : « خذلك ثمرة من ثمار القثاء وكلها ، فماذا يصيبك من هذا ؟» فأجاب فكره قائلا : « ان الله قال لاتسرق ، والذى يخالف وصايا الله ، يلقيه فى النار ، فجرب أنت نفسك أولا ، ان كنت تحتمل النار » . فوقف تحت أشعة الشمس المحرقة عاريا مقدار ساعة حتى التهب ، حينئذ قال لفكره « اذا كنت لا تحمل العذاب ، فلا تسرق، ولا تأكل المسروق » .

محبته للغرباء :

هذا القديس قيل عنة فى الابتداء انه ما كان يأخذ من احد شيئا . وكان اذا جاء انسان بشىء لم يأخذه منه ، فكان ينصرف ذلك الانسان حزينا . وكذلك الذين كانوا يأتون اليه يطلبون منه شيئا مثل شيخ كبير(١) لم يكن يعطيهم ، فكانوا ينصرفون أيضا حزانى . فقال : « ماذا أصنع ؟ اذا كانوا يجيئون يطلبون يحزنون ، والذين يحضرون يحزنون أيضا ، ولكن هذا أفضل وأنفع جدا والآن من أحضر شيئا أخذته منه . ومن جاء يطلب شيئا سأعطيه له » فصنع هكذا واستراح . واقنع وطيب قلوب الناس جميعا الذين كانوا يأتون اليه وأرضاهم .

---

(١) أى يطلبون منه شيئا على سبيل البركة معتبرين أنه شيخ قديس .

القديس أخيلاس

من فضائله :

١ ـ لطفه ومحبته للخطاة :

قيل عن هذا الأب القديس انه جاء اليه ثلاثة شيوخ ، وكان أحدهم سيء السيرة فطلب الأول من الشيخ أن يصنع له شبكة ، فلم يجبه الى طلبه ، وسأله الآخر أن يصنع محبة ويجعل لنفسه فى ديرهم تذكارا بشبكة يصنعها لهم ، فوعده عندما يتفرغ يعملها . ولما تقدم اليه الثالث ذو السمعة السيئة وطلب منه أن يصنع له شبكة ليكون له شيء من عمل يديه ، أجابه الى طلبه فى الحال .

فسأله الاثنان الأولان فى خلوة وقالا له : كيف اننا لما طلبنا اليك نحن الاثنين لم تجبنا الى طلبنا ، أما ذاك فأجبته لوقته وقلت له نعم ؟ أجابهم الشيخ لقد قلت لكما : « لا » لأنى أعلى أنكما لا تغتمان . ثم انى فى الحقيقة لم أكن وقتئذ متفرغا لذلك ـ اما ذاك فلو انى قلت له : « لست متفرغا لاجابة طلبك » لقال فى نفسه : « ان الشيخ قد سمع بخطيئتى[1] . ولأجل ذلك لم يجبنى الى طلبى » فيحزن وينقطع رجاؤه ففعلت معه هكذا كى لا يهلك فى الحزن واليأس .

٢ ـ اجهاده لنفسه والعمل بيديه :

قال عنه أنبا أموناس :

انى مضيت اليه وأنبا سميوس : فسمعناه يردد هذا الكلام : « لا تخف يا يعقوب من النزول الى مصر » . فلما كرر هذا القول مرارا كثيرة قرعنا الباب ففتح لنا وقال : « من أين أنتم ؟ » فخشينا أن نقول اننا من القلالى ، فقلنا له : « اننا من جبل نتريا » فقال : « ماذا أصنع بكم وقد جئتم من ناحية بعيدة » . فدخل بنا فوجدناه قد عمل فى الليل ضفائر كثيرة . فسألناه كلمة . فأجابنا قائلا : « انى منذ البارحة حتى هذه الساعة قد ضفرت عشرين باعا . وصدقونى انى لست فى احتياج الى كل ذلك ولكنى أخاف أن يقول لى الرب » ، لماذا لا تعمل مادمت تقوى على العمل ؟ من أجل ذلك أعمل وأتعب بكل قوتى » فانتفعنا وانصرفنا .

---

(١) واضح أن خطيئة هذا الشيخ كانت معروفة للجميع بدليل القول أنه كان سيء السيرة وبدا يكون القديس أخيلاس لم يشهر به .

القديس
تادرس الإسقيطي

تواضعه :

لما صار شماسا فى الاسقيط ، لم يؤثر أن يقبل الخدمة ، فهرب الى أماكن شتى . فكان الشيوخ يأتون به قائلين : « لماذا تترك خدمتك ؟ » فقال لهم : «اتركونى أيها الآباء أطلب من الله أن يقنعنى ان كنت مستحقا أن أقوم فى موضع خدمتى » فطلب الى الله قائلا : « يا الهى ان كان من ارادتك أن أقف فى موضعى فاقنعنى » فاراه عامود نار يمتد من السماء الى الأرض وسمع صوتا هاتفا قائلا له : « ان استطعت أن تصير مثل هذا العامود فانطلق الى خدمتك » .

فلما سمع ذلك أوجب على نفسه من ذلك الوقت أن لا يطيع . فلما جاء الى الكنيسة وصنعوا له مطانية قائلين : « ان كنت ما تشاء أن تخدم فأمسك بيدك الكأس فقط » ، فلم يجبهم الى ذلك . بل قال لهم : « أسألكم أن تتركونى والا اندفعت من هذا الموضع » فلذلك تركوه وراحته .

ارشاده :

أتاه أخ مرة ، وابتدأ يكلمه ويستقصى عن أمور لم يصل اليها بعد ، حتى ولا مارسها قط ، فقال له الشيخ : « انك لم تجد السفينة بعد ، ولم تركبها ، فكيف تدعى وصولك الى المدينة قبل ركوب السفينة ، أولى بك الا تتحدث فى أمر ما الا بعد ممارسته أولا » .

فاعلية صلاته

قيل عنه : أنه لما كان جالسا فى قلايته فى الاسقيط أتاه شيطان محاولا الدخول، فربطه خارج القلاية ، ووافاه شيطان آخر محاولا دخول القلاية كذلك ، فربطه أيضا خارج القلاية ، فجاء شيطان ثالث ، ولما وجد زميليه مربوطين ، قال لهما : « مابالكما واقفين هكذا خارج القلاية ؟ .. فقالا له : « بداخل القلاية من هو واقف ليمنعنا من الدخول » . فغضب الشيطان الثالث وحاول اقتحام القلاية ، ولكن الشيخ ربطه كذلك بقيود صلاته خارج القلاية . فضجت الشياطين من صلوات الشيخ ، وطلبت اليه أن يطلق سراحها ، حينئذ قال لهم : « امضوا واخزوا » فمضوا بخزى عظيم .

تجردة :

+ قيل عنه أيضا : أنه أتاه بعض الشيوخ الآباء ، فوجدوه لابسا ثوبا ممزقا، وصدره مكشوف ، وكاكوليته(١) من قدام ، واتفق وقتئذ أن وافاه انسان غنى

---

(١) اليافة .

ليراه ، فلما قرع الباب ، خرج الشيخ وفتح له واستقبله وأجلسه على الباب .

فأخذ التلميذ قطعة من ثوب ، وغطى بها اكتافه ، فمد الشيخ يده ورماها عنه . فلما انصرف ذلك الانسان الغنى، سأله التلميذ قائلا : « يا أبتاه ، لماذا صنعت هكذا ؟ لقد أتاك الرجل لينتفع فلماذا شككته ؟ » فقال له الشيخ : « لماذا تدعونى أبا ونحن بعد نرضى البشر ؟ .. قد اضعنا الزمان ، وجاز الوقت ، فمن أراد أن ينتفع فلينتفع ، ومن أراد أن يتشكك فليتشكك ، أما أنا فكما اوجد هكذا التقى بالناس » .

ثم أوصى تلميذه قائلا : « ان أتى انسان يريد رؤياى ، فلا تقل له شيئا وعظيا، بل ان كنت آكل ، فقل له : انه يأكل . وان كنت نائما ، فقل له : انه نائم ، وان كنت أصلى ، فقل له : انه يصلى » .

كما جاء مرة انسان يبيع بصلا ، فابتاع منه كيلا وقال لتلميذه : « امض واملأ الكيل قمحا » وكان يوجد نوعان من القمح : نوع منقى والآخر غير منقى ، فمضى التلميذ ، وملأ الكيل من القمح غير المنقى ، فنظر اليه الشيخ بحزن ، فوقع الكيل وانكسر ، وصنع له الأخ مطانية . فقال له الشيخ : « ليس الخطأ منك ، ولكنى أخطأت اذ قلت لك » . ثم دخل فملأ حجره من القمح المنقى ، ودفعه للرجل مع البصل .

وقيل عنه لما خرب الاسقيط أتى فسكن الفرما وشاخ وضعف ، فجاءوه بالاطعمة . فكان ما يجىء به الأول يعطيه للثانى وهكذا على طقس وترتيب كان يعمل بكل ما يأتون به . وفى آخر الوقت عندما يحين موعد الأكل يأكل مما كان عنده .

القــديس

أنبا دانيال الاسقيطى

رهبنه وتقشفه :

لما صار شابا انطلق الى برية شيهيت وذكر عنه انه كان (امعانا فى التقشف والعبادة) يتبع نظاما دائما كل حياته وهو أن يصوم الى الساعة الحادية عشرة من النهار (الغروب) هذا بجانب عمل اليدين اذ كان يقوم بعمل السلال ليبيعها فى احدى القرى .

هجوم البربر :

جاء عنه أنه لما أتى البربر الى الاسقيط وهرب الرهبان كلهم قال الأب دانيال: « ان لم يشأ لى الله أن أعيش ، فمالى وللحياة » ثم جاز بينهم فلم يبصروه البتة ، فقال فى نفسه : « هوذا قد اهتم بى الله ولم أمت ، فلأصنع الآن مثل اخوتى » . وبعد ذلك قام وهرب .

فضائله :

لقد تخللت حياة أنبا دانيال قصص كثيرة عن قديسين آخرين كان لهم اتصال بهومنها انكشفت لتلاميذه تعاليمه وفضائله وقد منحه الله موهبة الافراز فى الروحيات.

ونظرا لأن الكثير من قصصه سبق نشرها نكتفى بابراز مايلى مما يدل على قوة ايمان القديس ورعايته وتدبيره وحكمته الروحية :

الراهب الذى قوتل بالزنا

فى بعض الأيام جرب أحد الاخوة بقتال الزنا فذهب الى القديس الأنبا دانيال وكشف له أمره فقال له الأنبا دانيال : يا ابنى اذهب الى الدير الذى دفنت فيه تومايس(١) ثم اجعل مبيتك ومقامك فوق مدفن الآباء هناك وصلى قائلا : « يا اله تومايس العفيفة أعنى ونجنى من محنة الزنا ، وانى اؤمن انك ستخلص من هذه المحنة»

فقام الأخ ومضى الى الدير الذى دفنت فيه القديسة وفعل كما أوصاه الشيخ ، وبعد قليل هدأت نفسه وبطلت التجربة عنه فعاد الى القديس أنبا دانيال وقال يا أبى انى عتقت بقوة الرب يسوع المسيح وبحسن صلاته فسأله أنبا دانيال، كيف تم ذلك ، فقال له : « انى كنت مداوما الانسحاق والصلاة الى الله وعمل المطانيات » ، وبعد أن نمت ظهرت القديسة وقالت لى : « يا راهب .. يا راهب خذ هذه البركة وامض بسلام الى قلايتك » فلما أخذت البركة خف القتال ووثقت انى تحررت منه ... فقال له أنبا دانيال : « كل من جاهد من أجل العفة يكون له عند الله دالة عظيمة » .

* * *

(١) تومايس شابة قديسة ماتت وهى تدافع عن طهارتها .

والقصص التالية تبين ذيوع صيت القديس الأنبا دانيال فى القداسة والقيادة والارشاد وقدرته على كشف الفضائل :

- ١ -

اللص التائب

وكان بالقرب من جبل شيهيت ، الذى تفسيره ميزان القلوب دير فيه كثير من العذارى ، وكان لهن رزق قليل ، وكن يفرقن منه على المساكين والغرباء ، ولكن مبغض الخير ، لم يحتمل البر الذى يصنعنه ، فدخل فى قلب مقدم عصابة بالقرب منهن ، وأغراه بسرقة الدير ، وكم كان فرح رجاله حينما عرفهم بعزمه .

فلما جاءوا الى الدير ، تحايلوا كيف يجدون السبيل للدخول ، لكنهم لم يقدروا ، لأن حصن الدير كان منيعا ، فقال لهم مقدمهم : « ما اقوله لكم افعلوه ، امضوا واحضروا لى ثياب راهب ، وبلينا أسود ، وقلونية منقوشة ، كلها صلبان . مثل شكل أنبا دانيال ، الذى من شيهيت ، فاذا أمسى الوقت ، لبست كل ذلك وآخذ بيدى جريدة ، واقرع الباب ، فاذا نظرن الى فانهن يفتحن لى من أجله ، وبذلك أهيىء لكم الموضع لتنهبوه براحة » . فلما سمعوا فرحوا ، واحضروا الثياب التى طلبها .

ولما امسى الوقت ، قام المقدم لابسا الثياب ، وأخذ فى يده جريدة وقرع الباب ، فجاوبته البوابة : « من انت يا سيدى وابى ؟ » فقال لها : « امض وعرفى الأم بأن المسكين دانيال القسيس الذى من شيهيت قائم على الباب ويقول : « اقبلننى عندكن الى الغداة لكى أستريح » .

فابلغت البوابة الأم بالكلام ، وما أن سمعت الأم أن أنبا دانيال قائم على الباب ، حتى قامت مسرعة ، والاخوات يتبعنها ، وقبلن رجلى ذلك الانسان ، ولأن الوقت كان مساء لم يتحققن شخصه ، بل أسرعن ، واحضرن ماء فى لقان ، وغسلن رجليه ، ولما أردن أن يفرشن له فى علو الدير ، منعهن قائلا : « لن افارق هذا الموضع » .

وتقدمت الأم والأخوات واخذن الماء الذى غسل فيه رجليه ، ووضعته قدامه ، وبدأت كل واحدة تغسل وجهها منه ، وهو يصلب عليها ، وكانت بين الأخوات بنت عذراء ، عمياء من بطن أمها ، فحدث لما أمسكن بيدها ، وأحضرنها الى ذلك الانسان ، أن الأب الأنبا دانيال قد حضر عندهن بالروح فى تلك الساعة ، وأمسك بيد العذراء واحضرها الى ذلك الانسان ، وقلن له : » يا أبانا نطلب من قدسك أن تصلب على عينيها » فقال لهن : « قدمن لها فضلة الماء الذى فى اللقان » ، وكان قوله هذا استهزاء بالماء ، واستقلالا لعقولهن ، فلما اخذت الأخت الماء ورسمت عليه بأسم المسيح قائلة : « بصلات القديس أنبا دانيال » ، فللوقت انفتحت عيناها وذلك الانسان ينظر .

فياللخوف الذى لحقه ، ويااللرعدة ، وما أعظم الصراخ الذى صرخته فى تلك الساعة وبدأن يقبلن رجلى ذلك اللص ، قائلات له : « يا أبانا ، مباركة الساعة التى دخلت فيها الينا » .

أما اللص ، فقال : « يا ويلى ، ويا غربتى من الله ، اذا كان باسم أنبا دانيال ، تفتح أعين العميان ، فكم تكون عظمة ذلك الذى يعمل عمل الرب ، ويلى ، كيف ضيعت زمانى فى عمل النجاسات ، وحق صلاة أنبا دانيال من الآن لن أرجع أسلك الطريق التى كنت أسلكها » ، وكان يقول هذا ، وهو يبكى ، وينتف شعر لحيته .

أما العذارى ، فكن يكررن عليه القول : « مباركة الساعة التى حضرت فيها الى هنا » وأما هو فكان يقول : « بالحقيقة انها ساعة مباركة » .

وأما الرجال الذين كانوا ينتظرونه ، ليفتح لهم الباب ، فقد كانوا قياما ، وسيوفهم بأيديهم ، وهم قلقون على فتح الباب ، وقد سمعهم وهو فى الداخل ، يقولون : « لقد أزف الليل ، لعله يريد أن يترهب ويسكن عندهن » ، وآخر منهم يقول : « لعل راهبة منهن جعلته مسيحيا » ، وكانوا يقولون : « هذا الكلام باستهزاء ، فكان يسمع ذلك ويقول : « حقا لقد نطق نبى الله على أفواههم بأنى أترهب ، وأن راهبة منهن ، جعلتنى مسيحيا » .

ولما انار الضوء ، وانقطع رجاؤهم فيه ، خافوا وانصرفوا الى مكانهم محزونين، وأسنانهم تصر على مقدمهم ، ولما كان الصباح سحرا ، بسط ذلك اللص يديه نحو المشرق قائلا : « يارب ، انك لم تأت لتدعو الصديقين ، لكن الخطاة ، فاقبلنى اليك بصلاة الذين تعبوا على اسمك » ، ثم ودعهن ، وخرج وهن متحققات من أنه أنبادانيال

فلما توسط الطريق ، خرج عليه رفقاؤه ، وقالوا له : « ما الذى أصابك ؟ انما قعودك كان لأنك وجدت جواهر حسنة ، وتقصد أن تفضل نفسك علينا ، أرنا ما معك » ، فلما فتشوه ، وجدوه بأسوأ حال ، وقد تغير وجهه ، وتورمت عيناه من عظم البكاء ، وقد تغير كله ، وخرجت منه النفس الشرسة ، وعند ذلك خافوا وارتعدوا ، وبدأوا يسألونه بخوف وحشمة ، أن يعرفهم ما السبب فى تغيير جميع حياته .

وعند ذلك بدأ يعرفهم من وقت دخولهم عندهن ، وأمر العذراء العمياء ، حتى الساعة التى هو فيها ، اما هم فلما سمعوا داخلهم الخوف وصمتوا . ثم انه توجه نحو البرية ، الى المكان الذى يسكنه الأب انبا دانيال ، وتبعه بعض رفقائه ، وقص عليه ما جرى بدير العذارى ، فقال له أنبا دانيال : « انا الذى أحضرت اليك العذراء العمياء ، ومن وقت دخولك اليهن ، أنا كنت حاضرا بينكم بالروح » ، ومن بعد ذلك رهبنه ، واقام عنده بالعبادة الحسنة ، والزهد الزائد ، الى يوم وفاته : وعمل هذا اللص معجزات عظيمة ، الى ان سكن فردوس النعيم ، بركة صلاته تكون معنا آمين .

- ٢ -

الهبيلة
راهبة دير أرميوس

كان أنبا دانيال ، سائرا مرة مع تلميذه فى طريق ، فلما قربا من موضع يقال له : ارمون المدينة ، قال لتلميذه : « امض الى هذا الذى لهؤلاء العذارى ، وعرف الأم . أنى هنا » ، وكان الدير يعرف بدير أنبا ارميوس ، وكان فيه ثلثمائة عذراء .

فلما قرع التلميذ الباب . قالت له البوابة بصوت خافت : « من هذا . ماذا يريد يا أبى ؟ » قال لها الأب : اريد أن أتكلم مع الأم » ، فقالت له : « ان الأم لاتتكلم مع أحد ، فعرفنى بما تريده ، وأنا أعرفها » فقال لها : « قولى لها هو ذا راهب ، يريد ان يتكلم معك » ، فمضت ودعت الأم . فجاءت الى عند الباب . وتكلمت معه على لسان البوابة ، فقال لها الأخ : « اصنعى محبة . واقبلينا اليك هذه الليلة ، أنا وأبى . لئلا تأكلنا الوحوش » . فأجابت قائلة : « ليست لنا عادة أن يبيت عندنا رجل . والأصلح لكما أن تأكلكما وحوش البرية . ولا تأكلكما السباع الجوانية ، الذين هم الأعداء الشياطين» ، فقال لها الأخ : «ان أبونا أنبا دانيال أرسلنى اليك»

فلما سمعت انه أنبا دانيال ، خرجت مسرعة الى الباب الثانى . والعذارى يجرين خلفها وهن يفرشن بلالينهن فى الطريق الى موضع الشيخ ، فما أن دخل الدير حتى قدمت له لقانا فيه ماء وغسلت رجليه ، ولما فرغت من غسيلهما ، جعلت العذارى يأخذن الماء . ويغسلن وجوههن ، ما خلا أخت واحدة ، كن يقلن لها الهبيلة . مطروحة عند الباب ، بأثمال زرية جدا . فلما فرغوا من الغسل ، خرج الأب أنبا دانيال عند الباب . فنظر الى تلك الأخت ، فلم تسلم عليه ، ولا التفتت الى كلامه ، فصرخت عليها الأخوات . أن تقبل يدى أبينا أنبا دانيال ، فلم تقف ، فقالت الأم للأنبا دانيال : « يا أبانا ، انها مجنونة ، وطلبت مرارا كثيرة أن أطرحها خارج باب الدير ، ولكنى خشيت من الخطية » .

ثم انهن قدمن للأنبا دانيال طعاما ليأكل ، وبعد ذلك أكلن ، ثم قال لتلميذه : اسهر معى الليلة ، لتنظر عظم فضائل هذه القديسة التى يدعونها مجنونة » .

ولم تمض هجعة من الليل ، واذا بالمجنونة قد قامت . وانتصبت ، ورفعت يديها نحو السماء ، وفتحت فاها وباركت لله . وصنعت مطانيات كثيرة ، وكانت دموعها تجرى مثل ينبوع يجرى من أجل حرقة قلبها فى لله . وكان هذا عملها فى كل ليلة ، واذا سمعت صوتا نحوها ، طرحت نفسها على الأرض ، وتظاهرت بأنها نائمة، وهذا كان تدبيرها جميع أيام حياتها ، فقال الأنبا دانيال لتلميذه : « استدع الأم بسرعة » ، فلما أتت ونظرت الأخت عبدة المسيح ، والنور بين يديها ، والملائكة يسجدون معها ، بكت وقالت : « الويل لى أنا الخاطئة ، فكم صنعت بها من الشتم والاهانة والتعيير » .

فلما ضرب الناقوس ، واجتمعت الاخوات للصلاة ، عرفتهن الأم بما عاينت فلما علمت الهبيلة أنهن علمن بخبرها ، كتبت ورقة وعلقتها على قصبة عند باب

الدير ، وخرجت من الدير ، وكان مكتوبا فى الورقة : « أنا الشقية، لشقاوتى ومعاندة العدو لى أخرجنى من بينكن ، وأبعدنى عن وجوهكن المملوءة حياة ، أهانتكن لى كانت قرة نفسى ، وضجركن على كان ثمرة تجمع كل يوم ، استهانتكن بى كانت ربحى ، ورأس المال يزداد كل يوم وساعة ، فمباركة تلك الساعة التى قيل لى فيها : يا هبيلة ، يا مجنونة ، وأنتن مسامحات من جهتى ، بريئات من الخطية ، وانى قدامكن ، قدام المنبر ، سوف أجاوب عنكن لأجلى : ليس فيكن مستهزئة ، ولا من هى محبة للحنجرة ، ولا لليأس ، ولا للشهوة ، بل كلكن نقيات » .

وهذه هى آخر رسالة لها ، فلما قرأها أنبا دانيال قال : « ما كان بياتى هنا البارحة الا لهذا السبب » .

وجميع الأخوات ، أقررن له بما كن يهينونها ، ويفترين به عليها ، فحينئذ حاللهن الأب أنبا دانيال وعرفهن بأن لا يستهزئن بخليقة الله ، فهذه خطية عظيمة، حتى ولو كان هبيلا ، لأن توراة موسى النبى تقول : « خلق الانسان على صورة الله ومثاله بالوقار ، والاكرام ، وطول الروح ، والتأنى ، ثم صلى الأب عليهن ، وتوجه طالبا ديره .

- ٣ -

القديسة أناستاسيا

« الشماسة »

يعطينا ما كتب عن هذه القديسة صورة رائعة لقوة القديس الأنبا دانيال فى ارشاده ، وبراعته فى الرعاية وهى كغيرها من قصص الرعاية التى يقوم بها هذا القديس تصور لنا جانبا من شخصيته كما تلقى ضوءا على سيرة العبادة فى القرون الأولى .

حياة القديسة الأولى :

هذه العذراء القديسة أناستاسية الشماسة من القسطنطينية من عائلة شريفة غنية .. أراد الأمبراطور بوستنيانوس الزواج منها رغم أن زوجته كانت على قيد الحياة وكانت القديسة العذراء قد عزمت من كل قلبها أن تكون عروسا للمسيح تحفظ طهارة نفسها وجسدها متعبدة لله ليلا ونهارا .

حاول الامبراطور أن يستميل قلبها لكنها ذهبت الى دير راهبات قرب الاسكندرية ثم هربت الى صحراء شيهيت حيث توحدت وتزيت بزى الرجال وأسمت نفسها انسطاسيوس الخادم . وكما يظهر من احدى الوثائق القبطية مضت أولا الى مقبرة التسعة والأربعين شيخا شيوخ شيهيت الشهداء وتباركت، من أجسادهم المقدسة ..

وصولها الى القديس العظيم أنبا دانيال وجهادها :

كان للقديس انبا دانيال شهرة فى شيهيت وفى أديرة غرب اسكندرية التى كانت تسكن القديسة فى احداها . وما أن وصلت الى القديس حتى أعلمته بأمرها وانها امرأة متخفية بزى الرجال ، فلما سمع الأب قضيتها عين لها احدى المغارات فى البرية الداخلية من الأسقيط على بعد ١٨ ميلا فى جهة موحشة ومنعزلة ، ولم

يعلم بأمرها أحد . وكان يرسل لها تلميذه كل أسبوع مرة واحدة ليمدها بما تحتاج اليه على باب مغارتها ولا يقرب الباب ، وكانت تضع عليه قطعة من الخزف وتكتب عليها ما تكون فى حاجة اليه ليوصلها التلميذ الى الأنبا دانيال ، وكانت ترى الأنبا دانيال مرة واحدة كل أسبوع وذلك كل يوم أحد للتناول من الأسرار المقدسة . وظل أمرها مكتوما مدة ٢٨ سنة ولم يعلم أحد فى الدير بأمرها وبأنها امرأة خلا الأنبادانيال الذى كانت تسلك تحت اشرافه ؛ وظلت على هذا الحال تعبد الله نهارا وليلا طوال هذه السنين . وفى يوم ما وجد التلميذ قطعة الحزف مكتوب عليها : « احضر الأدوات وتعال هنا الى » .

نياحة القديسة :

بعد أن قرا الأنباء دانيال ما كتبته على قطعة الخزف علم أن القديسة أناستاسية فى طريقها الى مفارقة هذا العالم ، فبكى الأنبا دانيال بكاء شديدا وقال لتلميذه : « الويل للبرية الداخلية لأن عامودا عظيما سيسقط فيها » . هلم يا ابنى أحمل الأدوات وسر بنا على عجل لنلحق بالقديس الشيخ لئلا نعدم صلواته لأنه سائر الى الرب . . . ولما ذهبا وجداها مريضة بحمى شديدة وقال الأنبا دانيال لها : « مغبوطة أنت لأنك اهتممت بهذه الساعة ورفضت المملكة الأرضية » . فقالت له . . مغبوط أنت يا ابراهيم الجديد صاحب ضيافة المسيح لأنه كم من ثمرات اقتبلها ربنا من يدك ، ثم طلب الشيخ اليها أن تبارك تلميذه فصلت هكذا قائلة : « يا الهى الذى وفقت هذه الساعة لتصرفنى من هذا الجسد ، الذى يعرف مقدار المسافات التى سارها هذا الأخ وكم تعب من أجل اسمك ، أعطه روح آبائه ، روح ايليا مع اليشع » . ثم أوصت الشيخ من أجل الرب أن يرسلها الى القبر كما هى ؛ وطلبت سر التناول المقدس ، فلما تناولت من الأسرار المقدسة أشرق وجهها ورسمت على وجهها علامة الصليب وهى تقول : « فى يديك يارب أسلم روحى » وهكذا أسلمت روحها بيد الرب الذى أحبها فانتشر للوقت بخور ورائحة عطره ــ وبكيا وحفرا قدام المغارة قبرا ــ وقال الأنبا دانيال لتلميذه : « البسه هذه الأكفان فوق ملابسه » وكانت ترتدى ثوبا من ليف » .

واذا كان الأخ يلبسها أبصر ثديى القديسة وقد يبسا كأنهما من ورق الشجر اليابس فلم يتكلم ــ ثم دفناها وصليا وقال الشيخ فلنحل صومنا ونعمل محبة واحسانا من أجلها ، وحملا ضفيرة الخوص التى كانت قد ضفرتها وانصرفا الى قلايتهما وهما متعجبان شاكران الله .

وأثناء سيرهما قال التلميذ للأنبادانيال علمت أن هذا الخادم كان امراة لأنى لماألبسته رايت ثدييه ثديى امراة وكأنهما ورقتان ذابلتان ــ قال له الشيخ : « يابنى قد علمت انها امراة من قبل » ، وروى له تاريخ حياتها واعلمه أنها تنكرت وتزيت بزى الرجال وخدمت الرب فى البرية ثمانى وعشرين سنة ولم يعلم أحد بأمرها .

وكم من أمراء وقواد ورسل أجلاء من عند الملك جستنيان كانوا يطلبونها باحثين عنها باجتهاد عظيم بل أن حاكم الاسكندرية نفســه ارسل اعوانا كثيرين ولم يقدر أحد أن يعرف شيئا حتى هذه الساعة .

قال الأنبا دانيال :

« أعلمك ياولدى الحبيب أن هذه المراة سبقت مراتب قديسين كثيرين وأبطال مجاهدين ووصلت الى الدرجة الرفيعة العالية لأنها من أعرق أسر الأشراف وجاهدت

العدو الشيطان وطحنت جسمها وأفنت أيامها فى خدمة الله ورفضت العالم وشهواته .. اما نحن فلما كنا فى العالم كنا بالكاد نشبع من الخبز ، ولما جئنا الى الرهبنة صارت لنا راحة ، ولم نستطع أن نقتنى فضيلة واحدة مما اقتنته هذه القديسة التى سمت نفسها « انسطاسيوس الخادم » .

وهذه القديسة (١) يعيد لها اليونان يوم ١٠ مارس على الرغم من عدم اعترافهم بالقديس الأنبا دانيال لأنه كان ضد مجمع خلقدونية .

- ٤ -

القديس الضرير (٢)

أخبر القديس الكبير أنبا دانيال : أنه صعد وتلميذه مرة الى الاسكندرية فأبصر انسانا ضريرا عريانا : جالسا فى شارع يطلب من الناس صدقة ، فقال الشيخ لتلميذه : ابصر هذا الأعمى حقا أقول لك أنه قد وصل الى قدر جليل ، فان شئت أبين لك أحواله . وانطلق الشيخ وقال له يا أخى :اصنع معى محبة فليس لى ما اشترى به خوصا أعمله وأعيش منه . فقال له الضرير : يامعلم وما رأيت فى اذ تبصرنى عريانا مكبدا(٣) ، وتقول انى أريد منك ما ابتاع به خوصا أعمله ، ولكن اصبرلى قليلا . فأومأ الشيخ الى تلميذه أن يلحقه : فذهبوا الى هيكل القديس مرقس خارج المدينة لأن هناك كانت قلايته . وقال للشيخ : يا معلم توقف لى . ودخل وأحضر للشيخ قفة فيها زبيب ورمان وتين ، وثلاثة قراريط دراهم . وأخرج من فمه دينارا وزنه ثلاثة مثاقيل . ودفع جملة ذلك الشيخ قائلا : صل على ، ولما جاء الشيخ الى عند تلميذه ، بكى وقال : كم لله عبيد مستورون !! الرب يعلم انى ما رددت من بركته شيئا لأنها صدقة هى .

وبعد انصرافهما من عنده بأيام قليلة ، سمع أن الأقنوم(٤) الكبير أوجعه كبده وجعا شديدا ، وكان نائما فى هيكل مرقس الرسول القديس . فظهر له الرسول قائلا : ارسل فادع فلانا الضرير ، فانه يضع يده على الوجع الذى لك فتشفى . فأرسل وأحضره وطلب اليه بالزام . فلما صلى ووضع يده على الوجع برىء للوقت وسمع بهذا أهل المدينة . وصار أعجوبة واتصل الخبر الى البطريرك . فخرجوا وجاءوا الى الضرير فى بيته ليأخذوا بركته فوجدوه قد تنيح اوقته . صلاته تحفظنا آمين .

تيودورة سنة ٥٤٨ م وقضت فى مغارتها ثمانى وعشرين سنة .

(١) كانت نياحتها حوالى سنة ٥٧٦ م حيث أنها مضت الى البرية الداخلية بعد وفاة الامبراطور وهذه القديسة مذكورة تاريخها مختصرا فى سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم ٢٦ طوبة ومذكورة سيرتها مع سيرة القديس العظيم الأنبا دانيال فى يوم ٨ بشنس أيضا .

(٢) يبدو أن هذا القديس الضرير كان يستعطى ويساعد الرهبان المحتاجين او المحتاجين عموما ! .

(٣) مريض بالكبد .

(٤) = ايغومنيوس = تستعمل بمعنى « مدير » أو عامود الدير .

الآباء السواح

الأنبا يوساب السائح

كان شيخ سائحا(١) فى برية الاسقيط ، اسمه يوساب قد أضعف جسده بالصيام والصلاة والسهر والتعب والصبر على حر الصيف وبرد الشتاء ، ولباسه من الليف الخشن ، وكان لسانه مع ذلك لا يفتر من التسبيح والتقديس . فانتهت به عبادته الى أن صار يركب على السحاب ، ويغتذى من طعام يأتيه من السماء فى أوقات معلومة . وحصل له من العناية الربانية قوة تمنع عنه الحر والبرد ، وهو يزيد فى فضائله محتقرا لذاته وهو يشعر بأنه غير مستحق لما قد صار اليه .

ومع هذا اشتهى من الله أن يعرفه من الذى يماثله فى نعيم الآخرة . وبعد طلبة وخضوع وتضرع وابتهال ، أتاه صوت من السماء يقول :

« ملك انطاكية فى هذا الزمان سيكون نظيرك فى ملكوت السموات » .

وحينئذ ركب الشيخ على سحابة وطلب من الله أن يوصله الى انطاكية ، فأجاب طلبته فنزل خارج المدينة واخذ جريدته بيده وقصد باب المدينة ، فلما انتهى الى الباب وجد الملك قد ركب فى ذلك اليوم ، وهو خارج من المدينة ، وحوله عسكر كبير بالتبجيل العظيم فبعضهم يمشى فى ركابه وبعضهم على خيلهم . فاستند الراهب الى باب المدينة حتى يشاهد الملك وجها لوجه ، واذا الملك قد اقبل راكبا وفرسه مثقل بالحلى والمجوهرات التى عليه ، وكان شعاع الجواهر المختلفة الالوان التى فى التاج الذى على راس الملك يضىء .

فحينئذ ندم الشيخ وحزن لما ابصر هذه العظمة التى للملك ، وقال : من يكون هذا الملك العظيم كيف يكون له ارث فى ملكوت السماء ؟ !! وصار حزينا باكيا ، ووقع الازدحام فى الباب وصار الشيخ من الازدحام فى بلبلة وتعب عظيم ، ولما وصل الملك الى الباب خف الازدحام .

حينئذ التفت الملك الى الشيخ وقال له : « يا انبا يوساب ، لقد اشتهيت لنفسك تعبا ما كان اليه حاجة » ، وأمر بأن يمضى به الى القصر ، حتى يعود .

فلما سمع الشيخ قول الملك فرح جدا وقال : لولا أن الله ساكن فى هذا الانسان ما عرفنى ولا عرف قصتى . فلما وصل الى الدار جلس فى الدهليز . حتى عاد الملك ، فأخذ بيد الشيخ ودخل الى مجلس عظيم ، قد هيىء فيه الطعام للعسكر . فجلسا ناحية عن الطعام ودخل العسكر جميعهم ، فأكلوا وشبعوا من تلك الأطعمة اللذيذة وانصرفوا . وحينئذ دخل الملك والشيخ الى داخل القصر

---

(١) اخذت عن مخطوطة رقم ٢٨٩ ميامر بمكتبة دير السيدة العذراء (السريان) العامر بوادى النطرون .

اذ التقتهما الملكة زوجة الملك وعليها من الحلى والجواهر شىء يفوق الوصـــف ، وحولها جوار حسان الصور مجملات باللباس والحلىمما يفوق وصفه جهد الواصف. فام يزلن فى خدمة الملك حتى جلس على عرشه وحينئذ انعزلت الملكة وجواريهـا عنهما . ثم عادت اليهمـــا وهى لابسة مسحا من الشـــعر ، فعند ذلك انعزل الملك أيضا ولبس مسحا من الشعر وعاد ، ثم نهضا وخرجا من ذلك الموضـــــع والسائح معهما وأتوا الى مكان آخر فى القصر وفيه راهب جالس يعمل فى شغل ، فلما رآهم الراهب وقف ودنا من السائح وقبلا بعضهما بعضا وصـــلوا جميعهم الساعة(١) وقالوا البركة وجلسوا .

ثم اتى خادم الى الملك والملكة بشغل أيديهما فتناول كل واحد منهما صنعته ليعمل فيها .

فقال الراهب للسائح من حيث لا يعرفه : يا أنبا يوساب : ان الله تبارك اسمه أراد بك خبرة عظيمة لأنه أوقفك على سيرة الملك وزوجته . وتحـــدثوا جميعهم لعظائم الله الى وقت الساعة التاسعة . فأتى الخادم بمائدة وعليها خبز وطعــــام رهبان ، فصلوا وأكلوا ورفعت المائدة .

فعزم السائح على الانصراف فتباركوا منه وقال له الراهب سرا : يا أخى اتعظ بهذه السيرة لأنك قد نظرت عظمة هذا الملك وزوجته وها أنت ترى حالهما وتواضعهما ، حتى أنهما لا يتناولان شيئا من الطعام البته ، الا من شغل ايديهما وفى هذا كفاية .

ثم ودعهم السائح وانصرف ، فركب على السحاب وعاد الى موضعه ببرية الأسقيط متعجبا مما رأى من مجد الله الذى له التســـبيح والعظمة والاكرام الى الأبد آمين .

✝

(١) صلوا الساعة المناسبة من ساعات النهار .

مقاره الكاتب

وبعض السوّاح

قال مقارة الكاتب :(١)

انى أردت الدخول الى مدينة الاسكندرية لاقضى بعض حوائجى فلما وصلت الى المدينة ، لقينى رجل لا أعرفه خارج المدينة ، وعلى كتفه وعاء صنعة البساتين ومعه من ثماره . فقال لى :

من أين أتيت يا أبى والى أين تريد ؟ فقلت : أتيت من الوادى المقدس وأنا طالب هذه المدينة . فقال لى : أنا أسألك أن تبيت عندى فى منزلى هذه الليلة وعند الصباح تمضى حيث تريد وكان ذلك الوقت قد قارب المساء وألح على بأسم يسوع المسيح . فأجبته الى ما سأل ولم أعلم مذهبه ولا معبوده الا أنه يعرف كلام اهل الجبل ، وهى اللغة القبطية ، فسكنت اليه ومضيت معه . فلما وصل الى منزله أخرج من وعائه مفتاحا ففتح به الباب ودخل وأدخلنى فنظرت يمينا ويسارا فلم أجد شيئا غير حصيرة قد مضى عليها الزمان . ووعاء فيه ماء وحبلا مشدودا فى سقف البيت وكتابا موضوعا على كرسى وسراجا فيه زيت ومنديلا فيه رغيف من الخبز اليابس وقليل من الملح . وسألنى أن آكل منه فأخذت وأخذ معى وأكلنا كلانا ، ولما وقع الطعام فى فمى اذ طعمه مثل شهد العسل وأحلى منه والملح كذلك مثله أيضا ، فداخلنى العجب ، وأن ذلك الرغيف الخبز أكلنا منه نحن الرجلين ولم يذهب منه شىء . فقلت :

يا ليت شعرى ما هذا الرجل ؟ وبعد أكل الخبز ابتدأ يسألنى عن الكتب المقدسة وما فيها من أمر المسيح ويشرح تفسيرها . وكنت أنا كاتبا جميع أيامى متضلعا فى الكتب المقدسة وأنا لا أعرف ما أوضحه لى . فقلت ان هذا الرجل رجل الله أو ملاك ، وأن الله سهل طريقى اذ جمع بينى وبينه ، وكنت أسمع منه ولا أقدر أن أجيبه لأجل ما فيه من الروح الناطقة .

ولما كان الصباح من تلك الليلة بعد أن مضت الليلة ولم ينم ، أخذ أداته كعادته وأراد الخروج الى المكان الذى كان فيه الكرم الذى كان له ، وأنا لا أعلم بذلك وقال لى : أنا أريد الخروج الى عملى باكرا جدا ، حتى انصرف باكرا ، وكان ذلك ما عنى به عن عمل الآخرة وأنا لا أعلم ، ودفع لى مفتاح منزله ، وقال لى : اخرج الى ما أردت من قضاء حوائجك فاقضها وعد الى المنزل فانك تكون عندى عشرة أيام فأخذت منه المفتاح ، وأما هو فتوجه الى عمله ، وأنا مضيت الى البيعة للصلاة وتناول القربان ، فوجدت فيها رهبانا قديسين كنت أعرفهم فلما رأونى فرحوا بى وقالوا :

---

(١) أخذت عن مخطوطة رقم ٢٨٥ ميامر بمكتبة دير السيدة العذراء (السريان) .

يا مقارة متى اتيت الى هذه المدينة ؟ فقلت : بالأمس . فقالوا وأين أنت نازل فقلت لهم صفة ذلك الرجل فتعجبوا ولم يعرفوه ، وقالوا لرجل كان قيما للبيعا خبيرا بجميع من هو ساكن فى هذه المدينة فلم يعرفه وكان ذلك عجبا فى تلك الساعة. ولما فرغت من الصلاة والقداس عدت أريد المنزل فلم أجده وبقيت متحيرا ، لا اعرف كيف أذهب . فتفكرت وقلت : ان الذى رأيته جميعا كان حلما وقلت أمضى وأقعد على الطريق . فى المكان الذى اجتمعت به فى الأول فانى اراه ، وكنت قد جعلت فى المنزل قبل خروجى منه بعض حوائجى ، وخرجت الى خارج المدينة وجلست على الطريق فى المكان الذى اجتمعت به أولا فلم أجلس الا قليلا واذ ذلك الرجل قد أقبل على تلك الحالة الأولى وأداته على كتفه فتطلع وابصرنى وقال لى أخرجت الى ها هنا ؟ فأعلمته بجميع ما نالنى من ذلك .

فقال : اسأت لى لم فعلت هذا الى رجل مطالب بما قدمت يداه ، وكنت لا أريد أن يعرف موضعى . وهذا كان تعليما حسنا وأنا تفكرت وقلت ان الذى قاله صحيح انى اسأت اليه ومشى وأنا اتبعه حتى دخلنا المنزل وفعل مثل الدفعة الأولى . وأقمت عنده ثلاثة أيام ، وذلك الرغيف الخبز لم ينقص شيئا وقضيت بعض حوائجى فى هذه المرة وأردت الانصراف فقال لى :

الم أقل لك انك تقيم عندى مدة عشرة أيام ، ولم ينقص منها الا ثلاثة أيام ؟ وأخذ أداته وأراد الخروج الى كرمه . فقلت له : أنا اليوم أمضى معك الى كرمك وأبصره وأبصر عملك . فقال لى : قم وامشى ، وأخذ بيدى وخرج قدامى وأنا له تابع حتى خرجنا من باب المدينة . واذا ثلاثة رجال لابسين لباسه ومعهم أداة مثل أداته وهم يقولون له : لم أبطأت علينا ؟ انهض . وهو يقول لى :

يا مقارة امشى خلفنا فمشيت وأنا أريد كلامهم وهو وأياهم لا يلتفتون الى . وهم مجدون فى السير وانا لا أعلم الى أين يريدون ، ولم يكن الا عند حضور وقت صلاة الثالثة واذا نحن قد اشرفنا على نهر من الماء وهى عين جارية لا يعرف أحد من العالم حده ، وحوله شجر من النخل والعنب والزيتون والتين والرمان . فصلوا وبعد الصلاة أخذوا أداتهم وجعلوا يكرمون فى ذلك الشجر ولا يأكلون من ثماره شيئا . فبقيت أنا مفكرا .

فدنوت من الرجل الذى أنا نازل عنده . وقلت له ما هؤلاء القوم ؟ فقال لى : هؤلاء القوم شركاء لى فى هذه الروضة . فقلت : لم لا يكلمونى ؟ . فقال لى : هم يعرفونك ولكنهم يقولون انك لا تريد أن تكون معهم مقيما . فقلت : انهم يعملون اعمالا لا اعرفها وانا مشغول بما أنت عارف وانا أكتب كتب البيعة وأقصد بذلك عمارتها واجدد منها ما خلع .

فأقمت ذلك النهار معهم ، فلما كان وقت صلاة التاسعة أكلت من ثمر ذلك الشجر وكنت أكثر الأكل منها وانا لا أمل وهى لا تشبعنى فقلت لذلك الرجل :

ان ثمرة هذه الشجرة لا تشبع الجائع . فقال لى كلاما ، وهو تعليم روحانى ان اهتمامك بطعام العالم ، وتركك الاهتمام بالعمل الصالح ، والطعام الروحانى أوجب لك من ذلك .

وللوقت علمت أن القوم صالحون ، فتلهفت عليهم ودنوت منهم ، اريد أن اتبارك بهم ، وعند طلبى لهم لم أجدهم وبقيت فى الروضة وحدى أطوف فيها يمينا وشمالا لا أدرى كيف أذهب ، فأقمت على هذه الحالة عاما كامل آكل من ثمرة ذلك الشجر ولا أدرى من يجاوبنى ولا القوم الذين رأيتهم . وقلت لقد فعل الله معى مثل قديسيه واسكننى هذه الجنان وهو الذى بعث لى بهؤلاء القوم وبينما أنا فى آخر العام واذ بى أرى ركابا يريدون المسير الى حاجتهم ، فتقدمت اليهم وقلت لهم الى أين تريدون ؟ فقالوا : الى مدينة الاسكندرية . فقلت : هل لكم أن تحملونى فانى تائه فى البرية ولا أعلم أين أذهب ، وهذا لما داخلنى من محبة العالم ، وبينهم ظهر لى الشيطان وجنوده فى هذه الهيئة ليخرجونى من الموضع الرحب الى الضيق والتعب ، وحملونى وأنا لا أعلم انهم الشياطين ، وفى أسرع وقت وصلت الى مدينة الاسكندرية ، وكان رجل من الركاب يقول : قد ربحناه وأخرجناه من النعيم الى التعب .

وبينما أنا متفكر فى كلامه اذا الرجل الذى كنت نازلا فى منزله قد رأيته مقبلا على الهيئة التى كنت أراه فيها يوم لقائه فى منزله ، وكنت قد تداخلنى فكر الجوع ، ومشى قدامى وأنا أتبعه الى المنـــزل ، فأحضر الرغيف بعينه ، فأكلت وأكل معى كالعادة وقال لى : يا مقارة أين كنت هذه المدة ؟ فقلت له : اننى كنت فى الموضع الروضة منذ فارقتك لأنك تركتنى فيها ومضيت ، وانتظرتك أن تعود الى فلم أستطع أن أراك الا فى هذه الساعة .

ثم أقبل الى وقال لى : مقارة اخترت لك مكانا تكون فيه حتى تموت ولم ترغب أنت اليه لكن الشيطان العدو هو الذى أخرجك منه ولم تعلم .

فقلت : يا أبى من هؤلاء القوم الذين كانوا معك ؟ فعرفنى أنهم آباء قديسون يسكنون هذه المدينة ومنازلهم مثل منزلى هذا ، ونحن فى كل يوم نمضى الى هذه الروضة فنصلى فيها ونصلح أشجارها ، ونعود الى منازلنا ، وأهل هذه البلاد لا يشعرون بنا ، ولو صبرت قليلا لكنت لنا رفيقا .

وللوقت صرت نادما كلح الوجه وقد أطرقت بوجهى الى الأرض ولم أستطع أن أرفع راسى بالجملة ، ثم رفعت صوتى وبكيت نادما . فقال لى : قم وأرجع الى مكانك فان الله قد جعلك لتمجيد اسمه فيما تكتبه ، وتصير الى رعية شعب كبير . وأخبرنى بأشياء كثيرة لا أذكرها فى هذا الكتاب لئلا يطول بذلك الشرح . فأقمت عنده بقية الأيام التى ذكرها ، ولم تكن المدة التى كنت فيها فى الروضــة الا مثل حلم فى منام رأيته .

وقد سألته فى عدة أبواب لمشكلات فى الكتاب ، فأخبرنى بها وتفسيرها ، وقد

كتبتها فى كتاب المستنغوجية(١) وليست فى هذا الكتاب المسطور .

ولما أردت المسير أخرج ذلك الرغيف وأعطانى أياه ، وقال لى : خذ منه واستعمل وقت حاجتك الى الطعام فانه يغنيك عن كثير من الطعام ، وأحذر أن تعلم أحدا بما رأيت ، ولكن سطره فى كتاب وأجعله مخفى لا يقرأه أحد الا بعد وفاتك . وأنا أعلمك انك تكون رئيسا ، وتدوم رئاستك اثنين وعشرين سنة . وتكتب كتبا كثيرة فيها عجائب وبراهين وهى التى تكون بعدك ذكرا .

ولم أكن أعرف من أين هو ذلك الرجل ولما خرج مريدا أن يودعنى عند مسيرى قال لى : ياولدى أوصيك : اذا ما انتقلت اليك الرئاسة فلا تتكبر على اخوتك ولكن كن متواضعا رحيما عفيفا ، فطوباك اذا فعلت هذا . وطوباك يا مقارة لأنك سوف تقدس قرابين كثيرة وتعد للرب شعبا كثيرا وتطلبنى فى هذا المنزل ويهديك الله اليه ولا يخفيه عنك .

وانطلقت عنه فى تلك الساعة ، ومضيت الى منزلى بدير براموس ، ولم يمر على الا مدة يسيرة مقدار خمسة وعشرين يوما ، واذ وصل الى هذا الدير الأب البطريرك أنبا « ديمتريوس » فأخذنى ورسمنى أسقفا على كرسى نيقيوس وسلم الى رعية شعب كثير ، كما ذكر لى ، وبعد ذلك مضيت الى مدينة الاسكندرية وطلبت ذلك الرجل ، فوجدته على تلك الحالة التى كنت أعرفه فيها ، فتلقانى عندما رآنى وقبلنى وقبلته ، ونزلت الى منزله فوجدت عنده القوم الذين كنت قد رأيتهم ، فسلموا على وسلمت عليهم ، وقالوا : يا مقارة اليوم تحصنت ضد الشيطان فأحفظ هذا الثوب ، وهذا حصن حصين ، وتباركت منهم وهم ودعونى وأرادوا المسير ، فسألتهم هل لى وصول الى تلك الروضة ؟ فقالوا : لا لأنك هوذا ترعى شعبا عظيما ، فاياك أن تحيد عن القضاء أو تحابى .

وأما ذلك الرغيف الذى أعطانى اياه ذلك الرجل ، فكنت آكل منه فى اليوم ما يغنينى عن ثلاثة أيام لا أعود ان آكل طعاما ، وأردت السؤال عنه وما هو ، فسألته عند الاجتماع به فلم يخبرنى .

وأنا مقارة كتبت هذا جميعه ، وكنت قد سألت الله ، أن يحل هؤلاء القوم فى منزلى ويصلوا فى بيعتى بنيقيوس . فرأيت أحدهما قائما أمامى وهو يقول : يا مقارة انك لا ترانا الا فى اليوم الذى تصير فيه الى ربك فاننا نكون من الحاضرين للصلاة عليك .

وهذا ما رأيته وسمعته وكتبته . انظروا يا اخوة من أرضى الله بعمله مايصير اليه من القدس . فنسأل الله ان يجعلنا ممن عمل بطاعته وكفانا سوء الشيطان العدو المناصب لمقاتلتنا . والمجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان والى دهر الدهور آمين .

* * *

(١) المستاجوجيا Mystagogy ــ أخبار النساك والمتصوفين .

الباب الثانى

تدبيرات الرهبنة

الفصل الأول : تدبير البداية

الفصل الثانى : تدبير الارادة

الفصل الثالث : تدبير الروح

الفصل الرابع : تدبير الفكر

الفصل الخامس : تدبير المحبة

الفصل الأول

تدبير البداية

١ ـ ماهيـة الرهبنة .

٢ ـ تعاليم القديس أكليمادوس .

٣ ـ تعاليم القديس مار اسحق .

٤ ـ تعاليم القديس نيلس وآخرين .

٥ ـ تعاليم القديس الشيخ الروحانى .

٦ ـ تعاليم القديس الأنبا أشعياء .

ماهية الرهبنة

+ **قال أحد الشيوخ :**

« لا تكون تحت السماء أمة مثل المسيحيين اذا أكملوا ناموسهم كما لا توجد مرتبة جليلة كمثل مرتبة الرهبان اذا حفظوا طقوسهم . ولذلك فان الشياطين تحسدهم . يحاربونهم بكل أصناف الرذيلة ، ويجعلونهم يغمضون أعينهم عن خطاياهم ويوبخون خطايا غيرهم لكى يبعدوا عنهم السلامة ، ويلقوا فيهم الشرور . فلنسأل الرب الاله أن يخزق شباكهم عنا ويخلصنا من أيديهم » .

+ **وقال شيخ آخر :**

« كما أن الانسان الذى ترك المملكة وترهب يمدح من كل العقلاء والفضلاء ، لأن الرهبنة أفضل من كل ما تركه ، اذ هى توصل الى الملكة السمائية الدائمة ، كذلك اذا ترك انسان الرهبنة وصار ملكا ، فانه يذم من كل الفضلاء » .

+ **وقيل أيضا :**

« ان المسيحيين الحقيقيين ، هم أفضل الأمم ، والرهبان أفضل المسيحيين »

+ **وقال أنبا يوحنا القصير :**

« بالرغم من أننا نفر قليلون فى نظر الناس لكن دعنا نقدر الشرف الذى لنا أمام الله » .

ضبط الجسد وضبط الفكر :

من هو الراهب .. ؟

+ **قال شيخ :**

« ان الراهب يدعى راهبا من وجهتين : الأولى ، أن يبتعد من مناظر النساء ، ويرفض العالم وكل ما فيه ، ولا يهتم بشىء البتة . والثانية ، أن ينقى عقله من الآلام ويتحد بالرب وحده ، وحينئذ يثمر ثمر الروح الذى هو الحب والفرح والسلامة والخيرية ، وطول الروح والايمان والود والوداعة والامساك . ومن كان هكذا فلن يوجد له ناموس يقاومه . وبقدر ما تكون همة الانسان ملازمة لله بلا طياشة ، بقدر ما تكون نعمة الله متضاعفة عليه ، وبقدر ماتقرب اليه بقدر مايهتم هو بنا ، وبقدر مانبتعد عنه بهمتنا بقدر ذلك يبتعد هو عنا ، لأنه جعل الاختيار لنا فى ذلك ، اذ خلق روح الانسان على صورته ، فهى بطبعها تحبه وتشتاق اليه ، وهى روحانية ، فهى تشتاق الى الأمور الروحانية واما الجسد فخاصته من الأرض ، فهو يحب الأرضيات واليها يميل بطبعه . الصلاة الدائمة بتحريك الشهوات الجسدانية يجذب الشيطان النفس الى الأمور الأرضية ، فينبغى للراهب أن يكون له افراز ، ويطلب من الله الهداية والمعونة حتى لا ينخدع ويعتمد عليه بأيمان تام ، لأنه بغير معونة من الله لا يقدر أن يناصب الشيطان ولا يبعد منه الأفكار الرديئة . لكنه اذا سلم نفسه لله ولازم الصلاة فان الله حينئذ يملك على نفسه ويجعل فيه هواه ، ويكمل فيه

وصاياه . فالذى يعلم أنه لا يقدر أن يعمل شيئا بغير الله ، لا يفتخر كأنه قد عمل شيئا ، لكنه يشكر الله الذى عمل فيه . والشيطان اذا رأى انسانا مجاهدا ، فانه يحرك عليه الأوجاع الخبيثة ، وقد يفسح الله له المجال فى ذلك ـ حتى لا يتعظم بأنه جاهد ، حتى يلتصق به بالصلاة الدائمة ، فاذا هو عرف ضعفه ، فان الله يبطلها عنه أعنى الأوجاع الخبيثة ، وتعبر نفسه فى هدوء وسلام » .

الى المنتهى :

قال سمعان العمودى :

« كما أن الانسان اذا مشى كثيرا نحو المدينة ونقص سيره ميلا واحدا ، فقد أضاع كل تعبه ولم يدخلها ، كذلك الراهب اذا لم يجاهد الى النفس الأخير لا يدرك مدينة الأطهار . وكما أن الانسان اذا عدم آلة واحدة لا يقدر أن يكمل الصناعة اللازمة لها تلك الآلة ، هكذا الراهب اذا عدم وصية واحدة ، لا يقدر أن يكمل سيرته ، فليس يكفيه أن يمنع جسده من الزنى فقط ، بل أن يضبط فكره ونظره وشهوة لسانه من الكذب والنميمة والشتم والتعبير والمداينة والمزاح والمماحكة ، وبالاجمال من كل كلام بطال ، كما ينبغى له أيضا أن يعلم اعضاءه الخضوع لارادة الله ، وليست اعضاء جسده فقط ، بل وأعضاء انسانه الجوانى كذلك .. » .

وجماعة من الاخوة أتو الى أنبا ايلاريون وقالوا له :

« ما علامة فضل الراهب ؟ ..

فقال لهم : « كثرة الحب والاتضاع يزينان الراهب ويشرفانه فى الدنيا وفى الآخرة ، فيجب أن تكون له هذه الخصال وهى : أن يكون عاقلا ، عالما ، محتملا صبورا ، طاهرا ، عفيفا ، سخيا ، جوادا ، مترئيا ، رحيما ، وقورا ، كتوما ، شكورا ، مطيعا ، مداوما الصمت ، متوفرا على الصلاة » .

+ قالوا : « اذا اجتمعت هذه الخصال فى انسان ، فهل يسمى راهبا ؟ » قال : « نعم » ، انه راهب اذا تعب كذلك وشقى بمقدار ما تصل اليه قوته » .

ما عمله وسيرته

قال شيخ :

« سيرة الراهب هى : « الطاعة ـ الهذيذ فى ناموس الله الليل والنهار ـ لا يدين ـ لا يغضب ـ لا يتكلم ـ لا يبصر بعينه سرا ـ لا يبحث عن عيوب الناس ـ لا يسمع بأذنيه نقص آخرين ـ لا يخطف بيديه ـ لا يستكبر فى قلبه ـ لا يملأ بطنه ـ لا يفتكر أفكار سوء ـ لا تكن له دالة ولا مزاح مع أحد ـ ويعمل أعماله بمعرفة ـ ويجعل باله فى خطاياه ـ ويطلب من الله أن يهب له نياحا واتضاعا حقانيا ، ولا تكون له دالة مع صبى ، ولا خلطة مع امراة ، وان كلمه انسان فلا يلاججه ، وهكذا يكون ساكنا هادئا مسكنا للروح القدس .

وقال أنبا بيمين :

« من أدلة الرهبانية الشدة والمسكنة والمعرفة ، لأنه مكتوب عن هؤلاء الثلاثة الرجال : نوح وأيوب ودانيال ، ان نوحا يشبه المسكنة ، وأيوب يشبه الشدة ودانيال يشبه المعرفة ، فان كانت هذه الخصال الثلاثة موجودة فى انسان فالله ساكن فيه » .

ما هو الفرق بين رهبنة القدماء ورهبنة زماننا ؟

سئل شيخ : « بماذا تشبه رهبنة القدماء ، ورهبنة زماننا هذا ؟ » فاجاب قائلا :

« كان انسان غنيا وحكيما ، وكان يطلب المسك الخالص ، فلما لم يجد المسك الحقيقى الذى يريده ، قطع المسافات برا وبحرا حتى وصل الى الصين حيث قدم هدايا للملك الذى هناك ، وسأله ان يعطيه مسكا ، وطلب اليه أن يقطعه هو بيده ، فلما أخذ المسك ورجع ، أعطاه لأولاده وأولاده بدورهم أعطوه بعضهم لبعض ، وقليلا قليلا غشوه وخلطوه بما يشبه المسك الحقيقى فى اللون ، ويختلف عنه فى الرائحة ، ومع تمادى الزمن بقى الزغل (التقليد) موضع المسك الحقيقى ، وعدمت رائحته ، وبقى الشكل والاسم فقط .

وكذلك الآباء القدماء ، فانهم تجاسروا على الحياة والموت، وذاقوا كل التجارب، واحتملوا الضوائق ، وقدموا ذواتهم ذبيحة حية روحانية ، ووهبت لهم المعرفة الروحانية ، وصاروا مسكنا لله ، واحسوا بالأسرار . ثم واتصل الشر شيئا فشيئا، حتى انتهى الحال الينا نحن الذين بالاسم والشكل فقط .

ان أمور سيدنا مرارات تعقبها حلاوات ، مظلمات تعقبها نيرات، محزنات تعقبها مبهجات ، أما أمور العالم فهى حلاوات تعقبها مرارات ، نيرات تعقبها مظلمات ، مبهجات تعقبها محزنات ، يعرف الحق ذاك الذى اختبر هذه ، ليس من سماع الآذان فقط » .

كيف أكون راهبا ؟

سأل أنبا يوسف أنبا بيمين قائلا : « قل لى ، كيف أكون راهبا ؟ » قال له : « ان كنت تريد أن تجد نياحا ههنا وفى الآخرة ، فقل فى نفسك فى كل أمر : أنا من أنا ، ولا تدن انسانا » .

عمل الرهبان

قال القديس دوروثيئوس :

« ان الأوجاع(١) هى غير الخطايا ، فالخطايا هى عمل الأوجاع بالفعل والأوجاع هى أسباب الخطايا ، فقد يوجد انسان فيه الأوجاع كالغضب الضار ، وشهوة الشر ، ولا يستعملها .

والقديسون ما اكتفوا بأن لا يفعلوا الشرور فقط ، بل واجتهدوا فى ان يقلعوا

(١) الميول الى الخطايا والالتهاب بها .

من نفوسهم الأوجاع التى هى أصولها ، ولما صعب عليهم ذلك وهم بين العلمانيين ، تغربوا فى البرية ، ولزموا الصوم والصلاة والسهر ، فقاموا بما قرر عليهم من الوصايا ، من عفة ، ومسكنة ، ونافلة ، وغربة ، لتكميل وصايا الرب .. وزيادة العفة ، وهى عدم الجماع البتة ، والمسكنة ، وهى عدم القنية بالكمال ، والنافلة ، وهى ما زاد على الفريضة ، وهى الرهبنة ، وفرزوا للرهبنة شكلا فيه رموز على غرضها ، أما القلونية التى ليس لها كم ، فاذا أردنا أن نعمل بأيدينا شرا ، كالسرقة، أو الضرب ، أو غيره ، فانها تقصر أيدينا كتقصير كمنا ، وأما الاشتداد بالمنطقة ، فللتشمر والاجتهاد فى خدمة الله ، وكونها من جلد ميت ، لنميت أوجاعنا ، وأما الأباليون بشبه الصليب ، فاشارة الى حمل الصليب واتباع سيدنا : وأما القوفلية . فهو شبه الخنق ، وهو لباس الأطفال ، والأطفال لا مكر عندهم ، ولا حقد ولا نجس ولا اقامة هوى ، وذلك هو أكبر أغراض الرهبنة » .

انسحاق النوبة :

كان شاب اسمه مقاره ، اتفق له وهو يرعى ، ويلعب مع صديق له ، فقتله بغير تعمد ، ولم يعلم به أحد ، فمضى لوقته الى البرية وترهب ، وأقام ثلاث سنين فى البرد والحر ، فى أرض ليس فيها ماء ، وبعد ذلك بنى كنيسة داخل البرية ، وأقام فيها خمسا وعشرين سنة ، واستحق نعمة من الله ، حتى أنه قوى على الشياطين ، وفرح فى نسك الرهبنة وأقمت بالقرب منه زمانا ، ولما صار لى عليه دالة ، فتشته عن فكرة بسبب خطية القتل ، فقال : أقمت أياما كثيرة متعبا ، لأجل هذا الفكر ، وهو يلازمنى ليلا ونهارا ، ويقلقنى جدا ، وآخر الأمر أراحنى الرب من حزن القلب بسببه ، حتى لقد شكرت القتل الذى فعلته بغير اختيارى ، لكونه كان سببا لخلاصى وبنعمة الرب صرت ، اذا تعرضت الى الشياطين ، بفكر تعظيم القلب ، ويقولون لى : « قد صرت رجلا عظيما أكثر من الرهبان كلهم » . فأجيبهم قائلا : « والقتل الذى فعلته ، ما أشد عذابى فى الجحيم بسببه » . فيمضوا عنى ، ومرة أخرى يقولون لى : «أيها القاتل، لماذا تقعد فى هذه البرية ، وليست لك توبة، فتتعب فى الباطل ، امض الى العالم ، وأصنع أرادتك ، لئلا يفوتك الأمران ! » فأقول لهم: « الرب الذى صنع الرحمة مع عبده موسى ، يرحمنى أنا أيضا » ، وكنت أعزى نفسى وحدى بأن موسى لم يستحق أن يرى الله ، الا بعد أن هرب من مصر ، ودخل البرية، لأجل الذى قتله باختياره .

وما قلت هذا ليطيب قلب أحد بالقتل ، بل ليعرفوا أن أسبابا كثيرة مختلفة تجتذب الناس الى الفردوس ، فواحد يهرب لأجل الفقر والاستدانة ، وآخر يهرب من جور المستلطين ، وآخر بسبب زنى زوجته ، وآخر من شر سادته ، وبالجملة فان قوما يهربون من الخوف الدنياوى ، وقوم يحبون الله ، ويؤثرون خلاصهم ، فيصيروا رهبانا بارادتهم .

كيف يقتنى الراهب الفضيلة

سئل شيخ : « كيف يقتنى الراهب الفضيلة ؟ »

فأجاب : ان شاء أحد أن يقتنى فضيلة ما ، فانه ان لم يمقت أولا الرذيلة التى تضادها فلن يستطيع أحد أن يقتنيها . فان شئت أن يحصل لك النوح فامقت الضحك . وان آثرت أن تقتنى التواضع ابغض الكبرياء . وان أحببت أن تضبط

هواك فامقت السر والتحريف فى الأشياء . وان شئت أن تكون عفيفا فامقت الفسق . وان شئت أن تكون زاهدا فى المقتنيات فامقت حب الفضة . ومن يريد أن يسكن فى البرية فليمقت المدن . ومن يشتهى أن يكون له سكوت ، فليمقت الدالة . ومن اراد أن يكون غريبا من عاداته فليبغض التخليط(١) . ومن يريد أن يضبط غضبه فليبغض مشيئاته . ومن يريد أن يضبط بطنه فليبغض اللذات والأقامة مع أهل العالم . ومن أراد عدم الحقد فليبغض المثالب . ومن لا يقدر أن يكابد الهموم فليسكن وحده منفردا . ومن يريد أن يضبط لسانه فليسد أذنيه لئلا يسمع كثيرا . ومن يريد أن يحصل على خوف الله ، فليمقت راحة الجسد ويحب الضيقة والحزن . فعلى هذه الصفة يمكنك أن تعبد الله باخلاص » .

الطريق الضيق ـ الزهد

قال أنبا ابراهيم :

« اذا حملت نير المسيح ، فانظر كيف تمشى فيه ، ينبغى لك الا تخلط عمل الدنيا بعمل المسيح . لأنهما لا يجتمعان معا . ولا يسكنان كلاهما فى موضع واحد ، لا تسلك فى الطريق الواسعة ، لأن كثيرين سلكوا فيها فضلوا وذهبت بهم الى الظلمة، حيث النار المعدة ، ولكن أسلك طريق الحق والصواب ، فانها وان كانت ضيقة حزينة ضاغطة ، لكنها تخرج الى السعة والحياة ، والنعيم الدائم .

لاتبن جسدك بالنعيم واللباس . مثل البيوت المزخرفة . التى تؤول الى الهدم والهلاك . ولكن ابنه بالتوبة والأعمال المرضية لله على الأساس الوثيق . الذى بنى عليه القديسون : بمشى هين وصوت لين . ولباس حقير . وطعام يسير . وحب تام ، وطاعة واتضاع ، وأفكار نقية » .

قانون الحياة اليومية

قال شيخ :

« اذا قمت باكر كل يوم : امسك لك أمرا يجلب الصلاح ، واحفظ وصايا الله بطول روح ، بمخافة الله ، بالصبر على الأحزان ، وبالحبس وبالصلوات ، وبالتنهد ، بضبط اللسان ، بحفظ العينين . بقلة الغضب . ولا تحسب نفسك شيئا بل اجعل نفرك تحت كل الخليقة . بجهاد الصليب ، بالتوبة والبكاء ، بسهر الليالى ، بصبر صالح ، بالجوع والعطش وذلك لتستحق الدعوة السمائية ، بنعمة ربنا يسوع المسيح له المجد » .

وقال آخر :

« ينبغى للمجاهد أن يبتعد عن كل امتلاء . ولو من الخبز والماء ، وأن يجمع عقله فى صلاته ، ليكمل قربانه الروحانى ، ويتذكر خطاياه دائما ويحزن عليها ، وليكن كل ما يعمله ويقوله من أجل مرضاة الله لا من أجل مجد الناس ، وأن يتفقد تدبيره دائما ، لكى لا تكون سكناه فى البرية على غير مذهب الرهبنة ، فانه قد سكن البرية كثير من اللصوص ، وهى مأوى للوحوش والطيور المؤذية . أما الراهب فانه يسكنها هربا من سجن العالم الذى يشغله عن عبادة الله التامة . كما ينبغى أن يصبر على

(١) الخلط بين السلوك العلمانى والسلوك الرهبانى .

البلايا ويكلف نفسه فى كل شىء ، وأن يقدم حب الله على حب القريب ، وحب القريب على حب نفسه ، وحب نفسه على حب كل ما سواها ، وليكن له ايمان قوى بالله ورجاء واتضاع وامساك وصمت وصلاة دائمة وتهاون بالأرضيات وتذكر للموت والمجازاة ، وقراءة فى الكتب وتمييز كل الأمور وحفظ العقل والقلب ، وطاعة للآباء والوصايا من أجل الله » .

قال القديس باسيليوس :

« هذا ما يليق بالراهب : التمسكن ، عقل منخفض ، نظر مطرق الى الأرض ، وجه مقطب ، زى مهمل ، ثوب وسخ حتى يكون حالنا كحال النائحين الباكين ـ ثوب بقدر الجسد لأن الغرض منه شىء واحد هو ستر الجسد من الحر والبرد ، ولا تطلب ازدهار الصبغ وحسنه ، ولا نعومة الثوب ولا ليونته ، لأن الميل الى ذلك من صفات النساء ، كما يجب أن يكون الثوب سميكا حتى لا يحتاج الأمر الى وشاح ليدفىء لابسه وليكن الحذاء بسيطا يتمم الحاجة الضرورية اليه فقط . وكذلك الحال فى الطعام . خبزة واحدة تسد الجوعة ، والماء ليروى ظمأ العطشان . أما المشى فلا يكون بطيئا بانحلال ، كمالايكون بسرعة وعجرفة، حيث الحركات الخطرة» .

* * *

من أقوال القديس اكليمادوس

وصايا لمن يريد الدخول فى سلك الرهبنة

اسمع يا ابنى كلامى واحفظه فهذه وصاياى يجب أن تمارسها ان آثرت أن تكون راهبا لأنك ان كسلت فى اتمام احدى هذه الوصايا فما أكملت الواجب ، ويكون وعدك كاذبا وآراؤك عن الرهبنة ليست صحيحة ، ومالك الذى وزعته قد أضعته سدى اذ تصبح طلباتك فارغة لأنك لم تستيقظ بقوة ولم تقبل على السيرة الرهبانية باجتهاد ولم تربط وسط قلبك بالكمال ولم تستعد للقتال الشديد ضد الشياطين الغير المنظورين ، كما يقول الرسول بولس : ان قتالنا ليس مع لحم ودم ، بل مع الرؤساء والسلاطين ومع أحباء الشر فى عالم الظلمة ومع الأرواح الخبيثة .

(أ) الرهبنة

١ ـ الانحلال من العالم

الرهبنه هى درجة الملائكة الذين لا يفترون ليلا ونهارا عن خدمة ملكهم . ومن دخل فيها بانحلال وكسل فقد صير نفسه أشقى حالا مما لو كان بانحلال فى العالم .

+ الراهب هو ذاك الذى يستعد ليصير مثل الملائكة بدون هم . ويشق عنه ثوب العالم .

لا تظن ان معاشرات القديسين وحدها أو السكنى فى مواضع الصديقين فقط تنفعك ، بل أرفض جميع هذه الخرافات لأنه لا تؤخذ اجرة المجاهدين لتعطى للكسلان لأن الأخ لا يفدى أخاه اذ يقول : « انك تجازى كل واحد حسب عمله » .

٢ ـ السعى للفضيلة :

+ لا تتخل عن كبيرة ولا صغيرة من جميع الوصايا ، بل قم بجميعها بثبات والا فالأفضل لك أن تقيم مع العلمانيين .

+ ان علمت هذا فافحص قلبك قبل أن ترفض الدنيا وتهيىء ذاتك جنديا للسيد المسيح .

+ لا تتوان لئلا تندم أخيرا وتصبح رهبانيتك باطلة .

واذكر هذه الوصايا :

(ب) الصلات والهذيذ فى الكتب

٣ ـ الصلاة الجامعة والانفرادية :

+ تأدب فى صلاتك ولتكن من من كل قلبك وعقلك .

+ اذا ضرب الناقوس فى نصف الليل لا تكسل بل قم وصل بحرص ولا تتل صلاتك بفمك وحده بل ليكن فكرك وعقلك وجميع حواسك متضرعة لله وناظرة اليه .

٤ ـ الكنيسة :

+ لاتكسل فى الذهاب الى الكنيسة وقت الصلاة الجامعة واكمل عبادتك لله بخوف .

+ اذا مضيت الى الكنيسة فاياك أن تجلس عند الباب وهم داخلون للصلاة . احفظ نفسك وكن خائفا من الله .

+ اذا أتاك اخ وكلمك فيما لا يجب فلا تخف البتة بل اجعل نفسك أخرسا واصما ولا تسمع لقوله ولا تلمه فى قلبك بل كل مثل طفل صغير لا يعرف شرا ولا شيئا من المكر .

+ اياك أن تجيب أو تحدث أحدا حتى ولو كان بكلام جيد ما دمت فىالكنيسة .

٥ ـ الهذيذ فى الكتب :

+ اذا رجعت الى قلايتك اهتم بقراءة الكتب الألهية والصلاة ولا تتفرغ لشغل اليد وحده فتنس ذكر الله خالقك .

+ اذا جلست فى خزانتك فأقرأ بتعقل وتفهم ، وفكر فى تمجيد الله .

(ج) ضد الشياطين

٦ ـ المحاربة :

+ أعلم انك منذ الآن قادم لتقاتل السباع والتنانين والأراكنة الشياطين فى طريق التوبة التى هى كربة وصعبة .

+ انك ذاهب لتقاتل الذئاب والنمور والسباع والوحوش الضارية وليس ذلك لأيام ولا لشهور ولا لسنين قلائل بل حياتك كلها حتى تظفر بالعدو .

(د) الاستسلام للشدائد والضوايق

٧ ـ الصبر :

+ انك قد نصبت نفسك هدفا للشدائد والأحزان يوما بعد يوم ان اردت أن تكون راهبا . لأنه مكتوب : توقع يا ابنى الشدة بعد الشدة من وقت لآخر وهىء نفسك لهذا .

(هـ) النسك

٨ ـ الطعام :

+ لايوجد هاهنا طعام أو شراب ، بل جوع وعطش دائم .

٩ ـ الهدوء :

+ منذ الآن لن يكون لعب أو ضحك أو قهقهة أو انحلال .

١٠ ـ السهر :

+ داوم على السهر والصوم الى المساء فى كل زمانك الا فى حالة مرض يلحقك أو ضعف يصيبك .

(و) أساس الفضائل

١١ ـ التواضع :

اذا لبست اسكيم(١) الرهبنة فلا تتعظم بل بالأكثر اتضع لأنك قد أخذت خاتم الجندية للمسيح واخضع عنقك تحت نيره ولا تكن مقاوما له ولا محاربا .

١٢ ـ قطع الاهواء الجسدانية :

+ انكر نفسك فى كل شيء ولا تكمل أغراضك الجسدانية .

+ ان أردت أن تكون راهبا فانزع جميع أفكار العالم من قلبك .

١٣ ـ الانسحاق :

+ لازم الحزن والبكاء عوض الانحلال واللعب .

+اندم على خطاياك واجعل قلبك مع الله فى كل وقت لتستحق نعمته .

(ز) آداب المائدة

١٤ ـ اذا جلست على المائدة لتأكل مع الأخوة فلا تتحدث مع أحد . وان حدوثك فلا تجبهم حتى تفرغ من الأكل وأشكر الله سبحانه وتعالى على جميع أفعاله وما أنعم به علينا بالرغم من عدم استحقاقنا .

هكذا تفعل كل أيام حياتك امام الله لتكون لك الطوبى أى الحظ الشريف مع القديسين . ومع هذا كله عليك أن تتحقق أنه لا يلبس الاكليل الا من جاهد وصبر على الشدائد وغلب الأعداء وهزمهم وظهرت شجاعته فيهم أمام الملك العظيم الرب يسوع المسيح الذى استحققت أن تحارب من أجل اسمه القدوس فتغلب كما غلب هو . اذ يساعدك بقوته العظيمة . لأنه قال : « ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر » له المجد آمين .

---

(١) الاسكيم زنار من الجلد به صلبان . والكلمة من Schema باليونانية ومنها Scheme بالانجليزية أى نظام . ويبدو أنه كان لجميع الرهبان ثم صار يلبسه المتوحدون فقط . وقد جرت الكنيسة فى بعض العهود على الباس من يسامون من اساقفة هذا الاسكيم حتى يجمعوا بين النسك والخدمة . ولكن الغى أخيرا فى عهد قداسة البابا شنودة الثالث لصعوبة الجمع بين التزاماته النسكية والتزامات الخدمة الأسقفية .

من تعاليم

ماراسحق

ماهو المتوحد ؟ ما عمل سيرته ؟

المتوحد :

هو انسان ترك العالم بالكلية وكذلك بلده وأقاربه وانتقـل الى الأديرة أو البرارى ، ليجلس فى الهدوء ويعمل بيده ويقيت نفسه ويعبد الله ليلا ونهارا .

عمل سيرته

(أ) فى الجهاد

١ ــ الجدية :

+ الراهب الذى فى زمان الطاعة والخضوع يختار لنفسه الراحة والحرية ، فانه فى زمان الراحة الحقيقية . بالعدل يبكى ويجوع ويشقى بالندامة .

الراهب الذى فى وقت الحصاد والفرح ، يملك عليه الندم والكآبة ، هو شاهد على ذاته أنه فى أوان الزرع والخضوع والعمل ، لم يغصب نفسه على أن يصـبر ويحتمل حدة البرد والجليد ليشق بالمحراث خطوطا عميقة فى باب قلبه ، ويطمر فيها زرع خبز الحياة ، لذلك فهو يشقى بالجوع فى وقت الحصاد .

+ الراهب الذى يحارب قبالة الآلام ، يحفظ الوصايا لكى تقطع الآلام من القلب ولا تهدأ النعمة ، اذ تساعده خفية .

+ التاجر اذا أكمل وأتم ما يخصـه فانه يجتهد فى أن يمضى الى منزله ، والراهب بمقدار ما يعوزه من زمان العمل ، على ذلك الحد يحزن أن يفارق نفسه، واذا أحس فى نفسه ، أنه حصل على الوقت وأخذ العربون ، فانه يشتاق الى العالم الجديد .

٢ ــ الحرص :

+ ان التاجر مادام فى البحر ، فالخوف منبث فى أعضائه ، لئلا تتعالى عليه الأمواج فيغرق ويخيب أمله من عمله ، والراهب مادام فى بحر هذا العالم ، فالخوف يستولى على سيرته لئلا تثبت عليه أذية فتهلك عمله منذ الشبوبية حتى الشيخوخة .

٣ ــ مراقبة الموت :

+ التاجر عينه نحو البر ، والراهب يرمق ساعة الموت .

أن السابح يغوص غائرا فى البحر ، الى أن يجد اللؤلؤ ، والراهب الحكيم يسير فى الدنيا عاريا ، الى أن يصادف فيها الحقانية التى هى يسوع المسيح ،واذا ماوافاه، فلن يقتن معه شيئا من الموجودات .

ب ـ فى النسك

٤ ـ الصوم :

+ **الصوم** من العشاء الى العشاء . البعد عن كل شره ورغبه والزهد فى كل شىء ما خلا الخبز والماء ، والامتناع عن شرب الخمر الا فى حالة مرض أو واجب ضيافة وهذا اذا ما عرض فلا يزيد عن ثلاثة أقداح فقط لا غير .

٥ ـ السهر :

+ السهر لنصف الليل وصلوات لا تنقطع ليلا ونهارا وخدمة المزامير وضرب المطانيات والسجود ، والهذيذ فى الصلوات ، وتضرع القلب ، وبسط اليدين نحو السماء .

٦ ـ المرقد :

+الرقاد على الأرض الى وقت الشيخوخة الا فى حالة المرض .

٧ ـ قراءه الكتب :

(جـ) فى التوبة :

٨ ـ التوبة :

+ المسكنة والتجرد ، والبكاء والنوح والتنهد ، ولبس المسوح ، والسكوت والصمت ، وحفظ الحواس ، والعفة .

(د) فى محبة الاعمال :

٩ ـ الرحمة :

+ خدمةالغرباء . خدمة الضعفاء . عمل اليدين . المحبة للرهبان الطاعة لسيدنا بحفظ وصاياه . الخضوع للآباء .

(هـ) فى الاستسلام للضوائق

١٠ ـ الاحتراس من طياشة الأفكار :

+ الصبر . عدم الغضب . الصفح عمن يضره أو يحزنه . التعرى من الآلام . وثبات داخل القلاية فى الدير . ولغير سبب هام لا يخرج الا للصلاة أو لأمر ضرورى الجميع والوقوف بثبات ليلا ونهارا مقابل الآلام والشياطين والعالم والنفس والجسد حتى الموت .

(و) فى الاتضاع

١١ ـ تحقير نفسه فى كل شىء :

+ اعتبار الراهب نفسه كلا شىء .

+ هذا هو الراهب وهذه هى سيرته ، وكل راهب لا يمارس كل ذلك فى ذاته فهو لا يزال فى رتبة ومنزلة العلمانيين .

+ طوبى للذين يحفظون ويعملون . لا تفتخر بالاسم بل أجتهد فى عمال ، لأن العمل هو الذى يبرر ولو كان بلا شكل ولا اسم .

من أقوال
القديس نيلس
وآخرين

(أ) الجهاد

١ ــ المثابرة :

+ أنت تحب ان تعمل الفضيلة بلا تعب ، ولكن أعلم ان التعب انما لزمن قصير ، أما الأجر فيدوم الى الأبد فأحب فعل الخير بقدر قوتك .

+ لاتتوان لئلا تقع وتؤخذ فى سقطتك لأن أم الشر هى التوانى بالخيرات ، وويل للمتوانين ، لأنهم يتمنون الزمان الذى غفلوا فيه فلا يجدونه .

٢ ــ الحياة اليومية :

+ ليكن لك هدوء بمعرفة ، وقليل **عمل ،** وقليل **صلاة ،** وقليل **قراءة** مع **الصوم** الى المساء كل يوم ، **وخدم**(١) النهار والليل بخوف الله .

+ طهر النفس بالدموع فى الصلاة ، ولكن بعد الصلاة أذكر لماذا كانت الدموع لئلا تختلط بالذى تراه يتباعد من الصالحين .

٣ ــ الصلاة والصوم :

+ لتكن **الصلاة بيقظة** العقل ، لئلا تطلب من الله أمورا لايهواها . فاذا صليت، أصعد بأفكارك الى الله ، وان هى نزلت ودارت فأرفعها أنت أيضا .

+ اعتبر الصوم حصنا ، والصلاة سلاحا ، والدموع غسيلا ، وداوم أبدا على تلاوة المزامير ، لأن ذكرها يطرد الشياطين .

٤ ــ الأفراز :

+ اظهر اسكيم الفضل ، لا لكى تخدع ، ولكن لكى تنفع الناظرين . ومهما عملت فاعمله بافراز ومشورة العارفين .

٥ ــ العمل :

أن عملت بيدك ، فليكن اللسان مزمرا والعقل مصليا ، لأن الله يحب أن تذكره دائما أبدا .

(ب) بغض العالم

٦ ــ الثبات فى الدير :

+ اياك ومحبة الطواف من موضع الى موضع ، لأن الشجرة المتنقلة دائما تكون بغير ثمرة وربما تموت ، ولا تدمن التمشى فى المدن لئلا تقع فى أوجاع مختلفة .

٧ ــ الانفراد مع الرب :

+ ابغض الاجتماع بكثيرين ، لئلا تكون فى تعب دائم ، وجاهد ما استطعت فى أن تكون بانفراد دائم كى تركز همك جهة خطاياك لتصير بلا هم من العالم ، فتؤهل للعزاء من قبل الله ، لأنك انما هربت من العالم وتركت أباك وأخوتك ومالك لمثابرة

---

(١) الصلوات المرتبة .

الله ، فماذا لك بعد مع هموم الناس ؟ فجاهد كى تتفرغ لله بكل قوتك ، ولا تدع شيئا من هموم هذا المسكن الزائل أن تفصلك من الله .

+ ان أحببت السمائيات ، فمالك والأرضيات التى تمنعك عن أن تصير نحو السمائيات .

٨ ـ النسك :

+ لا تحب التنعم ، لأنه يجلب حب العالم ولا تفرح بالغنى لأن الاهتمام به يبعد الانسان عن الله وهو كاره أما الطريق التى توصل الى الفضيلة فهى الفرار من العالم .

٩ ـ المحبة :

+ ويل للظالم لأن غناه يفر منه ، وتلقاه نار لا تطفأ .

(جـ) العفة

١٠ ـ الكلام :

+ احذر يا ابنى من الكلام الباطل ، ولا تفرح بكلام الهزء ، ولا تدع فمك يتكلم بكل كلام يأتى عليه ، لئلا تقع فى صغر النفس ، فاهرب من كثرة الكلام لئلا تنس ذاتك ، وتغفل عن أوجاعك وليكن كلامك بثبات .

+ ان امسكت بطنك ، اضبط أيضا لسانك لئلا يكون الواحد عبدا والآخر حرا بلا منفعة .

+ ينبغى أن تتكلم الحسنات لكيما تبدأ بالأعمال ، حيث تستحى من الكلام وطوبى لمن الزم لسانه للناموس ، فان الله لا يفارقه فى مسكنه .

+ لا تفرح بالضحك لئلا يتسلط عليك النسيان .

١١ ـ حفظ الحواس :

+ احتفظ بأبواب السمع ، وأفضل منها بأبواب العينين فقد اعتادت سهام الشر الدخول من هذه الأبواب .

١٢ ـ الهروب :

+ لا ترقد فى موضع تلومك فيه نيتك ، من دون شدة شـــديدة وضرورة لازمة .

+ ويل لمحبى الزنى ، فانه يخرج من عرش الملك ، وهو مخز ..

١٣ آداب الأكل :

+ ليكن اكلك بثبات واذا حضرت لتأكل مع شيوخ ، فكن مثل انســــان يستحى أن يأكل .

(د) التدبير الباطنى

١٤ ـ فى القلاية :

+ اذا كنت جالسا فى قلايتك فاحفظ نفسك من الغفلة والنسيان . ولا يكن

لك هم خارجا . ولا تترك عقلك يطيش فى العالم . ولا تلزم نفسك بعمل زائد . بل قسم النهار : قليل عمل يد ، قليل صلاة ، قليل درس ، وعقلك يلهج .

١٥ ــ التوبة :

+ اذا كنت فى أوجاع(١) فلا تكن بغيرهم(٢) ، بل أسرع لتتخلص منها . وأن كنت قد فعلت أمرا نجسا ، فاغسله بالتوبة .

١٦ ــ كن فى الكنيسة :

+ مثل من هو فى السماء . امش ولا تتكلم ، ولا تحب فيها شيئا من الأرضيات .

١٧ ــ التواضع :

+ طوبى لمن اقتنى أمرا رفيعا ، وفكرا متضعا ، فانه يتشبه بالمسيح ومعه يجلس فى الملكوت .

+ طوبى لمن يبدد السيئات التى جمعها ، فانه يقوم قدام الديان مزكى .

(هـ) النسك

١٨ ــ الطعام والشراب :

+ اهرب من كثرة المأكولات لئلا تزنى بدون امرأة تحضرك . لا تاكل كثيرا لئلا يظلم عقلك ، لا تفذ جسدك للشبع لئلا تهلك نفسك وحدك .

+ لتسترح فى جلوسك ، ابغض شهوة الأطعمة . فيخف ألم الزنى عنك .

+ احتفظ بالامساك . كيما تقمع حركات الجسد ، فان مرض فعزه حتى يجىء الى الصحة دون أن تلازم اللذات .

+ اعط البطن ما يقوتها لا ما تهواه . وما ألذ وأطيب خبز الصوم ، لأنه معتوق من خمير الشهوات .

+ اذا شربت الشراب فقلل منه ، لأن قلته تنفع شاربه ، وويل للمحتال والسكران فانهما يدانان مع القتلة والزناة .

+ لا تقتن ثوبا حسنا لئلا تكره نفسك المحقرة (المسكنة) .

+ ان كان لك غنى بدده ، وان لم يكن لك ، فلا تجمع وطوبى للذى يسلك الطريق الضيقة الحزينة ، فانه يفرح ويدخل الى السماء وهو مكلل .

(و) ضبط الذات

١٩ ــ الغربة :

+ أحب الغربة بمعرفة ولا تعد نفسك فى شىء ما .

٢٠ ــ انكار الذات :

+ اظلم نفسك فى أخذك وعطائك واحذر من أن تعد نفسك شيئا ، حتى ولا أحد يعدك .

---

(١) صراعات شهوات . (٢) كسولا .

+ احرص بكل قوتك ان تخرج من جسدك أوجاع الهوان البهيمية ، هذه التى تفصل الانسان من الروح القدس ، اهرب من خلاف الطبيعة الذى لسدوم كما يهرب الطائر من الفخ ، لأن من أجله ينزل غضب الله على بنى العصيان ولا سيما اذا أنت سقطت فتب وابك بحرقة قلب وأسأل الله الا تخطىء أيضا ، لأنك ان حفظت نفسك قدامه يغفر لك ويطهرك مثل طهارة القديسين لأنه مكتوب : « انه يتكلم بالسلامة على شعبه ، وعلى قديسيه وعلى الذين يرجعون اليه بكل قلوبهم » ، فما أعظم هذه المراحم ، كيف أنه يتكلم بمساواة حتى انه جعل من يرجع اليه بكل قلبه ، مساويا للقديسين .

٢١ الاحتمال :

+ صل ألا تأتيك البلايا ، فان أتتك فتصبر لها .

+ اصبر للأحزان ، لأن بها يأخذ المجاهدون الأكاليل .

+ ان شتمت تفكر اذا كنت قد فعلت ما تستأهل بسببه الشتيمة فان كنت قد عملت فاحتسب الشتيمة بمنزلة المجازاة ، وان كنت لم تعمل فلتكن عندك شبه الدخان .

واذكر ابن الله انه من أجلك علق على خشبة ، من أجلك شتم ، ومن أجلك سقى خلا ، سمر بالمسامير وقبل اللعنة من أجلك ، فعليك باحتمال كل شىء يلم بك بطيبة نفس .

٢٢ ـ دينونة النفس :

+ لاتبغض المسكنة لأنها تصير المقاتل بلا هم .

+ ان دنا أنفسنا ، رضى الديان عنا ، لأنه يفرح مثل صالح ، اذا هو أبصر الخاطىء يتوب فيطرح عنه حزمته (حمله : ثقل خطاياه) ونحن اذا نظرنا فى أمور أنفسنا ، فلن ندن آخرين ... أمور كثيرة هى فينا ونحن نلوم بها غيرنا .

٢٣ ـ عدم الرياء :

+ الذى لا يبغض الخطية يدان مع الخاطئين ولو لم يكن قد فعلها .

+ ويل للذى يأخذ بالوجوه ، فان الراعى يجحده والذئاب تفترسه .

(ز) المحبة

٢٤ ـ الرحمة :

+ لتكن رحيما على المحتاجين من تعبك لكيما يرحمك الله ويعينك . اصنع الخير بالمساكين ، فانهم يرضون الديان عوضا عنك .

+ لاتحول وجهك عن دموع المسكين ، لئلا تحتقر دموعك فى زمن الشدة .

+ لا تغفل عن أن تصنع رحمة ، ولا تحب ان تستغنى عن طريق ضيافة الغرباء .

٢٥ المساواة :

+ ليكن كل الاخوة عندك جيادا ، وعلم لسانك أن يكرم كل الناس .

+ تنهد على قريبك أن أخطأ كما تتنهد على نفسك ، لأننا كلنا تحت الزلل .

٢٦ ـ محبة الخير للغير :

+ على من يخطىء احزن ، لا على من يتمسكن ، لأن هذا مكلل ، وذاك يعذب.

من أقوال الأب الروحانى المعروف بالشيخ
فى
آداب وواجبات الإخوة المبتدئين

« هذه التحذيرات كلها ، ان حفظتها أيها الانسان وفى كل حين ، تستأنس بالهذيذ بالله ، بالحقيقة فانك لن تغتم أبدا ، بل فى قليل من الزمان تنظر نفسك نور المسيح الذى له التمجيد من محبيه الى الأبد آمين » .

هذا هو الترتيب العفيف المحبوب لدى الرب .

١ ـ النظر :

+ ألا تتلفت عينا الانسان هنا وهناك ، ليكن نظرة الى قدامه فقط ، واذا دخل قلاية معلمه ، أو تلميذ معلمه أو صديقه ، فبالحذر يمسك نفسه لئلا يبصر أو يميز الذى فيها ، وأن كان يغصب من صاحبها لينظر ذلك فلايطاوعه ؛ (ولا يبصر الموضع الذى فيه آنية صديقه موضوعة) . فمن جسر على هذا فهو غريب لكل الرهبان وللمسيح معطيه .

٢ ـ الكلام :

+ لا يتكلم كلاما زائدا ، بل ماهو ضرورى منه فقط ، لايقطع كلمة ذلك الذى يتكلم ليتكلم هو ، مثل الغير متأدب ، بل يصير مثل حكيم ، وبالسهولة يتكلم مع كل انسان ، وبالعفة ينظر فى كل انسان ، ولا يملأ عينيه من وجه انسان ، ولا يتكلم بحكومة(١) مع انسان ، بل يحتمل وهو مزكى ، أن يدان مثل السقيم ، ومن كثرة الكلام فليحذر ، لأنه يطفىء من القلب الحركات النورانية المتحركة بالله ، وكذلك فليحذر من المجادلة مع الخواص الغرباء ، وليفر منها كفراره من سبع ضار ، ولا يعبر بجوار الغضوبين والمتخاصمين ، لئلا يمتلىء قلبه غضبا ، وتملك فى قلبه ظلمة الضلالة ، ولا يسكن مع المفتخرين لئلا يرتفع من نفسه فعل الروح القدس ؛ ويصبح مسكنا لكل الأوجاع الشريرة .

٣ ـ الملبس والطعام :

+ يستعمل لباسا حقيرا لكمال حاجة الجسد ، ويستعمل القوت لقوام الجسد لا لتنعيمه ، ويأكل من جميعها (مما تقدم له من الأطعمة) بالنقص . ولا يرذل شيئا ، ولا يملأ بطنه مما يختاره هواه ، لأن الافراز أفضل من كل الفضائل ، ولا يشرب خمرا ، الا اذا وجد مع قوم أخذوه لعله مرض أو ضعف ، ومن هو قوى يقول لمن هو ضعيف قبل الوقت : « هلم نأكل » .

أيها الشره محب البطنة ، أفضل لك أن تجعل فى بطنك ـ لو كان هذا مستطاعا ـ جمر النار ، ولا أطبخة الرؤساء .

٤ ـ مع الأخوة :

+ كل موضع يصادفه ، ليكن فيه صغير اخوته وخادمهم ، كما يكون مستعدا لكل عمل ، ومطيعا ، ويختار كل عمل حقير ويصنعه باتضاع ولا يبكت بشريا على جهالته ، بل يضع نفسه أمام جميعهم كمخطىء .

---

(١) بسلطان .

+ ولا يكشف عضوا من أعضائه قدام انسان ، ولا يدن من جسد انسان بغير علة ، ولا يدع انسانا يتقدم الى جسده بغير ضرورة وعلة ، وليحذر من الدالة مثل حذره من الموت قاتله ، ويقتنى لمرقده ترتيبا عفيفا لكيلا تبعد منه القوة الحارسة ، واذا نام ، فان أمكن لا يبصره انسان ، واذا خرج لحاجة الجسد ، فليكن ذلك بالعفة مثل من يستحى من الملاك الحافظ له ، وليكن ممارسا هذه كلها بمخافة الله ، غاصبا نفسه وان لم يشأ القلب ، واذا ضحك فلا يكشف عن أسنانه.

٥ ـ الاختلاط :

+ اذا اضطره الأمر الى الكلام مع النساء ، فليرد وجهه عن نظرهن عند كلامه معهن ، ليفر من لقاء الراهبات ومؤانستهن ونظرهن ، كالهارب من فخ الشيطان ، لئلا يتسخ بحمأة الأوجاع النجسة ، حتى وان كانوا اخوته بالطبيعة ، فليحفظ نفسه منهن فى كل شىء كالغرباء . وليحذر من الاختلاط بأقربائه وبنى جنسه ، لئلا يبرد قلبه من محبة الله ، وليبتعد عن مرافقة الشباب والدالة (المزاح) معهم، كابتعاده من محبة الشر ، وليكن له واحد يتخذه ابن سره وابن أنسه وشريكه ، على أن يكون خائفا الله ، ومهتديا مع نفسه ومسكينا بمسكنته ، وغنيا بأسرار الله ، وليحفظ أسراره وتدابيره من كل بشرى ، ولا يكشف أعماله وحروبه . والأصلح له أن يأكل سم الموت ولايأكل مع امرأة ولو كانت أمه أو أخته والأصلح له أن يسكن مع التنين ، ولا يتغطى مع آخر بغطاء واحد وينام ولو كان أخاه .

٦ ـ الحديث :

+ لا يمارىء(١) على شىء ، ولا يلاجج ، ولا يكذب ، ولا يحلف بأسم الله ، ويهان ولا يهين ، ويظلم ولا يظلم ، لأنه أفضل أن يهلك ما للجسد مع الجسد ، ولا تعجز واحدة مما للنفس ، ولتكن رحمته على كل انسان ، وهو بعيد ، ومتفرغ من كل انسان .

٧ ـ الحركات :

+ واذا تثاءب فليغط فمه لئلا ينظره أحد ، ولتكن ثيابه ورجلاه مرتبة على المائدة ، ولا يطرح بصاقا قدام انسان ، وان أتاه سعال وهو على المائدة ، فليدر وجهه عنها وحينئذ يسعل ، وبالعفة يأكل ويشرب ، كما ينبغى لأبناء الله ، ولا يمد يده قدام رفيقه بوقاحة ، وان جلس معه غريب فيغصبه (يطلب اليه بحق) مرتين أو ثلاثة ليأكل ، وبالهدوء والسخاء يضع على المائدة ولا يتهاون أو يبخل بشىء .

+ لا يستعجل فى مشيته بدون علة ضرورية ، واذا ذهب فى طريق فلا يسبق من هو أكبر منه ، واذا انفصل منه رفيقه لسبب ما ، فليبعد عنه قليلا ، وينتظره حتى يأتى ، ومن لا يفعل هكذا فهو جاهل ، وان اتفق أن يلتقى رفيقه بالناس ويتكلم معهم ، فليلبث منتظرا اياه دون أن يستعجله .

٨ ـ التحرر :

+ لا يلتصق بالمرتبط بأشياء ولو بدرهم ، أو بعلمانيين ، لئلا يكون عبدا للشيطان ، لأن المسكين من متاع الدنيا يستغنى بالله ، وصديق الأغنياء يتمسكن بما للرب .

---

(١) يمكر لكى يحصل عليه .

من تعاليم

الأنبا إشعياء للمبتدئين

(ز) الجهاد الروحى

١ ـ التحفظ :

+ النفس التى تريد أن تقف أمام الله بغير ذنب فلتحرص كالتاجر الذى يطلب الأرباح ويفر من الخسائر ، أما خسائر تجار المسيح فهى : طلب مجد الناس ـ الكبرياء ـ تزكية الذات ـ التكلم بما يغضب السامعين . محبة الأخذ والعطاء ، هذه كلها خسائر ولا يستطيع أحد أن يرضى الله وهذه كلها فى خزانة قلبه ، فمن اراد أن يجىء الى نياح الرهبنة فليتباعد من الناس فى كل الأمور ، ولايمدح انسانا ، كما لايزدرى به ولا يدينه ولايزكيه ولايترك فى قلبه هما من ناحية انسان ، وليرفض من كل قلبه مقابلة شر انسان بشره لئلا تكون خدمته باطلة ، لأن الذى لا يهتم بأحد ويدين نفسه وحده ويلومها فحياته تكون هادئة مستريحة ، لأن التقى يحب أن يكون الناس كلهم أتقياء ، أما الذى فى قلبه وجع ... فلا يرى أحدا نقيا بل كنحو أوجاعه يفكر فى قلبه عن كل أحد ، وان سمع مديحا عن انسان يحسده .

٢ ـ الوداعة :

+ ان الانسان لا يستطيع أن يتحفظ من الخطية ان لم يحفظ نفسه مما يلدها وهذه هى الأشياء التى تلد الخطية : صغر النفس ، الملل ، اتمام الهوى ـ حب الاتساع ـ طلب الرئاسة ـ حديث العالم ـ التماس ما لا ينبغى ـ عدم الحذر من الناس ـ سماع الوقيعة ـ نقل الكلام من أناس الى أناس ، الذى يحب أن يعلم دون أن يسأل ـ الذين يدين القريب . فهذه الأمور وغيرها تلد الخطية ، فمن أراد أن ينجح ويتقدم فى الأعمال الصالحة ، فليحفظ نفسه من كل شىء يلد الخطية ، فان الخطية منها وبها ـ فمن حرص يجد خيرا فى الأعمال الصالحة . ومن تهاون وتغافل فهو يعد نفسه للعذاب ، لأنه واجب على كل معتمد أن ينقى نفسه من كل الشرور .

وهذا ما أقوله لكى تتحفظ فلا تزدرى بانسان . أبطل معرفتك وأقطع هواك . فان من وثق بمعرفته وتمسك بهواه لا يستطيع أن يفلت من أيدى الشياطين ولن يبصر نقائصه ولن يجد راحة . أما اذا خرج من هوى الجسد فبتعب يجد رحمة ، ومجمل هذا كله أن تراقب الله من كل قلبك ومن كل قوتك وتترحم على كل الخليقة وتطلب من الله العون والرحمة فى كل ساعة .

٣ ـ ترقب الموت :

+ الحكيم هو الذى يحرص الى الموت على مرضاة الله ، لنعمل بقدر قوتنا والله يعين ضعفنا .

+ ان سمعت أخبار القديسين وأعمالهم الشريفة فلا تطمع فى اقتنائها بلا تعب ان لم تشف نفسك أولا وتتأهل لها ، حتى اذا أقدمت على عمل جاءتك من تلقاء نفسها .

أولا : الصلاة

٤ ـ الجهاد فى الصلاة :

+ أحب الصلاة فى كل حين ليضىء قلبك بأسرار الله .

+ اذا أراد العقل أن يرتفع على الصليب فانه يحتاج الى طلبة كثيرة ودموع غزيرة وخضوع فى كل ساعة قدام الرب ، ويسأل منه المعونة حتى يقيمه غير مقهور متجددا بالروح القدس . لأن شدائد كثيرة عند ساعة الصليب ، وهو محتاج الى صلاة وايمان صحيح وقلب شجاع ورجاء بالله الى آخر نفس .

+ اذا صليت ولم يرد على فكرك شىء من الشر فقد صرت حرا .

+ الزم نفسك بأن تصلى فى الليل صلوات كثيرة لأن الصلاة هى ضوء النفس.

+ ادرس فى مزاميرك وصل لله بفكرك .

٥ ـ صلاة الانسحاق :

+ جاهد فى أن تصلى دائما ببكاء لعل الله يرحمك ويخلصك من الانسان العتيق ويعطيك الملكوت .

٦ ـ صلوات الساعات :

+ لا تتوان فى صلوات الساعات لئلا تقع فى أيدى أعدائك . اجهد نفسك فى تلاوة المزامير ، فان ذلك يحفظ من خطية الدنس .

+ اذا قمت فى قلايتك لتصلى ساعاتك فاياك أن تكون صلاتك بتهاون لأنك بذلك بدلا من أن تكرم الله تغضبه . ولكن قف بخوف ورعدة ولا تتكىء على الحائط ورجلاك مرتخيتان ولا تقف على واحدة وترفع الأخرى . وان كنتم تقرأون صلواتكم وأنتم مجتمعون فليقدم كل واحد منكم صلاة ، فان وجد معكم غريب فاطلبوا منه بمحبة أن يصلى ولا تلحوا عليه أكثر من مرتين أو ثلاث .

٧ ـ الافراز الروحى :

+ ان كنت فى شىء من تعب الرهبانية ورأيت الشياطين قد انهزموا منك وانغلبوا فى القتال ، فلا تطمئن ، بل كن على حذر منهم ... وأعلم أنهم يهيئون لك قتالا أشر من الأول ، ويكمنون لك به من وراء فان أنت ناصبتهم تظاهروا بأنهم طردوا بمكر منهم ، وذلك ليستكبر قلبك وتثق بقوتك ، فاذا أبصروك قد خرجت هكذا عن فضيلة الاتضاع ، قام الكمين عليك من ورائك وهاجمك الآخر من قدامك وأحاطوا بنفسك انتى لم يكن لها ملجأ وقتئذ ، فلا تمل اذاً من الصلاة الى الله بأن يخلصك ويدفع عنك كل بلية تأتيك ، فان لم يسمع منك سريعا فلا تمل من التضرع اليه لأنه يعرف ما فيه خيرك أكثر منك . واذا صليت الى الله فلا تقل له : « ارفع عنى هذا وهبنى ذاك » بل قل : « ياربى يسوع أنت عونى ورجائى وأنا فى يديك وانت تعرف ما هو صالح لى ، فأعنى ولا تتركنى أخطىء اليك أو أتبع هواى ، ولا ترفضنى فانى ضعيف ولا تسلمنى لأعدائى فانى لجأت اليك فخلصنى بتحننك . ليخز كل الذين يقومون على لأنك أنت القادر على كل شىء ولك المجد » .

+ وقال أيضا :

ان شغل الشياطين قلبك بأتعاب تفوق **طاقتك فلا تطعهم** لأنهم يشغلون قلب الانسان بأمور لا يقوى عليها حتى اذا ضعف وقع فى أيديهم فيضحكون عليه لأن كل

امور العدو هى بلا نظام وبلا حدود ــ ولكن كل مرة واحدة فى النهار ، وأعط جسدك حاجته بقدر بحيث تكف عن الطعام وأنت لا زلت تشتيهه (بدون شبع) كذلك سهرك يكون بقدر ، اسهر نصف الليل فى الصلاة والنصف الآخر لراحة جسدك . ومن قبل أن تنام اسهر ساعتين مصليا ومزمرا ، واذا اقتنيت طول الروح فاصنع قانونك بحرص واجتهاد ، وان أبصرت جسدك قد كسل فقل له : « أتريد أن تستريح فى هذا الزمان اليسير وتذهب الى الظلمة الخارجية ، أليس من الأفضل لك أن تتعب زمانا يسيرا لتتنيح مع القديسين الى الأبد ؟ » وبهذا الكلام يذهب الكسل وتأتيك المعونة .

٨ ــ الصوم والسهر :

+ الصيام بذل الجسد ، والسهر ينقى العقل أما كثرة النوم ففيها خسارة العقل ، وجفاف العينين ، وتغلظ القلب .

٩ ــ التوبة :

+ أيها الأخ الحبيب ان كنت قد تركت العالم الباطل وقربت نفسك لله لتتوب عن خطاياك السالفة ، فاياك أن تتراجع عما عزمت عليه من نحو حفظ وصايا السيد المسيح واتمامها والا فلن يغفر لك خطاياك القديمة . وان قال لى انسان : انى أريد أن أتوب عن خطاياى ، وهو ما يزال يفعل شيئا منها فهو كذاب .

١٠ ــ التناول :

+ اذا كنت واقفا فى القداس فراقب أفكارك لكى توقف جسدك وحواسك بخوف الله لتستحق أن تتناول من القربان الذى هو جسد المسيح ودمه الأقدسين فيشفيك الرب .

+ اذا أنت ذهبت لتتناول جسد المسيح ودمه الأقدسيين فاياك أن يكون فى قلبك حقد أو غيظ على انسان ، فان علمت أن فى قلب انسان عليك شيئا فاذهب واستغفر منه أولا لئلا تأخذ دينونة لنفسك وهلاكا .

١١ ــ تعب الجسد :

+ ابغض كل ما فى العالم من نياح الجسد لأن ذلك يصيرك عدوا لله . فقاتل الجسد كمن يقاتل عدوا لدودا جدا ــ الذى يطلب الرب بوجع قلب يسمع منه ان هو سأله باهتمام ومعرفة وهو غير مرتبط بشىء من العالم الا بنفسه فقط ، وذلك لكى يوقفها قدام الرب بلا عيب كنحو قوته .

+ لا تتضجر من الأتعاب مطلقا فيأتيك النياح من قبل الله سريعا . مثل بيت خرب خارج المدينة يرمى فيه كل نتن ، هكذا نفس الراهب العاجز تصير مأوى لكل شر .

+ أحب التعب والمشقة فى كل شىء لتخف عنك أوجاعك .

١٢ ــ عدم الملل :

+ احفظ نفسك من الملل فانه يتلف ثمرة الراهب ، ان كنت مقهورا من وجع وانت تجاهد فلا تمل . بل ألق نفسك قدام الله وقل : « أعنى يارب أنا الشقى فانى لا أقوى على هذا الوجع » فيعينك سريعا ان كانت طلبتك بقلب مستقيم .

+ الكسل يجلب علينا الأعداء فابغض الكسل لكيلا تحزن .

ثانيا ـ العزلة

١٣ ـ البعد عن الرئاسات :

+ ان مضيت الى رؤساء العالم مريدا مصادقتهم فليس فيك مخافة الله .

+ اياك أن تقتنى لك أصدقاء من بين رؤساء الدنيا لكى لا يبعد الله عنك .

+ ان شئت أن تكون معروفا عند الله ، فلا تعرف الناس بنفسك لأن المرتبط بأمور العالم اذا سمع الحق يرذل قائله .

١٤ ـ وحدة السكن :

+ اذا مضيت الى اخوة وقال لك أحدهم : « انى لا أستطيع النجاح ما دمت مع هؤلاء وأود أن أسكن معك ، فاياك أن تبادر بموافقته على ذلك لئلا تصير عثرة له ولكثيرين غيره ، فان باح لك بأفكار مكبوتة فيه وعلمت ازاءها أنه سيهلك بوجوده فى وسطهم فعرفه بأن يهرب الى مكان آخر وأرفض سكناه معك .

+ احذر أن تسكن فى موضع قد أخطأت فيه قدام الله .

١٥ ـ عدم الدالة :

+ أى موضع دخلته لا توجد لنفسك دالة مع أهله ، وكن جادا فى كل أمر من أمورك فبدء الصلاح هو المحبة والاتضاع والمسكنة ، وعدم الدالة .

+ اذا عزمت على السكنى مع أخوة . فلا يكن لك مع أحدهم دالة ما ، ولا تخلط كلامك بكلامهم ، ان فعلت ذلك فانك تمكث زمانك كله معهم فى سلامة .

+ ان كنت ماضيا مع أخوة فى طريق وكانت بينك وبين أحد محبة فلا تكن لك دالة معه أمامهم لئلا يكون فيهم أحد ضعيفا فيموت من الغيرة منكما . وتكون الخطية عليك لأنك سببت له عثره .

١٦ ـ تجنب العلمانيين :

+ الخلطة مع العلمانيين تمنع التوبة وتبرد الحرارة ، والفرار منهم ينشط الى العمل الروحانى فاحذر لئلا تكون بينك وبين الناس معاملة مادمت فى التوبة فان الخلطة تشغلك عن الروحانية .

١٧ ـ تجنب الأهل :

+ ان اتفق لك قضاء مصلحة هامة فى بلدك فاحفظ نفسك من أهلك وأقربائك ولا يكن لك معهم دالة ولا خلطة فى كلام أو فى غيره .

+ الذين فارقتهم حبا فى الله لا تكثر ذكرهم فى قلبك لئلا ينشغل عقلك بهم بل أذكر الموت والدينونة وكيف أنه لا يستطيع أحد منهم أن يعينك فى ذلك الوقت .

١٨ ـ تجنب الصبيان :

+ اياك أن تؤاخى غلاما حديث السن .

١٩ تجنب النساء :

+ اذا دعيت لتأكل عند انسان وعلمت ان هناك امرأة جالسة ستأكل معك فأرفض ولا تأكل هناك البتة ، لأنه خير لك أن تحزن ذاك الذى دعاك من أن تزنى

بفكرك فى الخفاء ، حتى وان رقدت فلا تبصر ثياب النساء بعينيك ـ وان كنت فى طريق ولقيتك امرأة فجاوبها بفمك فقط .

٢٠ ـ السكون :

+ أرفض محبة الخروج والجولان فيما لا ينفعك . وان عرض لك أمر هام كافتقاد أخ أو الذهاب الى دير وقدموا طعاما لذيذا ، فلا تشبع منه ، وأسرع فى العودة الى قلايتك .

+ اذا انصرفت من المائدة فادخل قلايتك ولا تجالس تتحدث مع من لاينفعك.

ثالثا ـ العفة

العفة عمل قلبى وحفظ حواس :

حفظ الحواس

٢١ ـ العين (النظر) :

+ كن متحفظا لعينيك ، واذا نزعت ثيابك فاياك أن تبصر شيئا من جسدك.

+ احتفظ بقلبك وعينيك فلن يصيبك بأس فى جميع أيام حياتك . كل من نظر فى وجه أخيه بلذة شيطانية قد فسق .

+ ان سرت مع أخوة فى طريق ، فتباعد عنهم قليلا ولتكن صامتا ، واذا مشيت فلا تلتفت يمنة ولا يسرة بل ادرس فى مزاميرك وصل لله بفكرك .

٢٢ ـ دهن الجسد(١) :

+ ان كنت قد تعبت من السير فى الطريق وأردت أن تدهن جسدك بقليل من الزيت فليكن لك ذلك بحياء ، ولا تدع أحدا يدهن لك جسدا وأنت صبى .

٢٣ ـ فى العالم :

+ اذا ذهبت الى مدينة أو قرية فلتكن عيناك ناظرتين للأرض لئلا تسبب لك محاربات فى قلايتك .

٢٤ ـ فى الزيارات :

+ ان أنت ذهبت الى ضيعة . ونزلت عند انسان فى قلايته واضطر أن يخرج هو لأمر ما وتركك وحدك فى القلاية فاياك أن ترفع نظرك لتبصر شيئا مما فى قلايته أو تحرك شيئا من موضعه ، ولكن عند خروجه قل له أعطنى شيئا أقوم بعمله . وكل شىء يوصيك به افعله بلا كسل .

+ اذا دخلت قلاية أخ ليس لك به سابق معرفة فحيثما أجلسك اجلس ولا تتحرك من الموضع الذى أجلسك فيه الا بدعوة منه .

٢٥ ـ السمع :

+ اذا تحدث أناس بأفكار لم تبلغها بعد ولم تحارب بها فامتنع من سماع كلامهم هذا لئلا تجلب على نفسك ذلك القتال .

---

(١) كان الرهبان ـ مثلهم كثيرين من سكان الصحارى ـ كثيرا ما لا يجدون ماء . فاكانوا أحيانا يضطرون لدهن الجسم بزيت .

٢٦ ـ اللسان :

+ كثرة المناصبة (الوقوف فى وجه الغير المقرون بالشتائم والانتقادات والكلام اللاذع) تدل على اننا أشرار .

+ اذا قمت فى موقف الأبرار احتفظ بلسانك ليسكن فى قلبك خوف الله لأن من ينفلت لسانه فهو ما زال عبدا . أما من غلب لسانه فقد صار حرا ، ومن تحاشى الحديث الردىء يحفظه الرب من السقطات ، أما كثرة الحديث فمنها تأتى الرعونة والملل .

+ لتكن السنتنا ملازمة ذكر الله والعدل لكيما نخلص من الكذب ، فاحفظ نفسك من الكذب فانه يطرد من الانسان خوف الله .

٢٧ ـ الضحك :

+ احذر من فتح فمك بالضحك ، فان الضحك يوضح عدم وجود خوف الله .

٢٨ ـ آداب المائدة :

+ اذا جلست على المائدة وأنت شاب فلا تتجرأ وتدعو انسانا الى الأكل وتشكر له فى الطعام ، بل أذكر خطاياك لئلا تأكل بلذة ، ومد يدك الى ما هو قدامك فقط ، ولتغط ثيابك رجليك ، وركبتاك مضمومتان احداهما الى الأخرى ولا ترفع وجهك فى قريبك وأنت تأكل ولا تتلفت هنا أو هنالك . ولا تتكلم كلمة فارغة ، واذا شربت الماء فلا تدع حلقك يحدث صوتا كما يفعل العلمانيون وأى شىء يوضع أمامك مد يدك اليه بتغصب .

+ كان الاخوة يتناولون الطعام ويتحادثون أثناءه فأنبهم أنبا أشعياء بقوله : « الزموا السكوت أيها الاخوة ، فاننى أعرف أخا يأكل ويشرب معنا طبيعيا بينما ترتفع صلاته أمام الله مثل نيران » .

٢٩ ـ آداب الجلوس :

+ اذا كنت جالسا مع الاخوة واضطررت للبصاق فلا تبصق فى وسطهم بل قم خارجه والقه ، لا تتماطأ فى وسط الناس ، واذا جاءك التثاؤب فلا تفتح فمك فيذهب .

٣٠ ـ المرقد :

+ اياك أن تبيت فى قرية وتنام فى بيت تخشى أن تخطىء فيه بقلبك .

+ اذا رقدت فى موضع فلا ترقد مع آخر فى فراش واحد ، لا تتغط انت وآخر بغطاء واحد وصل صلاة طويلة قبل أن تنام .

رابعا ـ التدبير الباطنى للراهب

٣١ ـ العفة :

+ اياك أن تتمادى فى ذكر خطاياك القديمة والتلذذ بها لئلا تنتابك الأتعاب وان قوتلت بزنى فى أحلام الليل ، فأحفظ فكرك من تذكرها بالنهار ولا تذكر أيضا تلك الأجساد التى أبصرتها فى أثناء نومك لئلا تتدنس بلذاتها وتجلب على نفسك حزنا . ولكن الق ضعفك أمام الله وهو يعينك لأنه رحوم يرثى لضعف الانسان . فاذا الزمت نفسك بصوم كثير وصلاة مستمرة فلا تثق بأنك ستخلص بعد ذلك ولكن

قل فى فكرك انى أرجو من الله بصلاة قديسيه أن يصنع مع ضعفى رحمة من أجل الشقاء الذى شقى به جسدى .

٣٢ ـ حفظ العقل :

+ ليكن فكرك بالله وهو يحفظك . أبغض كلام العالم ليفرح قلبك بالله . كن متفكرا فى كل حين بجهنم لكيما تبغض الأعمال المؤدية اليها .

٣٣ ـ التوبة والنقاوة :

+ اذا قمت باكر كل يوم تذكر انك ستعطى الله جوابا عن أعمالك فانك بذلك لن تخطىء ومخافة الله تسكن فيك . هىء نفسك دائما أبدا للقاء الله لكيما تصنع مشيئته .

٣٤ ـ بغض العالم :

+ حب أمور العالم يجعل النفس تظلم فكن دائما أبدا حذرا منتبه العقل فى كل حين ولا تقبل أفكار السوء وتجلس وتتحدث عنها لئلا تكون جالســـا تحادث الشيطان مشافهة ، لأن الأفكار الردية من فمه تخرج ، فافطن له ونبه عقلك مقابله وتقو عليه بأسم ربنا يسوع المسيح ، ولا تكن متكلا على قوتك وصلاحك ، بل كن طالبا العون والرحمة من المسيح لكيما يفرح بك وينيحك .

٣٥ ـ الوداعة :

+ اياك أن تفكر بالعظمة أو تقبل هذه الفكرة ، لأن بذلك صار رئيس الملائكة شيطانا .

٣٦ ـ العقل :

+ ثلاث فضائل يحتاج اليها العقل دائما :

ترك الغضب ـ عدم التهاون ـ الشجاعة .

+ ثلاث فضائل أخرى اذا ازدان بها العقل يثق بأنه قد بلغ الحياة وهى :

افراز الجيد من الردىء ـ التبصر فى الأمور قبل الاقدام عليها ـ عدم الخضوع لأمر غريب .

+ثلاث فضائل كذلك تبعث فى العقل ضوءا مستديما وهى :

ان لا يعرف شر انسان ـ أن يصنع الخير مع الذى يصنع به الشر ـ ان يتقبل ما يجلبه العدو عليه بغير ضيق صدر ، فالذى لا يعرف شر انسان قد أدرك المحبة ، والذى يفعل الخير مع من يفعل به الشر فقد أدرك السلامة . والذى يقبل ما يأتيه من العدو بغير ضيق صدر قد اقتنى الوداعة .

+ اربعة فضائل تزكى النفس :

السكون . حفظ الوصايا . الانفراد . الاتضاع .

٣٧ ـ محاسبة النفس :

+ راجع نفسك كل يوم عما صنعته فيه من الخطايا وصل الى الله من أجلها فيغفرها لك .

+ من لازم النوح يهرب من كل الشرور ومن كل سجس ، فالنوح يغســـل الانسان ويصيره بلا خطية .

+ ان كافأت شرا بشر فذلك يبعدك من النوح ، وان قبلت شيئا من السبح الباطل ابتعد منك النوح وان تركت الاهتمام بخطاياك واهتممت بما لا يعنيك ، أن قيل عنك كلام لا تعرفه فتسجست (اضطربت) فقد أبعدت عنك النوح .

٣٨ ـ خوف الله :

+ قال أنبا اشعياء :

« ينبغى للراهب أن يقتنى له مخافة الله ، وما دامت ليست فيه مخافة الله فهو بعيد من رحمة الله ، فاذا كان يميل الى الخطية ويستأنس بها فليعلم أن مخافة الله ليست فيه » .

+ من لازم مخافة الله فذاك قد اقتنى حكمة سمائية ، وأما من ليس فيه مخافة الله فقد عدم كل خير .

+ ما دام القلب يخضع للخطية فما صار خوف الله فيه بعد ، وهو لا زال بعيدا عن الرحمة .

+ اذا دخلت بيت الراحة لقضاء حاجة الطبيعة فلا تتباطأ ، بل اذكر أن الله ينظر اليك دائما .

٣٩ ـ محبة الله :

+ من يحب الله فذاك قد تغرب عنه شيطان التهاون .

٤٠ ـ النقاوة :

+ النقاوة هى عقل متيقظ وحس ملتصق بالله فلننق قلوبنا وأجسادنا من الشهوة الردية لكيما نخلص من النجاسة .

خامسا ـ حياة النسك

٤١ ـ الشرب :

ان أردت أن تشرب بعضا من الشراب فلا تزد على ثلاثة كؤوس ، واياك أن تحل الوصية من أجل الصداقة .

٤٢ ـ الطعام :

+ ضبط البطن يذهب الأوجاع أعنى الشهوات الردية : أما شهوة الأطعمة فتجلبها فلا تكن نهما فى الأطعمة لئلا تتجدد فيك خطاياك القديمة .

+ أضاف الأب اشعياء الاسقيطى انسانا من الاخوة ، فغسل رجليه ، وجعل قليلا من العدس فى القدر ، ووضعه على النار ، وما أن غلى ، حتى رفعه عن النار ، فقال له الأخ : « أيها الأب ، ان العدس لم ينضج بعد » فقال له الشيخ : ألا يكفيك ما أبصرته من النار ! لأنه غذاء عظيم » .

وقال أيضا أنبا اشعياء :

+ « اكتفوا من القوت باليسير الحقير ، ولا تطيعوا العدو فى مشـــورته فى الضيافة باللذيذ ، الكثير ، فقد نهى الرب تلك التى أضافته (مرثا) عن الاهتـــمام والقلق . ولما أضاف الذين تبعوه ، لم يحضر لهم أصنافا كثيرة ، وانما أحضر لهم ما كان حاضرا عند أحد التلاميذ . تشبهوا بالأرملة التى أضافت النبى بما وجد

عندها من الخبز والماء ، ولا تشتهوا الاكثار من القنية ، من أجل ضيافة الغرباء ورحمة المساكين ، فان هذا أيضا من خداع الشياطين ، التى تقود الى الاشتغال بالاهتمام والى السبح الباطل ، فاليسير الحاضر ممدوح كفلس الأرملة .

+ اذا كنت ساكنا فى قلاية فاجعل لطعامك مقدارا معينا ، ووقتا معروفا لا تتعداه لأن خراب النفس هو حب البطن .

٤٣ ـ الجسد :

+ اياك أن تترك جسدك فى حالة لا تليق بسبب قذارته لئلا يسرق المجد الباطل ـ ولكن اذا كنت شابا فاترك جسدك ليظهر بكل سماجة .

٤٤ ـ الملبس :

+ لا تلبس ثوبا جديدا حتى تبلغ حد الكبر وتدخل فى سن الشيخوخة ، قيل أنه أقام مدة من الزمان وهو عريان ، بلا ثوب فى البرية . فأوحى الله الى بعض الشيوخ أن يمضى اليه ويستر عورته لأنه رد غضب الله عن العالم كله فلما جاءه الشيخ أخبره بالأمر فقال : « أما يوجد فى العالم عريان غيرى ؟ » .

٤٥ ـ القنية :

+ اذا أقمت فى مكان وبنيت لك فيه قلاية وانفقت فى بنائها نفقة ما ، ثم بدا لك بعد حين أن تخرج منها واقام فيها أخ آخر ، وأردت الرجوع اليها مرة أخرى ، فاحذر من أن تخرج ذلك الأخ منها ولكن ابحث لنفسك عن قلاية أخرى ، وان كنت وقت خروجك منها أولا قد تركت فيها متاعا ووجدت أن الأخ قد أحرقه فلا تطالبه بشىء منها .

+ ان أردت أن تنتقل من قلاية الى أخرى فاحذر من أن تأخذ معك شيئا من متاعها ، بل أتركه للأخ الذى سيسكن فيها والله يرزقك انت حيثما كنت .

+ ان كنت ساكنا فى قلاية فاياك أن يكون لديك اناء يمنعك من حفظ وصية ربك .

+ محبة المال تضايق العقل ، فلنترك أمور العالم وننطلق ، وما تصنعه من أجل الله هو يعينك فى ساعة شدتك التى هى ساعة الموت .

سادسا ـ الالتصاق بالرب

٤٦ ـ طرح الهوى :

+ يا اخوتى ، تأكدوا بحرص أن تكون شهوتنا بالله ، لنسلم من الشرور ، فان صنعت هواك طردت عنك النوح .

+ تفرس فى نفسك كل يوم لتعلم أى وجع غلبت ، ومن أى وجع أنت مغلوب (أعنى الشهوات الجسدانية) ، ولتكن مجتهدا بكل قوتك فى أن تغلب كل الشهوات الردية .

+ الذى يحب الله لا يهتم الا ببغض الشهوات النجسة وعمل الصلاح وتعب الجسد بمعرفة : أما الغفلة والتوانى فهما يولدان فينا أوجاع الجسد النجسة .

لا تشته شيئا لصاحبك ، لا ثوبه ولا قلنسوته ولا غير ذلك مما له ـ ولا تتمم شهوة جسدك وتصنع لك مثله ـ أن عملت لك مجلدا فلا تزينه فان ذلك عثرة .

٤٧ ـ السكوت :

+ السكوت هو أن ترضى بكل شيء ولا ينبغى لك أن تشغل قلبك بأمر لايعنيك ـ أحب السكوت أكثر من الكلام لأن السكوت يجمع ، والكلام يبدد . الراهب لا يستطيع أن يحفظ جهاده الا بالسكوت وبالهدوء وأن لا يحسب نفسه شيئا فى أمر ما .

+ من هو فى السكوت فهو محتاج الى هذه الثلاث خصال :

خوف الله ـ صلاة دائمة ـ أن لا يدع قلبه يسبى بأمر ما . من هو فى السكوت ينبغى له أن يجعل خوف ملاقاة الله متقدما كل نفس من أنفاسه . والسكوت يجلب النوح .

+ ذلك الانسان الذى يتكلم بكلام العالم أو يسمعه مرارا كثيرة ، لا يقدر أن يكون له فى قلبه دالة قدام الله فى صلاته فمن احب كلام العالم فقد أقفرت نفسه من كل صلاح .

+ كل من يريد أن يغلب بالكلام فبلا شك قد دل على أن مخافة الله ليست فيه ولا اتضاع .

+ من يريد أن يلازم السكوت من غير أن يقطع علل الأوجاع فهو أعمى .

+ الرقاد بمعرفة فى السكوت أفضل من الكلام الباطل مع السهر .

٤٨ ـ الاتضاع :

+ الاتضاع هو أن يعتقد الانسان فى نفسه أنه خاطىء وأنه ما عمل شيئا من الخير أمام الله ، وأن يلازم الصمت ، والا يعتبر نفسه شيئا ، وأن يرفض هواه ولا يقيم كلمته ، ويكون نظره الى الأرض . وأن يضع الموت بين عينيه ، وأن يحفظ نفسه من الكذب ، والا يتحدث بكلام باطل ، والا يناقش من هو أكبر منه ، وأن يتحمل الشتيمة بفرح ، ويبغض الراحة ، ويدرب نفسه على التعب ، والا يحزن أحدا .

+ ثبت نفسك فى هذه الخصال التى أقولها لك :

التعزية ـ المسكنة ـ الصمت ـ فهذه كلها تجلب لك الاتضاع ، والاتضاع يغفر الخطايا كلها .

+ يا ابنى كن مستعدا ازاء كل كلمة تسمعها لأن تقول « اغفر لى » . وبذلك تهزم كل قوة العدو وليكن وجهك دائما معبسا ، الا اذا اتاك اخوة غرباء فكن بشوشا فيسكن خوف الله فيك .

+ احب الاتضاع فهو يحفظك من الخطية .

+ عود لسانك دائما أن يقول « اغفر لى » فيأتيك الاتضاع .

+ من كف عن شر الناس فذاك بالحقيقة قد انطبع فيه اتضاع سيدنا يسوع المسيح وأخزى الشيطان .

+ ان كلمك انسان فلا تجادله محاولا تثبيت كلمتك ، والا فليس فيك نوح فهذه الأمور تدل على أن الانسان العتيق لا يزال بعد حيا فيك .

٤٩ ـ بغض المديح :

من يحب مدح الناس فهو شقى وقد شملته الظلمة .

٥٠ ــ انكار الذات :

+ احذر من ان تعتبر نفسك شيئا فى اى أمر من الأمور فان ذلك يفقدك النوح على خطاياك .

+ لاتضع فى نفسك انك حكيم فتقع فى ايدى أعدائك .

+ اذا مضيت الى ضيعة(١) مع اخوة لا تعرفهم فاعطهم التقدم فى كل شىء ولو كانوا أصغر منك . وان نزلت عند صديق لك فليكونوا هم المتقدمين عليك فى كل شىء على المائدة وغيرها .

لا تظن أنه بسببك يكرمهم صديقك ، بل قل لهم : انه بسببكم يصنع بى الرحمة .

+ ان ارادت الذهاب الى أناس فلا تضع فى قلبك أنهم سوف يفرحون جدا بلقائك . فان قبلوك اشكر الله على قبولهم لك .

+ ان حفظت وصايا المسيح كلها وعملتها ، قل : « انى لم أرض الله قط » .

سابعا ــ احتمال كل ما يأتى علينا

٥١ ــ اساءة الغير :

+اذا كنت فى قلايتك وتذكرت أن انسانا أساء اليك وأحزنك فقم فى الحال وصل من أجله من كل قلبك أن يغفر الله له وبذلك تنطفىء عنك محبة مجازاة الشر بالشر .

+ ان شتمك انسان فلا تجبه حتى يسكت : وفتش نفسك بخوف الله فانك سوف تجد ان ما قد سمعته كائن فيك وان العلة هى منك ، فاصنع له مطانية مثل انسان يعرف بالحقيقة أنه هو الذى أخطأ .

٥٢ ــ المرض :

+ اذا أصابك مرض وأنت ساكن فى قلايتك فلا تصغر نفسك بل اشكر الله على ذلك .

٥٣ ــ الزهد :

+ ان أنت بعت شغل يديك فلا تتشدد فى الثمن كالعلمانيين كذلك اذا أردت أن تشترى شيئا زد على ثمنه قليلا وخذه وان لم يكن معك مايساوى قيمته فاتركه بسكوت .

٥٤ ــ الايمان :

+ احفظ نفسك من مجادلة المخالفين بحجة انك تريد الدفاع عن الايمان ، لئلا يؤثر كلامهم فيك فتهلك . وان وجدت كتابا من كتبهم فلا تقرأ فيه لئلا يمتلىء قلبك بسم الموت بل تمسك بأمانتك كما أضاءت لك المعمودية ، كن على حذر من تعليم الكذاب المضاد .

---

(١) قرية ...

٥٥ ــ عدم الادانة :

+ اذا أبصرت انسانا قد أخطأ فلا تحتقره ولا تزدر به لئلا تقع فى أيدى أعدائك ، واذا طغى أخوك بجهله بسبب الهراطقة ، ثم رجع الى الايمان القويم فلا تحتقره .

+ اذا سمعت أخا يدين آخر فلا تستح منه أو توافقه لئلا يغضب الله . بل قل له باتضاع : « اغفر لى يا أخى فانى انسان شقى وهذه الأمور التى تذكرها أنا منغمس فيها ولست أحتمل ذكرها .

+ لا تقبل أن تسمع ضعفات أخيك أو تلومه ، والا فأنت هالك .

+ اذا أساء اليك أخ وجاء آخر وعاب فيه عندك فاحفظ قلبك لئلا يتجدد فيه ذكر الشر الذى أساء به اليك ذلك الانسان .

+ من لايدين أحدا فقد استحق النوح ، اذا انشغلت عن خطاياك وقعت فى خطايا أخيك .

+ ان قلت ان فلانا صالح وفلانا شرير خربت نفسك .

ثامنا ــ ضبط المشيئة

٥٦ ــ رفض المشيئة :

+ لا تكن معاندا أو متمسكا بكلمتك لئلا يسكنك الشر . فان طالبك الاخوة بأمر لا تهواه فارفض مشيئة نفسك وتمم ما يقولونه لك لئلا تحزنهم فتفقدوا السلام فيما بينكم .

+ اذا كنت ساكنا مع أخ وسألك قائلا : « أطبخ لنا شيئا » فاسأله عما يجب فان ترك لك حرية الاختيار فمهما وجدته موافقا له اطبخه بخوف الله . وكل عمل تعملانه اشتركا فيه ولا يطلب أحدكم راحة جسده لئلا يضطرب فكر أخيه .

+ من قطع هواه من أجل أخيه لمرضاة الله فقد أنبأ نفسه أنه قد اقتنى الفضائل ، أما الذى يرضى هواه فقد أظهر أنه غير خائف من الله .

+ ان أنت قطعت هواك بمعرفة اقتنيت لنفسك التواضع ، أما الذى يريد أن يتمم هواه فذاك يعدم الصلاح كله ، فلنقطع أهوية قلوبنا ولنلتمس مشيئة الله ونتممها .

+ فلنهرب من اللجاجة (العناد والمجادلة) فانها تهدم كل بنيان الفضيلة وتصير النفس مظلمة لا تبصر شيئا من الصلاح فتحفظ من هذا الوجع (هذه الرذيلة) الردىء الذى اذا اكتنف أى صلاح أعدمه ، لأن ربنا ما أن طلع على الصليب حتى طوح يوداس (يهوذا) من وسط تلاميذه ، فان لم يقطع الانسان هذا الوجع الردىء (اللجاجة) فلن يستطيع أن يدرك شيئا من أمور الله لأن كل شر فى الدنيا يلحق صاحب هذا الوجع .. وهذا الوجع هو نتيجة الكبرياء ، لأن المتكبر لا يقدر أن يتحمل شيئا من الموعظة وهو محب لمجد الناس والغلبة ويسكن فى نفسه كل أمر يبغضه الله ، لأن المتكبر لا يقدر أن يكون بغير عثرة ، وهو يسلم نفسه بنفسه الى أيدى أعدائه .. وحينئذ يصنعون بها شرورا كثيرة .

٥٧ ـ قبول الغير :

+ اذا وجه اليك انسان كلمة قاسية ، فلا تشمئز أو يستكبر قلبك ولكن بادر واصنع مطانية ولا تلمه فى قلبك ، والا فالغضب يثور عليك .

+ اذا افترى أحد عليك بشىء لم تصنعه فلا تجزع ولا تغضب ، بل اتضع واصنع له مطانية ، وسواء كنت قد فعلت أم لم تفعل ففى كلتا الحالتين قل : « اغفر لى فلن أعود لمثله مرة أخرى » .

+ لنتحمل تعيير اخوتنا اذا هم رذلونا لنتخلص من العظمة .

٥٨ ـ الاعتراف بالخطية :

+ ان اخطأت فى أمر ما فلا تستح وتكذب ، بل اسرع واقر بذنبك واستغفر فيغفر لك .

+ طوبى لمن اهتم من أجل جراحاته لتشفى ، وعرف خطاياه وطلب من أجلها الغفران .

+ من كتم خطاياه عن صاحب سره فقد دل على تعاظمه ، وقد استملك عليه عدوه ، أما الذى يفشى أفكاره فيستريح .

لنرفض شرف العالم وكراماته لنتخلص من المجد الباطل .

تاسعا ـ العمـــــل

٥٩ ـ العمل فى القلاية :

+ اذا قمت باكر كل يوم فقبل أن تقوم بأى عمل اقرأ كلام الله وبعد ذلك ان كان لك فى القلاية عمل فاعمله بهمة ونشاط .

+ اذا جلست فى قلايتك فاهتم بهذه الثلاث خصال :

« ابدأ عمل يديك ، ادرس مزاميرك وصلاتك ، تفكر فى نفسك انه ليس لك شىء فى هذه الدنيا سوى اليوم الذى انت فيه فلن تخطىء » .

٦٠ ـ عمل اليدين :

+ اتعب نفسك واضطرها على العمل وخوف الله يحل عليك .

+ اعمل لكيما تعطى المساكين من عرق جبينك لأن البطالة موت وهلاك ، واحرس قلبك قبل كل شىء كى يكون لك شغل فى الروحانية فى كل رهبنتك

+ اذا كنت تقوم بعمل يديك فلا تتوان البتة ولكن اهتم به بخوف الله لئلا تخطىء بدون وعى ، وكل عمل تؤديه لا تستح أبدا من أن تسأل من يعلمك قائلا : « اصنع محبة وأرنى ... » وخذ رأيه أيضا فيما لو كان عملك جيدا أم لا .

عاشرا ـ المحبـــة

٦١ ـ معاملة الاخوة :

+ لتكن محبا للمؤمنين لتحل عليك رحمة الله . لتكن محبا للقديسين لتتحمس بأعمالهم الصالحة .

+ لنكن محبين لجميع الناس لنخلص من الغيرة لنكن متصالحين مع كل أحد لنخلص من البغض أما الذى يلوم أخاه أو يحتقره أو يشى به قدام آخرين أو يظهر له غضبا ، فقد صار بعيدا من الرحمة .

٦٢ ـ الملكية المشتركة :

+ ان سألك أخ أن تعيره اناءك فاعطه اياه ، رغم حاجتك اليه ورغم عدم وجود غيره عندك ، واياك أن تجلس بعد ذلك متضايقا مرتبكا فخير لك أن يهلك أحد أعضائك من أن يذهب جسدك كله الى جهنم .

+ ان أنت اقرضت انسانا ، مسكينا شيئا وعرفت أنه ليس له ما يوفيك ، فلا تحزنه ولا تضيق عليه فى شىء مما أعطيته سواء كان ثيابا أم وزنات أم غير ذلك.

٦٣ ـ اجتماعية :

+ ان ذهبت الى قرية وأوصاك أخ أن تشترى له شيئا ، فاشتره له كما لو كنت تشتريه لنفسك . وان كان معك اخوة وقتئذ فاشركهم فى هذا الأمر .

+ ان مررت فى الطريق مع أخ وحدث أن قابلت صديقا لك وأردت أن تسأله فى أمر ما واستأذنت الأخ قائلا : « استرح قليلا حتى آتى اليك » فان دعاك صديقك أن تدخل لتأكل عنده ،فاياك أن تلبى دعوته دون أن تشرك الأخ الذى معك .

+ ان استعرت من أخيك فأسا أو غيره فلا تتوان فى أن ترده اليه عند قضاء حاجتك ولا تتركه حتى يطلبه منك ، فان انكسر جدده له ، وان أودع أخ عندك اناء ، واحتجت اليه احتياجا شديدا فاحذر أن تمسه بأذية .

٦٤ ـ الضيوف والغرباء :

+ اذا كنت جالسا فى قلايتك وأتاك أخ غريب فادهن رجليه وقل له : « اظهر محبة وخذ قليلا من الزيت وادهن به جسدك » فان لم يرد فلا تكرهه ، اذا كن شيخا عمالا .

+ اذا زارك غرباء أعطهم حاجتهم برضى ، واذا كفوا عن الطعام فقل لهم مرتين أو ثلاثة « اصنعوا محبة وكلوا قليلا » .

+ اذا جاءك أخ غريب ليكن وجهك صبوحا حين تسلم عليه ، واحمل عنه ما يحمله بفرح ، وكذلك اذا أراد الانصراف ليفارقك بفرح ولتودعه بخوف الله وبشاشة كى تكونا عند الفراق رابحين نفسيكما ، وكذلك فى حال وصوله اليك اياك أن تسأله عن أمور لا تخلص نفسك بل دعه يصلى أولا ، فاذا جلس قل له : « كيف أنت ، وكيف حالك ؟ » ولا تزد على ذلك ، واعطه كتابا ليقرأ فيه . فاذا كان قد جاء متعبا فاتركه حتى يستريح واغسل رجليه . فان كان قد أتاك حاملا اليك كلاما ليست فيه منفعة فقل له : « اغفر لى يا أخى فانى ضعيف ولست أقوى على سماع هذا الكلام » ، وان كان ضعيفا وثيابه رثة فاغسلها له وخيطهـــا اذا احتاجت الى خياطة .

٦٥ ـ الرحمة :

+ اعط المحتاجين بعين واسعة .. حتى لا تحزن بين القديسين لأن قلة الرحمة تعبر عن اننا لا نحب الله .

+ لنلازم محبة المساكين لنتخلص من حب الفضة .

+ اذا جاءك أحد من الطوافين وتصادف أن كان عندك رجل قديس فى نفس الوقت فلا تدخله عليه ولكن اصنع معه رحمة من أجل محبة الله واخل سبيله . وان كان مسكينا فلا تصرفه من عندك فارغا ، بل اعطه من البركة التى أعطاك الله اياها ، واعلم أن كل شىء لك ليس ملكك فاعطه من أجل الرب .

أحد عشر ـ المرشد الروحى

+ لا تعمل عملا فى توبتك بدون مشورة ، فتعبر أيامك بنياح . وكل فكر يحاربك اكشفه ولا تستح أن تقول به لمن هو أكبر منك بالروحانية فيخف ذلك الفكر عنك ويذهب ، واعلم أنه لا يوجد شىء يفرح له الشياطين مثل انسان يخفى أفكاره ، ردية كانت أم جيدة .

+ ان سألك شيخ عن أفكارك فاكشفها له بصراحة متى تأكدت أن له أمانة ويحفظ كلامك . ولا تنظر الى كبر السن بل اعتمد على من له علم وعمل وتجربة ومعرفة روحانية ، لئلا يزيدك سقما بدلا من أن يهبك شفاء .

+ لا تكشف أسرارك لكل أحد لئلا تسبب عثرة لقريبك . اكشف أفكارك لآبائك الشيوخ لتجد معونة بمشورتهم .

+ ان وجدت شيوخا جالسين يتكلمون كلام الله وأردت أن تجلس معهم فاستأذن معلمك أولا فان أذن لك فاجلس واسمع كلامهم ، وكل ما يأمرك به افعله وان أمرك معلمك بقضاء حاجة خاصة به فاسأله عن المكان الذى تذهب اليه لقضائها وما يشير به عليك لا تزد عليه ولا تنقص منه .

* * *

أساس ومشارب

الأساس :

وصف القديس برصنوفيوس السلوك الرهبانى فى كلمات مختصرة فقال :

١ ـ العمل الداخلى هو :

وجع القلب (أى المناجاة القلبية بمسكنة ومداومة)

وهذا يجلب **الطهارة**

والطهارة تلد **سكوت** القلب الحقانى

وهذا السكوت يلد **التواضع**

والتواضع يصير الانسان **مسكنا لله** . وهذه السكنى تطرد الأعداء الأشرار ، مع كافة الأوجاع الرديئة ، وتحطم الشيطان رئيسها ، فيصير الانسان هيكلا لله طاهرا **مقدسا** مستنيرا فرحا ممتلئا من كل رائحة طيبة وصلاح وسرور ، ويصبح الانسان **لابسا لله** ، **نعم ويصير الها** ، **لأنه** قال : أنا قلت أنكم آلهة وبنى العلى

تدعون . وحينئذ تتفتح عينا قلبه ، وينظر النور الحقانى ، ويفهم أن يقول : انى بالنعمة تخلصت بالرب يسوع المسيح .

٢ ـ الطاعة :

والذى يريد أن يرضى الله ، فليقطع هواه لأخيه ومعلمه ، لأنه اذا فعل ذلك فهو يجد نياحا بالرب .

مشارب :

سئل القديس أنطونيوس ماهو العمل الجيد فأجاب وقال : ان الأعمال الجيدة كثيرة لأن الكتاب يقول : ان ابراهيم كان مضيفا للغرباء وكان الله معه ، وأيليا كان يؤثر سكنى البرية والوحدة وكان الله معه ، وداود كان متضعا ووديعا وكان الله معه ، ويوسف كان حليما عفيفا وكان الله معه ، فالذى يحبه قلبك من كل هذا اعمله من أجل الله واحفظ قلبك . واذا قاتلتك أفكار كثيرة فقاتل أنت رأسها . فان هزمته انهزم باقيها .

وقال أيضا : الذى يطرق سبيكة من الحديد يسبق أولا فيمثل فى فكره ما هو عتيد أن يفعله ، اما منجلا أو سكينا أو فأسا ، وهكذا . بسبيلنا نحن أيضا أن نفكر فى كل شىء نبدأ العمل فيه لئلا يكون عملنا باطلا .

القديس يوحنا القصير

سال بعض الشيوخ يوحنا القصير قائلين : عندما كنت فى كريت كيف كان الآباء يدبرون أنفسهم . قال : كانوا يؤدون عمل الرب بكل قوتهم ليل نهار . أعنى أنهم كانوا :

١ ـ يتلون الخدمة (الصلوات العامة)

٢ ـ يصلون

٣ ـ ويقرأون

وكانوا يهتمون بالأكثر على الانفراد

٤ ـ وعوضا عن البطالة كانوا يعملون بأيديهم .

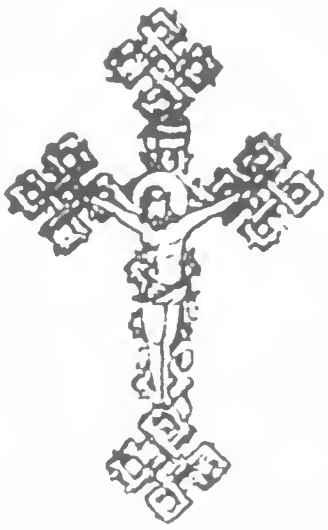

الفصل الثاني

تدبير الإرادة

١ ـ الفقر
٢ ـ الطاعة
٣ ـ العفة
٤ ـ العمل
٥ ـ الوحدة

تدابير الإرادة

لقد كان الانسان فى البدء شبه الملائكة ، فلما سقط صار شبه البهائم ، لكن اذا كانت الطبيعة الانسانية تسوق الى الشهوات البهيمية ، فان الشريعة المسيحية تؤدى الى الغاية الملائكية ، لأن المسيح وعد الذين يعملون ارادته أنهم سيكونون مثل ملائكة الله ، فاعلم يا أخى انه ليس شيء يقرب الى الله مثل الطهارة والاتضاع ، ويمكن اقتناؤها بالصوم والصلاة والسهر والتعب . واتمام الخيرات بقطع رأس الشر الذى هو حب المقتنيات .

سؤال : « أسألك يا أبى أن تبين لى ما هى المشيئة الجيدة ، وما هى المشيئة الرديئة ؟ »

الجواب : « قلت لك ان كل نياح جسدانى مرذول عند الهنا » ، لأنه قال : « ان الطرق المؤدية الى الحياة الأبدية حزينة وضيقة ، فمن يختارها لنفسه فهى المشيئة الجيدة ، ومن أرادها فانه يلقى بنفسه فى كل أمر حزين بهواه ، وبقدر استطاعته » . اسمع ما قاله الرسول : « انى أقمع جسدى واستعبده » فافهم أن الجسد لا يريد ذلك ، بل بمشيئته كان يضمره ، فالذى يريد الخلاص يجب أن تكون مشيئته هكذا ، ومن كان كذلك فكل أموره يختلط فيها الحزن .

لا تستعمل فراشا لينا ، وتذكر أن كثيرين ينامون على الأرض وبين الشوك ، وان صادفت طعاما لذيذا فاتركه وكل من الدون ، كيما يحرك على جسمك حزنا ، واذكر الذين لا يذوقون خبزا البتة ، واذكر كذلك الألم الذى قبله سيدك من أجلك ، واعط لنفسك الويل ـ هذه هى المشيئة الجيدة ، أما المشيئة الرديئة فهى نياح الجسد فى كل ما يطلبه منك ، ولا سيما اذا اتفق لك طعام غير جيد ، وقلت : « لا آكل » ، فهذه هى المشيئة الرديئة ، فاقطعها عنك وأنت تخلص » .

قطع الهوى

سأل أخ شيخا : « كيف أعلم ، أن اقطع مشيئتى حين أكون فى القلاية وحين أكون بين الناس ؟. وما هى مشيئة الله وما هى مشيئة الشيطان ؟ » .

فأجابه : « أما قطع الراهب لمشيئته فى قلايته ، فذلك بتهاونه بالنياح الجسدانى فى جميع الأحوال والأمور ، أما اذا كان بين الناس ، فليكن كالميت بينهم ، أو كالغائب عنهم ، أما مشيئة الله فهى الا يهلك أحد ، كما كتب فى الانجيل ، وان يقبل الكل الى معرفة الحق ، كما قال الرسول بولس ، والا يموت الانسان وهو خاطىء ، بل أن يتوب ويحيا ، كما قال النبى حزقيال .

أما مشيئة الشيطان فهى : « ثقة البار بنفسه ، وعدم توبة الخاطىء عن خطيئته » .

+ ولما سئل أنبا يوحنا رئيس الكينونيون عند نياحته : « قل لنا كلمة يا أبانا » قال : « انى لم أكمل هواى قط ، ولم أعلم أحدا شيئا لم يسبق لى عمله» .

الصلاة وموافقتها لمشيئة الله :

+ أخبروا عن شيخ قديس ، انه كان داخلا الى مدينة لها أمير كبير ، وكانت له ابنة قد قاربت الموت ، فلما رأى القديس أمسكه وأعاقه عن السفر قائلا له : « لن أطلقك حتى تصلى على ابنتى فتعافى » . فتبعه الشيخ الى موضع الصبية ، ووقف فوق رأسها ، وبسط يديه قائلا : « أيها الرب العارف بخير النفوس ، ياعالم الغيوب ، يا من لا يشاء أن يهلك أحد من جنس البشر ، أنت تعلم حيرة هذه الصبية، ارادتك افعلها معها » ، وللوقت أسلمت الصبية روحها ، فصاح أبوها على الشيخ قائلا : « واويلاه منك يا شيخ ، فان كنت لم تقدر أن تقيمها ، فلا أقل من أن تعطيها لى كما كانت ، والا فلن أطلق سبيلك » ، فطلب الشيخ من الله فعادت نفسها اليها بطلبة الشيخ مرة أخرى .

ولما عوفيت لم تلبث أن سارت سيرة رديئة ، فأفسدت جلال أبيها ، فمضى الى موضع الشيخ وطلب منه قائلا : « أريد أن تموت ، فقد عاشت عيشة رديئة ، وأنا أحتشم أن أمشى بسببها » ، فقال له الشيخ : « أنا قد طلبت من الله الخير فيما يريد ، وقد علم الله أن موتها أصلح ، لكنك لم ترد ، والآن لا شأن لى معك » ومضى الشيخ وتركه .

ولذلك كان **أنبا أغاثون** يقول : « هكذا يجب أن يكون فهم القديسين أن يعرف الانسان مشيئة الله وأن يكون بكليته سامعا للحق خاضعا له لأنه فى صورة الله ومثاله » .

ومن شر الأعمال كلها أن يطيع الانسان ارادته ويخالف ارادة الله وأن يكون له هوى فى شيء وفى غيره هوى آخر فى نفس الوقت .

كذلك قيل : « النية هى المطلوبة فى كل موضع وليست فى موضع معين ، فان آدم كان فى الفردوس وأطاع مشورة الشيطان ، وتبع هواه وعصى وصية الاله، وأيوب كان جالسا على المزبلة ، وقاوم الشيطان ، وضبط هواه ، وحفظ وصية الاله » .

الغـــربة

قال القديس برصنوفيوس :

+ « غرباء نحن ، فلنكن غرباء بالكمال ، ولا نحسب أنفسنا شيئا ، ولا نشاء أن يحسبنا أحد فنتنيح . جاهد أن تموت فى القبر من كل انسان ، وقل لفكرك : « لقد مت ووضعت فى القبر » وانت تخلص ، وليس غلق الباب هو الموت ، بل غلق الفم والطاعة هى ايضا مطفئة لجميع سهام العدو المحماة .

المحبـــة

وقال أيضا :

+ البذور العظيمة ، والأعصاب التى تشدد كل الأعضاء ، وتشفى كل مرض واسترخاء ، هى المحبة التى أعطانا الآب وأحيانا بها » .

١ - الفقر

قال أحد الشيوخ :

« لا تطلب حوائج كثيرة ، لانك عاهدت المسيح ان تعيش معه بالفقر . لأن المسيح هو حياة النفس . وكل ما اقتناه فى قلبه وفى فكره وفى تصرفاته بامتداد عقله اليه ، فهو ذاك الذى ينجح فى سيرة هذا العمر . وينال الحياة التى لا تزول » .

(أ) حياة النسك

اتفق اثنا عشر من القديسين الحكماء . واجتمعوا على رأى واحد . ورغب بعضهم الى بعض فى أن يذكر لهم طريقة نسكه . لينتفعوا :

فقال الأول : « انا منذ بدات بالانفراد . صلبت ذاتى عما هو خارج عنى ، وجعلت فيما بين نفسى . وبين الاشياء الجسمانية سورا . وصرت فى بيتى كمن هو داخل السور ، فلا ينظر الى ماهو خارج عنه . فكنت أتأمل ذاتى فقط . منتظرا الرجاء كل وقت من الله . وصورت الأفكار الخبيثة بصورة العقارب والحيات ، فمتى أحسست بها متحركة فى طردتها وأبعدتها بالغيظ والتهويل . وما كففت فى وقت من الأوقات من الغضب على نفسى وجسمى . لكيلا يعملا عملا شريرا » .

وقال الثانى : « انا منذ زهدت فى العالم . قلت فى نفسى . اليوم ولدت ، فاترك ما مضى وابتدىء بالعبادة لله . وأنزلت نفسى منزلة الغريب فى المكان الذى من شأنه ان ينصرف غدا » .

وقال الثالث : « انا من بكرة النهار أطرح ذاتى على وجهى أمام ربى ، وأقر بجرائمى » ثم أتضرع للملائكة أن يسألوا الله العفو عنى ، وعن الناس جميعا ، ثم أطوف أماكن العذاب بعقلى . وأبكى وأنوح اذ أرى أعضائى مع الذين يعاقبون ويبكون » .

وقال الرابع : « أنا أتصور نفسى جالسا فى جبل الزيتون مع ربنا وملائكته وأقول لنفسى : منذ الآن لا تعرف أحدا بالجسد . بل كن مع هؤلاء دائما بمنزلة مريم الجالسة عند قدمى السيد . لتسمع أقواله سماعا مطيعا ، كقول ربنا : « كونوا أطهارا لأنى طاهر . كونوا كاملين مثل أبيكم الذى فى السماء فانه كامل ، تعلموا منى فانى وديع ومتضع بقلبى » .

وقال الخامس : « وأنا أتصور الملائكة صاعدين ونازلين فى استدعاء النفوس وأتوقع وفاتى كل يوم ، وأقول : « مستعد قلبى يا الهى » .

وقال السادس : « أنا أستشعر كل يوم اننى أسمع من ربنا هذه الأقوال : « اتعبوا من أجلى فانيحكم . ان كنتم أولادى فاستحوا منى كأب محب ، وان كنتم اخوتى فوقرونى ، ان كنتم أحبائى فاحفظوا وصاياى ، ان كنتم رعيتى فاتبعونى » .

وقال السابع : « أنا أذكر نفسى بهذه : « وهى(١) الأمانة والرجاء والمحبة حتى أنجح بالأمانة ، وأفرح بالرجاء ، وأكمل بالمحبة لله والعبادة » .

وقال الثامن : « انى أرى المحتال طائرا طالبا واحدا يبتلعه ، وأرفع نظرى العقلى الى الهى وأستنجد به عليه فى أن لا يدعه يتقوى على أحد ، وخاصة على الخائفين منه » .

وقال التاسع : « انى ارى كل يوم كنيســــة القوات المعقولة . واعاين رب المجد ، فى وسطها لامعا جدا ، وأسمع نغماتهم فى تسابيحهم التى يرفعونها الى الله ، بمنزلة من قد فهم ما هو مكتوب : « **ان السموات تخبر بمجد الله** » ، فأحسب كل ماعلى الأرض رمادا وكناسة فيزول عنى الضجر والتعب والغم .

وقال العاشر : « أنا أرى الملاك الذى معى قريبا منى ، وصاعدا بأعمـــالى وأقوالى ، فأحفظ ذاتى وأتذكر قول النبى : « سبقت فرأيت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى لكيلا أتزعزع » .

وقال الحادى عشر : « أنا أضع وجهى على ضبط الهوى ، والعفة ، وطول الروح ، والمحبة ، وأقول لنفسى : لا تنامى » .

وقال الثانى عشر :

« أما أنتم فلكم أجنحة من السماء ، طالبين ما فى العلا ، فقد انتقلتم بالنية من الأرض ، وتعريتم من هذا العالم ، فأنتم أناس سمائيون أو ملائكة أرضيون . وأما أنا ، فاذا قست نفسى بكم ، أكون غير مستحق الحياة ، لأنى أعاين خطاياى أمامى فى كل حين ، وأينما توجهت تتقدمنى ، وقد حكمت على ذاتى أنى فى جملة الذين تحت الأرض قائلا : سأكون معهم ، اذا كنت مستوجبا أن أكون قريبهم ، وأبصر هناك الدود والحسرات والعبرات المتصلة المرة ، وأقواما تقعقع أسنانهم ، (مرتعشين) بجملة جسمهم ، من رؤوسهم الى أرجلهم ، وأطرح ذاتى على الأرض، وأنثر الرماد على ، متضرعا الى الله ، فى ألا أباشر تلك العقوبات ، وأنظر أيضا بحر نار يغلى ، ويعج ، يتوهم من يبصره أن أمواجه تبلغ الى السماء وملائكة متنمرين يطرحون اناسا لا يحصون فى ذلك البحر المريع ، وكلهم يعجون بولولة عظيمة ، ويحترقون كالقش ، وقد ارتدت عنهم رأفات الله ، لأجل آثامهم وأنتحب على جنس البشر ، وأتعجب كيف يجسر أحد أن يتكلم كلمة ، أو ينظر نظرة بمخالفة ، وقد أعدت هذه العقوبات ، لكل من لا يؤمن بالاله ويطيع وصاياه ، وبهذا اضبط النوح فى نفسى والدموع فى عينى ، وأحكم على ذاتى بأنى لست أهلا للسماء ، ولا للأرض، متشبها بالنبى القائل : « صارت دموعى لى خبزا نهارا وليلا » .

فهذه أقوال وسيرة الآباء المغبوطين ، فطوبى لمن اهتدى بأقوالهم ، واقتدى بأفعالهم ومن ربنا نسأل العفو والعون ، وله نقدم التسبيح والشكر ، ولأبيه الصالح ، وروح قدسه ، الآن ، ودائما آمين » .

---

(١) الايمان .

قال القديس باسيليوس :

+ « ان النصارى قد منعوا من محبة المجد الباطل ، ومن ارضاء الناس ومن المباهاة أما العلمانيون فانهم يخزون من المسكنة ، ويهيئون أنواع المأكولات للضيف ، وأما نحن فلا نرذل المسكنة التى طوبها الرب ، وكما لا يليق بنا اعداد الآلات الكريمة الثمينة فى الضيافات والبسط فيها ، كذلك لا يحسن بنا الاحتفال بالمأكولات اللذيذة الثمينة ، الخارجة عن مأكولاتنا » .

فان قصدك أيها الأخ غريب ، فان كان حاله كحالك ، قدم له العيش ، فانه يعرف فائدته ، ويجد عندك ما تركه فى قلايته ، فان كان قد أتعبه السفر ، فقدم له ما يزيل تعبه . وان قصدك علمانى ، فانه يأخذ من عندك رسما للقناعة فى المأكولات ، وتذكارا لموائد النصارى ، ونموذجا للمسكنة المسيحية .

اذا كنا نغير ملابسنا لمن يتلقانا ، فلا نغير أيضا موائدنا للذى يطرقنا ، والرسول يقول : « ان أكلتم وشربتم ، أو مهما عملتم ، فاعملوا لتمجيد الله » وما يعمل للمباهاة ، ليس هو لتمجيد الله ويعقوب اكتفى فى مطلوبه من الله ، بخبز يأكله ، وثوب يلبسه والرسول قال : « يكفينا القوت والكسوة » وسليمان سأل الله قائلا : « رتب لى الكفاف ، الذى يقوم بالأود » ، والكفاف هو عدم الفضلة وعدم الحاجة الضرورية معا ، والغذاء الضرورى هو اليسير الثمن ، والسهل الوجود ، فبهذا يجب الاهتمام ، وتقديمه لكل محتاج اليه .

ولما كان قوتنا انما نحصل عليه من شغل أيدينا ، يوما بيوم ، فلا نصرفه فى تنعيم غير المحتاجين ، لئلا نضيق على نفوسنا ، ونسبب لهم المضرة الحادثة من التبذير حيث يجب التقشف » .

شيطان النسك

الصوم لمرضاة الله وليس للمجد الباطل :

وقال أيضا أنبا باسيلوس : « لما شاهدت قوما أماتوا أجسادهم بالنسك مدحتهم ، لأنى رأيت ضبط الهوى قاهرا للشياطين ، اذا كان مبنيا على ناموس الرب . ولما رأيتهم بعد ذلك كذابين حلافين ، سألتهم قائلا : « اذا كنتم عاملين بوصايا الناس ، فاهتموا أولا بوصايا الرب ، وتجنبوا الكذب ، واليمين والحنث ، وباقى ما نهى عنه ، وتوعد بالعقاب عليه » ، فلما لم يقبلوا مشورتى ، بان لى ان الذى يعملونه ، انما هو من أجل تمجيد الناس ، لأن ضبط الهوى يحتاج الى تعب كثير ، وترك الكذب واليمين ، لا يحتاج الا الى تأمل فقط » .

أقوال بعض الآباء فى النسك

الصوم :

+ **قال أنبا تيموثاؤس :** « من يهتم بجسده بشهوة أكل وشرب ، فهو يقيم عليه الحرب ، ويقاتل نفسه بنفسه » .

+ **قال شيخ :** « لا تشبع خبزا ، ولا تشته شرابا » .

+ **قال مار افرام :** « خبز وملح مع سكوت وراحة ، أفضل من أطعمة شريفة مع هموم وأحزان » .

+ **قال شيخ** : « ارفع الصلاح كله أن يمسك الانسان بطنه ولسانه » .

+ **وقال شيخ آخر** : « شاب يتنزه دفعات كثيرة ، قد صار سيفا لنفسه وحده »

+ **وقال انبا موسى الأسود** : « اعلم يقينا أن كل انسان يأكل ويشرب بلا ضابط ويحب أباطيل هذا العالم فانه لا يستطيع أن ينال شيئا من الصلاح بل ولن يدركه ، لكنه يخدع نفسه » .

+ **وقال ايضا** : « اذا قاتلتك الشياطين بالأكل والشرب واللبس فارفض كل ذلك منهم وبين لهم حقارة ذاتك فينصرفوا عنك » .

العفـــة :

+ **قال الآباء** : « حيث يكون شرب النبيذ أو النظر الى الصبيان فلا حاجة هناك الى شيطان » .

+ **قال شيخ** : « ان أنت اتبعت المسكنة والضيقة والامساك فانك تحيا ».

+ **وقال أنبا ابرآم** : « اذا أمسك الانسان بالضيقة فهو ينمو وينظر جميع قوات الله وجميع حسناته » .

+ وحدث مرة أن سأل أخ الأب **دوروثيئوس** قائلا : كيف أحفظ قلبى ؟ **فقال له** : « انك لا يمكنك أن تحفظ قلبك ، مادام فمك وبطنك مفتوحين » .

النســـك :

+ **من قول بعض الشيوخ** : سألنا أنبا أنانيه أن يقول لنا كلمة فقال لنا : « عليكم بالمسكنة والامساك ، لأنى كنت فى برية مصر فى شبابى ، وحدث أن اشتكى أحد الآباء بطحاله ، فطلب جرعة خل ، فلم يجد فى تلك البرية كلها ، وكان فيها ثلاثة آلاف راهب ، فشكى حاله لأحد الشيوخ الذى أمر باحضار قليل من الماء ، ثم قام وصلى عليه ورسم باسم الآب والابن والروح القدس ، ودهن به الطحال ، فزال الوجع لوقته برحمة السيد المسيح » .

+ زار مرة رهبان من الاسقيط الأم سارة ، فقدمت لهم طعـاما ، فتركوا الجيد وأكلوا من الدون ، فقالت : « بالحقيقة انكم أسقيطيون » .

+ **قال أحد الاخوة** : مضيت مرة الى الأب مقاريوس بالنهار ظهرا ، وقد عطشت لدرجة كبيرة جدا ، فطلبت منه قليلا من الماء لكى أشرب ، فقال لى : « يكفيك ذلك الظل الذى انت واقف فيه ، لأن كثيرين الآن يسلكون فى المسالك والوهاد فى العراء ، لا يجدون ظلا مثل هذا » ، فسألته بعد ذلك أن يقول لى كلمة عن النسك . فقال لى : « قو قلبك يا ابنى فانى أقمت عشرين سنة لم أشبع من خبز ولا من ماء ، ولا من نوم ، وكنت آكل خبزى بقانون أما من جهة النوم فانى كنت أستند الى الحائط واختطف يسيرا منه » .

١ ــ الطعام (المأكل)

+ **قال القديس أنطونيوس** : كل خبزك بسكينة وهدوء وامساك . اياك والشره فانه يطرد خوف الله من القلب ، والحياء من الوجه ، ويجعل صاحبــه

مأسورا من الشهوات يضل العقل عن معرفة الله . اجعل لك مرة واحدة فى النهار للقيام بحاجة الجسد لا للشهوة ، ولا تأكل حتى تشبع .

+ **قال القديس باخوميوس** : الأكل بقدر ليس خطية ، وانما هزيمةالرهبان هى أن تسود عليهم الحنجرة ويتعبدوا للشهوة . فاحفظ نفسك من الامتلاء بالطعام ، لأن الطريق المؤدية الى الحياة كربة والباب ضيق والامتلاء يجعلك خارج الجنة .

+ **قال مار اسحق** :

+ جالس الضباع ولا تجالس الشره الذى لا يكتفى .

+ التحدث مع الخنازير ذات الحماة ، أفضل من فم الأكولين .

+ لا تخاصم ولا تماحك من أجل البطن .

+ **قال أحد الشوخ** : ان المحب لله لايحفظ ملاذ الأطعمة »

+ **قال شيخ** : يا حنجرانى ، يامن تطلب أن تملأ جوفك ، الأجود لك أن تلقى فيه جمر نار من أن تتناول أطعمة الرؤساء .

+ **قال آخر** : « الذى يأكل كيرا ويقوم عن المائدة افضل من الذى يأكل قليلا ويبطىء أمام المائدة حتى يشبع » .

+ **وقيل أيضا** : « ويح لشاب يملأ بطنه ويصنع هواه ، لأن رهبانيته ، وتلمذته ، وكل تعبه ، يكون باطلا » .

+ **كذلك قيل** : « ان كانت شهوتك عالمية ، فهذه أيضا شهوة الكلاب والخنازير ، أعنى بذلك البطن والزنا . أما ان كانت شهوتك بالله ، فهذه هى شهوة الملائكة » .

+ ومرة سأل أخ **الأب صيصوى** عن تدبر ما ، فأجابه الشيخ قائلا : « ان دانيال النبى قال : خبز شهوة ما أكلت » .

+ **وقيل أيضا** أن شخا كان يأكل أثناء تأدية عمله ، فسئل عن ذلك فقال : « انى لا أؤثر أن أجعل الطعام عملا أتفرغ له ، حتى لا تحس نفسى بتلذذ فى الطعام » .

+ **قال القديس برصنوفيوس** : « ان امساك البطن هو أن تقلل من شبعك قليلا ، وان كان عليك قتال فاترك قليلا أكثر » .

سؤال : « كيف أقدر أن أمسك بطنى وان آكل دون حاجتى ، لأنى لا أستطيع صبرا ؟ » .

الجواب : ليس أحد يفلت من هذا الأمر ، الا الذى قد بلغ الى مقدار ذلك الذى قال : « انى نسيت أكل خبزى من صوت تنهدى ، وقد لصق لحمى بعظمى. . فمن كانت حالته هكذا ، فانه يأتى بسرعة الى قلة الطعام لأن دموعه تصير له مثل الخبز ، ويبدأ اذ ذاك أن يتغذى من نعمة الروح القدس . صدقنى يا أخى ، انى

أعرف انسانا يعلم الرب أنه قد بلغ الى هذا المقدار الذى ذكرت ، حتى انه كان لا يأكل فى كل أسبوع مرة أو مرتين ، وكان مرارا كثيرة يسبى فى النظر الروحانى ، ومن حلاوة ذلك كان ينسى أكل الطعام المحسوس ، وكان اذا أراد أن يأكل يشعر كأنه شبعان ، ولا يجد لذة للطعام ، وكان يأكل بدون شهوة ، لأنه كان يشتهى أن يكون دائما مع الله ، وكان يقول : « أين نحن ؟ » .

+ **قال الأخ السائل :** « أنا أطلب اليك يا أبى أن توضح لى قوة هذا الأمر ، وكيف يصير الانسان الى ما ذكرت ، فانى أجهل ذلك . واذا أنا بدأت أقلل طعامى ، فما يدعنى الضعف حتى أعود الى المقدار الأول ، وأنت قلت لى ان الذى يبلغ الى المقدار الذى قيل فيه : « ان لحمى لصق بعظمى من صوت تنهدى » يصير الى قلة الطعام ، فبين لى هذا الأمر » .

+ **قال الشيخ :** « هذا هو التصاق اللحم بالعظم ، أن تصير جميع أعضاء الانسان ملتصقة ، الى أن تكون أفكار الانسان كلها فكرا واحدا بالله ، عند ذلك يلتصق الجسدانى ويصير روحانيا ، ويلحق الجسد بالفكر الالهى ، وحينئذ يصير الفرح الروحانى ، فى القلب ، يغذى النفس ويشبع الجسد ، ويقوى كلاهما حتى لا يكون فيهما ضعف ولا ملل ، لأن ربنا يسوع المسيح اذ ذاك يكون الوسيط ويوقف الانسان بالقرب من الأبواب التى ليس داخلها حزن ولا وجع ولا تنهد ، وحينئذ يتم القول : « حيث يكون كنزك ، فهناك يكون قلبك » ، فالذى يبلغ الى هذا المقدار قد اقتنى الاتضاع الكامل ليسوع المسيح ربنا .

٢ ـ الشرب (المشرب)

+ **قال أنبا موسى الاسود :** « لاتحب الخمر لئلا يحرمك من رضى الرب » .

+ **قال أنبا أغاثون :** « من بذل نفسه لشرب الخمر لا يمكنه أن يخلص من شر الأفكار وقبح الأعمال . فان لوطا لما امتلأ من السكر وقع فى مجامعة قبيحة مغايرة للناموس الطبيعى » .

+ **قال أنبا ابرآم** « اهرب من المشارب ، ولا تدخل المجالس لئلا تصير زانيا خلوا من امرأة تساكنك » .

+ **قال بعض الآباء :** « لا تقتن اناء يزيد عن حاجتك حتى ولا (سكرجة) واحدة . والا فعليك أن تجيب عما فضل عنك » .

+ **سؤال :** « ان ألزمنى أخ أن أشرب معه قدحا من النبيذ فى قلايته ، فهل جيد لى أن أذهب معه ؟ » .

الجواب : « اهرب من شرب الخمر ، تسلم سلامة الغزال من المواهق(١) ، وذلك لأن كثيرين بسبب هذا الأمر ، اندفعوا الى السقوط بالأفكار » .

+ **سأل أخ الأب نسناريون :** « ان وجدت وقتا ما ، وأكلت ثلاث خبزات فهل هذا كثير ؟ » فقال له : « هل أنت فى البيدر يا أخى ؟! » قال له أيضا : « وان أنا شربت ثلاثة أقداح خمر ، فهل هذا كثير ؟ » أجابه أيضا قائلا : « ان لم يكن

(١) من الفعل وهق وتعنى الأتعاب النفسية .

هناك شيطان فانها ليست كثيرة . أما ان كان فهى كثيرة . لأن الخمر مضر جدا للرهبان لاسيما الشبان منهم » .

+ كان أخ مقاتلا بالزنى ، فسأل شيخا أن يبتهل فى أمره لكيلا يقهره الشيطان، ، فسأل الشيخ الله فى أمره سبعة أيام وبعدها سأل الأخ عن حاله فقال له : « لم يخف القتال بعد » فتعجب الشيخ لذلك . واذا بالشيطان قد ظهر له قائلا : « أما أنا ، فمنذ اليوم الأول فى ابتهالك الى الله بشأنه ، انصرفت عنه ، انما هو يقاتل ذاته وحده ، لأنه يأكل ويشرب وينام كثيرا » .

٣ ـ الثياب (الملبس)

+ **قال أنبا أغاثون :** « ان رداء الراهب هو علامة عدم وجود الشر » .

+ **وقال مار اسحق :** « شيطان الزنى يرصد ثوب الراهب ، هل يلبسه باستمرار . أو يغيره عند التقائه بآخر . لأن هذا هو مفتاح الزنى » .

+ **وقال أيضا مخاطبا الاخوة :** « ان آباءنا كانوا يلبسون خرقا موصولة قديمة ، وأغطية عتيقة ، أما الآن فلباسنا ثياب غالية الثمن . امضوا من ههنا فقد أفسدتم ما كان ههنا » .

ولما كانوا عتيدين أن يمضوا الى الحصاد قال لهم : « لن أوصيكم بشيء لأنكم لا تحفظون شيئا » .

+ **وقال بعض الآباء :** « لا يكن لك فى قلايتك ثوبا زائدا عن حاجتك ولست فى احتياج اليه . لأن هذا هو موتك . لأن هناك قوما آخرين غيرك . يؤلمهم البرد ، هم أبر منك وأحق ، وأنت الأثيم عندك ما يفضل عنك . ثوبا جديدا لا تلبس ، لأن هذا يمنع من النوح » .

وقد اعتاد أنبا اسحق قس القلالى أن يقول :

+ ان أنبا بموا كان يقول : « ان طريقة لبس الراهب ومظهره يجب أن تكون رثة بحيث اذا ألقيت خارج القلاية لمدة ثلاثة أيام لا يحملها أحد » .

+ **وجاء أحد الاخوة** فى احدى المناسبات الى كنيسة القلالى وهو مرتد غطاء للرأس يتدلى على كتفيه ، وعندما رآه أنبا اسحق تبعه قائلا : « هنا يعيش رهبان ، ولكنك رجل العالم فليس لك مكان للعيش هنا » .

٤ ـ المال

+ **قال أحد الشيوخ :** « ان المحب لله لا يحفظ مالا » .

+ **وقال بعض الآباء :** « لا تقتن ذهبا فى كل حياتك والا فما يهتم الله بك ، وان أتاك أحد بذهب ، وكنت محتاجا ، فانفقه فى قوتك ، وان لم تكن محتاجا . فلا يبت عندك » .

+ تأهل أحد الشيوخ لمواهب الله ، وذاع صيت فضله فاستدعاه الملك لينال بركة صلاته ، فلما تناقش معه وانتفع منه ، أحضر له مالا ، فقبله الشيخ وعاد

به الى قلايته ، وبدأ فى تنظيفها وتعميرها ، فجاءه مجنون (بروح نجس) فقال له حسب عادته : « اخرج من خليقة الله » فقال له الشيطان : « لن أطيعك فقال الشيخ : « ولم ؟ » فأجابه : « لأنك صرت واحدا من خدامنا اذ تركت عنك الاهتمام بالله ، واشغلت ذاتك بالاهتمام بالأرضيات .

+ **سأل أخ شيخا :** « هل تحب يا أبى أن أحبس لنفسى دنانير فتكون عندى لئلا يصيبنى مرض ؟ » فلما رأى الشيخ أن فكره قد هوى امساك الدنانير ، قال له : « نعم » ، فلما مضى ، أزعجته أفكاره قائلة له : « أترى بحق قال لك الشيخ أم لا ؟ » ثم قام أيضا ورجع الى الشيخ وطلب اليه قائلا : « من أجل الله ، قل لى الحق ، لأن أفكارى تحزننى جدا من أجل الدنانير » فقال له الشيخ : « انى لما أبصرت انك تحب امساك الدنانير ، قلت لك امسك أكثر من حاجتك ، اما أن امسكت بالدنانير ، فسوف يكون رجاؤك عليها ، فان هى نفذت ، فان الله لن يهتم بك ولن يعينك » .

+ وقيل ان شيخا راهبا أصيب بمرض الجذام ، فأحضر له أحد المسيحيين مالا وقال له : « انفق هذا المال على نفسك فى حال كبرك ومرضك » ، فأجابه الشيخ وقال : « أتريد أن تفقدنى فى ساعة واحدة ما قد تعبت فى اقتنائه منذ بدء حياتى حتى هذه الساعة ؟ » وهكذا لم يقبل منه شيئا .

+ **وجاء عن أنبا مقاريوس** الاسكندرانى(1) أنه لم يكن فى جنبيه أية محبة للمال . وحدث مرة حين جاء لصوص الىقلايته ليلا وأخذوا ما وجدوه فيها ، أنه لاحظ ما يعملون فساعدهم فيه ثم سهل لهم طريقة حمل ما أخذوا الى خارج الصحراء .

٥ ـ القنية

+ **قال أنبا موسى الاسود** : « محبة المقتنيات تزعج العقل ، والزهد فيها يمنحه استنارة » .

+ **قال القديس أنطونيوس :** « لا تبق لك أكثر من حاجتك ولا تدفع أكثر من طاقتك » .

+ **قال أنبا أغاثون :** « ان محبة المقتنيات متعبة جدا تؤدى الى نهاية مريرة لأنها تسبب اضطرابا شديدا جدا للنفس فسبيلنا أن نطردها منذ البدء لأنها ان أزمنت فينا صار اقتلاعها صعبا » .

+ « ان كنت مشتاقا الى ملك السماء فاترك غنى العالم » .

+ **قال مار اسحق :**

■ « التمس فهما لا ذهبا واقتن سلامة لا ملكا » .

■ « المرتبط بالمقتنيات والملذات فهو عبد للأوجاع الذميمة » .

■ « لا يعتبر عندك حكيما ذاك الذى من أجل الحياة فى هذا العالم يستعبده

(1) وردت هذه القصة فىرواية بلاديوس منسوبة لأنبا مقاريوس الكبير .

فكره للأرضيات . كل الملذات والشرور التى تعرض للجسد لتكن شبه أحلام ، لأنه ليس بموت الجسد فقط تنحل منها بل كثيرا ما يمكنك رفضها والهروب منها قبل الموت . فان كان لك منها شيء مشترك فى نفسك فاعلم أنه مكنوز لك الى الأبد . لأنها تذهب معك الى العالم العتيد .. فان كان ما اكتنزته من الصالحات فافرح واشكر الله فى قلبك واما ان كان ما اكتنزته من الطالحات الرديئات فاحزن وتنهد واطلب الابتعاد عنها مادمت فى الجسد » .

+ **وقيل عن أبا مقاريوس** : « انه كان يوصى تلاميذه بأن لا يقتنوا مقتنيات البته » . وكان يخاطبهم بقوله : « ان الراهب له جبة مع أنه لا يساوى عند نفسه جبة(١) » .

+ **وقال بعض الآباء** : « ان شئت أن تمتلك النوح ، فاجتهد أن تكون أوانيك وكل أمتعتك مسكينة فقيرة ، مثل الاخوة الشحاذين ، اذا اقتنيت كتابا فلا تنمق فى تجليده ولا تزينه وبالاجمال ليكن جميع ما هو لك مما لا تتألم على فقدانه . ثيابك وحذاؤك وكل أوانيك لتكن هكذا حتى لو جاء قوم ليسرقوها ، لا يرضون بها ولا يعجبهم شيء منها .

+ **وقال أحد الآباء لراهب له مقتنيات** :

« لقد سمى الراهب متوحدا لأنه أصبح يعيش وحده . لا يمتلك شيئا ، فان كان له ملك يجار عليه ويظلم فيه ، أو يجور هو ويظلم . فليس هو اذن براهب ، لأن نواميس الملوك لا تسلم بأن يحاكم الرهبان فى مجالس أحكامهم ؛ لأنهم قد ماتوا عن العالم ، ولذلك فقد عدم كل عفو ذلك الراهب الذى يدخل نفسه فى مجالس الحكام لأجل شيء يظلم فيه أو يجار عليه » .

+ **وقال الشيخ** : « من لا يستطيع أن يبغض المقتنيات ، فلن يقدر أن يبغض نفسه حسب الوصية المسيحية » .

وسئلت القديسة المغبوطة **سفر نيكى** مرة ان كان عدم الاقتناء صلاحا كاملا : فأجابت بأن ذلك هو حد الصلاح لمن أمكنهم ذلك ؛ لأن الذين يصبرون على عدم الاقتناء يكون لهم حزن بالجسم ، ونياح بالروح ، وهدوء فى أنفسهم ، كمثل الثياب الجلد التى تداس بشدة وتقلب وتغسل فتنظف ، هكذا أيضا النفس المتشددة بالفقر ، فانها تتشدد وتنظف » .

+ **وكذلك قال شيخ** : « انه هوى شيطانى للراهب أن يحتفظ لديه بقوت قليل ، ذلك لأنه يدخر مالا حاجة به اليه ، أما الصديق فانه يلقى على الرب همه ، وبغير هم يفرق ، من أجل ذلك فيد الرب مفتوحة قدامه وهى ممتلئة ، فيأخذ ويعطى بسذاجة بغير فكر . من يحفظ شيئا زائدا لينيح به المحتاجين فهو حكيم بحق . من أجل هذا اذ تفرغ يده ، تجدها تمتلىء كل ساعة ، لأنه اذا أعطى ، فله أن يأخذ أيضا . من ينيح آخر فى ضيقته ، له هو أيضا من يهبه نياح الحياة » .

---

(١) وردت « ... مع أنه لا يساوى عند المسيح جبة » ولكن يبدو أن المعنى أنه سلك طريق الفقر امام الرب على أنه لا يساوى شيئا .

+ مرة سأل أخ **أنبا سرابيون قائلا** : « قل لى كلمة » فقال الشيخ : « وماذا تريد بسماع الكلمة وقد أخذت قوت الفقراء وتركته فى هذه الكوة . وذلك لأنه أبصرها مملوءة كتبا .

+ وكان **الأب تادرس الفرمى** يقتنى ثلاثة أناجيل ثمينة جـدا فذهب الى أبا مقاريوس وقال له : « عندى يا أبى ثلاثة كتب ، وأنا أنتفع منها ، والاخوة كذلك يستعيرونها وينتفعون منها . فأخبرنى الآن ماذا ينبغى أن أصنع ؟ [هل أستبقيها لمنفعتى ومنفعة الاخوة ، أم أبيعها وأفرق ثمنها على المساكين ؟] .

فأجاب الشيخ قائلا : « ان أعمال الرهبنة جميلة ، ولكن أعظمها جميعا هو الفقر الاختيارى » . ولما سمع الأب تادرس هذه الكلمات ، مضى وباع الكتب وأعطى ثمنها للفقراء .

+ **ورجل مدبر** ، تصدق بماله ، وأمسك بعضه لقلة ايمانه وأتى الى الأب أنطونيوس وسجد له قائلا : « علمنى كيف أخلص » . قال له الشيخ : « هل تريد أن تكون راهبا ؟ ان أردت أن تخلص فاصنع ما أقوله لك أولا : « امض الى القرية واشتر لحما وانزع ثيابك وعلقه فى رقبتك وتعال » . فأطاع الشيخ ، واشترى اللحم ، وخلع ثيابه ، وحمله على رقبته ، فلم يبق طير ولا كلب فى تلك القرية ، الا واجتمعوا عليه ، فنهشه الطير وجرح جسمه ، فلما بلغ القديس على هـذه الحال ، قال له : « مرحبا يا ابن الطاعة ، اعلم يا ابنى انى قلت لك أن تصنع هذا كى أعطيك مثالا ، فان كثيرين من الناس اذا سمعوا الوصايا لا يحفظونها ، وآخرون ينسونها لقلة الحس ، ولذلك أمرتك بهذا ليكون كلامى فيك ذا أثر لأجـل ألم الوجع ، فان أصحاب قلة الحس لا تنفع فيهم الموهبة شيئا فلهذا المعنى يا ابنى أسست فيك آثارا لوصيتى . فاذا قد تنقى حقلك من شوك الغفلة ، فلنبذر فيك الزرع المقدس .

أرأيت يا ابنى كيف نهشت الطيور والكلاب جسمك وجرحته ، كذلك تنهش الشاطين وتجرح أصحاب القنية ، فافهم الآن هذا الكلام فى عقلك وتفكر به كل أيام حياتك ، واياك يا ابنى أن تجعل لك اتكالا على المال ، بل اتكل على المسيح ، فاذهب الآن وفرق جميع ما أبقيت لك من المال ، حتى تكون يا حبيبى رهبانيتك صافية من الغش ، لأنه ضار بالراهب أن يبقى فى قلايته دينارا وشيطانا » ، وبعد أن دعمه بالكلام أخذ قليلا من الزيت وصلى عليه ودهنه ، وللوقت شفى كأنه لم تصبه جراح ولا ألم قط ، وذهب وهو مسرور يسبح الله .

٦ ــ الرقـــاد

+ **قال شيخ** : ان لم ينم الشاب وهو جالس ، مادامت له اسـتطاعة فى جسده ، فانه عاجز مقصر ، وكل شاب يرقد على ظهره ولو قليلا ، فانه يوقظ الأوجاع المهينة فى جسده ، وأى شاب يحب الراحة والنياح ، فانه لا يفلت من الخطية ، كذلك الشاب الكسلان لا يقتنى شيئا من الحسنات » .

٧ ــ نياح الجســد

+ **قال أنبا أغاثون** : « الزم التعب هاهنا ، ولا تكف عن البكاء » .

+ **وقال انبا يوسف** : « نحن معشر اخوة هذا الزمان نأكل ونتيح الجسد

من أجل هذا لا ننمو مثل آبائنا ، لأن آباءنا كانوا يبغضون جميع نياح الجسد ، ويحبون كل الضيقات من أجل الله ، ولهذا اقتربوا الى الله الحى » .

+ **وقال شيخ :** « ان الراهب الذى يعرف موضعا فيه منفعة لنفسه ، وكانت حوائج الجسد فى ذلك الموضع عسيرة ، ولهذا السبب يمتنع عن الذهاب الى ذلك الموضع ، فان ذلك الانسان ليس فيه ايمان بالله .

+ **وقال آخر :** « كما أن حمار المسكين لكونه لا يجد قوتا ليشبع به ، يصبح هزيلا ضعيفا فتنطفىء منه شهوة الطبيعة ، واذ ركبه صاحبه ، سار به ذليلا سهل الانقياد بسبب ضعفه . هكذا الراهب الذى يقمع جسده بنقص القوت ورداءة الملبس . فان الشهوة العالمية تنطفىء من جسده ، ونفسه تتضع بلا افتخار » .

+ **وقال القديس موسى الاسود :** « نسك النفس هو بغض التنعم ونسك الجسد هو العوز » .

(ب) حياة التجرد

+ **قال القديس ارسانيوس :** « ان الراهب غريب فى أرض غريبة . فاذا أراد أن يجد راحة ، فعليه أن لا يشغل نفسه بأى شىء فيها » .

+ **وقال انبا يعقوب :** « ان الغربة أفضل من اضافة الغرباء » .

+ **وقال القديس مقاريوس :** « كمثل انسان اذا دخل الحمام ان لم يخلع عنه ثيابه لا ينعم بالاستحمام . كذلك الانسان الذى أقدم على الرهبنة ولم يتعر أولا من كل اهتمام العالم وجميع شهواته وملذاته فلن يستطيع أن يصير راهبا ولن يبلغ حد الفضيلة ، ولن يمكنه كذلك أن يقف قبالة جميع سهام العدو التى هى شهوات النفس » .

+ **سأل سبعة من الاخوة انبا ارسانيوس يوما :**

« ما هو عمل الرهبان ؟ » فاجاب أنه حين جاء الى ذلك المكان ليسكن فيه سأل ذات السؤال لشيخين فقالا له : « أتثق بنا ؟ » فلما قال : « نعم » قالا له : « اذهب وكل ما رأيتنا نعمل اعمله انت أيضا » وسأله الاخوة : « وماذا كان عملهما أيها الأب ؟ » فقال الشيخ : « ان أحدهما اقتنى التواضع والآخر اقتنى الطاعة » فقالوا له : « وما عملك أنت ؟ » فرد عليهم : « فيما يتعلق بمشيئتى وعقلى انه لأمر عظيم أن يجرد الانسان نفسه من الارتباط بأى أمر » .

وهكذا انتفع الاخوة وانصرفوا فرحين ممجدين الله .

+ **سأل القديس مقاريوس الاسكندرى القديس ارسانيوس :**

هل حسن للانسان الا يكون له أى شىء يتمتع به بالكلية فى قلايته ؟ لأنى أعرف أخا كان عنده بعض أعشاب الحدائق فى قلايته ولكى يمنع نفسه من التمتع بها اقتلعها من جذورها ، فقال القديس ارسانيوس له : « هذا حسن ولكن على كل انسان أن يعمل ما يستطيع عمله واذا لم يكن لديه القوة ليثبت فى هذا فانه ربما يزرع غيرها فيما بعد ويتمتع بها » .

+ **وقال أنبا أغاثون عن أنبا بيمين :**

انه فى مرة صنع خمسين مكيالا من حبوب القمح الى خبز لحاجات المجمع ، ووضعها فى الشمس ولكن قبل أن تجف رأى فى المكان أمرا ضايقه ، فقال للاخوة الذين كانوا معه : « انهضوا وهيا بنا نمضى من ههنا » فحزنوا جدا ولما رأى انهم اغتموا قال لهم : « هل تضايقتم بسبب الخبز ؟ لقد شاهدت بالحقيقة رهبانا يهربون ويهجرون قلاليهم بالرغم من أنها مبيضة جيدا وكانت تحوى دواليب مملوءة من الكتب المقدسة ، وكتب الخدمة ، ولم يغلقوا حتى أبواب الدواليب بل رحلوا تاركين اياها مفتوحة » .

١ ـ الراهب والعالم

+ **سئل مار اسحق :** « ماهو العالم ؟ »

أجاب : « ان العالم هو تجربة العالم ، العالم هو أن نكمل ارادة الجسد ، العالم هو أن يفتخر الانسان بالأشياء التى تمضى ويتركها ، اذن ، فلنجاهد يا أخوتى حتى نلبس لباس الفضيلة ، لئلا نلقى خارجا ، لأن الرب لا يأخذ بالوجود » .

+ **وقال انبا افرام :** « لأى شىء رفضت العالم ان كنت تطلب نياح العالم ، للضيق دعاك الله الكلمة ، فكيف تطلب نياحا ؟ للعرى دعاك ، فكيف تتزين بالرداء ؟ .. للعطش دعاك فكيف تشرب خمرا ؟ » .

+ **وقال أحد الشيوخ :** « اذا كان الراهب حريصا مجاهدا ، فان الله يطلب منه ألا يرتبط بشىء من أمور هذه الدنيا ، لئلا يشغله ذلك عن ذكر ربه ، وعليه أن يطلب اليه بلجاجة وبكاء ليغفر الله خطاياه » .

+ **وقال شيخ :** « كل من ذاق حلاوة المسكنة ، فانه يستثقل ثوبه الذى يلبسه وكوز الماء الذى يشرب به ، لأن عقله قد اشتغل بالروحانيات ، فاذا ما ارتبط الراهب بالدنيا وما فيها ، وصنع هواه ، فان جميع تعبه يضيع سدى » .

+ **وقال أنبا أبللو :** « لتكن عندكم هذه علامة عظيمة للنجاح متى اقتنيتم عدم الشهوة لشىء ما من أمور العالم ، لأن هذا هو فاتحة جميع مواهب الله » .

+ **وقال ما سحق :** « كل انسان تدبيره ردىء ، حياة هذا العالم عنده شهية ويلى ذلك قليل المعرفة » .

+ **وقال شيخ :** « ينبغى ألا نرغب فى نياح هذا العالم لئلا يقال لنا : قد أخذت خيراتك فى حياتك » .

+ **وقال أيضا مار اسحق :** « من يهرب من سبح العالم بمعرفة يكتنز فى نفسه رجاء العالم العتيد .. والذى يفر من نياح الدنيا قد أدرك بعقله السعادة الأبدية » .

+ **وقال القديس مقاريوس :** « ان محبى المسيح الذين أرادوه قد تركوا نعيم الدنيا ولذاتها وصارت منزلة العالم عندهم كمنزلة العويد الصغير فلم يتألموا على فقد شىء منه » .

+ **حدث أن شيخا** مغبوطا أخذ عامودا صغيرا وخيطا صغيرا وقال : « من ذا الذى يغتم على فقد هذه الأشياء الحقيرة ويحقد بسببها ان كان عاقلا ، لعمرى، ان من استبصر فى قدر هذا العالم الزائل كله فلن يعتبره سوى اعتبـاره لهذه الأشياء لحقيرة ، ومع هذا أقول انه لن يضر الانسان أن يكون له اشفاق على شيء ويأسف على فقده فقط ، بل وعلى جسمه الذى هو اكرم من كل ما يمتلكه عنده ، لأننا قد أمرنا أن نتهاون بأنفسنا وأجسادنا ، فكم يجب علينا على أكثر لحالات أن نتهاون بما هو خارج عنا .

+ **قال مار افرام** : « ان أعظم الناس قدرا من لا يبالى بالدنيا ، فى يد من كانت ؟ » .

+ **وقال أيضا** : « ازهد فى الدنيا بحبك الله ، وازهد فيما بين أيدى الناس بحبك الناس » .

+ **وقال أحد القديسين** : « النفس تشتهى أن تخلص ، الا أنها مشـتبكة بالأشياء لباطلة ، وعند اشتغالها بالأمور الدنياوية ، يصعب عليها تعب الآخرة ، حتى أنها لا تقدر على أن تصلب على وجهها بغير طياشة ، فصلاة كهذه لست لها قوة فعالة ، ولكنها قد صارت عادة » .

+ **وقال شيخ** : « كما ان عينى الخنزير تنظران الى الأرض ولا يرفعهما ، كذلك كل من أحبت نفسه اللذات العالمية ، بصعوبة برفع عقله الى الله ، ويهتم بشيء مما يرضيه » .

+ **وقال انبا مقاريوس** : « اذا حسبت التحقير كالاكرام ، واللوم كالمديح والفقر كالثراء فانك لا تموت » .

+ **سأل أخ شيخا قائلا** : « لماذا اذا أنا مشيت فى البرية أكون مرتعبا خائفا ؟ فقل له الشيخ : « ذلك لأنك لا زلت حيا فى أمور الدنيا » .

+ **وقال مار اسحق** : كن ميتا بالحياة ، لا حيا بالموت » .

+ **وقال أيضا** : « ابتعد عن العالم ، وحينئذ تحس بنتانته ، لأنك أن لم تبتعد عنه ، لن تحس برائحته الكريهة » .

+ **سئل مرة** : « ماهو العالم ؟ وكيف نعرفه ؟ وما هو مقدار معزته لمحبيه ؟ .

+ **فأجاب** : « ان العالم هو تلك الزانية التى بشهوة حسنها تجذب الناظرين اليها الى حبها . والمقتنص بعشقه والمتشبث به ، لا يقدر أن يتخلص منه حتى تفنى حياته ، فاذا ما عراه من كل شيء وأخرجه من منزله يوم موته ، حينئذ يعرف الانسان فى ذلك اليوم أنه خداع وسراب مضل ، حتى اذا ما جد الانسان فى الخروج من هذا العالم المظلم فأنه لن يستطيع الخلاص من حبائله ما دام هو منغمسـا فيه » .

٢ ـ الراهب والقنية

« متاع الدنيا ـ الخسران الجسدانى ـ الأمور البشرية »

+ **قال شيخ** : « ان الله لا يشاء أن يكون الراهب الحريص المجاهد بالحقيقة

مرتبطا البتة بشيء من متاع هذه الدنيا ، حتى ولا ابرة صغيرة ، لئلا تفصل فكره عن ذكر ربنا يسوع المسيح ، وتشغله عن الالجاج (المثابرة) فى التوبة عن خطاياه ، كل انسان قد ذاق حلاوة المسكنة ، يستثقل الثوب الذى يلبسه ، والكوز الذى يشرب فيه الماء ، لأن عقله قد اشتغل بأشياء أخرى روحانية ، الذى لم يبغض بعد متاع الدنيا ، كيف يقدر أن يبغض نفسه ، كما قال السيد ؟ » .

+ **وقال آخر** : « علامة طرح العالم هى عدم اضطراب الانسان بشيء من أموره ، وقد يوجد انسان يتهاون بمال كثير ، ولكن بسبب ابرة ولمحبته لها ، ينزعج بما لا يزعجه ضياع جملة أموال كثيرة ، وتقوم له تلك الابرة مقام وثن فيتعبد لها بأكثر مما يتعبد للاسكيم الكبير ، فمن هذه صورته ، ليس عبدا لله ، وأنعم بما قاله أحد الفلاسفة : « اذا كان عدد مواليك كعدد أسقام نفسك ، فكفى بذلك شقاء لها وبؤسا » ، وقد قال بطرس الرسول : « فما انقهر له الانسان فله يكون عبدا » وقال أيضا : « ان النفس تريد الخلاص لكن لمحبتها الأشياء الباطلة وانشغالها بها ، تهرب من الأتعاب ، أما الوصايا الحقيقية فانها تحفظها متثاقلة بخلاف السيئات التى هى رديئة وخبيثة » .

+ **وقال أيضا** : « ان قائلا قال لى : يامعلم ، ان الوصايا التى أمرنا بها كثير ، وربما يظلم عقلى ، فلا أدرى أيها أحفظ ؟. فقلت له : لا يزعجك هذا ، لكن أعلم أنك متى كان لك عدم تأسف على الأشياء ، فقد سهل عليك احكام الفضيلة ، فلا تعتن بالأمور البشرية ، لتعتق من العالم » .

+ **قال مار افرام** : « ان تهاونت بالأشياء البالية ، تنال الأشياء التى لاتبلى، ليكن عقلنا الى فوق ، لأننا بعد مدة يسيرة نتصرف من ههنا ، فالأشياء التى جمعناها ، لمن تكون ؟ » .

+ **قال أنبا أوعريس** : « الذى ليست له محبة للقنية له حياة بلا اهتمام ، أما المحب القنية ، فله منغص فى قلبه ، الذى هو الاهتمام » .

+ **سأل أخ شيخا قائلا** : « قل لى شيئا أحفظه ؟ » فقال له : « احفظ التعبير والسب ، واصبر على التحقير والضعف الجسدانى » .

+ **قال القديس أبيفانيوس عند خروج نفسه :**

« لا تحبوا متاع الدنيا فتستريحوا وتفرحوا فى الآخرة ، تحفظوا من لذات العالم ، فلا يقوم عليكم وجع الشيطان » .

+ **وقال أحد الشيوخ لتلاميذه عند خروج نفسه :**

« لا تشتهوا متا عالدنيا ، فتزدادوا متاعا كثيرا » .

+ **وقال أنبا أغاثون :**

« ان الانسان الذى يأسف على فقدان شء منه فهو ليس بكامل بعد ، فان كنا قد أمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا فكم بالحرى المقتنيات » .

« ان الشياطين تحترق ، وترتاع عندما ترى انسانا قد شتم أو أهين أو خسر شيئا ولم يغتم بل احتمل بصبر وجلد ، أو اذا رأوه غير متلفت الى الأشياء ،

ولا آسف عليها اذا فقدت . لانها تعتقد وتعلم بأنت يمشى على الأرض بغير هوى ارضى وأنه قد سلك فى طريق الله » .

+ **قيل أن أنبا مقاريوس الاسكندرى**(١) كان متغيبا عن قلايته فدخلها لص . ولما عاد الأب ، وجد اللص يضع كل محتوياتها على جمل ، فدخل الأب القلاية وحمل أشياء أخرى وسلمها للص . ولما أراد اللص أن يقيم الجمل رفض الحيوان أن يتحرك . وهنا دخل أبا مقاريوس القلاية وحمل قفة كانت متروكة ووضعها على الجمل وقال للص ان الحيوان يرفض أن يقوم حتى يحمل هذه أيضا . وصاح القديس بالجمل ، فنهض ، ولكنه بعد أن سار مسافة قصيرة ، برك ورفض أن ينهض حتى أنزل ما عليه .

+ **أتى شيخ الى قلايته** ، فوجد لصا يسرقها ، فقال له : « أسرع قبل أن يأتى الاخوة فيمنعونا من تكميل الوصية » .

+ **سأل أخ أنبا تادرس قائلا** : « انى أريد أن أتمم الوصايا » ، فقال له الشيخ : « حدث نا كان البابا ثاوفيلس البطريرك فى البرية ، فقال : انى أريد أن أكمل فكرى مع الله . فاخذ دقيقا وصنعه خبزا ، فأتاه مساكين يطلبون شيئا ، فأعطاهم الخبز ، ثم طلب منه آخرون . فأعطاهم الزنابيل ، وطلب منه غيرهم . فأعطاهم الثوب الذى كان يلبسه . ودخل القلاية ملفوفا فى وزرة (خرقة) ومع كل ذلك ، فانه كان يلوم ذاته قائلا : « انى ما أتممت وصية الله » » .

+ **قال أنبا زوسيما :**

« انى بينما كنت فى الدير بمدينة صور ، جاءنا رجل شيخ فاضل ، وبينما كنا نقرأ فصولا مما قاله الشيوخ . لأن الطوباوى كان يحب قراءتها دائما ، ولذلك استثمر منها الفضيلة ، واتفق أننا وصلنا فى قراءتنا الى خبر ذلك الشيخ ، الذى طرّق بابه اللصوص وقالوا له : « انا جئنا لنأخذ جميع ما فى قلايتك » فقال لهم : « خذوا ما شئتم أيها الأبناء » فلما أخذوا جميع ما وجدوه ، مضوا بعد أن نسوا مخلاة ، فأخذها الشيخ وجرى وراءهم صارخا قائلا : « أيها البنون ، خذوا منى ما قد نسيتموه فى القلاية » فتعجبوا من سذاجة الشيخ ، وأعادوا اليه سائر ما أخذوه ، وندموا قائلين بعضهم لبعض : « بالحقيقة ان هذا الانسان رجل الله » ، ففى قراءتنا هذا الفصل . قال لى الشيخ : « هل علمت يا أبانا ان هذا الفصل قد نفعنى منفعة كبيرة ؟ » فقلت له : « وكيف نفعك يا أيها الأب ؟ » فقال لى : « لما كنت فى نواحى الاردن . قرأته ، وعجبت من الشيخ ، وقلت فى نفسى : يارب أهلنى لأن أسلك فى سبيله ، يامن أهلتنى لأن ألبس زيه . ولما كان هذا بشوق منى ، فقد حدث بعد يومين ، أن جاءنى لصوص ، فلما قرعوا الباب ، وعلمت بأنهم لصوص ، قلت فى نفسى : المجد للرب ، ها قد جاءنى الوقت لأظهر ثمرة شوقى . ففتحت لهم واستقبلتهم ببشاشة وأوقدت السراج ، وبدأت أريهم ما فى القلاية قائلا لهم : لا تقلقوا ثقتى بالله ، انى سوف لا أخفى عنكم شيئا . فقالوا لى : ألك ذهب ؟ قلت : نعم ، لدى ٣ دنانير ، وفتحت القفة قدامهم فأخذوا وانصرفوا بسلام » .

---

(١) وردت هذه القصة فى بلاديوس منسوبة لأنبا مقاريوس الكبير .

أما أنا فقد تباحثت مع الشيخ وقلت له : « ألم يعودوا كأولئك الذين طرقوا باب ذلك الشيخ ؟ » فقال لى بسرعة : « لا يغفل الله عن ذلك . لأنى ولا هـذا اشتهيت . أعنى رجوعهم » وقال : « ها شوق الشيخ ، فماذا منحه وماذا أعطاه ؟ انه ليس فقط لم يحزن ، ولكنه يفرح بالحرى ، كمن استحق هذه الموهبة ، وقال مرات كثيرة : « اننا فى مسيس الحاجة الى استيقاظ كثير ، وعقل غزير ، نقابل به فنون الشيطان ، لأنه يسبب لنا الانزعاج من لا شىء ، ومرات يسبب حجة واجبة ، كمن قد حرد فى موضعه ، فهذا الأمر غريب جدا ،وأجابنى عن المشتاقين الى سلوك طريق الله ، حسبما يقول القديس مقاريوس : « الحرد غريب عن طبقة الرهبان ، كما أن الحزن أيضا غريب عن طريقة الرهبان »

+ **وقال** : « اننى فى وقت ما ، استحسنت كتابا عند أحد النساك المهرة (فى النسخ) ، وبعد أن فرغ من نسخه ، أرسل يقول لى : « ها قد فرغت من نسخه ، متى تشاء أن أرسله لتأخذه ؟ » فلما سمع أحد الاخوة ذلك ، مضى باسمى الى الناسخ ، ودفع له دنانير عن نسخه وأخذه ، ولم أكن أنا عارفا بذلك ، فأرسلت أخا من اخوتى ومعه دنانير ، وكتبت الى الناسخ ليسلمه الكتاب ، فلما تحقق الناسخ أنه قد لعب به وخدعه ، ذلك الذى سبق فأخذه ، انزعج لذلك ، وقال : « ها أنا ماض اليه لأوبخه أولا ، لأنه غرر بى ، وأخذ ما ليس له » .

فلما سمعت بذلك أرسلت اليه أقول له : « أنت تعلم يا أخى أننا نقتنى الكتب لكى نتعلم المسكنة ، والمحبة ، والوداعة ، فاذا كانت فاتحة اقتناء الكتب بحرد وخصومة ، فلا أريد اقتناءه ، ولن أحارب أحدا ، أو أخاصمه بسبب ذلك، لأن الخصومة والمنازعة لا تليق بعبيد الله ، وها أنا قد طرحت عنى أمر هـذا الكتاب ، فلا تقلق الأخ بسببه بالكلية » .

ولما تذكرت حال الشيخ الذى كان الأخ جاره يسرق ما يجده له ، وأنه علم ذلك ولم يوبخه ، بل صار يعمل أكثر مما سبق وعمل قائلا : « ربما يكون الأخ محتاجا » ، تعجبت من تحنن القديسين ، وتذكرت الشيخ الذى سرقت آنيته ، ولما وجدها فى قلاية الأخ ، احتشم واختفى الى أن خباها الأخ وسترها . ولما ضبط الأخ من الوالى ، مضى الشيخ ولاطف الوالى ، حتى أخرجه من الحبس .

+ **وقيل عن هذا الشيخ أيضا** : انه مضى وقتا ما الى السوق ليبتاع له ثوبا ، فدفع ثمنه دينارا واحدا ، وأخه ووضعه تحته ، الى أن يتمم عدد الدراهم الباقية من ثمنه ، ثم بعد السداد يلبسه ، فعبر به من أراد أخذ الثوب ، وأحس الشيخ بذلك ، فتحنن على آخذه ، وتنحى فى جلسته قليلا عن الثوب الذى تحته ، حتى أخذ الثوب ومضى دون أن يوبخه الشيخ على ذلك .

+ **وقال الطوباوى** : « كم كانت تضحيته بالأوعية التى تضيع له بالثوب ولكن مروءته كانت عظيمة ، لأنه أظهر بما فعله ، انها فى حال كونها له ، كانت كأنها ليست له ، وكذلك لما اخذت منه ، بقى غير مغموم عليها ، ولم ينزعج لضياعها . لذلك أقول : « ليس امتلاكنا الشىء مؤذيا ، ولكن ميلنا وانصبابنا الى امتلاكه ، هو المؤذى . . فمثل هذا لو كان له كل العالم لكان حاله كحال من لم يمتلكه ، لأنه أظهر بتصرفه ، انه معتوق من كل الأشياء » .

+ **وقال :** « ان الشياطين متى أبصروا انسانا غير مائل ، ولا منصب الى الأمور ، فلا يحزن لفقدها ، حينئذ يعلمون أن هذا الانسان يمشى على الأرض وليس له هو أرضى ، وذلك يرجع الى الميول والحركات الخاصة بالنيات والارادات لأنه يمكن لارادة وحركة صادرة عن نية واحدة اذا كانت شديدة الحرارة. أن تقدم لله ساعة واحدة ، ما لا تقدمه حركة نية أخرى فى خمسين سنة » .

+ **وقيل أيضا :** ان انسانا تاجرا ، خبيرا بالفصوص والخرز ، عارفابجوهر اللؤلؤ ، ركب فى سفينة مع غلمانه ، وكانت معه جواهر وأشياء أخرى غالية وثمينة ، وكان فى السفينة عدة نواتية .

وكان بين النواتية صبى حسن ، هادىء الحركة ، هذا شكا لذلك التاجر بأنه يبغض صناعة البحر ، كما يبغض معاشرة رفقته ، لما هم عليه من العادات والطباع الذميمة .

ثم قال له التاجر : « لا يضيق عليك الأمر ، فاذا سهلت طريقنا بمعونة الرب ، وصعدنا من هذه السفينة ، أخذتك معى ، واعتنيت بمصالحك » فطاب قلب الصبى بالكلام .

وحدث فى بعض الأيام ان تشاور النواتية فيما بينهم على أن يقذفوا بالتاجر وبغلمانه الى البحر ، من أجل ما معه من المال ، فلما أعلموا ذلك الصبى الذى كان صديقا لذلك التاجر ، أسرع واخبره بما تشاوروا عليه ، فقال له التاجر : « هل أنت متحقق من ذلك ؟ » قال له : « نعم » .

حينئذ قام الجواهرى بسرعة ، واستدعى غلمانه وقال لهم : كل ما آمركم به أفعلوه بسرعة ، لأنه ان تهاونتم فسوف أموت أنا وسوف تموتون أنتم أيضا . ثم بسط ازارا فى وسط المركب ، وقال لهم : هاتوا ربوات الجواهر كلها . فقدموها اليه ، ففتحها وافرغها قدام كل من فى المركب ، وبدأ يقول : « هذا عدوى ، وأنا أشفق عليه ، هذا قاتلى ، وأنا أحبه هذا مبعدى من الحياتين ، فما انتفاعى به ، احملوا معى » فحملوه معه ، وبسرعة طرح جميع الجواهر فى البحر ، فلما رأى الملاحون ذلك تحيروا فى أمرهم ، وانحلت مشورتهم ، ثم اصبح يتصدق منهم الخبز ، فالملاحون لما أبصروه على تلك الحال رحموه ، وبدأ هو يقول : « أشكرك يا رب ، لأنك انهضتنى لخلاص نفسى وجسدى ، اليوم زالت عنى قسوة القلب ، وربحت تلك النفوس الهالكة ، أولئك الذين بعمى قلوبهم تشاوروا ، وبسببى طلبوا أن يسكنوا الجحيم المخلد » .

٣ ــ الراهب والصدقة

+ **قال الأب زينون :**

« ان الراهب الذى يأخذ صدقة ، سوف يعطى حسابا عنها » .

+ **وقال شيخ :**

« **المرائى** بالمسكنة ويخدع بها الرحومين ، ليأخذ منهم شيئا فى خفية ، هو خاطف ظالم ، لأنه أخذ بالرياء بغير وجه حق ، وما كان وقفا على المساكين أخذه هو » .

+ **قال أنبا افراطس :**

« ان شاء الله أن أحيا فهو يعلم كيف يسوس أمرى ، وان لم يشأ فمالى وللحياة » . وكان يأبى أن يأخذ من أحد شيئا ، واذ كان مقعدا ملقى على فراشه كان يقول : « ان أخذت من أحد شيئا ، فليس لى ما أكافئه به » .

+ **قيل :** حدث يوما أن جاء الى الاسقيط انسان غنى عاد من غربة وأعطى لكل راهب دينارا صدقة ، كما أرسل بركة لبعض الملازمين قلاليهم ، فرأى احدهم فى تلك الليلة حقلا مملوء أشواكا وانسانا يقول له : « اخرج ونظف حقل من أعطاك الأجرة » فلما قام باكرا ، أرسل الدينار لصاحبه قائلا له : « خذ دينارك ، لأنه ليست لى قوة على اقتلاع أشواك غيرى . ياليتنى أستطيع اقتلاع أشواك حقلى فحسب » .

٤ ـ الراهب وحياة البساطة

+ **قال شيخ :**

انى لما كنت فى البرية الداخلية ، كان بالقرب منى شاب راهب مهتم بخلاص نفسه ، فرأيته مصليا مسالما للوحوش ، يأنس اليها كما تأنس هى اليه ، وبعد الصلاة كانت هناك ضبعة ترضع صغارها ، فتقدم ذلك الراهب الشاب وطرح نفسه وابتدأ يرتضع مع صغارها .

ومرة أخرى رأيته مصليا وهو يسأل الله أن يؤهله ويعطيه نعمة أن يصالح النار ولا تضره . ثم أضرم نارا عظيمة وسجد فى وسطها على ركبتيه ، وكان يصلى لله فيها(١) .

٢ - الطاعة

+ **قال الأب ايرايس :**

« ان الطاعة فخر الراهب ، فمن اقتناها يسمع الله صوته ، ويقف أمام المصلوب رب المجد بدالة ، لأن الهنا من أجل طاعته لأبيه صلب عنا » .

+ **وقالت القديسة سفرنيكى :**

« اذا كنا فى الكنونيون فاننا نختار الطاعة على النسك لأن ذلك يعلم التعاظم ، وتلك تعلم التواضع ، فيجب علينا ألا نطلب ما يصلح شأننا ولا نتعبد لمشيئاتنا الخاصة ، بل علينا أن نطيع ما يأمرنا به ذاك الذى بالأمانة نستودعه سرا »

+ **وقال القديس برصنوفيوس :**

« الذين يريدون أن يسلكوا طريقا ما ، ان لم يسيروا مع من يريهم الطريق من بدايتها الى نهايتها ، لن يستطيعوا الوصول الى المدينة ، فان لم يترك التلميذ

(١) ٢٧٩ ميامر .

رغباته خلفه ، ويخضع فى كل شىء ويتضع ، لن يبلغ مدينة السلام . أما الذى لا يفعل رغباته ولا يلاجج بكلمة فانه يستريح » .

+ **وقال القديس أنطونيوس :**

« الطاعة والمسكنة يخضعان الوحوش لنا » .

(أ) طاعة الله

+ **قال القديس باسيليوس :**

« درب جسدك على طاعة نفسك ، ودرب نفسك على طاعة الله » .

+ **وقال أنبا أنطونيوس :**

« ان حدثك أخ بأفكاره فاحذر أن تظهرها لأحد ، بل صل عنه وعنك كى تخلصا معا . ان أمرت بشىء يوافق مشيئة الله فاحفظه وان أمرت بما يخالف الوصايا فقل ان الطاعة لله أولى من الطاعة للناس . واذكر قول الرب : ان خرافى تعرف صوتى وتتبعنى وما تتبع الغريب » .

+ **وقال أخ لشيخ :** « لست قادرا على اتمام الطاعة الكاملة » ، فقال له : « اعمل بقدر قوتك ، وأنا أؤمن أن الله يحسبك مع من يكمل الطاعة ، وقد قال : « لا تختنق اذا سقطت ، بل انهض وتب » ، فقد قال سليمان الحكيم : ان الصديق اذا سقط سبع مرات فى اليوم فهو يقوم » .

(ب) طاعة المرشد الروحى

+ **قال راهب :**

« ان الذى يجلس فى طاعة أب روحانى لهو أكثر جراة وأقل خطرا من ذاك الذى يجلس منفردا فى الوحدة والسكون » .

+ **قال القديس انطونيوس :**

« لا تكن قليل السمع لئلا تكون وعاء لجميع الشرور فضع فى قلبك أن تسمع لأبيك فتحل بركة الله عليك » .

+ **وقال القديس باخوميوس :**

« اسمع يا ولدى وكن أديبا واقبل التعليم . أحب الذى يؤديك بخوف الله كن مطيعا مثل اسحق الذى يسمع لأبيه ويطيعه كخروف ساذج القلب » .

+ أخبر أب أنه أبصر أربع مراتب مرتفعة فى السماء :

الأولى : مريض صابر شاكر لله .

الثانية : صحيح يضيف الغرباء وينيح الضعفاء .

الثالثة : منفرد فى البرية مجتهد .

القتال الواقع عليه ، ذهب الى أحد الشيوخ ،وكشف له أفكاره ، وكان الشيخ عادما، فضجر منه وقال : « أيها الشقى اذ قد تدنست حواسك بهذه الأفكار فعلى أى شىء تتكل ؟ » فلما سمع الأخ قوله ، حزن جدا ويئس من خلاصه . وترك قلايته ، ومضى قاصدا العالم ، ولكن حدث بتدبير من الله أن التقى به شيخ آخر ، فلما رآه عابسا مضطربا سأله عن حاله قائلا : « ماذا بك ياولدى ؟ » فقال له الأخ : « يا أبى انى تأذيت بأفكار الزنى ، فمضيت الى الشيخ فلان ، وكشفت له أمرى : فبحسب جوابه ليس لى رجاء فى الخلاص » .

فلما سمع الشيخ قوله ، أخذ يسكن من روعه ويشجعه وابتدأ يعيد الى نفسه الرجاء فى التوبة . قائلا : « لا يغمك هذا الكلام . ولا تيأس نفسك من الخلاص ، فها أنا بالرغم مما بلغته من هذا السن وهذه الشيبة ، كثيرا ما أتأذى بهذه الأفكار ، فلا تحزن من هذا الاشتغال الذى لا يبلغ جهادنا فيه مقدار ما يأتينا من رحمة الله ومعونته ، لكن هب لى يومك هذا وارجع الى قلايتك » ، فأطاع الأخ كلام الشيخ ورجع الى قلايته ، أما الشيخ الذى رده الى قلايته ، فأتى الى قلاية ذلك الشيخ الذى قاده الى اليأس ووقف خارجها وسأل الله بدموع كثيرة قائلا :

« أنا أطلب اليك يا ربى والهى أن تصرف هذا القتال عن هذا الأخ ، وتسلطه على هذا الشيخ الذى قاده الى اليأس ، وذلك ليجرب فى شيخوخته ويتعلم فى كبر سنه ما لم يتعلمه فى طول زمانه ، ليشعر بأوجاع المجاهدين المقاتلين فيتوجع لوجعهم ، وبذلك يحصل على منفعة نفسه » .

فلما أتم الشيخ صلاته ، نظر فاذا بجيش واقف قرب قلاية الشيخ وهو يصوب نحوه سهاما ويجرحه ، واذا بالشيخ يقوم لساعته سكرانا ، وخرج من قلايته ، واندفع يجول من هنا الى هناك ، ولم يحتمل الوقوف على قدميه ، ولا استطاع العودة الى قلايته ، فسلك الطريق التى سلكها الشاب الذى قطع منه رجاء التوبة مريدا أن يعود الى العالم ، فلما علم الشيخ المختبر بما عزم عليه الشيخ الآخر استقبله وقال له :

« الى أين انت ذاهب أيها الأب ، وما سبب هذا الاضطراب الذى اضطرك للخروج من قلايتك ؟ » ، أما هو فتوهم أن الشيخ قد عرف بحاله ، ومن الخجل لم يرد عليه جوابا ، فقال له ذاك : « ارجع الى قلايتك ؛ ومن الآن كن عارفا لضعفك ، واعلم بأنك الى هذه الغاية لم تجرب بعد ، أما لأن الشيطان كان غافلا عنك ، أو لاستهانته بك ، لم يتجرد لقتالك ، ولذلك نجوت ، وها قد ظهر الآن انك غير أهل لأن تعد من المجاهدين ، لأنك لم تقدر أن تصارع يوما واحدا فما أصابك اليوم كان نتيجة لتصرفك مع ذلك الشاب الذى أتاك ، وقد أذاه عدونا كلنا ، فبدلا من أن تعينه وتشجعه ، ألقيته فى اليأس ، ولم تفكر فيما قاله الكتاب : « خلصوا المسوقين الى الموت ، شجعوا صغيرى الأنفس » .

ولم تذكر انه مكتوب عن سيدك : « قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفىء » ، فمن اليوم واظب على الصلاة والدعاء ، ليصرف الله عنك هذه الضربة التى أصابتك ، لأنه قال : « انا أضرب وانا اشفى . وانا أميت ، وانا أحيى »،

وهو الذى يحدر الى الجحيم ويصعد . ولما قال القديس هذا ، صلى الى الله فانصرف عن ذلك الشيخ ما كان قد نزل به من القتال ، ووعظه قائلا : « يجب أن تسأل الله فى كل وقت أن يعطيك لسان أدب لتعرف ماذا ينبغى أن تقوله فى وقته» .

« من بعد دخولك فى طاعة أبيك
لا تفتشه ولا تدينه ولا تستبدله
بل ليكن لك فيه أمانة » الدرجى

+ قال أخ :

« قلت لتلميذ أنبا بفنوتيوس تلميذ الأب مقاريوس الكبير : « قل لى يا أبى كلمة أحياها « فقال لى : « احفظ القناة التى تجرى الى مزرعتك » ، فقلت له : « كيف أحفظها ؟ » قال : « اذا لم تسكن مع فلاح فمن أين لك أن تعرف ما تشتمل عليه الفلاحة من حرث وبذر وحفظ وسقى وحصاد وغيره ؟ » .

قلت أيضا : « وما معنى هذا ؟ » قال : « اذا لم تسكن مع شيخ مجرب كى يعلمك الرهبنة ، فمن أين تتعلمها ؟ فلو انتقلت من مكان الى مكان ، أو انفردت وحدك ، أو صرت أبا قبل أن تستأهل لذلك من قبل الله ، فانك تقيم كل زمانك وأنت لا تعرف كيف تحصد ثمرة الفضيلة ، بل تضيع الزرع الذى هو تعليم طريق الله ، فيجب عليك أن تسكن مع شيخ حتى تنال منه البركة الأخيرة ، مثل اليشع الذى ثبت مع ايليا حتى رفع الى السماء ، فلما باركه تضاعفت عليه روحه .

ومثل تلميذى الأنبا أنطونيوس اللذين سكنا مع الشيخ حتى طرح الجسد ، وباركهما البركة الأخيرة فحل عليهما روح الله وصارا راعيين صالحين .

ومثل يوحنا الذى سكن مع « أنبا بموا » أبيه حتى فارق جسده ، فسلمه للشيوخ قائلا : « هذا ملاك وليس بانسان » .

وكمثل يوحنا تلميذ « أنبا بلا » الذى أطاع أباه فأحضر الضبعة مربوطة .

ومثل تلميذ آخر لشيخ كان يمشى مع متوحد حتى وصلا الى شاطىء نهر فيه تماسيح ، فعبر التلميذ المطيع بينها ، وما استطاع المتوحد العبور ، حتى أن الشيوخ فى ذلك الوقت قالوا : « ان التلميذ بطاعته صار أعلى من المتوحد » .

ومثل تلميذ آخر كان طائعا لمقاريوس ، هذا كان قد أرسله أبوه الى مصر فلما وقع فى تجربة ، صرخ بصوت عظيم قائلا : « يا اله أبى خلصنى » ، فمن ساعته وجد نفسه يمشى فى طريق الاسقيط .

وقد كتب : « ابذر وقت الصباح، ولا تبطل زرعك الى وقت المساء » ومعناه : « الصلاح الذى بدأت به داوم عليه الى وقت وفاتك » .

وانظر الى الذين تركوا آباءهم ماذا أصابهم ، فعيسو لما ترك والده واختلط بالأمم المرذولة رذله الله ، وجيحزى لما لم يطع اليشع أصابه البرص ، والتلاميذ الذين رجعوا الى خلف وتركوا صحبة السيد أهلكوا ذواتهم ، ويوحنا تلميذ الأب مقاريوس لما لم يطع أباه تجذم .

دخول هذه المملكة والجلوس على كراسيهم ، فالشياطين ازاء ذلك ، يقاتلون بالأكثر . فيجب عليك يا بنى أن تطيع وتتضع للآباء الروحانيين ، لئلا تسقط مثلهم (الشياطين) ، فانهم بالعظمة والمعصية لأبى الأرواح ، سقطوا وهلكوا » .

قلت له : « يا أبى لقد سمعت عن قوم أنهم يصومون يومين يومين وأربعة أربعة ، وستة ستة ، وتملأنى الغيرة فأود لو أصوم مثلهم » . فقال لى : « الذى يصنع هكذا بغير مشورة ، فان الشياطين يرفعونه بالأكثر ، وهكذا يخفضونه الى أسفل سريعا ، فالذى يقوم بما يفوق قدرته يقتل جسده ، وحينئذ ينكسر كالقوس ، اذا زاد توترها أكثر من حدها » .

قلت : « وماذا أصنع ان شتمنى أخ ؟ » فقال : « ان المشتوم اذا احتمل ، غفرت له الخطية التى شتم بها وصارت على الشاتم ، مثل أن يقال « يا سارق ، يا كذاب .. » ، فقد جرى ذلك مجرى الاعتراف ، فالمشتوم لما أظهرت خطيته وسكت واحتمل فقد اعتبر كأنه أقر بها ودين عليها ، أما الذى شتمه ، فقد تحمل وزرها لكونه دان أخاه بذكرها . مع انه قد أمر بأن يظهر خطايا نفسه ، ولكنه بالعكس أظهر خطايا غيره ، وقد قيل : « انه من الجهالة أن يهتم الانسان بمرض غيره ، ويترك الاهتمام بمرض نفسه ، أو يترك ميته ويمضى ليبكى على ميت غيره ، كما أنه من أعظم الجهالات أن يغفل انسان عن خطيته ، ويذكر خطية أخيه » .

+ سأل أخ شيخا :

« يا أبى ، ان لى ٢٥ سنة أخدم فيها شيخا ، ولكنه قد أثقل على الآن ، لذلك فانى أريد أن أتركه » . فقال له الشيخ : « هوذا قد صار لك ٢٥ سنة تحت شجرة الحياة ، وأنت تأكل من ثمرتها ، وتريد الآن أن تأكل من الزوان ، وتترك خدمة الشيخ ، لأن شجرة الحياة التى بها تعيش هى كلمة الله التى تسمعها من أبيك ، والزوان هو أفكار ابليس ، تلك التى اذا قبلتها ، تجعلك غريبا من شجرة الحياة » .

اطع مرشدك بلا تردد وبلا فحص

+ الطاعة بلا تردد :

قيل عن **القديس مرقس** تلميذ **الأب سلوانس** انه كانت له طاعة عظيمة ، كما كان كاتبا . وكان الشيخ يحبه كثيرا من أجل طاعته . واذا كان له أحد عشر تلميذا آخرون ، فهؤلاء كانوا يحزنون بسبب حبه له أكثر منهم ، فلما سمع الشيوخ بذلك جاءوا اليه ولاموه على ذلك . فما كان منه الا ان أخذهم وخرج وقرع على كل قلاية قائلا : « أيها الأخ هلم الى فانى محتاج اليك » فلم يتبعه ولا واحد منهم فورا ، وأخيرا جاء الى قلاية مرقس وقرع الباب قائلا : « يا مرقس » فلما سمع صوت الشيخ وثب فى الحال وخرج خارجا ، فأرسله فى خدمة . فقال للمشايخ : « أيها الآباء ، أين باقى الاخوة ؟ » ثم دخل قلاية مرقس مفتشا فوجده كان يكتب وقت ندائه عليه ، وقد بدأ بكتابة الأعداد الكبرى التى فيها (ω) ، فعند سماعه صوت الشيخ لم يرسل القلم ليتمها فتركها (ω) فقط فلما رأوا ذلك هكذا قالوا :

« بالصواب تحب هذا أيها الأب ، ونحن نحبه ، والله يحبه » .

وحدث فى بعض الأوقات ان كان الأب سلوانس يمشى مع مشايخ فى الاسقيط ومرقس معه ، فأبصر الشيخ خنزيرا بريا فقال لمرقس : « أترى يا ولدى هذا الوحش الصغير ؟ » قال : نعم يا معلم . قال الشيخ : « أنظر كيف أن قرونه مستوية حسنة » قال له : نعم يا معلم . فتعجب الشيوخ من جوابه وانتفعوا من عدم مراجعته لمعلمه .

حدث مرة أن القديس ارسانيوس أوصى الكسندروس قائلا : « اذا انتهيت من عمل يديك هلم الى لنفطر ، ولكن اذا حضر غرباء فكل معهم ولا تحضر الى » فبدأ الكسندر فى عمله متأخرا ولما كان وقت الأكل لم يزل أمامه بعض الخوص ليعمل فيه ، ولكن لحفظه وصية الشيخ صبر ليتم شقه ، ولما أبطأ ظن القديس ارسانيوس انه تأخر بسبب زيارة بعض الأخوة الغرباء له ، وبعد ان أتم أبا الكسندر عمله حضر الى الشيخ ، فقال له : « هل حضر عندك غرباء ؟ .. أجابه الكسندر : لا يا أبتاه . فقال له الشيخ : « فلم أبطأت ؟ » أجابه : « لأنك قلت لى اذا أكملت شق الخوص تعال الى فحفظا لقولك وبعدما أتممت عملى ، أتيت » فتعجب الشيخ من شدة طاعته وقال له : « هلم أسرع وقدم خدمة التسبيح والصلاة واشرب بعض الماء لأنك ما لم تفعل هذا عاجلا يحدث لجسدك انحلال » .

المثابرة :

وقع أخ فى بلية ، ومن الحزن أتلف عمل رهبانيته واذ اراد أن يبدأ بالعمل من الرأس ، كان يستثقل ذلك ويقول : « متى أبلغ الى ما كنت فيه ؟ » وكان يضجر ، وتصغر نفسه . فلا يقدر أن يبدأ بعمل الرهبنة مرة أخرى ، وأخيرا ذهب الى أحد الشيوخ وقص عليه أمره ، فلما رأى الشيخ حزنه ، ضرب مثلا قائلا له : « كان انسان له بقيع ، فمن توانيه امتلأ ذلك البقيع شوكا ، فلما انتبه بعد ذلك ، وأراد أن ينقى ذلك البقيع من الشوك قال لابنه : « يا بنى اذهب الى البقيع ونقه واقلع شوكه » ، فلما ذهب ابنه وأبصر كثرة الشوك سئم ومل ، ونام ، وبعد أيام كثيرة ، أتاه أبوه لينظر ماذا عمل الغلام فلما رآه لم يعمل شيئا قال له : « حتى الآن لم تنق شيئا ؟ » فقال الغلام : « أخبرك يا أبتاه ، كلما عزمت على البدء فى العمل ، ابصر كثرة الشوك فأحزن ، ومن كثرة الحزن كنت أضع رأسى وأنام » .

فقال أبوه « لا يكون الأمر هكذا يا ابنى ، ولكن نق كل يوم قدر مفرشك فقط ، قليلا قليلا » ، ففعل الغلام كما أمره أبوه ، وداوم على ذلك حتى فرغ الشوك من ذلك البقيع . وأنت كذلك يا حبيبى ، ابدأ بالعمل شيئا فشيئا ولا تضجر ، والله بطيبه ونعمته يردك الى سيرتك الأولى » .

فذهب ذلك الأخ وعمل وصبر كما علمه الشيخ فوجد نياحا وأفلح .

ذكروا انه كان فى مدينة الاسكندرية هيكل خارج باب الشمس على اسم القديس سرابيون ، وكان فيه شيخ راهب مسكين يتصدق . وكان ينصرف مرة بعد الثالثة ومرة بعد الخامسة . فأبصره قيم الهيكل مدة طويلة . وانتفع بطريقه وتفكر أن يمضى خلفه ويعرف أين يذهب . وماذا يعمل .. فتبعه ولم يعلم

الشيخ فرآه قد اشترى خبزة واحدة وقطعة جبن . ثم خرج الى ظاهر المدينة الى المقابر . ودخل فى طافوس جديد ، وعند دخوله لاحقه قيم الهيكل وسجد له قائلا : من أجل الرب قل لى : من أنت ؟ لأجل محبة المسيح .. وما عملك ؟ !! فانتفع وتربح نفسى .

فقال الشيخ : وما هو عملى أنا الضعيف حتى تسأل عنه . وكيف خطر هذا ببالك أن تسألنى عن عملى . فقال من أجل الرب لا تخف عنى أعمالك النيرة . فعلم الشيخ أنه لابد من معرفة خبره فقال له : « انى أجلس فى هيكل سرابيون القديس وأجد فيه حاجة طعامى وأخرج الى هذا الطافوس واشتغل باقى نهارى بالبكاء على خطاياى » . فعمل مطانية وسأله قائلا : « من أجل الرب اجلس فى قلايتك مبتهلا فى أمرى وأنا أحضر لك كل يوم طعام يومك » . فقال له الشيخ بشرط أن تتركه خارج الباب وتنصرف، وأنا أعمل مرادك. فوافقه القيم على هذا .

فلما مكث القيم مدة يسيرة يعمل ما أمره الشيخ ، قرع بابه يوما من الأيام وثبت خارج الباب حتى خرج له الشيخ . فسجد له قائلا : « من أجل الرب اجعلنى راهبا» ، فأدخله الشيخ عنده وخاطبه بمواعظ الرهبانية وعظم اسكيمها. فلما قبلها رهبنه وصار عند الشيخ راهبا مقيما . وأعاد الخروج على قديم عادته الى ذلك الهيكل يجلس فيه يستجدى صدقة تقوم بحاجتهما ويشترى خبزتين وقطعتين من الجبن فأبصره رجل جندى محب للمسيح وكان يكثر الدخول الى ذلك الهيكل ، وتأمل تردده . وانتفع منه ولحقه ليعرف الى أين يمضى فلما عرف حاله سأله أن يقيم فى قلايته . مصليا عليه وعلى منزله وهو يحمل اليه قوته . فقال له الشيخ : « أنى أحتاج الى خبزتين وقطعتى جبن كل يوم » . ولم يخبره أن قيم الكنيسة عنده .

فبعد أن مكث الجندى مدة من الزمان يحمل الى الشيخ حاجته ، تنيح الشيخ وقبل وفاته قال لتلميذه : « اجلس هنا ولا تذهب الى موضع البتة واذا حمل اليك الجندى الخبزتين وقطعتى الجبن فقل له : « انى لا أحتاج سوى خبزة واحدة وقطعة واحدة » ثم اجلس مهتما بنفسك وان حفظت وصيتى فأنا سأكون معك كل حين على مألوف عادتى ، فلما توفى الشيخ دفنه . وكان اذا صلى يشعر ان الشيخ يصلى معه كما وعده .

وأقام على هذا الحال أياما كثيرة ، ثم هاجمه الشيطان مبغض الحسنات الذى يحسد الناس الذين يريدون الخلاص . قائلا : الآن ماذا يقول والدك فى أمرك هل قد مات أم هو حى ، فلو ذهبت ورأيت والدك ورجعت الى ذاتك كنت تجلس مستريحا بعد ذلك بلا هم ولا قتال من العدو . فلما خدعه الشيطان بهذه الحيلة الماكرة ، ذهب وأبصر والده ورجع ، فلما حان وقت صلاته وتلاوة مزاميره ، لم يعد يسمع صوت الشيخ ، فترك المزمور وطفق يبكى فوق قبر الشيخ قائلا : يا أبتاه خليتنى يا معلمى وتركتنى . أين وعدك الصادق يا سيدى الشيخ المبارك المملوء رحمة ، لا تيتمنى منك لأجل الله . فخرج اليه صوت من القبر قائلا : العلى أنا تركتك ، انت خالفت وصيتى وتركتنى ، أتظن اننى أنا كنت المصلى معك ومؤنسك ، انما ربنا يسوع المسيح الكثير الرحمة لما كنت قابلا وصيتى أرسل ملاكا روحانيا يؤنسك ويصلى معك لأنى أنا فى موضعى كما أمر الرب الى وقت مراده .

والما عصيت وصيتى التى كانت من أجل الله انصرف عنك الملاك ، فاجلس وابك على خطاياك والرب برحمته يعينك لأنه صاحب كنوز الرحمة . (١) .

٣ - العفة

قال شيخ :

« طوبى للانسان الذى يحفظ نفسه طاهرا فى الصغر حتى الكبر ، طوبى لمن له نصيب فى قيامة الصديقين ، فان الملائكة تجمعه الى أهواء الحياة ، التى هى فرح ملكوت السموات » .

وقال القديس موسى الاسود :

+ « لنحب طهارة القلب والجسد لننجو من الدنس » .
+ « الذى يريد كرامة الرب عليه أن يتفرغ لطهارة نفسه من الدنس » .
+ « الذى يتهاون بعفة جسده يخجل فى صلاته » .

وقال مار افرام :

« مسك البطن وصيانة اللسان ، ولجام العينين ، طهارة للجسد ، فان امسكت بطنك ، وصنت لسانك ، ولم تحفظ ناظريك الا يجمحا فلست ممسكا بالطهارة بالكامل » .

وفى بعض الأيام جمع الأب باخوميوس الاخوة وقال لهم : أريد الآن أن أقول لكم وصايا لكى تحفظوها كلكم خلاصا وثباتا لنفوسكم لا سيما لأولئك الذين لم يقووا فى الايمان والأعمال حتى لا يقعوا فى فخ ابليس . واياكم أن يشك أحد منكم فى هذا الكلام الذى أقوله لكم واذكروا الكلام المكتوب : «انكم لا تؤمنون ولا تفهمون وهذا هو الكلام الذى أريد أن تحفظوه » .

+ تشبه بعفة يوسف وحكمته وصبره واتبع سيرته .
+ الزم البكورية فى أعضائك والطهارة فى قلبك وجسدك .
+ اياك والنجاسة فهى تفصل الانسان عن الله واهرب من جميع ملذات الدهر الحاضر .
+ احرص على طهارة جسدك وسلامة قلبك فانك أن تحققت من نوالهما أبصرت الله ربك .
+ احتفظ بالقدس لئلا تفتضح فى موضع الحكم . فيبصرك معارفك ويعيرونك قائلين : « كنا نظنك حملا فوجدناك ذئبا » . أين تستر وجهك وكيف تفتح فاك . وبماذا تتخلص من عملك الملتصق بك كالصبغة بالثوب وماذا تصنع ؟ حينئذ تبكى

---

(١) لا نستغرب لمثل هذه القصص بل يلزمنا أن نشكر الله أنه يعامل هذه النفوس التى لها تكوين خاص من التدقيق، فيستخدم الطرق المناسبة من أجل تثبيتها وتنميتها فى النعمة . ألست تجد شيئا من هذا فى مقابلة الرب ليونان صاحب النفسية الخاصة !

ولا ينفع البكاء . تسأل ولا يسمع منك . الآن يا بنى ارفض هذا العالم وارذله وامش مستقيما .

+ **قال الأب اغريفوريوس الثاؤلوغوس :**

ان هذه الأشياء الثلاثة الآتية ، يطلبها الله من كل انسان من بنى المعمودية وهى : ايمان مستقيم من كل النفس ، وصدق اللسان ، وطهر الجسد وعفته » .

قصص عفيفات

+ تحدثوا عن عذراء حرة عفيفة هادئة فى منزلها ، فأحبها شاب ردىء ، ولم يكن يكف عن التردد على منزلها ، فلما شعرت العذراء لتردده وقتاله ، شق ذلك عليها جدا وحزنت ، فحدث فى يوم من الأيام انه جاء كعادته يدق الباب ، وكانت العذراء حينئذ جالسة على المنسج ، فلما علمت انه هو الذى يدق على الباب ، خرجت اليه ومعها مخرازها ، وقالت له : « ما الذى يأتى بك الى ههنا يا انسان ؟ » فقال لها : « هواك يا سيدتى » فقالت : « وما الذى تهواه منى ؟ » فقال لها : « عيناك فتنتانى ، واذا أبصرتك يلتهب قلبى » ، فجعلت مخرازها فى احدى عينيها ، وقلعتها بصرامة وطرحتها له ، وشرعت فى قلع الأخرى ، فأسرع الشاب وأمسك بيدها ، فدخلت الى منزلها وأغلقت بابها ، فلما رأى الشاب أن عينها قد قلعت حزن جدا ، وندم على ما كان منه ، وخرج الى البرية من ساعته وترهب » .

+ وقيل انه لما نهب بيت المقدس ، وقعت عذراء راهبة شابة جميلة ، فى قسم أحد الفرسان الذى أراد افسادها . فقالت له : « تمهل قليلا لأن بيدى مهنة تعلمتها من العذارى ، ولا تصلح لعملها الا عذراء ، والا فلا نفع لها » فقال لها : « وما هى ؟ » فقالت له : « هى دهن اذا دهن به انسان ، فلن يؤثر فيه سيف أو أى نوع من الأسلحة البتة . وأنت محتاج الى ذلك ، لأنك فى كل وقت تخرج للحرب » ، فقال لها « وكيف أتحقق ذلك ؟ » فأخذت زيتا ووجهت اليه الكلام قائلة : « ادهن رقبتك ، واعطنى السيف كى أضربك به » فقال لها : « لا ، بل ادهنى أنت رقبتك أولا ، وأنا أضرب بالسيف » فأجابته الى ذلك ببشاشة ، وأسرعت فدهنت رقبتها وقالت : « اضرب بكل قوتك » ، فاستل سيفه ، وكان ماضيا جدا ، ومدت القديسة رقبتها ، وضرب بكل قوته ، فتدحرج رأسها على الأرض ، ورضيت عروس المسيح أن تموت بالسيف دون أن تدنس بتوليتها . فحزن الفارس جدا ، وبكى بكاء عظيما ، اذ قتل مثل هذه الصورة الحسنة ، وعرف أنها خدعته لتفلت من الدنس وفعل الخطية .

١ ـ قمع شهوات الجسد

+ **قال شيخ :**

« كما انه من بذار عرق الصوم ينبت سنبل العفة ، كذلك أيضا من الشبع يتولد الفسق ، ومن الامتلاء النجاسة ، أما الأفكار الشهوانية فلا تجسر على البطن الجائعة المتذالة قط ، فحين يصبح المأكول داخلنا يتسبب عنه زيادة فى افرازات الزرع الطبيعى المجتمع فى جسدنا ، واذا امتلأت أوانى الزرع من السائل ، فانه يسيل تلقائيا ، اذا عرض له أن ينظر جسدا ما ، اذ يحرك فيه الشعور من غير

الارادة مع ما يتحرك بالفكر فى ساعته من مادة بلذة ، تتحرك من هنـاك وتنطلق فى جميع الجسم ، حتى ولو كان الفكر شجاعا جدا وعفيفا ونقيا بحركاته . ولـكن بسبب ذلك الاحساس فى الأعضاء ، فلوقته يضطرب افرازه ، وعفة أفكاره النقية تتسخ . وطهـارته تتنجس ، لأجل اضطراب تلك الآلام التى تتحرك فى القلب عن توقد الأعضاء ، وفى الحال تذهب قوته . ويوجد مغلوبا مهزوما بغير قتال . ولن يتعب عدوه فى الجهاد معه لأنه غلب تحت ارادة الجسد الثائر ، وهكذا يجمع أفكارا متلبسة بأشكال مثيرة أثناء رقاده ، ويلقى سريره الطاهر فندقا للزوانى ، وتتدنس أعضاؤه الطاهرة من غير أن تدنو منـه امرأة . أى بحر يضطرب هـكذا ، مثـل اضطراب العقل السديد ، بقوة الأمواج الثائرة عليه فى جسمه من امتلاء البطن .

+ أيتهـا العفة ، ما أنقى حسنك بالرقاد على الأرض . وألم الجـوع يشتت النوم لأجل ضعف الجسـد ، اقمعوا البطن عن كل مأكول يبعث داخلنا أشـكالا مرذولة ، وصورا مثيرة تتشـكل منه ، فتخرج وتظهر لنا فى بلد عقلنـا الخفى ، جاذبة ايانا الى مشـاركتها بأفعال الشر . أما خلو البطن فانها تكون كمثـل برية مقفرة للضمير ، هادئة من سجس الحسيات .

البطن الملآن ، هو بلد الهواجس والمنـاظر ، حتى اننـا نحن الذين فى البرية والقفر ، وجدنا الشبع بسبب الكثير من أمثال ذلك » .

+ وقال أنبا أغاثون :

« ان الله لا يطلب من أولئك الذين يبدأون خدمة أعمال خوف الله شـيئا سوى أن يضبطوا أجسادهم بالطاعة للوصايا ضد انفعالات الشهوة » .

أسباب الخطية

+ قال شيخ :

« ثلاثة تسبق كل خطية : الغفلة . النسيان . الشهوة » .

+ وقال مار اسحق :

يسقط فى كل الظنون الردية السمجة ، كل انسـان مستعبد للأربعة الآلام الآتية : جسد شهوانى ، رغبة فى أشياء جسدانية ، لسان قاس ، نقل الكلام من احد الى آخر بنوع المثلبة » .

كما ان الذى يتخلى عنـه الله لأجـل تعظمه يسقط فى واحد من ثلاثة أنواع من الخطية وهى : « أما فى فسق سمج ، واما فى ضلالة شـيطانية ، واما فى أذية (مضرة عقلية) » .

تحكم قبالة مسببات الآلام ، فتهدأ منك الآلام من ذاتها . كما ان جريان المـاء يتجه الى أسفل ، هكذا قوة الغضب اذا الفت موضعا فى فكرنا .

+ وقال أحد الشيوخ لتلاميذه عند خروج نفسه :

« تحفظوا من كل شىء فيه لذة من لذات هذا العالم التى تحرك الجسد بالفكر ، وذلك ليكون الجسد دائما هادئا ومحفوظا من الحركات الشيطانية » .

+ وقال الشيخ :

« ان للشيطان ثلاث خصال قوية ، وهى تتقدم كل خطية ، وهى : النسيان

ـ التوانى ـ الشهوة ، ومن الشهوة يقع الانسان ، فان انتبه العقل ولم ينس ، فلن يجيء الى التوانى ، وان هو لم يتوان ، فلن يأت الى الشهوة ، وان هو لم يشته ، فلن يسقط بنعمة ربنا يسوع المسيح » .

(أ) نياح الجسد

+ سأل أخ شيخا عن الجسد ، فقال له الشيخ :

« ان جميع الوحوش والحيوانات اذا أنت أكرمتها ، لا تسيء اليك ، الا الجسد وحده ، فانك اذا أحسنت اليه أساء اليك عوض الاحسان » . كما قال هذا الشيخ أيضا : « انى سألت شيخا آخر ، وكان ذلك الشيخ فى رباطات ضيقة ، فقلت له : يا أبى ، لعلك اذا جئت الى وسط الاخوة استرحت من هذا التعب . فقال : « نعم ، يا ابنى ، لكنى أخاف من هذا الفرس الذى أركبه ، أعنى جسدى ، لأنه اذا أصبح فى الراحة ، وعدم الضيق ، رمانى الى أعدائى ، وجعلنى شماتة » » .

+ وقال أنبا موسى الأسود :

« لا تأمن للجسد اذا رأيت نفسك مستريحا من المحاربات فى أى وقت من الأوقات . لأنه من شأن الأوجاع أن تثور فجأة بخداع ومخاتلة عسى أن يتوانى الانسان عن السهر والتحفظ وحينئذ يهاجم الأعداء النفس الشقية ويختطفونها لذلك يحذرنا ربنا قائلا : « اسهروا » .

+ وقال أيضا :

زينة الجسد هزيمة للنفس ومن يهتم بها فليست فيه مخافة الله .

+ وقال مار اسحق :

من أكرم الجسد ، فقد أكرم معه الشياطين الذين خدعوه منذ القديم .

+ وقال أيضا :

معرفة الله لا تسكن فى جسد محب للراحة ، أى انسان يحب جسده لا يؤهل لمواهب الله ، كما يشفق الأب على ابنه هكذا يشفق المسيح على الجسد العمال ، وفى كل وقت قريب من فمه » .

+ وقال القديس انطونيوس :

لا تكن كسلانا فتموت بأشر حال . اضعف جسدك كمريض ملقى على سرير[1] فتهرب الأوجاع عنك . اياك واللعب فانه يطرد خوف الله من القلب ويجعله مسكنا لجميع الشرور .

+ وقال أيضا مار اسحق :

« بأمرين يصنع الجسد نياحه بحماقة ، مسببا للنفس تعبا وشقاء ، وطلاسم

---

(١) الكلام فى هذا الجزء كثير عن الصوم . ولكن لا يجوز اندفاع الراهب فى الصوم بغير ارشاد . كما أننا لا نعلم لمن قال القديس انطونيوس هذا الكلام ، ربما لراهب احتاج علاجا خاصا . ولا ننس أمرين ؛ الأول أن الكلام هنا عن الصوم يتكامل مع التعاليم الأخرى عن الطاعة والاسترشاد والقراءة وخدمة الاخوة وغيرها . والثانى أن الاعتدال هو القاعدة الانسب للكثيرين كما قال القديسون : الطريق الوسطى تخلص الكثيرين . أنظر أيضا رد الشيخ على تلميذه فى ص ١٨٦ .

عظيمة للفكر ، أما هذان الأمران : فأولهما عدم ضبط البطن الغير مخضعة لتجلد الصوم ، وثانيهما : عدم ترتيب الاعضاء التى تعطى سبيلا للنظر واللمس العديم التعفف، الذى منه يحدث فساد هيكل الله بتوسط الأفكار الطائشة فى الأباطيل» .

« العفة فى وسط التنعم لا تثبت بغير فساد ، كما ان الجوهرة فى وسط النار لا يحفظ شعاعها بغير فساد » .

+ وقال أنبا بيمين :

« ممقوت عند الله كل نياح جسدانى » .

+ وقيل أيضا :

« كما أنه لا يمكن أن يكون بغير أذية ذاك الذى يشفق على عدوه المحارب له فى صفوف القتال ، هكذا لا يمكن أن يشفق المجاهد على جسده ، وتنجو نفسه من الهلاك » .

(ب) الشهوة

+ قال أنبا باخوميوس :

« احفظ نفسك من الشهوة فهى أم جميع الخطايا والشباك والمقتنص بها يضل عقله فلا يعود يعلم شيئا من أسرار الله » .

+ وقال انبا موسى الاسود :

« قهر الشهوة يدل على تمام الفضيلة والانهزام لها يدل على نقص المعرفة » .

+ وقال أنبا أوغريس :

« كل ما يريده الانسان بلا شك يشتهيه . وما يشتهيه يجهد نفسه حتى يقتنيه . فاذا اقتناه ، فقد أكمل الشهوة ، واذا أكمل الشهوة فقد أرضى جميع حواسه ولذذها ، وكل من ليست فيه شهوة حسنة فهو جرن للأوجاع » .

+ وقال أنبا أنطونيوس :

« أحذر من أن تحب بلوغ شهواتك وأغراضك وابغض كل أعمال الدنيا وارفضها فانها تبعد الانسان عن الله » .

+ قال أحد الشيوخ :

« ان لى أربعين سنة أحس بقتال الخطية فى قلبى ، وما خضعت لها قط لا بشهوة ولا بغضب » .

+ وكان أحد الشيوخ يمشى ومعه تلميذه ، فوجد فى الطريق تفاحة مطروحة ، فأخذها وفحصها ، ثم طرحها تحت رجليه وسحقها فى الأرض ، فقال له تلميذه : « لم فعلت هكذا يا أبى ؟ » فقال الشيخ : « نعم يا ابنى ، لأن شهوة الثمرة أخرجت آدم من الفردوس » .

(جـ) الأكل

+ قال مار اسحق :

« كما أن المواد الدهنية تزيد النار اضطراما ، هكذا طراوة المأكل تنمى ألم الشهوة » .

+ **قال أنبا موسى الأسود :**

« ابغض شهوة البطن لئلا يحيط بك عماليق ، ضبط شهوة البطن يقلل من تأثيرات الشهوات . شهوة الأطعمة توقظ الغرائز والانفعالات ، والامتناع عنها يقمعها . شهوة البطن أساس كل الأوجاع » .

+ **قال شيخ ان أنبا بفنوتيوس قال لى :**

« ان جميع آبائنا – الذين كانوا قبلنا – حفظوا قلوبهم . اذن فان كان أحد من جيلنا الآن يحفظ لسانه من **النميمة** وجسده من **الزنى** ويديه من **السرقة** وبطنه من **الشره** ، فهو طوباوى . لأن الشره هو الذى يولد الزنى والسرقة وأشياء أخرى كثيرة جدا » .

+ **وقال أنبا بلا :**

« ان حفظنا الايمان الصحيح ، وحفظنا الجسد من **الزنى** ، واللسان من **النميمة** ، فنحن بنعمة الله مفلحون حسب هذا الزمان » .

+ **قال أنبا موسى الاسود :**

« الشبع من النوم يثير الأفكار وخلاص القلب هو السهر الدائم – النوم الكثير يولد الخيالات الكثيرة والسهر بمعرفة يزهر العقل ويثمره – النوم الكثير يجعل الذهن كثيفا مظلما والسهر بمقدار يجعله لطيفا نيرا . من ينام بمعرفة هو أفضل ممن يسهر فى الكلام الباطل » .

+ **وقال أنبا أنطونيوس :**

ابغض الجسد وأرفض لذاته فانها ممتلئة شرورا ولا تنم الا يسيرا بقدر .

(هـ) الجسدانيات

+ **قال أنبا بيمين :**

« انه خير للراهب أن يفر من الجسدانيات ، لأنه ما دام الانسان قريبا من الجسدانيات ، فانه يشبه من يجلس عند فوهة جب عميق ، ففى أى ساعة اراد العدو دفعه فيه هان عليه طرحه فيه ، أما اذا كان الراهب بعيدا عن الجسدانيات ، فانه يشبه رجلا بعيدا عن الجب ، ففى الوقت الذى يعمل العدو على جرفه اليه ، يكون الله قد بعث اليه بمن يخلصه » .

(و) التجول فى العالم

+ كمثل من هو حامل جوهرة ثمينة ، ويمضى بها فى طريق ، وتشاع عنها افكار سمجة ، فيصبح فى كل وقت مرتعبا من السالب ، هكذا الذى قد اقتنى جوهرة العفة ، ويسير فى العالم الذى هو طريق الأعداء ، بدلا من ان يدخل منزل القبر (القلاية) الذى هو بلد الثقة ، فهذا ليس له رجاء فى أن يفلت من اللصوص السالبين ، وكما أنه لا يمكن لذاك ان لا يخالف ، كذلك أيضا ولا هذا ، لأنه لا يعرف من أى بلد وفى أى وقت يخرجون عليه بغتة ويجردونه من جميع ماله ، ثم يسلب فى باب داره ، ولو كان فى الشيخوخة » .

+ **وقال شيخ :**

« المنصرف الى العالم بعد رفضه اياه ، اما أن يسقط فى فخاخه ويتدنس قلبه بأفكاره ، واما أنه لا يتدنس لكنه يدين المتدنسين فيتدنس هو أيضا » .

+ **وقال أنبا موسى الاسود :**

« ملازمة خوف الله تحفظ النفس من المحاربات وحديث أهل العالم والاختلاط بهم يظلم النفس وينسيها التأمل » .

قتال الزنا

+ **وقال أنبا موسى الاسود :**

« اذا حسن لك الزنى اقتله بالتواضع والجأ بنفسك الى الله فتستريح ، واذا حوربت بجمال الجسد فتذكر نتانته بعد الموت فانك تستريح » .

+ **قال أنبا ايليا السائح :**

« انه كان فى مغارة قرب دير الخصيان ، فلم يأت نصف النهار فى شدة الحر فى شهر أغسطس ، حتى قرع انسان على مغارته ، فخرج وأبصر امرأة ، فقال لها : ماذا تصنعين ههنا ؟ قالت له : أنا بقربك فى مغارة على ميل واحد ، اسير سيرتك ، وفيما كنت أدور فى البرية عطشت من شدة الحر ، فاصنع حبا يا أبى واسقنى قليل ماء ، ثم قال : فسقيتها وأخليت سبيلها ، فلما انصرفت تملكنى قتال الزنى ، فهزمت له ، وأخذت عصاى ومضيت سائرا الى مغارتها فى ساعة حر صعب ، فلما دنوت من مغارتها والشهوة تلهبنى ، سهوت فأبصرت الأرض قد انفتحت وظهر من تحتها أجساد موتى كثيرين منتنة جدا ، وكان انسان بهى يرينى تلك الأجساد ويقول لى : « هذا جسد امرأة ، وهذا جسد صبى ، فاشف الآن شهوتك من أيهما شئت ، وابصر كم من الأتعاب تريد أن تهلكك من اجل هذه الشهوة المنتنة ، وتحرم نفسك ملك السماء ! ايه لهذا الانسان الذى يضيع تعبه من أجل شهوة بطالة » . ومن شدة رائحة النتن وقعت على الأرض ، فأقامنى ذلك الرجل ، وأزال عنى القتال ، ورجعت الى مغارتى أسبح الله وأمجده على خلاصى » .

فانظروا يا اخوتى ، كيف ان القرب من النساء هو مهلك ، ويسبب القتال حتى للرجال الأبرار المتعبين بالنسك طوال أيامهم .

سؤال : ما بال الزنى يؤذى الانسان ، ويلح عليه كثيرا ؟

الجواب : لأن الشيطان قد عرف أن الزنى من شأنه أن يجعلنا عراة من الروح القدس ، واسمع ربنا قائلا : « لا تثبت روحى فى هؤلاء الناس بسبب كونهم زناة » .

+ قوتل أخ (١) بالزنى فذهب الى شيخ كبير قال له : « يا أبى ماذا أصنع

---

(١) وردت قصة مماثلة لهذه تقول :

سأل أخ شيخا عن وجع الزنى فقال له الشيخ : « انى لم أقاتل به قط » ، فعمل الأخ مطانية قائلا : لماذا لم تقاتل أنت يا أبى ؟ أجابه الشيخ : انى منذ ترهبنت لم أشبع خبزا ولا ماء ولا نوما فالتعب والهم لا يدعان هذا القتال يؤذينى .

فان قتال الزنى قد آذانى ؟ » قال له الشيخ « هذا الشىء لم يقاتلنى قط » فدهش ذلك الأخ ، وذهب الى شيخ آخر ، وقال له : ألا تعجب ؟ فانى قد شكوت الى فلان الشيخ أذيتى من قتال الزنى فأخبرنى بشىء يفوق الطبيعة اذ قال لى : لم أقاتل أنا بهذا الشىء قط . . فقال له ذلك الشيخ : يا حبيبى ، ان ذلك القديس لم يتكلم بذلك جزافا ، ولكن ارجع وتب اليه واسأله بأن يخبرك بقوة الكلمة . فرجع الأخ الى الشيخ واستغفر منه قائلا : اغفرلى يا أبى ، فانى خرجت من عندك بجهالة ، ولكنى أحب أن تبين لى كيف أنك لم تقاتل قط بالزنى ؟ فأجابه الشيخ قائلا : « انى منذ ترهبت ، لم أشبع قط من الخبز ولا من الماء ولا من النوم ، فاشغلتنى هذه الثلاثة ، ولم تدعنى أحس بالقتال الذى ذكرته » . .

+ **قيل عن راهب** ، ان ألم الزنى أتى عليه بشدة ، فلما أزعجه جدا ، قام وخرج من قلايته ومضى الى جحر ضبعة ، ونزل اليه وهو يقول : « خير لى أن أموت بهذه الضبعة ، من أن أموت بالخطية » فأقام هناك ستة أيام وهو صائم لا يذوق شيئا ، وفى اليوم السابع أتته الضبعة بمأكول ، فاستمر مقيما فى ذلك الموضع ٤٠ يوما ، وفى كل أسبوع كانت الضبعة تأتيه بما يأكله ، وبعد ذلك أتاه صوت يقول له : تقو . ومن ساعته هرب عنه روح الزنى ، فشكر الله ورجع الى قلايته .

+ **قيل عن الأم سارة** ، انها مكثت ١٣ سنة وهى مقاتلة قتالا شديدا من شيطان الزنى ، وكان يصنع معها مغريات العالم ، ولم تكن تحيد قط عن مخافة الله والنسك ، فصعدت مرة الى السطح لتصلى فرأت روح الزنى متجسما وقال : لقد غلبتينى يا سارة . فأجابته : انى لم أغلبك ، ولكن سيدى يسوع المسيح . فانصرف عنها القتال من ذلك الوقت .

+ **شكا أخ الى شيخ من** قتال الزنى فقال له الشيخ : « أتريد أن تخلص وأنت نائم ؟ اذهب واتعب واجتهد ، أطلب تجد ، اسهر وتضرع تعط ، اقرع يفتح لك . فكم من الناس يتجلدون فى التعب والسهر وقد يتحملون العذاب من أجل ربح جسمانى ، فاثبت أنت اذن وتجلد من أجل الله ، والله يمنحك النصرة » .

+ **قال شيخ :**

« اذا قوتل راهب بالزنى وحفظ بطنه ولسانه وغربته ، فلى أيمان انه لايسقط بمعونة الله » .

+ **وقال آخر :**

« ليس شىء يغسل دنس الزنى مثل دموع التوبة ، لأن الزنى يخرج من الجسد والقلب ، وكذلك الدموع تخرج من الجسد والقلب » .

+ **وقال آخر :**

« السهر والصلاة والجوع والتعب مع العزلة من الناس تبطل شهوة الزنى »

٢ – جمع العقل

(أ) مقاومة الأفكار الشريرة

+ قال الأب جرينوس :

« ان كثيرين يقاتلون بشهوة الجسد وهم زناة من غير أن يقتربوا الى جسد غريب ، لأنهم لم يعرفوا كيف يقمعون أفكارهم ، فحفظوا البتولية لأجسادهم فقط ، وزنوا بأنفسهم ، فجيد أن يحرص كل واحد منا على أن يحفظ قلبه » .

+ سأل أخ شيخا قائلا :

« اذا بذر فى الشياطين فكرا نجسا ، أو غواية الليل بالجنابة . يمنعوننى من أن أصلى قائلين لى : انك نجس » .

أجاب الشيخ قائلا : « اذا وضعت الأم الصبى على الأرض متمرغا فى وسخه فانه عندما يرى أمه يرفع يديه ووجهه نحوها وعيناه ممتلئة دموعا ، فتتحنن أمه عليه وتضمه اليها ، وتصعده على صدرها ، وتقبله ، ولا تنظر الى شىء من وسخه ، كذلك نحن يا أخى ، اذا ما أغوتنا الشياطين فلنسرع صارخين نحو الله باكين بين يديه ، فانه يقبلنا من وسط نجاساتنا ويطهرنا له دفعة أخرى » .

+ سأل أحد الأخوة أنبا موسى قائلا :

ماذا أصنع لكى أمنع أمرا يتراءى لى دائما، فقال له الشيخ : انك ان لم تصبح مقبورا كالميت فلن تستطيع أن تمنعه (يقصد الفكر) .

+ وقال أيضا :

+ الحرية تولد العفة ومكابدة الهموم تولد الأفكار .

+ ان جاءتك أفكار عن النساء فاذكر أين ذهبت الأوليات منهن وأين حسنهن وجمالهن .

+ وقال القديس انطونيوس :

+ لا تتبع جميع أفكارك بل اجعل فكرك فى الوصايا كل حين وداوم على فعلها .

+ لا تفكر فى الخطايا القديمة التى فعلتها لئلا تتجدد عليك — لا تذكر لعبك ولذاتك فى زمان كسلك ولا تتحدث عنها لئلا يصبح ذكرها لك عثرة .

ومرة سأله أحد الأخوة بخصوص الأفكار فأجابه الشيخ قائلا : لا تطع أفكارك . اتركها حتى تهدأ وتخمد فيظهر فيها الدود ثم تموت .

(ب) طرد الخوف والشك

+ قال أنبا موسى الاسود :

ليكن قلبك من نحو الأفكار شجاعا جدا فتخف عنك حدتها ، أما الذى يخاف منها فانها ترعبه فيخور ، كما ان الذى يفزع منها يثبت عدم ايمانه بالله حقا ولن يستطيع الصلاة قدام يسوع سيده من كل قلبه ما لم يطرد الأفكار أولا .

+ **وقال الأب ايرايس :**

« كما أن الأسد مرهوب لدى الحمير الوحشية ، هكذا الراهب المهذب ، مرهوب لدى أفكار الشهوة » .

٣ ـ ضبط الحواس

(أ) النظر

+ **قال القديس أنبا موسى الاسود :**

+ احفظ عينيك لئلا يمتلىء قلبك أشباحا خفية .

+ من ينظر الى امرأة بلذة فقد أكمل الفسق بها .

⁖ **وقال بعض الشيوخ :**

« اضبط عينيك لئلا تنظر الأرضيات ، وتصير غريبا من السمائيات » .

+ **وقال شيخ :**

كما ان رائحة السم المميت تفسد مزاج الجسد ، كذلك المناظر السمجة تفسد سلامة الضمير وكما انه لا يثبت الزجاج فى تقلبه مع الأحجار بل ينكسر ، هكذا لا يمكن أن يكون أحد طاهرا ، وهو مداوم النظر والكلام مع الناس .

+ **وقال القديس باسيليوس :**

ابتعد من نظر وسماع مالا يفيد ، فتتخلص من فعل ما لا يفيد .

(ب) اللسان

+ **قال انبا موسى الأسود :**

+ كمثل بيت لا باب له ولا اقفال ، يدخل اليه كل من يقصده ، كذلك الانسان الذى لا يضبط لسانه .

+ من يهتم بضبط لسانه يدل على أنه محب للفضيلة ، وعدم ضبط اللسان يدل على أن داخل صاحبه خال من اى عمل صالح .

+ احفظ لسانك ليسكن فى قلبك خوف الله .

+ لنستعمل اللسان فى ذكر الله والعدل لنتخلص من الكذب .

+ **وقال انبا انطونيوس :**

+ احذر أن تتكلم بكلام فارغ ولا تسمعه من غيرك أو تفكر فيه .. وليكن كلامك فى ذكر الله واستغفاره .

+ لا تكن مقاتلا باللسان ، اجعل كل أحد يباركك . والرب يسوع المسيح يعينك على العمل بمرضاته .

+ اياك والكذب فهو يطرد خوف الله من الانسان .

+ لا تحلف البته لا بشك ولا بحق .

+ لا تتكلم قط فى هموم الدنيا بشىء .

+ وقال القديس مقاريوس :

+ احفظوا السنتكم ، وذلك بألا تقولوا على اخوتكم شرا ، لأن الذى يقول عن أخيه شرا يغضب الله الساكن فيه لأن ما يفعله كل واحد برفيقه ، فبالله يفعله .

+ احفظوا ذواتكم من كلام النميمة الوقيعة ، لكى تكون قلوبكم طاهرة ، لأن الأذن اذا سمعت الحديث النجس ، لا يمكن أن تحفظ طهارة القلب بدون دنس .

+ احفظ نفسك من حرية الكلام والعمل . لأنه لا يليق بالراهب أن يسمح بأن يدينه فكره فى أمر من الأمور .

+ **قيل ان بعض الاخوة فى الاسقيط** اتفقوا على زيارة القديس انطونيوس فلما ركبوا المركب وجدوا فيها شيخا من الآباء يريد المضى اليه كذلك . ولم يكن الأخوة يعرفونه . ثم اندفعوا يتحدثون حديث الآباء وبما جاء فى الكتب ويذكرون أيضا صنائع أيديهم .. والشيخ جالس يسمع صامتا . فلما صعدوا من المركب علموا أن الشيخ ماض معهم الى الأنبا انطونيوس . فلما وصلوا اليه نظر اليهم القديس وقال للأخوة : نعم الرفيق وجدتموه (يقصد الشيخ) ثم قال للشيخ نعم : الرفقة وجدتهم أيها الأب . فقال له الشيخ : أما هم فممتازون ولكن دارهم ليس عليها باب . فاذا أراد أحد الدخول الى الاصطبل ليحل الحمار ويأخذه ، ما كان له مانع ، أعنى انهم يتكلمون بكل ما يجرى على السنتهم .

(ج) اللمس

+ قال أنبا انطونيوس :

احرس ثيابك لئلا تمشى عريانا فى يوم الحكم فتفتضح . واذا نمت لا تدخل يدك داخلك لئلا تخطىء بغير هواك . لا تحل منطقتك وانت قوى . واذا تعريت فلا تنظر جسدك ولا تمسك خد قريبك ولا يده لا صغيرا ولا كبيرا وليكن جلوسك بأدب .

(د) الضحك

+ قال يوحنا ذهبى الفم :

« من أجل اننا لا نحتفظ من الزلات الصغار فاننا نقع فى الكبار ، فمثلا ضحك انسان فى غير وقت الضحك ، فجر غيره الى الضحك » .

+ **كما قال ايضا :** « ما هو الضحك ؟ وما هى مضرته ؟ . حينئذ تبدأ مخافة الله فى أن تنقطع ويتولد من الضحك المزاح ، ومن المزاح الأقوال القبيحة ، ومن هذه تكون الأفعال المذمومة ، فالعدو المخادع يسهل علينا الزلات الصغار ، ومنها يولجنا الى الخطايا الكبار ومن هنا يقودنا الى اليأس .

فينبغى لنا أن نطرد هواجسه من مبادئها ، ولا نتهاون بالصغار حيث يكمن العدو فيها ، ومنها يجرنا الى الكبار . والا فلو كان يحاربنا ظاهرا عيانا ، لكان قتاله سهلا علينا ، وقهره متيسرا لدينا لكنه يعمل لنا كمينا وفخا ، لا نقدر

على الخلاص منه سريعا ، فان تيقظنا أفسدنا عليه كل حيله ، وذلك لأن ربنا قد كسر عنا كل سلاحه ، وقد حذرنامن الصغائر ، اذ انه ما وقف عند حد قوله « لا تقتل » فحسب ، بل قال : ولا تغضب وانتهى الى منعنا من مخاطبة أحد لأخيه بكلمة امتهان ، وما وقف عند حد قوله « لا تزن » ، لكنه حذرنا من النظر الى امرأة بشهوة ، وأعطى الويل للضاحكين ، وبالغ فى الاستقصاء فى باب الصغار الى أن قال : « ان كل كلمة بطالة يقولها الانسان ، سوف يعطى عنها جوابا » . فاذا عرفنا ذلك ، فسبيلنا اذن أن نحفظ أنفسنا من الخواطر ، فلا نسقط سريعا .

+ **من قول بعض الشيوخ :** « احذر من الضحك لأنه يحل الحواس ؛ ويبطل كل فضيلة » .

+ **قال شيخ :** احذر أن تصنع خطية بهواك ، لئلا تعتادها فتصنعها بغير هواك كالضحك » .

+ **قال أنبا اغاثون :** ان الدلال والمزاح والضحك أمور تشبه نارا تشتعل فى قصب فتحرق وتهلك .

+ أبصر **« أنبا نومين »** أخا يضحك فقال له : لا تضحك يا أخى ، لئلا يبتعد الله عنك .

+ **أبصر شيخ آخر أحد الاخوة يضحك فقال له :**

« لا تضحك يا أخى ، والا بعدت عنك الطوبى التى أعطاها الرب للحزانى » .

٤ ـ الغربة والهروب من الدالة والنساء

+ **جاء أخ مرة لأنبا أغاثون وقال له :**

يا أبى أريد أن أسكن مع أخ فارسم لى كيف أقيم معه ؟

فقال له الشيخ : كن معه دائما كمثل اليوم الذى بدأت سكنك عنده . واحفظ غربتك هكذا كل أيام حياتك واياك أن تكون بينكما دالة » .

+ **فقال له الأخ :** ولماذا نتحاشى الدالة ؟

أجابه أنبا أغاثون : « ان الدالة تشبه ريح السموم . عند هبوبها يهرب الناس جميعا من أمامها وهى تهلك ثمار الأشجار » .

+ **فقال الأخ :** أبهذا المقدار تكون الدالة رديئة ؟

أجابه الشيخ : « لا يوجد وجع أردأ منها لأنها مصدر كل الأوجاع » .

لذلك يجب على الراهب الحريص أن لا تكون له دالة حتى ولا على القلاية ولو كان وحيدا فيها . لأنى رأيت أخا يسكن فى قلاية زمانا وكان له فيها مضجع وقال لى : « انى خرجت من القلاية . ولما عدت اليها لم أعرف المضجع لو لم يدلنى آخر عليه » . وهكذا يجب أن يكون الراهب النشيط المجاهد .

+ **قيل عن القديس مقاريوس :** انه كان يوصى تلاميذه قائلا : « اهربوا من كلام النساء المؤدى الى الهلاك » .

وكان يقول أيضا : « احذروا الا تكون بينكم وبين صبى دالة لأن الصبى اذ رايته صاعدا الى السماء فهو سريع السقوط . فما عليكم الا أن تطلبوا من المسيح الهنا أن يعينه » .

+ **وقال القديس برصنوفيوس :**

« لا تأخذ ولا تعط مع انسان يقاتلك به العدو . بل انظر لنفسك واعلم أن مصيرك أن تموت وتلقى الديان » .

+ **وقال أيضا :**

« اذا كنت تحب أن تخلص من الأوجاع النجسة . اقطع منك الخلطة والدالة مع كل انسان ، ولا سيما من ترى قلبك مائلا اليه بشىء من الأوجاع . وهكذا تعتق من السبح الباطل ؛ لأن السبح الباطل ملتصق بالرياء والرياء يلد الأوجاع ، لأن المجاهدين ، ان لم يحرصوا فلن يكللوا ، والفرسان ان لم يجاهدوا فى معركة الحرب ، فلا يمدحون من الملك » .

+ **وقال شيخ :** « من يغلب الأسد ليس بشجاع . كذلك من يقتل اللبؤة ليس بجبار . أما من يخرج من هذا العالم وهو نقى من عيب النساء فهذا هو الغالب » .

+ **وحدث مرة أن سأل أخ الأب دانيال قائلا :**

« ارسم لى وصية واحدة احفظها » فقال : له : لا تجعل يديك مع امرأة فى صحفة واحدة ، ولا تأكل معها لأن هذا فخ شيطان الزنى » .

+ **وقيل :** ان أنبا اسحق خرج مرة فوجد آثار قدم امرأة فى الطريق ففكر فى هذا الأمر ، وأزال الأثر قائلا : « لربما يراه أحد الأخوة فيسقط » .

+ **فى بعض الأوقات ، قامت** سفينة من ديولفن ، ورمتها الرياح الى بعض الجبال حيث كان هناك رهبان . فخرجت امرأة من السفينة . وجلست على الشاطىء فوق تل رمل ، واتفق حينئذ أن جاء أحد الرهبان ليملأ جرته . فأبصر المرأة ، فرمى الجرة وعاد مبادرا الى رئيس الدير وقال : « يا أبتاه عند النهر امرأة جالسة » ، فلما سمع الشيخ قوله ، خفق قلبه ، ثم أخذ عصاه وخرج بسرعة وهو يصيح قائلا : « أغيثونى فقد جاءنا لصوص أشرار » . فلما أبصروا انزعاج الشيخ لحقوه حاملين عصيهم الى النهر ، فلما رأى النوتية قدومهم عليهم هكذا خطفوا المرأة من فوق التل بسرعة ، ووضعوها فى السفينة ، وقطعوا حبل السفينة وتركوها منحدرة فى جريان النهر .

٥ ــ التحرر من قيود الحس

حدث فى ذات يوم أن التقى **الأب القديس افرام السريانى** بامرأة فاسدة ، وراودته عن نفسها كى يشترك معها فى جماع دنس والا شنعت عنه ، فقال لها : « ان بعض الاخوة اعتادوا المجىء الى هنا ، فاتبعينى الى موضع آخر » فتبعته ، ولما اقتربوا من موضع يجتمع فيه اناس كثيرون ، قال لها : « انى أرى أن نكمل الفعل ههنا » فقالت له : « يا راهب ، أما تستح من الناس الذين يبصروننا ونحن

فى الفعل القبيح ؟! » فقال لها : وانت يا امرأة ، أما تستحين من الله خالق الناس الذى ينظرنا فى هذا الفعل القبيح ؟ فخزيت وانصرفت خائبة .

+ **وبلغ الأب مقاريوس عن راهب** متوحد داخل البرية منذ خمسين عاما لم يأكل خبزا قط وقد كان يقول عن نفسه أنه قتل ثلاثة أعداء : « الزنى ، وحب المال ، والسبح الباطل » .

فمضى الأب مقاريوس اليه ، فلما رآه المتوحد فرح كثيرا وكان رجلا ساذجا. فسأله الشيخ عن عزائه وعن أحواله وعن جهاده فقال له : « انه استراح من قتال الزنى وحب المال والسبح الباطل » . فقال له الأب : لى بعض أسئلة أريد أن أوجهها اليك فأجبنى عنها وهى :

+ اذا اتفق لك أن عثرت على ذهب ملقى وسط حجارة فهل يمكنك أن تميز الذهب من الحجارة ؟

قال : نعم ولكنى أتغلب على فكرى فلا يميل الى أن آخذ شيئا منه .

قال : حسنا .

+ واذا رأيت امرأة جميلة أيمكنك ألا تفكر فيها انها امرأة ؟

قال : لا . لكنى أمسك فكرى الا يشتهيها .

قال : مبارك .

+ وان سمعت ان أخا يحبك ويمجدك وعن آخر يبغضك ويشتمك . واتفق ان حضر اليك الاثنان . أيكونان أمامك فى منزلة واحدة ؟

قال : لا . لكنى أمسك أفكارى فلا أكافئه حسب أعماله وأقواله وشتيمته، بل أظهر له المحبة .

أخيرا قال له الأب مقاريوس : « اغفر لى يا أبى فانك حسنا جاهدت وقاتلت وصبرت من أجل المسيح . لكن أوجاعك لم تمت بعد ، بل ما زالت حية ولكنها مربوطة ، فتب واستغفر الله . ولا تعد الى ما كنت تصف به نفسك لئلا تثور عليك الأوجاع بالأكثر . فلما سمع المتوحد ذلك الكلام انتبه من غفلته وسجد بين يدى الشيخ قائلا : « اغفر لى يا أبى فلقد داويت جهلى بمراهم وعظك الصالح » .

+ **أتى أخ الى الأب مقاريوس وقال له :**

يا معلم قل لى كلمة تنفعنى . فقال له القديس : « امض الى المقابر واشتم الموتى » .

فمضى الأخ وشتمهم ورجمهم وعاد وأخبر الشيخ بما عمله . فقال له الشيخ : « أما خاطبوك بشىء » ؟ فقال : لا . فقال له الشيخ : امض غدا وامدحهم .

فمضى الأخ ومدحهم قائلا « يا قديسون . يا أبرار . يا صديقون » ؟ وعاد واخبر الشيخ بما صنعه فقال له « أما أجابوك بشىء ؟ » قال : لا . قال الشيخ : « ان كنت حقا قد مت مع المسيح ودفنت معه فاصنع هكذا مثل أولئك الأموات ، لأن الميت لا يحس بكرامة ولا باهانة وبذلك تستطيع أن تخلص » فانتفع الأخ بذلك .

٦ – تنقية النفس

+ **قال أنبا مقاريوس :**

كمثل الحديد الذى اذا طرحته فى النار يصير أبيضا ويتنقى من الشوائب كذلك النفس اذا ما حل فيها الروح القدس المعزى وسكن فيها فانها تصير نقية كالملح متلألئة ببياض الفضيلة فتنسى الأرضيات وتشتاق الى السمائيات وتوجد فى كل وقت سكرانة بالالهيات شغوفة بالعلويات . وذلك من أجل نقاوتها وطهارتها حتى يظن الانسان أنه قد انتقل من هذا العالم الى الحياة الأبدية بربنا يسوع المسيح ، ويرى الجزاء الكامل العادل العتيد أن يكون للابرار والخطاة فى الدهر الآتى الذى لن يزول ، الدائم الى الأبد . .

+ **وقال أيضا :**

نفس الكامل فى الفضائل نجدها نقية كالشمس من قبل أن تلحقه كلمة ردية – فاذا سمع كلمة ردية أو نميمة . للوقت تطغى الشياطين على عقله . وتحجب عنه النور ، وتصيره شقيا ، وتكون نفسه متزعزعة ، وفضائله ناقصة .

+ **وقال أيضا :**

ان نحن ذكرنا السيئات التى تحل بنا من الناس ، فاننا نقطع قوة ذكر الله من قلوبنا وان نحن ذكرنا شرور الشياطين نبقى غير مجروحين .

٧ – رؤية الله

+ **قال القديس مقاريوس :**

ان النفس لها استطاعة ان تنظر الى الله فى كل حين ، فتوجد لها دالة عند سيدها ، لأنها حينئذ يكون لها قدرة على ذلك ، لذلك فلنحرص بكل قوتنا الا نحيد عن خوف الله ولا نتعبد للأوجاع .

+ **وسأله أخ قائلا :**

كيف تقتنى النفس خوف الله ؟

اجابه : اذا لم تنظر النفس الى الله لا تخافه .

قال له : وبماذا يظهر الله للنفس ؟

أجابه : بالعزلة ، والضيقة ، والصراخ كل حين بشوق ولا يفتر عن أن ينادى قائلا : ((**يا ربى يسوع المسيح**)) فاذا ما كان ذكره دائما فى قلبك كل حين فانه يجىء ويسكن فيك . ويعلمك كل الأعمال الصالحة .

٨ – خوف الله

+ **قال القديس انطونيوس :**

« يجب أن يكون خوف الله بين أعيننا دائما أبدا . وكذلك ذكر الموت ، وبغضه العالم ، ونتجنب كل ما فيه من راحة ولذة للجسد ، وأن نزدرى هذه الحياة الفانية ، لنحب الله ونحيا له ، لأنه سوف يطلب منا هذا فى يوم الدينونة ، ما اذا كنا

قد جعنا ، أو عطشنا ، أو تعرينا ، أو تنهدنا ، أو حزنا من كل قلوبنا ، أو امتحنا أنفسنا هل نحن مستحقون لله ، فلنؤثر الحزن لكى نجد الله ، ولنستهن بالجسد لكى تنجو أنفسنا من العذاب » .

+ وقال أيضا :

سيأتى وقت يصير فيه أولاد الناس أغبياء ، يتحولون عن خوف الله ، واذا وجدوا انسانا غير أرعن أو أحمق مثلهم يقومون عليه ويقولون له : « أنت أرعن وأحمق » لأنه لا يماثلهم .

+ وقال أنبا باخوميوس :

سبيل الراهب ألا يكتفى بنسك الجسد وتعبه وحده . بل عليه أن يحصل على خوف الله ساكنا فيه فانه هو الذى يحرق الأفكار الرديئة ويفنيها كمثل النار التى تحرق الصدأ وتنظف الحديد من الشوائب . كذلك خوف الله يطرد كل رذيلة من الانسان ويجعله للكرامة يصلح لعمل الله .

+ وقال أيضا :

لا تكسل عن أن تتعلم خوف الله لكى تطلع وتنمو مثل الغرس الجديد وترضى الله كطفل صغير .

سئل مرة **الأب سلوانس : أى** سبيل سلكت حتى حصلت على هذه الحكمة ؟.

أجاب وقال : « **انى ما تركت فى قلبى قط فكرا يغضب الله** » .

+ وقال أنبا مقاريوس :

ليس شىء يعلو على خوف الله . لأنه يسود على كل شىء . فبخوف الله يحيد كل انسان عن كل الشرور ، فلنقتن لنا هذا ، ولنبتعد عن كل ما لا يريده الله . ولنصنع كل ما يرضيه ونحفظه ، ولا نصنع شيئا يغضبه ، ولنعلم أن كل ما نعمله عريان ومكشوف لديه ولا تخفى عليه خافية .

+ وقال أيضا :

لا تطاوع مشورة الشياطين الأنجاس ، اذا حدثوك بخداع قائلين : ان الله لا يؤاخذك بخصوص هذا الأمر اليسير أو هذه الوصية الصغيرة ، اذا توانيت فيها ، بل اذكر ان كل معصية كبيرة أم صغيرة فانها تغضب الله .

+ **سأل أخ أنبا تادرس :** « بأى طريق يمكن للانسان أن يخرج الشياطين من ذاته ؟ » .

+ **فقال له القديس :** « اذا قبل انسان ضيفا واكرمه ، فان كان لا يقدر أن يطرده اليوم ، ففى الغد لا يقدر أن يطرده ذلك اذا كان متاعه داخل بيته ، اما اذا أعطاه متاعه وجميع ما كان داخل بيته ، فحينئذ لو أراد طرده أغلق الباب فى وجهه ، وهكذا الحال مع الشيطان ، اذا لم تطرح متاعه خارجا عنك ، الذى هو الزنى والنجاسة والكذب وجميع آلاته ، فلا تقدر أن تطرده » .

٤ - العمل

(أ) عمل اليدين

ان آباءنا الروحانيين جعلوا عمل اليدين مثل قانون محدد وليس من اجل المال وحسبوه كأحد الفضائل للأسباب الآتية :

(أ) لأنه يخفف عن الأخ الثقل والملل .

(ب) لكى يعد قوته ويعطى أيضا منه صدقة لآخرين لئلا يجد مجالا للخروج من قلايته بسبب العوز فيسبب له دالة وخلطة مع العلمانيين .

(جـ) لكى يمنع عن نفسه الشرور التى تتولد من البطالة .

وفيما يلى بعض اقوال قديسين :

+ **قال أحد القديسين :**

« ان الآباء قد سلموا الينا هذه الطرق ، وهى أن نعمل بأيدينا وان نلازم الصمت . وان نبكى على خطايانا » .

+ **وقال الأب لوط :**

« الراهب الذى لا يمارس عملا يدان كانسان نهم مغتصب » .

+ **وقال الأب بيمين :**

« ثلاثة أعمال رأيناها للأب بموا : صوم الى المساء كل يوم . وصمت دائم . وعمل اليدين » .

+ **وقال القديس مرقس :**

لا تكن من القوم البطالين الذين يؤثرون الاغتذاء من وجود سمجة لا سيما من النساء ، واذ لك يدان فاعمل وكل ، لأنه أوفق لك أن تتشاغل بعمل اليدين من أن تتضرع لأعمال الخطية ، لأن العمال لا يقبل البطالة لئلا يسقط كمن يظن أنه منكب على عمل روحانى ولا يسير فيه كما ينبغى .

+ **قيل أن أحد الرهبان** كان يشتغل فى عيد شهيد . فلما أبصره آخر هكذا . قال له : أيجوز اليوم العمل ؟ فأجابه : ان الشهيد فلان قد عذب فى هذا اليوم . وجلد وتجشم أتعابا كثيرة حتى الموت . الا ينبغى لى أن أتعب ولو قليلا فى عمل يدى !!

(ب) عمل اليدين بالنسبة للراهب

+ **قال قاسينوس الرومى :**

انه لأمر فظيع وقبيح بنا ان العلمانيين يتعبون ويعملون ويعولون أولادا ونساء ويدفعون خراجا وضريبة ويحسنون الى فقراء ومحتاجين حسب طاقتهم ويحملون الى بيت الله باكورات وقرابين ، أما نحن فلا نقتنى من أتعابنا حتى

ولا حاجاتنا اللازمة لنا ، بل نحبس أيدينا داخل ثيابنا ، ونستجدى أتعاب غيرنا ، ولا نصغى الى الرسول القائل : « ان هاتين اليدين قد خدمتا حاجاتى وحاجات الذين هم معى » وقوله : « ان الرب أعطى الطوبى للمعطى أكثر من الآخذ » وقوله أيضا : « نحن نوصيكم يا اخوتنا باسم ربنا أن تتجنبوا كل أخ عديم النظام ، لا يسلك حسب التقليد الذى سلمناه لكم ، لأننا ما شئنا عدم النظام بينكم ولا أكلنا من أحد خبزا مجانا ، بل كنا نتعب ونكد عاملين ليلا ونهارا لئلا نثقل على واحد منكم . ليس لأنه لا سلطان لنا ، بل لنعطيكم أنفسنا مثالا . لأنى وقت ان كنت عندكم ، قد أوصيتكم بهذا . ان من لا يشاء أن يعمل عملا فلا يأكل . والآن فقد سمعنا أن فيكم قوما يسيرون بعدم نظام ولا يمارسون عملا . فنحن نوصى هؤلاء ونسألهم باسم ربنا يسوع المسيح أن يعملوا عملهم بسكون . ويأكلوا خبزهم » .

أسمعتم كيف أن الرسول بحكمة يزيل علل الصلف . ويدعو الذين لا يعملون عادمى النظام . وبهذا أرانا رذيلة كبرى شريرة . لأن البطال غير نافع فى أمر ما . وهو مهيأ للغضب . وللسكوت غير موافق . وهو عبد للضجر منغمس فى الشهوات متجهم فى أقواله فاعل الرذائل الأخرى كلها ، أما قوله : انهم يسلكون بحسب الوصية التى أخذوها منا ، فيقصد به انهم متوانون ومتكبرون معا . ومبطلون للوصايا . كذلك قوله : لم نأكل منكم خبز البطالة . فيؤنب به الذين لا يعملون بأنهم يأكلون خبز البطالة أى انهم يعالون بغير واجب ، ــ ولذلك كان الآباء باسقيط مصر لا يسمحون للرهبان لا سيما الشبان منهم ــ بأن يتفرغوا من عمل . لا صيفا ولا شتاء حتى ولا لحظة من الزمان . لأن الذى يمارس العمل يتخلص من الضجر ويتحصل على ما يقيت به نفسه ويسعف به المحتاجين .

+ **قيل** : انه حضر الى **الأب لوقيوس رهبان** من أولئك الذين يدعون « مصلين » فسألهم عن عمل أيديهم فقالوا له : نحن لا نهتم بعمل اليدين . انما نهتم بالصلاة الدائمة كقول الرسول . فقال لهم الشيخ : اما تأكلون وتنامون ؟ قالوا : نعم . فقال لهم : فاذا ما جلستم تأكلون أو اذا نمتم فمن يصلى عنكم ؟ فلم يكن لهم ما يجيبونه به . فقال لهم : اغفروا لى فان عملكم ليس كقولكم ، لكننى أريكم كيف انى أمارس عمل يدى . وأصلى دائما . وذلك بأن أجلس بعون الله وابل خوصا وأضفر الضفيرة وأقول : ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك وككثرة رأفتك أمح اثمى ، افما يعتبر ذلك صلاة ؟ اجابوه : نعم . قال لهم : واذا مكثت هكذا طول النهار أعمل وأصلى فيكون لى عن عمل كل يوم ستة عشر فلسا . فأعطى منها على الباب فلسين .. وآكل بالباقى فيصبح آخذ الفلسين مصليا عنى فى وقت اكلى وفى وقت نومى وبنعمة الله تكمل لى الصلاة الدائمة كأمر الرسول . واذ أمارس عملى فانى بذلك أقهر شيطان الملل والشهوة . لأن الملل يؤدى الى البطالة . والشهوة كائنة فى البطالة . والطريق التى سلمها لنا جماعة الرهبان هى هذه :

انه يلزمنا أن نشتغل بأيدينا ونصوم طول النهار ، ونقتنى صمت اللسان ، ونبكى على خطايانا .

+ **ومرة زار أحد الاخوة الأب سلوانس فى جبل سيناء ،** فلما رأى الاخوة منكبين على العمل قال للشيخ : « لا تعملوا للطعام البائد ايها الأب، لأن مريم اختارت لها الحظ الصالح » .

فقال الشيخ لتلميذه : « اعط الأخ انجيلا وادخله فى قلاية فارغة » ففعل . فلما حانت ساعة الأكل بقى الأخ منتظرا على الباب مترقبا وصول من يسأله المجىء الى المائدة . فلما لم يدعه أحد ، نهض وجاء الى الشيخ وقال له : « أما أكل الاخوة اليوم يا أبانا ؟ » أجابه : نعم . فقال له : ولماذا لم تدعنى للأكل معهم ؟ فأجابه الشيخ « ذلك لأنك روحانى ، لست فى حاجة الى طعام ، واما نحن فجسديون نحتاج الى طعام ولذلك نمارس الأعمال . أما أنت فقد اخترت النصيب الصالح : تقرأ النهار كله ، ولا تحتاج الى أن تأكل طعاما » . فلما سمع الأخ هذا الكلام خر ساجدا وقال : « اغفر لى يا أبانا » فأجابه الشيخ : « لا شك أن مريم تحتاج الى مرثا . لأن مريم بمرثا مدحت » .

+ **جاء قوم الى الأب شوشاى** ليسمعوا منه قولا . فلم يخاطبهم بشىء ولم يزد فى كلامه عن « اغفروا لى » ولما رأوا عنده زنابيل قالوا لتلميذه : ماذا تعملون بهذه الزنابيل ؟ قال لهم : ان الشيخ يفرقها هنا وهناك ... فلما سمع الشيخ قال : ان شوشاى من هنا ومن هناك يفتذى .. فلما سمعوا ذلك انتفعوا جدا .

(ج) اعمل فى هدوء

+ **قال مار افرام :**

« فاتحة العجرفة هى عدم مشاركة الراهب الاخوة فى العمل حسب قدرته ، واذا ما جئنا الى العمل فلا نكثر الكلام بل ليكن اهتمامنا وتفكيرنا فى الهدف الذى من أجله خرجنا » .

+ **سكن شيخ مع اخوة ،** واعتاد أن يقول لهم عن الشغل دفعة واحدة ، فاذا لم يفعلوه قام هو وعمله بدون غيظ .

+ **سئل أحد الآباء :** « أى شىء يلزم لمن يريد الخلاص ؟ » واذ كان الأب ملازما العمل لا يرفع رأسه عنه ، أجاب : « هذا هو ما تراه » .

+ **سأل أخ أنبا سيصويص الصعيدى :** قل لى كلمة .. فأجابه .. « لماذا تطلب كلاما ؟ اصنع مثلما ترى » .

+ **وسأل أحد الشيوخ أنبا بيمين قائلا :** ماذا أعمل يا أبت مع ابنى أسحق الذى يسمع الى بسرور ؟ قال له أنبا بيمين : « اذا كنت ترغب أن تكون ذا منفعة له اعطه مثالا عن طريق الأفعال وليس عن طريق الأقوال ، لئلا بملاحظته الأقوال فقط يكون عديم النفع . أما اذا أعطيته مثالا عن طريق الأعمال فستمكث طويلا معه وسينتفع » .

+ **يقول أنبا اسحق قسيس القلالى :**

انه عندما كنت شابا صغيرا اعتدت السكنى مع أنبا كرونيوس ، ولم يكن يكلفنى مطلقا بعمل شىء ما .. والآن وقد صار شيخا لا يستطيع التحكم فى أطرافه الا أنه لا يزال يقف ويقدم لى الماء بيديه وكذلك الأمر مع الجميع .. وهذا هو ما كان يحدث أيضا بالنسبة لأنبا تيودور الذى من البارما ، اذ انه لم يكن يكلفنى بعمل أيا كان نوعه . وكان يعد هو المائدة وكنت أقول له : لقد جئت يا أبى

لكى أساعدك فلماذا لا تطلب منى أن أؤدى لك عملا ؟ . لكن الشيخ كان لا يخاطبنى بشىء بل كان يحفظ السكون . فصعدت أنا وأعلمت الشيوخ بالأمر فجاءوا اليه قائلين : « يا أبانا لقد جاء الى قداستك هذا الأخ لكى تعينه ، فلماذا لا تأمره بعمل ما ؟ » أجابهم الشيخ : وهل أنا رئيس دير حتى آمره ؟ اننى لن أقول له شيئا الا عن رغبتى فى أن يفعل هو مثلما يرانى أعمل .

ومن ذلك الوقت كنت أسبقه فى عمل الشىء قبل أن يقوم هو به . ولا زال يعمل هو فى صمت وسكون وبهذه الطريقة جعلنى أتعلم أن أعمل فى سكون وهدوء .

(د) تعب الجسد

+ **قال أنبا أنطونيوس :**

— اختر التعب فهو يخلصك من جميع الفواحش مع الصوم والصلاة والسهر، لأن تعب الجسد يجلب الطهارة للقلب . وطهارة القلب تجعل النفس تثمر.

— اشتغل بكل قوتك ليتمجد أبوك الذى فى السموات .

— لتكن متعبا فى شغل يديك فيأتيك خوف الله .

+ **وقال أنبا موسى الأسود :**

— أهم أسلحة الفضائل هى أتعاب الجسد بمعرفة والكسل والتوانى يولد المحاربات .

— اتعب جسدك لئلا تخزى فى قيامة الصديقين .

— اذا سكنت مع اخوة فلا تأمرهم بعمل ما . بل اتعب معهم لئلا يضيع أجرك

— لا تحب الراحة ما دمت فى هذه الدنيا .

— ان الارتداد الخفى من العمل يظلم العقل ، أما احتمال الانسان وجلده فى الأتعاب فهذا ينير العقل بربنا ويقوى ويسلح الروح .

+ **قال أنبا دانيال :**

ما دام الجسد ينبت ، فبقدر ذلك ، تذبل النفس وتضعف ، وكلما ذبل الجسد نبتت النفس .

+ **وقال شيخ :**

يتقدم كل الفضائل احتقار الانسان للراحات . الذى يغذى جسده بالراحة فى بلد السلام ، فانه ينضغط بالضيقة والذى يتنعم فى شبابه ، يكون عبدا فى شيخوخته ، وفى الآخر يتنهد .

جاء أحد المتوحدين الى غدير فيه قصب (بوص أو غاب) فجلس هناك وصار يقطع من حشائش النهر ويضفر ويرمى الضفيرة فى النهر لأنه لم يكن يعمل لاحتياج ، بل لكى لا يكون بطالا ، فكان يتعب جسده ، ولم يزل هكذا حتى قصده الناس فلما رآهم تحول عن ذلك المكان .

+ **سئل مرة أنبا أغاثون :** أيهما أعظم ، تعب الجسد ام الاحتفاظ بما هو فى داخله ؟

فأجاب وقال :

ان الانسان يشبه شجرة ، فتعجب الجسد هو الورق أما المحافظة على ما هو من داخل فهى الثمرة ، لذلك فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النيران .

فلنحرص على الثمرة التى هى حفظ العقل . كما يحتاج الأمر أيضا الى الورق الذى يغطى الثمرة ويزينها ، وما الورق الا تعب الجسد كما ذكرنا .

(هـ) اعمل باجتهاد

+ الأب اغريغوريوس الثيؤلوغوس :

+ « ان العمر كيوم واحد بالنسبة لأولئك الذين يريدون أن يعملوا بشوق »

+ وقال أنبا بيمين :

« مثل الدخان الذى يطرد النحل حتى يقطفوا العسل ، كذلك نياح الجسد يطرد خوف الله ، ويتلف كل عمل صالح » .

+ قال شيخ :

« ليست الحاجة الى كثرة الكلام .. لأن كثرة الكلام غريزة فى الناس ، وانما الحاجة ماسة الى العمل » .

+ وقال آخر :

« اذا كان للراهب كلام بغير عمل ، فانه يشبه شجرة مورقة لا ثمر فيها ، اما من له كلام وعمل ، فهو مثل شجرة مورقة مثمرة » .

+ قال أنبا ماطوس :

« انى أحب العمل الخفيف الدائم ، أكثر من عمل شديد فى بدنه ، لا يلبث أن يقطع سريعا » .

+ قال شيخ :

أراد انسان موسر أن يعلم أولاده النشاط ، فقال لهم : « هل تعلمون كيف صرت غنيا ؟ ان سمعتم مشورتى استغنيتم مثلى » . فسألوه عنها ، فقال لهم : « فى كل سنة يوجد يوم من أيامها ، كل من عمل فيه باجتهاد استغنى ، الا انى لشيخوختى قد نسيت أى يوم هو ، فلا تتوانوا أنتم فى العمل كل يوم ، لئلا يفوتكم العمل فى ذلك اليوم المبارك ، فيضيع تعبكم فى السنة كلها » ثم قال الشيخ : « هكذا نحن أيضا لسنا نعرف يوم وفاتنا ، فان توانينا حين وفاتنا ، فاتنا مقصدنا وضاع كل تعبنا ، وان اجتهدنا الى الآخر وجدنا ملكوت السموات » .

+ وقال احد الآباء :

اذا قمت باكر كل يوم ، خاطب نفسك قائلا : « يا نفسى استيقظى لترثى ملك السماء » ثم خاطب جسدك قائلا : « وانت يا جسمى اعمل لتغتذى » .

+ سأل أخ شيخا :

« ان اتفق لى تحصيل حاجاتى من حيثما اتفق فهل يليق بى أن لا اعمل

بيــدى ؟ » أجاب الشيخ : « وحتى ولو اتتك حاجاتك من حيثما اتفق فلا تترك العمل ، اعمل بكل جهدك » .

+ **قال الأب لوقيوس :**

« أنا عبد وسيدى قال لى : اعمل عملا وأنا أعولك بالطريقة التى أراها ، فان أنا استجديت واقترضت ، فليس هــذا من شـأنك ، فقط اعمل انت ، وانا أقوم بأودك » .

وقيل عن **الأب بموا** لما حضرته الوفاة ، أن سأله الآباء قائلين : قل لنا كلمــة فقال : « انى منذ دخولى هذه البرية وبنائى القلاية وسـكناى فيها ، ما انقضى على يوم واحد بدون عمل ، ولا أتذكر انى أكلت خبزا من انســـان ، والى هــذه الســاعات ما ندمت على لفظ واحد لفظته وها أنا منطلق الى الرب كأنى ما بدأت بشىء يرضيه بعد » .

(و) اعمل وستعطى أجر تعبك

+ فى أثناء جهاد الأسقف **أنبا كيرادوس** لما كان يعذب على اسم المسـيح ، قال مثــلا : « ان الأرض التى تشــق بالســكة ، وتقلب بالمحــراث ، تثمر ثمرا مضاعفا ، كذلك الجسد اذا انكسر وانحل بالتعب ، حينئذ ينبت للنفس أجنحة وتتعالى الى المسيح الذى قتل من أجلها وهى حاملة ثمرة مائة ضعف » .

+ كان شيخ جالسا فى البرية ، وكان بينه وبين المــاء الذى يسـتقى منــه ١٢ ميلا ، فذهب مرة ليستقى ، فضجر وقال لنفسه : لماذا أعانى هــذا التعب ؟ فلأذهب وأسكن بقرب الماء . وفيما هو يفكر فى هذا الأمر ، التفت الى خلفــه ، فأبصر شيخا يعد خطواته ، فسأله : « من أنت ؟ » فقال له : « انى ملاك الرب بعثنى لأعد خطاك ، لــكي يعطيك أجر تعبك » فلما ســمع الشــيخ ذلك ، طابت نفسه ، وزاد على المسافة خمسة أميال أخرى .

(ز) اعمل لأن البطالة مفسدة للنفس

+ **قال أنبا موسى الأسود :**

اياك والبطالة لئلا تحزن . أحرى بك أن تعمل بيديكليصادف المسكين منك خبزة ، لأن البطالة موت وسقطة للنفس .

+ **قال القديس نيلس :**

ان البطالة هى مصدر رداءة الأعمال ، لا ســيما من أولئك الذين قد عدموا الأب . لأن اليهود لما لم يكن لهم فى البرية عمل يشتغلون به ، خرجوا من البطالة الى عبادة الأوثان . فعلينا الا نفارق عمل اليدين ، لأنه نافع جدا ومهذب .

+ **وقال ايضا :**

ان انسانا كسلانا ، بلغنى عنه انه أخذ من خزانتــه الانجيــل من الســاعة السابعة الى غياب الشــمس ، ولم يســتطع أن يفتحه البتة ، وكأنه كان مربوطا بالرصــاص ... أما انطونيوس فانه لم يفعل أمامنا هكذا ... بل عمــل كمـا آراه الملاك ، فتارة كان جالسا ولعمله ممارسا ، وتارة أخرى كان قائما وللصــلاة

ملازما . فكان يؤدى ذلك ، ولا يترك تلك . . فحظى بنور فائق الحد . حتى انه قال لأحد فلاسفة زمانه : « انى كما فى لوح اتامل طبيعة المخلوقات دائما ، وذلك بتلاوة أقاويل الرب حتى ولو فى ظلمة الليل الحالكة . بهذا المقدار فانه كان يتصل بالله . والليل يضىء مثل النهار » .

(ح) اعمل لتعطى المساكين

+ قال أحد الآباء :

« اهتم بعمل يديك ومارسه ان أمكنك ليلا ونهارا . لكى لا تثقل على احد . وحتى يكون لك ما تعطى المساكين ، حسبما يأمر به الرسول . ولكيما تصرع شيطان الضجر ، وتزيل من نفسك بقية الشهوات ، لأن شيطان الضجر منكب على البطالة ، وهو فى الشهوات كامن » .

+ قال انقديس نيلس :

« يجب ان تكون اعمال يديك الهية لا ارضية . ولتكن أثمارها مشاعة بينك وبين المساكين » .

+ قال مار افرام :

ان احد الاخوة قال : طلبت من الله ان يعطينى عملا بدل نعمة كى اعول جميع المنكوبين ، لأنى بذلك افرح .

+ سأل أخ شيخا قائلا :

« اريد ان اقيم مع آخر فى كنونيون (حياة مشتركة) حتى استريح فى قلايتى ، ويعطينى عملا أعمله بيدى ويهتم بى » .

قال الشيخ : « لا تفعل ذلك ، والا فما كنت تستطيع ان تعطى احد خبزا »

+ سأل أخ الأب بيمين قائلا :

قل لى كلمة . فاجابه قائلا : واظب على عمل يديك ما استطعت وذلك لتعمل منه صدقة لأنه مكتوب « ان الرحمة تطهر الخطايا » .

اجعل لك عمل اليدين مثل قانون محدد وليس من
أجل الطمع ، فلا تبطل بسببه الأعمال الروحية

+ أخبرنا يوحنا الخادم انه سأل فى شبابه شيخا قائلا : كيف استطعتم أن تعملوا عمل الله بنياح ، مع أننا لم نستطع أن نعمله نحن حتى ولو بالتعب ؟ فقال الشيخ : نحن انما امكننا ذلك لأن عمل الله كان راس مالنا ، وحاجة الجسد كانت حقيرة عندنا . اما انتم فحاجة الجسد عندكم هى راس مالكم ، وعمل الله ليس مما لابد منه لديكم ، من اجل ذلك فانكم تكلون وتخورون . وبخصوص ذلك قال مخلصنا لتلاميذه : « يا قليلى الايمان اطلبوا اولا ملكوت الله وبره ، أما هذه الأشياء فتزدادونها » .

+ فسأل الأخ قائلا : زدنى ايضاحا . فقال له : « ها انت تسمع عنى انى

مريض ويجب عليك افتقادى ، فتقول فى نفسك : اذا ما فرغت من عملى أمضى اليه وافتقده ، ويتفق أن يعوقك عائق ما فلا تجىء الى بالكلية ، وبذلك تكون قد جعلت عمل اليد الذى هو رأس المال وحياة النفس فى المرتبة الثانية . كذلك ربما يطلب اليك أخ آخر قائلا : تقدم يا أخى وساعدنى فى هذا الأمر ؟ فتقول فى نفسك : أترك عملى وأذهب معه ، فتكسر وصية المسيح التى تتعلق بالعمل النفسانى وتعكف على عملك الذى ينبغى أن تجعله القصد الثانى .

اجعل لك عمل اليدين مثل قانون محدد ولا تبطل شيئا من
الصلوات السبعة الموضوعة بواسطة آبائنا القديسين .

+ **قال بعض القديسين :**

اذا باشرت عملا فى قلايتك وحانت ساعة صلاتك ، فلا تقل : افرغ من هذا القليل الذى بيدى وبعد ذلك أقوم . بل بادر للوقت وأوف الصلاة لله فى وقتها فى كل حين ، لئلا تعتاد نفسك تدريجيا اهمال الصلاة .

٥ - الوحدة

كرامة الوحدة وأفضليتها

+ ثلاثة رهبان تآخوا فى الرب ، فاختار أحدهم الصلح بين الناس كقول الرب : « طوبى لفاعلى السلامة فانهم بنى الله يدعون » ، واختار الآخر خدمة المرضى وتعهدهم كقوله « كنت مريضا فتعهدتمونى » أما الأخير فقد اختار لنفسه الوحدة ليتفرغ لخدمة الرب وحده والصلاة كل حين كقول الرسول .

فأما الأول فانه ضجر من خصومة الناس ولم يقدر أن يرضيهم كلهم ، فلما تعب مضى الى صاحبه الذى يفتقد المرضى فوجده قد ضجر هو الآخر مما هو فيه ، فقاما معا وأتيا الى المتوحد ، وأعلماه بحالهما واستخبراه عن حاله فسكت قليلا ، ثم سكب ماء فى اناء وقال لهما : « تأملا هذا الماء » ، فتأملاه مضطربا ولم ينظرا فيه شيئا . وبعد أن سكن الماء قال لهما : « انظرا الآن » فنظرا ، واذا الماء يريهما وجهيهما مثل المرآة ، فقال لهما : « هكذا تكون حال من يكون بين الناس فانه لأجل اضطرابهم لا يمكنه أن ينظر ما فيه ، أما اذا انفرد ولا سيما فى البرية ، فحينئذ يرى نقائصه (١) » .

وأخبر بعض الآباء القديسين ان رفيقين من الاخوة ترهبا معا وأقبلا يتزايدان فى النسك والعفة وسارا سيرة فاضلة مرضية . فعرض ان أحدهما اخذوه وصيروه رئيسا على دير عام وبقى الآخر متوحدا فى نسك تام وعمل عجائب كثيرة وشفى مجانين كثيرين وأبرأ مرضى واخبر بانباء قبل كونها .

فلما سمع الذى كان قد صار رئيس الدير فرح لأخيه اذ استحق هذه المواهب الجليلة وعجب هو من نفسه انه ما وصل ولا الى واحدة منها . ثم سكت

---

(١) لا يجوز أن يؤخذ هذا الكلام قاعدة عامة . لأننا لا نعرف ظروف هذين الاخوين . ولكل انسان موهبته . وكثيرا ما ساعدت الخدمة وحياة الشركة الراهب على اكتشاف ضعفاته . وكلا الطريقين يتطلب صبرا ومثابرة .

ولم يكلم أحدا ثلاثة أسابيع طالبا الى الله بدوام أن يكشف له كيف صار ذلك يعمل العجائب مشهور الذكر عند كل من يعرفه وأنا ما وصلت ولا الى واحدة من مواهب الله .

فظهر له ملاك الله وقال له : ان أخاك جلس لأجل الله باكيا حزينا نهارا وليلا قدامه جائعا عطشا لا يطلب من يسليه ، أما أنت فمهتم بأشياء كثيرة ، وتلقى قوما كثيرين وتخاطبهم . فيكفيك عزاء الناس » فهرب لوقته وصار حبيسا . (١)

+ **قال القديس اكليميكوس :** « من يحب مخالطة الناس لن يستطيع أن يتفرغ لنفسه وهو عاهة لنفسه .

+ **قال القديس برصنوفيوس** «محبة المسيح غربتنا عن البشر والبشريات» .

+ **وقال شيخ :** « كل موضع تمضى اليه ، احرص ألا تجعل ذاتك من أهله »

+ **وقال الأب يعقوب :** « ان الغربة أفضل من ضيافة الغرباء » .

+ **وقالت الأم سارة :** « ان أنا طلبت ان أصنع ارادة كل الناس ، فانى سوف أوجد تائهة على باب كل أحد ، فينبغى لى أن أحفظ قلبى نقيا مع كل أحد ، وأنا مبتعدة عن كل أحد » .

قيل ان بعض الآباء كان يجلس فى البرارى البعيدة ويسكت ، وفى يوم من الأيام سأله تلميذه قائلا : « لماذا يا أبى تفر هاربا فى البرارى البعيدة ، مع انى أسمع الناس تقول أن الذى يسكن بقرب العالم ويقاتل أفكاره من أجل الله يصير أكثر أجرا ؟ » .

أجابه الشيخ : ان الذى ينتفع من قربه للعالم هو ذاك الانسان الذى يصل الى أن ينظر مناظر موسى النبى ويصير ابنا لله ، أما أنا فانى ابن آدم وأنا مثل آدم أبى الذى بمجرد أن أبصر الخطية اشتهاها فأخذ وأكل منها ومات .

من أجل ذلك كان آباؤنا يهربون الى البرارى وهناك كانوا يقتاون شهوة البطن لعدم الأطعمة ، اذ كانوا لا يجدون هناك الأشياء التى تلد الأوجاع كلها » .

+ **وسأل أخ شيخا قائلا :** « يا أبى ، لماذا لا يثبت جيلنا هذا فى أتعاب الآباء الأولين ؟ » .

فأجابه الشيخ قائلا : لأنه لا يحب الله ولا يفر من الناس ولا يبغض قشاش العالم ، لأن كل شخص يفر من الناس ومن المقتنيات فان تعب الرهبنة يأتيه قبل سنه ، فكمثل انسان يريد أن يطفىء نارا قد اشتعلت فى بقعة ، فما لم يسبق ويبعد القش من قدام النار ، لا يمكنه اطفاؤها ، كذلك الانسان ، ان لم يذهب الى موضع لا يجد فيه الخبز والماء الا بشدة ، فلا يستطيع أن يقتنى تعب الرهبنة لأن النفس ما لم تبصر لا تشتهى سريعا » .

سؤال : ان ارتاب فى أخ من الرهبان . أتؤثر ان اسجد له سجدة ؟

الجواب : « اسجد له سجدة واقطع ذاتك منه ، فان انبا ارسانيوس قال : « أحب الكل وأنت بعيد عن الكل » .

---

(١) الكلام فى هذا الباب عن الوحدة . ولذا نجد فيه توكيدا على عدم السكن مع الرهبان ، كما أنه يحل مشاكل الفكر بالوحدة . وهكذا كل فصل فى الكتاب يركز على نقطة .

الثبات فى الوحدة

+ حدث مرة أن جاء للقديس مقاريوس أخ جالسا فى قلايته ، فتقلقل فى الوحدة ، فلما عرفه بذلك ، قال له الشيخ : « امض ودع فكرك ، واترك الوحدة الآن واجلس فى الطاعة مع آخرين حتى يسكن العاصف » ، فمضى الى جبل السلوى ، وسكن مع الاخوة ، وبعد قليل عاد الى الشيخ ، وقال له : « ومع الاخوة ما وجدت راحة . فقال له الشيخ : « مع الاخوة لا تستريح وفى الوحدة لا تتنيح ، فلماذا لبست لباس الأجناد المجاهدين ؟ ولما سميت نفسك راهبا ، الا تتحمل الضرب والطعن والأحزان ، وأقلها الجوع والعطش . كم سنة لك فى الاسكيم ؟ » ، فقال له : « ثمان سنين » ، فقال له الشيخ : « يا ابنى ، ان لى فى الاسكيم الى يومنا هذا سبعين سنة ، لم تخل يوما واحدا من الأحزان المرة ، وأنت فى مدى ثمان سنين تريد النياح ! » (١)

فلما سمع الأخ هذا الكلام من الشيخ ، تعزى ومضى وسكن وحده ، وبدا يلبس عدة الحرب ، وأخذ بيده الترس المنيع ، أعنى الايمان الصحيح ، ووضع على رأسه خوذة الخلاص ، أى الرجاء والتصديق بما فى الكتب ، حازيا قدميه ببشارة الانجيل ، وهكذا أخذ يثبت نفسه بتدبير حسن ، حتى انحلت عنه قوة المعاند .

ــ لا يكن لك رجاء فى هذا العالم لئلا يضعف رجاؤك فى الرب .

رفض العالم

+ قال أنبا موسى الأسود :

ــ لنرفض شرف العالم وكراماته لنتخلص من المجد الباطل .

ــ لا تهتم بشئون العالم كأنها غاية أملك فى هذه الحياة ، وذلك لتستطيع أن تخلص .

ــ ابغض كلام العالم كى تبصر الله بقلبك لأن الذى يخلط حديثه بحديث أهل العالم يزعج قلبه .

ــ محبة أهل العالم تظلم النفس والابتعاد عنهم يزيد المعرفة .

ــ الذى يريد ادراك الكرامة الحقيقية عليه الا يهتم بأحد من الناس ولا يدينه ، وكلما يصلى تنكشف له الأمور التى تقربه من الله فيطلبها منه . ويبغض هذا العالم ، وهكذا فان نعمة الله تهب له كل صلاح .

ــ ان الانسان الذى يهرب من العالم يشبه العنب الناضج ، أما الذى يعيش بين مباهج أهل العالم فانه يشبه العنب الحصرم .

+ كان أخ مسرعا فى الذهاب الى المدينة ، فلما سأل شيخا مشورة صالحة ، قال له الشيخ : «لا تسرع فى الذهاب الى المدينة ، ولكن اهرب من المدينة بسرعة» .

الابتعاد عن العالم والعزلة .

+ قال البار اشعياء بصدد الابتعاد عن العالم :

« انى فى بعض الأوقات كنت جالسا بقرب القديس مقاريوس الكبير حين

---

(١) هذا الشيخ يؤكد على الثبات فى الطريق وعدم التذبذب بين الطرق .

تقدم اليه رهبان من الاسكندرية ليمتحنوه قائلين : « قل لنا كيف نخلص ؟ » .

فأخذت أنا دفترا وجلست بمعزل عنهم لأكتب ما يتحاورون به ، أما الشيخ فانه تنهد وقال : « كل واحد منا يعرف كيف يخلص ، ولكننا لا نريد الخلاص . فأجابوه : «كثيرا ما أردنا الخلاص، الا ان الأفكار الخبيثة لا تفارقنا فماذا نعمل ؟ »

فأجابهم الشيخ : « ان كنتم رهبانا ، فلماذا تطوفون مثل العلمانيين . ان الذى قد هجر العالم ولبس الزى الرهبانى وهو فى وسط العالم ، فهو لنفسه يخادع ، فمن كانت هذه حاله ، فقد صار تعبه باطلا ، لأنهم ماذا يربحون من العلمانيين سوى نياح الجسد ، وحيث نياح الجسد لا يوجد خوف الله ، لا سيما ان كان راهبا ممن يدعون متوحدين ، لأنه ما دعى متوحدا الا لكى ينفرد ليله ونهاره لمناجاة الله . أما الراهب المتصرف بين العلمانيين فهذه تصرفاته :

قبل كل شىء تكون فاتحة أمره أنه يضبط لسانه ويصوم ، ويذلل نفسه الى ان يعرف ويخرج خبره ويقال عنه : الراهب الفلانى هو عبد الله ، وسرعان ما يسوق ابليس اليه من يحضر له حوائجه من خمر وزيت وثياب ودراهم وكل الأصناف ، ويدعونه : « القديس ، القديس » .

فبدلا من أن يهرب من السبح الباطل الناتج عن قولهم له : « القديس » يتعجرف الراهب المسكين ، ويبدأ فى مجالستهم ، فيأكل ويشرب معهم ، ويستريح براحتهم ، ثم يقوم فى الصلاة ويعلى صوته حتى يقول العلمانيون ان الراهب يصلى ساهرا ، وكلما زادوه مديحا ، زاد هو كبرياء وعجرفة . فان كلمه احد بكلمة حسنة جاوبه حسنا .

ثم يكثر نظره الى العلمانيين ليلا ونهارا ويرشقه ابليس بسهام النساء ، ونشاب الصبيان ، ويلقيه فى اهتمامات عالية ويقلق وينزعج كما قال الرب : « ان كل من نظر الى امراة نظرة شهوة فقد اكمل زناه بها فى قلبه » . وان كان ينظر الى هذا القول على اعتبار انه خرافة ، فليسمع قول الرب قائلا له : « ان السماء والأرض تزولان ، وكلامى لا يزول » .

وبعد ذلك يبدأ فى حشد حاجته لسنته ، بل يجمعها مضاعفة ، ويبدأ كذلك فى جمع الذهب والفضة ، ويلقيه الشيطان فى هوة حب المال ، فان أحضر له انسان شيئا يسيرا أشاح بوجهه عنه ولا يقبله كأنه لم يأخذ شيئا ، اما ان أحضر له انسان ذهبا أو فضة أو ملبوسات أو غير ذلك مما يرضاه ، فللوقت يقبله بفرح ويعد المائدة الحسنة ويبدأ يأكل . أما البائس ، لا بل المسيح فيتلوى جوعا ، ولا يفهمه أحد . لهؤلاء قال سيدنا المسيح : « ان دخول الجمل فى ثقب ابرة ، أيسر من دخول غنى الى ملكوت الله » .

قولوا لى يا آبائى : هل الملائكة فى السماء تجمع ذهبا وفضة وتسجد لله ؟ ، فنحن يا أخوتى عندما لبسنا هذا الزى ، أترى لنجمع مقتنيات وحطاما ، أم لنصير ملائكة ؟ . فاذا كنا يا أخوتى قد هجرنا العالم ورفضناه ، فلماذا نتراخى أيضا ويردنا ابليس عن طريق المسكنة ، أما فهمتهم أن الخمر ونظر النساء والذهب والفضة والنياح الجسدى وقربنا من العلمانيين ، هذه كلها تبعدنا من الله ، لأن أصل الشرور كلها محبة الفضة ، وبمقدار ما بين السماء والأرض من البعد ، هكذا بين الراهب المحب للفضة وبين مجد الله .

نعم لا توجد رذيلة أشر من رذيلة الراهب المحب للفضة . ان الراهب الذى

يجالس العلمانيين يحتاج الى صلوات قديسين كثيرين ، أما سمعت قول الرسول يوحنا : « لا تحبوا العالم ولا شيئا مما فى العالم فمن أحب العالم ، فليست فيه محبة الله » كذلك الرسول يعقوب يقول أيضا : « من أراد أن يكون خليلا للعالم فقد صار عدوا لله » .

فلنفر نحن أيها الاخوة من العالم كما نفر من الحية ، لأن الحية اذا نهشت فبالكاد تبرأ عضتها ، كذلك نحن أيضا ان شئنا أن نكون رهبانا فلنهرب من العالم ، لأن الأوفق لنا أيها الاخوة أن تكون لنا حرب واحدة بدلا من قتالات كثيرة .

قولوا لى يا اخوتى ويا آبائى ، فى أى موضع اقتنى آباؤنا الفضائل ، أفى العالم أم فى البرارى ؟ اذن ، كيف تقتنى الفضائل ونحن فى العالم ، لن نستطيع ذلك ما لم نجع وما لم نعطش وما لم نساكن الوحوش ونموت بالجسد ، كيف نريد أن نرث ملكوت الله ونحن بين العالم ؟ لننظر الى ممالك الأرض فانه ما لم يحارب الجندى ويغلب فلن ينال الرتبة ، فكم وكم أحرى بنا أن نفعل ذلك . فلا نظن اننا نرث ملكوت السموات ونحن بين العالم فلا يوسوس لنا الشيطان أفكارا ردية هكذا قائلا : اجمع حتى تستطيع أن تعمل صدقة . لنعلم ان من لم يشأ أن يصنع رحمة من فلس واحد فلن يعمل رحمة من ألف دينار .

لا يليق بنا أن نفعل ذلك يا اخوتى ، لأن هذه الأمور هى من عمل العلمانيين ، ان الله لا يريدنا نحن الرهبان أن نقتنى ذهبا أو فضة أو ملابس أو أمورا هيولية لأن الرب أوصى قائلا : « انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تزن فى الاهراء ، وأبوكم السماوى يقوتها » ، ان الراهب المقتنى ذهبا وفضة لا يثق بأن الله قادر على أن يعوله ، وان كان لا يعوله فلن يعطيه ملكه .

ان الراهب الذى عنده حاجته وينتظر من يحضر له ، هو شريك ليوداس الذى ترك النعمة وسعى طالبا محبة الفضة .

وبولس الرسول اذ عرف ذلك ، لم يدع محبة الفضة أصل كل الشرور فحسب ، بل وسماها أيضا عبادة أوثان ، فالراهب المحب للفضة هو عابد للأوثان ، ان الراهب المحب للفضة بعيد من محبة المسيح ، الراهب الذى له فى قلايته فضة فانه يعبد ويسجد للأصنام المنقوشة ، أعنى الدنانير ، وكل يوم يذبح لها عجولا وكباشا ، باخضاع نيته وارادته لمحبة الفضة الردية ، تلك التى تفصل الراهب عن طغمات الملائكة فيا لمحبة الفضة المرة ، أصل كل الشرور ، الفاصلة للراهب من ملك السموات ، والباعثة اياه الى التعلق بسلاطين الأرض » . فيالمحبة الفضة سبب كل الرذائل ، الساحبة للسان الراهب المحب للفضة ، لأنه قد تخلى عن الوصية القائلة : « لا تكنزوا لكم ذهبا ولا فضة » .

وقد يزعم ذلك الراهب المسكين قائلا : « ان الاقتناء لا يضرنى » وهو لا يعلم انه حيث الذهب والفضة والهيوليات ، فهناك دالة الشياطين وهلاك النفوس ، والويل المؤبد . كيف يدخل التخشيع فى نفس انسان مقتن للفضة ، وقد جاء عن مصدر دعوته الى الحياة الدهرية ، خالقه ورازقه ، وصار بذلك متعبدا وساجدا لمنحوتات غير متحركة : أعنى الدنانير ، كيف يقتنى الخشوع من هذه صفته ؟ .

يا اخوتى ، ويا أحبائى كيف يكون لنا نحن الرهبان ذهب وفضة وملابس ، ولا نكف كذلك عن الجمع ، مع ان البائس لا بل المسيح جائع وعطشان وعريان ،

ولا نفكر فيه ؟ ماذا يكون جوابنا أمام السيد المسيح : وقد هجرنا العالم ، وها نحن نعاود الطواف فيه ؟

ان طقسنا ملائكى لكننا جعلناه علمانيا ، لا يكون هذا منا يا اخوتى . ايانا أن نعمله بل لنهرب من العالم ، لأنه ان كنا بالكاد نخلص فى البرية ، فكيف يكون حالنا بين العلمانيين ؟ ، فلن يكون لنا خلاص ، لا سيما والرب يقول : « من لا يهجر العالم وكل ما فيه وينكر نفسه ويأخذ الصليب ويتبعنى فلن يستحقنى » ، وأيضا يقول : « اخرجوا من بينهم وافترقوا عنهم وانا أقبلكم وأجعلكم لى بنين وبنات » .

أرأيتم عظم المنفعة من الهروب من العالم ، لأنه نافع لنا جدا وموافق ، لأن مجالس العلمانيين ليس فيها شىء سوى البيع والشراء وما يتعلق بالنساء والأولاد والزرع والدواب ، فهذه المخالطة تفصل الراهب عن الله ، فمؤاكلتهم ومشاربتهم تجلب الكثير من الضرر . ولسنا نعنى بهذا أن العلمانيين أنجاس ، معاذ الله ، لكنهم يسلكون فى الخلاص طريقا آخر غير طريقنا ، فهروبنا هو هروب من مخالطتهم ــ فلنطلب سبهم فينا أكثر من مديحهم لنا ، لأن سبهم لن يفقدنا شيئا أما مديحهم فهو سبب عقوبتنا ، فما منفعتى اذا أنا أرضيت الناس وأغضبت ربى والهى ، لأنه يقول : « لو كنت أرضى الناس فلست عبدا للمسيح » .

اذن فلنبتهل أمام ربنا قائلين : «يايسوع الهنا نجنا وانقذنا من مخالطتهم» .

(أ) وحدة السكن

+ قال القديس انطونيوس :

ــ « لا ترقد على حصيرة واحدة مع من هو أصغر منك » .

ــ « لا يرقد اثنان منكم على حصيرة واحدة » .

+ وقال القديس باخوميوس :

« لا يرقد أحدكم على مرقد ليس له ، ولا يدخل أحد منكم الى موضع رفيقه بغير رسالة أو حاجة . كى لا يجد العدو له فينا موضعا البتة » .

(ب) الزيارات

+ قال القديس أنطونيوس :

« لا تلب دعوة وليمة . واذا مضيت الى اخ فلا تبطىء فى قلايته » .

(ج) أروقة الدير

+ قال القديس أنطونيوس :

« لا تجلس فى أزقة الدير » .

(د) الأهل

+ قال القديس أنطونيوس :

ــ ان شئت أن تخلص فلا تدخل بيتك الذى خرجت منه ، ولا تبصر أبويك ولا أقرباءك الجسدانيين ، والا فانت تقيم زمانك كله بغير ثمرة .

ــ لا تعد تفتقد أهلك الجسدانيين . ولا تعطهم وجهك لينظروك .

+ **قيل عن أحد رهبان الاسقيط** ان ابنه أخذ فى خدمة سلطانه ، فكتبت أم الصبى الى زوجها الراهب أن يسأل الوالى فى اطلاقه ، فأجاب الراهب وقال للرسول : « ان هو أخلى سبيله اما يأخذون غيره ؟ » قال : « نعم » قال الراهب : « وأية منفعة من أن تفرح قلب هذه ، ونحزن قلب أخرى ؟ » .

وكان ذلك الراهب يعمل عملا متواصلا ، فكان يأخذ منه حاجته ، وما بقى بعد ذلك يفرقه على المساكين ، فلما حدثت مجاعة عظيمة ، أرسلت الوالدة ولده اليه تطلب منه أن يعطيها خبزا قليلا ، فلما سمع الراهب قال لولده ، « أما يوجد فى الموضع قوم آخرون محتاجون مثلكم ؟ » فأجابه : « نعم يا أبى كل الناس محتاجون » فأغلق الباب فى وجهه وتركه باكيا وقال : « امض يا ولدى ، والمهتم بالكل يهتم بكم » .

فسأله أحد الاخوة الشيخ قائلا : « أما يؤلمك الفكر اذا رددت هكذا ؟ فأجابه : « ان لم يكره الانسان نفسه فى كل أمر ، فما يقدر أن يقدم شيئا من الصلاح البتة » .

قال أحد الآباء :

« ان جحدت انسباءك بالجسد ، مع أمور الجسد لأجل الله ، فلا تنخدع للرحمة على والدتك أو ابنك أو أخيك أو احد انسبائك ، لأنك قد تخيلت عن هذه كلها ، اذكر ساعة موتك ، فلن ينفعك واحد منهم » .

+ **أخبر احد الرهبان** بأن اباه قد مات ، فأجاب الذى أتاه بالخبر قائلا : « كف عن التجديف ، فان أبى لا يموت » .

+ **قيل ان بعض الاخوة** كانت له والدة تقية ، فلما حدثت مجاعة كبيرة ، اخذ قليلا من الخبز ومضى اليها ، ولما كان يسير جاء اليه صوت قائلا : « أتهتم انت بوالدتك ، أم أنا المهتم بها ؟ » فميز الأخ قوة الصوت ، وخر على الأرض بوجهه قائلا : « أنت يا رب هو المهتم بنا » ونهض راجعا الى قلايته . وفى اليوم الثالث ، جاءت اليه والدته ، وقالت له : « ان فلانا الراهب أعطانى قليلا من الحنطة ، خذها واصنع لنا أرغفة لنأكل » فلما سمع الأخ بذلك ، مجد الله وقوى أمله .

+ **وراهب آخر** كان فاضلا جدا لدرجة انه كان يخرج الشياطين بصلاته وكانت له أم عجوز مسكينة ، فحدثت مجاعة عظيمة ، فأخذ الراهب خبزا ومضى ليفتقد والدته ، وبعد أن رجع الى قلايته ، أحضر أمامه مجنون فقام ليصلى عليه كعادته ، فأخذ الشيطان يهزأ به قليلا : « ماما .. ماما » .

+ **كذلك قيل** : سأل أحد الاخوة شيخا . وقال له ان أختى مسكينة فهل أعطيها صدقة ، اذ ليس لها نظير فى المساكين ؟ » قال له الشيخ : « لا » . قال الأخ : « لم أيها الأب ؟ » قال له الشيخ : « لأن الدم يجذبك الى ذلك ، أكثر من وصية المسيح » .

+ **وراهب سأل الأب برصنوفيوس** بشأن أخيه العلمانى المحتاج الى ثوب فأجابه :

« اتسألنى أيها الأخ بخصوص أخيك ؟ ، انى لا أعرف لك اخا غير المسيح فان كان لك اخوة فاعمل معهم ما شئت ، فانا ليس لى كلام ، لأنه ان كان الرب

نفســه قال : « من هى أمى ومن هم اخــوتى ؟ » فماذا أقول أنا لك ؟ هل تطرح وصية الرب وترتبط بمحبــة أخيك حتى ولو كان مفتقرا الى ثوب وان كنت قد ذكرت أخاك ، فلم لم تتذكر المساكين الآخرين ، لا بل لم لم تذكر القائل عن نفسه : « انى كنت عريانا ولم تكسونى ؟ » ولكن الشــياطين تلاعبك بل وتذكرك أيضــا بأولئك الذين كنت قد جحدتهم لأجل المسيح ، لكيما تظهر مخالفا لأوامره » .

+ **كان لأحد الرهبــان** أخ علمانى وكان يواســيه فى عمله وبقــدر ما كان يواسيه ، كان ذلك يفتقر أكثر ، فمضى الراهب وأخبر بعض الشــيوخ فقال له الشيخ : « ان سمعت منى ، فلا تعد تعطيه شيئا بعد ، بل قل له : لما كان لى كنت أعطيك ، أما الآن فبقــدر ما تيسر لك هات انت لى . وكل ما يأتى به اليك اعطه للمساكين واسألهم أن يصلوا من أجله » .

فلما جاءه أخوه العلمانى ، قال له كما أعلمه الشيخ . فمضى من عنده كئيبا ، وفى اليوم الثالث ، أحضر له من تعبه قليل بقل ، فأخذه الراهب وأعطاه للشيوخ وسألهم أن يصلوا من أجله . ولمــا جاء ثانى مرة أحضر له بقولا وثلاث خبزات ، فأخذها الراهب وعمل مثلما عمل أولا . ولما جاء لثالث مرة ، أحضر له أشــياء ذات ثمن كنبيذ وسمك ، فلما رأى الراهب ذلك تعجب واستدعى المساكين وأطعمهم وقال لأخيه : « هل انت محتــاج الى قليــل من الخبز فأعطيك ؟ فقال له ذاك : « لا يا أخى . لأنى لما كنت آخذ منك شيئا . كان كأنه نار يدخل الى بيتى فتأكله وكأنه هباء تأخذه الريح فلا أجده ، ومنذ ان توقفت عن أن آخــذ منك شــيئا ، بارك الله لى » .

فمضى الراهب وأخبر الشيخ . بكل ما جرى فقال الشيخ : « ان متاع الراهب هو نار ، أينما دخل أحرق » .

(هـ) الصبيان

+ **قال انبا انطونيوس :**

« لا تتحــدث مع صبى ، لا تصادقه البتة ولا تعــاشره بالجملة ولا ترهبنة بسرعة . واذا حدثت عثرة بسبب شاب لم يلبس الاســكيم بعد فلا ترهبنه بل اخرجه من الدير بسرعة » .

+ **قال شيخ :**

« لا تصادق صبيا ولا تخاطبه ولا تبغض انسانا » .

« ان فخ الشيطان بالنسبة للرهبان هم الصبيان أكثر من النساء » .

+ **قال أنبا بيمين :**

« ان سكن انسان مع شاب ، فانه فاعل خطية ، لأن معاشرة الشباب معصية فاحذرها » .

+ **وقال ابو يحنس :**

« كل من اجتمع أو تكلم مع صبى فهو زان بفكره » .

+ **وقيل ايضا :**

« كن ملازما للشــيوخ الروحانيين ، وتعلم سيرتهم وابعــد عن الأحــداث والصبيان » .

+ **قال أنبا باخوميوس :**

« لا تصادق صبيا وان كنت غريبا فاعتكف ولا تدخل عند أحد ولا تختلط بصنائع الدنيا » .

+ **قال الشيخ الروحانى :**

«المحبة المفرزة للصبيان، هى زنى سمج أمام الرب، ولايوجد جبر لانكساره . شاب يصاحب شابا ، فليبك عليهما ذوو الأفراز . والشيخ الذى يحب صحبة الصبيان ، اعلم ان أوجاعه أنجس من الصبيان النجسين ، وان كان يكلمهم بالأعاجيب لكن قلبه بالحماة غارق ، يا أخى ، ان عشت للعالم ، فسوف تصبح حيا للعالم . واحد بواحد ، فان اثنين لا يوجدان مثل الكلمة الذى له المجد الى الأبد آمين » .

(و) العلمانيون

+ **قال أنبا انطونيوس :**

« لا تخالط علمانيا بالجملة » . .

(ز) الرؤساء

+ **قال أحد الرهبان :** « لا تتعرف بالرئيس ولا تتملقه ، لئلا يحصل لك من ذلك دالة ، فتشتاق للرئاسة » .

+ **وقال آخر :** « لا تصادق رئيسا » .

(ح) الأصحاب والجيران

+ **قال مار اسحق :** « من مات بقلبه عن أصحابه ، فقد مات المحتال عنه » .

+ **سأل أخ أنبا موسى : قائلا :** « كيف يبتعد الانسان بنفسه عن جاره ؟ قال له الشيخ : ما لم يضع الانسان فى قلبه انه قد صار فى القبر منذ ثلاث سنين، فلن تكون له القوة الكافية لحفظ هذا القول » .

(ط) الاخوة غير الحكماء

+ **قال مار اسحق :**

ـ صديق غير حكيم يشبه سراجا فى شمس ، ومشير أحمق كضرير مرشد .

ـ حالة تفتت القلب هى مجالسة غير الحكماء اذ انها فخ مخفى .

ـ صديق جاهل هو ذخيرة خسارة . مشاهدة النادبات فى منزل البكاء افضل من رؤية حكيم تابع لأحمق .

(ى) الاخوة المنحلون

+ **قال مار اسحق :**

ـ لا تكن صديقا لمحب الضحك والمؤثر أن يهتك الناس ، لأنه يقودك الى اعتياد الاسترخاء .

ـ لا تظهر بشاشة فى وجه المنحل فى سيرته ، وتحفظ من أن تبغضه .

ـ عبس وجهك لدى من يبدأ فى أن يقع فى أخيه قدامك ، فانك ان فعلته هكذا ، تكون متحفظا لدى الله تعالى ولديه .

(ك) الاخوة المتعظمون

+ **قال مار اسحق :**

ـ جالس المجذومين ولا تجالس المتعظمين .

ـ العادم من الأصدقاء المغرورين ، عادم من الضنك . .

(ل) النساء

« لا تقرب اليك امرأة ، لا تأكل معك ولا تدعها تدخل منزلك فالغضب يمشى خلفها » .

+ **قال مار اسحق :**

« عفة ومحادثة مع امرأة ، كلبؤة وخروف فى بيت واحد » .

+ **قال القديس باخوميوس :**

ـ لا تحادث امرأة ولا تدخل عندها ، لأن الحديد اذا وقع على الحجر قدح نارا.

ـ لا تسكن حيث توجد امرأة لأن هوة الهلاك كائنة فى شفاهها . وان تملقك الجسد قائلا : « اننا منذ زمان طويل قد تحنكنا بالتجربة ، أو اننى قد صرت ضعيفا أو عجوزا أو أن الحزن والصوم قد أذلنى » .

فاياك أن تغتر به لأن الاعداء داخله يكمنون لك . لئلا يحلقوا شعر رأسك (أى أفكار عقلك) فيفارقك روح الله وتضعف قوتك فيأتى الغرباء ويربطونك ويذهبون بك الى موضع الطحن حيث تصبح أضحوكة والعوبة فيقلعون عينيك ويصيرونك أعمى لا تعرف طريق الخلاص . ولا تنفك من أسرك حتى تموت عند الغرباء بحزن عظيم .

فالآن يا بنى استيقظ واعرف مواعيدك واهرب من القاسى القلب الغاش لئلا يقلع عينى عقلك . تحفظ من الزنى واذكر العذاب المعد للدنسين . اهرب من مصر ولا تشرب مياها من جيحون التى هى الأفكار العاهرة .

+ **قال أنبا بنيامين :**

كما ان الملح من الماء يخرج وفى الماء ينحل ويذوب ، كذلك الرجال من النساء يخرجون ، ومن النساء يهلكون .

+ **قال ابرام تلميذ شيشاى لأبيه :**

« يا أبى ، انك قد كملت وأرضيت الله ، فامض بنا الى قرب العالم قليلا » .

فقال الشيخ : « ابحث لنا يا ابنى عن موضع لا يوجد فيه امرأة فنمضى اليه »

قال له التلميذ : « وأى موضع يوجد خاليا من امرأة غير البرية ؟ » .

قال : « فاحملنى يا بنى وادخل بى الى داخل البرية » .

+ وقيل أيضا : ان أحد رؤساء ديارات البرية نزل فى بعض الأيام ، قاصدا المدينة ، فوجد طفلا ملقى على جانب الطريق ، فأخذه الى الدير ورباه على (لبن) شاة ، حتى كبر ولم يكن يعرف سوى الرهبان ، وحدث ان خرج الرئيس مرة لقضاء أمر ما ، فأخذه معه ، وبينما هما يمشيان فى الطريق ، اذا بمواش ترعى ، فلما رآها الغلام قال لمعلمه : « ما هى هذه الأشياء يا أبى ؟ » .

فقال له : « هذا بقر ، وتلك جمال ، وهذه حمير ، وهذا كذا . . » ، وهكذا استمر الغلام يستفهم من معلمه عن كل شيء يبصره ، حتى لقيتهما جارية ، شابة ، جميلة ، فقال الغلام : « ما هذه يا أبى ؟ » .

فقال له : « هذه هى الشيطان » ، فلما قضيا حاجتهما ، ورجعا الى الدير ، سأل الشيخ الغلام قائلا : « ماذا أعجبك يا ابنى من كل ما رأيت ؟ » فقال الغلام : « لم يعجبنى شيء الا الشيطان وحده » .

فلما سمع الشيخ تعجب كيف ان المراة تفتن حتى الذين لا يعرفون شيئا » .

(م) الاحتراس بالأعضاء والحواس من الدالة

+ قال القديس باخوميوس :

ـ لا يرافق أحدكم الآخر لقضاء الحاجة معا فى مكان واحد .

ـ لا يمسك أحد منكم يد رفيقه أو يلمس أى شيء من جسده من غير أمر ضرورى الا فى رجل مريض أو فى حالة وقوع أحد فيساعده آخر حتى يقوم ، ويحتاج الأمر حينئذ أن يمسكه حتما ويلمسه . على أن ذلك أيضا يكون بحرص وحذر » .

ـ لا يجلس أحد منكم مع رفيقه فى متكأ فى عزلة ليتهامسا معا بل كونوا بعيدين بعضكم عن بعض قليلا حين الكلام مع بعضكم البعض .

(ن) الالتصاق بالأطهار والعمالين

+ قال مار اسحق :

« محادثة الفضلاء والمشير الحكيم سور رجاء » .

+ قال أنبا باخوميوس :

« اذا ضعفت عن أن تكون غنيا بالله فالتصق بمن يكون غنيا به لتسعد بسعادته وتتعلم كيف تمشى حسب أوامر الانجيل . فاذا أحببت الأطهار فانهم يكونون لك أصدقاء ومعهم تصل الى مدينة الله المملوءة نورا » .

+ قال شيخ :

« اذا أقام راهب عمال فى موضع مع رهبان غير عمالين ، فانه لا يفلح الا اذا ضبط نفسه ، ولم يرجع الى الوراء ، ويكون بذلك مستحقا جزاء صالحا ، أما الراهب البطال ، الذى يقيم بين مجاهدين فان انتبه ، فانه يمشى الى قدام ، ولن يرجع الى وراء .

+ وقال آخر :

« من اجتمع باخوة عمالين ، فلو كان غير عمال فان لم يتقدم الى قدام ، فلن يتأخر الى وراء ، كذلك من يجتمع بأخوة متهاونين فلو كان عمالا فان لم يخسر فلن يربح . الساقط فلينهض لئلا يهلك ، والقائم فليتحفظ لئلا يسقط .

+ وقال شيخ :

اذا انت مشيت مع رفيق صالح من قلايتك الى الكنيسة ، فانه يقدمك ستة اشهر ، واذا أنت مشيت مع رفيق ردىء من قلايتك الى الكنيسة فهو يؤخرك سنة .

الفصل الثالث

تدبير الروح

١ - لزوم الجهاد الروحى
٢ - الصلاة
٣ - التوبة
٤ - الاتضاع
٥ - الصوم
٦ - الاحتمال
٧ - الهدوء

أولا

لزوم الجهاد الروحي

الجهـــــــــاد ..

المجـــــــــاهد ..

الحرارة فى العبـــادة ..

تكوين العـــــادة ..

اقتنـــــــاء الفضيلة ..

ولماذا نحب الفضـــائل ..

الجهاد ضد الشياطين ..

العمـــــل والمثابرة ..

المعـــرفة الاختبارية ..

اكليل الجهـــاد والثمار ..

الجهادُ

+ **قال أنبا ارسانيوس :**

- « لا تبرح مكانا بدون جهاد كبير ، ولا تأت شرا تشتهيه ، ولا تعمل شيئا الا حسب كلمة الله » .

- « ان طلبنا الله فانه يظهر لنا ، واذا امسكنا به فانه يبقى معنا » .

+ **وقال القديس مقاريوس الكبير :**

- « جاهد فى كل انواع الميتات ، فى ميتوتة الجسد ، أى انه ان لم تكن لك ميتوتة الروح فجاهد فى ميتوتة الجسد ، وعندئذ ستعطى أيضا ميتوتة الروح . وهذا النوع من الموت سيجعلك تموت عن كل انسان ، وبعدئذ ستحصل على امتياز كونك مع الله فى سكون على الدوام » .

« انت عبد الله فلا تعمل لغيره ، ولا تتكل على غيره ، ولا تدع غيره » .

- « ان نيات الناس مختلفة حتى انه يمكن لانسان بنية نشيطة وحارة أن يتقدم فى ساعة واحدة ما لا يمكن لغيره أن يتقدمه فى خمسين سنة اذا كانت نيته متوانية » .

- « واذ قد علمت انك ستأتى للدينونة فاسع فيما يخلص نفسك منها . أذكر الموت وتأهب لموافاته » .

- « من يريد أن يأتى الى الله ليستحق الحياة الدائمة وليكون مسكنا للسيد المسيح ويمتلىء من الروح القدس ، ينبغى عليه أولا أن يكون مؤمنا ايمانا ثابتا بالله وأن يتفرغ لعمل وصاياه ، ويرفض العالم بالكمال ، فاذا كان عقله مشغولا بشىء مما يرى ، فحينئذ عليه أن يلازم الصلاة ويكلف نفسه بالقيام بكل عمل صالح ، وان كان قلبه لا يريد أما بسبب قتال أو لتأصل عادة رديئة أو لعجز وقلة صبر فليجاهد ليختطف ملكوت السموات ، لأن الغاصبين يختطفونه . وليحرص أن يدخل من الباب الضيق ويسير فى الطريق الكربة الموصلة الى الحياة الأبدية ، ويجعل الله بين عينيه دائما أبدا مداوما على عمل ما يرضيه وحده ، فاذا درب الانسان نفسه على أن يتعود ذلك ذاكرا الرب دائما مترجيا اياه بشوق كثير ، — فحينئذ يخلصه الرب من الأعداء ومن الخيطة الساكنة فيه ويملأه من نعمة الروح القدس . وهكذا يستطيع أن يعمل الفضائل بالحقيقة بدون تعب ولا تكلف لأن الرب يعينه » .

+ **وقال مار اسحق :**

- « من كانت طرق سيرته منحلة فى كل وقت فان ضميره بعيد عن الله » .

- « لا تحب التهاون ، لئلا تحزن نفسك فى قيامة الصديقين » .

- « اذا كنت مجاهدا قبالة وجع ما ، فلا تنحل ، بل الق بنفسك قدام الله

من كل قلبك ، وقل : « أعنى يا رب أنا الشقى ، فانى لست قادرا ان اقف قبالتهم ، والله يعينك » .

ـ « طوبى لمن أجهد نفسه دائما فى طريق الله لأنه يصير من ذات الجنس الحقير مناسبا للجنس العظيم الشريف المعقول » .

ـ « الجهاد هو مغنى الفقراء ومكرم المرذولين » .

ـ « الجهاد هو مبدأ طريق الوحدة وبه يسعد النشطون فى طريق ملكوت الله ، فيتوجون بالتيجان من القوى القاهر . وان كنت تسأل وتقول : الى اين ولأى حد أجاهد . فانى أقول لك : الى درجة الموت ، جاهد من أجل الله . اجهد نفسك فى صلاة الليل وزدها مزاميرا ، لأن لك رجاء عظيما ومعونة فى الجهاد من أجل الله » .

ـ « حلاوة الكلام من غير أعمال لا تنفع ، لأنه اذا ما انتقل عنها الانسان يخزى بالأكثر ، كما انه لا يمكن أن يشرب الشاب الخمر ولا تفوح رائحته من فمه ، هكذا لا يستطيع الانسان أن يؤهل للنياح الروحانى بتدبير سيرته ، ولا تظهر مغايرات أموره لحكماء القلب . ان الذى قبل الزرع السمائى مغاير بكلامه ، ومغاير بضميره ، ومغاير بسيرته ، ومغاير بحواسه ، ومغاير فى كل شىء لبقية الناس وهو كانسان كان نائما وانتبه من نومه » .

ـ « ان الراحة والبطالة هلاك للنفس ، وهما يؤذيان أكثر من الشياطين » .

ـ « الطبع المخلوق الميال ، اذا بطل من العمل اليمينى ، لا يثبت هادئا . بل يرجع الى الأمور اليسارية » :

« البطال من الاهتمام بالفضيلة ، والسير بها ، بتخيل الخطية يهذى . ذاك الذى لا يريد أن يعمل البر ، فيضطر أن يفعل أفعال الاثم . كما أنه لا يمكن أن نتعلم الصنائع من حكمة الكلام ، هكذا لا يمكن أن نتعلم الفضائل التى للسيرة من قراءة الكتب ، وحدة الحركات ، ودقة الفهم من دون تجربة طويلة بذواتنا ، نستطيع بهما احتمال فلاحة الأعمال » .

+ قال أحد القديسين :

ـ « النسيان هو هلاك النفس وينتج من التهاون .. الذى يكلف نفسه فى كل شىء ينجح » .

+ وقال شيخ :

ـ « اذا تمكنت النفس فانها تزداد قوة على قوتها ، كالجلود التى تدبغ وتداس وتبيض وتجفف » .

+ وقيل أيضا :

« كما أن الذى يصفى الذهب ، اذا كان يحمى النار ويشعلها حينا ، ثم يخمدها ويطفئها حينا آخر ، لا ينتفع ، كذلك الراهب اذا كان يحرص مرة ويسترخى أخرى » .

+ وقالت الأم سارة :

« جهاد عظيم وتعب يلقى المتقدمين الى الله فى البداية ، وبعد ذلك فرح لا ينطق به ، كمثل الذين يلتمسون أن يوقدوا نارا ، ففى أولها تدخن وتدمع عيونهم ، وفيما بعد ينالون المطلوب ، ولأنه قد قيل ان الهنا نار آكلة ، فلنسكب دهن العبرات لتشتعل النار الالهية داخلنا » .

+ من أقوال مار افرام :

— « اذا ضرب البوق يستعد الجيش للحرب ، ولكن فى أوان الجهاد لا يكون الكل محاربين . كثيرون رهبان بزيهم ، وقليلون هم المجاهدون . فى وقت التجربة يظهر تدريب الراهب وخبرته . الطبيب الحاذق من تجربة الآلام صار مدربا » .

— « الراهب العاجز لا ينفع لا لذاته ، ولا لقريبه ، والغير العاجز يستنهض المتوانين جدا الى الفضيلة » .

+ سئل مرة مار اسحق :

« ما السبب فى أن فعل الرجاء لذيذ ، وتعبه خفيف ؟ » .

أجاب : « ذلك لسبب الاشتياق الطبيعى ، الذى يستيقظ فى النفس ، ويسقيها كأس الرجاء ويسكرها ، ومن تلك الساعة ، لا يحس ذوو الرجاء بتعب أبدا ، بل يثبتون غير شاعرين بالضوائق ، وفى كل ما جرى فى سيرتهم ، يظنون كأنهم فى الجو سائرين بغير أقدام بشرية ، ولا تظهر لهم صعوبات الطريق وبخشونتها ، فلا أمامهم أن هناك أودية أو روابى أو أكوام ، بل حتى الوعر قدامهم يكون سهلا ، والصخر كأرض لينة ، لأنهم فى كل وقت ينظرون الى حضن أبيهم ، والأمل يشير أمامهم كمثل الاصبع ، ويريهم الأشياء البعيدة الغير مرئية ، كما لو كانت قريبة ، ملاحظين بعين الايمان الخفية ، لأن جميع أجزاء النفس تسخن مثل النار بشوق الأمور العتيدة ، والى هناك يمدون لواحظ أفكارهم ويسرعون الى البلوغ اليها ، واذا ما اقدموا على عمل واحدة من الفضائل فانهم لا يعملونها بالتدريج بل بالتمام مرة واحدة ، فانهم فى الطريق الالهية لا يسيرون مثل باقى الناس ، لأنهم اختاروا سبلا قاطعة » .

انهم أفراد من الجبابرة والشجعان ، أولئك الذين قدروا على السير فيها ، لأن سعيهم بالتجبر والحرص ينتهى ، لأن الرجاء يشعلهم مثل النار ، فلا يقللون من سرعة جريهم بسبب فرحهم ، ويعرض لهم مثل ما قال أرميا النبى : « انى قلت لا أعود أذكره ، ولا أنطق باسمه ، وصار فى قلبى كمثل النار المتقدة ، وأشعل عظامى » ، كذلك تكون قلوب الذين يجرون برجاء الله حتى يدركوا الحياة الأبدية » .

+ قال القديس برصنوفيوس :

« لا تنم يا أخى ، لئلا يفوتك القائل : « هوذا الختن قد أقبل ، اخرجن للقائه » ، وكيف تستطيع أن تقول فى ذلك الوقت : انى مشغول . وهو قد صيرك بلا هم ، ولكنك تلقى بنفسك فى الهموم ، فلن ينتظرك الزمان لتنوح على

خطاياك ، انتقل بفكرك من هذا العالم البطال الى العتيد ، أترك الأرضيات واطلب السماويات ، مت بالكمال لكى تحيا بالتمام بالمسيح يسوع ربنا . كل من لا يحتمل الاحتقار والتبكيت والاهانة ، فان الانسان العتيق لا زال حيا فيه بعد . ان أردت أن تتلذ بنعم الله ، احرص بكل جهدك على أن تبعد عنك كل لذة جسدية » .

+ وساله أخ :

« قدسك قال لى هوذا خطاياك قد غفرت وأنبا أشعيا قال : ما دام الانسان يجد فى قلبه لذة الخطية فلم يحظ بعد بغفرانها ، وانى الى الآن أحس بلذاتها ، لذلك أظن أنها لم تغفر لى بعد فأحزن . وفكرى يحدثنى قائلا : ان الله خذلك . لأن قتال الزنى قد ثقل على طوال هذا الاسبوع » .

أجابه القديس برصنوفيوس :

« لقد قلت لك ان خطاياك القديمة قد غفرت ، أتراني قلت لك ان قتالات العدو قد بطلت ؟ فالراهب قائم فى صف الجهاد . ولو لم يكن لك خطايا ، فالشيطان يجلب لذة الخطية بالفكر .

« أما ما قاله لك أنبا أشعياء فهو عن فاعليها المتلذذين بعملهما ، لأن ذكر حلاوة العسل شيء ، وتذوق حلاوة العسل شيء آخر ، حتى أن الذى يتذكر لذة الخطية ولا يفعل ما يتعلق باللذة ، بل يجاهد فى سبيل ابعادها عنه فذلك هو الذى غفرت له خطاياه القديمة . ومن خيالات الشيطان انه يقول لغير المتمكنين ان خطاياكم لم تغفر ، وذلك ليقطع رجاءهم ، فتحفظ من ذلك .

« أما عن قتال الزنى ، فيحتاج الانسان ازاءه الى جهاد واتضاع فبلا تعب واتضاع لن يخلص أحد . أما من جهة الخذلان فالله لا يخذلنا ، فما لم نتخل نحن عن محبته أو نحيد عنه ، فهو لا يتخلى عنا ، اذ أن مشيئته هى أن نلجأ اليه ونخلص » .

+ قصة :

كان انسان يريد أن يترهب ، وكانت أمه تمنعه ، ولم يزل يلح عليها قائلا : « أريد أن أخلص نفسى » ، حتى توفيت أمه بعد قليل ، فمضى وترهب ، وصار متوانيا فى رهبنته ، فحدث أنه مرض جدا ، وخطف عقله الى موضع الدينونة ، فرأى أمه مع الذين يعذبون ، ولما رأته قالت : « ما هذا يا ولدى ، وكيف جئت الى هنا ، وأين قولك : أريد أن أخلص نفسى . فبقى حائرا ولم يعلم كيف يجيبها . فرجع الى نفسه وقام من مرضه ، وعلم ان الله الرحيم قد افتقده ونبهه ، فحبس ذاته فى قلاية بسيطة ، وجلس يهتم بخلاص نفسه ، بالتوبة والبكاء على ما سلف من توانيه ، حتى كان الآباء يطلبون اليه أن يكف عن البكاء قليلا ، فكان يجيبهم : « ان كنت لم أحتمل تعيير أمى ، فكيف يكون حالى اذا وقفت قدام المسيح بحضرة الملائكة يوم الدينونة . أيمكننى أن أحتمل ذلك الخزى المعد للخطاة ؟ » .

+ وقيل عن اخ آخر كان ساكنا فى دير : انه من شدة القتال كان يسقط فى الزنى مرارا كثيرة . فمكث يكره نفسه ويصبر كيلا يترك اسكيم الرهبنة ، وكان يصنع قانونه وسواعيه بحرص ، ويقول فى صلاته : « يا رب انت ترى شدة حالى

وشدة حزنى ، فانتشلنى يا رب ان شئت انا أم لم أشأ . لأنى مثل الطين ، أشتاق وأحب الخطية ، ولكن أنت الاله الجبار اكففنى عن هذا الجنس ، لأنك ان كنت ترحم القديسين فقط فليس هذا بعجيب ، وان كنت تخلص الأطهار فقط فما الحاجة ، لأن أولئك مستحقون ، ولكن فى أنا الغير مستحق يا سيدى أرى عجيب رحمتك لأنى اليك أسلمت نفسى » .

وهذا ما كان يقوله كل يوم ، أخطأ أو لم يخطىء ، فلما كان ذات يوم وهو دائم فى هذه الصلاة ، أن ضجر الشيطان من حسن رجائه وشدة عناده معه ، فظهر له وجها لوجه وهو يرتل بمزاميره . وقال له : أما تخزى أن تقف بين يدى الله بالجملة وتنطق اسمه بفمك النجس ؟ فقال له الأخ : « ألست أنت تضرب مرزبة وأنا أضرب مرزبة ؟ انت توقعنى فى الخطية ، وأنا أطلب من الله الرحيم أن يتحنن على ، فأنا أضاربك على هذا الصراع حتى يدركنى الموت ، ولا أقطع رجائى من الهى ، ولا أكف من الاستعداد لك ، وستنظر من يغلب : انت أم رحمة الله » . فلما سمع الشيطان كلامه قال : « من الآن لا أعود الى قتالك ، لئلا أسبب لك آكلة (نخرا أو سوسا) فى رجائك بالهك » ، وتنحى الشيطان عنه من ذلك اليوم ، ورجع الأخ الى نفسه وأخذ ينوح ويبكى على خطاياه السالفة ، فاذا كان الفكر يقول له : نعما لأنك تبكى . فكان يجيب فكره بذكر خطاياه . واذا قال الفكر له : أين تذهب لأنك فعلت خطايا كثيرة ؟ . يقول : « الرب يفرح بحياة الميت ورجوع الضال » .

+ **قيل عن انبا قاسينوس** : انه أخذ مرة تليسا، ومضى الى الاندر(١) مع الحصادين وقال لصاحب الأندر : أعطنى قمحا . فقال له : لماذا لم تأت لتحصد ، فكنت تستحق أن تأخذ » ؟ . فقال له الشيخ : هل اذا لم يحصد الانسان لا يأخذ كراء (٢) ؟ فأجابه : لا يأخذ . فما كان من الشيخ الا أن انصرف ، فقال له الاخوة الذين عاينوا ما حدث : لماذا فعلت هكذا يا أبانا ؟ . فقال لهم : سنة صنعتها لنفسى وهى : « ان لم يعمل الانسان ويتعب ، فلن يأخذ أجرة من الله » .

+ **وقيل عن شيخ** : انه كان جالسا فى البرية سنين كثيرة ، وكان يتعب نفسه بأتعاب كثيرة ، فلما رآه الاخوة هكذا ، قالوا له : لماذا تعانى هذه الأتعاب الكثيرة فى هذا الموضع القفر ؟ . قال لهم الشيخ : هل رأيتم عذاب جهنم ؟ . قالوا : لا . فقال لهم : « اغفروا لى ، فان هذا التعب جميعه الذى نكابده ههنا ، لا يعادل عذاب يوم واحد فى جهنم » .

+ **سأل أخ أنبا أرسانيوس** أن يقول له كلمة فقال الشيخ : « جاهد بكل قوتك ، واحيا حياة النسك ، وعملك الخفى الذى فى داخلك الذى تؤديه من أجل الله سوف يقهر أوجاعك الخارجية » .

وسأل بعض الاخوة أحد الشيوخ عن تفسير قول **القديس ارسانيوس** فقال : « فى هذه الحالة يسمى **أرسانيوس** أتعاب الجسد أوجاعا لأن الأتعاب يطلق

(١) البيدر (٢) أجرة

عليها أيضا « أوجاع » ، لأنها تضايق الذين يكدون وتجعلهم يشعرون بالتعب حسبما قاله **القديس مقاريس :** « اقمع نفسك بالآلام والأتعاب من كل نوع من أنواع النسك » وهذا ما قاله **أنبا ارسانيوس** لهذا الأخ .

اعمل الصلاح بكل قوتك واشتغل بأتعاب العقل أكثر من أى نوع من أنواع الأعمال الأخرى الجسدية ، لأن أعمال الجسد تغرى وترضى شهوات الجسد أما أعمال العقل أعنى الفكر الذى فى الله ، والصلوات الدائمة ، واخضاع الفكر بالاتضاع فهى تحرر الانسان من كل الآلام وتقهر الشياطين وتنقى القلب ، وتصير المحبة كاملة ، وتجعل الانسان مستحقا لاعلانات الروح .

+ وفى احدى المناسبات عندما رأى أحد الآباء **أنبا بيمين** يصب ماء على قدميه قال **أنبا أسحق لأنبا بيمين** كمن له مطلق الحرية فى الحديث أمامه : « كيف يكون هذا ؟ فبينما يدرب الآباء انفسهم على أتعاب شاقة ، وأعمال نسك عظيمة حتى انهم قمعوا أجسادهم نراك تغسل قدميك ؟ » .

أجاب أنبا بيمين : « اننا لم نتعلم أن نكون قاتلين لأجسادنا وانما قاتلين لشهواتنا » .

المجاهد

+ **قال بعض الشيوخ :**

« ينبغى للمجاهد أن يبغض كل المفرحات التى للعالم ، ويقاتل الأوجاع واللذات ، ويقضى حياته كلها بالتحفظ ، ويطلب محبة الله ورضاه ، ويكون دائما كل حين حذرا من عاداته القديمة ، مبتعدا منها ، لا سيما الأفعال الرديئة ، وكل الاهتمامات الجسدية والكلام والسمع ، وليبتعد أيضا من الشبع ، وليس الشبع من الأطعمة اللذيذة والشراب فقط ، بل ومن الخبز والماء ، ومن كل امتلاء ، وليكن أكله بقدر ، وفى وقت الصلاة يجمع عقله كمن هو قائم بين يدى الله ، لأنه فى ذلك الوقت يحتاج الى أن يجمع فكره لله بلا طياشة ، ويتمم خدمته وذبيحته الروحية ، ولا يغفل عن ذكر الرب وتلاوة المزامير فى كل حين ، لأنه بهذا تعتق النفس من الأفكار السيئة ، وليكن مبتعدا عن كل حديث ، ونظر ، وعمل ليس فيه ربح ، وكل ما يعمله ، ويتكلم به يكون لتسبيح الله لا ليرائى الناس ، ولا يفرح بفرح الناس ، ولا يسر بكثرة المقتنيات » .

+ **وقال شيخ :**

« كما أن الفارس اذا خرج للقتال لا يهتم بأحد من الناس ، ولا يفكر ان كان هذا قد طعن أم ذاك ، أو ان كان هذا قد خلص أو ذاك ، وانما الهدف الأول الذى يضعه نصب عينيه هو كيف ينتصر ، هكذا ينبغى أن يكون الراهب » .

+ **وقيل أيضا :**

« اذا لم تتحرك الأوجاع على الانسان ، فلن يكون مجربا » .

+ **وحدث مرة أن سأل أنبا يوسف الآب سيصوى قائلا :**

« كم من الزمان يحتاج الانسان لقطع الآلام ؟ » .

أجابه الشيخ : « فى اية ساعة تتحرك الآلام ، ففى الحال اقطعها » .

+ **سأل أنبا موسى الأنبا سلوانس :** « هل يمكن للانسان أن يبدأ كل يوم ؟ » .

أجابه : ان كان مجاهدا فان فى استطاعته أن يبدأ كل يوم » .

+ **ومرة سمع أنبا اسحق** صياح ديك فقال **لأنبا بيمين** : هل يوجد دواجن هنا يا أبى ؟ » .

اجابه قائلا : « لماذا تجبرنى أن اتحدث اليك يا اسحق ؟ الذين يشبهونك فقط هم الذين يسمعون مثل هذه الأصوات ، أما المجاهد فلا يشغل نفسه بمثل هذه الأمور » .

أ - الحرارة في العبادة

« حارين فى الروح - عابدين الرب »

+ قال القديس يوحنا القصير :

ان أحد الرهبان رأى بالنظر المعقول ثلاثة رهبان وقوفا على شاطىء البحر ، فجاءهم صوت من الشاطىء الآخر قائلا : « خذوا لكم أجنحة من نار وتعالوا الينا » فاثنان منهم أخذوا أجنحة نارية وطارا بها الى الجانب الآخر ، أما الثالث فصار يبكى ويصرخ نائحا ، وفى آخر الوقت أعطى أجنحة لكنها عديمة القوة وبصعوبة كان يطير ثم يعود فيسقط ، وينهض ثم يعود فيغرق وهكذا حتى وصل الى الجانب الآخر بعد تعب عظيم ، هكذا يكون عمل هذا الجيل ، فان كان قد أخذ أجنحة لكن نار الروح ليست فيها ، وبذلك تجدها قد عدمت قوة روح الله .

+ وقيل أيضا :

« جيد للراهب أن يعيش مثلما عاش **أنبا أرسانيوس** فاحترسوا أيها الاخوة لكى تقفوا أمام الله بلا لوم وان تقتربوا اليه بالدموع مثل المرأة الخاطئة وتضرعوا للرب الاله باعتباره واقف أمامكم لأنه قريب ويرعانا باهتمام » .

+ كان رجل راهب رومى فى **دير ثيؤدوسيوس** قرب الأردن . اسمه **« اخرسطوفورس »** فصنع أحد الرهبان مطانية وقال له : اصنع محبة يا أبى واخبرنى بعملك وإنت شاب . فعلم الشيخ انه يطلب ذلك لمنفعة نفسه . **فقال له :** أخبرك يا ابنى اننى كنت فى حرارة أول ما ترهبت وكنت أذهب فى الليل الى مغارة الأب القديس **ثيودوسيوس** لأصلى وكان لها ١٨ درجة فكنت أعمل على كل درجة مائة مطانية . فاذا بلغت الى أسفل المغارة صنعت أيضا مطانيات كثيرة وأصلى الى ضرب الناقوس . وبعد ذلك كنت أعمل القانون مع الآباء . فبقيت على هذا مدة عشرين سنة فى صوم وتعب ومسكنة وطاعة ..

وفى بعض الليالى وقد أتممت المطانيات ، فبلغت الى أسفل المغارة كأننى قد سبى عقلى . ونظرت الى أسفل المغارة ، واذا قناديل بعضها مضىء وبعضها مطفأ ورجلان لباسهما أبيض يسرجان تلك القناديل .. فسألتهما عن خبر تلك القناديل . فقالا : فى هذه القناديل الآباء فقلت ولم بعضها منطفىء وبعضهم مضىء . فقالا : كل من أحب أخاه فقنديله يسرج .

فقلت لهم : اصنعوا محبة من أجل الله وأخبرونى أيهما قنديلى ، وهل يسرج أم لا . فقالا لى : صل وأحب ونحن نسرجه .

فقلت لهم وأيضا أنا احتاج أن أصلى فأى شىء عملى الى هذه الغاية .

وبعد ذلك تنبهت ورجعت الى نفسى . ولم أر أحدا . فقلت لنفسى . اخرسطوفورس : ان كنت تريد الخلاص فأنت محتاج الى نقاوة وتعب . ولما أصبحت توجهت الى طورسينا وليس معى الا الثياب التى على . فأقمت هناك خمسين سنة . فجاءنى صوت يقول : عد الى ديرك حيث جاهدت لتكون مع آبائك .

وبعد أن أخبر بهذا أقام أياما قلائل وتنيح .

ب- تكوين العادة

+ **قال مار اسحق :**

+ « رباطات النفس هى العادات التى يعتادها الانسان ان كانت بالجيد أو بالردىء » .

+ « تخوف من العادات أكثر من الأعداء ، ان من يربى عنده عادة ، هو كانسان يشعل نارا بكثرة الوقود ، وذلك لأن قوة الاثنين تتقوم بالمادة ، أما العادة فانها اذا ما طالبت مرة ولم تجبها الى طلبها ، فانك تجدها فى وقت آخر ضعيفة أما ان صنعت لها ما طلبته فانها تتقوى فى الثانية أكثر مما سلف » .

+ « لا تثبت مع أى فكر كان حتى ولو كان حقيرا، لئلا تتأسس فيك عاداته ، واضطرار العادة يجعلك عبدا لذاك الألم » .

+ « المتوحد الذى يخدم الآلام هو تلميذ للآلام ، واضطرار عادة معلمه تغصبه ليكون كمثل معلمه بغير ارادته حسب الكلمة السيدية ، كل ملك ولو كان حقيرا ، لكنه جبار فى بلده وقوى ، وكل الم ولو انه حقير ، ولكن فى بلده يظهر سلطانه » .

+ « العادات تشجع الآلام ، والأعمال تؤسس الفضيلة » .

+ « سلاح الآلام والفضائل هو تغيير العوائد والخاصيات ، فالعوائد تطلب ما يقدم لها وهى زباطات النفس ، وبالسهولة تقتنيها وبصعوبة تنحل منها » .

+ « ان الآلام والفضائل التى لم تؤسس بالاعتياد مدة من الزمن فهى كالشجاع العارى من سلاحه » .

« لا تترك عادة تتأسس فيك وتزيد الأفكار بغير قيام ، لئلا تتجدد فيك الآلام التى قد هدات قليلا » .

+ « الأنواع والعوائد التى عتقت فى الانسان ، تكمل له موضع الطبع » .

+ « كل عادة اذا سلمت لها باختيارك ، تصبح لك فى النهاية سيدا ، تسير قدامه مضطرا بغير اختيارك » .

+ **قال شيخ :**

« لا يوجد شىء أصعب من العادة الرديئة ، اذ يحتاج صاحبها فى سبيل قطعها الى زمان وتعب كثير ، أما التعب فهو فى متناول الكثيرين ، ولكن الزمان الذى يحتاج اليه فما أقل من قضاه حتى النهاية ، لأن أكثر أصحابها اختطفهم الموت قبل تمام قطعها ، والله وحده هو الذى يعلم كيف يدينهم » .

م - اقتناء الفضيلة

+ **سئل شيخ :** « كيف يقتنى الراهب الفضيلة ؟ » فأجاب : **« ان شاء أحد أن يقتنى فضيلة ما ، فان لم يمقت أولا الرذيلة التى تضادها فلن يستطيع أن يقتنيها** ، فان شئت أن يحصل لك الحزن فامقت الضحك . وان آثرت أن تقتنى التواضع فابغض الكبرياء . وان أحببت أن تضبط ارادتك فامقت الشر والتحريف فى الأشياء . وان شئت أن تكون عفيفا امقت الفسق . وان شئت أن تكون زاهدا فى المقتنيات فامقت حب الفضة . ومن يريد أن يسكن فى البرية فليمقت المدن . ومن يشتهى أن يكون له سكوت فليمقت الدالة ، ومن أراد أن يكون غريبا من عاداته فليبغض التخليط ومن يريد أن يضبط غضبه فليبغض مشيئاته ومن يريد أن يضبط بطنه فليبغض اللذات والمقام مع أهل العالم . ومن أراد عدم الحقد فليبغض المثالب . ومن لا يقدر أن يكابد الهموم فليسكن وحده منفردا ، ومن يريد أن يضبط لسانه فليسد أذنيه لئلا يسمع كثيرا . ومن يريد أن يحصل على خوف الله فليمقت راحة الجسد ويحب الضيقة والحزن . فعلى هذه الصفة يمكنك أن تعبد الله باخلاص » .

+ **وسأل أحد الاخوة شيخا** « كيف تقتنى النفس الفضيلة ؟ » .

فقال : « اذا هى اهتمت بزلاتها وحدها » .

+ **قال قديس :** « ان الفضيلة تريد منا أن نريدها لا غير » .

+ **من أقوال الأنبا أوغريس :**

« من يقول انه اقتنى فضيلة بغير جهاد ، فهو الى الآن ممسوك فى الآلام ، لأن شر الأعداء هو قبالة أتعاب الفضيلة ، والقلب الذى ليس فيه قتال ، ليست فيه فضيلة ولا شجاعة ، وكما أن الانسان البرانى يعمل شغل اليد كى لا يحتاج ، هكذا الجوانى يعمل لئلا يثقل العقل ، لأن الأفكار اذا وجدت النفس بطالة من تذكار الله ، حينئذ تذكرها بالأفعال الردية » .

+ **وقال مار اسحق :**

+ «لا تظن فى نفسك انك تنال مسيرة فاضلة أو صلاحا لنفسك بغير تعب» .

+ « ان حد كل تدبير للسيرة يكون بهذه الثلاثة » :

التوبة ، والنقاوة ، والكمال .

ما هى التوبة ؟ .. هى ترك الأمور المتقدمة ، والحزن من أجلها .

ما هى النقاوة ؟ .. هى قلب رحيم على جميع طبائع الخليقة .

وما هو الكمال ؟ .. هو عمق الاتضاع ورفض كل ما يرى ومالا يرى ، أى ما يرى بالحواس ، ومالا يرى بالهذيذ عليه » .

+ **وقال أيضا :**

« خمس فضائل بدونها جميع طبقات الناس لا يمكنهم أن يكونوا بلا لوم ، واذا حفظها الانسان ، يخلص من كل مضرة ، ويصير محبوبا عند الله والناس أيضا وهى :

« جسد عفيف ، لسان محترس ، زهد فى الرغبة والشره ، كتمان الشر فى سائر الأشياء بغرض مستقيم الهى ، واكرام كل طبقات ومراتب الناس ، فوق ما يستحق ذلك الوجه ، لأن الذى يكرم الناس يكرم هو أيضا منهم ، كما يأخذ المجازاة من الله ، لأن الكرامة توجب الكرامة ، والازدراء يجلب ازدراء ، والذى يكرم الله يكرم هو أيضا منه » .

+ **وقال آخر :**

« من أجل هذا لسنا نفلح لأننا لا نعرف مقدرتنا ، وليس لنا صبر فى عمل نبدأ به ، ولكننا نريد أن نقتنى الفضائل بلا تعب » .

+ **وقيل أيضا :**

« سمع أخ بأخبار القديسين فظن ان فى امكانه أن يقتنى فضائلهم بلا تعب فسأل شيخا كبيرا ، فقال له : « ان أردت أن تقتنى فضائل القديسين ، فصير نفسك مثل صبى يكتب كل يوم آية من معلمه . فاذا حفظها كتب غيرها ، فافعل أنت كذلك هكذا : قاتل بطنك فى هذه السنة بالجوع ، فاذا أحكمت ذلك قاتل حينئذ السبح الباطل لتبغضه كالعدو . واذا قومت هذين فاحرص على أن تزهد فى أمور الدنيا وتضع اتكالك على الله ، فان تيقنت انك قد قومت هذه الثلاث خصال ، فستلقى المسيح بدالة كثيرة » .

+ **وطلب اخوة الى شيخ** أن يترفق بنفسه فى كثرة الجهاد فقال : « حقا أقول لكم يا اخوتى ، ان مصير ابراهيم خليل الله أن يندم اذا رأى كثرة مواهب ، ولم يجاهد ويتعب أكثر مما فعل » .

+ **وقالت القديسة سفرنيكى :**

« ان الذين يجمعون غنى الدنيا من العتاد فى البحار والأسفار الشديدة ، كلما ربحوا وجمعوا ازدادوا فى ذلك اشتغالا ، أما ما فى أيديهم فلا يلتفتون اليه ، وما ليس فى أيديهم من الغنى يشتهونه ويطلبونه ، ويحرصون على جمعه . وأما نحن فقد صرنا فى سيرتنا فى الرهبنة بخلاف ذلك ، لأن الأمر الذى خرجنا لنطلبه وليس فى أيدينا شىء منه ، لا نريد أن نقتنيه من أجل خوف الله » .

+ **ومرة قال الطوباوى اوغريس للقديس ارسانيوس :**

« كيف ونحن ليس لنا معرفة وحكمة بشرية (١) ليس لنا فضائل ، وهؤلاء القرويون المصريون أغنياء جداً بها » .

اجابه أنبا ارسانيوس : « نحن ليس لنا معرفة عالمية ولكن هؤلاء المصريون القرويون اكتسبوا الفضائل بجهادهم » .

+ **لماذا نحب الفضائل :**

- لنحب المسكنة لنتخلص من محبة الفضة .
- لنحب السلامة لننجو من البغضة .
- لنقتن الصبر وطول الروح ، لأن ذلك يحفظنا من صغر النفس .
- من له معرفة وهمة فقد هزم الشر لأنه مكتوب ان الاهتمام ملازم للرجل الحكيم والضعيف الهمة لم يعرف بعد ما هو لخلاصه ، أما الذى يقهر أعداءه فانه يكلل بحضرة الملك .
- لو لم تكن حرب وقتال ما كانت فضيلة ومن يجاهد بمعرفة فقد نجا من الدينونة لأن هذا هو السور الحصين .

د- الجهاد ضد الشياطين

+ **أخبر بعض الآباء :** « انه كان ساكنا بالقرب من أخ عمال مع الله ، فاعتراه توان وكسل ، وبعد مدة انتبه من توانيه ولام نفسه قائلا : « يا نفسى ، الى متى تتوانين عن خلاصك ، أما تخافين من دينونة الله يا شقية وانت فى مثل هذا التوانى ، فتسلمين للعذاب الدائم ؟ » فلما تفكر فى مثل هذا أنهض نفسه فى عمل الله . ففى بعض الأيام وهو واقف يصلى ، أحاطت به الشياطين وعذبته فقال لهم : « الى متى تؤذوننى ؟ أما كفى ما قاسيته فى زمانى من التوانى ؟ » فقالت له الشياطين : « لما كنا نراك متوانيا ، كنا متوانين عنك ، ولما رأيناك قمت وتجردت لنا ، قمنا نحن أيضا عليك ، فتلق ما يأتيك » . فعندما سمع ذلك ، أخذته الغيرة ، وازداد نشاطا وحرارة فى عمل الله ، وبنعمة الله حصل على الغلبة .

---

(١) لعله يقصد أن معرفة القرويين هى فى الأمور العالمية البسيطة ، ومع ذلك لهم فضائل ، أما القديسان فليس لهما اهتمام بهذه المعارف البسيطة بل لهما معرفة عقلية وفلسفية ، وكان المفروض ان تأتيهما الفضيلة معها . اما انبا ارسانيوس فأظهر ان الفضيلة لا تتبع الفلسفة بل الجهاد .

سأل أخ الأب صيصوى : « يا ترى ، هل كان الشيطان يضطهد القدماء هكذا ؟ » أجاب الشيخ : « بل اليوم يضطهد أكثر لأن زمانه قد قرب ، فهو لذلك قلق » .

قال أنبا مطايوس : « ان الشيطان لا يعرف فى أى الأوجاع تنهزم النفس ، ولكنه يزرع ، ولا يعلم هل سيحصد أم لا ، انه يزرع زنى ، ودينونة ، ووقيعة ، وقتل ، وجميع الأوجاع ، والشر ، فأى وجع يرى النفس مائلة اليه ، ففيه يشغلها » .

سئل شيخ : « لماذا تقاتلنا الشياطين جدا ؟ » فقال « لأننا طرحنا سلاحنا أعنى الطاعة والاتضاع والمسكنة » .

+ **أخبر بعض الشيوخ :** « انه فى بعض الليالى ، فى ابتداء صلاته وهو فى البرية الجوانية ، سمع صوت بوق يضرب ضربا عاليا كمثل ما تضرب أبواق الحرب فتعجبت متفكرا بأن البرية مقفرة وليس فيها آدمى ، فمن أين صوت البوق فى هذه البرية : أترى حرب هنا ؟ . واذا الشيطان قد وقف مقابله وقال بصوت عال : « نعم يا راهب ، حرب هى . ان شئت فحارب ، والا سلم لأعدائك » .

وسأل أحد الآباء أنبا بيمين قائلا :

« لماذا تقاتلنا الشياطين يا أبى ؟ » (١) أجاب الشيخ قائلا : الحقيقة ان الشياطين لا تحاربنا الا عندما نتمم ميولنا الرديئة التى هى فى الحقيقة شياطننا التى تحاربنا فنهزم أمامها برضانا . أما ان شئت ان تعرف مع من كانت الشياطين تصارع قلت لك « مع أنبا موسى وأصحابه » .

+ وكان أحد الرهبان المجاهدين اذا قالت له الشياطين فى فكره « ها قد ارتفعت وصرت كبيرا » كان يتذكر ذنوبه قائلا : « ماذا أصنع من أجل خطاياى الكثيرة ! » ، واذا قالوا له : « لقد فعلت ذنوبا كثيرة وما بقى لك خلاص » ، يقول : « وأين هى رحمة الله الكثيرة » ، فانهزمت عنه الشياطين قائلة : « لقد قهرتنا ، ان رفعناك اتضعت ، وان وضعناك ارتفعت » .

+ ظن رهبان كثيرون امكانية شفاء شهواتهم ، والحصول على راحة النفس بجهادهم وقوتهم . فتخلت عنهم النعمة وسقطوا من الحق ، فكما أن المريض جسديا لا يمكن شفاؤه بدون طبيب بشرى ودواء ، بالرغم من كثرة سهره وصومه ، فى المدة التى يتعاطى فيها الدواء ، هكذا أيضا المريض روحيا من قبل انفعالات الخطية ، بدون يسوع طبيب الأرواح والقوة الكامنة فى وصاياه والتواضع الذى يماثل تواضعه ، لا يمكن أن يبرأ من خطاياه ، ولا يمكن أن ينال شفاء كاملا .

من أجل ذلك فكل من يحارب ضد الشهوات والشياطين بوصايا سيدنا يشفى من مرض الشهوات وينال شفاء النفس ، ويعتق من فخ ابليس .

---

(١) ورد هذا الكلام فى بلاديوس منسوبا لأنبا أغاثون .

+ **اخبر القديس أنبا دانيال الاسقيطى عن أحد الاخوة :** انه كان مقيما فى مصر وأثناء سيره فى الطريق أدركه المساء ، فدخل الى طافوس لينام فيه بسبب البرد . ولما رآه الشياطين، قال احدهم لصاحبه : ارايت اى جسارة لهذا الراهب، انه قد نام فى مقبرة ، اسرعوا وتعالوا حتى نزعجه . فأجابه الآخر وقال : ما فائدتنا من ازعاجنا له انه من أصحابنا ويعمل ما نهواه ـ يأكل ويشرب ويقع فى الناس ويتوانى فى الصلاة ـ فبدلا من أن نتعب مع هذا سر بنا نحزن من يحزننا ليلا ونهارا ففتح الرب أسماع الأخ ، فلما سمع ذلك تعجب وندم على أفعاله وتاب أخيرا.

+ **قال الاخوة :**

لماذا منع القديس **ايسيذورس انبا موسى الأسود** من الجهاد ومن القتال مع الشياطين بالرغم من أن الآباء القديسين كانوا يحفزوننا دائما على النمو فى الفضيلة وعلى القتال ضد الشهوات ؟ لماذا قال له : « استرح يا موسى وكف عن محاربة الشياطين لأن الانسان له حد فى كل شىء ، فهل ينطبق هذا على الجهاد وأعمال الحياة النسكية ؟ » .

+ قال الشيخ :

ان القديس موسى كان يجهل فى الابتداء قواعد الحياة النسكية ، ولأنه كان ممتلئا صحة كان يعمل أعمالا كثيرة وكان يساعده على ذلك قوة جسده ، وكان يظن أنه بكثرة أعماله وحدها يستطيع قهر الشياطين الذين اذ عرفوا غرضه كانوا يهجمون عليه بأكثر قوة بحروب متتالية سرا وجهرا ، ولكن أبا ايسيذورس أراد أن يعرفه الطريق السليم ونصحه كمرشد مختبرا أن يتضع وقال له :

بدون قوة الروح القدس الذى أعطانا الله اياه لاتمام وصاياه والتى تتقوى فينا كل يوم بالتناول من جسده ودمه ، لن نتخلص من الخطايا ولن نستطيع أن نقهر الشياطين ، وبالتالى لن نستطيع أن ننمو فى الفضيلة . عندئذ تعلم موسى هذه الأمور ، واتضعت أفكاره وتناول من الأسرار المقدسة ، وهزمت الشياطين وحولوا حربهم عنه ، ومن ذلك الوقت فصاعدا عاش فى سلام وراحة وازداد معرفة وحكمة .

هـ ـ العمل والمثابرة

(غير متكاسلين فى الاجتهاد)

قال القديس باخوميوس :

+ هذه هى الأعمال الفاضلة : ان قاتلك فكر ضجر من نحو أخيك فعليك احتماله بطول روح حتى ينجيك الله منه . صبر مع صوم دائم ، صلاة بغير فتور فى مخادع قلبك بينك وبين الله ، واحساس صالح تجاه أخيك ، بتولية محفوظة فى أعضائك ، طهارة وقدس فى قلبك ، عنق منحن ، وضرب مطانية مع قولك : « اغفر لى » ، دعة فى أوان الغضب » .

+ « ان كنت بائسا (متضجرا) فداوم على العمل بدون ملل ، كن عمالا ولا تكسل وتمم نذرك الذى قررته مع الله خالقك وربك » .

+ « اجتهد فى شبابك لتفرح فى كبرك » .

+ « يا ابنى فى كل شيء اطلب الله بطول روح مثل الزارع والحاصد فانك تملأ أهراءك من نعم الله » .

+ « لن تشارك القديسين فى مواهبهم ، ما لم تتعب جسدك أولا فى مشاركة أعمالك ، كذلك لن تدخل الحياة ، ان لم تضيق على نفسك أولا حتى الموت » .

« جميع المواهب بطول الروح وثبات القلب تعطى ، وجميع القديسين لما ثبتوا قلوبهم نالت أيديهم المواعيد . فخر القديسين هو طول الروح فى كل شيء ، وبهذا حسبوا قديسين .

« قال أنبا باخوميوس »

+ « لا تقض أيامك بالتوانى . كما مر العام الماضى كذلك هذا العام » وكما مر أمس كذلك اليوم . فالى متى تكسل ؟ استيقظ وأيقظ قلبك قبل أن يوقفك مكرها فى يوم الحكم لتعطى الجواب عن جميع ما صنعت . ان صرت فى حرب الموت لا تجزع فان روح الله ينقذك . لأنه مكتوب : انى لا أخشى شرا لأنك معى فكن رجلا قويا جبارا فى جميع تدابيرك ولا تفسد يوما واحدا من عملك وتحقق مما تقدمه لله الحقيقى كل يوم .

« وقال انبا يوحنا القصير »

+ « لا بد للانسان من الايمان الخاص الحقيقى ، فالايمان العام هو لكل الناس ومن نعمة ربنا علينا انه ولدنا . فأما الايمان الخاص الذى يقربنا من الله فهو بأن تسأل ونطلب منه العظائم التى ولا التصديق بوجودها يقدر عليه آخرون . وأن نعتصم به فهو أقوى من كل شيء ، ثم ان الثبات فى الجهاد والصبر على البلايا هو أيضا أفضل كل الأمور .

وقال أنبا اغاثون :

+ « ان السيرة الفاضلة بدون كلام نافعة ، أما الكلام بغير عمل فهو باطل لأن أحدهما بسكوته ينفع والآخر بكثرة كلامه يقلق . فاذا استقام القول مع العمل كملت فلسفته .

وقال أيضا :

+ « ان الشر أزاغ الناس عن معرفة الله ، وفرق الناس بعضهم عن بعض . فلنبغض اذا الشر ولنطلب السلام لبعضنا البعض وبذلك تكمل فلسفة الفضيلة .

* * *

و ـ المعرفة الاختبارية

قال مار اسحق :

+ مثل المصور الذى يصور الماء فى الحائط ولا يقدر ذلك الماء المرسوم أن يبرد عطشه ، وكمثل المرء الذى ينظر الأحلام كذلك الانسان الذى يتكلم من غير عمل ، أما الذى من اختباراته يتكلم عن الفضائل فيكون مثل ذلك الذى من بضاعة تجارته يلقى كلمته لسامعيه ومن الشيء الذى اقتناه فى نفسه يزرع التعليم فى آذان السامعين ويفتح فمه بدالة مع بنيه الروحانيين ، وذلك كموقف يعقوب الشيخ مع يوسف العفيف اذ قال له : هو ذا قد أعطيتك نصيبا فاضلا عن اخوتك وهو ما اكتسبته من الأموريين بسيفى وقوسى .

كما قال أيضا :

+ « أبله يصنع صناعة البحرية من (١) ذاته ، أفضل من عارف يتعلم سيرة الروح من أسطر الكتب ، وبالتسليم من آخرين من غير تجربة محكمة بذاته » .

ز ـ إكليل الجهاد والثمار

١ ـ الجهاد

قال القديس موسى الاسود :

+ « من يحتمل ظلما من أجل الرب يعتبر شهيدا . ومن يتمسكن من أجل الرب يعوله الرب . ومن يصير جاهلا من أجل الرب يحكمه الرب » .

وقد وضح هذا القول فى خطاب أرسله الى أنبا نومين قال فيه :

انى أفضل خلاصك بخوف الله قبل كل شيء طالبا أن يجعلك كاملا بمرضاته حتى لا يكون تعبك باطلا بل يكون مقبولا من الله لتفرح .. لأننا نجد أن التاجر اذا ربحت تجارته كثر سروره وكذلك الذى يتعلم صناعة اذا ما أتقنها كما ينبغى ازداد فرحه متناسيا التعب الذى أصابه ، وذلك لأنه قد أتقن الصنعة التى رغب فيها . ومن تزوج امرأة وكانت عفيفة صائنة لنفسها فمن شأنه أن يفرح قلبه . ومن نال شرف الجندية فمن شأنه أن يستهين بالموت فى حربه ضد أعداء ملكه وذلك فى سبيل مرضاة سيده . وكل واحد من أولئك الناس يفرح اذا ما ادرك الهدف الذى تعب من أجله فاذا كان الأمر هكذا من شئون هذا العالم فكم وكم يكون فرح النفس التى قد بدأت فى خدمة الله عندما تتم خدمتها حسب مرضاة الله ؟ .

---

(١) أى أبله يسبح فى الماء أفضل من عالم بسيرة الروح نظريا من القراءة فقط والسماع من الغير دون اختبار سليم شخصى .

الحق أقول لك أن سرورها يكون عظيما ، لأنه فى ساعة خروجها من الدنيا تلقاها أعمالها وتفرح لها الملائكة اذا أبصروها وقد أقبلت سالمة من سلاطين الظلمة لأن النفس اذا خرجت من جسدها رافقتها الملائكة وحينئذ يلتقى بها أصحاب الظلمة كلهم ويمنعونها عن المسير ملتمسين شيئا لهم فيها . والملائكة وقتئذ ليس من شأنهم أن يحاربوا عنها ، لكن أعمالها التى عملتها هى التى تحفظها وتستر عليها منهم . فاذا تمت غلبتها بأعمالها تفرح الملائكة حينئذ ويسبحون الله معها حتى تلاقى الرب بسرور ، وفى تلك الساعة تنسى جميع ما انتابها من أتعاب فى هذا العالم .

فسبيلنا أيها الحبيب أن نبذل قصارى جهدنا ونحرص بكل قوتنا فى هذا الزمان القصير على أن نصلح أعمالنا وننقيها من كل الشرور عسانا نخلص بنعمة الله من أيدى الشياطين المتحفزين للقائنا اذ انهم يترصدون لنا ويفتشون أعمالنا ان كان لهم فينا شيء من أعمالهم لأنهم أشرار وليس فيهم رحمة ، فطوبى لكل نفس لا يكون لهم فيها مكان فانها تفرح فرحا عظيما .

+ **وقال أيضا :**

+ « ان كانت الأتعاب لا تقود الى الصلاة فعمل المصلى باطل » .

+ **وسأله أخ :** « ما هى المقارنة بين الجهاد والصلاة ؟ » قال له الشيخ : « من يصلى طالبا العتق من الخطية لا يجوز أن يكون مهملا ، لأن من أخضع مشيئته يقبله الرب » .

٢ - الثمـــار

قال القديس مقاريوس الكبير :

« كما أن عصا هرون أزهرت وأثمرت فى ليلة واحدة ، كذلك الراهب اذ حل فيه الرب فان نفسه تزهر وتثمر أثمار الروح القدس بمعونة خالقها السيد المسيح له المجد » .

وقال شيخ :

« كل من يسكن فى موضع ولا يعمل فيه ثمرة صالحة فالموضع نفسه يطرده »

سأل أحد الاخوة شيخا وقال له :

« ما هى فلاحة النفس ؟ » فقال الشيخ : ان فلاحة النفس هى السكوت ، وضبط الهوى ، وشفاء الجسد، والصلاة الكثيرة والامتناع عن معاتبة زلات الناس، وتأمل الانسان فى هفواته وحده ، فمتى تثبت الانســان فى هذه الفضــائل ، فان نفسه لا تبطىء فى النجاح والنمو حتى تثمر » .

وقال مار اسحق :

« ان الهواء يسمن الأثمار والاهتمام بأمور الله عز وجل يسمن أثمار النفس ، ان أثمار الشجرة تكون فجة ومرة ، ولن تصلح للأكل حتى تقع فيهــا الحلاوة من

الشمس ، كذلك أعمال التوبة الأولى فجة ومرة جدا ، ولا تفيد الراهب حتى تقع فيها حلاوة الثاؤريا ، فتنقل القلب من الأرضيات .

وقال شيخ :

« كما أن الأرض لا تنبت وحدها من غير بذار وفلاحة ومطر سمائى وحراسة مما يمكن حراستها من البهائم والطيور ، وسلامة من الله مما لا يقدر الانسان على دفعه ، كالدود والجراد وريح السموم . فان كانت الأرض لا تنبت بغير تلك الأمور ، فكم بالحرى النفس ، فانها لا تثمر الفضائل بدون تعليم وتعب كثير ومعونة الهية واحتراس من الاعداء بقدر استطاعة الانسان ، ثم تضرع الى الله فى طلب تعضيده ازاء ما تعجز قدرته عنه » .

ثانيــــا

الصـــــلاة

١ ـ روح الصلاة :

(أ) علامة الصليب المقدسة .

(ب) بداية الصـــــلاة .

(ج) الاسراع الى الصــلاة .

(د) فاعليـــة الصـــلاة .

(هـ) الجهـاد فى الصــلاة .

(و) الالتصاق بالرب يسوع .

٢ ـ فكر الصلاة :

(أ) جمـع العقـــل .

(ب) الصــلاة بلا طياشـــة .

(ج) الصـــلاة بلا فتــور .

(د) الســـــــهر . . .

(هـ) التفعصـــــب . . .

(و) الصـــلاة الدائمــة .

(ز) ذكر اســم المســبح .

٣ ـ مادة الصلاة :

(أ) الشــكر (ب) التســبيح

(ج) الاشتياق (د) الاسحاق

(هـ) المزامــير (و) الدمــوع

(ز) طلب الرب فى وقت الضيق

(ح) الاعتراف (ط)طلب الروحيات

٤ ـ بعد الصلاة :

(أ) اســتجابة الصـــلاة .

(ب) الارتقـــاء بالفــكر .

ماهى .. ؟

+ **قال مار افرام :** « الانسان مكون من جسد ونفس ، ان لم يتغذى الجسد بالخبز فلن يعيش ، كذلك النفس ان لم تتغذ بالصلاة والمعرفة الروحانية فهى مائتة » .

+ **سئل مرة مار اسحق :** « ما هى الصلاة ؟ » .

فقال : « هى تفرغ العقل من جميع أمور الدنيا ، ونظر العقل الى شوق الرجاء المعد » .

+ **وقال أيضا :**

- محاسن الصلاة : الاغتصاب والصبر والاحتمال وطول الروح والتجلد ، والصلاة هى صراخ العقل الذى يصرخ من حرقة القلب » .
- « أحب الصلاة كل حين ، لكى يستنير قلبك بالله » .
- « الذى يتهاون بالصلاة ويظن أن هناك ثمة باب آخر للتوبة ، فهو محل للشياطين » .
- « الانسان العادم من الصلاة ، ويجادل على الفضائل ، لا فرق بينه وبين الأعمى العادم النور ، ويجادل على حسن الفصوص الكريمة ، والألوان الكثيرة » .

١
روح الصلاة

(أ) علامة الصليب المقدسة

+ **قال شيخ :**

« حدث أنى كنت سائرا فى الصعيد مع رجل اسماعيلى ، وأمسى علينا الوقت ولم نستطع أن نصل الى مسكن لنلتجىء فيه الى الغد ، وبينما نحن محتارون وخائفون من الوحوش ، صادفتنا برية عتيقة ، فدخلناها لنستريح الى الغد .

فوقفت ورشمت علامة الصليب المقدسة من ناحيتى هذه وهذه ، ثم رشمتها أيضا تحت رأسى ، ورقدت .

وفى منتصف الليل ، اذا بنا نسمع صهيل خيل ، وصياحا ، وخيالا عظيما ، وقلقا من الجنون ، ورأيت واحدا أجلسوه على كرسى مثل وال ، وأمر القيام بين يديه أن يخلوا البرية حيث كنا راقدين ، وأخرجوا الراقد معى ، وضربوه حتى شارف الموت ، وكانوا يقولون له : « أين هو الراقد معك ؟ » فيقول لهم : « انه فى الموضع الذى كنت راقدا فيه » .

أما هم ، فانهم اذا أرادوا الدخول الى مرقدى ، يرون علامة الصليب المقدس فيهربون الى خلف ، ويقعون على وجوههم ، وفى رجوعهم الى الجالس على الكرسى ، كانوا يعاقبون ذلك الاسماعيلى جدا ، ويصيحون عليه بأصوات مختلفة قبيحة ، قائلين : « أين الذى دخل معك ؟ » فيقول لهم : « ان موضعه فى الداخل ، راقدا »

أما أنا فصرت كالميت من الخوف الذى لحقنى ، وهم كلما اقتربوا منى ونظروا علامة الصليب ، يهربون الى الخلف ، ويسقطون على وجوههم ، وكان الجالس على الكرسى يقول لهم : « ما بالكم لا تحضرونه ؟ » فكانوا يقولون له : « اذا نحن دنونا منه ، ننظر الى علامة الصليب ، فلا نقدر أن نقف ، بل نهرب الى خلف ، ونسقط على الأرض » ، فيقول لهم : « اصعدوا الى الهواء ، وانزلوا عليه من فوق واتونى به » ، فكانوا لما يأتون الى ، ينظرون العلامة على رأسى، فيهربون الى خلف ، ومكثت هكذا فى هذا الانزعاج العظيم ، حتى أشرق النور ، حيث ذهبوا خائبين ، تاركين ذلك الرجل قريبا من الموت ، وقد عجبت اذ لم يقدروا الدنو منى وقلت : « سبحان السيد المسيح صاحب العلامة » .

أما ذلك الرجل الذى ضربوه ، فقد تعجب منى لما رآنى ، وقال : « لماذا لم يقدروا أن يضربوك وضربونى أنا ؟ » فأعلمته بعلامة الصليب المخلص الذى لسيدنا يسوع المسيح ، فعندما سمع منى هذا ، مضى وتعمد ، وصار مسيحيا مختارا ، وأكمل عمره وهو لابس السلاح ، والمثال الذى لالهنا يسوع المسيح » .

+ كان فى زمان بوريق الملك رجل يقال له الوسيط ، تشبه بالمسيخ الدجال فى سحره ، وكان قد أدرك بسحره ما لم يدركه أحد ممن كان قبله من السحرة وكان له صديق يعمل كاتبا يخاف الله . فأراد الساحر أن يطغيه بعمله السحر فدعاه ليلة وركبا فرسين وخرجا من المدينة أول ساعة من الليل .

فلما انقضى نصف الليل واذا هما فى بقعة سهلة ليس فيها مدينة ولا قرية ، فوجدا بابا فى قصر ، فقرع الساحر الباب ففتح لهما ولقيهما جماعة لونهم أسود ، فسلما على الوسيط وادخلوهما الى موضع مجلس كبير فيه منبر وكراس موضوعة وفى الوسط كرسى ، وعليه شخص عظيم أسود اللون وعن يمينه وشماله كثير من السود قيام . فخر الساحر ساجدا له فقال له ببشاشة مرحبا بالوسيط . قد قضيت حوائجك . فقال : من أجل هذا أتيت لأشكرك . فجلس الساحر عن يمينه فلما رآهم الكاتب زهد بهم ، ووقف وراء الوسيط فقال الرئيس من هذا الذى معك . فقال : عبدك . فالتفت له الرئيس وقال : انت عبدى ؟ فصلب الكاتب على وجهه وقال أنا عبد الآب والابن والروح القدس فوقع الاركون من مجلسه وغاص فى الأرض وانطفأت المصابيح وولوا هاربين ، وغرق القصر بكل من فيه والساحر ولم يبقى الا الكاتب والفرسان فقط . فلم يلتفت ولكنه ركب فرسا وترك الأخرى . وسار الى المدينة وضرب على الباب ففتح له وأخبر بكل ما ناله .

وبعد ذلك لجأ الى رجل من الآباء يخاف الله . ففيما هما فى صلاتهما أمام ايقونة السيد المسيح صرفت الايقونة وجهها عن البطريرك ونظرت الى الكاتب فتحول الأب الى الشرق الذى كان فيه الكاتب فحولت وجهها أيضا الى الكاتب . فخر الأب قبالتها ساجدا . وقال يارب لا تصرف وجهك عنى ، بل اظهر لى يارب وارحمنى . فاننى أعلم بأننى خاطىء . ولما اكثر من هذا القول ومثله وهو باك .

نظرت الايقونة للكاتب وقالت للأب انا أعلم انك تعطى للمساكين مما أعطيتك وترحمهم وأنا كافيك عن ذلك وأما هذا القديس فحقه على واجب .

(ب) بداية الصلاة

+ **قال أنبا انطونيوس :**

ـ « ان أول كل شيء هو أن تصلى بلا ملل وتشكر الله على كل ما يأتى عليك »

ـ « صل أبدا صلاة فى خزانتك أولا قبل صلاتك مع الاخوة » .

+ **سأل الشيوخ مرة أنبا مقاريوس الكبير :**

« كيف نصلى ؟ فقال : نبسط أيدينا الى الله ونقول : يا الله اهدنا كما تحب وكما تريد . . وان أصابتنا ضيقة قلنا : يارب أعنا فهو يعرف ما هو خير لنا ويصنع معنا كرحمته ومحبته للبشر » .

+ **وقال مار اسحق :**

ـ « بالقراءة المفروزة اجمع قلبك من الكل ، وقم للصلاة ، وفى وقت الصلاة وجه نظرك الى الجموع الصارخة : « اصلبه » ، واعجب من مخلص الكل كيف يصرخ بنوع الصلاة : « يا أبتاه ، لا تقم لهم هذه الخطية » وتشبه به بأكثر قوتك ، وابدأ بالصلاة والدموع » .

ـ قيل أنه كلما جاء انسان **لأنبا سرابيون الأسقف** ليتسلم ثوب الرهبنة كان يقول له : « عندما تصلى قل : « يا سيدى علمنى أن أصنع ارادتك » .

+ **وقال القديس يوحنا القصير :**

ـ « اذا قمت فى صلاتك قدام الله فأول كل شيء قل : قدوس قدوس الله القوى ؛ السماء والأرض مملوءتان من تسابيحك . وبعد ذلك قل : اللهم أهلنا بنعمتك لذلك الشرف الذى أعددته فى العالم الجديد . ولا يديننا عدلك فى مجيئك العظيم . اللهم أهلنى لمعرفتك الحقانية والخلطة بحبك التام . وحينئذ اختم صلاتك بالصلاة التى علمها الله لتلاميذه واتلها دائما بتأمل » .

(ج) الاسراع الى الصلاة

+ **قال أنبا انطونيوس :**

ـ « اذا ضرب الناقوس لا تتوان عن الحضور الى الكنيسة ، لا تتحدث هناك ولا تمض الى كنيسة يجتمع فيها الناس » .

+ **وسئل القديس برصنوفيوس :**

ـ «اذا طلب منى انسان أن أصلى لأجله ، أينبغى لى أن أصلى لأجله ام لا ؟» .

أجاب : « جيد أن تصلى عن كل من يسألك ، لأن الرسول يعقوب يقول : « صلوا لأجل بعضكم بعضا كيما تعافوا ، وقد صلى أناس لأجل الرسل ، على أن **تفعل ذلك كمن هو غير مستحق ولا دالة له** » .

(د) فاعلية الصـــلاة

أتى تلميذ لأنبا مقاريوس وقال له :

« أبى يرسلنى لقضاء خدمات له ، ولكنى خائف من الزنى » فقال له الشيخ : فى أى وقت تأتيك التجربة قل : « أيهـا الرب الهى بصـلاة أبى نجنى ، وهـو يخلصك » وحدث فى أحد الأيام أن أغلقت عليه عذراء الباب ، فصرخ بصـوت عظيم وقال : « يا اله أبى خلصنى » وللوقت وجد نفسه فى طريق الاسقيط .

+ **وقيل عن الأب مرقس المصرى** أنه مكث ثلاثين سنة لم يخرج خارجا عن قلايته ، وقد اعتاد قسيس أن يأتى اليه ، ويقوم بخدمة القداس ، فاحتال الشيطان فى ايقاعه فى ألم الدينونة ، فأوعز الى بعضهم فأتوا اليه بانسـان مجنـون بروح نجس ، طالبين أن يصلى عليه ، فقبل كل شىء بدأ المريض يقول له : « ان قسيسك له رائحة الخطية فلا تدعه يدخل اليك » فقال له الشيخ : أيها الولد ان كل الناس يطرحون الجيف والنجاسة خارجا، أما أنت فقد أدخلتها الى ، أما كتب «لا تدينوا لئلا تدانوا » فهو وان كان خاطئا ، لكن الرب يخلصه ، لأنه كتب « وان هو سقط فالرب يقيمه » وقد كتب أيضا « ليصل بعضكم من أجل بعض لكى تشـفوا » . واذ قال ذلك صلى صلاة فخرج الشيطان من ذلك الانسان وفر خائبا .

فلما أتى القس كعادته قبله الشـيخ بفرح ، فلما أبصر الاله الصـالح أمانة الشيخ ، كشف له سرا وهـو أن القسيس عندما اعتزم الوقوف قدام المـائدة المقدسة ، رأى الشيخ أن ملاكا قد انحدر من السماء ، ووضـع يده عليه فصار كعمود نار ، فعجب الشيخ من ذلك المنظر ، واذا بصوت يأتيه قائلا : « لماذا تعجب؟ ان كان الملك الأرضى لا يرتضى أن يقف أحد خدامه بين يديه بلباس قذر ، فكم بالحرى ملك السماوات فانه يجلل خدامه الواقفين بين يديه بالمجد » .

+ ومرة أحضر الى الدير سمك ، فشواه الطباخ ، وتركه فى الخزانة وخرج . فقبل أن يمضى أقام عليه صبيا ليحرسه الى حين عودته ، الا أن الصبى بدأ يأكل من السمك بشره فلما جاء الخازن ووجده يأكل غضب ورفسـه ، فصـادفت نافوخه (أم رأسه) وهو جالس ، فوقع الولد على الأرض ميتا . أما الخازن فقد أعتراه الخـوف ، وأخـذ الصبى ووضـعه على سريره وغطاه ، وجاء الى الأب جلاسيوس وخر عند رجليه وأعلمه بما حدث ، فقال له الشيخ : « لا تعلم انسانا بهذا الأمر، لكن اذهب واحضره سرا الى الدياقونيكون وضعه قدام المذبح وانصرف» فجاء الشيخ الدياقونيكون وقام فى الصلاة . ولما اجتمع الاخوة فى الكنيسة لتأدية صلاة الليل ، خرج الشيخ والصبى خلفه .

(هـ) الجهاد فى الصلاة

+ **سأل بعض الاخوة أنبا اغاثون قائلين :** « أى فضيلة أعظم فى الجهاد ؟ » فقال : اغفروا لى . ليس هناك جهاد أعظم من أن نصلى دائما لله ، لأن الانســان اذا أراد أن يصلى كل حين حاول الشياطين أن يمنعوه . لأنهم يعلمون بأن لا شىء يبطل قوتهم سوى الصلاة أمام الله . كل جهاد يبذله الانسان فى الحياة . ويتعب

فيه لابد أن يحصد منه الراحة أخيرا . الا الصلاة فان من يصلى يحتاج دائما الى جهاد حتى آخر نسمة .

+ وسأله الاخوة بخصوص قتال الزنى فقال :

« امضوا واطرحوا ضعفكم قدام الله فتجدوا راحة » .

+ وقال شيخ :

ينبغى للراهب أن يقاتل بجهاد كثير ضد شيطان الضجر ، وصغر النفس وبخاصة وقت الصلاة ، فاذا قوى على هذا ، فليحذر من شيطان الكبرياء وليقل : « ان لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البناءون ، وان لم يحرس الرب المدينة ، فباطلا يسهر الحراس » ، كما يذكر كلام النبى « ان الله يقاوم المستكبرين ويعطى المتضعين نعمة » .

+ **وقال أخ لشيخ :** « ان أصابنى ثقل النوم أو فاتنى وقت الصلاة وانتهيت ولم تنبسط نفسى للصلاة حزنا ، فماذا أعمل؟ » فقال له : «ولو نمت الى الصباح فقم واغلق بابك وأتمم قانونك ، فالنبى داود يقول مخاطبا الله : « لك النهار ولك الليل . والهنا لكثرة جوده ورحمته فى أى وقت دعى أجاب » .

+ وقال القديس مقاريوس الكبير :

« ان الذى يلازم الصلاة يقتنى أفضل الأعمال اذ هو محتاج الى جهاد أكثر من سائر الأعمال . لذلك ينبغى له الحرص الدائم والصبر والتعب دائما لأن الشرير يناصبه العداء ويجلب عليه نعاسا وكسلا وثقل جسد وانحلالا وضجرا وأفكارا مختلفة وطياشة عقل وحيلا كثيرة محاولا ابطال الصلاة .لذلك يلزمه الجهاد الى الدم مقابل أولئك الذين يطلبون ابعاد النفس عن الله . وليتيقظ مراقبا ذهنه . مطاردا الأفكار المضادة بشدة . وطالبا من الله عونا وفهما » .

+ وقال أيضا :

« ان لم تكن لك صلاة الروح فجاهد فى صلاة الجسد ، وعند ذلك ستعطى أيضا الصلاة بالروح ، وان لم يكن لك اتضاع الروح ، جاهد من أجل الاتضاع الذى بالجسد وعندئذ ستعطى أيضا الاتضاع الذى بالروح . لأنه كتب : اسألوا تعطوا » .

+ **وسأل أخ شيخا :** كيف أجد اسم ربى يسوع المسيح ؟ قال له الشيخ : « اذا لم تحب الألعاب أولا لا تستطيعُ أن تجده » .

(و) الالتصاق بالرب يسوع

+ **سأل أخ شيخا قائلا :** « أتريدنى أن أترك قلبى عند خطاياى ؟ (١) قال : لا . قال : فهل أتركه عند جهنم ؟ قال : لا . بل اتركه عند يسوع المسيح فقط والصق عقلك به لأن الشياطين يريدون أن يأخذوا ضميرك الى حيث يبعدونك عن

---

(١) فى الغالب أن المعنى هنا : « هل أركز قلبى أمام خطاياى أو جهنم لأتخشع » .

الرب يسوع المسيح ، فسأله وبأى شىء يلتصق الضمير بالرب يسوع . قال له : بالعزلة وعدم الهم . والتعب الجسدانى بقدر .

+ **وقال القديس باخوميوس :**

« لا تميز موضعا عن موضع قائلا : سوف أرى الله هنا أو سوف أراه هناك لأن الله فى كل موضع . لأنه يقول : أنا ملء السماء والارض : ان أحببت أن تعبر مياها كثيرة فاحذر لئلا تغمرك . لا تفتش على الأمور المستعلية لئلا تتلف حياتك . احفظ القدس فقط فهوذا الله داخلك . انظر أين كان اللص فورث الجنة ، أو أين كان يهوذا فاستحق المشنقة أو كيف حسبت الزانية مع الأطهار أو كيف أغوى الشيطان حواء فى الفردوس أو كيف أصعد ايليا الى السماء . أو كيف سقطت الملائكة من هناك فاطلب ولا تكسل . أطلب الله فتجده » .

+ **قال الآب الينوس :** من لم يقل : « لا يوجد فى هذا الكون كله الا الله وأنا فقط فلن يصادف نياحا » .

+ **قال الأب مسطوفس :** « كلما دنا الانسان من الله ، فانه يرى نفسه خاطئا لأن أشعياء النبى لما أبصر الله دعا نفسه دنسا ونجسا » .

+ **وقال القديس باسيليوس :** « عموم الناس يظنون أن الله فى الهياكل فقط ، فيحسنون سيرتهم فيها فقط ، وذوو المعرفة يعلمون ان الله فى كل موضع ، فينبغى أن يحسنوا سيرتهم فى كل موضع » .

+ **وقال شيخ :**

كما أن الانسان لا يستطيع أن يؤذى رفيقه وهو واقف معه قدام السلطان ، كذلك العدو لا يقدر أن يؤلمنا بشىء من الشر ، مادامت نفوسنا قريبة من الله ، كما هو مكتوب : « اقتربوا من الله يقترب الله منكم » ، ولكننا اذا كنا فى كل حين نتنزه ونشتغل بما لا ينبغى ، فان العدو يتمكن منا ، ويلقينا فى أوجاع الخطية » .

٢

فكر الصلاة

(أ) جمع العقل [اليقظة فى الصلاة]

+ **قال القديس مقاريوس الكبير :**

« اذا أقدمت على الصلاة فاحرص أن تكون ثابتا لئلا تسلم اناءك بيد أعدائك لأنهم يشتهون اختطاف آنيتك التى هى أشواق نفسك ، وهى الأشواق الصالحة التى يجب أن تخدم بها الله نهارا وليلا . لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تطيش أفكارك بأباطيل العالم ، لكنه يريد ألا توقف نفسك أمامه وأفكارك تنظر اليه بدون التفات » .

+ **وقال أنبا موسى الاسود :**

« كن متيقظا فى صلاتك لئلا تأكلك السباع الخفية » .

+ **وقال أنبا سرابيون :**

« كما أن أجناد الملك وقوف بين يديه ، ولا يقدر واحد منهم أن يلتفت يمينا أو شمالا ، كذلك الانسان ، اذا كان واقفا قدام الله فى الصلاة ، يجب عليه أن يكون عقله مجموعا بخوف ، واذا كان كذلك ، فلا يستطيع العدو أن يضره أو يرهبه » .

+ **للقديس يوحنا ذهبى الفم عن الكلمة المكتوبة :** « أصلى بروحى وأصلى بضميرى ، وأرتل بروحى وأرتل بضميرى (١) » : يريد الرسول الا يكون الانسان مصليا بلسانه فقط تاركا عقله يتيه فى شتى الأمور ، فيصير بلا ثمر ، بل ليكن جهاد واحد لا ثنيهما ، اللسان ينطق بكلام الصلاة والعقل يميز المعنى الخفى الغير منظور والفكر يتبع يسوع الى فوق ، مثل النفس الصاعد مع الكلام ، فيكون مثل انسان يشتكى الى الملك ووجهه ناظر اليه ولسانه يتكلم بغير انشغال » .

+ **قال الآب نستاريون :**

« احرص كل يوم على أن تقف قدام الله بلا خطية ، وهكذا صل لله كأنك مشاهد له ، لأنه بالحقيقة حاضر » .

+ **قال القديس برصنوفيوس :**

« الصلاة الكاملة هى أن تخاطب الله بلا طيلشة عقل ولا سجس العالم ، لأن المصلى الكامل قد مات عن العالم . ان امساك البطن هو أن تقلل من شبعك قليلا وان كان عليك قتال فاترك قليلا أكثر . أما امساك العقل والقلب فهو أن يكون متيقظا . لا تتهاون بأفكارك واذا قاتلك العدو بالفكر فلا تلتفت الى قتاله لأنه يريد بذلك أن يشغلك عن مخاطبة الله » .

+ **قال القديس أوغريس :**

تغافل عن ضروريات الجسد عند وقوفك للصلاة حتى ولو لدغك برغوث أو بعوضة أو ذبابة أو أحد الهوام فلا تنشغل بها لئلا تخسر الربح العظيم الذى للصلاة .

+ وقد حكى لنا **آباؤنا القديسون** عن احدهم كان الشيطان يحاربه الى درجة كبيرة عند وقوفه للصلاة . وذلك انه عندما كان يبسط يديه للصلاة كان الشيطان

---

(١) بذهنى (اكو ١٤ : ١٥) ليس معنى هذه الآية انه يمكن للانسان أن يصلى بالروح دون ان يكون فاهما . الذهن هنا هو التفاهم المشترك مع المجتمعين ، لأنه يقول ان كنت أصلى بلسان فروحى تصلى رأما ذهنى فهو بلا ثمر . أى ان صلى الانسان بلغة لا يفهمها الذين معه فالكلام غير مثمر فى شركة الصلاة رلذا يقول « فما هو اذن أصلى بالررح وأصلى بالذهن أيضا . أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضا ، والا فان باركت بالروح فالذى يشغل مكان العامى كيف يقول آمين عند شكرك . لأنه لا يعرف ماذا تقول. فانك أنت تشكر ولكن الآخر لا يبنى .. فى كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى لكى أعلم آخرين أيضا أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان . »١ كو ١٤ : ١٤ ـ ١٩ . فحين تعزل هذه الآية من موضعها يظن أنها تتكلم عن تشتيت الفكر فى الصلاة ، أو الصلاة بلا فهم . ولكنها يلزم أن تفهم فى موضعها وهى تتكلم عن ثمر الشركة فى الصلاة .

يغير شكله قدامه بهيئة أسد ، ويشبك رجليه الاثنين فى رجلى القديس وينتصب قبالته . ثم يجعل مخالبه فى حقوى المجاهد من هنا وهناك . فلا يرجع عنه حتى ينزل يديه ولم يكن المجاهد لينزل يديه حتى يكمل صلاته كعادته .

+ **قرأت فى سيرة رهبان دير تاسا** ما هو مكتوب عنهم هكذا : « انه بينما كان القديس باخوميوس يتكلم مع الاخوة مرة بكلام الله ، اذ بحيتين قد جاءتا والتفتا حول رجليه أما هو فلم يقلق ولكنه تظاهر كأنه يطرح حلته تحت رجليه حتى فرغ من حديثه بكلمة الله ، وحينئذ أعلم الأخوة بهما » .

+ **كذلك قرأنا عن أخ روحانى** انه فيما هو يصلى مرة جاءت أفعى ولمست رجليه وهو يصلى ، فلم يبال بالكلية حتى أكمل صلاته كالمعتاد ولم يؤذ بالكلية . ذلك لأنه كان يحب الله أكثر من جسد لذاته . فاقتن لك عينا غير متشاغلة وقت الصلاة . واجحد ذاتك واطلب الله بكل قلبك .

+ **وآخر أيضا من القديسين** الذين يصلون كما ينبغى، كان منفردا فى البرية ، هذا وقف قدامه الشياطين مقدار أسبوعين وهم يلكمونه ويحلقون به فى الجو ويقطعون عليه الحصير ، وبرغم هذا كله لم يستطيعوا بالجملة أن يخطفوا عقله ولو كان فى صلاة قليلة بحرارة مع الله . فاجتهد يا أخى أن توقف عقلك كمن هو أطرش وأخرس فى وقت الصلاة . وهكذا تستطيع أن تصلى .

+ ان كنت تريد أن تصلى جيدا ويصير لك افتخار قدام الله . فاجحد ذاتك فى كل حين وفى كل ساعة .

+ الصلاة هى باب الفرج والشكر . الصلاة هى دواء الأحزان وضيق الصدر لا تصل بالشكل الظاهر فقط ولكن بمخافة الله ورعدة وخشوع مع الالتفات بعقلك نحو المعقولات ، الصلاة هى فهم للعقل ، الصلاة ترفع العقل الى الله ، الصلاة هى عمل يليق برتبة العقل وبطبيعته الفاضلة .

فحين تعزل هذه الآية من موضعها يظن أنها تتكلم عن تشتيت الفكر فى الصلاة ، أو الصلاة بلا فهم . ولكنها يلزم أن تكفهم فى موضعها وهى تتكلم عن ثمر الشركة فى الصلاة .

+ **قال شيخ :**

« احذر الغضب لأنه يظلم العقل ويلقى من النفس لجام مخافة الله ، ان الغضب أبو الجنون ، فمن يقبله لا يكون وديعا أمام الله » .

(ب) الصلاة بلا طياشة

+ **قال الآب أوغاريتوس :**

« ما أعظم أن يكون الانسان بغير طياشة ؛ وأعظم من ذلك أن يكون تحت الخليقة كلها » .

+ **وقال مار أسحق :**

ان الذى يمزج قراءته بالتدابير والصلاة يعتق من الطياشة .

+ **وقال بعض الشيوخ :**

« تحفظ فى صلاتك بمخافة الله ، لئلا **تغضبه بدلا من أن** ترضيه ، فتحتاج صلواتك لصلوات » .

+ أتى لصوص الى قلاية فى وقت الصلاة فقال القسيس للاخوة : « اتركوهم يعملون عملهم ، ونحن نعمل عملنا » .

+ قال شيخ :

انى خرجت مرة من قلايتى وجزت بقلاية شيخ قديس ، فسمعته وأنا خارجها يخاصم خصومه شديدة ، ويقول : « حتى متى ؟ كيف من أجل كلمة واحدة ذهب هذا ؟ » ، فلما سمعت صوت الخصومة ، ظننت أن عنده انسانا يشاحنه . فقرعت الباب لأصلح بينهما ، ولما دخلت لم أجد سوى الشيخ وحده ، فسألته ببساطة وقلت له : « يا أبى ، مع من كنت تتخاصم ؟ » فقال لى : « كنت أخاصم فكرى ، لأنى قد استظهرت أربعة عشر كتابا (حفظتها عن ظهر قلب) . وسمعت خارجا كلمة واحدة قبيحة فلما بدأت أصلى ، جاءت تلك الكلمة ، ووقفت قدامى وأبطلت تلك الكتب كلها ، فمن أجل ذلك كنت أخاصم فكرى » .

(جـ) الصلاة بلا فتور

+ **قال شيخ :** طوبى لمن أبغض الاثم وأحب البر ، وخاف عقاب الجحيم وآثر ثواب الملكوت ، وقاوم ارادة الشياطين وأطاع ارادة الله ، وصلى بلا فتور ، بلا طياشة » .

+ **أخبر عن أحد الرهبان** انه لم يكن له عمل سوى الصلاة بلا فتور ، وكان كل عشية يجد فى قلايته خبزا ليأكله . فزاره أحد الرهبان مرة ومعه ليف . فأخذه منه وصار يعمل فى الليف . فلما حان وقت المساء طلب خبزا كعادته ليأكل . فلم يجد فبقى حزينا . فأتاه صوت قائلا : « لما كنت تعمل معى كنت أنا أعولك ، فلما بدأت ممارسة عمل آخر . أطلب طعامك مما تعمله بيدك ! » .

(هـ) علاج الفتور فى الصلاة

+ قال القديس يوحنا القصير :

مثل التاجر الذى يطلب الأرباح كذلك حاسب نفسك كل يوم وانظر ربحك وخسارتك فى كل عشية وأجمع عقلك وتأمل ما الذى عملته فى نهارك وانظر الى صنع الله ربك ، وافهم بماذا أنعم عليك فى يومك : باشراق الضوء ، بطيب النهار ، بتقويم الأزمنة ، ببهاء الجبال ، بحسن الألوان ، بزينة الخليقة ، بحركة الشمس وبزينة قامتك ، وبهبوب الرياح ، وبحسن الأثمار ، وبحفظه اياك من الأخطار مع بقية انعاماته .

فاذا تفكرت فى هذه الأمور كلها يملأ قلبك العجب من عظم حب الله لك ويأخذك العجب الى أن تشكر الله بحرارة على ما أنعم به عليك ـ لذلك وجب عليك أن تفتش لعلك فعلت شيئا يدل على انكارك لهذه النعم وقل فيما بينك وبين نفسك : « لعلى فعلت فى هذا اليوم أمرا يغضب الله ، لعلى فعلت شيئا يخالف مشيئة خالقى ، فان شعرت فى نفسك أنك قد فعلت شيئا يخالفه . قم فى الحال بالصلاة واشكر الله أولا على النعم التى اقتبلتها منه فى يومك هذا ، ثم تضرع من أجل غفران ما أخطأت به وهكذا تنام بخوف ورعدة .

+ من المعلوم لدينا أننا أن أغضبنا من هو أعظم منا ، فاننا نبيت ونحن فى خوف ورعدة ، ولكن مع الأسف فهوذا نحن نغضب الله وننام بلا مخافة .

+ اذا قمت للصلاة قدام الله احرص أن تجمع عقلك طارحا عنك الأفكار المقلقة ، ضع نصيب عينيك كرامة الله ، ونق حركاتك من الميول الشريرة . فان شعرت بحرارة النعمة تقدم ولا تضعف ، فاذا أبصر الله صبرك فانه بسرعة يسكب فيك نعمته ويتقوى عقلك وينشط للعمل بواسطة السخونة (حرارة النعمة) فتضىء أفكار نفسك ويسمو بك الشعور الى تمجيد عظمة الله كل حين ، ولن يكون لك ذلك الا بطلبات كثيرة وفكر نقى ، كما انه لا يليق أن يوضع البخور الطيب فى اناء نتن كذلك الله لا يظهر عظمته فى فكر ردىء .

(د) السهر

+ قال شيخ :

« أحب السهر فانه ينير العقل » .

+ قال القديس لنجيوس :

« السهر يطهر العقل » .

+ وقال القديس ابيفانيوس عند خروج نفسه :

« ايقظوا قلوبكم بذكر الله ، فتخف قتالات الأعداء عنكم » .

+ وقال شيخ :

« كل من يحاربه ابليس وجنوده بالقتال ، وهو لأجل ذلك ينوح ويبكى ساهرا ، طالبا معونة ، فهو يستجاب لأن السهر يحل الخطية ، والبكاء يحل الذنوب » .

+ قال أنبا انطونيوس :

+ لا يليق بنا أن نتذكر الزمان الذى مضى . الأحرى بنا أن نكون كمن يبدأ عمله حتى يكون التعب المفرط الذى سنحس به لفائدتنا ... ليقل كل واحد ما قاله بولس الرسول : « انسى ما هو وراء وامتد الى ما هو قدام » (فيلبى ٣:١٣) ولنتذكر أيضا كلمات ايليا « حى هو الرب الذى وقفت أمامه اليوم » (مل ١٧ : ١) لنلاحظ أنفسنا بالحكمة التى تجعلنا نقف أمام الله » .

+ وقال أيضا :

« اذا قمنا فى الصباح لنذكر ربما لا نبقى للمساء . وعندما نرقد لنفكر اننا ربما لا نمكث حتى الصباح لأننا لا نعرف ما هى أيام حياتنا . انها معروفة لدى الله . ونحن ان مارسنا هذا العمل يوميا لن نخطىء ، لن نفعل شرا أمام الله ، لن نشته أشياء هذا العالم ، لن نغضب أحدا ونكون كمن ينتظرون الموت » .

+ **قال القديس باخوميوس :**

ـ يا ابنى احفظ قلبك كى لا يفرح أعداؤك ، لأن الانسان اذا لم يحفظ قلبه وقع فى الشرك .

ـ « لا تترك قلبك يسبى مع الغرباء لئلا يقال لك : « لأنك لم تثق بالرب فأقم الآن فى أرض العبودية » .

+ **قيل عن أنبا باخوميوس** أنه كثيرا ما كان يسمع الشياطين تذكر شرورا مختلفة بعضها كان يأتى على الاخوة فذكر أولا أنه سمع أحدهم يقول :

« انى أقف أمام راهب يناضلنى دائما ، وكلما اقتربت لأزرع أفكارا فى عقله تحول فى الحال الى الصلاة فاضطر للهروب منه ملتهبا بالنار » كما سمع آخر يقول : « انى أحارب انسانا سهل الاقناع يطيع ما أرشده اليه ولذا فانى أحبه كثيرا » .

وهنا قال الأب ... فعلينا أيها الاخوة أن نكون يقظين على الدوام وان نكون أقوياء فى اسم الرب فنحارب الشياطين لأنهم لا يقدرون علينا .

+ **سأل الاخوة أنبا ساوانس عند موته** : « أية سيرة صنعتها أيها الأب . حتى اقتنيت هذا الحكم ؟ (التدبير) » أجاب : « لم أترك قط فى قلبى **ذكرا** يسخط الله » .

+ **وحدثنا أحد الآباء قائلا :**

« انى فى بعض الأوقات كلمت الاخوة كلاما نافعا ، فغرقوا فى النوم غرقا ، انتهوا فيه أنهم ما استطاعوا أن يحركوا جفونهم ، فأردت أنا أن أبين فعل الشيطان ، فأوردت حديثا باطلا ، فانتبهوا للوقت وفرحوا ، فتحسرت وقلت : « الى هذا الوقت كنا نتكلم فى أشياء سماوية فكانت أعينكم كلكم غارقة فى النوم ، فلما أوردنا أقوالا باطلة ، قمتم كلكم بنشاط ، فلهذا أسألكم يا أخوتى ، أن تعرفوا فعل الشيطان الخبيث ، وتصغوا الى أنفسكم ، محترسين من النعاس ، متى علمتم وسمعتم شيئا روحانيا » .

(هـ) التغصب

+ **قال قديس :**

ان الصلاة بتكلف (أى تغصب) من شأنها أن تولد صلاة نقية براحة ، فتكون الأولى بتكلف النية ، والثانية براحة من النعمة » .

(و) الصلاة الدائمة

+ **قال أنبا موسى الأسود :**

« داوم الصلاة كل حين ليستنير قلبك بالرب لأن مداومة الصلاة صيانة من السبى ومن يتوانى قليلا فقد سبته الخطية » .

+ **وسأل أخ أنبا برصنوفيوس :**

« قل لى يا أبى ان كانت الصلاة دائمة ، فما حدها ؟ وهل ينبغى لى أن آخذ قانونا ازاءها ؟ » .

أجاب :

افرح بالرب يا أخى ، افرح بالرب يا حبيبى ، افرح بالرب أيها الوارث معى . ان الصلاة الدائمة تكون للذين قد كملوا وبلغوا حد انعدام الأوجاع عنهم . لأنهم اذا بلغوا ذلك عرفوها ، لأن الروح يعرفهم كل شىء . اذ يقول الرسول :

« اننا لا نعرف كيف نصلى كما ينبغى ، ولكن الروح يطلب من أجلنا بتنهد لا ينطق به » (رو ٨ : ٢٦) وماذا ينفعك ان وصفت لك مدينة رومية ، وانت لم تدخلها بعد ؟

ان الانسان الساكت خاصة يستمر وليس عليه قانون ، ولكن كن مثل انسان يجوع ويأكل ما يلذ له ، فاذا جاءتك شهوة القراءة وأحسست تخشعا فى قلبك فاقرأ ما أمكنك كذلك فى تلاوة المزامير افعل هكذا وتمسك بالشكر وقل : « يا الهى ارحمنى » . تقو ولا تفزع ، لأن مواهب الله ليس فيها رجعة ـ اترك عنك من اليوم الاهتمام ، لأنك بعدم اهتمامك بشىء من الأشياء تصير قريبا من الله ومن مدينة القديسين ـ واذا لم تحسب نفسك شيئا ، صيرك ذلك أهلا للسكنى فى مدينة الأبكار ، واذا مت عن كل انسان ، صيرك ذلك متحدا بالله . وكلما أطفأت حرارة الغضب ، ساعد ذلك على دوام سلامتك .

+ **قيل أن أحد الأخوة** استمر يتردد على الأب مقاريوس المدنى مدة أربعة أشهر يوميا ، وذلك ليسأله عن كلمة ، فكان كلما ذهب اليه لا يجده متفرغا من الصلاة حتى ولا مرة واحدة ، فعجب الأخ لذلك ، وقال : « هذا ملاك وليس بانسان » وانتفع جدا .

(ز) ذكر اسم المسيح

+ **قال أنبا دياراخس :**

« من يشاء أن يطهر قلبه جدا فليتخذ له كل حين الذكر الصالح الذى هو اسم ربنا يسوع المسيح الاسم القدوس ، عملا وهذيذا وكلاما وفكرا بغير فتور وبمحبة عظيمة وشوق كثير ، وليخرج من عقله وسخ الخطية بعمل الوصايا كل حين » .

+ **قال مار افرام :**

« بمقدار ما التوانى من مضار ، بمقدار ما للتيقظ من منافع تسبب كل صلاح ، لأن المتيقظ فى كل حين ، ذكر الله حاضر عنده ، وحينما يتلو ذكر الله ، تكف عنه كل أفعال الخبيث » .

+ **قال القديس باخوميوس :**

« لا تخل قلبك من ذكر الله أبدا لئلا تغفل قليلا فيستظهر عليك الأعداء المترصدون لاصطيادك » .

+ **قال شيخ :**

« ليس هناك فضيلة من الفضائل تشبه فضيلة مداومة الصلاة والتضرع باسم ربنا يسوع المسيح فى كل وقت اما فى العزلة بالشفتين ، واما فى القلب فبغير تنزه (تظاهر) » .

+ وقال آخر :

« اذا ما رفض الذهن أوامر الروح القدس تبعد القوة ذاتها . وتثور أوجاع القلب . فاذا ما رجع القلب الى الله وحفظ أوامر الروح القدس كان عليه ستر ، وحينئذ يعلم الانسان أن مداومة ذكر اسم القدوس ربنا يسوع المسيح هو الذى يحرسه تحت ستر رحمته » .

+ كذلك قيل :

داوم على ذكر الاسم القدوس ، اسم ربنا يسوع المسيح فهذه هى الجوهرة التى من أجلها باع التاجر الحكيم كل هوايا قلبه واشتراها وأخذها الى داخل بيته فوجدها أحلى من العسل والشهد فى فمه . فطوبى لذلك الانسان الذى يحفظ هذه الجوهرة فى قلبه فانها تعطيه مكافأة عظيمة فى مجد ربنا يسوع المسيح .

+ وقيل أيضا :

« ان كان كل ملء اللاهوت قد حل فى السيد المسيح جسديا كقول الرسول فلا نقبل زرع الشياطين الأنجاس عندما يقولون لنا : « ا كم اذا صحتم باسم يسوع فلستم تدعون الآب والروح القدس » . لأنهم يفعلون ذلك مكرا منهم لكى يمنعونا من الدعاء بالاسم الحلو الذى لربنا يسوع المسيح ، لعلمهم أنه بدون هذا الاسم لا ولن يوجد خلاص البتة كقول الرسول بطرس : « انه ليس اسم آخر تحت السماء أعطى للناس به ينبغى أن نخلص » ، ونحن نؤمن ايمانا كاملا بأننا اذا دعونا باسم ربنا يسوع انما ندعو الآب والروح القدس القدس لأننا لا نقبل البتة فرقا ولا انقساما فى اللاهوت . ونؤمن أيضا أن ربنا يسوع المسيح هو الواسطة الذى به يحصل الناس على الدنو من الله والحديث معه كقول الرسول : « وفى هذه الأيام كلمنا فى ابنه »

+ قال أخ للقديس مقاريوس الكبير :

« انى خائف بسبب خطاياى فماذا أعمل يا أبى ؟ » .

قال له الشيخ : « تقو وتمسك برجاء الحياة والرحمة التى لا حد لها الذى هو اسم ربنا يسوع المسيح » .

+ وسأل أخ شيخا :

« عرفنى يا أبى كيف أتمسك باسم الرب يسوع بقلبى ولسانى » .

اجابه الشيخ : « مكتوب أن القلب يؤمن به للبر ، والفم يعترف به للخلاص . فهدىء قلبك تجده يرتل باسم الرب يسوع دائما . أما أن أصابه عدم هدوء وطياشة فعليك أن تتلو باللسان حتى يتعود العقل . فاذا نظر الله الى تعبك أرسل لك معونة عندما يرى شوق قلبك ، فيبدد ظلمة الأفكار المضادة للنفس » .

+ وسأل آخر :

« يا أبى ماذا أعمل بهذه الحروب الكائنة معى ؟ » .

أجاب الشيخ : « ان مداومة اسم الرب يسوع تقطع كل آكلة »

+ **حدث أن زار الأنبا بيمين أنبا مقاريوس الكبير ، فقال الأنبا بيمين :**

« يا أبى : ماذا يعمل الانسان كى يقتنى الحياة ؟ » .

فقال أنبا مقاريوس : « ان أنت داومت كل حين على طعام الحياة الذى للاسم القدوس : اسم ربنا يسوع المسيح بغير فتور فهو حلو فى فمك وحلقك وبترديدك اياه تدسم نفسك وبذلك يمكنك أن تقتنى الحياة » .

+ **قال شيخ مثلا :**

كان لانسان فى قرية أخت جميلة . ولما كان يوم عيد تلك القرية سألته أخته أن يأخذها الى موضع ذلك العيد واذ كان أخوها يخاف أن يرسلها وحدها لئلا يحصل لقوم عثرة بسبب شبابها ، فقام ومضى بها الى مكان عيد القرية وهو ممسك بيدها . وكان ينتقل بها من مكان لآخر وهو ممسك بيدها . لأنه قال : ان هى مالت الى فعل جهالة فانها لن تستطيع لأنى ممسك بيدها ، وهكذا فقد كان الكثيرون ينظرون الى الصبية ويشتهونها من أجل جمالها ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا بها شيئا لأن أخاها كان ممسكا بيدها . وهى كذلك كانت تنظر الى الصبيان الذين يشتهونها وتميل بضميرها للذة ولكنها لم تتمكن من اكمال شهوتها لأن أخاها كان ممسكا بيدها .

+ **ثم قال الشيخ الذى ذكر هذا المثل :**

ما دامت النفس ذاكرة اسم ربنا يسوع المسيح الذى صار لها أخا بالتدبير، فانه يكون فى كل وقت ممسكا بيدها .. وان أراد الأعداء الغير المنظورين خداعها فلا يستطيعون أن يفعلوا بها شيئا لأن أخاها ممسك بيدها . وان هى خضعت للأفكار ومالت للذات العالم ، فلن تستطيع اكمال الخطية لأن أخاها ممسك بيدها ان هى تمسكت فى كل وقت بالاسم المخلص الذى لربنا يسوع المسيح ولم ترخه.

ارأيت يا حبيبى كيف أن التمسك بهذا الذكر الصالح الذى لاسم ربنا يسوع المسيح هو خلاص عظيم وحصن منيع وسلاح لا يقهر وخاتم خلاص النفس ؟ فلا تتوان عن أن تقتنى لنفسك هذا الكنز الذى لا يسرق وهذه الجوهرة الكثيرة الثمن التى هى اسم ربنا يسوع المسيح ذلك الاسم المخلص .

فان سألتنى قائلا : « وكيف أقتنى هذا الكنر العظيم ؟ » أجبتك قائلا : « بالعزلة عن كل أحد وعدم الاهتمام بكافة الأشياء . واتعاب الجسد بقدر ، والصوم بمداومة . والدموع الصادقة تجعلك أن تكون تحت كل الخليقة فاذا ما حصلت على كل ذلك صرت ابنا لله وأنت على الأرض وتنتقل من الأرض الى فوق السماء وأنت كائن فى الجسد . كل نعمة هى منك ولك يارب . انك تصنع رحمة مع ضعفنا حتى تنقلنا الى ملكوتك » .

+ **قيل عن الأب ايليا :**

انه لمحبته للوحدة أقام فى بربا خربة ، فأتاه الشياطين قائلين : « أخرج من هذا المكان لأنه موضعنا » فأجابهم الشيخ : « أنتم ما لكم مكان » ، فبددوا خوصه ، وقالوا له : «أخرج من ههنا» فقام وجمعه ، وجلس يضفر وهو صامت، فبددوه له أيضا قائلين : « أخرج من موضعنا » ، فقام أيضا ، وجمعه وجلس

صامتا . ثم أن الشياطين أمسكوا بيده ، وبدأوا يجرونه الى خارج قائلين : « لا تقم هاهنا ، لأنه موضعنا » ، فلما بلغ الباب أمسكه بيده وصرخ قائلا : « يا يسوع المسيح الهى أعنى » ، وللوقت هربت عنه الشياطين ، فابتدأ الشيخ يبكى ، فجاءه صوت الرب قائلا له : « لماذا تبكى ؟ » فقال الشيخ : « كيف لا أبكى ، وهؤلاء يتجاسرون هكذا على محاربة خليقتك ؟ » فقال له الرب : « انك أنت الذى توانيت ، فلما طلبتنى وجدتنى »

٣

مادة الصلاة

(أ) الشكر

من أقوال مار اسحق :

+ ليست موهبة بلا نمو وازدياد الا التى ينقصها الشكر .

+ من لا يشكر على القليل فهو كاذب وظالم ان قال أنه يشكر على الكثير والجاهل جزاؤه دائما فى عينيه صغير .

+ شكر الذى يأخذ يحرك الذى يعطى الى بذل العطايا التى هى أعظم من الضيقات .

+ تأمل دائما فى البلايا الصعبة وفى الذين هم فى شدة ومذلة وبهذا التأمل يمكنك أن تقدم الشكر أزاء البلايا الصغيرة التى تنتابك وحينئذ تستطيع أن تصبر عليها بفرح

+ دع الصغار تنال الكبار .

+ مرشد أنعام الله الى الانسان ، هو الشكر المتحرك فى القلب على الدوام ، ومرشد التجارب الى النفس هو التذمر . ان الله عز وجل يحمل كل ضعف من الانسان ، ولا يتحمل انسانا يتذمر دائما ، ان أدبه .

+ فم يشكر دائما انما يقبل البركة من الله تعالى ، وقلب يلازم الحمد والشكر تحل فيه النعمة .

+ قال شيخ :

حدث مرة أنى كنت فى موضع حيث أتى يتامى ومساكين يسألون صدقة ، فلما ناموا ، كان بينهم واحد لا يقتنى شيئا يلبسه سوى حصيرة ، نصفها فوقه ونصفها الآخر تحته ، وكان وقتئذ برد شديد ، فخرج بالليل يقضى حاجة الطبيعة فسمعته من شدة البرد يعزى نفسه ويقول : « أشكرك يا رب ، كم من أغنياء الآن فى السجون يرزحون فى أغلال حديدية ، وآخرين وقد ربطت أرجلهم فى الخشب لا يستطيعون الخروج حتى لتبديد الماء ، وها أنا مثل ملك أمد رجلى ، حيثما شئت أذهب » . فلما أنصت وسمعت كلامه هذا دخلت الى الأخوة وحدثتهم ، فلما سمعوا تعجبوا وانتفعوا وسبحوا الله .

(ب) التسبيح

+ **قال شيخ :**

لا تدع لسانك يخلو من التسبيح ، فان تصرفت فى تدبير قلايتك . فان الأفكار السوء تنقطع عنك ، ولا يجد العدو سبيلا لما يخطره ببالك ، فيبعد عنك

(ج) الاشتياق

+ **قال القديس موسى الأسود :**

« لنقتن لأنفسنا الشوق الى الله فان الاشتياق اليه يحفظنا من الزنى » ..

(د) الانسحاق

+ **قال شيخ :**

« كما أن عابر الطريق ضيف يومه ، لا يدخل المنزل ما لم يأمره صاحبه بذلك ، هكذا العدو ، ان لم يقبله الراهب ، لا يقدر أن يدخل الى عنده ، فاذا صليت فقل : يا رب أنت عارف بكل الأشياء . أنا بهيمة ، ما عرفت شيئا بعد ، لكن علمنى كيف أبدأ ، أنت قد جئت بى الى ههنا فعلمنى كيف أخلص » .

+ **وقال آخر :**

« كل راهب يجلس فى قلايته ويدرس فى مزاميره ، يشبه من يجرى فى طلب الملك ، والذى يداوم فى الصلاة يشبه انسانا يكلم الملك ، وأما الذى يجرى يسأل **ببكاء ، فهو يشبه من هو ممسك برجلى الملك يطلب منه المغفرة** » .

+ **قال أنبا شيشاى لتلميذه :**

« ان لى ٣٠ سنة لم أطلب من الله غفران خطيتى ، ولكن فى طلبتى وصلاتى أقول : يا رب يسوع المسيح أسترنى ، فانى الى هذا الوقت أزل وأخطىء بلسانى » .

+ **وقال أحد الاخوة لقوم من الرهبان :**

« هل رأيتم قط من هو أكذب من شقاوتى ؟ » قالوا : وما السبب ؟ قال لهم : « اذا أنا وقفت أصلى فانى أرفع يدى ونظرى الى فوق ، وأبكى وأسأل ان يسمع الطلبة ويرحم البكاء ، وفى الوقت الذى أخطىء فيه ، أقول انه لا يرانى ، وبهذا السبب نبت عندى كذب نفسى » .

(هـ) المزامير

+ **زار أخ شيخا وسأله قائلا :** « كيف حالك ؟ فأجابه الشيخ قائلا : « أسوأ الأحوال » فقال له الأخ : « لم ذلك ؟ » فأجابه الشيخ قائلا : « لان لى ٣٠ سنة وصلاتى خلالها على لا لى ، لأنى أقف قدام الله والعن ذاتى ، وأقول ما لا أشتهى أن يخرج من فمى اذ أقول : « ملاعين الذين حادوا عن وصياك » وأحيد أنا عن الوصايا وأفعل الآثام ، وأقول « لا تتراءف على فاعلى الاثم » ، وأكذب كل يوم وأقول لله « انك تهلك كل من يتكلم بالكذب » ، وأحقد وأقول لله « اغفر لنا خطايانا ، كما نغفر نحن لمن أخطأ الينا » ، وأخطىء وأقول : « عندما يزهر الخطاة ويعلو جميع عاملى الاثم ، فهناك يستأصلون الى الأبد » وآثم وأقول « ابغضت

جميع فاعلى الاثم » ، وهمى كله فى المأكل وأقول بين يدى الله : « نسيت أن آكل خبزى » ، وأنام الى الصباح وأقول : « فى نصف الليل كنت أنهض لأسبحك » ، وليس لى خشوع ولا دموع وأقول « تعبت فى تنهدى » ، وصارت دموعى خبزا لى نهارا وليلا وبدموعى أبل فراشى » ، وأفتكر فكرا خبيثا . وأقول لله : « ان ما يتلوه قلبى هو لديك كل حين » ، وليس لى صيام وأقول « ركبتاى ضعفتا من الصوم » ، ونفسى متكبرة وجسدى مستريح وأقول لله « أنظر الى تواضعى وتعبى واغفر لى جميع خطاياى » ولا استعداد لى وأقول : « مستعد قلبى ياالهى » . **فقال الأخ** : « يا معلم ، على مايلوح لى . ان النبى قال ذلك عن نفسه » فتنهد الشيخ وقال : « صدقنى يا ابنى ان لم نعمل نحن بما نصلى به قدام الله ، فان صلاتنا تكون علينا لا لنا » .

(و) الدموع

+ قال انبا موسى الأسود :

« ينبغى لنا أيها الحبيب أن نجتهد بقدر استطاعتنا بالدموع أمام ربنا ليرحمنا بتحننه . لأن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح . »

+ وقال القديس مكاريوس :

كما أنه اذا سقط المطر على الأرض نبتت وأنتجت الثمار وفى ذلك راحة وفرح للناس ، كذلك الدموع اذا ما وقعت على قلب أثمرت ثمارا روحانية وراحة للنفس والجسد معا .

+ لنبك أيها الاخوة ولتسل دموعنا من أعيننا قبل أن نمضى الى حيث تحرق دموعنا أجسادنا بدون نفع . ولما قال هذا بكى وبكى الكل معه وخروا على وجوههم قائلين . أيها الأب صل من أجلنا .

+ قال شيخ :

« سبيلنا أن نتطهر بالدموع ما دمنا فى هذا العالم ، قبل أن نمضى الى حيث تحرق دموعنا أجسادنا » .

+ **سأل أخ شيخا** : « كيف يقتنى الانسان البكاء ؟ » فقال : « يقتنى الانسان البكاء اذا كان عقله يذكر دائما خطاياه وموته ودينونته » .

+ وقال شيخ :

« كما أننا نحمل معنا ظلنا أينما ذهبنا ، كذلك يجب أن يكون البكاء معنا فى كل موضع ، كالقول : « أحمى كل ليلة سريرى وبدموعى أبل فراشى » .

+ وقال آخر :

« من لا ينشق قلبه بالتحسر والتنهد ، وكان فارغا من صلاة الدموع وعادما من القراءة فهو سائر فى التيه لأنه اذا ما أخطأ لن يحس » .

+ وقال مار اسحق :

« من اقتنى دموعا فى صلاته ، فهو كانسان يقدم قربانا عظيما للملك ، وقد اقتنى عنده وجها بهجا » .

+ **سأل أخ شيخا قائلا** : « ماذا أصنع لأخلص ؟ » قال له : « يجب أن تبكى دائما » .

+ **قيل عن أحد الرهبان** أنه كان كل يوم يبكى على خطاياه ، وكان له جار يسمعه ، واذا لم يأته البكاء ، قال لنفسه : « لماذا لا تبكى يا شقى ؟ » لماذا لا تنوح يا مسكين؟ حقا انك ان لم تبك ههنا طائعا ، فانك تبكى هناك كارها »، وكان قد أصلح له حبلا غليظا يضرب به ذاته ليبكى ، فتعجب جاره وطلب من الله أن يكشف له ان كان تعذيبه لنفسه صوابا (١) ، فأبصره وهو واقف بين جماعة الشهداء ، وانسان يقول له : « هذا هو المجاهد الصالح الذى يعذب نفسه من أجل المسيح » .

+ **ومن أقوال مار افرام :**

« تفهم يا أخى أن من أجلك أقبل من السماء الاله الأعلى والأقدس ؛ ليعليك من الارض الى السماء ، مغبوط فى ذلك اليوم ، الذى قد حرص من هنا ؛ كى يوجد مستحقا لتلك السعادة ، واذ أنه لا يمكن أن تباع الأدوية السماوية والقدسية ، لأنه ليس لها ثمن ، ولكنها بالدموع توهب للكل . ترى من لا يعجب ومن لا يندهل ، من لا يبارك كثرة تحننك أيها المخلص لنفوسنا ، لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع عوض أشفيتك . فيالقوتك أيتها الدموع ! الى أين بلغت ؟! حتى انك تدخلين الى السماء مجاهرة كثيرة بلا مانع ، وتأخذين طلباتك من الاله الأقدس.

+ **قال القديس لنجيوس :**

« البكاء يعمد الانسان ويجعله بغير خطية » .

وقيل انه كان لهذا الأب تخشع كبير فى صلاته وقراءته ، فقال له تلميذه مرة : « هل هذا هو القانون الالهى يا أبى ، أن يبكى الانسان فى خدمته لله ؟ فأجابه : « نعم يا ولدى ، هذا هو القانون ؛ ليس لأن الله قد صنع الانسان للبكاء بل للفرح والسرور وليخدمه بطهارة قلب ، وعدم خطية كالملائكة ، فلما سقط الانسان فى الخطية ، احتاج الى النوح والبكاء ، وحيث عدم الخطية ، فليست هناك حاجة الى البكاء . » .

+ **قيل** أنه كان يسكن بقرب أخ حريص على خلاص نفسه أخ آخر كان بستانيا ، وقصد مرة المضى الى دير فى يوم من الأيام ، فقال لذلك الأخ الكاتب : « اصنع محبة يا أخى واهتم بالبستان حتى أرجع » ، فقال له الأخ : « صدقنى انه على قدر استطاعتى لن أتوان فى الاهتمام به » .

وبعد انصراف الأخ البستانى قال الأخ الكاتب فى نفسه : « يا مسكين ، لقد وجدت خلوة فاهتم بالبستان .. ثم انه انتصب فى قانونه من المساء الى الصباح ، لم يفتر ، مترنما بدموع ، مصليا ، ومكث على هذه الحال طول النهار كذلك اذ كان يوم الأحد المقدس . فلما جاء الأخ البستانى عند المساء ، وجد

---

(١) التشدد مع الذات هنا بسبب نظر الانسان الى خطاياه وانسحاقه الدائم كقوله « خطيتى أمامى فى كل حين » .

البستان قد أفسدته القنافذ ، فقال له : « غفر الله لك يا أخى لأنك لم تهتم بالبستان » فقال له ذلك : « يا معلم ، علم الله ، انى قد بذلت كل قوتى وحفظته الا أن الله قادر أن يعطينا ثمرا من البستان الصغير » فقال له الأخ : « صدقنى يا أخى لقد تلف كله » فقال له الكاتب : « لقد علمت بذلك الا انى واثق بالله ، انه قد ازهر أيضا ... » فقال البستانى : « هلم بنا لنسقى » فقال الأخ « انطلق أنت أسق فى النهار وأنا أسقى فى الليل » فلما صار القحط والجدب ، اغتم البستانى وقال لذلك الكاتب جاره « صدقنى يا أخى ، اذا لم يعن الله ، فليس لنا فى هذا العام ماء » ، فقال له الكاتب : « الويل لنا يا أخى ان جفت ينابيع البستان ، بالحقيقة لن يكون لنا خلاص أيضا » . وكان يقول هذا قاصدا بذلك ينابيع الدموع .. فلما جاءت الوفاة للمجاهد القديس ، سأل جاره البستانى قائلا : « اصنع محبة ولا تقل لأحد أنى مريض ، ولكن أمكث عندى ههنا اليوم ، واذا انصرفت الى الرب فاحمل أنت جسدى ، واطرحه عاريا لتأكله الوحوش والطيور لأنه قد أخطأ قدام الله كثيرا ، ولا يستحق أن يدفن» . فقال له البستانى : «صدقنى يا معلم ان هذا الطلب صعب على اتمامه » فأجابه قائلا : « لا تخالفنى فى هذا الطلب ، وانى أعطيك عهدا ، ان سمعت منى وعملت بى كما سألتك ، واستطعت أنا القيام بما ينفعك » ثم انه بعد وفاته ، عمل به كما أمره فى ذلك اليوم ، فطرح جسمه فى البرية عاريا ، لأنهما كانا مقيمين فى مكان يبعد عن الحصن عشرين ميلا وفى اليوم الثالث ظهر له الأخ المنصرف للرب فى الرؤيا وقال له : « يا أخى ، يرحمك الله كما رحمنى ، صدقنى ان رحمته عظيمة جدا ، فلقد رحمنى الله بسبب بقاء جسمى غير مدفون وقال لى : لأجل تواضعك الكثير ، قد أمرت أن تكون مع انطونيوس ، وقد طلبت اليه من أجلك أيضا ، لكن اذهب واترك البستان ، واهتم بالبستان الآخر ، لأنى فى الساعة التى خرجت فيها نفسى ، كنت أبصر دموع عينى وقد أطفأت النار التى كنت مشرفا على المضى اليها » .

+ **كان أخ** فاضل مريضا ، واذا صلى مع أخيه قانونه تغلبه دموعه ، فيفوته من المزمور استيخن (١) أو أكثر ، وفى أحد الأيام سأله أخوه أن يخبره بما ينتابه أثناء قراءة قانونه حتى يبكى ذلك البكاء المر . فقال : اغفر لى يا أخى فانى أثناء قراءة القانون ، أبصر القاضى دائما ، وأرى ذاتى واقفا قدامه وقوف المجرم ، وهو يفحص أحوالى واسمعه قائلا لى : لم أخطأت ؟ واذ ليس لى جواب أحتج به اليه يستد فمى وعلى هذا الوجه يفوتنى الاستيخن من الزمور ، فاغفر لى لأنى أغمك . وان كنت تجد راحة فى أن يصلى كل واحد منا قانونه منفردا ، فافعل » فقال له أخوه : « لا يا أخى . لأنى وان كنت أنا لا أبكى . الا انى فى الواقع اذا رأيتك تبكى ، أعطى الويل لنفسى وأعتبرها شقية » فلما أبصر الله تواضعه : وهب له اتضاع أخيه .

+قال شيخ :

ذهبنا مع اخوة الى دير خارج الاسكندرية على بعد ١٥ ميلا ، فلقينا **أنبا تودرى** وقد كان رجلا كثير التعب فى الرهبنة ، ومعه موهبة الصبر ، فحدثنا عن أخ كان ساكنا فى القلالى الكائنة خارج الاسكندرية ، وكان قد اقتنى له موهبة البكاء ،

---

(١) Ctixion عنصر ، وهنا جملة أو فقرة شعرية .

وفى يوم من الأيام أوجعه قلبه واعتراه بكاء كثير ، فلما رأى كثرة البكاء ، قال لنفسه : هذه علامة دالة على أن يوم موتى قد دنا فكان كلما تفكر فى ذلك كان البكاء يزداد ويكثر كل يوم . فلما انتفعنا من حديث الشيخ سألناه عن الدموع.

« لأى سبب يا أبانا تأتى الدموع من نفسها مرة ولا تأتى من نفسها مرة أخرى ؟ » فقال لنا الشيخ :

« الدموع مثل المطر والراهب مثل الفلاح ، فينبغى له اذا أبصر المطر قد جاء ، أن يحرص الا يفوته شيء منه بل يصرفه كله الى أرضه ، حقا أقول لكم يا بنى انه ربما يكون يوم واحد ممطر أفضل من السنة كلها ، فمن أجل ذلك اذا رأينا المطر قد جاءنا ، فلنحرص أن نحفظ أنفسنا ونتفرغ الى التضرع الى الله دائما ، اذ لا ندرى هل نجد يوما آخر مثل اليوم الذى جاءنا فيه البكاء أم لا » .

فسألناه نحن أيضا وقلنا : « أخبرنا يا أبانا كيف ينبغى للانسان أن يحفظ ذلك البكاء اذا جاء ؟ » .

قال لنا الشيخ : « من قبل كل شيء ، لا يتوجه ذلك الانسان الذى يأتيه البكاء – فى ذلك اليوم ، أو فى تلك الساعة أو تلك السنة – الى انسان ويتحفظ ألا يملأ بطنه وألا يستكبر فى قلبه ، ويفضل أن يبكى وأن يتفرغ للصلاة والقراءة ، فاذا جاء النوح فهو يعلمه الأمور التى تضره ، والأمور التى تأتى به » .

ثم حدثنا الشيخ وقال : «انى أعرف أخا كان جالسا فى قلايته يعمل فى الضفيرة وكانت الدموع تأتيه بغزارة ، فكان اذا رجع الى العمل فى الضفيرة يجمع عقله ويأتيه البكاء ، حتى فى القراءة كذلك ، فانه اذا أخذ الكتاب جاءه البكاء واذا تركه ذهب عنه ، حينئذ قال لنفسه : حسنا ما قاله الآباء : « ان النوح هو معلم الانسان كل شيء ينفع نفسه » .

(ز) طلب الرب فى وقت الضيق

+ **قال شيخ :**

« الزم الصلاة فى التجارب فان الرب قد قال : « الله ينتقم لعبيده الصارخين اليه » .

(ح) الاعتراف

+ **قال أنبا انطونيوس :**

« لا تكنز خطيئتك التى صنعتها لأن أفضل ما يقتنيه الانسان هو أن يقر بخطاياه قدام الله ويلوم نفسه » .

(ط) طلب الروحيات

+ **قال شيخ :** « لتكن همتك فى ملكوت السموات ، وأنت سريعا تخلص ، وترثها » .

+ **وقال مار اسحق :**

+ لا تطلب الأمور الحقيرة من العظيم القادر على كل شيء لئلا تهينه . اسأل المواهب الكريمة من الله فينعم عليك بها . لقد سأل سليمان من الله الحكمة فأعطاه معها الغنى ودوام السلامة وسأل اسرائيل الحقيرات فرذل لأنه ترك تمجيد عجائب

الله وطلب شهوة بطنه ، واذ الطعام بعد فى أفواههم أتى رجز الله عليهم كما هو مكتوب .

+ اطلب من الله ما يلائم مجده لتكون كريما عنده ولا تسأل الأرضيات من السمائى فقد كتب : اطلبوا ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم .

+ من يشتهى الروحيات ، حتما يهمل الجسدانيات .

+ ليس شيء محبوبا لدى الله ، وسريعا فى استجابة طلباته ، مثل انسان يطلب من أجل زلاته وغفرانها .

+ **وقال انبا موسى الأسود :**

أذكر ملكوت السموات لتتحرك فيك شهوتها .

+ **قال القديس باسيليوس :**

« ان كان غير لائق أن نستشهد بانسان شريف على أمر حقير ، فكم بالحرى الله تعالى » .

٤

بعد الصلاة

(أ) استجابة الصلاة

+ **قال أنبا زينون :**

« من يريد أن يسمع الله صلاته بسرعة ، فانه اذا وقف يصلى ، ليبسط يديه أولا ، ويطلب من أجل أعدائه بضميره كله ، قبل أن يصلى من أجل نفسه ، بهذه الفضيلة يستجيب الله له فى كل مسألة » .

+ **قال مار اسحق :**

« كما ان شعاع النار لا يمكن امساكه عن الطلوع الى فوق ، هكذا صلاة الرحيمين لا يمكن الا أن ترقى الى السماء اما الحقود فيستثمر من صلاته ما يستثمره الزارع فى البحر من الحصاد .

(ب) الارتقاء بالفكر

+ **قال شيخ :**

« لتكن الأرض لك شبه السماء وانظر لئلا تتفكر بالأرضيات وأنت قائم فيها. قيل عن الأب **دتينوس** انه كان يبسط يديه بسرعة عند الصلاة ، فكان عقله يخطف الى فوق ، فاذا اتفق أن صلى معه أخوه ، فانه كان يحرص على ألا يرفع يديه لئلا يخطف عقله .

+ **وقال آخر :**

« فى خدمتى وصلاتى لست أعرف تعبا ، لأنه ليست فيها حركة من هواى ،

بل أظل منصتا للروح الساكن فى وأتلذذ ، وهذا هو المقصود مما قيل : « ان الروح يصلى بدلا عنا » .

+ وقال أبا أسحق :

كنت جالسا فى احدى المناسبات مع أنبا بيمين فلاحظت أنه كان فى حالة دهش عظيم . وبما كان لى من تأثير عليه طلبت منه بالحاح قائلا : « فيم تفكر يا أبى ؟ » وبعد الحاح شديد أجاب قائلا :

« كنت أتأمل فى موضع الصلب ، حيث كانت القديسة مريم حاملة الاله ، واقفة تبكى بجوار صليب مخلصنا ؛ كنت أتمنى أن أشعر بمثل هذا كل الأوقات .

+ ومرة جاء الى أنبا سلوانس تلميذه زكريا ، ووجده فى حالة صلاة الدهش ويداه مرتفعتان الى السماء فخرج وأغلق الباب ، ثم عاد فى الساعة التاسعة فوجده على نفس الحالة ، وعندما رجع نحو الساعة العاشرة وجده مازال على نفس الهيئة فطرق الباب ودخل ، فرآه فى حالة صمت ثم قال له : « ماذا حدث لك اليوم يا أبى ؟ » أجابه الشيخ : «كنت أشعر بضعف ومرض يا ابنى» . لكن التلميذ أمسك بقدميه وقال : « لن أطلقك ان لم تخبرنى بما رأيته » فقال له الشيخ : « عاهدنى أن لا تكشف الأمر لأحد قبل أن أنطلق عن الجسد وأنا أخبرك » ولما توسل اليه التلميذ أجاب الشيخ :

« اختطفت الى السموات ، ورأيت العظمة التى لربنا ومكثت هناك حتى الآن حيث طردت » .

+ ولما كان الأب سلوانس بطور سينا ، أرسل تلميذه فى خدمة (١) وقال الشيخ فى نفسه : « أقوم الآن وأسقى البستان » فخرج وكان وجهه مغطى ، وما كان ينظر سوى أثره فقط ، وفى ذلك الوقت أتى اليه أخ ، زائر له ، وكان يتأمل ماذا يصنع ، فى حين أن الشيخ لم يكن يبصره ، فلما جاء اليه الأخ ، قال له : « لماذا غطيت وجهك يا أبى وأنت تسقى البستان ؟ » فقال : « قلت لئلا تبصر عيناى الشجر ، فينشغل عقلى عن شغله » .

+ ومرة كان هذا الأب جالسا مع اخوة ، وفجأة أخذ مبهوتا وسقط على وجهه ، ومن بعد حين قام باكيا ، فقال له الاخوة : « ما الذى أبكاك يا أبانا ؟ ! » فسكت باكيا ، فلما أكرهوه على الكلام قال : « انى اختطفت الى موضع الدينونة ورأيت كثيرين من جنسنا يساقون الى العذاب ، وكثيرين من العلمانيين منطلقين الى الملكوت ! » ، وناح الشيخ ولم يشأ أن يخرج من القلاية ، واذا أكره على الخروج ، فانه كان يستر وجهه ببرنس قائلا : « لماذا أرى هذا الضوء ؟ » .

(١) خدمة الترنيم والصلاة « بلاديوس ٢ ص ٢١٣ » .

ثالثاً

التوبة

١ ـ حاجتنا الى التوبة

عواقب الخطية

٢ ـ التوبة المقبولة

(أ) تحذيرات ونصائح للتوبة الطاهرة

(ب) التوبة تطهر النفس

(هـ) متى يؤهل الانسان لمغفرة الخطايا

٣ ـ كيف أتوب

(أ) الحذر من اليأس

(ب) الاسراع الى التوبة

(جـ) محاسبة النفس

(د) الاستعداد

(هـ) الاعتراف

٤ ـ حياة التوبة

(أ) الحرص والغربة

(ب) امتزاج الفضائل بروح التوبة

(جـ) الانسحاق والدموع

ـ خوف الله ـ خطيئتى امامى ـ النوح

(د) اذكر محبتك الأولى

(هـ) اذكر ساعة الموت والدينونة

٥ ـ ثمار التوبة

(أ) الاتضاع

ـ مع الناس ـ مع الشياطين

(ب) انكار الذات

(جـ) عدم التذمر

(د) تنقية النفس

١

حاجتنا إلى التوبة

+ **سئل أنا بيمين « ما هى التوبة ؟ »** فقال : « الاقلاع عن الخطية وأن لا يعاود فعلها ، لأنه لذلك دعى الصديقون لا عيب فيهم ، لأنهم أقلعوا عن الخطية فصاروا صديقين » .

+ **قال القديس مقاريوس الكبير :**

« كما أن الماء اذا تسلط على النار يطفئها ويغسل كل ما أكلته . كذلك ايضا **التوبة** التى وهبها لنا الرب يسوع تغسل جميع الخطايا والأوجاع والشهوات التى للنفس والجسد معا » .

+ **قال القديس موسى الاسود :**

من كان حكيما وعمله بحكمة فلا ينبغى له أن يسلم وديعته من دون أعمال صالحة كى يستطيع الخلاص من تلك الشدة .

فلنحرص اذن بقدر استطاعتنا والرب يعين ضعفنا ، لأنه قد عرف ان الانسان شقى ولذلك وهب له التوبة مادام فى الجسد .

+ **أيها الحبيب** ، ما دامت لك فرصة فارجع وتقدم الى المسيح بتوبة خالصة . سارع قبل أن يغلق الباب فتبكى بكاء مرا ، فتبلل خديك بالدموع بدون فائدة . اجلس وترقب الباب قبل أن يغلق أسرع واعزم على التوبة ، فان المسيح الهنا يريد خلاص جميع الناس واتيانهم الى معرفة الحق وهو ينتظرك وسوف يقبلك .

+ **وقال مار اسحق :**

+ بالحقيقة ان المعمودية والايمان هما أساس كل خير ، فيهما دعيت ليسوع المسيح لأعمال صالحة . بالايمان يدرك العقل الأسرار الخفية كما يدرك البصر المحسوسات .

+ **المعمودية** هى الولادة الأولى من الله . **والتوبة هى الولادة الثانية ..** كذلك الأمر الذى نلنا عربونه بالايمان بالتوبة نأخذ موهبته .

+ **التوبة هى باب الرحمة** المفتوح للذين يريدونه . وبغير هذا الباب لا يدخل أحد الى الحياة لأن الكل أخطأوا كما قال الرسول : وبالنعمة نتبرر مجانا ... فالتوبة اذن هى النعمة الثانية وهى تتولد فى القلب من الايمان والمخافة . بر المسيح يعتقنا من بر العدالة ، وبالايمان باسمه نخلص بالنعمة مجانا بالتوبة .

+ **سئل مرة مار اسحق :** « ما هى التوبة ؟ » فقال : « قلب منسحق » .

+ **التوبة هى أم الحياة ،** تفتح لنا بابها بواسطة الفرار من الكل ، نعمة المعمودية التى ضيعناها بانحلال سيرتنا ، تجددها فينا المعمودية بواسطة افراز العقل ، من الماء والروح لبسنا المسيح ولم نحس بمجده ، وبالتوبة ندخل النعيم ، وبنعمة الافراز التى لنا نتطهر . العادم من التوبة خائب من النعيم المزمع أن يكون ، القريب من الكل بعيد عن التعزية ، أما المبتعد عن الكل بافرازه فهو تائب بحق ، توبة مع أحاديث تشبه خابية (١) مثقوبة .

+ **مبدأ التوبة هو الاتضاع** الذى بلا زى كاذب **مشوش .**

+ **التوبة هى لباس الثياب الحسنة الضوئية .**

+ **التوبة كثيرون يعدون ويتظاهرون بها ،** وليس من يقتنيها بتحقيق الا المحزون ، وكثيرون يسرعون نحو الحزن ، فلا يجده على الحقيقة الا الذى قد اقتنى الصمت على الدوام ، كل من هو كثير الكلام ويخبر بأمور عجيبة ، اعلم انه فارغ من الداخل ، الحزن الجوانى هو لجام الحواس .

+ من زل وأخطأ ، وعرف سبب مرضه فانه بسهولة يشفى بالتوبة .

عواقب الخطية

+ **قال شيخ :**

« لا يوجد أردأ من الانسان الخاطىء ، لا الخنزير ولا الكلب ولا الضبع ، لأن هذه البهائم قد حفظت رتبتها . أما الانسان الذى خلق على صورة الله ومثاله ، فانه لم يحفظ طقسه . » فالويل للنفس التى اعتادت الخطية ، فانها مثل الكلب الذى اعتاد زهومات اللحامين (الجزارين) وقاذوراتهم ، فهو يضرب ويطرد ، فاذا تخلى قليلا ، عاد ثانية الى الزهومات، ولا يزال كذلك حتى يقتل» .

٢

التوبة المقبولة

(أ) تحذيرات ونصائح للتوبة الطاهرة

+ **من أقوال الشيخ الروحانى :**

+ الذى يتوب عن سيئاته ولا يعود اليها أيضا ، حتى ولو كانت قبيحة سمجة ، أكثر من خطايا السدوميين ، ويظهر من أجلها وجع قلب وندامة ودموعا ، وبالجملة يقطع منه كل الشرور ، فلوقته يولد من الروح القدس ، ويكون من أحباء الله الخصوصيين ، وبدالة يأخذ طهارة معتوقة من خزى المجرمين ، وتعاد اليه بتولية لم تتدنس البتة ، ويدعى زرعا الهيا لم يخطىء قط ، ويقبل فى قلبه عربونا بثبات رجائه ، وتعطيه الرحمة الأبوية ثقة واتكالا ونسيانا للخطية بالكمال ، من قلبه كأنها لم تكن .

---

(١) وعاء ماء

+ أيتها الرحمة الفائضة ، ما أوفرك يا من أعطيت لنا نحن الموتى بالخطايا رحما مقدسا الذى هو التوبة ، يلد بنينا جددا من عتق ، أطهارا من أنجاس ، منيرين من مظلمين . من لا يعجب من رحمتك يا ربنا ، ومن لا يعترف لنعمتك يا من أتيت الى الميلاد لتلدنا من بطن التوبة على شبهك كشبه مريم والدتك ؟ . السبح لك يا آب الكل ، يا من أعطيتنا أما جديدة بالميلاد الجديد ، وان كنا بصبوتنا قد تنجسنا بكل نتن ، لكنها تجلى ، وتطهر ، وتحسن ، وتغطى تحت أطرافها مثل المربية ، أولئك الذين ولدوا منها حتى يصلوا الى عندك محبوبين وأحباء ، ليكونوا آلهة وملوكا ، بنينا لربوبيتك .

(ب) التوبة تطهر النفس

من أقوال الشيخ الروحانى :

+ ان كنت يا أخى تقول : « كيف تقدر التوبة أن تجدد الانسان الذى قد تدنس وفسد بالخطية ؟ » فأقول لك :

اذكر تكوينه الأول ، ومن أى شىء صار ، أعنى من شىء حقير وسمج فى البطن الضيق المظلم ، وكما ركبت نعمة الهنا المادة المنتنة فى البطن المظلمة مكملة تكوينه ، وأخرجته الى نور هذا العالم ، كذلك الذى أفسد طهارته بعد المعمودية بفعل الشيطان واتسخ بجميع جراحات الخطية النجسة ، بالميلاد من حضن التوبة الكئيب المظلم ، يخرج لنور عالم الروح ، الذى أخذ سره بالمعمودية المقدسة .

+ وكما أن ذلك السائل السمج ، ان رمى فى أرض واسعة مضيئة ، ولم يدخل البطن الضيق المظلم ، يكون بلا منفعة ولا يتشبه بالذى ولده ، هكذا الذى تدنس بالخطية ، اذا لم يدخل البطن الضيق المظلم (التوبة) فانه يكون بلا منفعة ، وغير متشبه بمن ولده من المعمودية المقدسة .

وكما أن آدم الجسدانى ، من حواء يولد له بنين بشبهه لعالمه الجسدى ، كذلك المسيح ، أب العالم الروحانى ، من المعمودية والتوبة ، يولد له بنين يشبهه للعالم الروحانى ، كما ينادى لهم رأس حياتهم قائلا : « توبوا ، فقد قرب ملكوت السموات » .

+ « فكيف نجدها ان كانت قريبة ؟ يا أبانا أرنا اياها » ، انها على الباب اللطيف الضيق ، وكل من يصبر لصعوبته المظلمة ، ويخرج منه ، لوقته يلقى ملكوت النور ويتنعم ، وذلك الباب الذى لمدخل الحياة ، فانه فى أى بلد يوجد داخلكم ، وبابها هذا ، هو التوبة .

ان التوبة تعيد حياة المعمودية التى للغفران ، وكما أن السائل الحقير بالبطن المظلمة يقتنى شبه اقنوم آدم ، كذلك فالانسان السمج بالخطية ، ان كان يدخل لكور غليان التوبة ، يجلى ويطهر ويقتنى بالنعمة المجددة ، شبه حسن المسيح شعاع الآب .

+ التوبة هى ام الحياة ، وطوبى لمن يولد منها ، فانه لايموت وكما ينادى

المسيح لخواصه بالتوبة . كذلك يبعد الشيطان الناس عن سماع هذا النداء ، (وبالشطارة) واللهو يغطى قلوبهم .

+ التوبة هى ترياق لأوجاع الخطية القاتلة ، وعذاب عظيم للشيطان مضادها . انها تخلص وتعتق المسبيين الذين سبوا بشره وأتعابه التى تعبها فى سنين كثيرة ، تضيعها التوبة فى ساعة واحدة ، والعبيد الذين بمشيئتهم أخضعوا حريتهم له . تعيدهم الى ميراثهم ، وتعذب من خدعوهم . زرع الشوك الذى زرع بأرضنا ، وربى بحرص فى سنين كثيرة ، فى يوم واحد تحرقه ، وتطهر أرضنا ، حتى تعطى أثمار زرع فلاح المسيح ، ثلاثين وستين ومائة . الحصون التى بناها فى زمان طويل ، ليسجن فيها أسراره ، الذين سبوا فى الظلمة ، بقمر صغير يشع فيها تهدم ، ويشرق النور فى وجوه الجالسين فى الظلمة ، ورباطتهم تنقطع ، وأحزانهم تستبدل بالسرور ، ودموعهم بالفرح ، أما رابطهم ، فانه يربط بسيور الظلمة ، ويسلم بأيديهم للعذاب . كل فلاحته تفسد ، وكل الأوجاع التى صنعها بغير عبيده ، تطيب وتشفى ، وكل قتلاه يقومون ، وكل فخاخه تتكسر ، وكل أشراكه تتقطع ، وتهىء الطريق قدام محبيه ، حتى يتقدموا بلا عثرة فى طريق المسيح واهبها .

+ انها (التوبة) تجعل الزناة بتوليين ، كما تجلى النورانى الذى علاه الصدأ . انها من الماخور الى البرية تجتذب لعمل الملائكة ، والمضيئون الذين احتقروها تركتهم ، فنزلوا الى الجحيم السفلى . هى تدخل الى مخادع الزانيات ، وتجتذب الزناة ، وتلدهم من حضنها بتوليين للمسيح . ترد الكافرين الى الرسولية ، والرسل الذين نزعوها لبسوا الظلمة . انها لباس العالى ، وللابسيه تلبس مجد يسوع رداء . هى تجتذب من الطرقات الى الملكوت ، ومن بين السياجات تدخل الى العرس . انها من السوء تصون المضيئين ، وتجعل العميان مبصرين . هى تقلع الشجرة التى أثمارها سم الموت ، وشجرة الحياة تغرس بفردوسنا . هى حاملة براحتها طيبات النعمة ، والذين نتنوا بالنجاسة أن قبلوها تطيبهم . انها قائمة بباب الختن السماوى ، وكل من عبر بها استقبل وجهه بيدها . ووضعوا اكليل العرس ، وكل من تطامن قدامها ، جعلته متكأً فى الحجلة (١) تمسك بيدها مفاتيح ملكوت السموات ، فكل من أحبها وعشقها جعلته أمينا .

+ هى هى أم النور ، وكل من ولد منها ، أنبتت له أجنحة من نار ، ومع الروحانيين يطير الى العلا ، وكل من نتف الصيادون ريشه ، واستتر تحت أحضانها أياما قلائل ، أخذ منها ريشا طيارا ناريا ، أفضل وأخف من الأول .

+ هى هى ملحمة الطب السماوى ، ومن وضعها على وجهه برء لوقته ، لا تقطع بموس ولا تصعب الأوجاع ، بالكى بالرحمة التى هى مخلوط أدويتها ، وباللين تجبر الانكسار . سم الموت واللهو والشغب ، هذه بيد الشيطان ، أما التوبة فهى ترياق الحياة بيد الله ، وكل من سبق وشرب من كأس القاتل ، يتقدم ويشرب من كأس المحيى للكل ، فيعيش بلا نهاية . انها تزور الأموات ،

(١) بيت العروس .

وكل من بلعه الموت ، ودنا من أحضانها ، شقت الموت وأخرجته من جوفه . ترى فاقدى البصر كل يوم يبكون على بابها ، فتجذبهم وتريهم نوح الفرح .

ترى القتلى الذين قتلهم الشيطان ، وتستدعيهم لتقيمهم قيامة متقدمة . هى خزانة بنى مخلصنا ، وفيها يحفظ جميع غنى أعمالهم . هى بحر لغسل جميع النجسين ، وكور غليانه يجلى كل من علاه الصدأ . هى نار محرقة للزوان ، ومياه تربى الزرع المقدس . وهى فردوس يطيب الخوص ، وتهدم جميع العصاة . انها أرض تربى بنى النور ، والمطهرة بيدها من يتجنس . هى قابلة (داية) لاجنة بنى العلى ، ومربية لتابعى المسيح .

انها حصن تحفظ كل ما بداخله ، وجبار يرد كل من سبى . هى هيكل للأمم الطاهرة ، ومنها يأخذون قدسا لقدبسهم . هى بيت وملجأ للأشقياء ، فتجعلهم وارثين للملكوت . هى خزانة لجميع الكنوز ، فكل من قرع بابها . أخذ منها حاجته . هى والدة لم يجف حضنها ، وكل من كان عاقرا وقرب منها ، أخذ له منها أولادا محبوبين .

هى بوابة قائمة بباب الخالق ، وكل من وجب عليه لحكم وتقرب سائلا اياها ، دخلت وحلته ، بيدها موضوع رشاش الماء ، وبلوغ ادرار المطر ، فمن دخل والتجأ اليها فتحت وأروته . انها تقوم بباب الله . وكل الخيرات التى تخرج من عنده ، تجتذبها لخواصها . هى شفيعة المسبيين ، فاذا تقدموا وسألوها تقوم لحمايتهم وتعتذر نيابة عنهم .

فمن ذا الذى لا يحبك أيتها التوبة ، يا حاملة جميع التطويبات ، الا الشيطان لأنك غنمت غناه ، واضعت كل ما أقتناه ، وجعلته فقيرا معذبا من كسبه ، وفارغا من الارث الذى سباه بغير حق . ذاك هو مبغضك بالحق ، لأنك دائما تضادينه ؛ فما من انسان وقع بين يديه ، ولحقتيه ، وصار فريسة لغذائه ، وما من انسان دعاك وهو بين أسنانه ، الا وتكسرين أسنانه ، وتخلصينه ، كما انه ما من أحد بلعه ، فصرخ نحوك ، الا وشققت بطنه وأخرجتيه ، وما من شخص ربطه ، ودعاك ، الا وعاجلا قطعت أغلاله وحللتيه . وما من انسان صاده وانت بعيدة ، ودعاك ، الا وبسرعة لحقت به وخلصتيه . من اجل هذا ، هو يبغضك (الشيطان) لأنك بالاكثر أبغضتيه . يبغضك لأنك كل حين تقفين ضده . يبغضك لأنه باغض لمطيك ، وأنت أيضا ضده كما أن صاحبك ضده كذلك .

+ ليس من تمسك برجائك ، ونزل الى الجحيم ، ولا من صعد الى السماء بدونك . من يرى الله بغيرك ؟ من تمسك برجائك ووقع فى يد الشيطان ؟ ومن تطهر ولم تكونى أنت التى غسلتيه ؟ من تقدم لمطهرتك ، ووجدت فيه نجاسة ؟ من الذى سقى زرعه من مطرك ، ولم يحصد منه أثمار الفرح ؟ من ذا الذى تقدم لطبك ، ولم يكن بعيدا من كل العاهات ؟ ومن صبغ كل ساعة وجهه بقطرانك ، ولم يبصر الله فى قلبه ؟ من ذا الذى عدم تذوق مشروبك ولم يبصر قلبه ينبوع الظلام ؟ من نال طلباته ولم تكونى أنت التى رفعت من شأنه ؟ من اتخذك شفيعة ولم تفتحى أمامه أبواب خزائن الله ؟ ليس من اخذك معه فى القتال ، الا وأسلمت أعداءه تحت حربته ، ليس من لبسك مقابل مضاديه ، الا وانهزم قدامه باغضوه .

+ انت خلصت داود من الخطية ، وانت التى وقفت فى وجه آخاب الكافر. صعد الحكم على أهل نينوى بالهلاك ، ولكنك تجبرت وقمت وخلصتيهم . مباركة أنت يا أم الغفران ، يا من أعطانا اياك الآب المملوء رحمة ، لا يغضبك اذا طلبت اليه – لأنه أعطاك أن تكونى شفيعة للخطاة ، لا يغلق بابه ان سألتيه ، سلم لك مفاتيح الملكوت .

+ لقد اقترب الملكوت ، فتوبوا . فها هو الخاتم الذى يأخذه معهم الوارثون للملكوت ، توبوا فقد قرب الملكوت ، الجيل القديم الذى لم يشرب مشروبك خنقه سخط الطوفان . سادوم التى لم ترد أن تقبلك ، أحرقتها النار السماوية . فرعون الذى طردك من عنده ، تعذب فى الأمواج الخانقة .

+ انها (التوبة) ترد الأتعاب التى ضيعها الشيطان ، وتعطى العطايا السماوية . هى التى تجدد البتولية التى اتسخت ، وتحفظ بلا عيب تلك التى لم تفسد بعد . المسيح جاء وخلصنا ، وبصوته نادانا قائلا : « توبوا فقد اقترب الملكوت » له المجد الى الأبد آمين .

(ج) متى يؤهل الانسان لمغفرة الخطايا ؟

+ قال الأب أموس :

« توجد ستة ضربات للتوبة : ذم الخطايا والاقلاع عنها ، الاقرار بها ، الندامة عليها ، الصفح عن خطايا القريب ، ترك دينونة المخطئين ، وتمسكن القلب » .

+ قال القديس مكسيموس :

« لا نحتمل الأفكار التى تغفر لنا الخطايا اذ أن الرب أمرنا أن نتحفظ منها قائلا : » تحفظوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ومن داخلهم ذئاب خاطفة » ، لأنه ما دام فكرنا منزعجا من الخطية ، فلا نكون قد حظينا بالصفح عنها والغفران ، لأننا ما عملنا أثمار التوبة ، لأن ثمر التوبة هو عدم انفعال النفس ، وعدم انفعال النفس هو تمحيص الذنوب ، فاذا كنا نوجد وقتا ما قلقين من الآلام فلنتب اذن توبة نقية ، كيما اذا انعتقنا من الآلام نحظى بالصفح عن الذنوب » .

سؤال : « كيف تتحقق النفس أن الله قد سامحها من خطاياها ؟ »

الجواب : اذا ما نظرت ذاتها فى طبقة ذاك القائل « لقد أبغضت الظلم ورذلته وناموسك أحببته » ، والقائل أيضا : « أنا أسبحك برحمة وحكم » فلنعمل عمل التوبة ، لنظهر حكم الله العادل ، ويتم فينا رحمته اذ يغفر لنا خطايانا .

سؤال : متى يثق الانسان بأنه استحق وأهل لمغفرة الخطايا ؟ »

الجواب : « اذا ما أحس فى نفسه بأنه قد أبغضها بالكمال من كل قلبه ، وبدا يصنع ما يضاد تصرفه الأول بالظاهر والخفى ، فمن هو هكذا ، فله ثقة بغفران خطاياه من الله ، وذلك بشهادة الضمير التى قد اقتناها فى نفسه ، حسب قول الرسول : « لأن القلب الذى لا لوم فيه ، هو الشاهد على نفسه » .

+ جاء انسان الى أنبا زينون ، وقال له : « هل يكون غفران لكل خطيئة ؟ »

أجاب الشيخ قائلا : « ان تاب الانسان بقدر خطيئته ، فانه يحظى بالغفران »

وكان السائل يعلم أن خطيئته عظيمة . فقال للشيخ : « لكنى أعجب أن لخطيئتى غفرانا » .

قال له الشيخ : « قد قلت ان لكل خطيئة غفرانا ان كانت التوبة بقدر الخطيئة ، فأخبرنى يا ابنى بخطيئتك ولا تخجل ، ولا تكتم عنى شيئا ، لأن الذى يخجل أن يقر بخطيئته ، لا ينال البرء منها » .

فقال : « يا أبى ، انى لما كنت علمانيا ، نمت مع أمى » .

قال له الشيخ : « حقا انك فعلت خطيئة قبيحة ، ولكنك ان تبت مقابلها ، فانا أؤمن أن الله يغفر لك » .

فقال الأخ : « مرنى بما أفعله » .

فأخذه الشيخ الى البستان وأراه أصل شجرة يابسا ، وقال له : « اذهب الى البرية الى المكان الفلانى ، وكن صائما هناك ، ولا تتوان فى صلاتك ، وبعد سنة ، تأتى الى ههنا فان رأيت هذا الأصل أخرج قلوبا ، فتحقق ان الله قبل توبتك » (١) .

+ فذهب الأخ الى الموضع الذى رسم له ، وصنع كما أمره الشيخ ، ولما أكمل السنة أتى فأبصر واذ الأصل على حاله ، فأعلم الشيخ ان الأصل لم يزل يابسا .

فقال الشيخ : « اعلم ان توبتك لم تكمل بعد ، فاذهب واهتم بنفسك هذه السنة أيضا » .

فمضى وبعد سنة رجع الى الشيخ ، ولكن الأصل لازال على حاله .

فقال له الشيخ : « اذهب أيضا واهتم بحسياتك ، ولا تتوان فى صلاتك » .

وفى السنة الثالثة ، رجع وابصر الأصل ، واذ به قد أخرج قلوبا . فأتى واعلم الشيخ .

فقال له الشيخ : « هوذا انت قد صرت مصححا (ها أنت قد برئت أى غفرت خطيتك) ، فلا تخطىء فيما بعد » فذهب شاكرا الله على عظيم رحمته ..

+ قصة القسيس الذى كان فى القسطنطينية وزنى :

كان بالقسطنطينية قسيس خدعه الشيطان فزنى ، وبعد يومين فكر فى

---

(١) من المؤكد أن الأنبا زينون بما لديه من افراز أدرك حاجة محدثه الى الانسحاق والجهاد فى الصلوات ما أجل أن ينقيه الرب من خطيئته ، فأعطاه هذا التدريب واثقا من قدرة الرب على صنع المعجزة ومن نية الشاب الخالصة للتوبة .

خطيئته وخطر بباله ساعة الموت المفزع ، وخشى من يوم الدينونة الرهيب فبكى على نفسه قائلا : « الويل لى أنا الشقى المدنس مضجعى . ماذا أعمل لأنال الغفران والصفح عما حصل من الآثام ... » .

فألهمه الله الرحوم الذى لا يشاء موت الخاطىء أن يمضى الى جبل أو لينس ويعترف لبعض الآباء بخطاياه . فلما مضى ووجد شيخا قديسا اعترف له بجميع غلطاته وزناه . فقال له : يا ولدى وبعد أن وقعت فى هذا المرض الردىء جسرت أن تكهن ؟ . فقال له نعم : يا أبى . فقال الشيخ : اعلم يا ابنى أن الكاهن بعد أن يقع فى هذا الألم ما له دواء سوى أن يتخلى عن الكهنوت ويتوب توبة خالصة . فأما بعد زناه ان هو جسر وكهن فما أظن له دواء . فقال له : يا أبى أما بقيت لى توبة ؟ فقال له الشيخ : اغفر لى من أجل الرب يا ولدى ، لأنى من أنا حتى أحكم فى ذلك ، وأسمع وأقرأ وأميز ، يا ليتنى قدرت أن أبكى على خطاياى . فسجد له ومضى حزينا .

وفى مضيه من عنده لقى الأب بطرس . فلما رآه حزينا سأله عن سبب حزنه فأعلمه بما حدث ، وأن الشيخ قد أوقعه فى اليأس . فأجابه **بطرس العجيب** : على حسب ظنى يا ولدى ما توجد خطيئة تغلب محبة الله للبشر . فهلم معى الى قلايتى نتفاوض فى ذلك والله يدبرنا بما يشاء . فلما حصلا فى القلاية اعترف له بزناه . فقال له الشيخ : حقا ان الزنا للقسيس أمر صعب وهو ثقيل غير لائق به . ولكن اذ قد صار ماذا تعمل ؟ أنت من الآن لا تكهن الا أن تتوب توبة نقية وأنا أرجو من خيرية الله سيدنا يسوع المسيح أن يقبل توبتك مع التائبين كلهم .

فلما سمع القسيس ذلك خر على وجهه ساجدا له قائلا : اذ قد أرشدنى الله الى قدسك فما أبرح من عندك . فلما رأى الشيخ دموعه وقلبه المنسحق قال له : ان شئت أن تكون عندى فما أبعدك لأن الرب قد قال : « من يقبل الى لا أخرجه خارجا» . ثم وعظه ورهبه وألبسه الاسكيم . وكان معه تائبا صائما مستعطفا الله .

وكان للشيخ موضع سفلى تحت قلايته . وبعد زمان سأله أن يمكنه من سكناه فأجاب سؤاله ومكنه من ذلك . فمضى وأخذ سلسلة وعلقها فى رقبته وسمر طرفها فى الحائط . ولما تخلف عن الشيخ مدة ثلاثة أيام نزل اليه . ولما رأى انه مربوط بالسلسلة قال له : لم عملت هكذا يا ولدى وكيف يمكنك أن تخدم ضروريات الجسد التى لابد منها وأنت مقيد بهذه السلسلة . فأجابه قائلا : أيها الأب أنا قد تمليت من طيوب كثيرة ، ويجب على أن أخدم جسمى فى موضعى حتى كما تمتعت بالطيب أصبر على الرائحة الكريهة البارزة منى . وان سهل الله لقدسك أن تفتقدنى كل يومين أو ثلاثة بخبز وماء لضرورة الجسد . فقبل الشيخ سؤاله وكان يعد له قوته بين كل يومين أو ثلاثة . وكان هو يبل خبزه بدموعه قبل ان يأكله . فثبت على هذه الحياة القاسية مدة ثلاث سنين . فتحقق الشيخ باستعلان الهى أن توبته قد قبلت وهو عتيد أن يفارق الدنيا ، فنزل اليه وأنذره بقرب رحيله من الدنيا . وأراد أن يفكه من السلسلة فسأله أن لا يفكه منها بل يدعه يموت مغلولا بها . قال له الشيخ ما يجب هكذا فحله منها . وصلى وفى صلاته أسلم روحه .

+ **قوتل أخوان** بالزنى ، فانطلقا الى العالم وعاشرا نساء ، وبعد ذلك ندما وقال بعضهما لبعض « ماذا ربحنا ، لقد تركنا عمل الملائكة وجئنا الى هذه النجاسة ، ومصيرنا بعد ذلك أن نمضى الى جهنم النار ، لنرجع الى البرية ونتب، » فرجعا الى البرية ، وأتيا الى الشيوخ وسألاهم أن يطلبوا الى الله من أجلهما ، فأمروهما أن يحبسا نفسيهما سنة واحدة ويتضرعا الى الله كى يتحنن عليهما . وكانوا يعطوهما خبزا وماء بالتساوى .

فلما انقضى زمان توبتهما وخرجا من حبسهما ، أبصر الشيوخ أحدهما متغير الوجه معبسا ، وأبصروا الآخر حسن المنظر باشا ، فعجب الآباء من ذلك ، لأن حبسهما وطعامهما كان واحدا ، ولكن منظرهما ليس بواحد . فسألوا المتغير الصورة : « ماذا كان تفكيرك أثناء مدة حبسك ؟ » فقال : « كنت أتذكر الشرور التى عملتها ، والعذاب المعد لى ، ومن شدة فزعى لصق لحمى بعظمى » .

ثم سألوا الآخر : « وأنت ماذا كنت تفكر وأنت جالس فى حبسك » فقال :

« كنت أشكر الله الذى خلصنى من نجس العالم ومن العذاب الدائم ، وأنعم على بأن أعمل عمل الملائكة ، وعلى ذلك كنت أفرح » فقال الشيوخ : « ان توبة كليهما واحدة عند الله » .

+ **سأل أخ القديس أنبا أنطونيوس** قائلا : « ماذا أعمل لكى أجد رحمة الله » فأجاب القديس : كل موضع تمض اليه اجعل الله بين عينيك ، وكل عمل تعمله يكون لك عليه شاهد من الكتب . وكل موضع تسكنه لا تنتقل منه بسرعة . احفظ هذه الثلاثة تجد رحمة .

٣

كيف أتوب ؟

(أ) الحذر من اليأس

+ **قال القديس انطونيوس**

كثيرون يسقطون ثم يقومون الى حالة من الصحة والاستقامة ولكن يوجد من يسقطون من أعمال صالحة الى أشياء دنسة ونجسة ، فالذى يسقط ثم يقوم أفضل من الذى يقوم ثم يسقط .

+ **قال مار اسحق :**

اذكر عظم خطايا القدماء الذين سقطوا ثم تابوا ومقدار الشرف والكرامه اللذين نالوهما من التوبة بعد ذلك لكيما تتعزى فى توبتك .

+ **قال القديس موسى الاسود :**

الذين يريدون أن يقتنوا الصلاح وفيهم خوف الله فانهم اذا عثروا لا ييأسون

بل سرعان ما يقومون من عثرتهم وهم فى نشاط واهتمام أكثر بالأعمال الصالحة .

+ **قال الأب أبيفانوس :**

« ان الله يترك للخطاة رأس المال ازاء توبتهم ، مثل الزانية والابن الشاطر ، فأما الصديقون ، فانه يطلب منهم رأس المال مع ربحه ، اذ قال له المجدلتلاميذه : « ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات » .

+ **قال أنبا ايليا :**

« أى مقدرة للخطية حيث تكون التوبة » .

+ **سئل شيخ** ان كان الله يقبل توبة الخطاة . فرد على سائله قائلا : « أخبرنى أيها الحبيب لو أن ثوبك تمزق ، فهل كنت ترميه ؟ قال : « لا ، ولكنى اخيطه وألبسه » . فقال الشيخ : « ان كنت أنت تشفق على ثوبك الذى لا يحيا ولا يتنفس ، فكيف لا يشفق الله على خليقته التى تحيا وتتنفس ؟ ! » .

+ **سأل أحد الاخوة الأب بيمين** قائلا : « يا أبى ، ان وقع انسان فى خطيئة ورجع ، فهل يغفر الله له ؟ » فقال له الشيخ : « ان كان الله قد أمر الناس بأن يفعلوا هذا ، أفما يفعله هو ؟ نعم ، بل وأكثر بما لا يقاس ، اذ هو نفسه الذى أوصى بطرس بهذا عندما قال له : ان أخطأ الى أخى سبع مرات أأغفر له ؟ فقال له سيدنا المتحنن : « لا أقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات » .

+ **سئل القديس باسيليوس :**

« كيف يكون حال من صعب عليه اتمام قانون التوبة ؟ » ، فأجاب وقال : « حال ذاك يجب أن تكون كحال ابن مريض وفى شدة الموت بالنسبة لأبيه الخبير بصناعة الطب والذى يرغب فى مداواته ، فلمعرفته بصعوبة وصف الأدوية والتعب الكثير فى صناعتها ، وبخبرة أبيه فى الطب ، ولأن قلبه يطيب بمحبة أبيه له، ولرغبته كذلك فى الشفاء ، فكل هذه العوامل تجعله يرسخ لمداواته فيمكنه من نفسه أن يتداوى ويحيا ، كذلك يصعب عليه قانون التوبة ، فليترك الأمر بين يدى معلمه » .

+ **سأل أخ الأب شيشوى قائلا :**

« ماذا أفعل يا أبتاه ، فقد سقطت ؟ قال له الشيخ : « انهض أيضا » قال الأخ : « نهضت ثم سقطت ثانية » ، فأجابه الشيخ : « انهض أيضا » ، فقال الأخ : « الى متى أيها الأب ؟ » فقال له : « الى أن تؤخذ ، أما فى الخير وأما فى السقطة ، لأن الانسان فيما يوجد فيه يؤخذ » .

+ **قال بعض الشيوخ :**

« احرص بكل جهدك لئلا تسقط ، لأن الوقوع لا يليق بالمجاهد القوى ، فان عرض لك أن تقع ، للوقت اطفر واستمر أيضا فى الجهاد ، ولو عرض لك ربوات من المرات لتربح النعمة ربوات من الدفعات ، وليكن ذلك ــ أعنى النهوض

والقيام ــ الى حين موتك ، لأنه مكتوب : ان سقط البار سبع مرات فى النهار ــ يعنى طول الدهر السباعى ــ فانه يقوم سبع دفعات ، انك تحسب مع القائمين ما دمت ممسكا بسلاح التوبة بدموع ، فتذرع بهذه الوسيلة الى الله لأنك وان سقطت ، فانك تمدح بالأكثر ما دمت ملازما للرهبان ، مثل جندى شجاع يقبل الضربات مواجهة ، حتى ولا فى حال ضربهم اياك أن تتراخى وتتباعد ، ولكن ان انفصلت عن الرهبان فانك تضرب على ظهرك كهارب جبان طارح سلاحه » .

+ **قال شيخ آخر :**

« انى رأيت قوة النعمة الالهية الحالة فى عماد النور ــ هى كما هى ــ حالة فى وقت التسربل بالزى الاسكيمى ، أما الذى يطرح عنه زى الرهبنة فلا حظ له مع المؤمنين ، بل يوضع مع جاحدى الايمان ، ويعاقب متى لم يتب الله توبة من كل قلبه » .

+ **قيل عن أخ** : انه وقع فى تجربة . ومن الشدة ترك اسكيم الرهبنة . لكنه رجع وندم ، وأراد أن يبدأ فى تدبيره الأول فساعده الرب ولم يتركه حتى خلص من مناصب العدو .

توبة امرأتين

وحدثنا (شيخ) عن أحد الأساقفة ، ان أقواما علمانيين ، عرفوا الأسقف عن امرأتين مؤمنتين ، يتصرفان فى غير سيرة العفة . فتألم الأسقف بسببهما ، وأدام التضرع الى الله تقدس اسمه طالبا اليه أن يعرفه حقيقة ما قد سمع ، فنال ذلك . وهو أنه بعد القداس الالهى ، أبصر نفوس الذين تقدموا لينالوا الاسرار الالهية ، وتأمل كل واحد وأبصر وجوه الخطاة سوداء ، ومنهم من كان محترقا ، ومنهم من عيناه كمثل النار مبقعة بلون الدم . ورأى آخرين وجوههم بهية ، وأفواههم بيضاء . ورأى قوما لما أخذوا جسد ربنا التهبوا به وأحرقهم ، وقوما آخرين مضيئين . واذ أخذوا جسد ربنا أضاءت أجسادهم . وكان فيهم قوم من أصحاب السيرة الرهبانية وآخرين من أصحاب السيرة الزوجية ثم تقدم الى النساء ليعطيهم السرائر المقدسة ، فرآهن على تلك الحال . واذ نظر الى المرأتين اللتين ثلبوهما عنده . وعند دخولهما ليأخذا جسد المسيح المقدس ، صارتا بيضاءتين لامعتين ، وبعد أخذهما أسرار سيدنا يسوع المسيح صارتا أيضا لامعتين بضوئهما . فعاود الأسقف الابتهال الى الله طالبا أن يعرفه معنى ما كشفه . واذ ملاكا ظهر له وقال : اما المرأتين اللتين عرفوك بهما ، فان الذى قيل عنهما صحيح . وانهما فكرتا فى خطاياهما ورجعتا الى الله بقلب صالح متضع ، وابتعدتا عن خطيتهما ورجعتا بالدموع والسهر والتضرع والاقرار بالخطايا . فقبل الرب توبتهما ، وانهما فى طريق العفة والصدقة والمحبة لله . فقال الأسقف للملاك : أنا متعجب كثيرا ، ليس من انتقال المرأتين ، لأن هذا قد صار لكثير من الناس . لكن تعجبى من موهبة الله اذ لم يجلب عليهما العقوبات فقط ، لكنه أهلهما لمثل هذه النعمة . فقال له الملاك : اما أنت فانك انسان واما سيدنا والهنا فهو بالطبع صالح ومتحنن على الذين يكفون عن خطاياهم ويرجعون اليه ساجدين معترفين ، ليس من شأنه أن يرسلهم الى العذاب ، بل يسكن

عنهم رجزه وغضبه ويمنحهم كرامته لأنه أحب الناس هذا الحب حتى بذل ابنه الحبيب من أجلهم . وان كان أهل العالم أعداء له ، اختار أن يموت عنهم . أفما يليق به على الأمر الأكثر اذا رجعوا وندموا على ما فعلوه أن يزيل عنهم العقوبات ويهب لهم الخيرات المعدة . واعلم أن رحمته تغلب على خطايا البشر ، اذا عادوا وتابوا عنها لأنه لم يزل رحوما عارفا بضعف البشر ، فلذلك مغفرته واسعة . فقال الأسقف : اشتهى أن تعرفنى اختلاف وجوه الشعب عندما أتوا لأخذ الأسرار المقدسة . فقال الملاك : أما الذين وجوههم بهية فهم أصحاب العفة والطهارة والعدل ، وهم ودعاء ورحومون . وأما المسودو الوجوه فهم أصحاب الزنا والفسق . وأما الذين وجوههم وعيونهم مبقعة ، فهم أصحاب الخبث والضجر والوقيعة والافتراء . ثم قال الملاك للأسقف : ان كنت تؤثر خلاصهم ، فعرفهم بعظاتك وردهم الى التوبة . لينتقلوا من سوء الأعمال الى سيدنا يسوع المسيح الهنا، الذى مات عنهم وقام من الموت ، واجتهد واحرص فى العناية ، وعلمهم ان لا يقطع أحد منهم أيامه من رحمة سيدنا يسوع المسيح الذى له المجد الى أبد الآبدين .

+ **حدث مرة أن أتى القديس بولس البسيط تلميذ الأب أنطونيوس الى الاسقيط** ، لافتقاد الاخوة كعادته ، ولما دخلوا الكنيسة ليكملوا القداس ، كان يتأمل كل واحد من الداخلين ؛ ويعرف الحال التى عليها نفسه ، وكان يرى مناظرهم بهجة وملائكتهم تتبعهم مسرورة . وعاين أحدهم أسودا كله ، وشياطين سمجة محتاطة به يجرونه ، وملاكه يتبعه من بعيد عابسا ، فلما رأى ذلك بكى وقرع صدره مرات ، وخرج من الكنيسة باكيا ، فخرج اليه الاخوة قائلين :

لماذا تبكى يا أبانا ؟ » وطلبوا اليه أن يدخل معهم للقداس ، فامتنع وجلس على باب الكنيسة منتحبا جدا ، ولما كملت الصلاة وخرجوا كان يتطلع اليهم أيضا ، مؤثرا أن يعرف خروجهم فرأى ذلك الأخ الذى كان قد دخل على تلك الحال السمجة ، قد خرج بهى الوجه ، أبيض الجسم ، وملاكه ملاصق له مسرور، والشياطين يتبعونه من بعيد وهم مكمدون ، فصفق القديس بولس بيديه مسرورا ووثب بفرح عظيم مباركا الله أبا الصلاح . بصوت عال قائلا : « هلموا أبصروا أعمال الله الموهوبة المستحقة كل ذهول وعجب ، هلموا أبصروا أعمال الهنا الصالح الذى يشاء خلاص كل الناس ، ومحبته للبشر التى لا يلفظ بها ، هلموا نسجد ونخر قائلين : « أنت وحدك يا الهنا قادر أن تنزع كل خطية » فحضر الكل لسماع أقواله ، فأخبرهم بما ظهر له ، وسأل ذلك الأخ أن يعرفه السبب الذى من أجله وهب الله له تبديل تلك الحالة النقية ، فقال بمحضر من الكل : « انى منذ زمان طويل عائش فى النجاسة الى أبعد غاية ، فلما رأيت الأب باكيا جدا ، ابتدأ قلبى فى أن يتخذ احساسا ، فأنصت الى القراءات ، فسمعت أشعياء يقول : « اغتسلوا صيروا أنقياء ، أزيلوا شروركم من أمام عينى ، تعلموا أن تصنعوا حسنا ، وتعالوا نتناظر يقول الرب ، ان كانت خطاياكم كالبرفير تبيض كالثلج وان احمرت كالبقم (كالدودى) . أجعلها كالصوف النقى » ، فلما سمعت أنا الخاطى هذا الكلام ، ضعف قلبى وقلت أمام الله ، أنت الاله المتحنن الذى أتيت لخلاص الخطاة ، يا من قلت : « انه يكون فرح فى السماء قدام ملائكة الله ، بخاطىء واحد يتوب » ، والآن

يا ربى ، ما وعدت به بفم نبيك تممه فى أنا الخاطى ،واقبلنى اليك نائبا ، وها أنا منذ الآن لا أصنع شيئا مما كنت أصنعه من الآثام ، وسوف أخدمك بكل طهارة الى آخر نسمة من حياتى ، وعلى هذا العهد خرجت من الكنيسة » . فلما سمع الآباء ذلك صرخوا بصوت واحد قائلين : « لقد عظمت أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعت » . ومن ذلك الوقت عاش ذلك الأخ بكل نقاوة وأرضى الله بسيرة فاضلة، فعلينا ألا نقطع رجاءنا من مراحم الهنا ، لأننا اذا أتينا اليه ، لا يطالبنا بسالف أعمالنا ، لأنه كوعده الصادق يغسل الراجعين اليه بكل قلوبهم ويبيضهم كالثلج له المجد دائما .

كان قسيس القلالى قد أعطى نعمة من الله أن ينظر الأرواح النجسة عيانا ، وكانوا يخافون منه ، وذات يوم بينما كان ذاهبا الى الكنيسة الجامعة ، واذا به ينظر جماعة من الشياطين خارج قلاية أخ فوجد بعضهم فى شكل نساء يرقصون ويغنون غناء مطربا ويقولون مالا يجب سماعه ، ووجد البعض منهم فى شكل صغار يرقصون . والبعض الآخر مختلفين فى أعمال رديئة ، فتنهد الشيخ قائلا : « بلا شك انه يوجد فى داخل هذه القلاية راهب فى أتون نار ، بسبب هذه الأرواح النجسة المحيطة بقلايته ، فلما أكمل القس صلاته فى الكنيسة ورجع — اذ أن الصلاة هى بدء كل عمل — قرع باب قلاية الأخ ، ولما علم أنه القس ، خرج بسرعة بفرح عظيم وأدخله ، ولما صليا ، قبلا بعضهما بعضا ، وجلسا ، ثم بدأ الشيخ المبارك الممتلىء نعمة يقول للأخ : « أيها الأخ . أتيت اليوم اليك لعلى أجد عندك راحة ، لأن القلاية التى أنا مقيم فيها قد امتلأت شياطين ، وقد اغتصبوها منى ، لأنهم وجدوا راحتهم داخلها . لأنى كل يوم فى طاعتهم ، صانعا لهم ما يريدونه ، ولما كان هذا النهار ، ما استطعت أن أبقى معهم بسبب سوء عملى ، فأنا اسألك أيها الأخ الحبيب من أجل المسيح أن تصلى عنى كل يوم صلاة ، لعلى أجد راحة، فقد أوشك الرجاء أن ينقطع منى » .

فلما سمع الأخ كلام الشيخ ، لطم على وجهه ، وأثار التراب على رأسه ، وقال له :

« أيها الشيخ . أنت مصباح البرية وضياؤها ، وتقول لى هذا الكلام ، آه لو علمت ما أنا فيه ، وبدأ يخبر الشيخ ، فبسرعة ضرب له الشيخ مطانية راجيا منه ألا يذكر قدامه شيئا ، لأن الكلام الردىء يخفض القلوب المستقيمة . وينجس الأسماع .

حينئذ كف الأخ عن الكلام وقبل مطانية القس ، ولما خرج من عنده قام الأخ يصلى على الشيخ ، وبدأ يقول لنفسه : أيها الشقى ، أنت قائم لتصلى . وينوح ويضرب المطانيات ويذرف الدموع الغزيرة ، وأقام على هذه الحال أسبوعا، وفى السبت التالى ، مضى القس الى البيعة وعبر على باب قلاية الأخ فوجد الشياطين قياما على بابها غير قادرين على دخولها ، ويهمون بهدم أسوارها ، فعلم القس أن الأخ قد نجح فى الصلاة ، ففرح وقرع باب قلاية الأخ ، فخرج الاخ وقد لبسته نعمة .

فلما بدأ الشيخ بالسؤال عن حاله ، لم يفتح فاه من الحزن والكآبة ، وكان يقول : « أترى يا أبى هل أعود فأحسب من الرهبان ، طيب النفس لتناول الأسرار المقدسة ، فرحان القلب ؟ ويلاه ، متى يعود يبنى ما قد انهدم ؟ ما أبعد الطريق على ؟ بهذا الكلام كان يجاوب الشيخ ، ولا يدرى ما كان يهدف اليه الشيخ ، فخرج الشيخ من عنده وهو يقول :

تباركت يا رب اله الجنود السمائيين والأرضيين ، لأنك تقبل الخاطىء اذا رجع بتوبة نقية ، وتعده أفضل من الذى قضى عمره كله فى مرضاتك » ، وأقام الأخ على مثل هذه الحال أسبوعا آخر ، فعند وقوفه على باب قلاية الأخ ، وثبت عليه الشياطين الذين تحالفوا على مقاتلة الأخ ، وقطعوا ثياب الشيخ ونتفوا شعر لحيته قائلين :

أما يكفيك أن قلايتك لا نستطيع العبور عليها ، حتى ولا على جيرانك ، وأخ واحد لنا فى هذه الجملة ، جعلته عدوا عظيما يتعدى علينا النهار كله والليل ، وقد أحرقنا شرار صلاته ، فلما تركوه هكذا ، قرع باب قلاية الأخ ووجده متعبا، فلما أراه حالته سأله الأخ قائلا :

« أيها القس ، من الذى صنع بك هكذا ؟ » ، فأجابه قائلا : « انهم أصدقاؤك الآن » وبدأ يشرح له من أول عبوره عنده لغاية تلك الساعة ، ولما علم الأخ بحقيقة الحال ، شكر الرب الذى افتقده على يد القس ، وهكذا انصرف الشياطين باكين حزانى ، وبمعونة الرب وصل الى طقسه الأول وأكمل قانونه المقدس .

+ وقال القديس برصنوفيوس :

حدث مرة لأخ أن آذاه اللصوص ، فخاف جدا وبمعونة الله خلص ، فأخبر الشيخ عن انزعاجه وسأله أن يصلى عليه فقال الشيخ : « يا ولدى : ان الله لا يتركنا أن لم نتباعد نحن عنه لأنه يقول : « لا أتركك ، لا أهملك » ، ولكن قلة ايماننا هى التى تجعلنا نجبن ونخاف من اللصوص الذين حضروا اليك حتى ولو كانوا أكثر من مركبات فرعون وجنوده .

وقد علمت أنهم بكلمة الله وعزته قد غرقوا فى البحر ، ألا نذكر المكتوب عن الذين جاءوا لأخذ اليشع كيف أصابهم العمى . والكتاب يقول : « الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظ دخولك وخروجك » .

وكيف ننسى القائل : « ان عصفورا لا يسقط على الأرض بدون اذن أبيكم السماوى ، وأنكم أفضل من عصافير كثيرة » ، والجبن هو وليد قلة الايمان ، وهو منتهى قلة الرجاء ، وهو يرخى القلب ويجتذب الناس من الله الى بلدة الهلاك ، فلنفر منه يا ولدى ولننبه يسوع ربنا النائم فينا قائلين : « يا عظيمنا خلصنا ، وهو ينتهر الريح ويسكن الأمواج ، لنترك الآن القصبة المرضوضة ونلتمس عصا الصليب التى شقت البحر واغرقت فرعون الفعلى ، ونتكل ملقين أنفسنا على الذى صلب من أجلنا ، لأنه يعرف كيف يرعانا نحن غنمه ويطرد عنا الذئاب الردية . يا ولدى . انى لمتعجب منك كيف تفزع من العبيد الوقوف

خارجا ، ولا تفكر فى السادة الذين هم من داخل ، لأن اللصوص المحسوسين هم عبيد الشياطين اللصوص الفعليين ، فينبغى لك أن تعرف بالنعمة أن اللصوص أتوك ولكن المسيح لم يتركك ، فأسرع أنت فى طلبه ، واسأله أن يعينك لأنه مكتوب : « الرب قريب من الذين يدعونه ، والذين يرغبون اليه بالاستقامة ، وهو يصنع مشيئة خائفيه ويسمع طلباتهم ويخلصهم فاقترن بسيدك ملتصقا به وهو يطرد عنك كل الأقوياء ، ويبطل قوتهم » .

(ب) الاسراع الى التوبة

+ قال القديس انطونيوس :

اطلب التوبة فى كل لحظة ، ولا تدع نفسك للكسل لحظة واحدة .

+ قال القديس انبا باخوميوس :

لا تؤجل التوبة لئلا يفاجئك المرسلون ويأخذوك وأنت غير مستعد فتصيبك شدة عظيمة وتعاين حينئذ الوجوه الشنيعة التى تحيط بك بقساوة وتمضى بك الى المنازل المظلمة المملوءة فزعا ونيرانا . تيقظ بكل قوتك كى تكون أمينا على مال سيدك وتدخل الى ملكوته بفرح .

+ قال شيخ :

« انى أهوى الرجل الذى يخطىء ويندم ويقر بخطيه ، أكثر من الرجل الذى يعمل الصلاح ويزكى نفسه » .

+ قال القديس باسيليوس :

جيد الا تخطىء ، وان اخطأت فجيد ألا تؤخر التوبة ، وان تبت فجيد أن لا تعاود الخطيئة ، واذا لم تعاودها فجيد أن تعرف أن ذلك بمعونة الله ، واذا عرفت ذلك فجيد أن تشكره على نعمته وتلازم سؤاله فى اراحة معونته .

+ قال أنبا تيموثاوس :

« اذا أنت سقطت فلا تتوان ، ولا تكسل ، بل قم بسرعة ، واذا ضللت ، اسرع بالرجوع الى خلف حتى تجد الطريق المستقيمة ، لأن الطريق المستقيمة حسنة جدا وليس فيها دوران ، ولا تحتاج الى طول الزمان ، بل بسرعة تصل الى مدينة السلام .

(ج) محاسبة النفس

+ قال مار اسحق :

— اذا ما أفرزت نفسك للتوبة ، فكل يوم لا تصادفك فيه محقرة لا يكون له حساب عندك ، وكل يوم لا تجلس فيه ساعة بينك وبين نفسك ، متفكرا بأى الأشياء أخطأت ، وبأى أمر سقطت ، لتقوم ذاتك فيه ، فلا تحسبه من عداد أيام حياتك ، الويل لمن لا يبكى ، ولا يتضايق ، ولا ينقى عيوب

نفسه ، ما دام هناك وقت للتوبة ، لأنه هناك بغير ارادته بأمواج النار ينقيها ، حتى يوفى آخر فلس عليه ، الذى هو الزلة الصغيرة .

- كن مضيقا على نفسك ومحزنا لها لكيما ينطرد العدو من أمامك .
- اصطلح أنت مع نفسك فتصطلح معك السماء والأرض .
- افحص ذاتك باستقصاء ، وانظر بأى نوع زللت ، واطلب من الله أن يغفر لك .
- دن نفسك وحدك فى أعمالك ، حتى لا تنخدع بالاهمال والتهاون .
- افحص كل يوم فيم أنت عاجز فيه ، لئلا تتعب وقت شدتك .
- الانسان الذى يغضب ذاته دائما . ليتدبر بمقتضى حكم النية ، لن يخطىء بلا توبة .
- من كان قلبه غير منسحق وغير محزون من الله ، فلن ينعتق من الطياشة .
- من يصالح نفسه أخير ممن يصالح شعوبا ، وهو مغتصب منقسم على ذاته .

+ **قال شيخ :**

- يجب أن نحاسب نفوسنا كل يوم ونفتقد حياتنا بالتوبة .

+ **قال الأب نستناريون :**

- يجب على الراهب أن يحاسب ذاته كل مساء وكل صباح ، ماذا صنعنا مما يشاء الله ، وماذا عملنا مما لا يشاء الله ، لأنه هكذا عاش الأب ارسانيوس وهكذا نفتقد ذواتنا كل أيام حياتنا ، لأن الانسان اذا عمل الكثير ولم يحفظه فقد أتلفه أما الذى يعمل قليلا ويحفظه ، فانه يبقى معه .

+ **وقالت القديسة سفرنيكى :**

« اذا اخطأنا الى ملوك العالم . ألسنا بغير ارادتنا نلقى فى السجون ونعاقب ؟ فسبيلنا من أجل خطايانا أن نحبس أنفسنا ، ونعاقبها بالأتعاب ، لكى نطرد الذكر الطوعى بالعذا ب العتيد » .

+ **سئل مرة القديس آمون الأسقف :** « ما هى الطريق الضيقة الكربة ؟ » أجاب : « ان الطريق الضيقة الكربة هى هذه : أن يراقب الانسان فكره ، ويقطع بوجه خاص هواه ، وهذا هو ما يقصد بذلك القول « قد تركنا كل شىء وتبعناك » .

سؤال : كيف يستطيع انسان خاطىء أن يبتغى الرب فى كل حين ؟ »

الجواب : لقد طلبت من الله أن يعرفنى جواب **سؤالك ، فقال لى :**

« طهر قلبك من كل أفكار الانسان العتيق وانا أجيبك الى سؤال قلبك

لأن مواهبى انما تكون فى الأطهـار ولهم تعطى ، وما دام قلبك يتحـرك بالغضب وبالحقد وبســائر الأوجاع العتيقة ، فلن تدخل فيه الحكمة . ان كنت تشتهى أن تنال نعمتى ومواهبى فاخرج العدو وابعده عنك . ومواهبى منهـا وبها .. تأتى اليك .

ألم تســمع أن عبدا لا يقدر أن يخدم ربين ؟ فان كنت عبــدى فلا تخــدم الشيطان وان خدمته فلا تظن انك خدمتنى ـ فمن يشتاق الى مواهبى فليقتف آثارى، لأن المتشبه الحمل لا شر فيه لقد قبلت الأوجاع كلها ولم أكلم فيها بشرا . ومع أنى أوصــيكم بأن تكونوا ودعاء مثل الحمــام . اذ بى أجدكم وقد اتخذتم لانفسكم قساوة الأوجاع ـ فانظروا لئلا أقول لكم : « امضوا الى سعير ناركم التى أضرمتموها » .

وعندما سمعت ذلك صرت أبكى ليتحنن على كصلاحه ، ولينجينى من شر الانسان العتيق ويبلغنى الى الانسان الجديد لكيما أقبل كـل ما يأتى على بشكر فصل من اجلى كى أهرب من تزكية نفسى .

+ **قال بعض الآباء :**

« ان الله يحتمل خطايا العـالم ، أما خطايا أهل البرارى فلا يحتمل لأن ما يطالب به أهل العالم يختلف عما يطلبه ممن قد تخلوا عن العالم . لأن من هو فى العالم له أعذار كثيرة ، فأما نحن فأى عذر لنا . نحن الذين قد قصدنا البرية . وتغربنا فيها ؟ الحقيقة أن عقابا شديدا ونارا تلتهب تلحق بالعارفين لمشيئة الرب ولا يسلكون بمقتضاها . » .

+ **قال شيخ :**

« ان الله يطيل روحه على خطية العالم ولايطيل روحه على خطية البرية » .

+ **وقالت القديسة سفرنيكى :**

«ان كثيرين يسكنون الجبال . ويعملون عمل أشر الناس ويهلكون أنفسهم» .

(د) الاستعداد

+ **قال القديس أنطونيوس :**

ـ « تفـكر فى كل يوم أنه آخـر ما بقى لك فى العـالم فان ذلك ينقذك من الخطيئة » .

+ **وقال مار اسحق :**

ـ اذا قمت باكر كل يوم ، اذكر انك ســوف تعطى جوابا لله عما صنعت فلن تخطىء مرة أخرى ، فكر كل يوم ، أنه ليس لك فى العالم ، سوى يومك الذى أنت فيه فلن تخطىء أبدا .

ـ اذكر ملكوت السموات لكى تجذبك شهوتها نحوها ، أذكر ايضا نار جهنم لكى تبغض أعمالها .

ـ حقا لقد قيل أن مخافة الموت ترعب الرجل الناقص ، أما الذى له فى نفسه شهادة صالحة فانه يشتهى الموت كالحياة .

+ قال الأب ايليا :

« انى أفزع من ثلاثة أشياء : أفزع من وقت خروج نفسى من جسدى ، ومن لقاء الله ، ومن خروج القضية على » .

(هـ) الاعتراف

+ قال القديس أنبا موسى الأسود :

ـ من يتذكر خطاياه ويقر بها لا يخطىء كثيرا أما الذى لا يتذكر خطاياه ولا يقر بها فانه يهلك بها .

ـ الذى يقر بضعفه موبخا ذاته أمام الله فقد اهتم بتنقية طريقه من الخطيئة ... أما الذى يؤجل ويقول : « دع ذلك لوقته ، فانه يصبح مأوى لكل خبث ومكر » .

ـ صيانة الانسان أن يقر بأفكاره ومن يكتمها يثيرها عليه . أما الذى يقر بها فقد طرحها عنه .

+ قال مار اسحق :

ـ المريض الذى يعترف بمرضه شفاؤه هين ، كذلك الذى يقر بأوجاعه فهو قريب من البرء . أما القلب القاسى فتكثر أوجاعه والمريض الذى يخالف الطبيب يزيد عذابه .

ـ ليست خطية بلا مغفرة الا التى بلا توبة .

+ سئل القديس برصنوفيوس :

« قل لى يا أبى رأيك فيما لو كنا نقر لأحد الأخوة ببعض القتالات ونلتمس منه الصلاة بخصوصها ؟ »

الجواب : « جيد أن نقر لمن له قوة أن يسمع ، ولا نقر لمن هو بعد شاب وأما ابتغاء الصلاة ، فجيد أن نطلب من كل واحد » .

+ وقال أيضا : « شاب لا ينفع شابا حتى ولو سقاه بكأس جميع تعاليم الكتب الالهية فلن ينتفع منه » .

+ وسئل أيضا :

« أخبرنى يا أبى ان كان ينبغى أن نخبر المشايخ بكل الأفكار النابعة من القلب ، وهل ينبغى للمصلى أن يعلن صوته أم انه يصلى بعقله ؟ » .

الجواب :

« لا ينبغى للانسان أن يسأل الآباء عن الأفكار التى تنبع من القلب ، لأنها كثيرة جدا ، لأن الانسان اذا سمع كثيرين يفترون عليه فانه لا يعتنى بافترائهم ،

ولا يهتم به ، فأما ان انتصب له واحد فقط وافترى عليه وقاتله فحينئذ يجد السبيل كى يستعد له أمام السلطان ، كذلك الحال فى الأفكار ، أما من جهة قراءة المزامير والصلاة ، فلا يجب أن تقال بالعقل فقط ، بل بالشفتين أيضا . لأن النبى هكذا قال : « يا رب افتح شفتى ليخبر فمى بتسبحتك » . كما يقول الرسول أيضا : « ثمرة شفاه شاكرة لاسمه » . ولا يجب أن يكون فى الصلاة شيء من الأفكار الأرضية ، كما ينبغى أن تكون معقولة بالدموع والاتضاع لأن الآباء لم يقدموا شيئا الا بالتعب والاتضاع .

+ **جاء الى الأب زينون** فى بلاد سوريا أخ مصرى ، واعلن له أفكاره ، فتعجب الشيخ قائلا : « ان المصريين اذا ما كان عندهم فضيلة كتموها ، وما ليس عندهم من الزلات نسبوه الى أنفسهم ، وذلك بخلاف ما يفعل الناس الذين اذا فعلوا خير تكلموا به وأظهروه ، والزلات يكتمونها » .

+ **قوتل أخ من الرهبان** بالزنى، فقام بالليل وذهب الى أحد الشيوخ وكشف له سره ، وسأله أن يصلى من أجله ، فعزاه الشيخ وشجعه ، ولما رجع الأخ الى قلايته اشتد عليه القتال ، فرجع ثانية الى الشيخ وفعل ذلك مرارا ، وكان الشيخ فى كل مرة لا يحزنه ، ولكنه كان يكلمه بما فيه منفعة نفسه قائلا : « كلما قاتلك هذا الشيطان تعال وبح به فانه ليس شيء يبعد شيطان الزنى مثل اظهار أفكاره وأعماله وفضيحته ، وليس شيء يفرحه غير كتمان ذلك » . فتردد ذلك الأخ على الشيخ فى تلك الليلة احدى عشر مرة ، وهو يكشف له أفكاره . وأخيرا قال : « قل لى يا أبى كلمة » . فقال له الشيخ : « ثق يا ابنى لو أن الله يدع فكرى وقتالى وقفا عليك لما احتملت ، ولكنت انت تسقط بالأكثر الى أسفل » فلما قال الشيخ هذا الكلام باتضاع ، كف الله عن الأخ .

+ **قال شيخ :**

« لا تكتم خطاياك القديمة وأفكارك الشريرة ، فان وجد الشيطان فيك دافعا واحدا مكتوما ، ففيه يطرحك ، لأن ليس للشيطان قوة أن يجر انسانا الى فعل الخطية ، ولكنه اذا أبصر هواه مائلا الى شيء من الخطية ، ففيه يطرحه ، فان رآه متحفظا يستشير فى أموره كلها ، ويطيع لما يشار به عليه ، فلا يقوى عليه فى شيء بالجملة » .

+ **اتضاع اسقف :**

ذكروا عن أحد الأساقفة أنه كان رجلا خائفا الله . وكان العدو يحسده ويريد أن يلقيه فى بعض مصايده . فاتفق انه جربه . ففى يوم من الأيام كان جالسا فى قلايته وتلميذه غائب عنه ، فدخلت عليه صبية حسنة جميلة الصورة جدا ، وألقت بذاتها بين يديه ، وصارت تعترف له وتبكى وكشفت وجهها وبدأت تحدثه .

وللوقت ألقى العدو شبكته وأوقعه معها ، فلما أخطأ رجع الى نفسه وارتفعت غمامة الشر من على وجهه . ثم ان تلميذه لما دخل عليه وجده متقلبا

فى أصناف الويل والعويل على نفسه ، فتعجب التلميذ غاية العجب ولم يعلم سره وبقى الأب واقفا على قدميه صائما باكيا أسبوعا كاملا ، ولم يشرب الماء البتة . وفى سابع يوم وقع على الأرض ، والتلميذ يبكى معه ، ولم يعلم أحد سره .

ولما اكمل هذا ، خلع ثياب الأسقفية وكان يوم عيد من الأعياد ، وترك عكازه وجاء الى قدام المذبح ورماها . والتفت الى الشعب وقال : الرب من اليوم معكم يا اخوة ، صلوا على فاننى من الآن ما بقيت أصلح أن أكون عليكم مقدما . فلما رأى الشعب هذه الأعجوبة ، بكى جميع الناس ، من رجل الى امرأة الى الصغار والأطفال . وصار . وصار الصراخ والعجيج والنحيب ، كأن القيامة قد قامت وهم خارجا . فأمسكوه وقالوا : يا أبانا من جهة الله لا تجعلنا أيتاما منك ، أعلمنا خبرك . فقال لهم : يا أولادى أنا الحزين الخاطىء ، أنا الضعيف الشقى ، أنا المرذول . لى اليوم أربعون سنة أتعب وأحزن ، وضيعت الجميع فى ساعة واحدة ، لأننى قد نجست جسدى القذر المنتن الحقير ـ هذا والبكاء والصراخ يعمل عمله ـ فصرخوا بأجمعهم وقالوا : يا أبانا نحن نحمل هذه الخطية علينا وعلى أولادنا، فلم يقتنع بشىء من هذه ، فأمسكوه ومنعوه من الخروج البتة . فلما علم انه مغلوب منهم ، قال لهم : أى شىء تريدونى أن أعمل ؟ قالوا : ابدأ لنا القداس . قال : ما أفعل . فصرخ الجميع بصوت واحد وقالوا : من أجل الله اعمل طاعة ولا تخالف . قال : مبارك ولكن على شرط تعملوا المحبة والطاعة ولا تخالفونى فيما يصلح شأنى . قالوا : نعم . فبدأ القداس ، وبعد اتمامه . قال لهم : ما انا أسقفكم ان خالفتمونى ومن يخالفنى فهو ممنوع من الله . ثم خرج الى باب الكنيسة . ودعا جميع من فى الكنيسة من كبير الى صغير الى امرأة وعبد وجارية . وقال : من أجل الله كل من يريد أن يخرج يطأ بقدمه على وجهى ثلاث دفعات ويقول : يا مسيح العالم اغفر له . ومن يعمل هذا فهو يعرف أى أجر يناله من المسيح . واذ عملوا كما أمرهم وهو ملقى على وجهه ، والناس يطأون عليه ، ولما كان آخر شخص يعمل كما عمل الشعب ، اذ بصوت عظيم قد جاء حتى ارتعب الجميع . وهو يقول : ليس من أجل الوطء عليك قد غفرت لك ، لكن لأجل تواضعك واعترافك بخطاياك . فلما استقر الصوت فى آذان الشعب ، مجدوا الله وانصرفوا . .

+ قسيس :

سأل أخ أحد الآباء أن يرهبنه فأجاب سؤاله ورهبنه وسماه بطرس ، فتكفل به والده بغير اختياره ومضى به الى موطنه حيث مرض مرضا صعبا ، وانتقل الى الرب وقد أخذ جوائز أتعابه ، ويشهد له بالدالة عند الله العجائب الصائرة عند قبره كل يوم .

وقال أيضا : مرض صديق لى ، فمضيت أفتقده ، فقال لى على ما أرى من أمرى أن الموت قد قرب منى ، فان رأيت ان اعترف لقدسك بما عملت . فقلت له يا أخى : قل بلا حشمة لأننا كلنا خطاة اثمة ، وعدونا ابليس يحرضنا على

فعل الخطية ، لكن كثرة خطايانا ما تغلب رحمة الله ورأفته ، ان نحن رجعنا اليه وتبنا توبة خالصة .

فاعترف بخطاياه بنشاط . وبعد اعترافه جاءه أصدقاؤه وأقرباؤه يفتقدونه . فجلسنا كلنا وذلك المريض يتحدث معنا . وفيما هو يتحدث معنا . التفت بغتة بوجهه الى الناحية الأخرى من السرير بسلطة مولاه كأنه يتكلم مع سلطان . ففزعنا كلنا وجزعنا . وظنناه قد نظر أمرا ما ، وهو قد أدام نظره نحو الظاهر له . ثم قال نعم حقيقة هذا عملت لكنى قد اعترفت به للقسيس وقال مثل هذا كثيرا أيضا . وهذه صنعتها وأقررت بها . تكذبون . هذه ما صنعتها ، وقال هذه فعلت ، وهذا ما فعلت ، وهذه نعتمونى بها . ثم قال : عن الكتاب الذى تقولون يعلم الرب اننى ما شئت أخذه ، بل حركنى على ذلك قوم آخرون جهلة مثلى قائلين خذه اسرقه من أمك واعطه للعبد ونعطيك دينارا ، والرب يجازيك عن ذلك ، ثم أجاب بخوف ولكننى أشاء أن تأخذنى هذه الساعة فما أطيق الصبر ثلاثة أيام . ثم قال نمضى فأجابه وانتظرك بعد ثلاثة أيام . فلما سمعنا نحن فزعنا ودهشنا من الرؤية الغير مرئية ، فرجع المريض الى ناحيتنا . فقلت له أنا ماذا كنت تقول يا أخى ، ومن كنت تخاطب ؟ . فقال لا تظنوا اننى قد جننت ، وان عقلى ما هو ثابت . أنتم عميان ما رأيتم الملاك والرجال الأمجاد الذين معه ، والجماعة السود الوجوه المقيمين عند الباب ؟ فقلنا له أى ملاك ، وأى سود عند الباب . فقال الذى كان يخاطبنى حتى الآن ، وجهه يتلألأ أكثر من الشمس ، وثيابه تلمع ضياء ، دخل الى ههنا مع قوم ذوى قدر ، وجاء بعض السود قباح الوجوه والعيون . ووقفوا عند الباب يثلبوننى ، ويقولون ما عملت وما لم أعمل . فسألنى الملاك ان كان ما يقولونه حقا ؟ فقلت جميع ما عرفت وقلت اننى اعترفت به للقسيس ، وما لم أعمله ، فقلت تكذبون على وتنعتونى . فسألته أنا : وما ذاك الكتاب الذى كنت تقول ؟ فقال لى ظننت انه لا شىء ولذلك ما اعترفت به . فقلت له فماذا كان ؟ فقال كان لوالدتى عبد وعتقته بكتاب واخفت الكتاب لتعطيه اياه عند موتها ويكون معتوقا يذهب حيث يريد . وكان عبدا خبيثا ، فعامل قوما جهلة مثلى وكلفونى على سرقة الكتاب ووعدونى بدينار اذا أعطيته للعبد . فانخدعت منهم وسرقت الكتاب وأعطيته للعبد . فبعد أخذه ما عاود خدمة والدتى . ولما فتشت على الكتاب ولم تجده صعب عليها ولعنت سارقه ، وكنت أسمع لعنتها وما اكترث لها ولا اعترفت بالكتاب . هذا هو الكتاب الذى كان السود يقولون عنه ، وقالوا غيره أشياء كثيرة ما عملتها . ولما سأل الملاك عن ذلك قلت له اكشف فان كان ما يقولونه صحيحا اقتلنى . حينئذ أبعدهم وقال لى امضى اهتم بأمورك وترهب والبس الاسكيم فبعد ثلاثة أيام آتى وآخذك . فقلت له ان شئت أخذى فخذنى الساعة يا مولاى لأننى لا أستطيع عذاب ثلاثة أيام . فقال لى لا بل امض كما قلت لك وبعد ثلاثة أيام آخذك . وسلمت عليه ومضى . فلما سمعنا نحن هذه هلعنا وجزعنا وخفنا ونحنا على أى غاية مفزعة ننتظر . فصلى المريض وكمل كما يشاء وترهب وبعد ثلاثة أيام مضى الى الرب .

٤

حيـــاة التوبـــة

(أ) الحرص والغربة

قال مار اسحق :

+ من اقتنى الفضائل العظيمة ، مثل الصوم والسهر ، ولـكنه لم يقتن حراسة القلب واللسان ، فانه فى الباطل يتعب ويعمل . اذا وضعت كل أعمال التوبة فى ناحية ، والحفظ فى ناحية أخرى ، فان الحفظ يرجح ، فان المسيح وضع قياس الوصايا على أصل الأفكار القلبية ، وموسى على الأعمال المحسوسة .

+ حفظ الحواس يقلع الخطايا . وحفظ القلب يقطع الآلام التى تلد الخطايا .

+ انسان مماحك لا يظفر بسـلامة الفكر ، والعادم من السلامة هو العادم من الفرح ، الانسان الذى يطلق لسانه على الناس بكل جيـد ورديء ، لن يؤهل للنعمة من الله .

+ احفظ لسانك كيما تسكن فيك مخافة الله .

+ ابغض كلام العالم لكى يعاين قلبك الله .

+ ورع صادر عن جسد كسهم مسموم .

+ **قال القديس أنطونيوس :**

لا تسكن فى القرية التى أخطأت فيها .

+ **قال أحد الشيوخ :**

انى لا أتذكر أن الشياطين أطغونى مرتين فقط فى أمر واحد .

شيخ حدثته أفكاره قائلة له : « استرح اليوم وتب غدا » فقال : « لن يكون ذلك أبدا ، بل على أن أتوب اليوم ، ولتكن مشيئة الرب غدا » .

+ **قال القديس باسيليوس :**

علامة الخوف الهرب من العيوب الصغار، حذرا من الوقوع فى الذنوب الكبار.

فسر أحد الشيوخ قول الله : « على خطيتين وثلاث خطايا أنا صـبور . وأما الرابعة فلا أحتمـل » . فقال : الأولى هى التفكير فى الشر ، والثانيـة هى الخضوع للفكر ، والثالثة هىالتحدث، والرابعة هى اتمام الفعل ، وعن هذه ينتقم.

+ **قال أنبا أسحق :**

« رأيت مرة أخوة يحصدون فى حقـل ما ، فأراد أحدهم أن يفرك سـنبلة

فاستأذن صاحب الحقل فى ذلك ، فأجابه متعجبا : ان الحقل كله بين يديك أيها الأب ، وتستأذن فى هذا » .

الى هذا الحد من التحفظ كان ذلك الأخ يحتاط لنفسه .

+ **قال شيخ :**
أنا قلت لنفسى : « يوم خروجى من العالم ، هو اليوم الذى فيه أكون قد ولدت ، وبدأت بعبودية الرب . كذلك كن كل يوم بمنزلة الغريب الذى يترجى الرجوع بالغداة » .

+ **وقال آخر :**
حيثما تجلس قل : « غريب أنا ، غريب أنا »

+ **قال القديس برصوفينوس :**
« ان غلب الانسان بالله التجربة الأولى ، فلن يقوى عليه العدو فيما بعد ، أما ان انقلب فى التجربة الأولى ، فان العدو متى أراد أتى به الى عبادة الاصنام(١) »

قيل عن أنبا أور انه لم يكذب قط ، ولم يحلف ، ولم يلعن ، ولا كان يتكلم الا للضرورة ، وكان يوصى تلميذه قائلا : « انظر يا ابنى ألا تدخل هذه القلاية كلمة غريبة » .

+ **حدث مرة أن مضى تلميذ أنبا أور** ليبتاع خوصا ، فقال له البستانى : « ان انسانا أعطانا عربونا من ثمن الخوص ، ولم يرجع الى الآن فادفع الثمن وخذه» فأخذه وجاء وأخبر الشيخ بما قاله له البستانى ، فلما سمع الشيخ بذلك ، وضع يديه على الأرض وقال : « ان أور لن يعمل فى هذا العام عملا » ، وفعلا لم يدع الخوص يدخل قلايته ، فأخذه التلميذ ورده الى صاحبه .

(ب) امتزاج الفضائل بروح التوبة

+ **كان انسان جندى من بلاد الأكراد** ، قد عمل خطايا كثيرة ودنس جسده بكل أصناف النجاسات ، وبرحمة الله ، تخشع قلبه ، فزهد فى العالم ومضى الى موضع فقر ، وبنى له قلاية فى أسفل الوادى ، وأقام فيها مهتما بخلاص نفسه . فلما عرف مكانه بعض معارفه صاروا يحضرون له خبزا وشرابا وكل حاجاته ، فلما رأى ذاته فى راحة ، وأصبح لا يعوزه شىء ، حزن وقال فى نفسه : «اننا ما عملنا شيئا يستوجب الراحة ، وهذا النياح الآن يفقدنى النياح الأبدى ، لأنى لست مستوجبا لنياح البتة » . وهكذا ترك قلايته وانصرف قائلا : « لنسر الى الضيعة ، لأنه ينبغى لى أن آكل الحشيش طعام البهائم ، اذ كنت قد فعلت أفعال البهائم » ، وهكذا أصبح راهبا مجاهدا .

+ وكان هناك **امرأة باورشليم اسمها ستروتين** ، هذه كانت خاطئة ، وتابت بحرقة قلب ، ورجعت الى الله ، وتنسكت ، وعملت فضائل كثيرة ، حتى انها من كثرة الفضائل التى عملتها ، ونعمة الرب يسوع المسيح التى معها ، صارت مديرة لدير عذارى .

---

(١) ليس المقصود هنا أن من يسقط مرة لا توبة له ، بل يريد القديس الا يتهاون الانسان اطلاقا لئلا يعتاد التهاون ويتكرر سقوطه .

ولما صارت مدبرة للدير ، زادت على نسكها وصبرها ، حتى انهـا من كثرة نسكها وصبرها ، ضعفت قوتها ، فسألتها العذارى قائلات : « يا أمنا ، كلى قليلا من الطعام ، كى يكون فى جسدك غذاء قليلا ، وتستطيين أن تمشى الى داخل الموضع المقدس » ، فقالت لهن : « يا بناتى ، لا تتعبننى لأجل طعام قليل بأكله أرجع الى عادتى القديمة ، فلأجل هذا أنا أخاف من الأكل » .

(جـ) الانسحاق والدموع

قال القديس أنبا أنطونيوس :

+ لا تجعل نفسك معدودا بالجملة وأنت تتفرغ لتبكى على خطيئتك .

+ الزم الحزن على خطاياك كمثل من عنده ميت .

+ أوقد سراجك بدموع عينيك .

+ الزم البكاء فيترحم الله عليك لكن احذر من أن تكـون صغير القلب لأن صغر القلب يجلب الأحزان .

وقال أيضا :

+ ينبغى لمن يشتم أن يعتقد فى نفسه انه هو السبب فى شتمه لسوء فعله . فيصبح الشاتم مذللا له من الخارج فى الوقت الذى يصبح هو مذللا لنفسه من الداخل مثله فى ذلك مثل داود النبى الذى منع صاحبه من قتل شاتميه اذ قال لهم : دعوه فان الرب جعله يشـتمنى . دعوه (اتركوه) حتى ينظر الرب ذلى ويرحمنى . وأن يتشبه (المشتوم) بالسيد المسـيح . لأنه لمـا شتم لم يشتم . وان تفتكر فى شاتمك انه قد عتقك من السبح الباطل ان احتملته بمعرفة . وأنه قد أرسل لك على لسانه الدواء النافع . اقتسر ذاتك وتعود قطع مشيئتك وبنعمة المسيح تبلغ الى ممارسة كل أمورك بدون اقتسار ولا حزن . أحسن الى كل أحد وان لم تقدر فأحب كل أحد . وان لم تستطع فلا أقل من أن لا تبغض أحدا . ولن يتيسر لك شىء من ذلك ما دمت تحب العالميات .

+ لا تحزن ولا تتألم ولو قليلا على شىء لهذه الدنيا ، ولا تقلق اذا شـتمك جميع الناس ، فهم يشـبهون الغبـار الذى تحمله الريح ، بل أحزن بالحرى اذا ما عملت ما يستوجب الشتيمة .

+ ما منفعة كلام الكرامة ، فانه انما يطير فى الهواء ، وماذا يحدث من الخسارة العارضة من الشتيمة الصائرة مجانا ، فهوذا النـاس يموتون ، وتموت كرامتهم وشتيمتهم أيضا تذهب معهم .

+ **أخوان** كانا يجتمعان فى بعض الأديرة ، كل واحد منهما منفرد فى قلايتـه فقال أحدهما لرفيقه : أنا أقصد المضى لأنبا زينون فأعرفه فكرى . فقال الآخر أيضا : وأنا أريد أن اقول له فكرا . وانطلقا سويا . وأخذ كل منهما الشيخ على انفراد ، وأقر له بأفكاره . فأحدهما سـجد بدموع على قدمى الشـيخ ، يسأله أن يصـلى عليه . فقال له الشـيخ : اذهب ولا تدفع ذاتك الى شر ، ولا تقع فى

خطية ، ولا تضطجعن فى صلاتك . وبعد مضيه خارجا اعترف الآخر للشيخ بفكره وقال له صل على ، ولم تكن طلبته اليه بوجع واجتهاد .

وبعد مدة من الزمان اتفق انهما اجتمعا فقال الواحد لصاحبه لما زرنا الشيخ هل أخبرته بفكرك الذى ذكرت أنك تريد أن تقوله له فقال : نعم فقال له : هل انتفعت بعد اقرارك له ؟ فأجابه : نعم بصلوات الشيخ شفانى الله . فقال له ذلك الآخر : أما أنا وان كنت قد اعترفت له ، الا اننى ما أحسست بالشفاء . فقال له ذلك الذى انتفع . وكيف سألت الشيخ فقال : قلت له الآن صل على يا أبى فان الفكر الفلانى يؤذينى فقال له الآخر : اما أنا فعندما اعترفت له : بللت رجليه بدموعى طالبا اليه أن يبتهل فى أمرى . وبصلواته شفانى الرب .

هذا الخبر الذى حدثنا به الشيخ يعلمنا انه يجب على من يسأل أحد الآباء فى أمر أفكاره ، أن يطلب الى الله بكل قلبه وببكاء شديد فينال مراده . ومن يعترف بتوان وفتور فليس من شأنه أن يعدم المتعة فقط بل ويدان ويعاقب .

قال مار اسحق :

+ أعمال التوبة والصلوات والدموع باتضاع وكسر القلب . لا تغلب الآلام من النفس فقط بل ومن الموت تقيمها .

+ الويل لمن له وقت واستطاعة ، ويساعده جسده ، ويتهاون بأعمال التوبة لأنه يبكى وينتحب عندما ينتبه ، ويطلب زمان الراحة فلا يجد . سماء وماء التوبة هما الضوائق والمحقرات والتجارب . وموتها حب الأرباح والكرامة والراحة ، لأنه من الضوائق تتولد الراحة الداخلية ، ومن الحزن والكآبة اللذين من أجل الله . يتولد الفرح وعزاء النفس ، وبايجاز فان السلامة التى لم تتولد من هذه الأعمال ، هى ضلالة .

+ الذى يعمل التوبة ويفلح فى النسك بل وفى ممارسة الأعمال والفضائل ولكنه يتكل على بره ، لا على النعمة ، لا فرق بينه وبين من يجمع حجارة ويوجد بصومه أبعد من الحق ، وآخر بنسكه ، وآخر بجرده ، وآخر بسهره ، وآخر بعمله . وآخر بصدقته وآخر باحتماله وآخر بكمال اعمال تدعى الهية . لأن ربنا حزم الأمر بقوله : بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئا ، أى بالهدوء وتواضع القلب اللذين بهما أنا غلبت العالم » .

+ كان شاب فى المدينة قد صنع شرورا كثيرة ، وكان منغمسا فى الخطايا ، وبرحمة الله ـ أحس بعد ذلك بكثرة خطاياه فحبس نفسه فى قبر لكيما يتوب عما صدر منه ، وطرح وجهه على الأرض وهو يقول : « لا ينبغى لى أن أرفع نظرى الى السماء لكثرة خطاياى ولا أن أذكر اسم الله بفمى النجس ولا أن أصلى » ، وكان يقول فى نفسه : « انى لا أستأهل السكنى مع الناس والأحياء ، ولكن مع الموتى » ، فحبس نفسه فى القبر وهو يائس من الحياة ، وكان يتنهد من وجع قلبه ، فلما انقضى اسبوع وهو على هذه الحال ، أتاه بالليل أجناد الشياطين وهم يصيحون قائلين : « أين ذلك الجس الذى لم يشبع من الدنس ، هل يريد الآن أن يصير نصرانيا ؟ الا تنطلق بعجلة من هنا ، لأن الزوانى والخمارين أصحابك يتوقعون حضورك

اليهم ، فاطرح عنك هذا الأمر البطال ، فما الذى يحملك على أن تقتل نفسك أيها الأرعن . انما أنت بجملتك لنا وقد وهبت لنا حياتك بعهود ، فأنت غريم لنا . لماذا تهرب منا ؟ ألا ترد علينا جوابا ؟ ألا تقوم وتذهب معنا ؟ » أما هو ، فمن وجع قلبه لزم السكوت ، فلما كثر عليه الكلام ولم يجبهم ، حينئذ بدأوا يضربونه ، واستمروا يضربونه حتى مزقوا جسده ، فلم يستطع أن يتحرك كما لم يقدروا أن يزيغوه على فكره الصالح ، فتركوه قبل ميت وانصرفوا وهو فى تنهد شديد مسلما نفسه لله ، ثم ان أهل بيته خرجوا يطلبونه ، فلما وجدوه سألوه عن أمره ، فأخبرهم بما حل به ، فأرادوا أن يأخذوه معهم ، فامتنع ، وفى الليلة التالية ، عاد اليه الشياطين ، وضربوه ، ولما كانت الليلة الثالثة ، أتوه أيضا وضربوه حتى بقى فيه قليل نفس ، فلما رأى الله انكسار قلبه ، منعهم عنه ، فهربوا وهم يقولون : « قد غلبتنا » ولم يعودوا اليه بعد ذلك ، فسكن فى ذلك القبر بقية حياته ، واقتنى رهبنة فاضلة ، وصار سببا لرجوع خطاة كثيرين الى التوبة » .

+ **افتقل أنبا سيصوى** وكان الآباء جلوسا حوله ، فسمعوه يخاطب قوما ، فقالوا له : « ماذا تعاين أيها الأب ؟ » فقال : « ها أنذا أعاين قوما قد جاءوا لأخذ نفسى ، وأنا أتضرع اليهم أن يمهلونى قليلا حتى أتوب » فقال له أحد الشيوخ : « وان هم أمهلوك ، هل تقدر الآن أن تنجح فى التوبة وأنت فى هذا السن ؟ » فقال : « وأن كنت لا أقدر ان اعمل عملا فانى أتنهد وأبكى » ، فقال له الشيوخ : « ان توبتك قد كملت أيها الأب » فقال لهم : « صدقونى ، انى لست أعرف من ذاتى اذا كنت قد بدأت الى الآن ؟ » ولما قال هذا ، أشرق وجهه كالشمس ، ففزع الذين كانوا حوله ، فقال : « أنظروا : ان الرب قال : ائتونى بتائب البرية » ، ولوقته أسلم الروح وامتلأ المنزل من رائحة زكية » .

ـ خوف الله ـ

قال أنبا موسى الأسود :

+ ان آثرت أن تتوب الى الله فاحترز من التنعم فانه يثير سائر الأوجاع ويطرد خوف الله من القلب .

+ اطلب خوف الله بكل قوتك فانه يزيل كل الخطايا .

+ سأل أخ الأب اورانيوس قائلا :

« كيف يأتى خوف الله للنفس ؟ » فأجابه وقال له : « ان اقتنى الانسان التواضع ، ورفض المقتنيات ، ولم يدن أحدا ، فان خوف الله يأتى النفس » .

+ سأل أخ شيخا قائلا :

« كيف يأتى خوف الله الى النفس ؟ » قال له الشيخ : « اذا وجد فى الانسان الاتضاع والكفر بكل الأشياء وبنفسه أيضا ، وكان لا يدين أحدا ، فخوف الله يأتيه » .

+ قال شيخ :

« الضجر انما يعرض لنا من ان خوف الله لم ينغرس بعد فى فكرنا . ولم ننسى

الى الآن أكل خبزنا من صوت تنهدنا . فحب الجسد ، لا يدع عقولنا تسير الى فوق » .

ـ خطيئتى أمامى ـ

قال أخ لأنبا بيمين :

« انى خاطىء فماذا أعمل ؟ » فقال له : مكتوب : « خطيئتى أمامى فى كل حين فأنا أهتم بآثامى وأعترف بذنبى ، فقلت أكشف خطيئتى أمام الرب وهو يغفر لى نفاق قلبى » .

وقال شيخ :

« اذا تقدمت لأخذ القربان لا تفكر أنك أهل لذلك . ولكن اعتبر انك خاطىء ، واجعل فى نفسك أن الخاطىء اذا تقدم الى المخلص بايمان ، وتحفظ حسب قوته ، استحق أن ينال مغفرة خطاياه . فتقدم بتوبة ، واعتقد فى نفسك أنك مريض وغير مستحق ، بل مثل مجروح ومحتاج الى الشفاء ، وآمن انك تتقدس بأخذ القربان . اذا كنت على توبة ، لأن كل الذين تقدموا اليه بايمان شفوا » .

ـ النوح ـ

قال شيخ :

النوح يغسل الخطايا . ويتعب كثير يصل الانسان اليه ، اذ لا يأتى البكاء الا بكثرة الهذيذ ، وبذكر الموت . والدينونة المرهوبة . والعذاب الدهرى ، وأن تفكر فى نفسك وتقطع هواك وتحمل الصليب .

وقال آخر :

ان كان انسان يجربه ابليس بأوجاع الخطية . ويبكى وينوح لذلك بين يدى الله ، فان الله يشتاق اليه ، لأن التنهد قادر أن يحل الخطية ، والبكاء يغسل الذنوب .

وقال مار اسحق :

أحذر من حياة الخلطة لأنها تعوق سائر أنواع التوبة ، التخاطب مع كثيرين يعوق الحزن الذى من أجل الله .

لقى **أنبا جراسيموس** امرأة فى البرية عريانة ، فلما أبصرته توارت عنه ، لكنه أراد أن يكلمها فتوارت خلف صخرة وكلمته ، فقال لها : « كم لك فى هذه البرية (من الزمان) ؟ » قالت : « خمسون سنة » قال لها : « ماذا كان غذاؤك ؟ » قالت : « ان الخالق لا يضيع ما خلق » قال لها : « فماذا أبصرت فى البرية ؟ » قالت : « ما أبصرت غير المسيح وأعماله وصنائعه » قال لها : « ففيم الخلاص ؟ قالت : « فى ترك ما أنت فيه » قال لها : « وما هو ؟ » قالت : شغلك بالبكاء على خطاياك أولى من سؤالك امرأة عما لا ينفعك قال لها « صدقت » وعمل مطانية ، وانصرف .

مضى **أنبا بيمين** فى بعض الأوقات قاصدا مصر ، فنظر امرأة جالسة على قبر تبكى بكاء مرا ، فقال لمن كان معه : « لوجىء لهذه المرأة بكل مرطبات العالم وكل الملاهى ، لما انتقلت عما هى عليه من الحزن ، وهكذا يجب على الراهب أن يكون حزنه دائما أبدا » .

سأل أخ الأب ماطوس قائلا :

« قل لى كلمة » فقال له : « أقطع عنك مماحكة الأمور كلها ، وابك ونح فقد قرب الوقت » . اطلب الى الله أن يعطيك نوحا فى قلبك وتواضعا فى نفسك وتأملا دائما فى خطاياك ، ولا تدن آخرين ، ولا تجعل لك صداقة مع صبى ، ولا معرفة بامرأة ولا صديقا مخالفا ، ولا صلةبانسان ما ، واضبط بطنك ولسانك ، وان تكلم أحد بحضرتك فلا تحاججه ، وان قال لك جيدا قل نعم ، وان تكلم رديئا فقل : انت أخبر بما تتكلم به ، ولاتمار ، فهذا هو حد الخلاص » .

+ **حدث أن مضى ثلاثة أخوة الى الأب بفنوتيوس** ، وسألوه كلمة ، فقال لهم الشيخ : « امضوا ، وليكن عندكم الحزن أفضل من الفرح ، والتعب أفضل من النياح ، والاهانة أفضل من الكرامة ، وليكن عطاؤكم أكثر من أخذكم » .

+ **سأل أخ الأنبا مادانا :** « قل لى كلمة » فقال له الشيخ : « امض واسأل الله أن يهب لك فى قلبك نوحا واتضاعا ، واجعل بالك من خطاياك كل حين ولا تدن أحدا . بل اجعل نفسك تحت كل الناس ، ولا تجعل لك مرافقة مع صبى ، ولا معرفة بامرأة ، ولا صداقة مع هيراطيقى ، واقطع عنك الدالة ، واحفظ لسانك ، وامسك بطنك من الخمر قليلا ولا تكن محبا للقنية ولا تلاجج أحدا ولا تحارنه ، وهذا هو الاتضاع .

+ **جاء عن أنبا يوحنا صاحب الفلالى**

كانت زانية بمصر ، وكانت جميلة جدا وموسرة ، وكان الرؤساء يأتون اليها ، وفى بعض الأيام جاءت الى الكنيسة وأرادت الدخول فلم يدعها الايبودياكون ماسك الأبواب قائلا : «لست أنت مستحقة أن تدخلى بيت الله لأنك نجسة» واذا كان معهافى الكلام سمع الأسقف الخصومة فخرج فقالت له الزانية « من الآن ما أزنى » فقال لها الأسقف : « ان جئتى بغناك كله الى هنا علمت أنك ما تزنين » فمضت وأتت بمالها جميعه ، فأخذه وأحرقه بالنار . ولما دخلت الكنيسة كانت باكية قائلة : « ان كان ههنا حل بى هذا ، فهناك ماذا يحل بى ! » وعملت توبة حسنة وصارت اناء مختارا .

(د) اذكر محبتك الأولى

قال مار اسحق :

فى الوقت الذى تكون مغلوبا مقهورا وفى ملل وكسل وقد قيدك عدوك بسماجة فعل الخطية أذكر الأوقات القديمة التى فيها تنشطت ، وكيف كنت

مهتمـا حتى بصـغائر الأمور ، وكيف كنت تتحرك بالغيرة على الذين يعوقون مصيرك . وتنهد على أقل شيء فاتك فى عمل الفضيلة ــ وكذلك اذكر كيف كنت تحظى باكليل الغلبة على الأعداء .

بمثل هـذه التذكارات تتيقظ نفسـك، كمثل من هو فى نوم عميق وتلبس حرارة الغيرة ــ وكمثل من فى الموت تقوم النفس من مسقطها وتصلب ذاتها حتى تعود الى طقسها الأول بالجهاد الحار قبالة الشيطان والخطية .

(هـ) ذكر ساعة الموت والدينونة

قال القديس موسى الاسود :

+ أعد نفسـك للقـاء الرب فتعمل حسب مشيئته ، افحص نفسـك هاهنا واعرف ماذا يعوزك فتنجو من الشدة فى ساعة الموت ويبصر أخوتك أعمالك فتأخذهم الغيرة الصالحة .

+ اذا قمت كل يوم بالغداة ، تذكر انك سوف تعطى الله جوابا عن سائر أعمالك فلن تخطىء **البتة ، بل يسكن خوف** الله فيك .

+ فكر فى نار **جهنم لكيما تمقت** اعمالها .

+ ذكر الدينونة **يولد فى الفكر تقوى** الله . وقلة خوف الله تضل العقل .

قال شيخ :

كل من يجعل الموت مقابله كل حين ، يغلب الضجر وصغر النفس .

وقال آخر :

« ان ابراهيم أول دخوله أرض الميعـاد اشـترى قبرا فورث هو وزرعه الأرض بكمالها ، هكذا الذى يتخذ له بيتا لموته من هذا العالم ، ويحزن فيه على نفسه ، فانه يرث أرض الحياة » .

قال القديس اكليمكوس :

« لا يستطيع انسان أن يختار يوما كما ينبغى ، أن لم يحسبه آخر يوم من حياته فى الدنيا » .

قالت الأم سارة :

« اننى أضع رجلى على السلم لأصعد فأتصور الموت قدامى قبـل أن أنقـل الرجل الثانية » .

قيل لشيخ :

« لماذا تضجر يا أبتاه ؟ » فقال : « لأنى فى كل يوم أتوقع الموت » .

قال أنبا ابرام :

« ساعة الموت مرهوبة ، وهى تأتى على الانسان مثل الفخ ، حينئذ يلحـق النفس ندم عظيم وتقول : « كيف جازت أيامى وأنا مشغولة بالأعمال الفارغة التى لا منفعة لها ؟ » .

وقال أيضا :

يا أخى فى كافة أعمالك تذكر أواخرك فلا تخطىء أبدا .

يا أخى احضر الى ذهنك النار التى لا تطفأ ، والدود الذى لا يموت ، ففى الحال يخمد التهاب الأعضاء ، لئلا تسترخى و غلب ، وتستدركك نار حزن الندامة ، وتعتاد أن تخطىء فتندم ، اقتن صرامة منذ الابتداء مقابل كل شهوة لئلا تغلب لها ، ولا تتعود الهزيمة فى الحزن ، لأن العادة طبيعة ثانية ، لأن اعتياد الهزيمة لا يبين أن هناك صرامة وشهامة ، بل كل حين يبنى هذا الانسان وينقض ، وفى كل وقت يخطىء ويندم .

أيها الحبيب ان اعتدت أن تتراخى أن قوتلت ، فسوف يكون تسطير كتابة ندامتك لا يمحى الى الأبد . من اعتاد أن ينغلب لبعض الشهوات ، فذاك يصير موبخا كل وقت من ضميره ، فتحرز بكل نفسك من الخطر ، حاويا فى ذاتك المسيح فى كل وقت لأن المسيح هو للنفس حلاوة لا تموت ، فله المجد الى الأبد آمين .

ومن أقوال القديس أوغريس :

+ ان من كان همه فى تذكار الموت ، فذلك يهديه بخوف الله .

+ « **اخبروا عن أخ حريص** على خلاصه . جاء من غربة فأقام فى قلاية لطيفة بطور سيناء . فلما جلس فى اليوم الأول ، وجد على خشبة صغيرة كتابة قد كتبها الأخ الذى كان فيما مضى ساكنا فيها وهو يقول فيها : « أنا موسى ابن تادرس قد حضرت وأقمت » وكان الأخ يضع تلك الخشبة قدامه طول النهار يوميا . ويسأل :

« من كتب هذه الكتابة ؟ » ثم يردف قائلا : « أيها الانسان . ليت شعرى أين أنت الآن . لأنك قلت » قد حضرت وأقمت « فالى من كتبت هذا يا ترى ؟ ترى فى أى عالم أنت فى هذه الساعة ؟ » فكان يداوم هكذا على هذا العمل طول النهار متذكرا الموت . ثابتا فى النحيب والبكاء وكانت صناعته الخط الحسن ، فتناول من الاخوة ورقا ليكتب لهم شيئا كتذكار منه لهم . لكنه لم يكتب لأحد شيئا سوى صيغة واحدة . كتبها فى ورق كل واحد منهم وذكر فيها : « اغفروا لى أيها الاخوة قساوتى ، فانه كان لى عمل مع ذاك القادر على خلاصى ، لذلك لم أفرغ منه حتى أكتب لكم » .

+ قال شيخ :

« انى مرتعب فزع من تلك الشدة التى سوف تعانيها النفس عند خروجها من الجسد ، اذ تأتيها أجناد الشر ، وماسكو ظلمة هذا العالم الخبيث ، فيأخذونها ويظهرون لها كل ما عملته من الخطايا ، بمعرفة وبغير معرفة ، ويحاجونها على كل ما عملت ، فأى شدة ورعب تلحق بالنفس فى تلك الساعة حتى يصدر الحكم بمصيرها ، وتصبح فى عتق . هذه هى ساعة الشدة ، التى تقاسيها حتى تبصر خاتمة أمرها فان كانت مستحقة النعيم ، يأخذها الملائكة

بكرامة ويحفظونها من الشياطين الأشرار ، وحينئذ تصبح من ذلك اليوم معتوقة منهم ، كما هو مكتوب : «ان مسكن جميع الفرحين فيك يا مدينة الله» ، وحينئذ يتم المكتوب أن الوجع والتنهد والتعب يهرب ، وحينئذ تفلت من أحناد الظلمة ، لتمضى الى ذلك المجد الأسنى الذى لا ينطق به . أما ان وجدت النفس وقد كانت عائشة بالتوانى ، فانها تسمع ذلك الصوت المحزن : « ليبعد المنافق كيلا يعاين مجد الرب » . وحينئذ يدركها يوم السخط ، يوم الحزن والشدة ، يوم الظلمة وظلال الموت ، فتلقى فى الظلمة الخارجية ، ويحكم عليها بالعذاب المؤبد فى نار غير منطفئة ، حيث يهرب كل نعيم والتذاذ وحيث لا يوجد فرح ولا نياح ، ولا غنى ، ولا جاه ، ولا من يخلص من ذلك اللهيب المعد للنفوس الخاطئة ، فاذا كانت هذه الأمور هكذا ، فأى تدبير ذى أمانة وقداسة ، ينبغى لنا أن نتدبر به فى هذا العمر ، وأى تسبيح وأية صلوات وأى تحفظ يجب أن نقتنى بغير دنس وبغير عيب ، بطهارة وسلام ، لتؤهلوا لسماع ذلك الصوت المملوء فرحا القائل : « هلموا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكم من قبل انشاء العالم » ، الدائم الى دهر الداهرين آمين .

+ **أحاط اخوة بشيخ** عند وفاته ، ففتح عينيه وضحك ثلاث مرات ، المرة بعد الأخرى . فقالوا له : «لماذا تضحك يا أبتاه ونحن نبكى؟ » فقال لهم : «أما ضحكى الأول فهو لأنى رأيتكم تخافون الموت ، والثانى فهو لانكم رغم خوفكم منه فانكم لا تستعدون له ، أما ضحكى الثالث فهو لأنى ماض من التعب الى الراحة » . وهكذا تنيح فانتفع الاخوة منه .

+ **كان انسان اسمه اسطفان ،** ساكنا طريق النساك ساكنى البرية ، وقد أقام فى مصارعة التقشف سنين عديدة ، وكانت قلايته فى منحدر الجبل الذى سكنه **ايليا** ، وفى أواخر أيامه صعد الى ذروة الجبل فى مواضع حرجة مغشوشة ليس فيها عزاء . فأقام هناك مصليا نادبا متجملا بجميع الفضائل ، فمرض مرضا قضى فيه نحبه ، وقبل موته بيوم واحد ، شخص بعقله وعيناه مفتوحتان والتفت يمنة ويسرة ، وكأن محاسبا يحاسبه والجماعة تسمع ، فكان مرة يقول « نعم هذا صحيح » ، ومرة يقول « لا ، هذا كذب » ، ومرة أخرى « نعم ، الا انى صمت عوض هذا كذا وكذا وبكيت وتعبت » ، وفى أشياء أخرى كان يقول : « نعم ، وليس لى ما أقول فى هذا ، ولكن رحمة الله كثيرة » ، وفى أشياء أخرى يقول : « لا هذا كذب ، لم أفعله » ، وكان المنظر مبهرا مفزعا ، وعلى هذه الصفة فارق الدنيا محاسبا ، واما ما انتهى اليه أمره ، ومصير القضية بالنسبة اليه فما أبانها .

+ **سأل اخوة القديس اثناسيوس الرسولى :** « لماذا نرى قوما من الصديقين ينازعون (عند الموت) اياما ويحاسبون . وقوما خطاة نراهم يقضون أجلهم بسكون وهدوء ؟ » .

الجواب :

« ان عرفنا جميع أحكام الله فنحن اذن آلهة ، فيحسن بنا الا نفتش تفتيشا زائدا عن مثل هذه الأحكام لأنه يتفق أن رجالا أبرارا يعاقبون فى وقت

نزعهم الأخير ، لنرى نحن ذلك ونفزع ونخف ، كما أنه ربما كان لأولئك القديسين – بما أنهم بشر – زلة صغيرة ، فينظفون بذلك العقاب فى وقت نزعهم تنظيفا تاما بليغا ، ويمضون بلا عيب أنقياء » .

+ **قال القديس أغريغوريوس :**

« ان هذا النزع ينظف النفوس **الخارجة من العالم** من الخطايا الدنية الخفيفة ، وذلك بحسب ما سمعته من رجل **قديس ، حكى لى** عن قديس آخر فقال : « انه لما حضرته الوفاة فزع فزعا عظيما ، وبعد موته ظهر لتلاميذه بحلة بيضاء ، دالا بذلك على البهاء الذى حصل عليه » .

+ **تحدث الآباء عن شيخ** أخذت روحه ، وبعد ساعة رجعت اليه فسألوه : « ماذا أبصرت يا أبانا ؟ » فقال وهو يبكى : « سمعت هناك قوما يقولون وهم باكين : الويل لى ، الويل لى » .

+ **سأل بعض الاخوة شيخا قائلين** : « هل الاسم يخلص أم العمل ؟ » فقال لهم الشيخ : « أعرف أخا من الاخوة ، خطر بفكره فى وقت من الأوقات أن يبصر نفس بار ، ونفس خاطىء وقت خروجهما . فابتهل مصليا الى الله زمانا ، واذ لم يشأ الرب الصالح أن يحزنه لأجل تعبه ، حدث أن ذئبا دخل اليه فى يوم من الأيام وهو جالس فى قلايته . فتناول ثيابه بفمه وجذبه الى خارج القلاية ، فنهض تابعا له ، حتى أوصله الى مدينة كبيرة وتركه قريبا منها ، وانصرف . وكانت هناك قلاية لرجل راهب متوحد كبير له اسم عظيم ، فجلس عنده لينظر حال موته ، لأنه كان عليلا ، فأبصر الأخ كميات كبيرة من الشمع والبخور والأطياب والأكفان الفاخرة ، وقد جيئت لدفنه ، وكان أهل المدينة يبكون عليه قائلين : « ان الله بصلاة هذا القديس يثبت مدينتنا ويرزقنا الخير ، ويصنع الرحمة للعالم بأسره » ، فلما جاءت الساعة التى لا مناص منها ، كان الأخ يتأمله ، فأبصر حارس جهنم ومعه كلابة حديد ذات ثلاثة شعب متوهجة بالنار ، فوقف على رأسه ، وسمع صوت الرب يقول : لا ترحم هذه النفس ، لأنها لم تنيحنى ولا يوما واحدا ، فلا ترث لها فى اجتذابها ، فانها لن تتنيح مدة الدهر » . فحط الكلابة فى قلبه . وبعد اسلامه روحه ، تركه ودخل المدينة ، فأبصر أخا غريبا مطروحا فى الشارع ، عليلا وليس له من يهتم به ، فجلس عنده باكيا يوما واحدا ، وفى ساعة رقاده نظر واذا بملاكين جليلين قد انحدرا لأخذ نفسه ، فنظر الملاكان الى السماء وقالا : « يا رب ، ماذا تأمر عبيدك من أجل هذه النفس ، لأنها لا تشاء مفارقة جسدها ؟ » ، فأرسل اليها الرب داود وكل منشدى السماء ، فلما قالوا « ارجعى يا نفسى الى موضع راحتك فان الرب قد احسن اليك » وأيضا « كريم أمام الرب موت قديسيه » فمن الفرح خرجت نفس ذلك الأخ متهللة » .

+ **كان لأحد المتوحدين** فى البرية صديق علمانى يبيعه عمل يديه ، ويحضر له ما يحتاجه . وكان فى المدينة بالقرب **منه رجل غنى جدا** ، ولكنه كان مذموم الطريق ، قليل الرحمة . وفى أحد الأيام **سار العلمانى الى المدينة** كعادته ليبيع شغل المتوحد ، فوجد جنازة عظيمة ، **والأسقف يتقدمها** ، وجماعة الكهنة

وكل أهل المدينة . فاستخبر عن ميت تلك الجنازة ، فقيل له انه فلان الغنى كبير المدينة ، فمشى مع الجنازة الى القبر ، وكان معهم شموع وبخور بكميات كبيرة ، فعجب لذلك ، وبعد أن رجع أخذ حاجة المتوحد ومضى اليه ، فوجده ملقى على وجهه ميتا ، والضبعة تجره من رجليه ، فبكى بكاء مرا ، وألقى بنفسه الى الأرض وقال : « انى لن أقوم حتى تعرفنى هذا الحكم . فذلك الغنى القليل الرحمة كان له كل ذلك المجد والكرامة فى موته . وهذا المتوحد الذى لم يزل متعبدا لك ليلا ونهارا تخرجه هذه الضبعة هكذا وتجره من رجليه ؟ ! » وفيما هو يقول ذلك ، ظهر له ملاكا قائلا : « ومن أنت حتى تعارض الرب وتعيب حكمه ، ولكن لأجل تعبك مع هذا المتوحد القديس ، وخدمتك له ، ها أنا أعرفك السبب : ان ذلك الغنى مع قلة خيره ، وقلة رحمته ، قد عمل فى عمره كله حسنة واحدة مع الأسقف ، والرب ليس بظالم ، فأراد أن يعوضه عنها فى هذه الدنيا ، حتى لا يكون له عنده شىء ، أما هذا المتوحد القديس ، فقد كانت له زلة صغيرة . صنعها فى كل عمره ، فجوزى عنها ههنا بهذه الميتة ، حتى يكون قدام الله نقيا » ، فنهض الرجل شاكرا الله قائلا : « عادلة هى أحكامك » .

٥

ثمار التوبة

(أ) الاتضاع

+ **قال القديس أنطونيوس :**

أحب الاتضاع فهو يغطى جميع الخطايا .

ومرة أبصر **أنبا أنطونيوس** فخاخ الشياطين مبسوطة على الأرض كلها ، فتنهد وقال : « يا رب ، من يفلت من كل هذه ؟ » فأتاه صوت من السماء قائلا : « المتضعون يفلتون منها » .

ـ الاتضاع مع الناس ـ

قال القديس أنبا أنطونيوس :

+ اعلم ان الاتضاع هو أن تعد جميع البشر أفضل منك متأكدا من كل قلبك انك أكثر منهم خطيئة ، ويكون رأسك منكسا ولسانك يقول لكل أحد : « اغفر لى » .

+ اظلم نفسك لكل انسان تمتلك الاتضاع . والاتضاع يغفر الخطايا كلها .

+ لا تتوهم بأنك عالم وحكيم لئلا يذهب تعبك سدى وتمر سفينتك فارغة .

+ عود لسانك القول فى كل شىء وفى كل وقت ولكل أخ والله تعالى : « اغفر لى » فيأتيك الاتضاع .

+ ارفض الكبرياء واعتبر جميع الناس أبر منك .

ـ الاتضاع مع الشياطين ـ

+ احضر رهبان **القديس أنطونيوس** اليه رجلا به روح نجس متوسلين اليه أن يقيم صلاة من أجل الرجل المعذب الذى طلب الشيطان أن يلقيه فى الماء . لكن القديس التمس من الاخوة أن يعفوه . وكان لما مكث الرجل الذى به الروح النجس مدة طويلة أنه نطم **أنبا أنطونيوس** على خده عند ذلك حول له الآخر ففى الحال هرب الروح الشرير .

+ حدث انه لما دخل **القديس أنطونيوس** البرية الداخلية ان الشياطين نظرت اليه منزعجة . فاجتمعت عليه وقالت له : « يا صبى العمر والعقل . كيف تجاسرت ودخلت بلادنا لأننا ما رأينا بشرا آدميا سواك » وابتدأوا يجاهدونه كلهم . **فقال لهم** : « يا أقوياء ماذا تريدون منى أنا الضعيف المسكين وما هو مقدارى حتى تجمعتم كلكم على . ألا تعلمون أنى تراب ووسخ وكلا شىء وضعيف عن قتال أحد أصاغركم » ، وكان يلقى بذاته على الأرض ويصرخ ويقول : « يا رب أعنى وقو ضعفى . ارحمنى يا رب فانى التجأت اليك . يا رب لا تتخل عنى ولا يقو على هؤلاء الذين يحسبون انى شىء . يا رب أنت تعلم أنى ضعيف عن مقاومة أحد أصاغر هؤلاء » . فكانت الشياطين اذا سمعت هذه الصلاة المملوءة حياة واتضاعا تهرب منه ولا تقدر على الدنو منه .

+ **وحدث** أن جمع الاركون (الشياطين) كل آلات اللهو والطرب واللذات والنعيم والنساء وسائر أنواع الزنى ولذاته . اما **القديس أنطونيوس** فكان يغمض عينيه ويقول : « عجبا منكم . كيف تجعلون لى مقدارا وتحتالون فى سقوطى مع انى ضعيف عن مقاومة أحد أصاغركم . ابعدوا عنى وعن صعفى أنا المسكين التراب والرماد » .

وبذلك كانت الأفكار تسقط عنه بمعونة الله . والشياطين كانت تحترق لكثرة اتضاعه . ومرات كثيرة كانت الشياطين تحضر له جميع أنواع التخويف والازعاج والتهويل والعذاب . وهو يصرخ الى الله باتضاع ويقول : « انقذنى يا رب بمعونتك ولا تبعد عن ضعفى » . وللوقت كانت الشياطين تهرب عنه .

ومرارا كثيرة أيضا كانت الشياطين تهجم عليه وتضربه ضربا مؤلما ... وهكذا أقام القديس أنطونيوس ثلاثين عاما الى أن نظر الرب يسوع المسيح الى كثرة اتضاعه وصبره واحتماله وكسر عنه شدة الأعداء .. صلاته تكون معنا آمين .

(ب) انكار الذات

+ **قال القديس اكليميكوس :**

من يستطيع أن يميت نفسه من كل شيء فذاك يستطيع أن يتفرغ لنفسه بذكر الموت .

+ **وتعود الشيخ أنطونيوس أن يقول :**

« ان لم يضع الخباز (١) غطاء على عيني الحيوان فان الحيوان يلتفت ويأكل أجرته . وبالمثل أخذنا غطاء من صنع الله حتى نعمل الأعمال الصالحة دون أن نراها وبذا لا ننسب السعادة لأنفسنا ونفسد أجرة عملنا ولذلك نترك أحيانا لأفكارنا الخبيثة حتى نراها فندين أنفسنا ، وحينئذ تصير هذه الأفكار غطاء للأعمال الصالحة القليلة التي نعملها . لأنه اذا لام الانسان نفسه فانه لا يفسد أجرته » .

+ ومرة طلب منه أخ أن يصلي من أجله فقال له الشيخ :

« انني لا استطيع معاونتك ، والله ذاته لا يستطيع ذلك ما لم تنبغض وتنكر نفسك وتطلب أنت نفسك من الله أن يذكرك » .

+ **ذهب بعض الشيوخ لزيارة القديس انطونيوس** وكان معهم **القديس يوسف** وحاول الشيخ أن يجعلهم يتكلمون كلمة من الكتاب المقدس فابتدأ بسؤال أصغرهم سنا : « ما معنى هذه الكلمة ؟ »

فكان جواب كل واحد « انني لم أستطع بعد فهم هذه الكلمة » .

وأخيرا سأل **الأنبا أنطونيوس أنبا يوسف** : « وماذا تقول أنت ؟ » .

فأجابه **أنبا يوسف** : « لا أعرف » .

قال له **أنبا أنطونيوس** : في الحقيقة يا أنبا يوسف انك وجدت الطريق بقولك « لا أعرف » .

(جـ) عدم التذمر

+ **قال أنبا أنطونيوس :**

لا تتقمقم في عمل ما بل أحب التعب وكن متأنيا لكل بلية تنالك حتى آخر نسمة من حياتك .

+ ومرة سأل **القديس أنطونيوس** من الرب أن يخبره عن السبب الذي من أجله يموت أطفال ويعيش الكثير من المتقدمين في السن ، ولماذا هناك مستقيمون فقراء ، وأشرار أغنياء وبعض الناس عمى والبعض يبصرون ، ولم يقاسي الصالحون آلام المرض والطالحون أصحاء ، فسمع صوتا قائلا له :

---

(١) لعل المقصود هنا انه ان لم يضع الخباز الذي سيحول القمح الى خبز غطاء على عيني الحيوان الذي يطحن فانه سيأكل ما طحنه .

« يا أنطونيوس اهتم بنفسك لأن هذه الأمور هى من أحكام الله »

(د) تنقية النفس

+ قال اخوة للأب زينون :

ما معنى المكتوب : « ان السموات ليست نقية قدامه » ؟ فأجابهم : « ان سكان الأرض أهملوا الفحص عن تطهير خطاياهم وصاروا يفحصون السموات ، فهذا القول ، لما كان هو وحده طاهرا ، لذلك قيل ان السموات غير نقية ازاءه » .

+ قال القديس باسيليوس :

« الذى يصالح نفسه خير من الذى يصالح الفضلاء ، والذى يدبر نفسه خير من الذى يدبر غيره » .

+ قال بعض الشيوخ :

« ان الشيطان هو العدو ، وأنت صاحب البيت ، والعدو لا يزال يلقى كل ما يجده من سائر الأوساخ ، فلا تتغافل أنت ، ولا تتوان عن اخراجها أولا بأول لئلا يمتلىء بيتك من الأقذار . ولن تستطيع تنظيفه ، بل اهتم بالتنظيف ، لتبقى نقيا بنعمة الله .

+ وقال شيخ :

« ان أرفع الصلاح كله هو أن نقلع هذا العشب الذى هو الزوان ، قبل أن يصير غابة » .

رابعـــا

الإتضـــاع

١ ـ ما هو

٢ ـ دعوة اليه

٣ ـ كيف اقتنى الاتضاع

٤ ـ بعض تداريب عن التواضع

(أ) البعد عن المتكآت الأولى

(ب) قطع المشيئة

(ج) عدم التذمر

(د) الهروب من المجد الباطل

(هـ) تبكيت النفس

(و) عدم الادانة

(ز) احتمال التوبيخ

٥ ـ أمور تساعد على التواضع :

١ ـ النوح

٢ ـ احتمال الاهانات

٣ ـ عدم الثقة فى برنا

٤ ـ محبة الناس

السلوك بمحبة واتضاع

عدم الجدال والرغبة فى الانتصار

عدم الادانة

المشاركة الوجدانية

احترام الكل

٥ ـ اخفاء التدابير وانكار الذات

٦ ـ نفسك ومديح الناس

٧ ـ افكار العظمة

١
مـــا هو ؟

+ سئل شيخ :

« ما هى أعظم الفضـــائل ؟ » فقال : « اذا كانت الكبرياء أشر الخطايا حتى أنها أهبطت طائفة من السماء الى الأرض ، فمن البديهى أن يكون الاتضاع الحقيقى المقابل لها أعظم الفضائل ، اذ هو يرفع الانسان من الأعماق الى الســماء ، وقد طوبه الله قائلا : « مغبوطون أولئك المســاكين بالروح ـ أى المتضعين بقلوبهم ـ فان لهم ملكوت السموات » .

+ قال شيخ :

« ان خاتم المسيحى الظاهر هو الصليب ، وخاتمة الباطن هو الاتضـــاع ، فهذا مثل صليب الرب ، وذاك مثل خلقه » .

+ وقال آخر :

« الاتضاع هو شجرة الحياة ، التى لا يموت آكلوها » .

+ كذلك قال :

« الاتضاع هو أرض حاملة للفضـــائل ، فان هى عدمت الفضائل ، فبالكمال قد هلكت » .

+ قال القديس أنبا أغاثون :

« اكليل الراهب الاتضاع » .

+ قال أنبا موسى الاسود :

« تواضع القلب يتقدم الفضائل كلها . والكبرياء هى أساس الشرور كلها »

+ سئل شيخ من الرهبان : « ما هو الاتضاع ؟ » ..

فقال : « انه عمل كبير الهى ، وطريقة متعبة للجسد ، وأن تعـد نفســك خاطئا وأقل الناس كلهم » .

فقال له الأخ : « وكيف أكون أقل الناس ؟ » .

أجابه الشيخ : « ذلك بألا تنظر الى خطايا غيرك ، بل تنظر الى خطاياك ، كما تسأل الله دائما أن يرحمك » .

+ قال القديس باخوميوس :

ســألنى أحد الاخوة مرة قائلا : قل لى منظرا من المنـــاظر التى تراها لنستفيد منه . فأجبته قائلا : « ان من كان مثلى خاطئا لا يعطى منـاظر ولـكن

ان شئت ان تنظر منظرا بهيا يفيدك بالحق فانى أدلك عليه وهو : اذا رايت انسانا متواضع القلب طاهرا فهذا أعظم من سائر المناظر ، لأنك بواسطته تشاهد الله الذى لا يرى . فعن أفضل من هذا المنظر لا تسأل » .

+ **سئل مار اسحق** : « ما هو الاتضاع ؟ » .

فقال : « هو ترك الهوى ، والسكون من كل أحد . الاتضاع يتقدم النعمة ، والعظمة تتقدم الأدب ، ان المتعظم بالمعرفة بضميره يسقط فى التجديف ، والمبتهج بفضيلة العمل يسقط فى الزنى ، والمترفع بالحكمة يسقط فى فخاخ الجهل المظلمة . ان جمع المتواضعين لمحبوب عند الله تعالى كجماعة السيرافيم ، ان الجسم العفيف لكريم عند الله تقدس اسمه أكثر من الضحية الطاهرة وذلك ان هذين ، أعنى الاتضاع والعفة ، ضامنان للنفس بحلول الثالوث الأقدس فيها » .

+ **وقال أيضا** : « أعمال مع قساوة قدام الله تعالى ، كانسان يضحى ولد (يذبح ولدا) قدام أبيه) » .

+ **سئل القديس برصنوفيوس** : « ما هو الاتضاع ؟ » .

فأجاب : الاتضاع هو أن يحسب الانسان نفسه ترابا ورمادا ويقول : « أنا ، ومن يحسبنى أنا شيئا ، ومالى أنا مع الناس لأنى عاجز » ، ولا يقول عن أمر : « ماذا ؟ » ، ويكون ماشيا بخضوع كثير فى طرقه ، ولا يساوى بغيره واذا احتقر ورذل لا يغضب .

+ **وقال ايضا** :

قال الآباء أن الفضائل الثلاثة الآتية جليلة جدا ومن يقتنيها يستطيع ان يسكن فى وسط الناس وفى البرارى وحيثما اراد . وهى : ان يلوم الانسان نفسه ، ويقطع هواه ، ويسير تحت كل خليقة . فالمتضع كائن فى أسفل والذى هو فى أسفل لن يقع ومن ذلك يتبين أن المتعالى هو الذى يسقط بسرعة .

+ **تحدث القديس أرسانيوس** عن انسان وفى الحقيقة كان يتحدث عن نفسه فقال : كان أحد الشيوخ جالسا فى قلايته متفكرا فأتاه صوت قائلا : هلم فأريك أعمال الناس . فنهض الى خارج فرأى عبدا يقطع حملا من الحطب وبدأ يجرب ان كان يستطيع حمله فلم يستطع . فبدلا أن ينقص منه قام وقطع حطبا وزاد عليه وهكذا صنع مرارا كثيرة ثم سار قليلا فرأى رجلا آخر واقفا على حافة بئر يتناول منه الماء ويصبه فى جرن مثقوب فكان الماء يرجع الى البئر ثانية . . وجاز قليلا فرأى رجلين راكبين فرسين حاملين عمودا على المجانبة كل من طرف وسائرين بعرض الطريق ، فلم يتضع احدهما ليكون خلف الآخر فيدخلان العمود طوليا . وعلى ذلك بقيا خارج الباب ، وأردف قائلا : هؤلاء هم الحاملون نير ربنا يسوع المسيح بتشامخ ولم يتواضعوا أن يخضعوا لمن يهديهم . لذلك لم يستطيعوا الدخول الى ملكوت السموات . أما قاطع الحطب فهو انسان كثير الخطايا فبدلا من أن يتوب ، يزيد خطاياه . وأما المستقى الماء فهو انسان

يعمل الصدقة من ظلم الناس فيضيع عمله . فمن اللائق أن يكون الانسان متيقظا فى عمله حتى لا يتعب باطلا .

٢

دعوة إليه

+ **قال أنبا موسى الأسود :**

لنلزم الاتضاع فى كل أمر وفى كل عمل .

+ **قال أنبا أغاثون :**

« ان شرف التواضع عظيم وسقوط المتعاظم فظيع جدا وانى اشير عليكم بأن تلزموا التواضع فلن تسقطوا أبدا .

+ **قال أنبا باخوميوس :**

— أسلك طريق الاتضاع لأن الله لا يرد المتواضع خائبا . لكنه يسقط المتكبر وتكون سقطته شنيعة فأغلب أعداءك بترك الكبرياء واحذر طلبها لئلا تفرح أعداءك .

— احذر من تكبر القلب لأنه أشنع الرذائل كلها .

— ليكن رأسك منكسا ونظرك الى أسفل ، واتضع بقلبك واهزم الكبرياء وابتعد عن الهم .

— التصق بمخافة الله وكن متواضعا لتكون فرحا ، لأن الفرح يتمشى مع الاتضاع .

— كن متضعا ليحرسك الرب ويقويك. فانه يقول انه ينظر الى المتواضعين.

— كن وديعا ليحكمك الرب ويملأك معرفة وفهما . لأنه مكتوب : انه يهدى الودعاء بالحكم ويعلم المتواضعين طرقه وحينئذ يثبتك أمامه ويهىء لك السلامة فى جميع سبلك .

+ **قال شيخ :**

« من ليس فيه اتضاع فمن شأن الشياطين أن يودعوه » .

+ **وقال كذلك :**

« لا يمكننا أن نحوز ربنا داخلنا بدون تواضع وتعب كثير وصلاة بغير فتور »

+ **وقيل أيضا :**

« كما أن الأرض لا تسقط أبدا لكونها موضوعة هكذا الى أسفل كذلك من وضع ذاته لا يسقط أصلا » .

+ **قال أخ لشيخ :**

« انى أرى فكرى دائما مع الله » فقال له : « الأعجب من هذا أن ترى نفسك تحت جميع الخليقة ، فلا سقوط مع الاتضاع » .

+ **وسئل : « ما هو الاتضاع ؟ »**

فقال : « أن تحسن الى من اساء اليك ، وتسكت فى جميع الأمور » .

+ **وقال شيخ :**

« باب الرحمة هو الاتضاع ومنه دخل آباؤنا الى الملكوت بغنيمة عظيمة » .

+ **سئل شيخ :** « ما هو كمال الراهب ؟ » .

فقال : « الاتضاع ، فمتى بلغ الانسان الى الاتضاع فقد أتى الى الكمال » .

+ **قال أنبا بيمين :**

« كما أن الأرض لا تسقط لأنها اسفل ، هكذا من يضع نفسه لا يسقط » .

+ **سأل أخ شيخا قائلا :** « ما هو نياح الراهب ؟ » .

فقال : « التواضع ، لأن بدونه لا يكون نياح ، وبمقدار نزوله فى التواضع يكون مقدار صعوده الى علو الفضيلة » .

فسأله أيضا : « وكيف تقتنى النفس الفضيلة ؟ » فقال : « اذا هى اهتمت بزلاتها وحدها » .

+ **قال شيخ :**

« ان نزل الاتضاع الى الجحيم فانه يصعد حتى السماء ، واذا صعدت العظمة الى السماء فانها تنزل حتى الجحيم » .

+ **قال الأب أورانيوس :**

«يجب أن تقتنى لنفسك دائما : تواضعا ، وفزعا ، وكثرة نوح وقلة طعام» .

+ **وقالت الأم تاؤدوره :**

« لا نسك ولا تعب ، ولا صوم ، يقوم مقام التواضع الكامل ، لأنه قيل عن انسان متوحد كان يخرج الشياطين ، فسألهم قائلا : بماذا تخرجون ، أبالصوم ؟ فقالوا : نحن ما نأكل قط . فقال : أبا لسهر ؟ فقالوا نحن لا ننام . فقال : أبترك العالم ؟ فقالوا : ان مساكننا البرارى والخرائب . فقال لهم : فبماذا تخرجون اذن ؟ فأجابوه : لا يوجد شىء يسحقنا غير التواضع . فالاتضاع هو غلبة الشياطين » .

+ **قالت القديسة سفرنيكى :**

« كما أنه من غير الممكن أن يصلح مركب بغير مسمار ، كذلك لا يمكن أن يوجد خلاص بغير تواضع » .

+ **سأل أخ شيخا :** « ما هو نمو الانسان وتقويمه ؟ » .

قال الشيخ : «نمو الانسان وتقويمه هو الاتضاع ، لأنه مادام الانسان سائرا نحو فضيلة الاتضاع ، فانه سائر الى قدام وهو ينمو » .

+ **قال القديس مكسيموس :**

« من أحكم الاتضاع ، فقد أحكم كل الفضائل » .

+ **كذلك سأل شيخا :** « كيف يخلص الانسان ؟ » .

فقال له : « يخلص الانسان بالاتضاع ، لأنه كلما وضع الانسان نفسه الى أسفل ارتفع الى فوق ومشى الى قدام » .

+ **قال مار افرام :**

« بدء الصالحات وكمالها هو حد الاتضاع بمعرفة حقيقية . لأن المعرفة مقترنة بالتواضع » .

+ **قال القديس برصنوفيوس :**

« اقتن الاتضاع فانه يكسر جميع فخاخ العدو » .

+ **قيل عن الأب أموناس** ان أتاه أخ يطلب منه كلمة منفعة ، وأقام عنده سبعة أيام . ولم يجبه الشيخ بشيء . وأخيرا قال له : « انطلق وانظر لذاتك أما أنا فانى خاطىء . وخطاياى قد صارت سحابة سوداء مظلمة حاجزة بينى وبين الله » .

+ **وقال مار اسحق :**

« بلا اتضاع لا يتم عمل العابد . ومن لا يتم عمله لا يختم كتاب حريته بخاتم الروح . ومن لا يختم كتاب حريته بخاتم الروح فانه يكون عبدا للأوجاع ولا يتضع الا بالبلايا » .

+ ومن أجل ذلك يترك الله البلايا والتجارب على محبى البر حتى يعرفوا ضعفهم اذ أن البلايا تولد الاتضاع وربما كسر قلبهم بأوجاع طبيعية ، وربما بشتيمة الناس لهم وامتهانهم وأحيانا بالفقر والمرض والاحتياج . وأحيانا أخرى بالخذلان ليأتى عليهم الشيطان بأفكار قذرة وكل ذلك عساهم يحسون بضعفهم فيقنعوا حتى لا يعبر بهم نعاس الغفلة .

فينبغى لكل انسان اذن أن يتيقظ دائما ويفكر فى أنه مخلوق ؛ وكل مخلوق محتاج الى معونة خالقه فيطلب حاجته ممن هو عارف تماما بما يحتاج اليه فهو قادر أن يعطيه احتياجاته .

ان كنت محبا التواضع لا تكن محبا للزينة ، لأن الانسان الذى يحب الزينة ، لا يقدر أن يحتمل الازدراء ، ولا يسرع الى ممارسة الأعمال الحقيرة ،

ويصعب عليه جدا أن يخضع لمن هو دونه ، ويخجل من ذلك ، أما المتعبد لله ، فانه لا يزين جسده .

واعلم ان كل من يحب زينة الجسد هو ضعيف بفكره ، ولا ترى له حسنات وكل من يحب الريح المنظور ، لا يقدر أن يقتنى محبة حقيقية مع أحد ، وكل من يسرع الى الكرامة ، فانه متعبد لهذا العالم ، ان كنت تكره فاعلى هذا فابعد عن فعلهم .

والاتضاع والعفة يتقومان بالاحتقار ، والذى يحب الزينة والكرامة لا تسأله عن حقيقتهما ، ان كنت محبا للعفة فلا تكن محبا للطياشة ، لأن الملاقاة التى تعرض لك بواسطة الطياشة ، لا تتركك لكى تتمسك بالعفة فى نفسك باحتراس ، لأن كل من يحب الطياشة ، لا يكون عفيفا ، وكل من يشتبك بالعلمانيين لا تصدق أنه متواضع ، وكل من هو محب لله يحب الحبس والجلوس فى القلاية ، انسان طياش لا يمكنه أن يحفظ الحق فى نفسه من غير دنس .

التواضع بافراز هو بمعرفة الحق ، ومعرفة الحق تلد الاتضاع ، المتضع بقلبه متضع بجسده أيضا ، والمتوقح بجسده متوقح كذلك بقلبه ، والمضطرب بجسده ، مضطرب أيضا بقلبه ، والمضطرب بقلبه جاهل بعقله ، ومن هو جاهل بعقله رديئة هى طرقه ، ومن كانت طرقه رديئة فهو مائت بالحياة .

٣

كيف أقتنى الإتضاع ؟

+ **سأل أخ شيخا قائلا :** « يا أبى ، كيف يأتى الانسان الى الاتضاع ؟ »

فأجابه الشيخ : « ذلك بأن تكون فيه مخافة الله » .

فقال الأخ : « وبأى شىء تأتى مخافة الله » .

قال الشيخ : « بأن يجمع الانسان ذاته من كل الناس ، ويبذل جسمه للتعب الجسدى بكل قوته ، ويذكر خروجه من الجسد ودينونة الله له » .

+ **سئل القديس برصنوفيوس :** « أخبرنى يا أبى كيف يقتنى الانسان الاتضاع الكامل والصلاة الحقيقية ؟ » .

أجاب : « أما كيف يقتنى الانسان الاتضاع الكامل ، فالرب قد علمنا ذلك بقوله : « تعلموا منى فانى وديع ومتواضع القلب ، فستجدوا راحة لنفوسكم » ان كنت تريد أن تقتنى الاتضاع فافهم ماذا عمل وتأمل صبره ، واصبر مثله ، واقطع هواك لكل أحد ، لأنه قال : « انى ما نزلت من السماء لأعمل مشيئتى ، بل مشيئة من أرسلنى » هذا هو الاتضاع الكامل ، ان نحتمل الشتيمة والعار وكل شىء أصاب معلم الفضيلة ربنا يسوع المسيح » .

وأما الصلاة الحقيقية فهى أن يكون الانسان مخاطبا لله بلا طياشة ، ناظرا اليه بجملته وأفكاره وحواسه والذى يسوق الانسان الى ذلك هو أن يموت عن كل انسان وعن العالم وكل ما فيه ويتصور فى عقله انه قائم قدام الله واياه يكلم ، وهكذا يكون قد انفلت من الطياشة وانعتق منها وصار عقله فرحا مضيئا بالرب وعلامته اذا وصل الى الصلاة الكاملة ، فانه لا يتسجس البتة ، ولو سجسه كل العالم ، لأن المصلى بالكمال ، قد مات عن العالم ونياحه كله ، وكل شىء يعمله من أموره يكون فيه بلا طياشة » .

+ **وسئل أيضا مار اسحق :** « كيف نقتنى الاتضاع ؟ » .

فقال : « بتذكار السقطات ، وانتظار قرب الموت ، واتخاذ لباس حقير . واختيار موضع هادىء ، واقتناء سكوت دائم ، كما لا يجب ملاقاة الجموع ، وليكن غير معروف وغير محسوب ، ملازما أموره بقدر ، مبغضا لقاء الناس ، والدالة والخلطة ، غير محب للأرباح . مانعا عقله من لوم أحد ، أو الايقاع بانسان ، فلا يعامل أحدا ولا يعاشره ، بل يكون متوحدا فى ذاته ، منفردا بالتصرف .

فهذه كلها تولد الاتضاع ، وتطهر القلب ، والذين قد بلغوا الكمال ، هذه هى دلائلهم وعلائمهم ، ولو انهم يسلمون كل يوم عشر مرات للحريق من أجل محبة الناس ، فلا يشبعون من حبهم .

٤

بعض تداريب عن التواضع

(أ) البعد عن المتكآت الأولى (١)

+ **قال القديس باخوميوس :**

« اتضع فى كل شىء واذا كنت تعرف جميع الحكمة فاجعل كلامك آخر الكل ، لأنك بذلك تكمل كل شىء » .

+ **قال الأب أوراسيوس :**

« ان عجينة فطير تطرح فى أساس بقرب نهر ، لا تثبت ولا يوما واحدا ، وأما المطبوخة بالنار فتثبت كالحجر ، هكذا كل انسان ذى عقل بشرى ، اذا صار رئيسا فانه ينحل من التجارب ان لم يطبخ بخوف الله مثل يوسف ، فالأفضل للانسان أن يعرف ضعفه ويهرب من نير الرئاسة » .

+ **قال أحد الآباء :**

« لا تسكن فى موضع له اسم ، ولا تجالس انسانا عظيم الاسم » .

---

(١) ليس المقصود بهذا طبعا مجرد أماكن الجلوس وانما كل مناصب الرئاسة والرغبة فى الادارة وتعليم الغير ...

+ **قال شيخ :**

« ان كل صغير يطرح كلمة وسط شيوخ أكبر منه يشبه انسانا يطرح نارا فى حجر أخيه » .

+ **وحدث مرة** ان انعقد بالاسقيط مجلس من أجل أمر ما ، فتكلم الأب **أوغاريتوس** فيه . فقال له القس . « نحن نعلم يا أبتاه انك لو كنت فى بلدك لصرت أسقفا أو رئيسا على كثيرين ، فأما الآن فانك هنا مثل غريب » . فهز رأسه متنهدا وقال : « نعم ، انها مرة واحدة تكلمت فيها ، وان شاء الله لن يكون لها ثانية » .

(ب) قطع المشيئة

+ **قال القديس باخوميوس :**

« ارفض ارادتك بالكلية وافلح الله بكل قدرتك » .

+ **وقال مار اسحق :**

— لا تسأل أن تجرى الأمور حسب هواك لأن الله أسبق معرفة منك بالأصلح لك .

— من يغلب دائما طلب مشيئته فهو مجاهد نشيط ، والنعمة تفعل فيه بزيادة .

— الذى يحكم عليه مرة ويلام من نيته ولا يقوم عاداته ، ترتفع منه النعمة ، ويترك فى التجارب .

— من وضع قلبه فهو قد مات عن العالم ، ومن مات عن العالم مات عن الآلام .

+ **قال أحد الرهبان :**

« لأجل هذا تركت عنى ارادتى لكيما أنزع معها مسببات الغضب الذى يحارب الارادة فى كل حين ، ويقلق العقل ويطرد المعرفة » .

+ **وقال آخر :**

« لا تطلب أن تلقى قولك قدامك ، فتستريح » .

+ **وقال آخر :**

« جاور من يقول : « أى شىء أريد أنا ؟ » فبمجاورتك لذاك سوف تجد راحة » .

+ **كذلك قيل :**

« لتكن مشيئة الانسان من بكرة الى عشية بحسب قياس الهى » .

+ **وقال القديس باسيليوس :**

« علامة التكبر قنوع الانسان برأى نفسه » .

+ **قال شيخ :**

« لست أعرف للراهب وقعة (سقطة) الا اذا صنع هواه ، فاذا نظرت راهبا قد وقع (سقط) ، فاعلم انه يهواه ، لأنه فعل برأى نفسه » .

(جـ) عدم التذمر

+ **قال أنبا باخوميوس :**

ــ ان افترى عليك أحد فلا تفتر عليه أنت ، بل افرح واشكر الله .

ــ لا تحزن اذا افترى الناس عليك بل بالحرى احزن اذا أخطأت الى الله .

ــ اذا رذلك الناس وافتروا عليك فلا تحزن لأن ربك دعى ضالا وبعلزبول وبه شيطان ولم يتذمر ــ فاقتن لك وداعة القلب واذكر أن ربك والهك سيق كخروف للذبح ولم يفتح فاه .

سأل أخ شيخا : « ما هى الغربة ؟ » .

فقال له الشيخ : «انى أعرف أخا ، هذا خرج ليتغرب. فدخل الى الكنيسة ، واتفق أن كان هناك أغابى . حيث كان كثيرون مجتمعين ، فلما تهيأت المائدة جلس يأكل مع الأخوة ، فنظر اليه انسان وقال :

« من أدخل هذا الغريب معنا ؟ » .

ثم قال له : « اخرج خارجا » . فقام وخرج كما أمر بدون تذمر .

« فلما أبصر ذلك آخرون ، حزنوا وخرجوا فأدخلوه ، فدخل » .

فقال له أخ : « ماذا كان فى قلبك حين أخرجوك وحين أدخلوك ؟ » .

فقال : « حسبت انى كلب . اذ طرد خرج واذا دعى دخل » .

(د) الهروب من المجد الباطل

+ **قال أنبا باخوميوس :**

ــ اذا أكرمك انسان فلا يفرح قلبك بل احزن . لأن **بولس وبرنابا** لما أكرمهم الناس شقا ثيابهما ، **وبطرس** وباقى الرسل لما افتروا عليهم وجلدوهم فرحوا لأنهم حسبوا أهلا لأن يهانوا من أجل الاسم الاعظم .

ــ يا ابنى اهرب من مجد الناس . لقد طلبت حواء مجد الألوهية فتعرت من المجد الانسانى . كذلك من يلتمس مجد الناس يحرم من مجد الله ، تلك لم تكتب لها كتب ولا رأت مثالا فاختطفها التنين ، أما انت فقد علمت بهذه الأمور من الكتب المقدسة ومن كافة الذين تقدموك فلن تستطيع أن تدافع عن نفسك وتقول : « لم أسمع » لأن أصواتهم خرجت الى كل الأرض وكلامهم بلغ الى أقصى المسكونة .

ليس لنا عذر نقوله قدام الله اذا وقفنا بين يديه ، هل نقول : « لم نسمع أو نعرف أو انهم لم يعلمونا ؟ » هوذا الكتب موجود فيها كل شيء .

+ قال مار اسحق :

ـ الذى يحب الكرامة لا يستطيع أن ينجو من علل الهوان .

ـ كن حقيرا ومزدرى فى عينى نفسك فيكون رجاؤك عظيما بالله . ولا تبغض من أجل ان تكرم ، ولا تحب الرئاسة .

ـ الذى قد أحس بالراحة التى من احتقار الذات أفضل من الذى وجد تكريما من تاج المملكة ، الذى قد أصيب بحب المديح والكرامة من الناس ، ليس لجرحه شفاء ، حتى ولو كان بأعمال سيرته يقوم كثيرين ، ففى العالم المزمع ، يكون تدبير سيرته مبكتا له بعذاب الجحيم .

+ قال القديس باسيليوس :

«ان أردت أن تكون معروفا عند الله ، فاحرص ألا تكون معروفا عند الناس» .

+ قال شيخ :

« المجد الباطل يتولد من ثلاثة : طلب التعليم ـ وطلب الاتساع فى الأشياء ـ وطلب الأخذ والعطاء » .

+ قال أنبا بيمين :

« ان اللجاجة والحسد يتولدان من السبح الباطل ، لأن الانسان الذى يطلب مجد الناس يناصب الذى يعمل وينجح ويمجده ويحسده ، ولاتضاع هو دواء ذلك » .

+ قال أنبا بيمين :

من شأن شيطان السبح الباطل أن يعارض الرهبان بعجرفتين : احداهما يقال لها عجرفة علمانية ، لأنها ليست من مناكب السيرة ، وليس أحكامها عائدا الى نصب الانسان وتعبه ، مثال ذلك : النية تجاه الرئاسة ؛ التباهى بشرف الجنس ، الاغتباط بكثرة الغنى ، بتزين اللباس ، بقوة الجسم ، بفصاحة المنطق ، وكل ما شابه ذلك » .

أما الأخرى فيقال لها عجرفة رهبانية ، مثال ذلك : « شدة الصوم والنسك ومداومة السهر ، ملازمة الصلاة ، البعد عن الناس ؛ التجرد من المقتنيات ومن كل شيء ، وما شابه ذلك »

وهذه الفضائل وان كانت مرتفعة فى ذاتها ، الا أن النية السقيمة تحط من شرفها ، والنتيجة المتولدة من ذلك : اضاعة الأجر ؛ لانه مكتوب « لقد استوفوا أجرهم » .

+ **قال أنبا تيموثاوس :**

« اذا أكرمك الناس فخف جدا ، واكره نفسك وحدك ، ولا تستح أن تقر بذنوبك ، واهرب من كرامة الكثيرين ، لئلا يغرقوا مركبك » .

+ **كان الأب نستاريون** يتمشى فى البرية مع أحد الاخوة ، فلما شاهد تنينا هرب .

فقال الأخ : « أأنت كذلك أيها الأب تفزع ؟ » .

اجاب الشيخ : « لا ، لست أفزع يا ولدى ، لكن الهرب أوفق لى ، ولولاه ما كنت قد خلصت من روح المجد الفارغ » .

+ **قال شيخ :**

« اما أن تجعل نفسك فى وسط الناس بهيمة ، واما أن تهرب ، ولا تدعهم يلحقون بك » .

+ **سأل أنبا ابرآم مرة أحد الشيوخ قائلا :**

« يا أبتاه ، أيهما أحسن ، أنقتنى لأنفسنا كرامة ، أم هوانا ؟ » .

فقال الشيخ : « أما أنا فأشتهى اقتناء الكرامة ، لأنها أفضل من الهوان ، لانى اذا عملت عملا صالحا ، واكرمت ازاءه ، أستطيع أن ألزم فكرى بعدم استحقاقى للكرامة ، وأما الهوان فيصدر عن أفعال قبيحة تغضب الله ، وتشكك الناس ، والويل لمن تأتى من قبله الشكوك ، وعلى ذلك فالأفضل عندى هو أن اعمل الخير وامجد » . فقال أنبا ابرآم : « حسنا قلت » .

+ **فى بعض الأوقات أخبر شيخ روحانى** كان قد حبس ذاته وكان مشهورا فى بلدته ، وكانت له كرامة عظيمة من الناس فعلم أن انسانا من القديسين ينحل من حياة هذا العالم فقال لذاته « هلم بنا نمضى نسلم عليه قبل أن يتنيح » ثم افتكر وقال : « ان خرجت بالنهار فالناس اجمعون يصير لى أيضا منهم كرامة عظيمة وليس لى فى ذلك نياح ، لكن أمضى اليه فى الليل وأختفى عن الكل » . فلما صنع ذلك ارسل الله له ملاكين بمصابيح يسيران بين يديه وجميع شعب المدينة ينظرون الى كرامته ، وبقدر ما ظن انه يهرب من سبح الناس هكذا بالأكثر مجده الله ليكمل بذلك المكتوب فى الكتاب « ان كل من اتضع ارتفع » .

(هـ) تبكيت النفس

+ **قال أنبا باخوميوس :**

– اجلس وحدك مثل وال وحكيم ودن أفكارك ، فما كان نافعا وموافقا ابقه واحفظه ، وأما ما كان ضارا فاطرده عنك .

– والآن يا ابنى اجعل ناموس الله فى قلبك والزم البكاء واجعله لك صديقا وليكن جسدك قبرا لك حتى يقيمك الله ويعطيك تاج الغلبة .

– احفظ نفسك من هذا الفكر الذى يجلب عليك تزكية ذاتك ، وازدراء أخيك ، لأنه مبغوض جدا قدام الله ذلك الانسان الذى يكرم نفسه ويرذل أخاه .

+ **طلب أحد الاخوة من أنبا آمون الأسقف** أن يقول له كلمة :

فقال له الشيخ : « امض ، وتمثل فى فكرك دائما حال فعلة الشر الذين فى السجون ، فانهم فى كل ساعة يسألون عن الوالى وأين هو ومتى يجىء ، ومتى يجلس للحكم ، ومن شدة فزعهم يبكون » .

هكذا سبيل الراهب أن ينظر دائما الى نفسه ويبكتها قائلا : « ويحى كيف أقف أمام منبر المسيح ، وكيف أستطيع أن أجيبه ، فان كان يتلو ذلك دائما فانه يستطيع أن يخلص » .

+ **قال أحد القديسين :**

« الذى يلوم نفسه فى كل شىء فانه يجد رحمة أمام الله الهنا » .

+ **قال قديس :**

« من لا يضر ذاته فلا يضره انسان » .

+ **قال راهب :**

« الطريق المخلصة هى : أن يرجع الراهب باللائمة على نفسه » .

+ **وقال شيخ :**

« تشبه بالعشار ، لئلا تدان مع الفريسى » .

+ **قال القديس برصنوفيوس :**

« ان نحن اتضعنا فان الرب يطرد عنا الشيطان لذلك يجب علينا أن نلوم انفسنا فى كل حين وفى كل أمر لأن هذه هى الغلبة » .

+ **وقال آخر :**

«أشرف أعمال الرهبنة أن يحتقر الانسان نفسه دائما ، ويرد اللوم عليها» .

+ **سأل أخ الأنبا بيمين :**

« كيف أستطيع الا أقع فى الناس ؟ » .

فقال : « اذا لام الانسان نفسه حينئذ يكون عنده أخوه اكرم منه وأفضل » واذا ظن فى نفسه أنه صالح ، حينئذ يكون عنده أخوه حقيرا ومهانا ويقع فيه » .

+ **سأل أخ أنبا النيس** فى معنى تحقير الانسان لنفسه ، فقال له : « هو أن ترى كل الخليقة حتى البهائم أخير منك ، وتعلم أنهم لا يدانون » .

+ **قال مار اسحق :**

« يتقدم الآلام جميعها ، عزة النفس ومحبة الذات » .

+ **قال أنبا يوحنا :**

« تركنا الخدمة الحقيقية التى هى أن نلوم أنفسنا ، ولازمنا الخدمة الثقيلة التى هى أن نمجد أنفسنا » .

+ **قال أنبا أغريبوس :**

« رأس الحكمة هو ذلك الوقت الذى فيه تلوم نفسك وحدك » .

+ **مضى البابا ثاؤفيلس بطريرك الاسكندرية** الى جبل نتريه ، وجاء الى أب الجبل ، وقال له : « ما هو أفضل شيء وجدته فى طريقة جهادكم هذه ، يا أبتاه ؟ » .

فقال له الشيخ : « لا يوجد شيء أفضل من أن أرجع بالملامة على نفسى فى كل أمر » .

فقال البابا : « بالحقيقة . هذه هى الطريقة الفاضلة التى لا يوجد قط أفضل منها »

(د) عدم الادانة

+ **قال القديس باخوميوس :**

لا تحتقر أحدا من الناس ولا تدنه ولو رأيته ساقطا فى الخطيئة ، لأن الدينونة تأتى من تعاظم القلب ، أما المتضع فانه يعتبر كل الناس أفضل منه . فبأى حق تدين عبدا ليس لك ، فان سقط لربه ، فربه قادر أن يقيمه .

+ **سئل القديس برصنوفيوس :** « من أين تعرض حركة الجسد ؟ » .

أجاب : « حركة الجسد تكون من التهاون لأن التهاون يخطفك وأنت لا تدرى ، لأنك تدين أخاك وتحكم عليه . فمن هنا تسلم » .

+ **قال شيخ :**

« لو نظرنا الى خطايانا لما نظرنا الى خطايا غيرنا ، لأنه من ذا الذى يدع ميته ويبكى على ميت غيره ، وخطية الانسان هى موت نفسه » .

+ **وقال آخر :**

كما أن الميت لا يتكلم المبتة ، كذلك المتضع لا يزدرى أحدا ، حتى ولو رآه للأصنام ساجدا » .

+ **قال مار باسيليوس :**

« ماذا ينفعنى اذا أتممت الفضيلة كلها ، ثم أقول لأخى « يا أحمق » فأكون قد استوجبت جهنم ، هوذا **السليح يعقوب يقول** : ان تمم الانسان الناموس كله وأخطأ فى أمر واحد ، فهو فى الكل مدان ، لن تستطيع ادراك شيء من مرضاة الله بغير اتضاع ، فلا تفرغ أفكارك فى استقصاء عيوب الناس وخطاياهم ، ولكن تفرغ لتفتيش **عيوبك وخطاياك** » .

(ز) احتمال التوبيخ

+ **قال أنبا باخوميوس :**

« اذا توبخ أحدنا من أحد اخوانه ولم يقبل بل حقد عليه فقد اغتالت الشياطين نفسه » . ولست أقول ذلك فقط بل وان لم تعتبره كطبيب معالج فقد ظلمت نفسك ، لأنه ماذا تقول فيما أصابك . ألست تعلم انه قد نظف أوساخك ؟ فسبيلك أن تعترف له كطبيب أرسله المسيح اليك ، فان كنت تحب المرض فلا تحتج على البرىء اما هذا الوجع الذى ظهر لك فذلك دليل على ضعف نفسك ولولا ذلك ما كنت تحزن من الدواء .

لذلك ينبغى أن تعترف بالفضل للأخ لأنك به عرفت مرضك القاتل . فعليك ان تقبله مثل دواء شاف مرسل من عند يسوع المسيح ، ولو أنك لم تقتصر على عدم شكره فقط بل خلقت حوله شكوكا . وقد كان الأحرى بك أن تقول ليسوع المسيح :

« لست أريد أن تشفينى ولا أشاء أن أقبل شيئا من أدويتك » .

الأحزان هى مكاوى يسوع ، فمن أراد أن يبرأ من أسقامه يلزمه حتما أن يصبر على ما يرد عليه من الطبيب . ولعمرى أن المريض ليس من شأنه أن يستلذ الكى والبتر أو شرب الدواء النقى . بل من طباعه أن يبغض الأدوية ولكنه لايقانه أنه بلا علاج لن يحصل على الشفاء فانه يدفع ذاته للطبيب عالما انه بالأدوية المرة يتخلص من الأخلاط الضارة الرديئة . فمكوى يسوع هو ذاك الذى يهينك لأنه ان كان يشتمك الا أنه يريحك ويخلصك من السبح الباطل . ودواء يسوع المنقى هو من يرذلك ويوبخك لأنه يريحك من الاستنعام فان لم تحتمل شرب الأدوية تظلم نفسك وحدك أما الأخ فلم يسبب لك ضررا ما .

+ **وقال شيخ :**

« سبيلنا ان نعلم انه لا يوجد أصدق ممن يذمنا ويبكت أعمالنا . وينبغى لنا ان نراعى مذلتنا ، لأن الذين يراعون مذلتهم ويتحققونها يطحنون ابليس المحتال» .

اخبروا عن راهبين قديسين . كانا أخوين وسكنا البرية ، فحرص الشيطان على أن يفرق بينهما ، ففى بعض الأيام أوقد الصغير منهما سراجا ووضعه على منارة ، وبحيلة من الشيطان وقع السراج وانطفأ ، فحينئذ حرد الكبير وضربه ، فصنع الصغير له مطانية وقال له : « لا تضجر يا أخى أطل روحك على وانا أوقدها مرة أخرى » ، فلما أبصر الرب صبر الأخ ، عذب ذلك الشيطان الى الصباح .

ثم ذهب ذلك الشيطان فأخبر رئيس الجن بما كان ، وكان كاهن الأوثان ، الذى يخدمهم موجودا ، فلما سمع هذا الكلام ، ترك كل شىء وآمن وترهب ، ومن بدء رهبانيته ، كان يستعمل الاتضاع الكامل .

وكان يقول : « ان الاتضاع يقدر أن يقهر ويحل ويبطل كل قوة العدو ، وقد سمعتهم يقولون بعضهم لبعض : « انه كلما القينا السجس بين الرهبان ، نجدهم يتلقونه بالاتضاع ، ويعمل بعضهم لبعض مطانيات ، فكانوا بذلك يبطلون قوتنا » .

كان شيخ قديس ، اذا قام بخدمة القداس ، يرى ملاكين واقفين ، واحدا عن يمينه ، والآخر عن يساره ، هذا كان قد أخذ نسخة القداس ، من واحد من ذوى البدع فى الايمان ، واذ كان ساذجا ، لا يعرف تحرير الآراء الالهية فى تقديسه بسذاجة ، فقد كان يقول كما فى النسخة ، ولا يعلم أنه يغلط ، وبتدبير من الله ، زاره شماس ، راهب ، عالم ، فلما خدم الشيخ القداس بحضرته قال له : « هذا ليس قول أصحاب الأمانة الصحيحة » ، واذ كان الشيخ يبصر الملاكين فى قداسه ، فانه لم يلتفت، الى قول الشماس .

أما الشماس، فانه لبث يقول له : « غلطت يا أبى، والكنيسة الأرثوذكسية، لا تقبل هذا القول » ولما رآه الشيخ لا يكف عن توبيخه ، التفت الى الملاكين ، وقال لهما : « ما معنى قول الشماس ؟ » فقالا له : اقبل منه ، فقد قال لك الصواب » ، فقال لهما الشيخ : « وأنتما ، ما بالكما لم تقولا لى ؟ ! » فقالا : « ان الله رسم هذا التدبير ، أن يصلح الانسان ، انسانا مثله » ، فانصلح رأى الشيخ من ذلك اليوم ، وشكر الله تعالى ، والشماس .

٥
أمور تساعد على التواضع

(أ) النوح

+ **قال القديس موسى الأسود :**

« النوح يطرد جميع انواع الشرور عند ثورانها » .

+ **قال أنبا أوغريس :**

ـ « لا تنس انك اخطأت ، حتى ولو أنك قد تبت ، بل اجعل النوح وتذكار الخطية اتضاعا لك ، لكى بالاتضاع تتقى الكبرياء » .

ـ كما أنك تخفى خطاياك عن الناس ، كذلك أخف أتعابك أيضا ، فان كنت لله وحده تظهر نقائصك ، فلماذا تظهر للناس تلك الأتعاب التى تصنعها لأجلها ، بقلة رأى .

(ب) احتمال الاهانات

+ **قال القديس موسى الأسود :**

ـ لنتحمل السب والتعيير لنتخلص من الكبرياء .

ـ اذا تقبل الانسان الزجر والتوبيخ فان ذلك يولد له التواضع .

ـ احتمل الخزى والحزن من أجل اسم المسيح باتضاع وقلب شفال واطرح أمامه ضعفك ، فسيكون لك الرب قوة .

+ **قال شيخ :**

« ليس من يحتقر ذاته هو المتضع ، ولكن من قبل من غيره ضروب الهوان يفرح ، فهذا هو المتضع » .

+ **وقال آخر :**

« لو لم يخضع يوسف للعبودية أولا ، لما صار لمصر سيدا ، وان لم يخضع الراهب نفسه للعبودية أولا بكل تذلل ومسكنة . فلن يصير سيدا على الأوجاع ، ولن تخضع له الشياطين » .

+ **قال أنبا يوحنا التبايسى :**

« ينبغى للراهب قبل كل شيء أن يقتنى الاتضاع ، لأن هذه هى وصية مخلصنا الأولى ، اذ قال : « طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات ، لأن آباءنا اذ كانوا يفرحون بشتائم كثيرة ، دخلوا الى ملكوت السموات » .

+ **طلب أحد الرهبان** ممن يسكنون البرية مكانا لنفسه ، فقام وجاء الى دير من أعمال الصعيد ، وكان سكان ذلك الدير كلهم قديسين ، فبعد ما أقام عندهم أياما . قال لرئيس الدير » : « صل على يا أبى ، واخل سبيلى ، فانى لست أريد البقاء ههنا » ، فقال له : « لأى شيء يا ابنى ؟ » فأجابه قائلا : « انه لا يوجد ههنا تعب والآباء كلهم قديسون ، وأما أنا ، فانى انسان خاطىء أريد أن أمضى الى موضع. حيث أهان وأشتم ، لأنه بالازدراء والاهانة يخلص الخطاة» .

+ **قيل أيضا** انه كان يوجد شيخ له تلميذ جيد ، ومن الملل كان الشيخ يخرجه خارج الباب ويزدرى به فكان التلميذ يمكث جالسا خارجا ، ولما فتح الشيخ الباب فى اليوم الثالث ، وجده جالسا فأدى له الشيخ مطانية وقال له : « يا ولدى ان تواضعك وطول أناتك قد غلبا شرى وصغر نفسى فهلم الآن الى الداخل ، ومنذ الآن ، كن أنت الشيخ وأنا التلميذ » .

+ **ومما جاء عن أنبا دانيال** ، أنه حدث أن كان لرجل غنى فى احدى مدن مصر ابنة مجنونة (بروح نجس) ، ولم يحصل لها على شفاء ، وكان له صديق راهب ، هذا قال له : « انه لا يستطيع أحد أن يشفى ابنتك الا الشيوخ الرهبان، ولكنك ان طلبت اليهم فلن يجيبوك الى طلبك لتواضعهم ، فأشير عليك بأن تصنع حسب ما أقوله لك ، فاذا هم جاءوا الى السوق ليبيعوا عملهم ، تظاهر بأنك تريد الشراء منهم ، وخذهم معك الى منزلك لتعطيهم الثمن ، وحينئذ اسألهم أن يصنعوا صلاة ، وأنا واثق أن ابنتك تبرأ » .

فلما خرج الرجل الى موضع البيع وجد راهبا واحدا من التلاميذ جالسا ، فاخذه الى بيته مع زنابيله بحجة أنه يعطيه ثمنها ، فلما وافى الراهب الى المنزل، خرجت البنت المجنونة ولطمت خد الراهب ، فحول لها الآخر باتضاع حسب الوصية ، فتعذب الشيطان من اتمام الوصية ، وخرج منها متألما صارخا قائلا : « الويل لنا من وصايا يسوع لأنها تزعجنا » فلما علم الشيوخ بما كان ، سبحوا الله قائلين : « لا شيء يذل عظمة الشيطان مثل اكمال وصية السيد المسيح ربنا باتضاع » .

(ج) عدم الثقة فى برنا

+ قال القديس موسى الأسود :

ــ اختبر نفسك كل يوم وتأمل فى أى المحاربات انتصرت ولا تثق بنفسك بل قل : « الرحمة والعون هما من الله » ، لا تظن فى نفسك انك أجدت شيئا من الصلاح الى آخر نسمة من حياتك .

ــ لا تستكبر وتقول « طوباى » لأنك لا يمكنك أن تطمئن من جهة أعدائك .

ــ لا تثق بنفسك ما دمت فى الجسد حتى تعبر عنك سلاطين الظلمة .

ــ الذى يعتقد فى نفسه أنه بلا عيب فقد حوى فى ذاته سائر العيوب .

ــ ان لم يضع الانسان نفسه فى مركز خاطىء ، فلن تسمع صلاته أمام الرب.

وسأله أخ : « ما هى النفس الخاطئة ؟ » .

أجاب الشيخ : « كل من حمل خطاياه ، ولم يعتبر بخطايا الغير » .

+ قال مار اسحق :

ــ الانسان الذى قد عرف ضعفه وعجزه ، قد حصل الى حد الاتضاع .

ــ لا تظن بنفسك انك طاهر من الخطيئة ، ولا تثق بنفسك ما دمت فى هذا الجسد ، حتى تعبر سلاطين الظلمة .

ــ تذكر الذين هم أعلى منك فى الصلاح كيما تحسب نفسك ناقصا بالنسبة لهم . وأذكر أيضا كيف سقط الأقوياء لكيما تتضع بصلاحك .

ــ طوبى للانسان الذى يعرف ضعفه ، فان هذه المعرفة تكون له اساسا صالحا ومصدرا لكل خير . لأنه اذا عرف ضعفه ضبط نفسه من الاسترخاء وطلب معونة الله وتوكل عليه . أما من لا يعرف ضعفه فهو قريب من سقطة الكبرياء .

ــ المريض الذى يقوم رفاقه يشبه انسانا أعمى يرى آخرين الطريق .

+ قال الأب الينوس :

« لو لم أكن هدمت كل شىء ، لما كنت قادرا على ان ابنى ذاتى » .

+ قال شيخ :

« لا تظن أنك أكملت شيئا من الخير ، فتحفظ اجر برك » .

+ قال بعض الشيوخ :

« اذا صرنا فى السلام غير مقاتلين فسبيلنا ان نتضع كثيرا ، لئلا ندخل علينا فرحا غريبا ، فنفتر ونتسب ذلك الى جهادنا ونتعظم فى انفسنا فيتركنا من عنايته ، ونسلم الى القتال فنسقط ، لأن الله لأجل ضعفنا ، مرارا كثيرة يرفع عنا القتال » .

+ وقال شيخ :

« اذا رأيت شابا يصعد الى السماء بهواه فشد رجله واطرحه فان هذا انفع له » .

+ **وقيل ايضا :**

« ا نجاءتك حسـنة عظيمة وبدات تفتخر ، فانظر فى نفسك لعلك حفظت الوصايا ، فتحب مبغضيك وتفرح بصلاح عدوك وتحزن لحزنه وتحسب نفسـك عبدا بطالا ، وانك اخطأ كل الناس ، وأن لا تفتخر اذا قومت كل صلاح ، حيث انه يجب أن تعلم ان هذه الحسنة تهلك وتبطل جميع الحسنات » .

+ **وقال الأب نستاريون :**

« ان اللص كان على الصليب وبكلمة واحدة تزكى ، ويهوداس كان من جملة الرسل ، وفى ليلة واحدة أضاع كل شىء ، من أجل ذلك لا يفتخر أحد من صانعى الحسنات ، لأن كل الذين وثقوا بذواتهم سقطوا » .

+ **قال شيخ :**

« الذى يحتقر نفسـه من أجل الرب ، يهبه الحـكمة والمعرفة ، لسـنا فى احتياج الا الى قلب حريص » .

+ **قال شيخ :**

« الاتضاع خلص كثيرين بلا تعب ، وتعب الانسان بلا اتضاع يذهب باطلا ، لأن كثيرين تعبوا ، فاستكبروا وهلكوا » .

+ **كذلك قيل :**

« اذا نال انسان طلبته ، فلا يعجب بنفسه ، بل يتضـع بالأكثر ، ويتعجب من رحمة الله » .

+ **وقال أنبا بيصاريون :**

« اذا صرنا فى سلامة غير مقاتلين فسبيلنا أن نتضع كثيرا لئلا ندخل علينـا فرحا غريبا فنفتخر ونسلم الى القتال . لأن الله لأجل ضعفنا مرارا كثيرة لا يطلق القتال علينا لئلا نهلك » . (ميامر ٢٧٩)

+ **قيل عن شيخ أنه** قد مدحته أفكاره لأجل أعمال قد صنعها من قبـل ، قائلة له بأنه قد أهل للرجاء وعدم الفساد مثلا ، فأجاب الشـيخ افكاره قائلا : انى الآن لا زلت سائرا فى الطريق ، وباطلا تمدحوننى ، لأنى لم أصـل بعـد الى نهاية الطريق » .

+ **قيل عن شيخ** انه أقام سنين كثيرة ناسكا ، لا يأكل سوى خبزا وملحا ، مرة كل أسبوع ، حتى لصق جلده بعظمه ، وفى بعض الأيام زاره شيخ آخـر ، فلما رآه متعبا جدا قال له : « يا أبى انك قتلت نفسك وحدك بكثرة التعب فكل شيئا من الأدام لترجع اليك قوتك » ، فلم يشأ ، فكرر عليه قائلا : « كل ولو قليلا من الفاكهة » .

فأجابه الشيخ : « لماذا تضطرنى الى الكلام ، لأنى حتى ولو اكلت الرماد مع الطعام لا أستطيع أن أرضى الله ، لأنى عالم بما حصـل لنفسى أنا شـخصيا ، اذ حدث مرة وأنا راقد ، اذ أخذت الى موضع الحكم ، وكان كثيرون قيـاما هنا

ومن ههنا ، وكنت واقفا بخوف شديد ، فقلت : « أذكر يا رب تعبى » ، وبقولى هذه الكلمة عوقبت فورا ، اذ قال للقيام « اخرجوا هذا » ، فدنا منى واحد وأدخل يده فى فمى ، وقطع لسانى ، وجعله فى يدى ، فاستيقظت وأنا مرتعد ، فوجدت يدى مطبوقة ففتحتها ظانا انها ممسكة بلسانى » ، فلما سمع الشيخ هذا الكلام أمسك عنه » .

+ وقف الشيطان برجل قديس ساعة وفاته وقال له : « لقد انفلت منى » فأجابه : « لست أعلم » . الى هذا المقدار كان احتراس الآباء من الافتخار فى شىء » .

+ سأل الأنبا بموا القديس انطونيوس عما يصنع لخلاصه فقال له : « لا تتكل على برك . ولا تصنع شيئا تندم عليه . وامسك لسانك وبطنك وقلبك » .

(د) محبة الناس

+ **قال شيخ :**

« ان أردت أن تنجح فى اطفاء الغضب والرجز ، فاقتن الاتضاع ، ولتكن لك طاعة ورجاء فى كل أحد ، لأن الغضب والرجز يسوقان الانسان الى الهلاك ، ويبعدانه عن الله ، أما الاتضاع فانه يحرق الشياطين ، والطاعة هى التى جاءت بابن الله وسكن فى البشرية ، والايمان خلص الناس ، والرجاء لا يخزى ، وأما المحبة فهى التى تدع الانسان لا يسقط ولا يبتعد عن الله ، فالذى يريد أن يخلص، عليه أن يقطع هواه فى كل شىء ، ويقتنى الاتضاع ، وليكن الموت بين عينيه » .

ذهب أخ الى انبا بيمين وقال له : « ماذا تأمرنى أن افعل ؟ » .

قال له الشيخ : « كن صديقا لمن يحكى عنك بالشر ، وهكذا تجتاز أيامك بنياح » .

ـ السلوك بمحبة واتضاع ـ

+ **قال مار اسحق :**

ـ الذى يعود لسانه أن يقول الصالحات على الأخيار والأشرار ، يملك السلام فى قلبه سريعا .

ـ الذى نشر مراحمه بلا تمييز على الصالحين والأشرار ، بالشفقة ، فقد تشبه بالله .

ـ الذى يبغض صورة الله لا يمكن أن يكون محبوبا من الله .

ـ ان الانسان البعيد عن ذكر الله ، لا هم له الا فى ايقاع السوء بقريبه .

+ **قال أنبا ايليا :**

ـ « أى منفعة للمحبة حيث تكون الكبرياء » .

+ قال أخ لأنبا تيموثاوس :

« انى أرى نفسى بين يدى الله دائما » ، فقال له : « ليس هذا بعجيب ، ولكن الأعجب أن يبصر الانسان نفسه تحت كل خليقة » .

+ **وقال شيخ** : «القلب النقى ينظر كل الناس اطهارا وهو وحده النجس» .

+ **وقال آخر** :

« اذا قال الراهب لصاحبه : « اغفر لى » باتضاع ، تحترق الشياطين » .

+ **وكذلك قيل** :

– « ان شئت أن تنال الغفران ، اغفر أنت أيضا لقريبك » .

– « من هو متنسك من المآكل وفى قلبه حقد وأفكار ردية على اخيه فانه آلة وارغن للشيطان » .

– عدم الجدال والرغبة فى الانتصار (عدم المفاوحة) –

+ **قال شيخ** :

« أريد أن أكون مغلوبا باتضاع أفضل من أن أكون غالبا بافتخار » .

+ **وقال آخر** :

« لو كنا حكماء ونجعل أنفسنا جهالا ، فاننا نستريح ونتنيح » .

فقال له أخ : « وكيف يجعل الانسان نفسه جاهلا وهو حكيم ؟ » .

قال له الشيخ : « اذا أنت قلت كلمة فى وسط الاخوة ، وكانت تلك الكلمة حقا وصوابا ، ويتفق أن يقوم آخر ويقول كلمة كذب وغير صائبة ، فانك ان أبطلت كلمتك الصائبة ، وأقمت كلمة أخيك الكاذبة ، فتكون حكيما وقد جعلت نفسك جاهلا من أجل الله » .

+ **وقال مار اسحق** :

« كما أن جريان الماء يتجه الى أسفل هكذا قوة الغضب اذا ما ألفت موضعا فى فكرنا » .

+ **قال القديس برصنوفيوس** :

لا تحسب نفسك شيئا وأنت تتنيح ، جاهد أن تموت من كل الناس وأنت تخلص ، قل لفكرك ، انى قدمت ووضعت فى القر ، فماذا لى مع الأحياء ، وبذلك لن يقدر شىء أن يحزنك ، ان الطاعة مطفئة لجميع سهام العدو المحماة . أما المحبة فهى المزود العظيم الذى يشد كل استرخاء ويشفى كل الأمراض .

– عدم الادانة –

+ **قال مار اسحق** :

– استر على الخاطىء من غير أن تنفر منه لكيما تحملك رحمة الله .

– من كان ضميره دائما يهذى بالصالحات ، لا ينظر الى نقائص قريبه .

– من يزيل من ضميره هفوات قريبه ، يزرع السلام فى قلبه .

– احذر من هذه الخلة أن تكون جالسا وأنت تدين أخاك ، لأن هـذا يقلع جميع بنيان برج الفضيلة العظيم ، وصلاة الحقود كبذار على صفا (صخرة) .

– ابسط رداءك على المذنب واستره ، ان كنت لا تقدر أن تحتمل وتضع على نفسك أوزاره وتقبل الأدب وتتجشم الأتعاب من جرائه .

– المشاركة الوجدانية –

+ قال مار اسحق :

– اسند الضعفاء وعز صغيرى النفوس كيما تسندك اليمين التى تحمل الكل.

– شارك الحزانى بتوجع قلبك كى يفتح باب الرحمة لصلاتك .

– المعتذر عن المظلوم يجد الله تعالى مناضلا عنه . من عاضد قريبه يعاضده الله سبحانه بذراعه ، ومن سب اخاه برذيلة كان الله له سابا ومبكتا .

– احترام الكل –

+ قال مار اسحق :

« الذى يكرم كل انسان من اجل الله تعالى ، يجد معونة من كل انسان باشارة الله الخفية » .

(هـ) اخفاء التدابير وانكار الذات

+ قال مار اسحق :

« ليكن معلوما عندك أن كل خير لن يكون مقبولا الا اذا عمل فى الخفاء » .

+ قال أنبا اغاثون :

« لا يمكنك أن تحيا حياة مرضية امام الله ما دمت محبا للذات » .

+ قال القديس موسى الأسود :

ان كنا ملومين فذلك لأن الهزيمة دائما هى منا ، من ينكر ذاته ولا يظن أنه شىء فذلك يكون سالكا حسب مشيئة الله .

– أشر الرذائل كلها هى أن يزكى الانسان نفسه بنفسه .

– من ينكر ذاته يسلك فى سلام .

+ قال أخ :

« كما أن الكنز اذا ظهر نقص ، كذلك الفضائل اذا اشتهرت وعرفت تبيد وتهلك » .

+ سأل أخ الأب ميليوس قائلا : « أريد أن أمضى لأسكن فى موضع ، فماذا تريدنى أن أتدبر هناك ؟ » .

فقال له الشيخ : « ان سكنت فى موضع فاحترس الا تخرج لك اسما فى شيء من الأشياء ، بل فى كل موضع جلست فيه ، اتبع الكل مساويا نفسك بهم ، وكل ما تراه من أفعال الورعين الأتقياء الذين ينتفع منهم ، فافعله مثلهم ، وبذلك تتنيح . لأن هذا هو الاتضاع أن تساوى نفسك باخوتك ، حتى اذا أبصرك الناس تدخل وتخرج مع الاخوة لا يقصدونك ولن يفتنوك » .

حدثوا عن رهبان المصريين ، بأنه اذا عرف الناس سر عملهم ، فما كانوا يحسبونه فضيلة ، بل خطية .

مرة اتى أناس **لأمونيوس الأسقف** يريدون أن يتحكموا بحكمته ، وكان الشيخ يجعل نفسه جاهلا . فوافت امرأة ونظرت اليه وقالت :

ان هذا الشيخ موسوس ، فلما سمعها قال لها : « أتعلمين مقدار التعب الذى كابدته فى البرية حتى اقتنيت هذا الوسواس ؟ » قالت : لا . قال : « لقد تعبت خمسين سنة لأجله ، فهل أفقده من أجلك فى هذه الساعة ؟ » واذ قال ذلك تركها فى القلاية وترك الأسقفية ومضى .

كان **أولوجيوس القديس** تلميذ الطوبانى أنبا يوحنا الأسقف قسيسا وناسكا عظيما يصوم دائما يومين يومين ، ودفعات كثيرة يكمل الأسبوع ، ويأكل خبزا وملحا فقط ، فمدحه الناس كثيرا .

فاتفق له حضور **عند أنبا يوسف** فى بيافوا يلتمس صعوبة تكون زائدة فى الجهاد . فقبله الشيخ بفرح . والذى كان له صنع له به عزاء . فقال تلاميذ **أنبا أولوجى** « ان القس ما يأكل الا خبزا وملحا فقط » وان **أنبا يوسف** كان يأكل وهو ساكت . فلما أقاموا عنده ثلاثة أيام لم يسمعوه يصلى ولا يرتل لأن عمله كان مخيفا فخرجوا من عنده وما انتفعوا بشيء .

فتبدبير الله صارت سحابة عظيمة فضلوا الطريق ورجعوا الى الشيخ . فلما اقتربوا من قلايته سمعوه يرتل ويسبح مدة كبيرة . وفى الآخر قرعوا الباب فسكت عن ترتيله وقبلهم بفرح . ولأجل شدة العطش صب تلاميذ **أولوجيوس** ماء فى قدح وناولوه . فلما جاء يشرب وجده ممزوجا بماء البحر والنهر فلم يقدر أن يشربه .

فلما رجع الى ذاته وقع قدام الشيخ ملتمسا أن يتعلم تدبيره قائلا : « ما هذا يا أبتاه انك لم تصل ولم تزمر فى الأول ، والآن بعد خروجنا رتلت ، وأيضا لما أخذنا قدح الماء وجدناه ماء حلوا والآن وجدناه مالحا . فقال له الشيخ : « ان الأخ موسوس ومن جهله مزجه بماء بحرى » .

وان **الوجيوس** كان يطلب أن يعرف من الشيخ الحق .

فقال له الشيخ : ذلك الكأس الصغير كالخمر انما كان للمحبة . واما هذا

فنحن دائما نشربه فعلمه افراز الأفكار وقطع عنه كل الأمور الانسية . وصار مشاركا يأكل من كل ما يضع بين يديه وبدأ عمله أن يكون مخفيا .

فقال للشيخ : « بالحقيقة أن عملك هذا هو العمل الحقانى » .

+ امرأة كان لها وجع فى ثدييها يقال له السرطان . فسمعت بالأب **انبا لنجينوس** فأتت اليه لتراه وتبرىء ثدييها . وكان يسكن فى دير بقرب الاسكندرية فلما صارت الى الموضع جعلت تسأل عنه وتطلبه فصادفت القديس على شط البحر يجمع له حطبا . فعندما أبصرته المرأة قالت له يا أبانا أين يسكن رجل الله **أنبا لنجينا** .

فأجابها الشيخ وقال : « ماذا تريدين من ذلك الكذاب المرائى » .

فقالت : « لى وجع وجئت اليه لكى أبرأ بصلاته » .

فقال لها : « **لا تذهبى الى** ذلك الكذاب المرائى . ولكن أرينى ما يؤلمك » حينئذ **أشارت المرأة الى الموضع** الذى يؤلمها . فرشمها القديس بالصليب وقال : «**اذهبى بسلام وربنا هو** يشفيك. فأما **لنجينا** فما يقدر أن ينفعك بشىء » حينئذ **أيقنت المرأة** بكلمة الشيخ ومن ساعتها برئت . فلما رجعت الى المدينة وأخبرت الناس بما قاله لها الشيخ ووصفت لحيته أعلموها أنه هو كان **انبا لنجينا**. بركة صلاته تكون معنا جميعا آمين .

+ **ذكر بعض الآباء القديسون** انه كان عند النهر القريب من فلسطين موضع يسكن فيه **سلوانس المغبوط** . وسكن هناك اخ متظاهر بالجهل . وذلك انه كان اذا لقيه أخ من الرهبان كان يضحك من ساعته . وكان كل احد قد أهمله وانصرف عنه .

فحدث أن ثلاثة آباء راوا **انبا سلوانس** ولما صلوا كالعادة سألوه أن يرسل معهم أحدا لكيما يزوروا سائر الاخوة فى قلاليهم . وقالوا للشيخ : يا أبانا أوص الأخ أن يأخذنا اليهم كلهم . فأوصاه أن يأخذهم اليهم كلهم . وأوصاه على انفراد : اياك أن تأخذهم الى ذلك الموسوس لئلا يشكوا . وفيما هو يدور بهم على قلالى الاخوة قالوا للأخ اعمل محبة وخذنا الى جميعهم . فقال لهم : صوابا قلتم . وانه دار بهم على جميعهم ولم يدخل بهم الى قلاية الموسوس كما أوصاه الشيخ . فلما عادوا الى الشيخ قال لهم : أرأيتم الاخوة ؟ . فقالوا نعم . قد شكرنا الله كثيرا . ولكن شيئا واحدا غمنا اننا ما رأينا جميعهم . فقال الشيخ للدليل : الم أوصيك أن تأخذهم اليهم كلهم ؟ . فقال : يا أبتاه قد عملت أمرك . وعند انصراف الآباء قالوا للشيخ : بالحقيقة لقد شكرنا لك لأجل انك أريتنا الاخوة . لكن نحن حزانى اننا ما رأينا الجميع .

فبقى الشيخ متفكرا كثيرا . ثم اخذ عصاه ومضى الى قلاية ذلك الأخ

المتظاهر بالوسواس وما قرع بابه بل فتح الباب بهدوء ودخل على الأخ فوجده جالسا فى موضع جلوسه بين قفتين احداهما عن يمينه والأخرى عن يساره . فلما أبصر الشيخ صار يضحك على عادته . فقال له الشيخ : دع الآن هذا اللعب وقل لى كيف جلوسك ؟ . فضحك أيضا . فقال له **أنبا سلوانس** : انك تعلم انني لا أخرج من قلايتي سوى يومى السبت والأحد . الا انني فى هذا الوقت انما جئت فى وسط الأسبوع لأن الرب يسوع المسيح أرسلنى اليك . فارتاع الاخ لقوله وعمل مطانية وقال : اغفر لى فانى ما أعلم أن لى فضيلة قط . فبكى الشيخ وطلب منه بمحبة المسيح ارحمنى . فقال : « يا أبى اغفر لى . فانى بالغداة أجلس وهذا حصى قدامى ، فمتى ورد على فكر صالح طرحت حصاة فى القفة اليمنى ، ومتى جاءنى فكر خبيث طرحت حصاة فى القفة اليسرى . واذا جاءنى المساء أعد الحصى . فان وجدت حصى اليمين أكثر أكلت ، وان وجدت حصى الشمال أكثر فلا آكل . وفى الغداة أيضا اذا جاءنى فكر خبيث أقول لنفسى : انظر ماذا تعمل فانك ما تأكل أيضا » .

فلما سمع هذا الكلام **أنبا سلوانس** العجيب عجب منه وقال : « بالحقيقة ان الآباء الذين زارونا ملائكة وقديسون وانما أرادوا أن يشهروا فضيلة الأخ . لأن حضورهم أورد لى سرورا كثيرا وفرحا روحانيا » .

بركة صلواتهم معنا آمين .

(و) نفسك ومديح الناس

+ **قال أنبا موسى الأسود :**

- تمجيد الناس يولد للانسان البذخ وتعاظم الفكر .
- حب الاطراء من شأنه أن يطرد المعرفة .
- على مثال الصدأ الذى يأكل الحديد كذلك يكون مديح الناس الذى يفسد القلب اذا مال اليه . وكما يلتف اللبلوب على الكرم فيفسد ثمره ، كذلك السبح الباطل يفسد نمو الراهب اذا كثر حوله .

+ **وقالت القديسة سفرنيكى :**

« كما ينحل الشمع قدام النار كذلك نفس الانسان قدام المديح تنحل قوتها » .

+ **وقال شيخ :**

« من مدح راهبا بحضرته ، فقد أسلمه بأيدى أعدائه » .

+ قيل : مدح الآباء شخصا فى وجهه بين يدى **الأب انطونيوس** فأراد الأب

أن يمتحنه ان كان يحتمل الذم فلم يحتمل ، فقال : « هذا الأخ يشبه قرية مزينة من خارج ، لكنها من داخل خاوية ، بل ملآة من اللصوص » .

+ **قيل عن الأب الليبنوس** انه كان مرة يخدم والاخوة جالسون عنده يمدحونه ، وهو لا يجيبهم البتة ، فقال له انسان منهم : « لماذا لا تجيب الآباء وهم يسألونك ؟ » فقال : « لو أجبتهم لصرت مثل من يقبل المديح » .

+ كان انسان من بلدة الرها اسمه **اسبيانوس** ، هذا وضع فصولا ولحنها تقرأ الى الآن ، وقد حدث أن استولت عليه الكبرياء فاسلم ذاته . فعرضها لأتعاب كثيرة وأعراق جزيلة وصعوبات شديدة بلا افراز ولا تمييز ، ليحظى بالمديح من الناس ، فخدعه ابليس وأخرجه من قلايته ، وأوقفه على الجبل المسمى « الستوريون » . وأركبه مركبة وأراه خيلا غيرها ومركبات أخرى ، وقال له : « ان الله يستدعيك على الصفة التى استدعى بها ايليا » فلما صدق قوله . ارتفعت به المركبة ، وللوقت تلاشت الخيالات ، وسقط هو على الأرض من علو شاهق فتحطم وحظى بميتة يبكى منها ، بدلا من الرفعة الرفيعة التى أملها . فشرحنا هذا ليس جزافا ، كى لا تخفى عليك عراقيل الخبيث العطشان الى هلاك الناس ؛ فاحذر أن تشتاق أيها السامع الى تلك الأمور التى تعلو قدرتك . قبل أن تحظى بذلك من النعمة ، ولا تطلب الصعود فى سلم المناظر المنصوبة للسقوط والقيام ، لئلا تطلبها قبل الأوان ، فتحسب من الساقطين ، وتصبح أضحوكة للشياطين .

(ز) أفكار العظمة

+ **قال شيخ :**

« اذا لم يأت علينا قتال ، حينئذ ينبغى لنا أن نتضع جدا ، عالمين أن الله لمعرفته بضعفنا رفع عنا القتال . وان افتخرنا يرفع عنا ستره فنهلك » .

+ **وقال آخر :**

« اياك أن تقول فى قلبك من جهة انسان ، انك أحرص منه ، أو أكثر منه معرفة ، أو أبر منه ، بل اخضع لنعمة الله . ولروح الحكمة . والحب الذى ليس فيه غش ، لئلا تنطفىء بالعظمة . وتضيع تعبك لأنه مكتوب : « يامن تظن أنك قائم احذر لئلا تسقط » .

+ **وقيل أيضا :**

« ليس هناك شفاء أوجع المفتخر ، لأنه بقدر ما يتعالى بأفكاره بقدر ما ترتفع معرفة الله عن نفسه ، والى عمق الظلمة يهبط » .

+ **حدث أن أغلق أخ على نفسه باب قلايته** زمانا يسيرا ، فقاتلته أفكار مكتومة وأحلام سمجة ، فبعث الى شيخ قديس يستشيره فى ذلك ، فأجابه الشيخ قائلا : « ان كنت تريد أن تخلص ففر من شيطان العظمة واجعل لك

قليل .. (١) لأن المذلة تهلك العظمة وتبعدها ، ولا تدع أحدا يخدمك ؛ بل اخدم أنت نفسك ، وأنت تخلص بمعونة الله ، والآن فلا تغلق الباب الخشب ؛ بل بالحرى اغلق باب لسانك » .

+ **كان انسان اسمه دكياس** يسكن جبلا من أعمال أورشليم ؛ هذا لم يصل مع أحد جملة (٢) ، وبغتة تجاسر على أن يخدم القداس وهو علمانى .

+ **مرة قوتل أنبا مقاريوس** بالعظمة وهو فى قلايته ، وحثه الفكر على الخروج منها ، والذهاب الى رومية لينفع كثيرين بحسب ما أملته عليه أفكار العظمة ، فلما الحت عليه الأفكار بذلك ، ألقى بنفسه داخل قلايته عند بابها ، وأخرج رجليه من الباب ، ثم قال لأفكار العظمة : أخرجونى ان قدرتم ، فانى لن أخرج طائعا ، فان لم يمكنكم ذلك فلن أطيعكم . ولم يزل ملقى وهو يقول هذا الكلام الى الليل حيث اشتد عليه القتال والأفكار ، وأخيرا أخذ قفة وملأها رملا وحملها ، وبدأ يطوف بها البرية حتى لقيه **القديس فسطوس** ، فقال له : « ماذا تحمل يا أبتاه ؟ اعطنى اياه ، ولا تتعب أنت » فقال له : « أريد أن أشقى من يشقينى ، فانه اذا ما نالته الراحة ، سبب لى الأسفار والشقاء » ، واستمر هكذا الى أن كفت عنه الأفكار فرجع الى قلايته وهو يشكر الله .

+ قيل :

حدث مرة أن اتفق ثلاثة شيوخ على أن يخرجوا معا الى البرية لعلهم يجدون رجلا متعبدا لله ، ولما ساروا ثلاثة أيام ، وجدوا مغارة ، فأتوا اليها . فأبصروا نفسا خارجة من جسدها ، وهى تساق الى جهة الغرب ، فبكوا لذلك قائلين : « يا رب ، كيف أن متوحدا كهذا ، وفى هذا المكان من القفر ، تساق نفسه الى الغرب ؟ » ، فجاءهم صوت قائلا : ان لهذا الشيخ فى هذه الغارة ٤٠ سنة . وقد فكر(٣) فى قلبه قائلا : انه لا يوجد راهب آخر مثلى . فلهذا السبب تساق نفسه الى الغرب . فقال الشيوخ : « بالحق ان الكبرياء تهلك جميع ثمر الراهب » .

+ وقيل أيضا :

ان شاب آخر اسكندرانى ، كان رشيقا ذكيا فطنا حسن السيرة ، هذا بعد احكامه سيرة فاضلة ، وصل الى ذروتها وبلغ غايتها بأتعاب كثيرة واعراق جزيلة ، فتشامخ وتعجرف حتى انه رفع عنقه على جميع الآباء ، بتباه وأبهة ،

(١) كلمة ناقصة لعلها « صوم » أو « بكاء » .

(٢) كان يصلى منفردا دائما .

(٣) لعل المقصود ليس أن فكرة واحدة طرأت عليه مرة ، بل انه كان يعيش معتقدا انه افضل من غيره .

وتجاسر على شتيمة الكل وفى جملتهم شتم **القديس أوغريس** قائلا : ان كل الراسخين لتعاليمك مخدوعون ، لأنه لا معلم غير المسيح وحده . واستشهد – حسب جهالته – قائلا ان المخلص نفسه قد جزم قائلا « لا تدعوا لكم معلما على الأرض » . واظلم عقله لتعجرفه ، فانحط انحطاطا يرثى له منه ، حتى أنه غلل بالحديد ، ولقد كان كثيرون يتحدثون بشدة نسكه ، وقال قوم انه كان يصوم ثلاثة أشهر لا يأكل فيها الا ما كان يتناوله من القربان فى يوم الأحد مع ما يتفق له من الحشائش البرية ، ولقد كانت لى أنا به خبرة .

+ **وآخر اسمه ابطلما** ، عاش عيشة يصعب وصفها ، هذا أول أمره سكن فوق الاسقيط فى الموضع المعروف بالمفارج ، وهو مكان لم يسكنه قط ساكن من الآباء ، وكان بينه وبين الماء ثمانية عشر مسافة واتخذ لنفسه جرة ولقانين (وعاءين) وكان يجمع الندى باسفنج من على الصخور فى كانون الأول وكانون الثانى ويعصره فى تلك الأوعية ويرفعه للصيف ، ومكث على تلك الحال ١٥ سنة لا يكلم أحدا ، وتغرب من ملاقاة رجال أبرار ومخاطبتهم ، وعدم التعليم الروحانى والتناول من الأسرار الطاهرة ، فجعل يبحث عن حقائق الأمور وغوامضها ، فجن وصار يقول : الأشياء ليس لها مدبر وانها موجودة مدبرة منها وبها ، فلأى شىء أشقى نفسى وأى ثواب يكون لمن يبلغ الى هذا التعب ؟ فلما أجال فى فكره هذه الأفكار توسوس وضاع عقله ، فنزل الى مصر ، وهكذا أخذ يدور من مكان الى مكان ليلا ونهارا مطرقا الى أسفل وهو لا يحادث أحدا ، وكان منظره يرثى له ، كما كان كل واحد من النصارى يراه يبكى عليه اذ صار ملهاة وملعبة لمن لا يعرف سيرتنا ، وقد لحقته هذه المصيبة الكبرى لتيهه وصلفه وظنه بنفسه أنه قد فاق سائر الآباء ظانا بنفسه ما ليس هو فيه ؛ ومن حيث أنه لم يصغ الى مشورة أحد من الآباء فقد هبط هبطة فظيعة ومات أشر ميتة . ويشبه حاله حال شجرة مورقة وبالأثمار مخصبة ، ضربتها ريح شديدة فسقطت بغتة وتعرت من أوراقها وأثمارها وبقيت يابسة . وهذا هو ما يلحق بمن يتدبر برأى نفسه ولا يسمع مشورة الحكماء .

+ **وجاء كذلك** عن بكر كانت بأورشليم حبيسة فى قلاية ست سنين لابسة مسوحا ، هذه تنسكت نسكا زائدا ، ولم تأكل شيئا متلذذا البتة . فمنعها الآباء من ذلك لكنها لم تصغ الى مشورة أحد ، فتعرت من معونة الله لعجرفتها لما أعجبتها نفسها ، فتباعد عنها حافظ عفتها ، وسقطت سقطة يستعاذ منها ، فقد فتحت باب حبسها وأدخلت اليها انسانا كان يخدمها وكلفته بمعاشرتها ، وقد لحقتها هذه المصيبة لما جعلت قصد نسكها للمراءاة ، ولظنها انها صارت افضل من كثيرين ، فلما تملكتها الأبهة ، وقعت فى يد ابليس .

+ كما ان انسانا اسمه ابراهيم ، كان راهبا قبطيا ، هذا عاش فى البرية عيشة يعسر تحريرها ، فلما تسفه أصاب عقله مرض الكبرياء ، فجاء الى البيعة

مخاصما القسوس قائلا : « لقد سامنى المسيح قسيسا فى هذه الليلة ، فاقبلونى أكهن » . فأخرجه الآباء من الكنيسة وساقوه الى سيرة أغلظ من غيرها ، فشفوه من ألم الكبرياء وعرفوه ضعفه ، وحققوا له أن شيطان العجرفة قد تلاهى به .

+ من سيرة القديس ابيفانيوس :

ظهر فى أيام ابيفانيوس بقبرص شاب دعى الفيلسوف فجادله علماء كثيرون ، فكان يفحمهم مقنعا اياهم بأقواله ، وكان يأتيه كهنة كثيرون وأساقفة فيقنعهم باقناعات ، فتكاسل الأكثرون عن مجادلته ، وتراجعوا عن مفاوضته وذاع صيته حتى وصل خبره الى بافوس ، حيث تحدثوا بحكمته وقوة منطقه ومقدرته على الجدال حتى ضل بسببه الكثيرون ، فلما رأى الأسقف **ابيفانيوس** ذلك حزن متفكرا فى نفسه ثم قال : ومن يكون هذا الشاب المفتخر بعلوم كذبة أمام ايمان السيد المسيح . وانه تسلح بالايمان ، وأمر بأن يحضروه اليه ، فمضوا وقالوا له : **الأسقف أبيفانيوس** يستدعيك . فقام وجاء اليه ، فلما حضر عنده لم يتكلم معه ، بل انتصب للصلاة أولا ، فلما بدأ الأسقف بصلاته أخذت الشاب رعدة ، وصر على أسنانه ، فتعجب الكل لذلك كثيرا ، فلما شعر الأب بقوة الصلاة ، بدأ يطلب الى الله قائلا : « يا رب اشف هذا الشقى العليل من هذا المرض ، حل أسره يارب وأظهر الشيطان المستتر فيه واعتق جبلتك منه» .

عند ذلك صر بأسنانه وأزبد ، واحمرت عيناه وصرخ بصوت عظيم قائلا :

« أأنت يا أبيفانيوس تخرجنى من مسكنى ؟ » .

فقال له : « الرب يسوع المسيح يخرجك من جبلته » .

قال له الشيطان : « انك لم تعرفنى من أنا » .

فقال له الأسقف : ومن أنت ؟

قال : أنا هو الذى تكلمت فى ذاك المدعو « أوريجانوس » .

قل له الأسقف : ان كنت أنت الذى تتكلم ، فقل لنا بدء الكتاب الذى صنفه ذلك الشقى . فبدأ ابليس يشرح بدء الكتاب .

فقال له القديس : بالحق أنت هو المصنف لهذه الشرور العظيمة .

ولم يحتمل الأب أن يسمع أكثر ، فقال له : اصمت يا ابن جهنم ، أنا آمرك باسم الرب يسوع المسيح أن تخرج عنه ولا تؤذيه .

فصرعه على الأرض وخرج منه . فلما أفاق ورجع الى نفسه ، سألوه : من اين كانت لك القدرة على ذلك المنطق العظيم والنحو والفلسفة ؟

فقال : لست أعلم ما تقولونه ، ولا كيف كنت أتكلم ، ولا كيف أتيت الى هنا ! .. فعجب الحاضرون وخافوا من ضربات العدو .

* * *

خامسا

الصوم

١ ـ مفهوم الصوم :

(أ) اذلال الجسد

(ب) ضبط الحواس

٢ ـ كيف أصوم :

(أ) الصوم وكمية الأكل

(ب) الصوم ونوع الطعام

(جـ) الصوم وفترة الانقطاع

(د) الاعتدال فى الصوم

(هـ) عنصر الخفاء فى الصوم

٣ ـ عندما يحل القانون :

تدريب حياة الصوم والنسك الدائم

١

مفهوم الصوم

(أ) اذلال الجسد (قهر ـ قمع)

+ قال القديس لنجينوس :

« الصوم يجعل الجسم يتضع » .

+ قال القديس مكسيموس :

« من غلب الحنجرة فقد غلب كل الأوجاع » .

+ قال شيخ :

« جيد أن يكون فمك منتنا من شدة الصوم ، فذلك افضل من أن يوجد فيه رائحة خمر » .

+ قال أنبا دانيال :

« ما دام الجسد ينبت فبقدر ذلك تذبل النفس وتضعف ، وكلما ذبل الجسد نبتت النفس » .

+ شيخ حدثته أفكاره من جهة الصوم قائلة : « كل اليوم ، وتنسك غدا » فقال : « لن افعل ذلك ، لكنى أصوم اليوم وتتم ارادة الله غدا » .

(ب) ضبط الحواس (١)

+ قال مار اسحق :

« الذى يصوم عن الغذاء ، ولا يصوم قلبه عن الحنق والحقد ، ولسانه ينطق بالأباطيل فصومه باطل ، لأن صوم اللسان أخير من صوم الفم ، وصوم القلب أخير من الاثنين .

+ قيل عن أنبا قسيان :

انه ذهب الى شيخ له ٤٠ سنة فى البرية ، وسأله بدالة : « ماذا قومت ايها الأب فى هذه الخلوة التى لا تكاد تلتقى فيها بانسان ؟ » فأجابه قائلا : « انى منذ أن ترهبنت ، لم تبصرنى الشمس آكلا » فقال سائله : « ولا أبصرتنى الشمس غاضبا قط ؟ ! » .

---

(١) معلوم أن اول انواع الصوم هو صومنا عن غذاء الجسد . وان كانت لهذا فوائد عديدة ، الا انه وسيلة للتمرين على أنواع الصوم الأخرى ، صوم الحواس ، وصوم النفس والفكر .

+ **سأل أخ الأب لوقيوس قائلا** : « أريد أن أصوم يومين يومين » .

فقال له الشيخ : « قد قال أشعياء النبى : ان انت اضنيت عنقك كالحلقة ، وافترشت المسوح والرماد ، فلن يعتبر ذلك صوما مقبولا ، أما اذا أردت الصوم حقا فاصرف الأفكار الخبيثة » .

+ قيل : انه كان فى الصعيد راهب قد بلغ من التقشف مبلغا عظيما ، ظافرا على صلوات وطلبات وسهر ، ومالكا عدم القنية الى أبعد غاية ، يفنى جسده بالأصوام والأتعاب . هذا كان قد بدأ جهاده بأن كان يتناول كل عشية ملء راحته قطينية مبلولة وكفى . وصار يتدرج الى أن أصبح يتناول ذلك القدر يوما بعد يوم ، وهكذا حتى استطاع بعد مدة أن يأكله مرة واحدة كل أسبوع مساء الأحد أو يأكل مما اتفق له من الحشائش النباتية ، ومكث على هذه الحال مدة من الزمان ، فحسده الشيطان واراد أن يرميه فى الكبرياء ، فوسوس له بأنه قد سلك فى النسك مسلكا لم يبلغه أحد من البشر ، وانه يجب أن يجترح الآيات كى يزداد نشاطه ، ويرى الناس العجائب فيمجدوا الله ، لأن الرب نفسه أيضا قال : «ليرى الناس أعمالكم الحسنة فيمجدوا أباكم الذى فى السموات» .

فسأل الرب من أجل هذا الأمر ، واذا لم يشأ الاله المتعطف أن يظلم تعبه ، فقد ألهمه فكرا بأن الرسول يقول : « لسنا كفاة أن نرى رأيا من انفسنا » .

وقال : « ان كان ذلك السيد لم يجد نفسه كفئا لأن يرى رأيا من ذاته ، فكم بالحرى يجب على انا الشقى أن أقول هذا القول ، أقوم اذن وأمضى الى فلان المتوحد ، ومهما قال لى أقبله كمرسل لى من قبل الله » .

وكان ذلك المتوحد راهبا كبيرا وقد نجح فى عمل المشورة ، حتى استطاع ان يفيد من يسأله . فقام للوقت ومضى اليه ، فلما دخل قلايته رأى المتوحد قردين جالسين على كتفيه ، ممسكين عنقه بسلسلة ، وكل منهما يرهقه جذبا اليه ، فلما شاهد هذا المنظر عرف السبب اذ كان متفقها جدا . وانه تنهد باكيا بسكون ومن بعد الصلاة وما جرت به العادة من السلام ، جلسا مدة ساعة صامتين لأنه هكذا كانت عادة الآباء الذين هناك ، ثم فتح الراهب القادم فاه قائلا : « أيها الأب ، انفعنى وأرنى مرشدا للخلاص . لاتردنى ياأبى لأنى موقن بفضلك وقد ألزمت قبول مشورتك » .

فأجاب الشيخ : « انى أخشى أنك لا تسمع منى ، ولذلك أفضل أن أمتنع من ذلك » فحقق وأكد له انه قبل مجيئه قد عاهد نفسه قائلا : « مهما قلت لى أقبله كما من فم الله » .

فقال الشيخ : « خذ هذه النقود وامض الى المدينة وابتع عشر خبزات وقسط نبيذ وعشر ارطال لحم وعد بها الى » . فحزن الأخ لذلك جدا ، لكنه على كل حال أخذ ما أعطاه له ومضى كئيبا ، وفى طريقه جاءته الأفكار قائلة :

« أى شيء يقصده هذا الشيخ ؟ وكيف أستطيع أنا أن ابتاع هذه الأشياء وكيف احملها ؟ وما هو موقفى من العلمانيين مما يضطرنى الى أن أذوب خجلا ؟ » وهكذا سأل واحدا فابتاع له الخبز ، وآخر ابتاع له النبيذ ، ولما جاء دور اللحم قال : « يا ويلى كيف احصل على اللحم ، سواء ابتعته انا بيدى أم كلفت آخر » ، ثم كلف رجلا علمانيا فابتاع له اللحم ، وحمل الجميع وجاء بها الى الشيخ مفكوا .

فقال له الشيخ : « اطبخ اللحم وطجنه » ففعل ذلك معبسا .

فقال له الشيخ : « لاتنسى ماعاهدتنى به أنك سوف تفعل جميع ما أشير به عليك ، فخذ هذه الأشياء جميعها ، وامض الى قلايتك ، وصل وتناول خبزة واحدة وشربة واحدة من النبيذ ورطل لحم فى كل يوم عند المساء . ومن بعد عشرة أيام عد الى » . فلم يتجاسر على أن يرد له جوابا .

وهكذا اخذ كل ما أعطاه ومضى حزينا باكيا قائلا فى نفسه : « من أى درجة فى الصوم هبطت ، وفى أى حالة حصلت ؟ » ثم قال لنفسه : « ان لم أفعل ما أمرنى به اكون قد خالفت الله ، لأنى قد عاهدته انه مهما قال لى أفعله كما من فم الله والآن يا رب ، انظر الى شقاوتى وارحمنى واغفر لى خطيئتى لأنى مضطر أن أعمل خلاف هواى » . وجاء الى قلايته باكيا ، وتمم ما قاله له الشيخ ، وانعكف على الصلاة انعكافا بليغا ، وكان اذا ما أكل ، يبل الخبز بدموعه قائلا : « يا الله قد أهملت وخذلت من يدك » فلما رأى الله حزنه وبكاءه ومسكنته ، عزى قلبه وكشف له السبب ، فشكر الله واعترف بالقول النبوى : « ان كل بر الانسان مثل خرقة الطامث ، وايضا « ان لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البناؤن وان لم يحرس الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس » .

وهكذا عاد الى الشيخ منهوك الجسم موعوكا أكثر مما كان وهو يطوى الأسابيع صائما . فلما رآه الشيخ متذللا متمسكنا قبله بفرح بوجه طلق ، وصليا وجلسا صامتين مدة ساعة ، ثم قال الشيخ : يا ولدى ، ان الله المحب للبشر قد تعاهدك ، ولم يمكن العدو من الاستيلاء عليك ، لأنه من عاداته دائما خدعة من يسلك مسلك الفضيلة بوجوه تتبين أنها واجبة ، ويسوقهم بها الى مرض الكبرياء ويأمرهم أن يخوضوا فى خوض عظيم من الفضائل حتى — من هذه الوجهة — يهبطهم هبوطا عظيما ، لأنه ليس عند الله شيء مرذول مثل مرض الكبرياء . ولا ثمة فضيلة تساوى التواضع ، فتأمل الأمرين من مثل الفريسى والعشار ، لأن بعض الشيوخ يقولون ان بعض الافراطات من أعمال الشياطين ، فاسلك طريقا ملوكية كما يقول الكتاب ، ولا تمل يمنة ولا يسرة ، اتبع التوسط فى الأمور . فى كل عشية يكون اغتذاؤك وان دعت الضرورة لمرض أو عارض يعرض ، فاسلك للوقت بحسب ما تقتضيه الحال ، كذلك ان اقتضى الأمر حل الساعة المحدودة فلا تحزن ، وان اقتضى أن تتناول فى يوم غير مطلق ، فتناوله ،

لأننا لسنا تحت ناموس بل تحت نعمة . فاذا أكلت فلا تمتلىء بل اقتصر سيما من الأطعمة الحنجرانية ، وأحب دائما ما كان دونا ، واحفظ قلبـك لأن النبى يقول : « ضحية الله روح منسحقة ، والله لا يرذل القلب المتواضع المنـكسر » . وقد قال أيضا : « تواضعت فخلصنى الرب » والرب يقول بلسان أشعياء النبى : « الى من أنظر ، الا الى الوديع الخائف من كلامى » . فألق يا بنى اتكالك على الرب واسلك طريقك بسلام وهو يفعل لك الخير ، ويخرج عدلك كضوء وحكمك كالظهيرة .

وبعـد أن دعم الأخ بأقوال كثيرة ، أخلى سبيله مسرورا بالرب ، واذ كان يمضى ترنم قائلا : « خائفوك وعارفو شـهادتك ليرونى ، وأدبا أدبنى الرب والى الموت لم يسلمنى ، ويؤدبنى الصديق برحمة ويوبخنى » . وقال لنفسه « ارجعى يا نفسى الى موضع راحتك لأن الرب قد أحسن اليك » وبقية القول . وهـكذا جاء الى قلايته ، وأمضى بقية عمره حسب مشورة الشيخ .

(د) عنصر الخفاء فى الصوم

عملت فى بعض القـلالى أغابى وتفسيرها « المحبة » ، وتقال بلغـة القبط (افراشى) ، وتفسيرها « الفرح » ، وجلسوا يأكلون ، وكان بينهم أخ لا يأكل طبيخا ، فقال أحد الاخوة للخادم :

« ان ههنا أخا لا يأكل طبيخا قط ، وهو يريد قليلا من المـاء والملح ، فأعلى الخادم صوته ونادى خادما آخر : « ان الأخ فلان لا يأكل طبيخـا ، فأحضر له قليلا من الماء والملح » .

فقام أحد الشيوخ من المائدة وقال له : « لقد كان خير لك لو جلست فى قلايتك وأكلت لحما ، من أن تصدر عنك هذه الغضبة هكذا على رؤوس الملأ » .

٣

عندما يُحل القانون

+ مرة زار أنبا أولونيوس أسقف فيلوابولاوس فى جبـل أنطونيـوس **الأب سيصوى** ولما عزم على الانصراف جعله يتغذى باكرا قبل انصرافه وكان صـوما ، فلما وضعت المائدة ، اذا قوم يقرعون الباب ، فقال لتلميذه : « قدم لهم قليلا من الطبيخ » فقال الأسقف : « دعهم الآن لئلا يقولوا أن سيصوى يأكل باكرا » فتأمله الشيخ وقال للأخ : « امض اعطهم » فلمـا أبصروا الطبيخ ، قالوا للأخ : « يا ترى هل عنـدكم ضـيوف ، والشـيخ يأكل معهم ؟ » قال نعم ، فحزنوا قائلين : « لماذا تركتم الشيخ يأكل فى مثل هذا الوقت ؟ أما تعلمون ان الشـيخ يعذب ذاته أياما كثيرة بسـبب هذه الأكلة ؟ » فلما سـمع الأسقف هذا الكلام ،

صنع مطانية قائلا : « اغفر لى يا أبى لأنى تفكرت فكرا بشريا ، أما أنت فقد صنعت أوامر الله » ، فقال الشيخ : « ان لم يمجد الله الانسان ، فمجد الناس ليس شيئا » .

+ وحدث مرة أيضا أن زاره **أنبا قسبيانوس ، والقديس جرمانوس** . وهما شيخان من فلسطين ، فاحتفل بضيافتهما ، فسألاه لأى سبب لا تحفظوا رسوم صومكم فى وقت ضيافتكم الاخوة الغرباء على ما عرفناه فى بلدنا فلسطين ؟

فأجابهم قائلا : « ان الصوم معى دائما ، وأما أنت فلست معى دائما ، والصوم شىء نافع لازم ، وهو من نيتنا ومن ارادتنا ، وأما اكمال المحبة فيطالبنا به ناموس الله بلازم الاضطرار ، فبكم أقبل المسيح ويوجب على دينا لازما بأن أخدمه بكل حرص ، فاذا شيعتكم أمكننى استعادة صومى ، وذلك أن أبناء العرس لا يستطيعون أن يصوموا مادام العريس معهم ، فمتى رفع الختن فحينئذ يصومون بسلطان » .

+ **حدث** أن أضاف اخوة بدير الأب **سلوانس** مع تلميذه **زكريا** وجعلوهما يتغذيان قبل انصرافهما ، وفى ذهابهما عطش التلميذ ، فلما وجد فى الطريق ماء ليشرب ، منعه الشيخ قائلا : « لم يأت وقت الافطار بعد » فقال التلميذ : ألم نأكل قبل انصرافنا يا أبى ؟ ! » فقال له الشيخ : « انه لأجل المحبة أكلنا ، والآن لا نحل قانوننا » .

أما أنبا سيصوى الصعيدى فلم يكن يحل قانونه لأمر ما . جاء عنه انه كان ساكنا فى غيضة وكان شيخ آخر مريضا فى (السيق) . فلما سمع حزن ، لأنه كان يصوم يومين يومين . وكان ذلك اليوم من الأيام التى لا يأكل فيها ، فقال : « ماذا أصنع ؟ ان مضيت ربما الزمنى الاخوة بأن آكل » ، وان صبرت الى الغد ، فربما يتنيح الشيخ . لكنى هكذا أصنع ، أمضى ولا آكل » ، وفعلا مض وأتم وصية الله ، ولم يحل قانونه . وقد أخبر عنه أيضا بعض الآباء ، أنه أراد وقتا ما أن يغلب النوم . فعلق ذاته فى صخرة ، فجاء ملاك الله وأوصاه الا يصنع مثل هذا ولا يجعل ذلك عادة لآخرين .

تدريب حياة الصوم والنسك الدائم

+ **قال شيخ :** « حصن الراهب هو الصوم ، وسلاحه هو الصلاة ، فمن ليس له صوم دائم فلا يوجد حصن يمنع عنه العدو ، ومن ليست له صلاة نقية ، فليس له سلاح يقاتل به الأعداء » .

+ **اذاعوا فى برية مصر** . ان الصيام الكبير قد بدأ ، فمر أخ بشيخ كبير وقال له : « لقد بدأ الصوم يا أبى » .

فقال له الشيخ : « أى صيام يا ابنى ؟ » .

فقال له الأخ : « الصيام الكبير ! » .

فأجاب الشيخ وقال له : « حقا أقول لك ، ان لى هنا ٥٣ سنة ، لا أدرى متى يبدأ الصوم الذى تقول لى عنه ولا متى ينتهى ، ولكن سيرة سنينى كلها واحدة » .

+ قيل عن **الأب ديسقورس (الشماس)** ان خبزه كان من شعير وعدس ، وفى كل سنة كان يرسم لنفسه خطة يبدأ بها جهاده قائلا مثلا : « فى هذه السنة سوف لا ألتقى بانسان ، ولن أكلم أحدا وفى هذه السنة لن آكل طبيخا ولن أتذوق ثمرة » ، وهكذا كان يصنع فى كل خطة ، فاذا تمم احداها ، بدأ بالأخرى ، وهكذا كان الحال طوال السنة ، وقد كان يقول : « ان كنا نلبس الثوب السمائى ، فلن نوجد عراة ، وان وجدنا لابسين غير ذلك الثوب ، فماذا نصنع ؟ نخاف أن نسمع ذلك الصوت القائل : اخرجوه الى الظلمة القصوى ، هناك يكون البكاء وصرير الاسنان فالآن يا اخوتى ، قبيح بنا بعد أن نقضى فى لبس الاسكيم هذه السنين كلها ، وأن نوجد عراة فى اليوم الأخير وليس علينا ثياب العرس ، فالويل لنا من تلك الندامة ، اذا ما نظرنا الى سائر الأبرار والصديقين ، وهم يصعدون الى السماء ، ونحن نساق الى العذاب » .

+ **جاء عن الأب الاديوس** انه أقام بالاسقيط ٢٠ سنة بقلاية ، كان طعامه خبزا وملحا دائما ، واذا وافت أيام الفصح (١) ، كان يقول : « ان الاخوة يأكلون خبزا وملحا ، فعلى أن آكل خبزا وأنا واقف » .

قال شيخ :

« انى أعرف انسانا من أهل القلالى ، هذا قد صام جمعة الفصح كلها ، فلما كان وقت الاجتماع فى عشية السبت ، لم يحضر مع الاخوة ، لئلا يأكل شيئا مما يوضع على المائدة ، بل عمل فى قلايته يسيرا من السلق ، وأكله بغير زيت » .

(١) أسبوع الالام .

سادسا

الإحتمال

(أ) احتمال للآلام المادية الطبيعية

(ب) احتمال سلبى لآلام الاضطهاد

(ج) احتمال ايجابى لآلام الشدائد

الاحتمال

توجد آلام طبيعية مثل الجوع والشعور بالتعب والمرض يشعر بها الانسان فى جسده بحكم الطبيعة البشرية . وتوجد آلام قد نسميها سلبية يحتملها الانسان وليس له يد فيها مثل احتمال الشتيمة والاهانة والامتهان وتوجد آلام قد تدعى ايجابية يحتملها الانسان فى العمل مثل الأحزان والتجارب والشدائد .

+ قالت القديسة سفرنيكى :

« ان حيل المحتال كثيرة ، فاذا لم تتذلل النفس بالفقر ، فانه يقدم لها الخديعة بالغنى ، واذا لم يقدر على اضرارها بالشتائم والتعييرات . فانه يقدم لها المديح والسبح الباطل ، وان لم يغلب بالصحة ، فانه يجلب على الجسم امراضا . وان لم يقدر أن يخدع باللذات ، فانه يجرب أن يحزن بالأوجاع ، فان كنت خاطئا وحل بك هذا ، فتذكر العذاب العتيد ، والنار الدائمة . فلا تمل من الحاضرات ، بل أفرح بالحرى اذا افتقدك الله ، وليكن على لسانك أبدا الفصل القائل : « ادبا أدبنى الرب ، والى الموت لم يسلمنى » ، وان كنت بارا ، فاشكر الله واذكر المكتوب : « اننا بتألمنا معه نتمجد أيضا معه » .

+ قال القديس برصنوفيوس :

« كل شيء من أمور العالم هو فان وليس بشيء ، فاسبق وصور الله بين عينيك وكن حريصا فى أن تتوب ؛ لأن زمانك فى هذا العالم قليل . كن وديعا بقلبك واذكر الحمل الوديع وكم صبر . ورغم انه لم تكن له خطية ؛ احتمل الشتم والصبر وسائر الأوجاع حتى الموت . اتعب وجاهد ليبعد عنك الغضب والحرد بمعونة الله الحق ، الهك المسيح الذى أحبك » .

+ قال راهب : « الذى يريد الخلاص فليتحمل الظلم ويصبر على الاهانة والخسارة الجسدانية » .

+ قال القديس باسيليوس :

« الحكيم لا يتقى غير المخوف ، ولا يرجو غير المدرك ، ولذلك لا يخاف الآلام ولا يرجو دوام اللذات العالمية . لأنها سريعة الزوال ، فاذ لا يخاف هذه الآلام يحتملها ، واذ لا يرجو هذه اللذات فلا يطلبها » .

+ قال الأب لوقيوس :

« ان المرأة تعلم أنها قد حبلت عند توقف دمها ، كذلك النفس تعلم أنها قد قبلت الروح القدس عند انقطاع الآلام عنها السائلة منها من أسفل . . أما اذا دامت فيها ، فكيف يمكنها أن تثمر — وهى هكذا — ثمارا مثل ثمارها وهى عديمة الآلام ؟ أعط دما وخذ روحا » .

+ **قال أحد الاخوة لشيخ**، سائلا : « قل لى يا أبتاه أمرا واحدا لأحفظه وأخلص به » .

فقال له الشيخ : « ان شتمت فلو أمكنك أن تحتمل ، فذلك من أشرف ما يكون » .

وقال الشيخ أيضا : « كل من استطاع أن يحتمل محقرة ، أو شتيمة ، أو خسرانا جسديا ، فانه يخلص » .

ا - احتمال للآلام المادية الطبيعية

الأوجاع الجسمانية ـ التعب ـ المرض ـ الأماكن

الأوجاع الجسمانية

+ **قال شيخ :**

« يجب أن نشكر الله على الأوجاع الجسمانية ، فان الرسول يقول : « اذا ما فسد انساننا الخارجى ، فان الداخلى يتجدد يوما فيوما « ، فلن نشارك المسيح فى مجده الا اذا شاركناه أوجاعه ، ولا نقدر أن نشاركه فى أوجاعه ، الا بالصبر على الشدائد . الشكر فى الشدة يعين على الخلاص منها » .

التعب

+ **قال الشيخ :**

« من لا يقتنى تعب الرهبنة فلن يقتن فضائلها ، ومن لا يقتنى فضائلها فلن يقتن مواهبها » .

+ **وقال آخر :**

« من أجل المرض لسنا نفلح ، لأننا لانعرف أقدارنا ، وليس لنا صبر فى عمل نبدأ فيه ، ولكننا نريد أن نقتنى الفضائل بلا تعب » .

المرض

+ **قال الأنبا يوسف التبايسى :**

« توجد ثلاثة أمور كريمة امام الله : **اولها** ، ان يؤدى الانسان عملا خالصا لوجه الله ، ولا يرئى فيه بشريا ، **اما ثانيها** ، فهو أن يكون الانسان فى مرضه ، وحين تتواتر المحن عليه ، راضيا شاكرا . **وثالثها** ، فهو وجود الانسان مداوما على طاعة اب روحانى ، عاملا بحسب مشوراته . فبهذه الأمور الكريمة ، يؤهل الانسان لاكليل فاضل ، وانى لذلك أحب المرض ، اذ قيل عن شيخ كان فى كل زمانه يشتكى ، الا أنه فى سنة من سنى حياته وجد غير مشتك ، اذ لم يصبه خلالها مرض ، فمكث تلك السنة حزينا جدا ، وكان يبكى ويقول : « لقد أسلمتنى يا الله ، ولم تتعهدنى بالطعام، الذى كنت قد عودتنى عليه ، من الأمراض التى كنت تجلبها على » .

+ **قال الشيخ :**

« من يخاف من مرض الجسد ، فهو عادم الفضيلة ، واذا انعتق بالكمال من الآلام ، فحينئذ يسير بغير مانع » .

+ **حدث** أن اعتل أخ علة عظيمة ، لدرجة أنه كان يرى من تحته دما ، فصنع له أحد الاخوة طعاما وجاء به اليه ، فلم يذقه ، فألح عليه ذلك الأخ ، أن يتناول منه قليلا بسبب مرضه ، فأجابه : « صدقنى يا أخى ، انى أشاء ، لو أن السيد المسيح يتركنى فى هذه العلة ثلاثين سنة » ، فأخذ الأخ الطعام الذى أحضره وانصرف .

الأمـــاكن

+ **قالت الأم تاؤدوره :**

« ان راهبا كان يسكن فى موضع حار ، فكثرت عليـــه الهوام ، وتعب من ذلك جدا ، لأن لم يكن من ذوى المراتب أو الغنى ، فأتاه الشيطان فى صورة مفتقد ، وقال له : « كيف تستطيع الاقامة ، بهذه القلاية التى تصنع الدود من شدة حرارتها ؟ فقال له : « أما الدود ، فانى أصبر عليه لأفلت من الدود الذى لا ينام . وأما الحر ، فانى أصبر عليه كذلك ، لأنجـــو من نار جهنم ، فان هذين زائلان ، وأما ذلكما فباقيـــان ، وبصبره هذا قهر الشيطان » .

+ **سأل أخ شيخا :** « لماذا أضجر من قلايتى ؟ » .
فقال له : « ذلك لأنك لم تحس بعد بنعيم القديسين وعذاب الخطاة ، ولو عرفت ذلك لصرت بلا ضجر حتى ولو كنت منغمسا فى الدود والنتن فى قلايتك لحد حلقك لأن قوما بسبب ضجرهم يتمنون الموت ، ولا يعلمون شدة الصعوبة عنـــد ملاقاة الله مع خروج القضية اللازمة عليهم ، وشدة العقوبة الحالة بالخطاة » .

ب- احتمال سلبى لآلام الاضطهاد

الشتيمة ـ الاهانة ـ الامتهان ـ الضرب

+ **قال مار اسحق :**

كن مطرودا لا طاردا . وكن مظلوما لا ظالما .

+ **قال قديس :**

متى أحزنك أحد فى شىء ، فلا تنطق البتة الى أن تسكن قلبك بالصـــلاة . ثم بعد ذلك استعطفه .

+ **قال أنبا اغاثون :**

لو أن الغضـــوب أقام أمواتا فما هو بمقبول عند الله . ولن يقبل اليه أحد من الناس .

+ **قال أنبا بيمين :**

عندما كان ايسيذروس قس الاسقيط يعظ الاخوة فى الكنيسة كان يقول لهم : يا اخوتى مكتوب : اغفروا يغفر لكم (لو ٦ : ٣٧) فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوى (مت ٦ : ١٤) .

+ **قال القديس باسيليوس :**

علامة من غلب الشيطان أن يتحمل شر أخيه ولا يدينه .

+ **قال شيخ :**

حامل الأموات يأخذ الأجر من الناس ، وحامل الاحياء أعنى المتحمل ، يأخذ الاجرة من الله .

+ **قال أنبا زوسيما :**

انه يجب على الانسان الشكر لا التحقيق ، ويعتقد فى شاتميه ، ان كان ذا الم وانفعال ، كأطباء يداوون جراح نفسه ، وان كان عديم الانفعال والألم ،انهم محسنون يسببون له ملك السموات .

سؤال : انى أريد ان استشهد من أجل الله .

الجواب : من احتمل رفيقه فى وقت الشدة فذاك أصبح داخل آتون الثلاثة فتية .

الشتيمة

+ **قال أنبا أفراطس :**

يليق بالمتقدمين الى الله أن ينظروا اليه وحده ، ويلتجئوا اليه بتورع هكذا ، حتى لا يعيروا الشتيمة التفافا ، حتى ولو كانوا مظلومين ربوات من المرات .

+ **قالت الأم تاؤدوره :**

حدث أن انسانا سمعته غير جيدة ، شتم أخا عفيفا ، فقال له : « كنت قادرا ان أجيبك بما يوافق كلامك هذا ، ولكن ناموس الهى يغلق فمى » .

+ **قال أنبا تيموثاوس :**

من احتمل عدوه عند شتمه اياه ، فهو قوى وحكيم ، أما من لايحتمل الشتيمة فلن يحتمل الكرامة كذلك ، لأن الشتيمة أقل ضرر من الكرامة .

+ **قيل عن راهب** انه اذا شتم كان يجرى نحو شاتمه ويقول له : اغفرلى .

+ **قال القديس يوحنا ذهبى الفم :**

اذا ما أخطأنا ، فان الله قد ينهض علينا أعداءنا ليؤدبونا ، وعلى هذا فلا ينبغى أن نحاربهم ، بل يجب أن نحاسب نفوسنا ونثقفها ، ولكونه أطلقهم علينا لأجل

خطايانا ، فمتى حاربناهم ، ننصرهم علينا ، ولهذا أمرنا أن لا نكافىء أعداءنا . فلنقبل الامتحانات ، كقبول الأدوية من الحكيم لنخلص . وكقبول التأديب من الأب لنتشرف فلهذا قال الحكيم ابن سيراخ : « أيها الابن ان تقدمت لخدمة ربك . فهيىء نفسك للتجارب » .

+ وقال الطوباوى زوسيما :

ان انسانا أخبره بأنه كان له معلم وديع جدا . وقال انه لعظم فضيلته والآيات التى كان يعملها ، اعتقدت فيه تلك الكورة انه ملاك الله ، فدخل عدونا فى وقت ما فى أحد الناس ، وجاء اليه وشتمه شتيمة كثيرة فى غاية القباحة . بمشهد من الكل ، والشيخ ناظر الى فم شاتمه لا غير ، وقال له : « ان نعمة الله على فمك يا اخى »، فأجابه ذاك : « أيها الشيخ الردىء . يا من كل شيمته أن يقول هكذا . حتى متى تتصنع بذلك أمام الناس ؟ » فقال له الشيخ : « بالحقيقة يا أخى . ماتقوله هو حق » ، وبعد ذلك سأله سائل : « الآن ، أما انزعجب يا راهب ؟ » ، فقال : « لا ، بل كنت أحس فى نفسى بما يثيرها » وكان هذا الطوباوى يقول مرارا كثيرة : « ما قد عرفنا نحن البشريين لا المحبة ولا الاكرام . بل قد ضيعنا عقولنا ، لأنه لو احتمل الانسان أخاه قليلا وقت حرده وغضبه . ثم عاد بعد قليل الى نفسه . وعرف كيف احتمله أخوه ، فانه يضع نفسه من أجله » .

+ وسئل أيضا :

« كيف السبيل للانسان كى لا يحرد وقت شتيمته وتعييره من بعض الناس؟» فقال : « ان ازدرى الانسان بنفسه وحقرها فلن يقلق ولن يضطرب وذلك حسبما قال القديس بيمين : « ان ازدريت بنفسك وحقرتها . فقد أرحت نفسك ونيحتها » .

الاهـــانة

+ قال شيخ :

ان لم يعتقد الانسان فى ظالمه كاعتقاده فى الطبيب فانه يظلم نفسه ظلما عظيما ، فسبيلك أن تتذكر ظالمك كتذكرك طبيبا نافعا لك . مرسلا من قبل المسيح اليك كما يلزمك أن تتألم من أجل اسمه .

+ قال أنبا سيصوى الصعيدى :

صر مهانا واطرح مشيئتك وراءك وصر بلا هم تجد نياحا .

الامتهـــان

+ قال شيخ :

ان لم يكن قد صار عندك الامتهان كالاكرام والخسران كالربح والغربة كالقرابة والعوز كالفضيلة ، فامض واعمل ما شئت .

الضرب

+ **قال أحد الآباء :**

ان شئت معرفة الطريق فعليك بأن تعتقد فى ضاربك كاعتقادك فيمن يحبك ، وفى شاتمك كمن يمجدك وفى ثالبك كمن يكرمك ، وفى مخزيك كمن ينيحك .

+ **أتى اخوة الى الأنبا أنطونيوس وقالوا له** : يا أبانا . قل لنا كيف نخلص . فقال لهم : هل سمعتم ما يقوله الرب ؟ فقالوا من فمك أيها الأب. فأجابهم قائلا : من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر . فقالوا له : ما نطيق ذلك . قال لهم : ان لم تطيقوا ذلك فاصبروا على اللطمة الواحدة . فقالوا له : ولا هذه نستطيع . فقال لهم : ان لم تستطيعوا فلا تكافئوا من يظلمكم .. فقالوا له : ولا هـذا نستطيع . فما كان من القديس الا أن دعا تلميذه وقال له : أصلح لهم مائدة وأصرفهم لأنهم مرضى. ان هذا لا يطيقون وذلك لا يستطيعون ووصايا الرب لا يريدون . فماذا أصنع لهم؟!

م - احتمال ايجابي لالام الشدائد

الشدائد والضيقات ـ الأحزان والتجارب ـ البلايا ـ الصبر

الشـدائد والضيقات

+ **قال مار اسحق :**

ـ لا تكره الشدائد فباحتمالها تنال الكرامة وبها تقترب الى الله . لأن النياح الالهى كائن داخلها ومحب الاصلاح هو الذى يحتمل البلايا بفرح .

ـ توكل على الله وسلم نفسـك له وادخل من الباب الضيق وسر فى الطريق الكربة ، فذاك الذى كان مع يوسف ونجاه من الزانية وجعله شاهدا للعفة . والذى كان مع دانيال فى الجب ونجاه من الأسود ، والذى كان مع الفتية ونجاهم من آتون النار ، والذى كان مع أرميا وأصعده من جب الحمأة ، والذى كان مع بطرس وأخرجه من السجن ، والذى كان مع بولس وخلصه من مجامع اليهود .. وبالجملة

فان الذى كان فى كل زمان وفى كل مكان مع عبيده فى شدائدهم ونجاهم وأظهر فيهم قوته هو يكون معك ويحفظك .

فخذ لك يا حبيب غيرة الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين قبالة الأعداء الخفيين واقتن غيرة الذين ثبتوا قائمين فى النواميس الالهية ، فطرحوا الدنيـا واجسادهم الى ورائهم وتمسـكوا بالحق فلم يهزموا فى الشـدائد التى انتابتهم فى انفسهم وأجسادهم اذ فازوا بالقوة الالهية وكتبوا فى سفر الحياة وأعد لهم ملكوت السموات التى تؤهل لها كلنا برأفته وتحننه تعالى .

+ وقال أيضا :

كما أن الأدوية المسهلة تنقى الكيموسات (١) الردية من الأجساد هكذا شدة الضوايق تقلع الآلام من القلب .

+ قال شيخ :

ان كل انسان يسلم نفسه لشدة بهواه من أجل الله فلى ايمان ان الله يحسبه مع الشهداء ، وذلك البكاء الذى يأتيه فى تلك الشدة يحسبه الله عوض الدم .

+ قال القديس سمعان العمودى :

لا تنحل فى الشدائد لتكون مرضيا لله ، عالما انه لو أراد لرفع عنك الشدة ، واذا لم يرفعها عنك ، فانما يريد نفعك ، فاشكر فى كل حال . كما أن الذهب لا يمكن أن يعمل منه اناء مختار للملك بدون سبك وصياغة ، وكذلك الشمع لا يقبل الانطباع بالصورة الملكية بدون تليين ، هكذا النفس لا تصلح لأن تنقش فيها صورة المسيح الملك بدون أدب كثير ظاهر وباطن ، ورياضة وافرة ، ومحن شديدة .

+ قال أنبا بولا السايح : (٢)

من هرب من الضيقة فقد هرب من الله .

+ قال دوروثيئوس :

من يضجر من شدائد هذا الدهر ، فهو جاهل بشدائد الدهر العتيد ، وافتراق النفس من الجسم ، والصعوبات التى تنالها ، وكيف تنسى تصرف هذا الدهر ، فينبغى لنا أن نذكر الأعمال التى ندان عليها ، بلا نسيان .

الأحزان والتجارب

+ قال مار سحق :

- يا بنى ان أسلمت ذاتك لله ، أسلمت ذاتك لجميع التجارب ، فاصلب ضميرك وأفكارك مقابل الآلام بواسطة عمل الوصايا بتغصب وقسر .

- الذى يماحك قبالة التأديب تبعد عنه المراحم الأبوية . الذى يتذمر مقابل التجارب ، تتضاعف عليه ، الذى لا يتأدب ههنا ، ويمقت التجارب ، يتعذب هناك بلا رحمة .

+ قال أنبا أغاثون :

الذى يجد طريق القديسين ويمشى فيها يسر بالأحزان ، لأن سبيل الخلاص مملوء أحزانا .

---

(١) لعلها من Keeme بالقبطية الصعيدية ومعناها الدهن أو الدسم وبذا تعنى الدهون أو التعفنات أو التفاعلات .

(٢) من المرجح أن يكون القائل هو القديس بولس البسيط تلميذ أنبا أنطونيوس لأن لم يذكر للقديس أنبا بولا قول ما

+ **قال أنبا باخوميوس :**

ـ تقبل كل التجارب بفرح ، عالما بالمجد الذى يتبعها فانك أن تحققت من ذلك فلن تمل من احتمالها . لدرجة انك تطلب من الله أن لا يصرفها عنك .

ـ يا ابنى اذا جعلت توكلك على الله فانه يصير لك ملجأ ويخلصك من جميع شدائدك . ان سلمت كل أمورك الى الله فآمن انه قادر أن يظهر عجائبه لقديسيه .

+ **قال القديس برصنوفيوس :**

لماذا تصغر نفسك فى الأحزان مثل انسان جسدانى ؟ ألم تعلم ان الأحزان موضوعة للقديسين ؟ ، ألم تسمع أن « كثيرة هى أحزان الصديقين ومن جميعها يخلصهم الرب » ؟ ، ألم تعلم أن الصديق يمتحن بالأحزان كما يمتحن الذهب بالنار ؟ .

فان كنا صديقين فبالأحزان نختبر ، وان كنا خطاة فبالأحزان نؤدب . لا تنم يا أخى لئلا يفاجئك الصوت القائل : « هوذا الختن قد أقبل ، أخرجن للقائه » فكيف تقول انك مشغول وهو قد صيرك بلا هم . لن ينتظرك الزمان حتى تنوح على خطاياك ، فانك قد سمعت أنه سوف يغلق الباب ، فأسرع لئلا تبقى خارجا مع الجاهلات . انتقل بفكرك من هذا العالم الباطل الى العتيد ـ اترك الأرضيات واطلب السماويات . دع الباليات واتخذ الباقيات . مت بالكمال لكيما تحيا بالتمام بيسوع المسيح ربنا الذى له المجد الدائم الى الأبد آمين .

+ وحدث أن حزن أخ فسأل **القديس برصنوفيوس** بأن يصلى عليه فأجابه قائلا : يا ولدى ، ان الرب قد صبر الى الصلب والموت ، أما تفرح أنت بالأحزان ؟ لأنه بمضيقات (بأحزان) كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت السموات ، فلا تطلب يا ولدى النياح ، ان لم يعطك اياه الرب ، لأن كل نياح جسدانى هو مكروه عند الله والرب قال : « فى العالم لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم ، والرب يعينك واياى آمين » .

+ **سئل البابا ثاؤفيلس ، من الأم تاؤودوره الراهبة** ، عن الكلمة التى قالها بولس الرسول : « اشتروا الزمان (مفتدين الوقت ...) ، فان الأيام شريرة » ، فقال لها : المقصود بالشراء هنا الربح ، كقولك : اذا ما أهين الراهب زمانا بشتيمة ، فانه يشترى النعمة بالتواضع وطول الروح ، ويأخذ الربح المستحق له ، كما ان زمان الهوان ، يشتريه أيضا بعدم الشر . كذلك اشترى الوقت الحاضر فتربحى ، حتى اذا اتفق مجىء وقت كذب ونفاق ، أمكنك أن تشتريه بالصبر والرجاء ، وهذا هو ربحه . هكذا كل الأشياء تشترى بضدها ، فاجتهدى أن تدخلى من الباب الضيق ، لأن الشجرة لا تستطيع أن تثمر ، ما لم تصلها الرطوبة والأمطار ، فهذا العالم يعتبر شتاء للنفس ، وبغير أحزان وتجارب ، لا يمكننا أن نرث ملكوت السموات » .

+ **قالت الأم تاؤدورة :**

كان انسان راهبا، من شدة التجارب والمحن المتكاثرة عليه . قال : لنمض من ههنا . فبينما هو يلبس نعاله . أبصر رجلا مقابله يلبس نعاله كذلك ، فقال له : الى أين أنت ماض كذلك ؟ أجابه قائلا : الى الموضع الذى أنت ماض اليه ، لأنى من أجلك أنا مقيم فى هذا الموضع . فاذا أردت الانتقال من ههنا . فسوف انتقل بدورى لأنى ملازم لك حيثما سكنت .

+ **قال شيخ :**

فى كل التجارب التى تاتى عليك . لا تلم انسانا ولكن لم نفسك قائلا :« انه من أجل خطاياى لحقنى هذا » .

+ **وقال أحد الآباء :**

كما تنقلع الأشجار من شدة جريان الماء . كذلك محبة العالم تنقلع من القلب من حدة التجارب الحادثة على الجسد .

+ **قال مار افرام :**

ليخطر ببالك أن القديسين كلهم بمكابدة الآلام أرضوا الله ، لأن الأحزان والمحن هى موافقة للانسان ، لأنها تجعل النفس مختبرة وصلبة منتظرة بايمان لا ارتياب فيه . الفداء من لدن المسيح ورحمته .

+ **قال أنبا بيمين :**

نعم التجربة ، هى تلك التى تعلم الانسان .

+ **قال شيخ**

لا تضعف عن مقاومة التجارب التى توافيك . بل اطلب من الله المعونه ، قد سمعنا الله يقول : « أنا معكم فلا تجزعوا » ومن ذلك قد تحققنا انه ليس بقوتنا نقاتل . بل بقوة الله الذى ألبسنا سلاح الظفر وأعطانا الروح القدس .

+ **قال أنبا ارسانيوس :**

اذا وضع قالب من الطوب غير المحروق فى أساس بناء مجاور للنهر فانه لا يسنده ، أما اذا حرق فى التنور فانه يسند البناء كما لو كان حجرا . وهكذا الحال مع الانسان صاحب التفكير الجسدانى الذى لم يلتهب ويحترق بالحرارة كما فعلت كلمة الله فى يوسف فانه لا يقف اذا ما حلت به الفرصة ، فكثيرون اضمحلوا وسقطوا سريعا أمام التجارب ولذلك يجب على الانسان أن يعرف أهمية سلطانه على نفسه واحتمال التجارب التى هى مثل سقوط مياه كثيرة حتى يثبت .

+ **وقال أيضا هذا الطوباوى :**

ان يوسف لم يكن ترابيا بدليل موقفه من التجربة الشديدة فى بلد لم يكن فيها أثر لخوف الله الا أن اله آبائه كان معه فى كل ضيقاته وهو الآن مع آبائه فى السماء.

فلنلح الآن فى الصلاة بكل قوتنا حتى نكون نحن أيضا قادرين على الخلاص من دينونة الله العادلة .

+ **قال القديس مقاريوس الاسكندرانى :**

انه فى يوم من الأيام جلس على باب قلايته فحضر بين يديه رجلا عليه أثمال بالية ، وسجد بين يديه قال : يا أبتاه اسألك أن أكون تحت ظلك ، وآخذ بركة صلواتك المقدسة . وقال له القديس حبا وكرامة . ثم سكن بقرب قلاية القديس وكان فقيرا جدا من أمور العالم ، غنيا بنعمة ملكوت السموات .

وفى احدى ليالى الشتاء القارصة البرد ، وقع ثلج ورعد وبرد شديد ولم يكن له شىء يتغطى به غير قطعة عباءة مخرقة . فتذكر القديس مقاريوس ذلك الراهب وضعف حاله وأخذ عكازه وخرج يفتقده فوقف على باب القلاية وكان الظلام شديدا فسمع صوته من داخل وهو يتهلل ويفرح ويشكر الرب يسوع المسيح ويقول : يا ربى أشكرك اذ وهبتنى هذه النعمة العظيمة الجزيلة والمواهب الجليلة الفاخرة التى هى العافية . يا ربى كم من الملوك والأكابر والسلاطين مقابل أعدائهم الآن ومنهم من كسروا ونهبت أموالهم وأملاكهم ، وأولادهم يباعون ، وقوم منهم علعت حصونهم وقلاعهم وهربوا . وغيرهم فى السجون . وقلوبهم مملوءة أحزانا .

أما أنا يا رب خالى القلب والفكر من جميع هذه الشرور . أشكرك يا ربى يسوع المسيح . وكم من الأغنياء ذوى الأموال الجزيلة فيهم مرضى وبرص وبعلل شديدة ، وغيرهم عيونهم تالفة وبأصناف أوجاع كثيرة لا تنفعهم أموالهم وليس لهم شفاء ويشتهون أن يكونوا مثلى بغير هم .

أشكرك يا ربى يسوع المسيح ، وكم فى السجون الآن ينتظرون قطع أعضائهم ، وربما موتهم وقلوبهم مملوءة هموما وأفكارا . وأنا يا رب بعيد عن كل هذه . أشكرك يا ربى يسوع المسيح . وكم فى العالم من المسجونين فى هذه الساعة ، مثقلين بالحديد لا يستطيعون مد أرجلهم . وأنا يا رب أمد رجلى هكذا ، ثم مد رجليه وقبل الأرض شكرا لله ثم قال : أشكرك يا ربى يسوع المسيح كم من انسان قطعت يداه أو رجلاه ، أما أنا فسالم اليدين والرجلين وسائر الأعضاء . أشكرك يا ربى والهى يسوع المسيح على هذه النعمة العظيمة التى أعطيتنى . ثم قام ليصلى واذا بالمسكن قد أضاء كله من نوره .

فلما رأى القديس العظيم مقاريوس ذلك تعجب من كثرة افراز هذا الانسان وانصرف وهو يسبح الله له المجد .

البلايا

+ **قال شيخ :**

اذا حلت بلية بانسان فان الأحزان تحيط به من كل ناحية لكيما تضجره

وتزعجه ، وبيان ذلك فى أنه كان أخ فى القلالى ، جاءت عليه بلية لدرجة أنه اذا أبصر أحدا ما كان لا يسلم عليه ولا يدخله قلايته ، وان احتاج الى خبز . ما كان أحد يقرضه ، واذا جاء من الحصاد ، ما كان أحد يدعوه للكنيسة لأجل المحبة كالمعتاد ، وحدث أن جاء مرة من ذلك الحصاد فلم يجد فى قلايته خبزا ، ومع ذلك كله ، كان يشكر الله على ما يأتى عليه من الأحزان ، فلما أبصر الله صبره رفع عنه قتال البلية . واذا انسان قد جاء فضرب باب قلايته ومعه جمل موثق خبزا جاءه من مصر ، فبدأ الأخ يبكى ويحزن ويقول : يا رب ، ما أنا بأهل أن تتركنى أحزن قليلا . لكنى يا رب أنا مستوجب لذلك ولست أهلا لشىء من النياح . فلما جازت عنه تلك البلية ، صار الاخوة يأخذونه وينيحونه فى قلاليهم وفى الكنيسة .

+ **قال أنبا بيمين :**

علامة الراهب انما تعرف من البلايا .

+ **سأل أخ شيخا :**

ماذا يصنع الانسان فى بلية تأتى عليه ؟ . فأجابه : ينبغى له أن يبكى قدام الله ، ويطلب منه أن يعينه كالمكتوب : « ان الرب عونى فلا أخشى ، ماذا يصنع بى الانسان » .

+ **قال أحد الآباء :**

قبل البلايا يصلى الانسان لله كغريب فاذا قبلها من أجل حب الله حينئذ يصير من أحباء الله وخواصه المحاربين لعدوه حبا فى رضاه ويصبح كمن وجب حقه عليه .

الصبر

+ **قال أحد الآباء** : « ان لم تهز الريح الشجرة ، فلن تنشأ لها أغصان ، ولن تنم فروعها ، هكذا الراهب ان لم تنله محن . فيصبر شاكرا ، فلن يصر متجلدا ولا شجاعا » .

+ **قال شيخ :** « استعد كل حين لأن نقبل الاتعاب والشدائد مع الضيقات الآتية عليك ، ولا تصغر نفسك ، ويضعف جسدك فتهلك تعبك ، بل اقتن لك صبرا ، وثبت أفكارك قائلا : « ان هذه انما اتت على بسبب خطاياى » ، فان صنعت هكذا ، فان معونة الله ونعمته تدركك سريعا . .

+ **كذلك قيل :** « طوبى لمن يصبر على هذه الثلاثة بشكر وهى : « أن لا يأكل حتى يجوع ، ولا ينام حتى ينعس ، ولا يتكلم حتى يسأل » .

+ **قال مار اسحق :**

ـ أساس تدبير الوحدة ، هو الصبر والاحتمال بالتغصب ، وبهما يبلغ الانسان الى كمال تام ، وهى تصلح قدامه سلما يصعد بها الى السماء .

– بدء تدبير سيرة الصلب هو التغصب ، والانقطاع من كل محادثات الوجوه ، عدى أن يكون بغير اهتمام ، وعدم ذكر كل جيد ورديء ، وبغضة الكرامة ، والصبر بشجاعة على الظلم والعار والهزء ، متمثلين بذلك الذى هزأوا به بالصلب ، ذاك الذى يعطى الحياة للعالم .

– ان كنت مشتاقا لسلامة القلب ، ونياح الضمير الذى هو أثمار شجرة الحياة ، فاخلع من قلبك شجرة تمييز الجيد والرديء ، تلك الشجرة التى أمر مبدأ جنسنا (آدم) ألا يتذوق منها لئلا يموت ، لأنها انما تولد سجسا فى النفس وتقلع السلامة من القلب .

+ قال القديس مقاريوس الكبير :

ان طول الروح هو صبر . والصبر هو الغلبة ، والغلبة هى الحياة ، والحياة هى الملكوت ، والملكوت هو الله سبحانه وتعالى . البئر عميقة ولكن ماءها طيب عذب . الباب ضيق والطريق كربة ولكن المدينة مملوءة فرحا وسرورا . البرج شامخ حصين ولكن داخله كنوز جليلة . الصوم ثقيل صعب لكنه يوصل الى ملكوت السموات . فعل الصلاح عسير شاق ولكنه ينجى من النار برحمة ربنا الذى له المجد .

+ قال أنبا باخوميوس :

ما أكثر فخر الصابرين على التجارب !

جميع المعلمين والآباء والكتب المقدسة تأمر بالصبر الكثير وتحث عليه فكن صبورا وتجلد لأن القديسين صبروا فنالوا المواعيد . كن واسع القلب لتكلل مع عساكره الأطهار . داوم على الصوم وصل ولا تمل واصبر للبلايا حتى يرفعها الرب عنك . وانظر لأى درجة حتى اللعاب الذى ييبس فى فمك وأنت صائم لا ينساه الله . وتجد ذلك عند شدتك فى وقت انتقالك .

+ قال القديس برصنوفيوس :

احلب لبنا فسوف يصير سمنا ، فاذا ضغطت بيديك على الضرع أخرج دما ، وأيضا قال الرسول : « صرت مع الكل مثل الكل لأربح الكل » .

هذه هى طريق المسيح لأنه بكل وداعة وسكون جاء ليخلص الناس ، فلا يقارع الانسان فكرة قريبة ، اذا لم يكن الانسان متجلدا صبورا فلن يستطيع أن يكون مع الناس فى هدوء وسلام . اتعب لتقتنى الصبر ، لأنه مكتوب هكذا : « بصبركم تقتنون أنفسكم » .

سابعا

الهدوء

١ ــ سكون الفكر :

(أ) حفظ الحواس

(ب) جمع العقل

(جـ) الهذيذ

(د) الاتضاع

(هـ) الصوم والسهر

٢ ــ سكون الجسد :

(أ) ضبط اللسان

(ب) الصمت

(جـ) عدم الخلطة

(د) التجرد

٣ ــ سكون القلاية :

(أ) الجلوس فى القلاية

(ب) الحبس

(جـ) الاستمرار

الهدوء

+ مرة أتى **أنبا ارسانيوس** الى مكان به قصب فتحرك من الريح ، وقال الشيخ للاخوة : ما هذا الزلزال ؟ . قالوا له : ان هذا قصب يا أبانا .

قال الشيخ : ان من كان جالسا فى سكون وهدوء وسمع صوت عصفور فلن يكون لعقله نياح . فكم بالحرى اذا سمعتم هذا الزلزال من القصب .

+ **قال شيخ :**

ان أفضل شىء هو السكون . والرجل الحكيم هو الذى يحب السكون والهدوء .

+ **وقال آخر :**

السكون **يجلب النوح** ، والنوح يجلب البكاء ، والبكاء ينقى الانسان من كل خطية .

+ **كذلك قيل :**

اقتن السكون بمعرفة .

+ **وأيضا قيل :**

ينبغى للراهب أن يشترى السكون لنفسه بما عز وهان ، ولو أدى ذلك الى اصابته بخسارة جسدانية .

+ **قالت الأم تاؤدوره :**

حسن للانسان ان يسكن ، لأن الرجل الحكيم شيمته السكون ، وهذا هو بالحقيقة عون العذارى والرهبان ، ولا سيما للشبان منهم ، لأنى اعلم حقا أنه اذا اقتنى الانسان فى نفسه السكون فللوقت يجلب عليه الشيطان مللا ، وثقل رأس ، وصغر نفس ، وضعف جسد ، وانحلال فى الركبتين ، وكل الأوصال ، واذ تنحل قوى النفس والجسد ، فيحتج بأنه عليل لا يقدر أن يتمم صلاته ، حتى اذا فرغ من الصلاة ، زال هذا كله . وذلك لأنى أعرف انسانا راهبا كان اذا اعتزم أن يبدأ صلاته تأخذه حمى وقشعريرة مقرونة بآلام شديدة فى رأسه ، حتى انه كان يتوهم بأنه عليل ، أما هو فكان يقول لنفسه : « يا شقى لعلك تموت هذه الساعة ، فاغتنم صلاتك قبل موتك » ، وبهذا القول كان يلزم نفسه ويتمم صلاته ، وبمجرد فراغه من الصلاة تسكن عنه الحمى ، وتقف الآلام والقشعريرة ، لكنه اذا

عاد الى الصلاة عادت اليه الحمى والأوجاع وهكذا . فكان بهذا الفكر يقاتل ويغلب، ويتمم صلاته حتى خلصه الرب ، وصار له صبره اكليلا الهيا .

+ **قال شيخ :**

ان الهدوء هو أول زكاوة النفس ، لأن اللسان حينئذ لا يتكلم بكلام الناس ، والعينان لا تنظران الجمال والحسن المنحرف عن الواجب ، والآذان لا تسمعان الأصوات اللذيذة التى ترخى قوة النفس ، مع كلام الضحك واللعب ، والقلب لايتبدد بالعلل البرانية ، ولا الحواس تنصب الى العالم ، ولكنه يرفع نفسه ويهتم بالله .

+ **سأل أخ الأب روفس :** ماهو السكون ؟

فأجابه الشيخ قائلا : هو الجلوس فى القلاية بمعرفة ومخافة الله ، والامتناع عن ذكر كل شر ، والمداومة على حفظ ذلك تلد التواضع وتحفظ الرهبان من العدو .

وعند نياحته اجتمع اليه تلاميذه قائلين : كيف يجب أن نتدبر من بعدك ؟

فأجابهم الشيخ : لست أعلم انى قلت لأحد منكم قط أن يصنع شيئا ، قبل أن أصلح الفكر أولا ، ولم أسخط اذا هو لم يصنع حسبما قلته له ، وهكذا قضينا كل زماننا بهدوء .

فقال له الشيخ : ان السكون أفضل . ثم قال له : لو أنك ملأت جرة بحشرات ضارة ، وسددت فوهتها ، ألا تموت جميعها ؟ ولكنك لو تركت فوهتها مفتوحة فان الحشرات سوف تخرج وتضر من تصادفه ، هكذا الذى يسكن ، فجميع الأفكار الرديئة التى بداخل قلبه تموت .

+ **قال يوحنا ذهبى الفم :**

- السكون نمو عظيم للانسان ، ونياح لنفسه .
- السكون يعطى القلب عزلة دائمة .
- السكون يجلب الدعة مع كل انسان .
- السكون يبعد الغضب .
- السكون قرين النسك .
- السكون يولد المعرفة .
- السكون يحرس المحبة .
- السكون لا يوجع قلب انسان ، ولا يشكك أحدا .
- السكون يعمل عمله بلا تقمقم .
- السكون يحفظ شفتيه ولسانه ، فلا يبقى فى قلبه شىء من الشر .

- السكون هو كمال الفلسفة ، فمن يعيش بالسكون فانه يستطيع أن يتمسك بجميع الحسنات الأخرى .

- الملازم للسكون بمعرفة قد ختم بخاتم المسيح ، والحافظ اياه بلا شك يرث ملكوت السموات .

+ **قال مار افرام :**

يا أخى تفكر بأن ربوات الأقوال نهايتها السكون ، فمحب السكون لا يتألم بشىء من أمور الدنيا .

+ **قال مار اسحق :**

ان الجوهر يصان فى الخزانة ونعيم الراهب يصان فى السكون والهدوء . ان العذراء لتتأذى بالمجامع والمحافل ، كذلك فكر الراهب تضره المحادثة مع كثيرين ، والنظر اليهم . ان الطائر يسارع الى وكره بعيدا عن كل مكان ، وذلك ليفرخ . كذلك الراهب ذو الافراز يبادر الى قلايته ، ليصنع فيها ثمرة الحياة .

السحاب يحجب نور الشمس ، والأقوال الكثيرة تبلبل النفس . الشجرة ان لم تسقط أولا الورق العتيق فلن تأت بأغصان جديدة . كذلك الراهب ، ان لم يرم من قلبه وكر الأمور والأعمال السالفة ، ويبعد عن ملاقاة الكل ، فلن يقدم ليسوع المسيح أثمارا جديدة .

+ **سأل الاخوة شيخا** : ما معنى قول **القديس انطونيوس** : من يجلس فى البرية قد أراح نفسه من ثلاثة حروب ، تلك التى تصدر عن طريق السمع والكلام والنظر ؟

فأجاب الشيخ : لم يقل الشيخ أنطونيوس هذا لان جهاد الساكن فى الخلوة الروحية فى البرية أقل عنفا من جهاد الطائف فى العالم والمختلط بالناس ، ولكنه أراد أن يبين كم شديدة ومجهدة هى حرب الشياطين فى قلب الانسان المقيم فى الخلوة الروحية عنها فى قلوب أولئك الساكنين مع اخوة . من أجل ذلك سعى الآباء الى حياة التأمل فى السكون حتى لا تتحد عليهم حروب الكلام والسمع والنظر مع تلك القائمة فى قلوبهم فتغلبهم شدتها مثلما حدث مرة حين جاءت الى الاخوة المقيمين فى السكون امرأة فزادت على الحرب الكائنة فى قلوبهم حروب النظر والسمع والكلام وكادت تعصف بهم شدتها لولا أن تداركتهم عناية الله .

ولقد أوضح **الطوباوى أوغريس** كيف أن حرب حواس الروح مع الرهبان المقيمين فى السكون أشد عنفا من حرب حواس الجسد بقوله : ان الشياطين تحارب الساكنين فى السكون عيانا واما مع المباركين المقيمين فى حياة المجمع فانها تحرك

وتثير الاخوة المتهاونين وبذا تكون حرب النظر والسمع والكلام أقل منها مع الساكنين فى الوحدة .

+ قال القديس مقاريوس الكبير :

ـ الوحدة هى حفظ العينين والأذنين واللسان والاشتغال بالقراءة والصلاة .

ـ الوحدة هى مرآة تبين للانسان عيوبه .

+ سأل أخ **الأب مقاريوس** عن الوحدة فأجاب الشيخ : ان كنت حقا تريد السكنى فى الوحدة فاصبر لها ولا تؤد عملك يوما فى الداخل ويوما فى الخارج ، ولكن اصبر لها باتضاع والله الصالح يؤازرك . لا توجد سببا للخروج عن الوحدة حتى ولا ليوم واحد . بل اثبت فى مسكنك لتذوق حلاوتها ، ولا تبطىء خارجا لئلا تجذب اليك المضاد وتتجدد عليك أتعابك وتحرم من الصبر ، لا تبطىء خارج قلايتك لئلا تجد أتعابك قدامك عند رجوعك فتتعب جدا فى حربك ويصعب انتصارك .

يا رجل الله حتى متى تدوم لك هذه الأتعاب . اصبر للمسكنة وعزاء الوحدة يأتيك من قبل الله ، لا تضيع يوما واحدا لك ونعمة الوحدة وحلاوة المسكنة تصيران لك عزاء ويعطيك الله سعادة فى مسكنك .

+ **قال القديس برصنوفيوس :**

« انسان ساكت يجب عليه ألا يحسب نفسه شيئا ، بل عليه أن يلومها دائما . اذا انزلق الجاهل فى كلامه فله عذر من الكل ، لأنه سفيه لا يدرى ما يتكلم به ، ولكن اذا انزلق الحكيم فليس له عذر ، لأنه حكيم وبمعرفة يتكلم ، وكذلك اذا أخطأ واحد من العالميين وكان له عذر لأنه يخالط الكثيرين فى العالم . فأما نحن الذين يظن بنا أننا رهبان أصحاب سكوت ومعلمون ، فأى عذر لنا » .

ان كنت تريد السلوك فى طريق الله فليكن عندك الذين يضربونك مثل أولئك الذين يكرمونك ، ومهينوك مثل مادحيك ، والمفترون عليك مثل مباركيك ، ومحزنوك مثل مفرحيك . وان عرض للاخوة ـ اما من نسيان أو من سهو ـ فلم يعاملوك بما كان ينبغى أن يعاملوك به من الجميل قل : لو شاء الله ذلك لكانوا قد فعلوه بى ، وان هم أتوك فاقبلهم بسرور وقل : انى غير مستحق ، ودع عنك تزكية نفسك ، أما ان كنت تقول انك حسنا قلت وحسنا فهمت فلا حسنا قلت ، ولا حسنا فهمت .

كرامة السكون وافضليته على جميع الاعمال

+ **قال القديس يوحنا القصير :**

السكون أفضل من جميع الأعمال لأنه بدوامه تهدأ الافكار وتموت المشيئة

وينقطع تذكر الأمور الباطلة وحركة الأوجاع القاتلة الجسمانية منها والنفسانية .

فالجسمانية هى : « لذة الفم ـ شره البطن ـ شهوة الطبع ـ تنزه الحواس ـ الاسترخاء ـ النوم ـ الزنى » .

أما النفسانية فهى : « الجهل ـ النسيان ـ البلادة ـ قلة الأمانة ـ الحسد ـ الشر ـ السبح الباطل ـ العجب ـ الكبرياء ـ قلة القناعة » .

هدوء الجسد هو حبسه عن الدوران ، وهدوء النفس هو الابتعاد عن الجهل ومن النظر للوجوه ـ فان الجهلة يشغلوننا بباطلهم ويجرونا الى عوائدهم ويسخروننا لنواميسهم ، لأنهم يرونها حسنة ولكنها تقطعنا عن حياتنا .

لذلك ليس شىء أفضل من التباعد والسكون لأن بدونها لا يقدر الانسان أن يعرف نفسه .

+ قيل عن **أنبا يحنس** الذى كان من أسيوط ، أنه أقام ٣٠ سنة فى مغارة ، ضابطا السكوت ، والباب مختوم عليه ، وكانوا يعطونه حاجته من طاقة ، والذين كانوا يأتون اليه ، كان يكتب لهم ويعزيهم ، فحدث مرة ان أربعة لصوص نظروا كثرة الجموع التى كانت تأتى اليه ، لأن الله قد منحه موهبة الشفاء ، فظنوا أن عنده أموالا فى مغارته ، فأتوه بالليل لينقبوا باب المغارة ، فضربوا بالعمى جميعا ، وظلوا هكذا واقفين خارج المغارة الى الصباح ، حيث أتى الناس وأمسكوهم وأرادوا أن يسلموهم للوالى فيقتلهم ، فتكلم معهم القديس قائلا : « ان لم تتركوا هؤلاء الناس ، فنعمة الشفاء تذهب عنى ، فتركوهم ، وهذه هى الكلمة الوحيدة التى خرجت من فمه خلال مدة الثلاثين سنة » .

عمل السكون

الصوم ، السهر ، الهذيذ الصالح ، أتعاب الجسد بقانون حكيم فى المقدار والترتيب ، وبدوام ذلك يجتمع العقل الى نفسه ويرجع عن الدوران فيما هو خارج عنه . وبعد قليل يبتدىء فى أن يصحو لنفسه ويتصور حسنه ويشرق عليه ضوء الرب وينظر الاله خالقه كرازق ويفرح بولادته ويعود من سبيه ويحيا من موته ويستريح من الأوجاع ويعتق من الظلمة ويخلص من عدوه الشرير .

١
سكون الفكر

شروطه :

(أ) حفظ الحواس

+ **قال شيخ :**

« ينبغى للمتوحد فى قلايته أن يكون له افراز ومعرفة وحرص وتيقظ ، كما يكون ضابطا لحواسه حافظا لعقله ، لا يفكر فى انسان ، ولا يفتر فى الصلاة والقراءة » .

+ **قال القديس يوحنا القصير :**

« كن ظاهرا مترتبا فى لبسك . ليكن نظرك مطرقا الى أسفل وفكرك فوق عند ربك . لا تملأ عينيك من وجه انسان ولكن بتهيب وخوف تبسط نظرك . كن شبه عذراء زكية واحفظ نفسك للمسيح ولا تشته الأصوات مثل الأحداث » .

+ جاء عن **الأب الاديوس** أنه أقام بالاسقيط ٢٠ سنة بقلاية ، لم يرفع عينيه لينظر سقفها .

+ وقيل عن **الأم سارة** « انها كانت ساكنة فوق النهر ٦٠ سنة لم تطلع البتة لتنظره » .

+ **وقال شيخ :** « تحفظ من النظر والحديث ، لأنهما أسباب الخطية » .

+ **وقال آخر :** « الانسان المنتبه يستطيع أن يحفظ الانسان الجوانى ، فلنجاهد كى نحفظ انساننا » .

+ **قال أنبا افرآم :**

« ان أحد الاخوة سأل أخا له قائلا : ان الأب أمرنى بالمضى الى المخبز لنخبز خبزا برسم الاخوة ، ولما كان عمال المخبز علمانيين يتكلمون بما لا يليق ، فلست انتفع من سماع ما يقولونه ، فماذا أصنع ؟ » .

فأجابه قائلا : « أما رأيت فى المكتب (الكتاب أو المدرسة) صبيانا كثيرين ، وكيف أن كل واحد منهم يقرأ مالا يقرأه رفيقه لعلمه أن معلمه يطالبه فقط باتقان مايختص به ولا يطالبه باتقان مايختص بغيره » .

فان كنت أنت تنهزم للآلام بمجرد سماعك فظيع الكلام ، فاستمع لقول القائل : « امتحنوا سائر الأشياء وتمسكوا بأحسنها » .

+ **وقال أيضا :** « وما لنا وللعالم ، ما لنا بمعاملاته ؟ نحن قد متنا عن العالم ، كل منا بأكلة يسد جوعه ، وأيدينا تساعدنا على خدمة جسدنا بمعونة الله لنا ، لأنه قال : لا يوجد متجند يقوم بنفقة نفسه بانشغاله فى أمور الحياة ، اذ كيف يستطيع ـ وهو مشغول ـ أن يرضى قائد الجيش ومليكه » .

(ب) جمع العقل

+ **قال القديس يوحنا القصير :**

ـ ان فكر الانسان آنية لله وله الاستطاعة ان يقطعه كى يمكنه أن يجلس فى القلاية . اما أن جعله الانسان وعاء لحديث العالم فلن يستطيع أن يجلس فى القلاية .

ـ اذا مشيت لا تدع عقلك يدور ولكن ليكن متجمعا قدامك .

ـ لتكن نفسك متيقظة لخدمة الله وليكن عقلك متجمعا عند ربك .

+ **سئلت القديسة ثيئودورا :**

كيف يمكن للانسان أن لا يقبل حديث العلمانيين وان يكون عقله مع الله فقط كما كتب ؟

فقالت : يشبه هذا انسانا جالسا على مائدة وعليها أطعمة كثيرة . فان أكل منها بسهوه ورغبة اثم ، وان لم يأكل منها بسهوه ورغبة فليس عليه ذنب فيما يأكله . وهكذا كلام العلمانيين اذا سمعته ويكون قلبك معك ، ولا تسمعه بلذة فما يضرك شيء .

+ **سئل شيخ :**

« كيف ينبغى للمتوحد أن يسكن فى قلايته ؟ » .

فقال الشيخ : « ليكن له عدم اهتمام بذكر انسان اصلا . ويحفظ عقله من الطياشة ، كما يذكر الله دائما » .

+ **وقالت القديسة سفرنيكى :**

« قد يمكن أن يكون الانسان مع كثيرين وهو منفرد بالضمير والهمة والنية ، وقد يكون الانسان وحده وهو منصرف بالذهن مع الكثيرين » .

+ **قال الأب أوغاريتوس :**

« اذا كنت جالسا فى قلايتك فاجمع عقلك . واذكر يوم خروجك من الدنيا ، وتفطن فى موتك ، وتفهم التجربة التى تحل بك . والزم التعب لترضى الله ، واحتقر أمور هذا العالم الباطل ، ليمكنك أن تكون فى الصمت دائما ، ولا تضعف .

واذكر أيضا يوم القيامة ولقاء الله ، وذلك الحكم المفزع ، وما ينال الخطاة من الخزى أمام الملائكة والقوات وجميع الخلائق ، واذكر الجحيم ، وفكر فى الأنفس التى تصير فيه ، وأى مرارة هناك ، وأى فزع وضيق يقاسيه الخطاة ، بلا منفعة من ذلك البكاء النفسانى الذى ليس له انقضاء ، والعذاب الدائم فى النار التى لا تطفأ ، والدود الذى لا ينام ، والظلمة القصوى وصرير الانسان ، واذكر أيضا الخيرات المعدة للقديسين ، والفرح الدائم فى ملكوت السموات ، والنعيم الأبدى ، وكن دائما متذكرا الفريقين ، أما على الخطاة فابك ونح ، وجاهد الا تصير الى ما صاروا اليه ، وافرح بما أعد للصديقين ، واحسد سيرتهم وأعد نفسك لتدرك ما أدركوه ، أنظر ، لا تنس ذلك ، اذا كنت داخل قلايتك أو خارجها ، لكيما تقاتل الأمراض الردية بهذه الذكريات العتيدة » .

(جـ) الهذيذ

+ قال مار اسحق :

الهذيذ بأمور كثيرة ، غذاء للنفس ، سواء كان صالحا أم طالحا أم خليطا منها . الهذيذ بالواحد هو الانحلال من الكل ، والانحلال من الكل هو الارتباط بالواحد .

+ قال القديس يوحنا القصير :

- كن عاقلا فى تدبيرك واهتم بقراءة الكتب لكى تعلم كيف تكون مع الله .

- لا تختر أن تكون متعب الجسد فقط وفكرك فى الباطل . لأن هذا ليس وحده المطلوب منك ولكن أفرج تدبيرك بقدر ساعة قراءة وساعة صلاة وساعة عمل .. لكى تضىء من القراءة .

وفى صلاتك ليس القيام الظاهرى فقط هو الذى يريده الرب ولكنه يريد الفكر الحكيم الذى يعرف كيف يدنو الى الكمال .

- داوم على قراءة كتب الأنبياء لأنك فيها تعلم عظمة الله وأفعاله وعدله وقوته . وادرس كتب المبشرين بالجديدة (العهد الجديد) لأنك منها تعلم رحمة المسيح وخيريته (فضله) ونعمته .

- الزم القراءة أفضل من كل عمل لانه ربما دار العقل فى الصلاة ، أما القراءة فانها تجمعه .

+ قال شيخ :

« الترتيل وطول الروح والرحمة تسكن الغضب » .

(د) التواضع

+ مرة قال القديس يوحنا القصير للاخوة :

« من باع يوسف ؟ » فقالوا له : « اخوته » فقال : ليس اخوته ولكن اتضاعه هو الذى باعه . لأنه كان قادرا أن يقول للذى اشتراه انه أخوهم لكنه سكت وباتضاعه بيع ، وبذلك الاتضاع صار مدبر ملك مصر .

+ وقال أيضا :

- يجب قبل كل شيء أن نقوم بالتواضع لأن هذه الوصية هى الأولى ، التى قال ربنا عنها : (طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات) لأن آباءنا اذ كانوا يفرحون بشتائم كثيرة ، دخلوا الى ملكوت السموات .
- الاتضاع وخوف الله هما أعظم جميع الفضائل .

+ سأل أخ الأب سيصوى قائلا :

« اذا مشينا فى طريق ، وضل مهدينا فهل ينبغى أن ننبهه ؟ » فقال له الشيخ : « لا » .

قال الأخ : « هل نتركه اذن يضلنا ؟ » .

فأجابه الشيخ : « وماذا نعمل اذن ، انأخذ عصا ونضربه ؟ انى أعرف اخوة كانوا قد ضلوا ، فجاهد كل واحد منهم ألا يتكلم ، فلما أضاء النهار ، علم مرشدهم بأنه قد ضل الطريق . فقال : « اغفروا لى قد ضللت الطريق » ، فقالوا له كلهم : « لقد علمنا ، ولكننا سكتنا » . فلما سمع ذلك تعجب ، وقال : « ان اخوتنا تمسكوا حتى الموت على ألا يتكلموا » وسبح الله ، وقد كانت مسافة الطريق التى مشوها ١٢ ميلا .

+ وحدث لما كان **القديس اورانيوس** مبتدئا . انه مضى الى أحد الشيوخ ، وطلب منه كلمة فأجابه الشيخ : « ان آثرت الخلاص ، فاذا اتفق وجودك عند انسان فلا تبتدىء أنت بالكلام من قبل ان تسأل » . واذ ادرك معنى الكلام ، ندم وصنع مطانية للشيخ وقال :

« لقد درست كتبا كثيرة ، ولكن مثل هذا الأدب لم أعرف بعد » ، وانطلق بسلام منتفعا .

+**ثلاثة شيوخ** كانت لهم عادة فى كل سنة ان يمضوا الى الأنبا انطونيوس . فكان اثنان منهم يسألونه عن الأفكار وعن خلاص نفسيهما . أما الثالث فلم يسأله زمانه كله عن شيء البتة . وبعد زمان طويل قال له الطوباوى : هذا الزمان كله تجيء عندى وما سألتنى عن شيء . أما هو فقال له : يكفينى نظرى اليك يا أبى .

(هـ) الصوم والسهر

+ **قال القديس يوحنا القصير :**

– اذا اراد ملك أن يأخذ مدينة الأعداء فقبل كل شىء يقطع عنهم الشراب والطعام وبذلك يذلون فيخضعون له ، هكذا أوجاع الجسد ، اذ ضيق الانسان على نفسه بالجوع والعطش ازاءها فانها تضعف وتذلل له .

– ومرة سألوه : ما هو عمل الراهب ؟ فقال :
تعب الجسد وضيق البطن وغلبة الارادة .

+ **وقال أيضا :**

– ان الأسد شجاع مهاب ولكنه من أجل شهوته ورغبته يقع فى الفخ ، فتبطل قوته ويصير هزءا للناس ، كذلك الراهب اذا فقد قانونه وتبع شهوته أهلك وقاره وصار هزءا لكل أحد . فيجب على الراهب كل يوم ، اذا قام بالغداة أن يتخذ لنفسه وصية الهية وأن يقتنى طول روح واحتفاظا من القلب وصلاة دائمة مع طهارة لسان ، وأن يجعل نفسه تحت كل الخليقة بالابتعاد عن كل الهيوليات .

– من امتلأ من الطعام وتحدث مع صبى فقد زنى معه بفكره فاختر السهر أفضل من الأعمال وذلك مع الصوم . لأن السهر يضىء العقل ويقلل الأحلام ، والصوم يذل الجسد وهو معين أكثر من كل الأعمال .

٢

سكون الجسد

(أ) ضبط اللسان

+ **من أقوال الشيخ الروحانى :**

– فم العفيف يتكلم بالطيبات ، ويلذذ صاحبه ، ويفرح سامعيه ، من كل كلامه مرتلا وعفيفا ، وهو طاهر بقلبه ، فهو ابن ميراث المسيح ، ومن كان كلامه بقلق ومعكر بالحرد ، فهو شيطان ثان .

– فم الطاهر النفس يتكلم كل ساعة على خالقه ، ومن يسمعه يفرح ويقتدى به . فم الجاهل يفيض مرارة ، ويقتل صاحبه ، ويسكر الذين ينصتون له ، وما أوفق ذلك اللقب الذى أعطاه له سليمان ، اذ لقبه بالخنزير ، يارب خلصنى من لقائه .

– من يكثر كلامه ، ويرفع صوته ، هو ناقص الرأى . الذى يلطف كلامه ويتماكر ليضر هو شيطان ثان . من يصنع صلحا بين الحرودين ابن الله يدعى ، ومن

يسجس ويعكر ويوصل كلاما شريرا من واحد الى واحد ؛ هو رسول الشيطان، وهذا تبيده النار .

– من يحذر بلسانه ، فلن يسلب كنزه منه الى الأبد . فم الساكت يترجم أسرار الله ، ومن يتكلم بسرعة ، يبعد عنه خالقه . من يستهين بذاته ويرذلها ، يتحكم من الله ، ومن يحسب نفسه حكيما ترنفع منه حكمة الخالق ، من اعتاد كلام اللعب مفرجا عن جسده ونفسه ، فذاك زان ومن يستأنس به فهو فاسق .

+ **سأل أخ الأب بيمين قائلا** : « أريد أن أدخل الى كنونيون وأسكن فيه » .

فقال له الشيخ : « ان شئت سكنى الكنونيون . فان لم تعتق نفسك من هم كل محادثة ، وتبتعد عن سائر الأشياء ؛ فلا يمكنك سكنى كنونيون لأنه لن يكون لك هناك سلطان الا على عصاك » .

+ **قال الأب أنطونيوس** :

« ان خطايا الأبرار على شفاههم ، أما خطايا المنافقين فهى فى جميع أجسادهم ، من أجل ذلك يقول النبى : ضع يا رب حافظا على فمى وبابا حصينا لشفتى » .

+ **قال الأب أوغاريتوس** :

« ليست الحاجة ماسة الى كثرة الكلام . لأن كثرة الكلام غريزة فى الناس ، انما الحاجة ماسة الى العمل » .

+ **قال قديس** :

« اذا حزن انسان ، فاضطرب ولم يتكلم ؛ فهو مبتدىء فى الفضيلة . وليس من الكاملين بعد ، أما الكامل فهو ذاك الذى لا يضطرب أصلا ، كالنبى القائل « استعديت(١) ولم اضطرب » . فيا ليتنا نكون من المبتدئين . لنستمد من الله المعونة » .

+ **قال أنبا بيمين** :

« من يضبط فمه فان أفكاره تموت . كالجرة التى يوجد فيها حيات وعقارب وسد فمها (فوهتها) فانها تموت » .

+ **قال شيخ** :

« احذر بكل قوتك أن لا تقول شيئا يسهل اللائمة ولا تحب التصنيع » .

+ **كذلك قيل** :

« انى سألت انبا شيشاى : هل الهروب نافع للراهب ؟ فجعل اصبعه على فمه وقال : ان حفظت نفسك من هذا يابنى ، فهذا هو الهروب » .

---

(١) بضم التاء جعلونى عدوا لهم . ولم اضطرب .

+ **قال الأب ايرايس :**

« من لا يقدر أن يضبط لسانه وقت الغضب فلن يقدر أن يغلب حتى ولا صغيرة من صغار الآلام » .

+ **وقال أحد الآباء :**

« اذا ذكر الانسان الكلمة المكتوبة : « انه من كلامك ندان ، ومن كلامك تتزكى » ، فانه يختار لنفسه السكوت » .

+ **قال أنبا يوسف لأنبا بيسير :**

« انى لا أقدر أن أضبط لسانى » ، فقال الشيخ : « واذا تكلمت فلن تستريح » .

+ **قال شيخ** : « لتصنع مسرته ، اضبط لسانك لئلا تقول كلاما يغضب الله » .

+ **قال مار افرام :**

- من يكثر أقواله ، يكثر لنفسه الخصومات والبغضاء ، ومن يحفظ فمه يحب .
- ان أحببت الصمت ، ستقطع سفينة حياتك مسيرها بسكوت .
- مثل الماء للسمك ، هكذا السكوت للراهب ، بتواضع قلب ومحبة .

+ **قال شيخ :**

« ان اللسان مملوء نارا ، وهو يدنس جميع الجسد ، فالذى يحب حياته ، فليشفق على لسانه ، اخرس شفاهك يا رجل الله والجم لسانك كى تنتفع بجميع أتعابك ، فالذى يحفظ لسانه ، له كرامات كثيرة فطوبى لمن يسود على لسانه ، فان اهراءه تمتلىء من الخيرات » .

+ **وقال آخر :**

« ان كان لسانك غزيرا بحركاته ، فقد انطفأت من قلبك الحركات الطاهرة أما ان كان لسانك ساكنا وقلبك يغلى بالحركات الطاهرة ، فطوباك ، لأن حركته بالروح ترفعك الى هدوء الحياة ، سكت لسانك ليسكت قلبك ، وسكت قلبك ليتكلم فيه الروح » .

+ **سأل أخ شيخا :**

« يا أبى انى أشتهى أن أحفظ قلبى » فقال له الشيخ : « كيف يمكنك أن تحفظ قلبك ، وفمك الذى هو باب القلب مفتوح سايب » .

+ **سأل أخ الأب ماطوس :**

« ماذا أصنع فان لسانى يغلبنى ، وفى كل وقت أحضر بين الناس لا أستطيع ان أضبطه ، وتجدنى أدينهم على كل فعل ردىء » .

فأجابه الشيخ قائلا : « ان كنت لا تستطيع ضبط لسانك فاهرب منفردا لأن هذه الحالة ناتجة عن ضعف ، فالذى يريد أن يجلس مع الأخوة ينبغى الا يكون ذا أربعة قرون بل يكون مدورا ، حتى يمكنه التدحرج نحو الكل » .

+ سئل القديس باسيليوس :

« ما هى الكلمة التى تعطى عنها جوابا » فقال : هى تلك التى ليست للبنيان ، كقول الرسول : كل كلمة قبيحة لا تخرج من أفواهكم ، بل الكلمة الصالحة التى تكون للبنيان ، وتعطى نعمة للذين يسمعونها » .

+ سأل اخ الأب لوقيوس :

« أريد أن أتغرب » قال له الشيخ : « ان لم تضبط لسانك فى أى موضع مضيت اليه فلست بغريب ، أما اذا ضبطت لسانك ههنا فأنت غريب » .

+ بينما كان **بعض الاخوة** مجتمعين ، يتكلمون عن الروحيات ، نظروا ملائكة قد اقتربوا منهم ، وكانوا فرحين معهم ، ولكنهم لما تكلموا كلاما غير نافع ، ابتعدت عنهم الملائكة ، واقتربت منهم الشياطين » .

+ قال انبا اغاثون :

« اذا كان الانسان الداخلى متيقظا ، فهو يستطيع أن يحرس الانسان الخارجى أيضا ، أما ان لم يكن هكذا ، فلنحرص على اللسان بكل وسيلة فى استطاعتنا » .

(ب) الصمت

+ قال مار اسحق :

ـ ان أردت أن تعرف رجل الله ، فاستدل عليه من سكوته ومن بكائه ومن انقباض نفسه على ذاته ، وان أردت أن تعرف الرجل السائب القلب ، فاستدل عليه من كثرة كلامه ، ومن تخبط حواسه ومن مقاومته لكل شىء ، يقول ويريد ان يغلب .

ـ قوة الجسد المآكل ، وغذاء النفس الكلام والحكايات ، وكما أن شره كثرة الحكايات هو رغبة النفس ، هكذا السكوت هو ثمرة الحكمة المزمعة .

ـ ان كنت محبا للحق ، فكن محبا للصمت ، لأنه كمثل الشمس يجعلك الصمت تنير بالله ، ويخلصك من تخاتل المعرفة ، والسكوت يجعلك فى عشرة مع الله .

ـ الذى يحب الحديث مع المسيح يجب أن يكون وحده ، والذى يريد أن يكون مع كثيرين فهو محب لهذا العالم .

ـ ان كنت تحب التوبة ، فأحب السكوت لأنه بدونه لن تكمل التوبة ، ومن يقاومك على هذا فلا تلاججه ، لأنه لا يعرف ماذا يقول ، لأنه لو كان يعرف ما هى التوبة ، لكان يعرف أيضا موضعها ، انها لا تكمل فى السجس .

ـ ان يحس انســان بخطاياه أفضــل له من أن ينفع الخليقة بمنظره ، وأن يتنهد على نفسهَ كل يوم ، أخير له من أن يقيم الموتى بصلاته ، والذى أهل لأن ينظر خطاياه ، أطيب ممن ينظر الملائكة ، والذى بالنــوح يطلب كل يوم المسـيح بالوحدة ، أخير من الذى يمدحونه فى المجامع .

+ **قال القديس موسى الاسود :**

ـ من تعود الكلام بالكنيسة فقد دل بذلك على عدم وجود خوف الله فيه . وذلك لأن خوف الله هو حفظ وصون العقل كما أن الملك هو عون لمن يطيعه » .

ـ سقطة النفس هى مكابدة الهموم وتهذيبها هو السكوت بمعرفة .

ـ السكوت بمعرفة يهذب الفكر . وكثرة الكلام تولد الضجر والهوس .

+ **سئل شيخ** عن الغربة ، فقال : « هى الصمت ، وترك الالتفات الى الأمور الدنيوية » .

+ **قال أنبا انطونيوس :** « لا تظهر صوتك الا فى صلاة الفرائض » .

+ **قال القديس مقاريوس الكبير :**

يجب على الراهب أن يكون فى سكون فى كل حين ولا يســمع لأفكاره التى توعز اليه بكثرة الكلام الذى يضعف النفس ، بل ليمسك عن الـكلام حتى ولو نظر أناسا يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له وذلك لجهلهم . لأن الراهب الحقيقى يجب أن يتحفظ من لسانه والراهب الذى يسلك هكذا لا يعثر أبدا بلسانه ، ولكنه يصبح الها على الأرض .

+ **قال راهب :** « الصمت فى جميع الأمور هــو الغربة ، والغربة بالحقيقة هى الصمت » .

+ **قال شيخ :** « مكتوب ان من أجاب عما لا يسأل عنه فهــو جاهل ، فان لم تسألوا فلا تجيبوا » .

+ **سئل أنبا بيمين :** « أيهما أصلح ، الكلام أم الصمت ؟ » .

فقال : « ان الصمت من أجل الله جيد ، كما ان الكلام من أجل الله جيــد أيضا » .

+ حدث مرة أن جاء الى **القديس تادرس** أخ ، طلب اليه مدة ثلاثة أيام ، كى يسمع منه كلمة فلم يجبه بشىء ، فمضى حزينا ، فقال له تلميذه : « يا أبتاه ، لماذا لم تجبه بشىء ،فقــد مضى حزينــا ؟ » فأجابه الشيخ قائلا : « يا ابنى ، انى ما سكت عن الكلام اليه لكونه بياعا » ، يؤثر أن يتمجد بأقوال آخرين » .

+ **قال شيخ :**

« ان قومت الصمت . فلا تظن فى نفسك أنك قد قومت شيئا . ولكن اعتبر ذاتك انك لست أهلا لأن تتكلم » .

+ **قال الأنبا أوغريس :**

« اختم باب أنعابك بالصمت . لئلا يقلعه اللسان ، فينتج المجد الفارغ الذى ينزعها » .

+ **سأل شيخ أنبا شوشاى قائلا :** « أى شىء هو الغربة ؟ » فأجابه : هى الصمت ، فى كل موضع يوجد فيه الانسان . موجها لنفسه القول : « ما شأنى فى هذا الأمر ؟ » .

+ **مرة توجه البابا ثاؤفليس الى الأسقيط** ، فاجتمع الاخوة وقالوا لأنبا **بفنوتيوس :** « قل للبابا كلمة واحدة لكى ينتفع » فقال لهم الشيخ : « ان لم ينتفع بسكوتى ، فحتى ولا بكلمتى ينتفع » ، فسمع البطريرك ذلك وانتفع جدا .

+ **كان أحد الرهبان** صامتا وقد شاع فضله وعلمه . فزاره فى أحد الأيام اثنان من الفلاسفة ، فقام وصلى وسلم عليهما وجلس صامتا يضفر الخوص ولا يرفع نظره اليهما . فقالا له : يا معلم : « انفعنا ولو بكلمة واحدة لأننا لهذا اتينا اليك » . فأجابهم الراهب قائلا : « اعلما انكما أفنيتما أقوالكما لتتعلما فخر الكلام وتحسينه . وأما أنا فقد أهملت العالم وأتيت الى ههنا لا لأقتنى جودة الكلام بل السكوت » . فلما سمعا قوله تعجبا كثيرا وانصرفا » .

(جـ) عدم الخلطة

+ **قال الأب أوغارينوس :**

« اقطع نفسك من مودة الكثيرين لئلا يكون عقلك مناصبا لك فيقلقل عادة السكوت » .

+ **قال أنبا بيمين :**

« من يكثر من الاختلاط بالناس ، لا يمكنه أن ينجو من النميمة » .

+ **قال شيخ :**

« ان من يحب السكوت ينجو من سهام العدو . أما الذى يحب الجماعات فانه يصاب بجراحات كثيرة » .

+ **قال مار اسحق :**

« الاتكال على البشر ، يمنع كلية الاتكال على المسيح ، والعزاء الظاهر يمنع العزاء الخفى ، وهكذا بقدر ما يكون الراهب منفردا ، وفى وحشة ، بقدر ما يخدم من العناية الالهية » .

+ وقيل أيضا :

« متى داخلتك شهوة اهتمام بغيرك بنوع الفضيلة ، حتى يتشتت ما فى قلبك من السكون ، فقل : ان طريق المحبة والرحمة لأجل الله مقبولة ، ولكنى من أجل الله كذلك لا أريدها » وقد حدث أن قال راهب : « ان لم تقف لى من أجل الله أجرى خلفك : ، فقلت له : وأنا من أجل الله كذلك أهرب منك » .

+ قال القديس يوحنا القصير :

ـ « ابتداء التدبير الجيد هو أن يبتعد الانسان من أحبائه ومعارفه وأقاربه فكن محبا لكل أحد وابتعد عن كل أحد » .

ـ كل من اهتم بأن يتكلم مع صبى فهو زان بفكره .

+ قال القديس أنبا أنطونيوس :

ـ لا تخالط علمانيا بالجملة .

ـ لا تقرب اليك امرأة . ولا تأكل معها ولا تدعها تدخل منزلك فالغضب يمشى خلفها .

(د) التجرد

+ قال القديس يوحنا القصير :

ـ لا يكن بين عينيك شىء مشتهى لكيما تبصر الله . اعلم انك راهب ولا ينبغى لك أن ترتبط بشىء ما .

ـ لا تطلب حاجتك فى كل أمر لأنك لست لهذه التلمذة تتلمذت ، أن تكون حاجتك مهيأة فى كل أمر بل احذر من الشهوات التى يحبها هواك .

ـ تمسكن بالتخلى عن كل شىء يشغل العقل ، لا عن المقتنيات فقط بل وعن النظر والسمع والكلام كنحو قوتك لأن الحواس هى رباطات الانسان الباطن وبها حياته .

كن عبدا وحرا :

كن عبدا مملوكا لارادة سيده ، وحرا غير متعبد لشىء من المجد الباطل ، حتى ولا لوجع من الأوجاع .. حل نفسك من رباط العبودية ، ولازم العتق الذى عتقك به المسيح . واقتن حرية العالم الجديد ـ لا تبتكر لنفسك نواميس لئلا تكون متعبد لنواميسك . ولكن كن حرا تصنع ما تريد .. ولا تستبد بأمر لأنك مخلوق ، كائن تحت التغيير . ولا تستعبد لشىء ولا ترتبط بشىء .

كن حرا واعتق نفسك من عبودية الشيطان المحتال . ان لم تكن حرا لا تستطيع أن تعمل من أجل المسيح .

ليس لك أن تفحص عن كل الأمور . لأنك لم تصر مدبرا أو رئيسا . ولكنك مأمور وليس لك سلطان حتى ولا على نفسك . لا تغر من الذين ينظرون الى أصحابهم لئلا يضطرب عقلك بالعبودية ، وتكون خدمتك بلا منفعة بل أذكر فى كل لحظة أوجاع الشهداء لتقتنى شجاعة النفس .

٣

سكون القلاية

(أ) الجلوس فى القلاية

+ **سؤال** : اذا سكن الانسان ، فما هى الحال التى ينبغى أن يكون عليها فى القلاية ؟

الجواب : الجلوس فى القلاية هو أن يتذكر الانسان خطاياه ، ويبكى وينوح من أجلها ويتحرز الا يسبى عقله ، وان سبى فليجاهد أن يرده اليه .

+ **سؤال** : علمنى يا أبى كيف أقطع هواى وأنا فى القلاية ، وكذلك اذا كنت بين الناس وما هى مشيئة الجسد وما هى مشيئة الشيطان وما هى مشيئة الله ؟

الجواب : أما قطع الهوى الذى يكون فى القلاية ، فذلك برفض كل النياح الجسدانى ، أما مشيئة الجسد فهى أن تعمل نياحه دائما فى كل الأمور ، فاذا لم تعمل نياحه ، فاعلم انك قطعت هواك وانت جالس فى القلاية ، وأما قطع الهوى الذى بين الناس فذلك بأن تكون كالميت بينهم أو كالغريب عنهم .

أما مشيئة الله فهى الا يهلك أحد من الناس ، كما قال السيد وأن لا يموت الخاطىء ، كما قال النبى .

وأما مشيئة الشيطان فهى أن يزكى الصديق نفسه ويطمئن اليها ، وعند ذلك يقع فى الفخ ، كما أن مشيئة الشيطان كذلك فى الا يتوب الخاطىء عن خطيئته » .

واستطرد الأب قائلا : « ان أردنا أن ننجح بالكمال فلنقطع مشيئتنا قليلا لنبلغ الى عدم الأوجاع ، وذلك بأن لا نتكلم فيما لا تدعو اليه الضرورة ، وأن نرضى بجميع ما يحدث لنا كأنه حسب مشيئته ، والا يكون لنا ميل الى شىء ، فمن عدم الميل بالكلية عدم الآلام بنعمة الله .

+ **قال القديس برصنوفيوس :**

الجلوس فى القلاية ، انما هو الدخول الى القلب وتفتيشه وضبط الفكر من كل شىء ردىء ، وقطع الهوى وترك تزكية الذات ، والابتعاد من مرضاة

الناس . الخلاص يحتاج الى تعب كثير واجتهاد فلا تسترخ للجسد لئلا يصرعك.

+ **قال شيخ :**

اذا كنت جالسا فى القلاية نشط نفسك . لتكن خدمة القلب عندك أفضل من خدمة الجسد . لأن الله يريد القلب أن يكون ملازما اسمه القدوس كل حين مثل عبد ملازم سيده وخائف منه .

+ **سأل أخ الأنبا بيمين قائلا :** « كيف ينبغى للراهب أن يجلس فى قلايته ؟ »

فقال له : « **أما الظاهر من الجلوس فى القلاية فهو أن تعمل بيدك** . وتأكل مرة واحدة فقط كل يوم ، والهذيذ فى المزامير وقراءة الكتب والتعليم .

أما غير الظاهر والسرى من الأمور فهى أن تلوم نفسك فى كل أمر تصنعه وحينما توجهت ، وفى ساعة صلاتك لا تتوان من جهة أفكارك ، وان أردت أن تقوم من عمل يديك الى الصلاة ، فقم وأكمل صلاتك بلا سجس . وتمام هذا كله أن تسكن مع جماعة صالحة ، وتتباعد من جماعة السوء » .

+ **وسأله آخر قائلا :** « ماذا أصنع لأن نفسى تصغر ، اذا كنت فى القلاية ؟ »

وقال له : « لا تدن أحدا ، ولا تقع بانسان ، والله يهب لك الهدوء والنياح فى القلاية » .

+ **قال شيخ :**

« اذا كنت جالسا فى قلاية بسكوت ، فلا تظن أنك تفعل أمرا كبيرا بل افتكر أنك كلب عقور مسجون ، كيلا تبصر الناس فتعقرهم » .

+ عندما كان **أحد الاخوة** فى الاسقيط ذاهبا الى الحصاد مضى الى الانبا موسى الاسود وقال له :

يا أبى : « قل لى ماذا أعمل ، هل أذهب الى الحصاد ؟ » .

+ **فأجاب أنبا موسى :**

اذا أجبتك ، هل تقتنع بقولى ؟ أجاب الأخ : نعم : سأنصت اليك .

قال الشيخ : « اذا كان الأمر كذلك ، فقم وحرر نفسك من الذهاب الى الحصاد وهلم أخبرك بما تفعله » حينئذ رحل الأخ وحصل على حل من اخوته وأصحابه كما أخبره الشيخ ، ثم جاء اليه . فقال الشيخ : « امض الى قلايتك ، واحفظ نعمة الروح التى فيك وكل الخبز الجاف والملح مرة واحدة فى اليوم ، وبعد ان تفعل هذا سوف أخبرك عن أمر آخر تؤديه بعد ذلك » فمضى الأخ وعمل حسب ما أوصاه الشيخ وعاد اليه مرة أخرى . ولما رأى الشيخ انه كان يقوم بعمل اليدين اطلعه على الطريقة المثلى للحياة فى القلاية ، وذهب الأخ الى قلايته وسقط على وجهه الى الأرض وظل يبكى أمام الرب ثلاثة أيام كاملة بلياليها .

وحدث بعد هذه الأمور عندما كانت أفكاره تحدثه قائلة : « لقد صرت رجلا

مغبوطا عظيما كان يقاطعها واضعا أمام عينيه عيوبه ونقائصه السابقة ويقول : « وهذه كلها خطاياك . ومرة أخرى عندما اعتادت أفكاره أن تقول : « لقد أديت أعمالا كثيرة بتراخ » كان يقول أيضا : ومع ذلك أؤدى أعمالا قليلة جدا لله وهو الذى يسبغ على رحمته وعندما كان يتغلب على الأرواح بطرق كثيرة هكذا كانت تظهر له فى هيئة مخلوقات جسمانية قائلة له : « لقد قهرتنا » فكان يقول : « لماذا ؟ » فيجيبونه « اذا وضعناك . فنحن نرتفع بواسطتك الى مكانة عظمى ، واذا رفعناك فنحن نتضع اليك » .

(ب) الحبس فى القلاية

+ **جلس راهب من الرهبان** فى البرية صامتا فى قلايته . فضغط عليه الضجر وأقلقه الفكر وضيق عليه شديدا حاثا اياه على الخروج منها ، فقال فى ذاته « يا نفسى لا تضجرى من الجلوس فى القلاية . وان كنت لا تعلمين شيئا ، فيكفيك هذا . انك لا تحزنين أحدا . ولا أحد يحزنك ، فاعرفى كم من السرور خلصك الله . لأن فى سكوتك وصلاتك لله تكونين بلا هم يشغلك ولا تتكلمين كلاما باطلا . ولا تسمعين ما لا ينفعك ولا تبصرين ما يضرك ، وانما قتالك واحد . وهو قتال القلب ؛ والله قادر أن يبطله . واذا اقتنيت الاتضاع عرفت ضعفى » فعند افتكار الأخ بهذا . صار له عزاء كبير فى صلاته .

+ **طلب أخ من الأب باريكوس** أن يقول له كلمة : « اجلس فى قلايتك وان جعت كل . وان عطشت اشرب . ومنها لا تخرج ولا تتكلم بكلمة سوء ، وانت تخلص » .

+**سأل أخ شيخا قائلا :** « ماذا أعمل يا أبى ، فانى لا أمارس أمرا من أمور الرهبنة . وهمى كله هو فى أن آكل وأشرب وأرقد ، وأنا فى ذكريات سمجة وسجس كثير ، أخرج من هذا الفعل الى ذاك . ومن هذا الفكر الى غيره ؟ » .

فقال له الشيخ : اجلس فى قلايتك واعمل بقدر استطاعتك بلا سجس ، فانه يرضينى هذا القدر اليسير الذى نعمله الآن . مثل تلك الأمور الكبار التى كان أنطونيوس يعملها فى البرية . ولى ايمان أن كل راهب يجلس فى قلايته من أجل الله مفتشا أفكاره . تاركا التفتيش عن عيوب الآخرين ، فان ذلك يؤهله لأن يكون شبيها لأنبا أنطونيوس .

+ **قال أخ لشيخ :**

ان أفكارى تدور وتحزننى جدا .

فقال له الشيخ : اجلس فى قلايتك ولا تخرج منها ، والأفكار تعود اليك ، كمثل حمارة مربوطة وجحشها يدور ثم يرجع اليها ، هكذا من يصبر فى قلايته من أجل الله ، فان دارت الأفكار فانها ترجع اليه .

+ **وكان أخ** مقاتل بأن يخرج من ديره ، فذهب وأعلم رئيس الدير . فقال له

الرئيس : اذهب واجلس فى **قلايتك** ، **وارهن جسدك** رهينة لحائط القلاية ، واترك الفكر يهيم حيثما شاء ، وأنت لا تبرح من القلاية قط .

+ انحبس **الأب سيصوى** الذى من **جبل انطونيوس** مرة فى قلايته ، ومنع خادمه من القدوم اليه عشرة شهور ، **لم يبصر فيها انسانا** ، وفيما هو يمشى فى الجبل ذات يوم ، اذا به يجد انسانا اعرابيا يتصيد وحوشا برية ، فقال له الشيخ : من أين جئت ، وكم لك من الزمان ههنا ؟ فقال له الرجل : صدقنى يا راهب ، ان لى فى هذا الجبل أحد عشر شهرا لم أر أحدا قط غيرك . فلما سمع الشيخ ذلك ، دخل الى قلايته وصار يضرب صدره ويقول : يا سيصوى . لا تظن أنك صنعت شيئا ، لأنك لم تصنع مثل ما صنعه هذا الاعرابى .

+ **قيل عن أنبا أور وأنبا تادرس** أنهما كانا يطليان قلاية بالطين ، فقال أحدهما للآخر : « **لو افتقدنا الرب فى هذه الساعة فماذا نصنع ؟** » فبكيا وتركا الطين ، وانصرف كل واحد منهما الى قلايته .

+ **سؤال** : « بأى فكر يخرج الراهب ابليس المحتال من قلايته ؟ » .

+ **الجواب** : « ان ابليس راق (ساحر) أو (حاوى) فعلى مثال الراقى الذى يخرج الحية من عشها بكلام لطيف ، فاذا أخذها فانه يطوف بها ويطرحها فى شوارع المدينة يلاهى بها الناس ، حتى اذا شاخت معه ، فاما أن يحرقها بالنار ، أو يغرقها فى الماء ، وعلى هذا المثال يكون الراهب ، اذا سحبته الأفكار وترك قلايته » .

+ **قيل عن أنبا لانجيوس** ، ان أفكاره قاتلته بالخروج الى البرية الداخلية لكى يستريح فجاء صوت سمعه سماعا بليغا وهو يقول : « قلايتك أعظم من خروج البرية ، وهى ضخمة أكثر من البرية » .

فنهض بسرعة ، وأخذ بيده عصا ، وبدأ يمشى فى القلاية ويقول :

« من هذه الجهة الشرقية ، يمض الناس الى القدس ، والقدس هذه ، هى المدينة المقدسة وفيها صلب الرب ، وأيضا قتل فيها الأنبياء ، وذبح فيها زكريا بن براخيا ، **بين الهيكل والمذبح** ، **فما أعظم ما فى** هذا المشرق ، الذى منه المجوس أقبلوا كذلك » ، وانتقل الى غرب قلايته ، وهو يقول :

« وأما هذا الغرب ، فهو الجبل المقدس ، وهو المعروف بالأسقيط وأسماه **أنبا بلا ماى** ، جبل شيهات ، الذى هو ميزان القلوب فما أعظمه من جبل ، فالرب وعد بالمغفرة لجميع من يسكنونه ، ويموتون فيه ، وبالراحة لهم يوم الدين » .

وأما الجهة القبلية ، فما أعظمها ، فقد كان يسكن فيها رأس الآباء البطاركة ابراهيم أبو الأمم ، وعلى راس هذه **الجهة القبلية ، تكلم الله مع** ابراهيم ، واستضافه وملائكته » .

وفى هذه الجهة القبلية ، صعد ابراهيم **على راسها** ، **وربط** ولده اسحق

بيديه ورجليه ، فقال له ولده اسحق ، يا أبتاه ، هوذا الرباط ، وها هى النار والحطب والسكين ، فأين هو الحمل ، العلى أنا هو الضحية اليوم ؟ فنادى الرب ابراهيم قائلا : « لا تمد يدك الى الغلام ، قد قبلت ضحيتك » ؛ ثم صار يمش فى القلاية الى الجهة البحرية ، وفكر قائلا : « هذا شرح يطول . هذه القلاية ، أعظم وأوسع من البرية » .

ولما أعيى من الفكر والمشى ، جلس ، ثم أدركه المساء ، وبدأ يقول لأفكاره : « لقد دخلنا فى البرية ، ووصلنا الى المشرق والمغرب » ثم قال لنفسه : « ان الذين يبتغون سكنى البرية ، خبزا لا يأكلون ، وماء لا يشربون ، فافعل انت هكذا » .

وخرج على باب قلايته ، وأكل قليلا من نبات الأرض ، ثم قال لنفسه : « والذين فى البرية ، لا ينامون تحت سقف ، بل تحت السماء » ، وفعل كذلك ، بان ألقى بنفسه على الصخرة ونام متعبا .

واقام على هذه الحال ثلاثة أيام ، يمشى من بكرة الى عشية فى جوانب قلايته ، ويأكل البقل الأخضر ، ويضطجع قليلا تحت السماء ، حتى أعيى وضجر ، وبدأ يخاصم نفسه بجرد ، ولطم على خديه قائلا : « ادخل بعد الى قلايتك ، وابك على خطاياك ، ولا يطيش عقلك بقولك : البرية » ، قد دخلت البرية ، أما سمعت داود يقول : « عين الرب على خائفيه ، وأذناه تنصتان الى تضرعهم ، ولا يخفى عنه شىء من أفكارنا » ؛ فلما نظره المجرب هكذا ، خاف منه ، وانصرف عنه .

+ سأل الاخوة شيخا :

لقد قال أنبا أنطونيوس : « كما تموت السمكة اذا أخرجت من الماء هكذا يموت الراهب اذا مكث طويلا خارج قلايته » فنرجو أن تشرح لنا هذا الكلام .

قال الشيخ : لأنه فى المسيح يسوع يكون تذكر الله حياة الروح ، الأمر الذى يسميه الآباء : « مختزن الحياة » ، « وأساس حياة الروح والعقل » . فاذا بقى الراهب فى المدن يرى ويخاطب بنى الناس فانه يموت من ناحية أساس الحياة فى الرب اى انه ينسى الله وتبرد المحبة التى للمسيح فى قلبه ، التى اقتناها بأتعاب كثيرة . ثم ينسى فضائله ، ثم يتهاون فى الرغبة فى الجهادات ويحب الملذات ويميل الى الشهوات . وحينئذ تتزعزع غيرته القلبية أمام الاضطراب الذى توغل فى حواسه عن طريق النظر والكلام والسمع . هذه الأمور التى هى مغذيات الروح . ثم يحدث انه يهوى فى عذابات كثيرة . الرب يسوع ينجينا من جميعها . آمين .

+ قال الاخوة لشيخ :

فسر لنا ما قصده **القديس أنطونيوس** بقوله : « ان قلاية الراهب هى آتون

بابل حيث أبصر الثلاثة فتيه ابن الله . كما أنها عمود النار والسحابة التى منها كلم الله موسى » .

أجاب الشيخ : هناك أمران يتعبان القلاية : الأول يشعل النفس والثانى يضيئها ويفرحها .

فان حروبها مع المبتدئين تستثيرهم وأما مع الكاملين فانها تبهجهم وتنير قلوبهم . تخلصهم من الآلام وتكشف الأنوار أمامهم بل هى كذلك مع المبتدئين فى حياة السكون الذين تنتابهم الحروب والآلام والشياطين لفترة من الوقت فان المعونة الالهية لا تتركهم لأن ربنا نفسه يسوع المسيح ابن الله يزورهم سرا ويكون لهم معينا ورفيقا وهكذا بعد أن يتغلبوا على الأتعاب والشياطين حسب النظام القانونى يجعلهم أهلا للسعادة فى حبه الكامل واعلان نور مجده .

+ **سأل أخ الانبا ارسانيوس** : «لأى شىء أضجر اذا ما جلست فى قلايتى؟»

فأجابه الشيخ قائلا : « لأنك الآن لم تبصر ولم تتيقن من نياح الآخرة ولا عذابها لأنك لو تيقنت من ذلك حقا وكانت قلايتك مملوءة دودا وأنت غارق فيه الى عنقك لما ضجرت بالمرة » .

+ **وأيضا قال أحد الاخوة للقديس ارسانيوس** :

« ماذا أصنع فان الأفكار .. تحزننى وتقول لى : اذا لم تستطع الصوم او العمل فلا أقل من أن تذهب لافتقاد المرضى فهذه هى المحبة » .

قال له الشيخ : « امض كل واشرب وأرقد ولا تخرج من قلايتك » لأن الشيخ عرف أن الصبر فى القلاية يرد الراهب الى طقسه ، فذهب الأخ الى قلايته . فلما استمر ثلاثة أيام كما أمره الشيخ ضجر فاخذ قليلا من الخوص وشققه وبدأ يضفر . فلما جاع قال لفكره لنفرغ من هذا الخوص القليل الذى معنا ثم نأكل « فلما فرغ من الخوص قال أيضا : لنقرأ فى الانجيل ثم بعد ذلك نأكل » فلما قرأ قال : لأتل مزاميرى ثم بعد ذلك آكل بلا هم : وهكذا قليلا قليلا بمعونة الله كان يفعل حتى رجع الى سيرته الأولى وأخذ سلطانا على الأفكار وكان يغلبها .

+ **سأل أخ القديس مقاريوس الكبير قائلا** : ماذا أصنع يا أبى والأفكار توعز الى بأن أمضى وأفتقد المرضى فان هذه هى الوصية .

أجابه الشيخ قائلا : ان كلمة النبوة لا تسقط أبدا ، فانه يقول : « جيد للرجل أن يحمل النير منذ صباه ويجلس وحده صامتا » أما قول ربنا يسوع المسيح : « كنت مريضا فزرتمونى » فقد قاله لعامة الناس . وانى أقول لك يا أخى ان الجلوس فى القلاية أفضل من افتقاد المرضى لأنه يأتى زمان يضحك فيه على سكان القلالى فقد تم كلام **البار انطونيوس اذ قال** : « يجىء زمان يجن فيه جميع الناس . واذا أبصروا واحدا لم يجن يذيعون عنه بأنه مجنون لأنه لا يشبههم » .

وانى أقول لك يا ولدى ان موسى النبى العظيم لو لم يبتعد من مخالطة الناس ، ومحادثتهم ودخل فى الضباب وحده . لما تسلم لوحى العهد المكتوبين بأصبع الله .

+ **سأل أخ أنبا مقاريوس قائلا :** « قل لى كلمة منفعة ؟ »

قال له : « اجلس فى قلايتك . ولا تكن بينك وبين أحد خلطة ، وابك على خطاياك ، وأنت تخلص » .

+ **جاء أخ الى الأنبا موسى الأسود فى الأسقيط** وطلب منه كلمة :

فقال له الشيخ : « امض واجلس فى قلايتك وسوف تعلمك هى كل شىء » .

+ **سأل أنبا أشعيا** (١) الأب مقاريوس : قائلا : « قل لى يا أبى كلمة »

فأجابه الشيخ : « اهرب من الناس » .

فقال أنبا أشعياء : « وما هو الهروب من الناس ؟ » .

فأجابه الشيخ : « هو جلوسك فى قلايتك : وبكاؤك على خطاياك » .

(ج) الاستمرار فى السكون

+ **قال أنبا يوحنا القصير :**

كلما استمر السكون ضعفت الأوجاع . وكلما ضعفت الأوجاع قوى العقل قليلا قليلا . الى أن يصح ويستريح وحينئذ لا يذكر الانسان أوجاعه وأحزانه السالفة وذلك كما قال ربنا عن المرأة التى تلد . واذا انعتق الانسان من الأوجاع الشريرة التى كان يعانيها دائما فقد انعتق من الأحزان والآلام والأمراض العارضة كلها تلك التى يؤنب بها الخطاة . وبدوام السكوت يعتق من الأوجاع الذميمة . أما الذين يعوقونا من معرفة الله ويبعدوننا عن عمل الفضيلة فانهم لا يلامون لأنهم لا يعرفون ، أما نحن فاذ قد عرفنا ربحنا وخسارتنا ينبغى لنا أن نبتعد عنهم ونسكت لكى تحيا نفوسنا .

عدم الانتقال من مكان الى مكان آخر :

+ **قال شيخ :** « اذا كان راهب مقيما فى موضع ، وأراد أن يصنع فى ذلك الموضع خيرا ، ولم يستطع ، فلا يظن أنه اذا ذهب الى موضع آخر ، يستطيع أن يصنع ذلك الخير » .

+ **كذلك قال شيخ :** « اذا كان وجع يقاتلك فى موضع ما ، وتترك ذلك الموضع ظنا منك أنه يخف عنك دون أن تقاتله ، فاعلم أنك اذا لم تغلبه حيث قاتلك ، فانه سوف يسبقك الى كل موضع تمضى اليه ، لأنى أعرف أخا كان ساكنا ديرا وكان مداوما على السكوت . الا أنه كان كل يوم يتحرك من وجع الغضب ، فقال فى نفسه : « امضى وأسكن وحدى فى قلاية ، وحيث أنه لن يكون هناك أحد ساكنا ، فسوف أهدأ، ويخف عنى الوجع » . فخرج وسكن وحده فى مغارة ،

---

(١) أورد بلاديوس خبرا يشبه هذا تماما ولكن السائل فيه هو أبا نوح .

وفى أحد الأيام ملأ القلة ماء ، ووضعها على الأرض ولوقتها تدحرجت ، وانسكب ما فيها ، فأخذها وملأها مرة ثانية ، ووضعها فانسكبت كذلك ، فملأها دفعة ثالثة ، فانقلبت أيضا ، فغضب وأمسكها وضرب بها على الأرض فكسرها ، فلما خفض قلبه علم أن الشياطين قد سخروا منه ، فقال : هوذا قد انغلبت وأنا فى الوحدة كذلك . فلأذهب الى الدير لأنه فى كل موضع يحتاج الانسان الى جهاد وصبر ومعونة من الله » ، ثم قام ورجع الى موضعه .

+ **وقال آخر** : « كما أن الغرس اذا قلع من موضع وغرس فى غيره فلا يثمر ما لم يثبت فى موضع واحد . كذلك الراهب الذى ينتقل من دير الى دير ، لا يثمر ما دام متنقلا » .

سئل شيخ : « كيف أسكن فى دير بغير قلق ؟ » فقال : « ذلك بأن تعد نفسك غريبا ، ولا تطلب أن يكون لك فيه كلمة مسموعة ، كما تقطع هواك ولا تحسب نفسك شيئا » .

+ **وقالت المغبوطة سفرنيكى** : « اذا كنت فى دير فلا تستبدله بآخر ولا الآخر بغيره لئلا تستكمل زمانك بدون ثمرة ، مثل الطائر الذى يقوم عن البيض فيفسد ويصير عديم التوليد كذلك الراهب الكثير التنقل ، تبرد حرارة الرهبنة وتموت من قلبه » .

+ **وقال أخ لأنبا أغاثون** : « يا أبى . أمرت أن أقيم فى مكان ما ، وانني أجد قتالا هناك ، وأريد أن أرحل ، أننى مستعد أن أنفذ الوصية ولكننى أخشى القتال » قال له الشيخ : « اذا كان هذا الأمر مع أغاثون فانه يحفظ الوصية ، ويغلب القتال » .

+ **سؤال** : هل ينبغى لى أن أصنع لنفسى حدا أن لا أخرج الى موضع آخر؟

+ **الجواب** : لا تربط (١) نفسك تحت أمر ما ، حتى ان اضطررت للخروج خرجت بدون حزن أو ارتباك أفكار ، بل فى كل شىء اقتن لك صبرا .

***

---

(١) مهما كان نوع الرهبنة ، فان عدم التنقل ، وملازمة القلاية ، والسكون أمور اساسية لكل راهب :

ومار اسحق يشدد على وجوب الحبس فى القلاية والصبر على أحزانها ومن أقواله بخصوص هذا :

١ ــ اغصب نفسك أن تثبت فى قلايتك .

٢ ــ كل من هو يحب الله يحب الحبس والثبات فى القلاية .

٣ ــ أحب الوحدة لو أنك عاجز عن جميع حقوقها .

٤ ــ الطريق المؤدية الى النور أن يلزم الانسان موضعا واحدا .

٥ ــ من عمل المتوحد ثباته داخل القلاية فى الدير ومن غير ضرورة لا يخرج منها ما خلا للصلاة أو للتناول من الأسرار يوم الأحد ، أو لأمر ضرورى للجميع .

الفصل الرابع

تدبير الفكر

١ ـ التأمل

٢ ـ ضبط الفكر

٣ ـ عدم الادانة

٤ ـ الافراز

٥ ـ الرؤى

١ - التأمل

(أ) التأمل والعمل

+ **قال أنبا بفنوتيوس :**

كثيرون يجعلون نفوسهم وحدهم مؤمنين باللسان لابالعمل والكلام ، ويتظاهرون بأنهم قائمون ، وليس لهم شيء من الأعمال البتة ، ويفتخرون باطلا بما لم يصلوا اليه»

+ **قال شيخ :** « ان الله يطالب الانسان بثلاثة : العقل ـ الكلام الروحانى ـ والعمل به » .

قال الأب أبيفانيوس : « ان التأمل فى الكتب حرز عظيم يحفظ الانسان من الخطية ، ويستميله الى عمل البر » .

+ **قال سمعان العمودى :** « كما ان الخبز يقيت الجسد ويحييه ، كذلك الكلام الروحانى يقيت النفس ويحييها ، وهو نور للعينين ومرآة للقديسين . يشفى من أمراض الخطية ، وكل من لا يعمل بكلام الناموس قد احتقر واضع الناموس . وليس يكفى سماع الناموس والتكلم به من دون العمل بما قيل فيه . فكما نؤمن ان الله رحيم ، كذلك نؤمن أنه صادق وأنه عادل ، ويجازى كل واحد كنحو عمله ، له المجد » .

+ **قال أنبا بيمين :** « علم قلبك ما تقوله بلسانك من العلم » .

وقال أيضا :

« ان كثيرين من الناس ، يتكلمون بالأشياء الفاضلة ، ولكنهم يفعلون الأفعال الدنيئة » .

+ قال شيخ :

« ويح لنفس قد اعتادت أن تسأل عن كلام الله ، وتسمعه ولا تعمل شيئا بما تسمع » .

+ **وقال آخر :**

« الأنبياء والرسل دونوا ما فى الكتب فعمل بها آباؤنا ومن أتى بعدهم فلما جاءت هذه القبيلة وهذا الجيل كتبوها ووضعوها فى الكوى بغير فائدة » .

+ زار اخوة ومعهم علمانيون **الأب فلكسميا** ، وطلبوا اليه أن يقول لهم كلمة ، أما الشيخ فبقى صامتا . فلما طلبوا اليه كثيرا قال لهم : « هل تبتغون أن تسمعوا للكلمة ؟ » فأجابوه نعم أيها الأب فقال لهم : « لما كان الاخوة يسألون المشايخ ويفعلون ما يقال لهم ، فان الله كان يلهم الآباء بما يقولونه ، وأما الآن فانهم يسألون ولا يفعلون بما يقال لهم ، لذلك رفع الله موهبة الكلام عن الشيوخ ، اذ لا يجدون ما ينطقون

به ، لأنه لا يوجد من يعمل ، لأن المزمور يقول : « ان الرب اطلع من السماء على بنى البشر فلم يجد من يفهم .. الخ » فلما سمع الاخوة هذا الكلام تنهدوا قائلين : صل علينا أيها الأب » .

+ **قيل عن أخ راهب** كان يسكن القلالى ، هذا أقام عشرين سنة مواظبا على القراءة ليلا ونهارا ، وذات يوم نهض وباع الكتب والصحف التى كان قد اقتناها ، وأخذ وشاحه وذهب الى البرية الداخلية ، فألقاه **أنبا اسحق** وقال له : « الى أين تمضى يا ولدى ؟ » فأجابه الأخ قائلا : « يا أبى ، أن لى عشرين سنة اسمع أقاويل الكتب فقط ، والآن أريد أن أبدأ فى الابتعاد عملا بما سمعته من الكتب » فقدم الشيخ صلاة من أجله ثم أطلقه .

+ **قيل ان ثلاثة من الاخوة** زاروا شيخا ، فقال له الأول : « يا معلم ، لقد كتبت بنفسى العتيقة والحديثة (العهدين القديم والجديد) » ، فأجابه الشيخ : « لقد ملأت طاقات قلايتك ورقا » .

فقال له الثانى : « انى قد حفظت العتيقة والحديثة فى صدرى » ، فقال له الشيخ : « لقد ملأت الهواء كلاما » .

أما الثالث فقال له : « لقد نبت الحشيش وملأ موقدتى » ، فقال له الشيخ : « لقد طردت عنك محبة الغرباء » .

(ب) حفظ الوصايا

+ **قال شيخ :**

« ان حزنى لكثير على راهب ، يكون قد ترك أهله ومقتنياته ، والزم نفسه الغربة من أجل الله ، ثم يرجع يسترخى فى وصاياه ، فيذهب بعد ذلك الى العذاب » .

فلنفرح بتكميل وصايا الرب وبنجاح اخوتنا . ولنحفظ انفسنا من فرح العالم بالرب ؟ » قال : اذا فرحنا باتمام الوصايا فهذا هو فرح بالرب .

« **قال الاخوة للقديس أنبا انطونيوس :** « ما معنى قول الرسول : « افرحوا والضحك ان أردنا أن نكون من خواص ربنا . لأنه قال : ان العالم يفرح وأنتم تبكون. كما قال الويل للضاحكين والطوبى للباكين — ولم يكتب عنه قط أنه ضحك بل كتب عنه أنه حزن ودمعت عيناه .

+ **قال القديس مقاريوس الكبير :**

« ان أردت أن يقبل الله دعاءك فاحفظ وصاياه » .

+ **قال أنبا اغاثون :**

« بدون حفظ الوصايا الالهية لا يستطيع أحد أن يقترب الى واحدة من الفضائل » .

+ **قيل عن مار اسحق** أنه لما حضرته الوفاة اجتمع اليه الاخوة قائلين :

« ماذا نصنع بعدك يا أبانا ؟ » قال لهم : « كما كنت أسلك قدامكم اسلكوا واحفظوا وصايا السيد المسيح ، فيرسل اليكم نعمة روحه القدوس ، ويحفظ هذا الموضع وان لم تحفظوا ، فلن تثبتوا ههنا ، لأننا نحن ان تنيح آباؤنا اغتممنا ، ولكن لما حفظنا وصايا الهنا ثبتنا موضعهم » .

(ج) القراءة

+ قال القديس أنبا انطونيوس :

ـ اتعب نفسك فى قراءة الكتب فهى تخلصك من النجاسة .

ـ اتعب نفسك فى قراءة الكتب واتباع الوصايا فتأتى رحمة الله عليك سريعا .

ـ اذا جلست فى خزانتك فلا تفارق هذه الأشياء : القراءة فى الكتب ، التضرع الى الله ، شغل اليد والراهب الذى يكون فى خزانته غير ذاكر الله تعالى ولا قارىء فى الكتب يكون كالبيت الخرب خارج المدينة الذى لا تفارقه الجيف النتنة وكل من احتاج الى تنظيف بيته من جيفة رماها فيه .

+ قال شيخ :

« قراءة الكتب تقوم العقل الطواف » .

+ وقال آخر : « تعب الجسد بكثرة القراءة ، ينقى العقل » .

+ قال الأب ابيفانيوس :

« ان الجهل بما فى الكتب جرف عظيم السقوط ، وهوته عميقة » .

ـ مطالعة الكتاب المقدس ـ

+ **سأل أخ أنبا سيصويص الصعيدى :** « قل لى كلمة » فقال : « أى شىء لى لأقوله لك ؟ انى أقرأ فى العتيقة ثم ارجع الى الحديثة » .

+ تقدم أحد الحكماء فى ذلك الزمان الى **القديس انطونيوس** وقال له كيف أنت ثابت فى هذه البرية وليس لديك كتب تتغذى بها ؟ فأجابه قائلا : أيها الحكيم ، ان كتبى هى شكل الذين كانوا قبلى ، أما ان أردت القراءة ففى كلام الله اقرأ .

+ **سئل شيخ** « ما معنى المكتوب : وتبصر بنى بنيك ؟ » فقال : « ان ثمرة أتعاب القديسين هى بنو بينهم » .

ـ مطالعة سير القديسين ـ

+ قال القديس موسى الأسود :

« كن مداوما لذكر سير القديسين كيما تأكلك غيرة أعمالهم » .

+ **قال الآباء :**

« المناظرة فى الآراء ، والقراءة فى العقائد المختلفة ، والكلام فى الايمان[١] ، من شأن هذه أن تطرد من الانسان خشوعه . أقول الآباء وأخبار القديسين من شأنها أن تنير النفس وتلينها » .

+ **قال شيخ :**

« القراءة فلتكن فى قصص الشيوخ ، وتعليمهم ، لأن بهذا يستنير العقل نحو الفضل » .

+ **سؤال :** انى أطلب اليك أيها الأب أن تعطينى قانونا[٢] ، أتدبر به فى قراءة المزامير ، وفى الصوم وفى الصلاة ، وأخبرنى أن كل ينبغى أن تكون الأيام مختلفة متفاوتة .

الجواب : اترك يا ابنى قوانين الناس واستمع لقول الرب : « ان الذى يصبر الى التمام يخلص » لأنه ان لم يكن للانسان صبر طويل فلا يدخل الى الحياة ، لأنه : « بأحزان كثيرة ندخل الملكوت » كقول الرسول . فلا تطلب أن تكون تحت قانون ، لأنى لست أريدك أن تكون تحت ناموس بل تحت النعمة لأنه مكتوب : ان الناموس لم يوضع للقديسين . تمسك بالافراز وكمثل نوتى حكيم دبر سفينتك مقابل الرياح وبعد ذلك لا تبال ، لأن الجسد اذا مرض لا يقبل الطعام كعادته ، واذا كان الامر هكذا فقد بطل القانون .

أما عن الأيام فلتكن عندك كلها متساوية مقدسة ، وكل شىء تفعله فليكن بفهم ، وجاهد لتقطع عنك الغضب ، لأنه يحتاج الى جهاد مع معونة الله .

+ **سؤال :** كيف ينبغى لى أن أقضى يومى ؟

الجواب : اقرأ فى المزامير قليلا واحفظ منها قليلا ، وفتش أفكارك قليلا ولا تجعل ذاتك تحت رباط قانون ، ولكن اعمل بقدر ما قواك الله على فعله . ولا تترك تلاوة المزامير والقراءة قليلا قليلا هكذا ، وبذلك يمكنك أن تقضى يومك بمرضاة الله ، لأن آباءنا لم يكن **قوانين[٣] ساعات** بل كانوا يجتازون النهار كله فى القراءة وقتا وفى تلاوة المزامير وقتا وفى تعلم حاجات طعامهم وقتا آخر وهكذا . .

---

(١) المقصود هنا المناقشات العقيدية التى تأخد صورة عدائية .

مار اسحق :

(٢) هذا الراهب يطلب تدريب قانون فردى خلاف ما يؤديه مع أخوته الرهبان فى حياة المجمع .

(٣) واضح أن الراهب يتساءل عن كيفية تدبير أوقاته خلال واجبات المجمع . وفى هذا يقول

+ ان ناموس الحريه : هو أن عدد السبع أوقات التى حددها مجمع نيقية فى البيعة المقدسة على هذا الاسكيم هى لحفظ حياتنا .

وحاشا أن نخرج نحن المتوحدين عن طاعة وحدود قوانين البيعة ورؤسائها وسننهم . ولأجل هذا نحفظ حدود سبع أوقات الخدمة حسبما وضعت علينا البيعة كالبنين . وليس مجرد أن أصلى كذا كذا مزمور فى كل خدمة فى كل يوم ، بل أيضا يجزم الانسان على نفسه فى وسط هذه الأوقات اعدادامحدودة للصلوات فى الليل والنهار .

(أ) قتال الفكر :

٢- ضبط الفكر

+ **سأل أخ شيخا قائلا :** « أى شىء أصنع ، فان أفكارا كثيرة تقاتلنى ولست أدرى كيف أقاتلها ؟ » . فقال له الشيخ : « لا تقاتل مقابل الكل دفعة واحدة ، ولكن قاتل واحدا ، لأن أفكار الراهب انما لها رئيس . فاجعل بالك الى رئيسها . ونحوه أجعل قتالك ، فاذا هزمت ذلك الفكر . فقد انهزمت البقية » .

+ **سـؤال :**

كيف يمكننى أن أجيب أفكارى وليست لدى قوة ؟

+ **الجواب :**

لأنك تدين أخاك . لهذا ينقطع عنك قوة الروح القدس . فمعثر بأحبك وأنت سبب العثرة ، ان كنت متأكدا أن الله حاضر وناظر لـكل شىء ، فلم تبغض أخاك ؟ أوضح لله أفكارك . وقل ان الله يعرف ما فيه الخير ، وبذلك تستريح . وشيئا فشيئا تأتيك قوة تستطيع بها أن تحتمل كل ما يأتيك : كل من لا يحتمل **الشتيمة فلن يبصر** التسبحة ... وكل من لايترك الغضب فلن يتذوق الحلاوة . فاحرص بكل قوتك على أن تكون غريبا عن الغضب . ولتكن قدوة ومثالا لمنفعة الكل ولا تدن أحدا كما لا تحكم على أحد .

+ **سـؤال :**

كيف يمكن للانسان أن يفتش أفكاره لينجو من السوء ؟

+ **الجواب :**

تفتيش الأفكار هو هكذا : اذا أتاك فـكر تأمل كنهه ، ولـكى أقرب لك المعنى أسوق اليك مثلا . اذا اتفق وشتمك انسان ، وأتاك الفكر أن ترد عليه ، قل لفكرك ان أنا رددت عليه أحزنته وأعثرته ، فلأصبر أنا قليلا والأمر يجوز بسلام . كذلك ان كنت واجدا على انسان أو فى داخلك فكر بالشر من ناحية انسان فقل ما يأتى : ان الذى يفكر بالشر يعاقبه الله . للحال يكف عنك الفكر الردىء ، وفى الوقت الذى يعرض لك فيه الفكر فتشه واقطعه عنك .

أما بخصوص الشهوة فانها تحتاج انتباها كثيرا ، كما قال الآباء : ان أنت وجدت عقلك محاربا فى الزنى فتعال به الى القدسية . وان حورب فى الحنجرة فتعال به الى الامساك . وان حورب فى البغضة تعال به الى المحبة . وبذلك تصبح على الدوام فى يقظة وحذر ونجاة .

+ **قال الأب برصنوفيوس :**

اذا ما حركك فكر من الشيطان على انسان ، فقل فى نفسك بطول روح : انى

قد أخضعت ذاتى لله لكيما أخدم آخرين ، فيكف عنك الفكر ، وكن دائما مستقصيا عن أفكارك ، ولتبكتها ، لأن الذى يبكت أفكاره ويقول انه خاطىء ، وهو فى فعله ليس خاطئا ، فهذا هو غاية الاتضاع ، ومن كان متضعا ، فانه لا يغضب ولا يخاصم ولا يدين أحدا ، ولكنه يرى الناس كلهم أخير منه ، ومن يعلم انه خاطىء لا يلوم الا نفسه ، ولا يعتل به .

+ **قالت القديسة سفرنيكى :**

كما أن الوحوش النافثة يطردها حاد الأدوية ، هكذا الأفكار الخبيثة يطردها الصوم مع الصلاة .

+ **أخذوا عن شيخ** أنه كان جالسا فى قلايته ، فأتاه أحد الاخوة فى الليل ، وأراد الدخول اليه ، فلما بلغ الباب سمع صوته من داخل وهو يقول : يكفى ، يكفى ، حتى متى ؟ اذهبوا الآن من قدامى . ثم سمعه يقول : تعال ، تعال ، يا صديقى . فلما دخل اليه قال : لمن كنت تتكلم يا أبى ؟ قال له : لحسياتى الرديئة كنت أطرد وللصالحات كنت أدعو .

+ **أخ من الاخوة سأل شيخا وقال** : يا أبت أعنى فقد أهلكتنى أفكار الزنى ؟

فقال له الشيخ : يابنى ، ان كنت تستطيع فلا تترك الفكر يسكن عندك .

قال : وكيف استطيع ذلك يا أبت ؟

قال : كلما بدا لك الفكر ، فلا تدعه يصعد الى دماغك ، بل الحقه بذكر الموت ، وحوف الله ، واذكر نتنك ، وكيف تصير القبر ، لأن هذا الفكر الردىء ، ان غلب الانسان يقوده الى قطع الرجاء واليأس من الخلاص ، وكمثل السفينة التى تصدمها الأمواج والعواصف الشديدة وأهوال البحر ، فان أنزل عنها قدرا من الرمل أو مما تحمل ليخف حملها ، فانها لن تعطب سريعا ، بل تسبح ، وان انكسرت رقبتها أو شىء منها ، فلازال لها أمل صالح فى السلامة . أما أن أصيبت بثقب من أسفلها ، وامتلأت ماء ، فقد عطبت ، هكذا تكون حال الراهب ، فانه ان توانى قليلا فى بعض الأشياء فهو يؤمل أن يغلب بالتوبة ، انما ان سقط مرة واحدة فى الزنى فقد عطب ويوشك أن يقاد الى اليأس فى هذا الغرق .

+ **قال قائل من الاخوة الرهبان لشيخ من الشيوخ** : يا أبى ، لست أجد فى قلبى قتالا ؟ . فقال له : انك تشبه القبة المرتفعة فى وسط السوق ، فكل من اراد جاز تحتها ، كذلك قلبك ، أما ان أغلقت باب قلبك ، ولم تدخله الأفكار الرديئة ، لنظرت الأعداء يقاتلونك(١) قتالا شديدا .

---

(١) قصد المعلم ان ذلك الراهب هو غير مدقق فى حياته ولذا نتصور انه غير محارب فشبهه بقبة تحوى تحتها هواء كثيرا ، وطلب منه أن يدقق فيغلق باب فكره ويصارع الأفكار والشياطين بشجاعة .

الله لا ينسى جهادنا

+ **قال شيخ**

« انه كان أخ قد جرب بأفكار تسع سنين حتى أنه يئس من خلاصه ، ومن الخوف كان يقول : هلكت . ولما كاد أن ينقطع رجاؤه بالكلية ، صار اليه صوت قائلا: ان الشدائد التى لحقت بك فى هذه السنين التسع ، هى أكليل لك . لا تكل من الجهاد . فلما سمع هذا تقوى بالرجاء وخفت عنه الأفكار .

+ **أخ حريص** قامت عليه قتالات صعبة سببت له حزنا شديدا لدرجة أنه كان يخاطب نفسه قائلا : ما دامت هذه الأفكار معى فلن أخلص . وكان يتواضع جدا فذهب الى شيخ كبير وسأله أن يصلى عليه لكى يرفع الرب عنه القتال ، فقال له الشيخ : بل هذا خير لك يا بنى . ولكنه ألح عليه ، فطلب الشيخ الى الله ، فاستجاب طلبته ورفع القتال عن الأخ . واذا بالأخ قد صار يسبح لوقته فى لجة العجب والعظمة ولكنه ندم فعاد عليه القتال الذى كان يسبب له الاتضاع .

(ب) يقظة العقل حراسة الأفكار

سؤال :

أخبرنى يا أبتاه كيف يرصد الانسان قلبه ، وكيف يقاتل تجاه الشيطان ، وان كان ينبغى له أن يسد مدخل الكلام قدام فكر الزنى ، وان هو دخل على العقل فماذا يعمل ، وهل ينبغى أن يكون طعامى بوزن ؟

الجواب :

يا ولدى ، اذا حفظ الانسان قلبه فانه يكون متنبها طاهرا ، وانما يعرض له القتال اذا تهاون يوما ، فاذا أبصر العدو تهاونه عمل على قتاله ، لأننا لسنا نقع الا من تهاوننا ، وان كدنا لا نقاومهم لأنهم يريدون منك المحادثة كيما يشغلونك ولا يكفون ، فتقدم الى الله من أجلهم ، والق ضعفك أمامه وهو يصرفهم عنك ويبطل قوتهم .

وأما من جهة شيطان الزنى فجيد هو أن تسد عليه ولا تدعه يدخل ، لانه اذا دخل نجسك وسجسك ، لانه يتخذ له مادة منها وبها يستطيل عليك ، فان هو خطفك فجأة (بغتة) ودخل فيك ، لاتتوان حتى ولا وقتا قصيرا ، بل قم وجاهد والق ذاتك أمام الله وأقر بضعفك واسأله أن يلقيه خارجا عنك .

أما من أجل الطعام ووزنه ، فليكن ذلك بالتخفيف والتحفظ .

سؤال :

أخبرنى يا أبى كيف يكون الفكر مأكلا للسباع ؟

الجواب :

يصير الفكر مأكلا للسباع اذا لم يسبق الانسان الى لوم نفسه ، فان هو تغافل

جرحته بأنيابها واظافرها ، فحسن أن تحتاج الى الالتصاق بالتوبة ، ويجب عليك ألا تزكى نفسك ، وألا تقول انك شىء ، فتبرأ أوجاعك ، ولا تدن آخرين .

+ **قال شيخ :**

اذا جلست فى قلايتك ، فلا تكن مثل قبر مملوء من النجاسات ، ولكن كن مثل اناء مملوء ذهبا كريما ، ولك حافظك ، حافظ النهار والليل ، التى هى قوة الرب ، التى تحفظ عقلك .

+ **وقال أيضا :**

اذا مدحك الفكر قل له : لماذا تمدحنى ؟ ان السائرين فى البحر حتى ولو هدأ عنهم هيجانه ، فماداموا بعد فى اللجة فانهم يتوقعون أهواله وغرقه . كما الا يسرون بالنسبة للهدوء الذى يكون له أحيانا ، لأنهم لا يطمئنون جملة ، حتى يصلوا الى الميناء ، نعم ، لأن كثيرين كانوا على فم الميناء ولكنهم عطبوا .

+ **وقيل أيضا :**

ان لم يحفظ الانسان التعليم الروحى ، ولم ينق قلبه من الأفكار القذرة ، فكل تعليم ينساه ويذهب عنه . وعند ذلك يجد العدو فيه مطمعا فيسقطه ، لأن النفس تشبه مصباحا مضيئا ، اذا توانت عنه ولم تتعهده بالزيت انطفأ .

+ **وقال تادرس الاسقيطى :**

ان الفكر السوء يأتى فيقلقنى فاشتغل وما أقدر أن أتمم الفعل لكنه يشغلنى ويمنعنى من الفضيلة . فأما الرجل المستيقظ فهو يتيقظ وينهض عليه بالصلاة .

+ **قال القديس ابيفانيوس عند خروج نفسه :**

أيقظوا قلوبكم بذكر الله . فتخف قتالات الأعداء عنكم .

+ **قال أحد الآباء :**

ليكن فكرك فكرا صالحا هادئا فى أى موضع سكنت فيه .

+ **قيل عن أخ من الرهبان** انه زار شيخا تعبا فى عمل الخير ، كان ساكنا فى المغائر التى تقع فوق المكان الملقب باسرائيل ، وكان الشيخ ذا عقل متيقظ لدرجة انه كان حيثما توجه ، يتوقف عن السير ويستعرض فكره ويسأله : كيف حالك يا أخى ؟ أين نحن ؟. فاذا وجد عقله يترنم بالمزامير ومتضرعا ، حمده واستدامه ، وان وجد ذاته متفكرا فى أى شىء من الأشياء ، شتم ذاته فى الحال قائلا : هلم من هناك . قف عند حدك . والزم عملك . وكان الشيخ يخاطب نفسه

بهذا الكلام دائما : يا أخى . يلوح لى أن الانصراف قريب ، ولست أرى مجالا للنوم أو التهاون بعد . ثم ظهر الشيطان فى وقت من الأوقات لهذا الفاضل وقال له : لماذا تتعب . انك لن تخلص . فقال له الشيخ : وماذا يهمك ان كنت لا أخلص ؟ لكنى سوف أوجد فى العذاب فوق رأسك . وتحت كل من فيه .

وقال هذا الشيخ أيضا : سبيل الراهب اذا وقف مع اخوة رهبان ، أن يطرق برأسه دائما الى أسفل ولا ينظر بالجملة الى وجه انسان ، وخاصة وجه شاب ، واذا كان منفردا ينظر الى العلو دائما . ذلك لأن الشيطان من شأنه أن يغتم ويرتاع اذا نظرنا الى العلو نحو ربنا .

+ سأل أخ **أنبا أمونا** مرة قائلا : يا أبى ثلاثة أفكار تضايقنى . الأول : أن أسكن فى البرارى وحدى ، والثانى : أن أمضى الى القرية حيث لا يعرفنى أحد ، والثالث : أن أحبس نفسى فى القلاية ولا أجتمع بأحد ، وأصوم يومين يومين .

قال له الشيخ : ولا واحد من هذه الأفكار تستطيع أن تمارسه كما ينبغى ، بل الأفضل أن تجلس فى قلايتك . وتأكل فى كل يوم قليلا . وتجعل كلمة العشار فى فمك دائما قائلا : يا الله اغفر لى فانى خاطىء . وأنت تتنيح .

+ **وقيل عن الأب جلاسيوس** أيضا انه قلق من أفكار تعرض عليه الخروج الى البرية ، فقال لتلميذه : احرص على عدم مخاطبتى هذا الأسبوع . ونهض واخذ عصاه بيده وبدأ يمشى خارج القلاية . وجلس قليلا ، ثم قام ومشى ، فلما صار العشاء قال لفكره : ان الذين يطوفون البرية . خبزا لا يأكلون وتحت سقف لا ينامون . كما أن أولئك أيضا يقتاتون بالحشيش . أما أنت فلكونك ضعيفا كل بقولا . فأكل ورقد تحت السماء . واستمر على ذلك ثلاثة أيام وهو يمشى طول النهار . ويأكل فى العشية بقولا يسيرا وينام فى العراء .

فلما تعب حينئذ بدأ يعاتب نفسه قائلا : بما انك لا تقدر أن تقوم بأعمال أصحاب البرية ، فأولى بك أن تجلس فى قلايتك وتبكى على خطاياك ، ولا تطيش عقلك قائلا : ادخل الى البرية . لأن عينى الرب فى كل مكان ناظرة الى أعمال جميع الناس ، وهو يعرف جميع فاعلى الخير .

+ **أخ من القلالى** ، بل خوصا فلما جلس يعمل قال له فكره : اذهب الى قلاية الشيخ . فقال هو لفكره : اصبر سوف أذهب بعد أيام . فقال له فكره : فان مت فكيف تذهب ؟ اذهب لتسأله عن الحصاد . فرد على فكره : لما يأتى زمان الحصاد .. أو على الأقل لما أفرغ من هذا الخوص المبلوك سوف أذهب .

عاد فكره وقال له : الهواء طيب اليوم . وانه من ساعته نهض ليذهب الى الشيخ ، وكان لهذا الأخ جار قديس يرى الغيب ، فلما رآه ذاهبا صاح به قائلا : يا مسبى ارجع وتعال . فلما رجع قال له : ارجع الى قلايتك . فحدثه بقتاله

كله ، وصنع له مطانية ، ورجع الى قلايته ، فصاحت الشياطين بصوت عال : غلبتمونا يا رهبان . وصارت الحصير التى كانت تحته تلتهب كلها نارا . ثم بادوا مثل الدخان . وهكذا تعلم ذلك الأخ خبث الشياطين وحيلهم من هذا الأمر.

معينات لضبط الفكر

سؤال :

ان الآباء قالوا : ينبغى لنا أن ندخل الى القلاية ونتذكر خطايانا ، لكنى أجد نفسى انى أتذكرها بدون توجع وأشتهى أن أتخشع فلا يأتينى التخشع فما السبب ؟

الجواب :

لست تسلك فى سبيل الحق ، لأنك تحتاج الى تفتيش القلب وضبط الفكر عن كل انسان ، فمن لم يقطع هواه لا يوجعه قلبه ، وقلة الايمان لا تدع الانسان يقطع هواه ، وسبب ذلك هو محبة مجد الناس أكثر من مجد الله كما قال الرب ، فان أردت بالحقيقة أن تبكى على خطاياك ، فمت عن كل الناس واقطع هواك واجتنب تزكيتك لنفسك وارضاءك للناس ، ولا تتلذذ بطعام ولا تشبع ولا تدن أحد ، وكن حسن الطاعة لتبلغ الاتضاع ، والاتضاع يميت الأوجاع .

سؤال :

كيف أعرف الفكر الذى من الله والفكر الذى من الطبيعة والفكر الذى من الشيطان ؟

الجواب :

افراز هذه المسألة انما يكون قد بلغوا الى التمام لأنه ان لم تطهر العين الداخلة بالعرق والعناء الكثير ، فلا تقدر أن تفرز ، فاقطع هواك لله فى كل شىء وقال : ليس كما أريد أنا ، بل ليكن ما تريده أنت ياربى والهى . وهو يعمل معك كهواه . فاسمع الآن فرز هذه الأفكار الثلاثة : اذا تحرك فى قلبك فكر فى ذات الله ووجدت فرحا ، وحزنا يساوى هذا الفرح ، فاعلم أن ذلك الفكر هو من الله ، فداوم فيه ، فان جاء عليك فكر طبيعى الذى هو الهوى الجسدانى فادفعه ، وأتمم القول القائل : أن تكفر بنفسك ، أى أنك تفكر بالمشيئات الطبيعية وتقطع هواك الجسدانى . وأما أفكار الشيطان فتكون مبلبلة وممتلئة أحزانا ، وهى تجر الى الخلف ، فكل أمر تفكر فيه وتحس فى قلبك ببلبلة ولو بمقدار شعرة ، فاعلم أن ذلك من الشيطان واعلم أن ضوء الشياطين آخره ظلمة .

+ **قال مار اسحق :**

طريق الحكمة هو ترتيب الأعضاء ، وطموح الجسد هو تخبط . الحكمة الحقيقية هى النظر فى الله ، والنظر فى الله هو صمت الأفكار ، الاحساس بالله هو عمق الاتضاع ، ثاؤرية تصور الحق ، هى مبتورة القلب ، القلب الذى هو قد مات عن العالم فبالله يتحرك جميعه ، الذى يبنى نفسه أخير له من أن ينفع المسكونة جميعها . من قد ماتت أعضاؤه الخارجية فقد عاشت أعضاؤه الداخلية . الساذج الحكيم بالله ، خيرا من الفهيم الفاش بضميره .

١ ـ الشجاعة الفكرية

+ **قال أنبا باخوميوس :**

ـ قاتل جميع أفكارك ليعطيك المسيح المواعيد التى أعطاها للقديسين .

ـ اذا جاءك فكر بخصوص حب الاجسام أو بغض أو غضب أو أى رذيلة من الرذائل ، فكن قوى القلب وقاتل كالجبار حتى تهزمها مثل عوج وسيحون وباقى ملوك الكنعانيين ، وحينئذ ترث جميع مدن أعدائك . اطرح عنك ضعف القلب لئلا يتملكك الكسل وقلة الايمان فيطمع فيك أعداؤك .

ـ اجعل قلبك كقلب سبع واصرخ كبولس وقل : من ذا الذى يستطيع أن يفصلنى عن محبة الله ربى ؟ ان كنت فى البرية فقاتل بالصلوات والتنهد والصوم وان كنت فى وسط الناس فكن وديعا كالحمام وحكيما كالثعبان .

+ **سأل شيخا قائلا :**

« ماذا أفعل يا أبى فان الخوف يتبعنى اذا لحقتنى أفكار ؟ » ، فقال له الشيخ : « ان جندى الملك اذا خرج للحرب قبالة الأعداء ، فكلما رموه وجرحوه ينهض مسرعا لمقاتلتهم دفعات كثيرة ، فما لم يترك الحرب ويهرب فان الملك لن يغضب لأجل انهم جرحوه ، بل بالحرى يفرح له بالأكثر ، لكونه قبل الجراح فى سبيل مقاتلة أعداء سيده ، هكذا انت أيضا ، كلما نخستك الأفكار ، انتصب بالأكثر لمقاتلتها » .

٢ ـ لا تلج مع الأفكار

+ **قال أحد الآباء :**

امساك العقل والقلب هو أن يكون الانسان متيقظا . لا تتهاون بأفكارك ، واذا قاتلك العدو بالفكر فلا تلتفت الى قتاله لأنه يريد بذلك أن يشغلك عن مخاطبة الله .

+ **قال شيخ :** بخصوص مساعدتنا للأفكار .

« الشيطان فتال حبال ، فأنت تدفع له الخيوط وهو يفتل » .

+ **قال القديس باسيليوس :**

« ما لا ينبغى أن تفعله لا تفكر فيه ولا تذكره » .

+ **قال أنبا بيمين :**

« اذا أخذ الانسان حية ووضعها فى قارورة فغطى فمها فانها تموت ، هكذا الأفكار الردية ، اذا قامت على الانسان فالصبر والجهاد يهلكانها » .

+ **سأل الأنبا آمون الانبا بيمين** عن الأفكار النجسة التى تتولد فى قلب الانسان والحسيات البطالة فقال له : « هل يقطع الفأس بغير انسان يقطع به ؟ ، فانت اذن لا تعط هذه الأفكار أهمية ولا تستعملها وهى تبطل » .

+ **وسأله أيضا أنبا أشعياء** عن هذه المسألة فأجابه :

« مثل تابوت مملوء ثيابا ، ان تركتها دون أن تتعاهدها ، سوست وتلفت ، كذلك الأفكار ان لم تفعلها جسدانيا بطلت » .

+ **قال أخ لشيخ :**

« ان أفكارى لا تتركنى أستريح ، ولذلك تجد نفسى مغمومة » ، فقال له الشيخ : « اذا زرع الشياطين فيك الأفكار ، فلا تتحدث معها ، فمن شأنهم أن يطرحوا زرعهم دائما ولكنهم لايلزمون أحد بقبوله اضطرارا ، فلك أن تقبله أو لا تقبله . . ألا ترى ما عمله أهل مديان ، كيف أنهم زينوا بناتهم وأظهروهم ، ولكنهم لم يلزموا أحدا بالزنى معهن ، فكان من الاسرائيليين من أراد مخالطتهن ومنهم من لم يديدوا فلم يدنوا منهن ، كذلك من اغتاظ منهن فشرع فى قتلهن . وهكذا تكون حال الرهبان مع الأفكار التى تهجس بها الشياطين اليهم . فأجاب الأخ وقال : « كيف أعمل يا أبى لأنى ضعيف والوجع غالب على وليس لى قدرة على مقاومة الأفكار » فقال له الشيخ : « اذا ألقوا فيك الأفكار فلا تجاوبهم ، بل اهرب الى الله بالصلاة والسجود ، وقل يا الله ارحمنى واصرف عنى هذه الأفكار بقوتك العظيمة ، فانى ضعيف عن مقاومتها » ، فقال له الأخ : « انى اذا وقفت لأصلى ، لا أحس بخشوع لعدم معرفتى بمعنى الكلام وقوته » ، فقال له الشيخ : هكذا : ان الراقى (الساحر) لا يعرف قوة الكلام الذى يعزم به ، لكن الحية تحس بقوة القول فتخرج ، كذلك نحن أيضا ، ان كنا لا نعرف ما نقوله ، ولكن الشياطين تعرف قولنا وتنصرف عنا » .

٣ ــ شغل العقل

+ **قال القديس أوغريس :**

« الذى يجمع كلام الكتب المقدسة الى قلبه ، يلقى الأفكار براحة ، لأننا نحتاج الى أتعاب كثيرة لكى نقطع كمال الأفكار » .

+ **سؤال :** أخبرنى يا أبتاه ماذا أعمل ، لأن الأفكار قد اضطربت فى جدا ؟

الجواب : يا ولدى . ان كان الانسان باطلا ، فانه يتفرغ لقبول الأفكار التى تأتيه ، واذا كان له عمل . يعمله ، فلا يتفرغ لقبولها . قم وقت السحر وامسك الطاحون واطحن قمحك ، فتعمل منه خبزا لغذائك . وذلك قبل ان يسبقك العدو ويجعل عليها رملا ، واسرع فاكتب لوحك ، واحفظ الوجه الآخر . لان ربنا يقول للرسل : « أنتم ملح الارض » . فالارض يا ابنى هى جسدك ، فكن أنت له ملحا تملحه ، وجفف ناموسه ودوده . أعنى افكارك الرديئة » .

٣

عدم الإدانة

+ **قال الأب نستاريون :**

« لا تحسن لذاتك أن تدين أحدا ، لأن الدينونة ، والكذب ، واللعن ، والشر ، والشتم ، والضحك ، كل هذه غريبه عن الراهب ، وأما الذى يكرم أكثر مما يستحق فانه يخسر كثيرا » .

+ **قال أحد الشيوخ لتلاميذه :**

« لا تدينوا أحدا من الاخوة ، وأنتم تقومون على كل أوجاع الشياطين » .

+ **قال شيخ :**

« اياك أن تقول فى قلبك من جهة انسان ، انك أحرص منه ، أو أكثر منه معرفة ، أو أبر منه ، بل اخضع لنعمة الله ، ولروح الحكمة ، والحب الذى ليس فيه غش ، لئلا تنطفىء بالعظمة ، وتضيع تعبك لانه مكتوب : « يا أيها الذى تظن انك قائم احذر لئلا تسقط » .

+ **قال شيخ لأنبا بيمين :**

« ان رأينا أحد الاخوة يخطىء ، فهل ينبغى لنا أن نبكته ؟ » فقال انبا بيمين : « انى اذا كنت ذاهبا لقضاء مصلحة ما وعبرت عليه ورايته يخطىء ، حتى ولو جزت بجانبه ، فما كنت أبكته ، لأنه ، ولو انه مكتوب : « اشهد بما تراه عيناك » ولكننى أقول لكم : « ان لم تجسوا بأيديكم ، فلا تسندوا ، لأنه حدث مرة ان لعب الشيطان بأحد الاخوة فى هذا الامر ، فنظر واذا اخوه مع امراه فى خطية . فلما قام عليه القتال جدا . لم يصبر ، فذهب اليهم وقال لهم : « كفى ، حتى متى ؟ » فبغتة نظرهم تلاليس قمح . من أجل ذلك أكرر لكم وأقول : « ان لم تجسوا بأيديكم ، فلا تبكتوا أحدا » .

خطورة الادانة

١ - تعنى عدم محبتنا

+ **قال القديس دوروثيؤس :**

ان أصل الادانة هو عدم المحبة ، لأن المحبة تغطى كل عيب . أما القديسون فانهم لا يدينون الأخ ، لكنهم يتألمون معه كعضو منهم ، ويشفقون عليه ويعضدونه ويتحايلون في سبيل خلاصه ، حتى ينشلونه كالصيادين الذين يرخون الحبل للسمكة قليلا حتى لا تخرق الشبكة وتضيع ، فاذا توقفت ثورة حركتها حينئذ يجرونها قليلا قليلا ، هكذا يفعل القديسون ، فانهم بطول الروح والمحبة يجتذبون الأخ الساقط حتى يقيموه - كما فعل الشيخ .. اذ جلس على الماجور الذى كانت تحته المرأة ، لكى لا يجدها أولئك الذين نموا على الأخ ... بشفقة ومحبة ، لا باستنقاص وتعيير » .

+ **أخبر أحد رؤساء الأديرة عن شيخ من الشيوخ القديسين** أنه سكن قريبا من الدير ، وكان ذا نفس راجحة فى الصلاح ، فجاوره أخ راهب ، واتفق فى غيبة الشيخ أن طغى الأخ وفتح قلايته ، ودخل فأخذ زنابيله وكتبه ، فلما رجع الشيخ وفتح قلايته ، لم يجد زنابيله ولا باقى حاجاته ، فجاء الى الأخ ليخبره بما جرى ، وبدخوله قلاية الأخ وجد زنابيله وكتبه فى وسطها ، لأن الاخ لم يكن بعد قد خبأها ، فلمحبة الشيخ ، رأى ألا يحرجه ، أو يوبخه أو يخجله ، فتظاهر بوجود الم فى بطنه ، ويحتاج الأمر لزواله الى قضاء الحاجة ، فدخل الى بيت الراحة .. وأبطأ فيه وقتا طويلا ، حتى اذا تأكد ان الأخ خبأها ، خرج الشيخ وبدأ يكلمه فى أمور أخرى ولم يوبخه ، وبعد أيام قليلة ، عثروا على زنابيل الشيخ عند الأخ ، فأخذه قوم وطرحوه فى الحبس فلما سمع الشيخ أنه فى الحبس ، ولم يكن يعرف العلة التى من أجلها حبس ، قام وجاء الى الرئيس وقال له : اصنع محبة واعطنى بيضا وخبزا قليلا . فقال له ذاك : من البين أنه يوجد عندك اليوم ضيوف . فقال : نعم . فأخذ الشيخ ما طلبه ، ومضى اليه فى الحبس ليجد الأخ غذاء من الطعام . فلما دخل ليفتقده ، خر الأخ على رجليه وقال : يا معلم ، لقد جيء بى الى ههنا لأنى أنا هو الذى سرقت زنابيلك ، وكتبك تجدها عند فلان . وثوبك تجده أيضا عند فلان . فقال له الشيخ : بالحقيقة يا ولدى أعلم تماما انى لست من أجل هذا الأمر دخلت الحبس ، ولم أعلم - بوجه من الوجوه - انك جئت من أجلى الى ههنا ، لكنى سمعت أنك محبوس فاغتممت وجئت مصلحا لك طعاما تتغذى به فاقبل الخبز والبيض وخذه من أجل محبتى .

ثم أن الشيخ خرج الى أكابر البلد وأعلمهم بأن هذا الأخ برىء ، وسألهم

ألا يجلبوا على أنفسهم خطيئة . ولكونه معروفا بينهم بالفضل والخير سمعوا لكلامه ، واوقتهم أطلقوه . فهذا الأخ بقى تلميذا عند الشيخ بقية أيام حياته ، ولم يكلمه بكلمة واحدة قط .

+ **قال أخ للأب بيمين :**

ان أنا رأيت أخا قد سمعت عنه سماعا قبيحا . فهل من الواجب على ألا أدخله قلايتى ؟ وان رأيت أخا صالحا فهل أفرح به ؟

فأجابه الشيخ : ان أنت صنعت مع الأخ الصالح خيرا قليلا ، فاصنع ضعفه مع ذاك . لأنه أخ مريض .

+ **قيل عن القديس أنبا أمونيوس الأسقف** أنه من فرط صلاحه كان لا يعرف الشر . فبعد ما صار أسقفا قدموا له عذراء حبلت ، وقالوا له : لقد فعل هذا فلان وفلان دعهم ينالون قصاصهم . أما القديس فرشم علامة الصليب على أحشائها وأمرهم أن يعطوها ستة أزواج من قطع التيل قائلا : ربما تموت هى أو طفلها عندما تلد . وان مات كليهما ادفنوهما .

قال له الحاضرون : ما هذا الذى صنعت؟ مر قداستك أن يأخذوا عقوبتهم . قال لهم : انظروا يا اخوتى ها انها قد أوشكت على الموت . فماذا أستطيع أن أعمل ؟ .

ثم طردها القديس . وهكذا لم يكن يحاكم انسانا ما لأنه كان مماوءا محبة مترفقة وصلاحا لأبناء البشر جميعا .

٢ ـ اغتصابنا حق الله

+ **قال شيخ :**

اذا كان لا يعرف ما فى الانسان الا روحه كقول الرسول . واذا كنا نعلم أن كثيرين تابوا ولم نعلم بتوبتهم ، واذ قد يتفق أن تتوب انسان فى آخر حياته ويقبل كاللص ، فسبيلنا اذن أن لا ندين أحدا ، فالديان هو الله وحده فكيف يجسر أحد أن يتدخل فيما هو خصص بالاله ؟

+ حدث أن أتى **اسحق القس التبايسى** الى الكونيون . ودان أخا على فعل أتاه ، فلما خرج الى البرية . أتاه ملاك الرب ، ووقف قدام باب القلاية وقال له : الرب يقول لك أين تشاء أن نطرح نفس ذلك الأخ المخطىء الذى أنت أدنته ؟ . فتاب لوقته قائلا : أخطأت فاغفر لى . فقال له الملاك : لقد غفر لك الله ، ولكن عليك أن تحفظ ذاتك من الآن وألا تدين أحدا من الناس قبل أن يدينه الله .

+ قال يوحنا السينائى :

انه فى حال جلوسى فى البرية الجوانية ، جاءنى أحد الاخوة متفقـدا من بالدير ، فسألته : كيف حال الاخوة ؟ . فأجابنى : بخير بصلاتك . فسألته أيضا عن أخ واحد كانت سمعته قبيحة . فأجابنى : صدقنى يا أبى ، انه لم يتب بعد منذ ذاك الوقت الذى أشيعت عنه فيه تلك الأخبار . فلما سمعت ذلك قلت : اف .. فعند قولى اف أخذنى سبات وكأن نفسى قد أخذت . فرأيت أنى قائم قدام الجلجثة ، والمسيح مصلوب بين لصين ، فتقدمت لأسجد له ، ولكنه أمر الملائكة الواقفين قدامه بابعادى خارجا قائلا : « ان هذا الانسان قد اغتصب الدينونة منى ودان أخاه قبل أن أدينه أنا » فوليت هاربا . فتعلق ثوبى بالباب وأغلق عليه ، فتخليت عن ثوبى هنـاك . فلما استيقظت قلت للأخ الذى جاءنى : ما أردأ هذا اليوم على . فأجابنى : ولم يا أبى ؟ فأخبرته بما رأيت وقلت : لقد عدمت هذا الثوب الذى هو ستر الله لى .

ومن ذلك اليوم ، أقام القديس هكذا تائها (١) سبع سنين فى البرارى ، لا يأكل خبزا ولا يأوى تحت سقف ، ولا يبصر انسانا . وأخيرا رأى فى منامه كأن الرب قد أمر أن يعطوه ثوبا ، فلما انتبه فرح فرحا عظيما ، وبعد أن أخبرنا بذلك بثلاثة أيام تنيح . فلما سمعنا ذلك تعجبنا قائلين : ان كان الصديق بالجهد يخلص ، فالمنافق أين يظهر .

٣ ـ تمنع عنا نعمة الله

+ قال القديس دوروثيئوس :

انه لا شىء أردأ من الدينونة للانسان لأن بسببها يتقدم الى شرور ويسكن فى شرور ، فمن دان أخاه فى قلبه وتحدث فى سيرته بلسانه . وفحص عن أعماله وتصرفاته وترك النظر فيما يصلح ذاته . وانشغل عما يلزمه بما لا يلزمه من الأمور التى ينشأ عنها الازدراء والنميمة والملامة والتعيير ، فحينئذ تتخلى المعونة الالهية عنه ، فيسقط فيما دان أخاه عليه .

+ قال أنبا زينون :

ان كنت تريد أن تقطع عروق شيطان الزنى ، وتهلكه عنك ، فكف فمك عن دينونة الناس كلهم ، ولا تقع بواحد من ورائه ، وقر بخطاياك دائما ، فهذا هو عون لك وسلاح قوى . أما ان أسلمت نفسك لكثرة الكلام ، فان الملاك الذى معك يتنحى عنك ، ويلتقى بك الشياطين أعداؤك ، ويمرغونك فى دنس الخطية .

---

(١) كم ترينا هذه القصص مقدار حرص القديسين ، ومستواهم فى نقاء الداخل . ثم أنه ليس المقصود أن الله لم يقبل الأخ الا بعد سبع سنوات ، بل انه كان لحرصه واضعا خطيته أمامه فى كل حين ، فسماء الرب وأراه هذه الرؤيا قبل انتقاله لتعزيته وتعزية الغير .

+ **كان أحد الاخوة** يرى نعمة الله على الهيكل ، فلما قال لأخيه : لم تأكل مبكرا ؟ . ارتفعت ولم يرها بعد .

+ وقيل أيضا :

كان أخوان كنونيون ، واستحق أن ينظر كل واحد منهما نعمة الله على أخيه . فعرض لأحدهما أن يخرج يوم الجمعة خارج الكنونيون ، فرأى انسانا يأكل مبكرا ، فقال له : أفى هذا الوقت تأكل يوم الجمعة ؟! .. ولما كان الغد رآه أخوه ولم يبصر عليه النعمة التى كانت ترى عليه ، فحزن لذلك ، ولما جاء الى قلايته قال له : ماذا عملت يا أخى ؟ قال : ما عملت شيئا حتى ولا فكرت فكرا رديئا . قال له : ألم تتكلم بشيء ؟ فقال : نعم بالأمس رأيت انسانا خارج الكنونيون يأكل مبكرا ، فقلت له : أفى هذا الوقت تأكل يوم الجمعة ؟ فقام بالصلاة مدة أسبوعين وسأل الله بتعب ، فظهرت نعمة الله على الأخ ، فشكرا الله كلاهما .

+ من خبر لتادرس الرهاوى :

كان بتلك النواحى حبيس قديم فمضى اليه **القديس تادرس الأسقف** ، وسأله أن يعرفه بسيرته من أجل الرب . فتنفس الحبيس الصعداء وتنهد من صميم قلبه وذرفت دموعه وقال : أما سيرتى فانى أخبرك بها ، انما لا تشهرها لأحد الا بعد انتقالى . فاعلم أيها الأب ، انى خدمت بدير ثلاث سنوات مع أخ أكبر منى . وبعد ذلك جئنا الى البرية فى بابل القديمة ، وسكنا مقابر لم يبعد بعضها عن بعض كثيرا . وكنا نتغذى من الحشائش النامية من ذاتها من سبت الى سبت ، وكنا اذا خرجنا لجمع الحشائش لغذائنا ، يتراءى مع كل واحد منا ملاك يحفظه ، ولم يكن أحدنا يخاطب الاخر ولا يقرب منه . ففى أحد الأيام رأيت أخى من بعد وقد قفز عن موضع طائرا كأنه نجا من فخ ، ومضى هاربا الى قلايته ، فلما عجبت من قفزته ، مضيت الى ذلك الموضع لأتحقق الأمر ، فوجدت هناك ذهبا كثيرا ، فأخذته ثم جئت الى المدينة وابتعت موضعا لضيافة الغرباء ، وابتعت برسمه مواضع كافية للانفاق عليه ، واقمت عليه رجلا خبيرا بتدبيره ، أما باقى المال فقد تصدقت به على المساكين حتى لم أبق لى منه ولا دينارا واحدا ، ثم عدت طالبا قلايتى ، وفكرى يوسوس لى قائلا : ان أخى من فشله ما استطاع تدبير ما وجده من المال ، أما أنا فقد دبرته حسنا . (١) وفى حال تفكرى بهذا ،

---

(١) ليس معنى هذه القصة أن عمل الرحمة مكروه . بل من ناحية أن لكل انسان وزنة ، ومن ناحية أخرى لا يجوز دينونة أحد على سلوك . أما الأخ الذى هرب من المال فبشجاعة تصرف ثابتا فى طريقه . والأخ الذى خدم فلأنه دان أخاه ظهرت له هذه الرؤى . وهى لا تعنى أن الخطأ يمحق بالجهاد البشرى ، بل هى تظهر مقدار تدقيق القديسين واحساسهم بأقل الحركات الفكرية وتمييز طبيعتها .

وجدت نفسى وقد وصلت بقرب قلايتى ، ورأيت ذلك الملاك الذى كان قبلا يفرحنى، واذا به ينظر الى نظرة مفزعة قائلا لى : لماذا تتعجرف باطلا ؟ ! ان جميع تعبك الذى اشغلت نفسك فيه كل هذه الأيام ، لا يساوى تلك القفزة الواحدة التى قفزها أخوك ، لأنه ما جاز عن حفرة الذهب فحسب ، بل عبر أيضا تلك الهوة الفاصلة بين الغنى ولعازر ، واستحق لذلك السكنى فى أحضان ابراهيم ، من أجل ذلك فقد أصبح حالك ليس شيئا بالنسبة لحاله بما لا يقاس ، وها هو قد فاتك كثيرا جدا ، ولهذا صرت غير أهل لأن ترى وجهه ، كما لن تحظ برؤياى معك بعد . واذ قال لى الملاك ذلك غاب عن عينى . ثم انى جئت الى مفارة أخى فلم أجده فيها ، فرفعت صوتى باكيا حتى لم يبق فى قوة للبكاء ، وهكذا أقمت سبعة أيام أطوف تلك البرية باكيا ، فما وجدت أخى ولا وجدت عزاء ، فتركت ذلك الموضع نادبا وجئت الى ههنا ، فأقمت فى هذا العمود ٤٩ سنة محاربا أفكارا كثيرة ، وشياطين ليست بقليلة ، وكان على قلبى غمام مظلم وحزن لا يمازجه عزاء ، وفى السنة الخمسين ، فى صبيحة أحد أشرق قلبى نور حلو ، فقشع عنى غمام الآلام ، وبقيت مبتهلا بقلب خاشع متندبا بدموع ذات عزاء ، فلما جازت الساعة الثالثة من النهار ، وأنا ملازم للصلاة قال لى الملاك : السلام لك من الرب والخلاص . فتعزى قلبى .

٤ ـ تفقدنا السلام الداخلى

+ **قال أحد الآباء :**

ان شئت ان تجد راحة فى هذه الدنيا ، قل فى كل أمر تعمله : أنا من أنا . كما لا تدن أحدا .

+ **كذلك قيل :**

ان أخا من الاخوة جاء الى آخر ، وتحدثا بشأن أخ لا يحفظ العفة ، فأجاب الآخر وقال : وأنا سمعت بهذا أيضا . فلما مضى ذلك الأخ الى قلايته لم يجد فيها الراحة التى تعودها ، فقام ورجع الى ذلك الأخ وضرب له مطانية قائلا : اغفرلى، فانى لم أسمع شيئا عن ذلك الأخ . فقال له الآخر كذلك : ولا أنا سمعت شيئا . فلما ندما على ما قالا وجدا راحة .

٥ ـ تشغلنا عن ادانتنا نفسنا

+ **سأل احد الاخوة شيخا قائلا :** « ما السبب فى أنى أدين الاخوة دائما ؟. فأجابه الشيخ : لأنك ما عرفت ذاتك بعد ، لأن من عرف ذاته ، لا ينظر عيوب اخوته .

+ **وحدث مرة** ان هفا أخ بالاسقيط ، وانعقد مجلس بسببه ، فقام الأب بيور واخذ خرجا وملأه رملا وحمله على ظهره ، كما اخذ كيسا صغيرا ، ووضع فيه

قليلا من الرمل وجعله قدامه . فسألوه : ما هذا الخرج المملوء كثيرا ؟ فقال : انه خطاياى قد طرحتها وراء ظهرى حتى لا أنظرها ولا أتعب لأجلها . أما هذا الرمل القليل الموجود قدامى فهو خطايا أخى ، وقد جعلتها قدامى لادينه عليها . فلما سمع الاخوة ذلك انتفعوا ، وغفروا للأخ .

٦ ــ توقعنا تحت الدينونة

+ قال القديس دوروثيئوس :

النميمة تصدر من ذاك الذى يخبر بما فعله أخوه من خطايا شخصية فيقول عنه انه قد فعل كذا وكذا .. وأما الدينونة فبأن يخبر بما لأخيه من خلق ردىء ، فيقول انه سارق ، أو كذاب ، أو ما شابه ذلك ، فيحكم عليه بالاستمرار فيها وعدم الاقلاع عنها . وهذا النوع من الدينونة صعب جدا ، ولذلك شبه ربنا خطية الدينونة بالخشبة ، والخطية المدانة بالقذى . من أجل ذلك قبل توبة زكا العشار ، وصفح عما فعله من آثام ، وشجب الفريسى لكونه دان غيره ، مع ما له من صدقة وصوم وصلاة وشكر لله على ذلك . فالحكم على خليقة الله يليق بالله لا بنا ، فدينونة كل واحد وتزكيته هى من قبل الله وحده ، لأنه هو وحده العارف بسر كل انسان وعلانيته ، وله وحده اصدار الحكم فى كل أمر وعلى كل شخص، اذ يتفق أن يعمل انسان عملا بسذاجة وبقصد يرضى الله ، وتظن أنت غير ذلك ، وان كان قد أخطأ فمن أين تعلم ان كان قد تاب وغفر الله له . أو أن كان الله قد دانه فى العالم ازاء ذنوبه ؟ فالذى يريد الخلاص اذن، ليس له أن يتأمل غير نقائص نفسه ، ذلك الذى رأى أخاه قد أخطأ فبكى وقال : اليوم أخطأ هذا الأخ وغدا أخطىء أنا ، وربما يفسح الرب لهذا فيتوب ، وقد لا يفسح لى أنا . فبالحقيقة ويل لمن يدين أخاه فانه سيهلك نفسه بكونه صار ديانا ، ولكونه يؤذى الذين يسمعونه ، وعنه يقول النبى : « ويل للذى يسقى أخاه كأسا عكرة » . وكذلك : « ويل للذى من قبله تأتى الشكوك » .

+ قال شيخ :

اذا شتم الراهب أخاه بذكر شىء من الخطأ مثل أن يقول : يا زان يا سارق ويا كذاب ، فان سكت المشتوم وغفر للشاتم وقال فى نفسه : بالحقيقة انى خاطىء . فان تلك الخطية التى شتم بذكرها والتى أشار اليها بقوله : بالحقيقة انى خاطىء ، تغفر له ، وتصبح على الشاتم ، لانه ترك الاعتراف بخطيئته واظهر خطية أخيه ، ولكن المشتوم احتمل اشهار خطيئته فحسب له اعترافا ،ولكونه غفر لأخيه نال المغفرة .

+ وقال آخر :

لا تدن الفاسق أيها الضعيف لئلا تصير مثله مخالفا للناموس ، لان الذى قال

لا تزن ، قال أيضا لا تدن ، والرسول يعقوب يقول : ان من حفظ الناموس كله ، وزل فى واحدة منه ، صار مطالبا بالجميع .

+ وقال شيخ بخصوص لعازر المسكين :

اننا لم نجده قد عمل شيئا من الفضيلة غير أنه لم يدمدم قط على ذلك الغنى الذى لم يرحمه ، كما كان شاكرا الله على ما كان فيه ، فمن أجل هذا فقط رحمه الله .

+ قال أنبا يوسف :

أنا أعرف انسانا له السيرة الجسدية ، فكان يصوم أما يومين ، واما أربعة أربعة ، واتفق مرة وهو صائم أربعة أيام أن أصابه الضعف فى قواه ، فجاءه صوت يقول له : لا تحتقر أحدا من الاخوة ، ولا تدن أحدا من خليقة الله ، وما استطعت أن تعمله فاعمله ، لكن ضع ذاتك فقط وتحفظ على قدر قوتك وأنت تخلص .

وأنبا يوسف هذا ،هو الذى قاتله الشيطان بالزنى وهو صبى ، فأرسله أبوه ليقيم منفردا أربعين يوما ، فأبصر الشيطان بشكل امرأة بشعة الصورة .

+ قال القديس انسطاسيوس :

لا تكن ديانا لاخيك لتؤهل أنت للغفران ، فربما تراه دائما خاطئا لكنك لا تعلم بأى خاتمة يفارق العالم ، فذلك اللص المصلوب مع يسوع ، كان للناس قتالا وللدماء سفاكا ، ويوداس كان تلميذا للمسيح ومن الاخصاء اذ كان الصندوق عنده ، الا أنهما فى زمن يسير تغيرا ، فدخل اللص الفردوس واستحق التلميذ المشنقة وهلك .

+ وقال أيضا :

ان أخا من الرهبان كان يسير بتوان كثير ، هذا وجد على فراش الموت وهو فى النزع الاخير بدون جزع من الموت ، بل كانت نفسه عند انتقاله فى فرح كامل وسرور شامل ، وكان الآباء وقتئذ جلوسا حوله ، لانه كانت العادة فى الدير أن يجتمع الرهبان كلهم أثناء موت أحدهم ليشاهدوه ، فقال أحد الشيوخ للاخ الذى يموت : يا أخانا ، نحن نعلم أنك أجزت عمرك بكل توان وتفريط ، فمن أين لك هذا الفرح والسرور وعدم الهم فى هذه الساعة ؟! فاننا بالحقيقة لا نعلم السر ، ولكن بقوة الله ربنا تقو واجلس وأخبرنا عن أمرك العجيب هذا ، ليعرف كل منا عظائم الله .. وللوقت تقوى وجلس وقال : نعم يا آبائى المكرمين ، فانى أجزت عمرى كله بالتوانى والنوم ، الا أنه حدث الآن فى هذه الساعة ، أن أحضر لى الملائكة كتاب أعمالى التى عملتها منذ أن ترهبنت . وقالوا لى : أتعرف هذا ؟ قلت : نعم ، هذا هو عملى ، وأنا أعرفه ، ولكن من وقت أن صرت راهبا ما دنت أحدا من الناس قط ، ولا نممت قط ، ولا رقدت وفى قلبى حقد على أحد ، ولا غضبت البتة ، وأنا أرجو أن يكمل فى قول الرب يسوع المسيح القائل : « لا تدينوا لكى لا تدانوا ، اتركوا يترك لكم » ، فلما قلت هذا القول، تمزق للوقت كتاب خطاياى بسبب اتمام هذه الوصية الصغيرة . واذ فرغ من هذا الكلام أسلم الروح . فانتفع الاخوة بذلك وسبحوا الله .

٤ - الإفراز

+ قال أحد الشيوخ :

ان الافراز الحقيقى لا يكون الا من الاتضاع ، والاتضاع هو أن نكشف لآبائنا افكارنا وأعمالنا ، ولا نثق برأينا . بل نستشير الشيوخ المجربين الذين نالوا نعمة الافراز ، ونعمل بكل ما يشيرون به علينا ، فالذى يكشف أفكاره الردية لآبائه فانها تخف عنه . وكما أن الحية اذا خرجت من موضع مظلم الى ضوء تهرب بسرعة ، كذلك الافكار الردية اذا كشفت تبطل من أجل فضيلة الاتضاع . واذا كانت الصناعات التى نبصرها بعيوننا ونسمعها بآذاننا ونعملها بأيدينا ، لا نقدر أن نمارسها بذواتنا ان لم نتعلمها أولا من معلميها . أفليست اذن جهالة وحماقة ممن يريد أن يمارس الصناعة الروحانية الغير المرئية بغير معلم . علما بأنها أكثر خفاء من جميع الصنائع ، والغلط فيها أعظم خسارة من كل ما عداها !!.

+ قال مار افرام :

بغير طين لا يبنى البرج ، وبغير معرفة لا تقوم فضيلة .

+ عبر راهب براهب فقال له : ما هو تمام الحكمة ؟ فأجابه : ليس الحكيم التام هو ذاك الذى يفرح بشىء من لذات هذه الدنيا ، أو يحزن بشىء من مصائبها أو يغتم به ، وانما الحكيم التام هو ذلك الذى لا تفرحه السراء ، ولا تحزنه الضراء ، بل يكون عارفا بالمبدأ وما تؤول اليه الانتهاء .

+ اجتمع جماعة من الآباء عند الانبا أنطونيوس وتباحثوا فى أى الفضائل أكمل وأقدر على حفظ الراهب من جميع مصائد العدو . فمنهم من قال ان الصيام والسهر فى الصلاة يقومان الفكر ويلطفان العقل . ويسهلان للانسان سبيل التقرب الى الله . ومنهم من قال أنه بالمسكنة والزهد فى الامور الارضية يمكن للعقل أن يكون هادئا صافيا خالصا من هموم العالم فيتيسر له التقرب من الله .. وآخرون قالوا أن فضيلة الرحمة أشرف جميع الفضائل . لان الرب يقول لاصحابها كما وعد : **تعالوا الى يا مباركى أبى رثوا الملك المعد** لكم من قبل كون العالم .. فمن بعد انتهائهم من المباحثة والكلام قال أنبا أنطونيوس :

« **حقا ان كل هذه الفضائل التى ذكرتموها نافعة ويحتاج اليها كل الذين يطلبون الله . ويريدون التقرب اليه الا أننا قد رأينا كثيرين يهلكون أجسادهم بكثرة الصوم والسهر والانفراد فى البرارى والزهد حتى انهم كانوا يكتفون بحاجة يوم واحد ويتصدقون بكل ما يمتلكون . ومع كل ذلك رأيناهم وقد حادوا عن المسلك القويم وسقطوا وعدموا الفضائل وصاروا مرذولين . وسبب ذلك أنهم لم يستعملوا الافراز** » .

(ا) فاعليــة الافراز

الافراز هو الذى يعـلم الانسان كيف يسير فى الطريق المستقيم الملوكى وكيف يحيــد عن الطريق الوعرة . ان الافراز يعلم الانســـان كيف لا يسرق من الضربة اليمينية بالامساك الجائز المقدار وكيف لا يسرق أيضا من الضربة الشمالية بالتهاون والاسترخاء .

الافراز هو عين النفس وسراجها كما أن العين سراج الجسد . وبخصــوص الافراز حذر الرب قائلا : احذر لئلا يكون النور الذى فيك ظلاما . فبالافراز يفحص الانسان سيئاته وأقواله وأعماله وبالافراز أيضا يفهم الانسان الامور ويميز جيـدها من رديئها وتتأكد ذلك من الكتب المقدسة : فشاول الملك لمـا لم يمتلك الافراز أظلم عقله فلم يفطن الى أهميــة ما قاله الله بلسان صـموئيل النبى . فأغضب الله بذلك التصرف الذى به كان يظن أنه يرضى الله ونسى أن الطاعة لله أفضــل من تقـريب الذبائح . والرب يسمى الافراز ربانا ومدبرا لسفينة حياتنا . والكتاب يقول : ان الذين ليس لهم مدبر يسقطون مثل الورق من الشجر . وأيضا يقول الكتاب : ان الانسان الذى يعمل أموره بغير مشورة ولا افراز يشبه بمدينة غير محصنة وكل من أراد دخولها وأخذ كنوزها لا يجد مانعا له من ذلك .

+ **حدث أن أحد الاخوة** لحقته تجربة من ديره فطردوه من هناك فمضى الى جبل أنطونيوس وسكن عنده مدة . وبعد ذلك أرسله الى ديره فلم يقبلوه وطردوه مـرة أخرى . فرجع الى الأنبا أنطونيوس وقال له : انهم لم يرضوا أن يقبلونى يا أبى . فأرسل اليهم يقول :

مركب غرق فى اللجة وتلفت حمولته . وبتعب كثير سلم المركب وجاء الى البر فالذى نجا أتريدون أنتم أن تغرقوه ثانية !؟ أما هم فحالما رأوا كتاب الأب قبـلوه بفرح .

(ب) تميز الآلام الجسدانية

+ **قال أنبا أنطونيوس :**

ان للجسد ثلاث حركات : **الحركة الأولى من** الطبع تتحرك فيه ولكنها ليست عاملة ما لم توافقها النية **والحركة الثانية** تتولد من الراحة وترفيه البـدن وتنعيمه بالطعام والشراب . فيسخن الجسد ويهيج الدم ويحرك الى الفعل .. ولذلك قـال الكتاب انظروا لئلا تثقل قلوبكم بالشبع والسكر . كما يقول : لا تسكروا بالخمر الذى منه الخلاعة أما **الحركة الثالثة** فانها تهيج على المجاهدين من حسد الشيطان .

+ **سئل القديس مقاريوس :**

ماذا يعمل الانسان المخدوع بأسـباب واجبـة وباعلانات شيطانية تشـبه الحقيقة ؟.

الجواب : يحتاج الانسان فى هذا الامر الى افراز كثيرة ليميز بين الخير والشر ، ولا يسلم نفسه بسرعة ، فان أعمال النعمة ظاهرة ، التى وان تشكلت بها الخطية فلا تقدر على ذلك . لأن الشيطان يعرف كيف يتشكل بشكل ملاك نور ليخدع . ولكن حتى ولو تشكل بأشكال بهية ، فانه لا يمكنه أن يفعل أفعالا جيدة ، ولا أن يأتى بعمل صالح اللهم الا أن يأتى بعمل صالح . اللهم الا أن يسبب بذلك الكبرياء . أما فعل النعمة فانما هو فرح وسلام ووداعة ، وغرام بالخيرات السمائية ، ونياح روحانى لوجه الله ، أما فعل المضاد فبخلاف ذلك كله . فهو لايسكن الملاذ . ولا يهدىء الآلام .

فاذن من فعل الافراز أن تعرف النور اللامع فى نفسك ، هل هو من الله أو من الشيطان ، والنفس بها افراز من احساس العقل ، به تعرف الفرق بين الصدق والكذب ، كما يميز الحنك الخمر من الخل ، وان كانا متشابهين فى اللون ، كذلك النفس من الاحساس العقلى تميز المنح الروحانية من التخيلات الشيطانية » .

+ **قيل عن أحد الرهبان** أنه كان بليغا جدا فى الافراز والتمييز وأراد السكنى فى القلالى فلم يجد قلاية منفردة . وأنه خرج تائها فى البرية الى أن لقيه أحد الشيوخ فأخبره بحاله فأجابه الشيخ : « ان لى قلايتين . فاجلس فى واحدة منهما الى أن يسهل **المسيح لك بقلاية** » فحمد أفضاله . ولما سكن فى القلاية قصده قوم من الرهبان لينتفعوا منه لكونه من أهل الفضل ، وكانوا يحملون اليه ما سهل عليهم حمله .

فلما نظر الشيخ صاحب القلاية ذلك بدأ يحسده بايعاز من الشيطان وقال لتلميذه : « كم من السنين ، ونحن مقيمون فى هذا المكان ، ولم يقصدنا واحد من هؤلاء الرهبان . وهذا المحتال فى أيام قلائل استحال اليه الكل ، امض اطرده من القلاية » فمضى التلميذ وقال له : « ان المعلم يسلم عليك ويسأل عن صحتك ونجاح أحوالك واعتدال مزاجك ويسألك أن تصلى من اجله لأنه مريض ، ويقول لك : ان كان لك احتياج الى شيء أقوم بتأديته لك » فقام الراهب وسجد للتلميذ وقال له بلغه سلامى عنى ، وقل له : « انى بخير ببركة صلواتك وليس لى احتياج لشيء » . فرجع التلميذ الى الشيخ وقال له : ان الراهب يقبل يديك ويسألك أن تصلى من أجله وتمهله أياما قلائل حتى يجد لنفسه قلاية ، ويرتحل عن قلايتك بسلام . فصبر ثلاثة أيام وبعد ذلك أقلقه الحسد ، فقال لتلميذه : اذهب وقل له « لقد صبرت اكثر من اللازم . فأخرج من القلاية » فأخذ التلميذ بركة مما كان يوجد فى القلاية ، ثم جاء الى الراهب وسجد بين يديه وقال له : « ان المعلم يسلم عليك ويسألك أن تقبل منه هذه البركة لأجل السيد المسيح وتصلى من أجله لأنه متعب جدا . ولولا توجعه لكان حضر اليك » فلما سمع الراهب ذلك أدمعت عيناه وقال : « كنت أشتهى أن أذهب وابصره » فقال له التلميذ : « لا يا أبتاه ، فانه لا يحتمل أبا مثلك يرافقنى اليه ، لئلا يلحقنى من ذلك شر . ابق انت ههنا وانا ابلغه سلامك ورسالتك » .

ثم ودعه وخرج وأتى الى الشيخ وقال له : يا أبتاه ان الراهب يقول لك : « لا يصعب عليك الأمر ، ولا تغضب . ففى يوم الأحد سوف اخرج من قلايتك » فما زال الشيخ يترقب سواعى الليل حتى يوم الأحد فلما لم يخرج الراهب قام الشيخ وأخذ عصا وهو مسبى العقل ، طائر الفكر ، وقال لتلميذه : « تعال معى الى الى هذا الراهب المحتال ، فانه اذا لم يخرج باختياره فسوف أطرده بهذه العصا مثل الكلب » . فلما رآه التلميذ هائجا ، وقد سلب العدو فكره ، قال له : « أسألك باأبتاه أن تستمع الى مشورتى بأن تجلس ههنا ، وأنا أسبقك اليه وأبصر ان كان عنده رهبان ، لئلا اذا أبصروك على هذه الحال يطردونك عنه فلا تنال بغيتك ، أما اذا وجدته وحده أعلمتك لتمضى اليه وتطرده » ، فاستصوب الشيخ كلام التلميذ وجلس وهو يصر بأسنانه ومضى التلميذ الى الراهب ، وسجد له كعادته وقال : « ان المعلم يسلم عليك ، ولما أعلمته أن جسمك ضعيف احترق قلبه ولم يستطع صبرا ، وقد جاء ليبصرك ، ولكنه بسبب ضعفه ما أمكنه المجىء اليك » . فلما سمع الراهب ذلك الكلام خرج لوقته للقائه بلا كساء ولا قلنسوة على رأسه ولا عصا بيده . فسبقه التلميذ الى معلمه وقال له : « هو ذا الراهب قد ترك قلايتك وها هو حاضر ليودعك ويأخذ بركة صلاتك قبل ذهابه وانصرافه بسلام » . فلما سمع الشيخ هذا الكلام تذكر كلامه ومراسلاته له ، وانكشفت عنه غمامة الحسد وبقى حائرا فى نفسه ماذا يعمل ، وخجل من لقائه ، ولشدة الحياء لم يقدر أن يرفع عينيه نحوه ، فأخذ يولى الأدبار ، فلما رآه التلميذ على هذه الحال ، سجد له وقال : « يا أبتاه . التق بأخيك دون خجل فان جميع الكلام الذى قلته لى لم يصل الى مسامعه قط(١) » ، فلما سمع الشيخ هذا الكلام فرح جدا ، والتقى بالراهب بفرح وقلب نقى ، ورجع معه الى قلايته . فقال له الراهب : « اغفر لى يا أبتاه لأنه كان الواجب على أنا أن آتى اليك ، لأنك تعبت فى المجىء الى » فلما رجع الشيخ الى قلايته سجد بين يدى تلميذه وقال له : « انك من الآن أنت الأب وأنا لا أستحق أن أكون تلميذا » لأنك بعقلك وسلامة ضميرك وحسن افرازك ، خلصت نفسى من الفضيحة .

(ج) كيف يأتينا الافراز

+ قال الأنبا موسى الأسود :

كل الأمور الروحية يختبرها الانسان بالافراز ويميزها ولن يأتينا الافراز مالم تتقن أسباب مجيئه وهى :

السكوت لأنه كنز الراهب ، والسكوت يولد النسك . والنسك يولد البكاء ، والبكاء يولد الخوف ، والخوف يولد الاتضاع ، والتواضع مصدر التأمل فيما

(١) لعل التلميذ كان يعلم أن قلب الشيخ لا يحب القسوة ، وأنه ما أمر بخروج الأخ من القلاية الا بسبب حرب طارئة لابد أن تنتهى ، فكان ينقل مشاعر الشيخ الثابتة لا كلماته الطارئة بدليل فرح الشيخ به فى النهاية .

سيكون . وبعد النظر يولد المحبة . والمحبة تولد للنفس الصحة الخالية من الاسقام والامراض ، وحينئذ يعلم الانسان أنه ليس بعيدا من الله فيعد ذاته للموت .

(د) نتيجة عدم الافراز فى النسك

+ **قال القديس أنبا أنطونيوس :**

ان قوما عذبوا أجسادهم فى النسك ولم يجدوا الافراز . فصاروا بعيدين عن الله .

+ **قال أنبا أوغريس :**

« ممدوح هو الانسان الذى يربط النسك بالفهم ، لكى تروى النفس من هذين النوعين ، وتظهر النسك بقتل الأعضاء التى على الأرض ، أعنى الزنى والنجاسة والاغراض الشريرة » .

+ **قال القديس قسيانوس الرومى :**

« انه كان شيخ اسمه **ايرينيس** ، هذا ــ منذ أيام قلائل ــ كابد سقطه يرثى لها قدام أعيننا اذ تهزأت به الشياطين ، فهبط من تلك الرفعة الى قاع الجحيم بسبب شظف الطريق الذى سلكه ، اذ سكن البرارى منذ ٥٠ سنة مستعملا التقشف والنسك . طالبا أبدا أطراف البرية والتفرد أكثر من أحد ، فهذا ــ بعد الأتعاب الكثيرة تلاعب به ابليس وطرحه فى سقطة ثقيلة ، وسبب به للآباء القدماء الذين فى البرية ولكل الاخوة مناحة عظيمة . ولو أنه استعمل الافراز لما لحقه ما لحقه ، وذلك أنه تبع فكره فى الأصوام والانفراد بعيدا عن الناس لدرجة أنه حتى ولا فى يوم الفصح المجيد كان يحضر مع باقى الآباء الى الكنيسة كى لا يضطره الحال الى أن يأكل مع الآباء شيئا مما يوضع على المائده ، مثل القطانى أو غيره ، لئلا يسقط عن الحد الذى حدده لنفسه من النسك . فهذا ظهر له الشيطان بشبه ملاك نور فسجد له وأقنعه أن يرمى نفسه فى بئر عميقة ليتحقق عمليا عناية الله ، وأنه لن يلحقه ضرر لعظيم فضيلته ، ولما لم يميز بفكره من هو هذا المشير عليه بهذه المشورة لظلام عقله ، فطرح نفسه فى بئر فى منتصف الليل ، وبعد زمان ، عرف الاخوة أمره ، وبالكد والتعب الكثير انتشلوه وهو بين الحياة والموت ، ولم يعش بعد ذلك سوى يومين ومات فى اليوم الثالث ، وخلف للاخوة حزنا ليس بقليل . وأما الأب **بفنوتيوس** ، فلما حركته محبته للبشر ، أمر بأن يقدم عنه قربان مثل المتنيحيين ، ذاكرا أتعابه الكثيرة وصبره على شقاء البرية » .

+ **وحدث لألبينوس الطوباوى** أنه فى وقت من الأوقات مضينا الى الاسقيط وكان بيننا وبين الاسقيط ٤٠ مرحلة ، أكلنا فيها دفعتين وشربنا ماء ثلاثة أيام وهو لم يذق فيها شيئا ، بل كان يتلو محفوظاته وما كنا نلحقه ماشيا ، وهكذا ضبطه العدو أخيرا لما اقتنع برأيه وفى عروض ذلك أمسكته حمى محرقة فى أمكنة الجلوس فى القلاية ، فمضى الى الاسكندرية ولعلّ ذلك كان بسياسة الهية كما قيل : « دفع

مسمارا بمسمار » لأنه أسلم ذاته باختياره لعدم الافراز فوجد فيما بعد خلاصا غير طوعى ، فصار يحضر المشاهد (المسارح) وطرد الخيل ، ومن كثرة أكله وغرامه بشرب النبيذ مال جدا لمحبة النساء ، ولما شارف الوقوع فى تلك البئر ، حدث له — ولعله بسياسة الهية — أن مرض فى أعضائه مدة ستة أشهر حتى أ نتلك الاعضاء تهرأت وسقطت منها وبها ، وفيما بعد برىء ، فانتبه وذكر السيرة السمائية واعترف بجميع ما عرض له للآباء القديسين ، ولم يفسح له الأجل فتنيح بعد أيام قلائل .

٥- الرؤى

لا تصدقوا كل روح

+ **من كلام انسطاسيوس السينائى :**

« ليس كل من يعمل آيات قديسا ، بل نجد كثيرين يعملون آيات وتتلاعب بهم الشياطين ، لأننا قد فهمنا من جال أسقف هيراطيقى اسمه **مقدونيوس** ، محارب الروح القدس ، أنه قد نقل شجرة زيتون من موضعها وغرسها فى موضع آخر بشكل الصلاة .

وحدث كذلك أن كان رجل ظالم قد أزعج امرأة أرملة لأجل دين كان له على زوجها ، وزاد قيمة الدين عن الحقيقة ، ولم يكن الميت قد دفن بعد ، فما كان من ذلك الأسقف المذكور الا أن جعل الميت يتكلم ويخبر بمقدار الدين ، كذلك لما مات ذلك الأسقف الهيراطيقى ، ظهرت على قبره خيالات كثيرة وعملت آيات ؛ من أجل ذلك لا يجب أن تقبل كل من يعمل آيات قائلا انه قديس ، بل يجب أن يمتحنوا ويختبروا على رأى القائل : « لا تصدقوا كل روح ، بل جربوا ان كان ذلك الروح من الله ، لأن أنبياء كثيرين كذابين قد خرجوا الى العالم » والرسول يقول : « ان هؤلاء رسل كذابون وفعلة غاشون ، متشبهون برسل المسيح ، وان الشيطان يظهر بشكل ملاك النور ، فلا عجب ان كان خدامه يتشكلون بشكل خدام العدل » ، لأن الشياطين الأنجاس بواسطة الانبياء الكذبة يصنعون آيات وأشفية جسدية ليخدعوا من كان سهل الانقياد لخداعهم ، وقد يظهرون أحيانا ميتا قائما بواسطة صلاة بطالة من انسان مضل ، وذلك بأن يدخل ابليس فى جسد الميت ويحركه ويخاطب الأحياء من وجه الميت ، ويجيب الانسان المخدوع عما يسأله ، ويخبر عن أشياء مخفية وعما عمله قوم سرا ، حتى اذا وثقوا به أنه صادق ، سهل عليه ادخال الضلالة **التى تخصه .**

كذلك يتجاسر الشياطين على أن **يحدثوا عن خصب الأرض** وجدبها ، واختلافات الأهوية وكثرة الأمطار وقلتها وما شاكل ذلك ، **كما يمكنهم** فهم آراء

النـــاس من اشـــارات وامارات يرونها فى الانســـان أو يتصيدون ذلك من وجوه أخرى ؛ وليس ذلك فقط ، بل ويسبقون فينـذرون بموت قوم من الناس ، لأن العناية الالهية قد وضعت علامات فى جسم البشر كما يعرف ذلك أولئك الذين حذقوا صناعة الطب حذقا بليغا ، اذ يستدلون على موت الناس من علامات تظهر من زيادة الكيموسات ونقصان الدم ، وتغير المزاجات وغير ذلك ، لا سـيما وأن الشياطين لطيفة ولطول مدتهم وكثرة تجاربهم ، فالنســاء العرافات والمنجمون يحدثون بما يحكم به الشياطين ، ليس عن سابق علم . بل لزيادة التجربة . وليس ذلك مقبولا ، فقد عرفنا قوما سحرة مشعوذين ، قد صنعوا آيات متنوعة من فعل الشياطين ، مثل هاروت وماروت اللذين كانا على عهد موسى ، فانهما جعلا عصيهما حيات ، وقلبا المياه دما ، وأصعدا من المياه كثرة من الضفادع .

كذلك سيمون الساحر فى عهد الرسل ، فكم من الآيات صنع ، فلقد حرك اصناما وجعلها تمشى ، وطرح فى النـار ولم يحترق ، وطار فى الهـواء ، وحول حجارة الى خبز ، وصار حية ، وتشكل بهيئة حيـوانات ، وفتح أبوابا مرتجة ، وفك قيودا ، وحل حديدا ، وعلى الموائد أظهر أشكالا ، وجعل الأوعيـة التى فى البيت تتحرك خادمة منها وبها دون أن يرى الذى يحركها . وجعل ظلا يتقدمه زاعما أنه من أرواح الذين ماتوا . واذ رام كثيرون من السحرة أن يفضحوه ، غير شكله ، ثم بحجة ما ، دعاهم الى وليمة حيث ذبح ثورا وأطعمهم ، فنزلت بهم اسقام كثيرة ، وصرعتهم شياطين مردة ، وأخيرا لما طلبه الملك ، فزع منهم ، وهرب وطرح شكله على غيره .

+ **ومن كلام البابا أثناسيوس :**

سؤال : « كيف يصنع الهراطقة آيات لمرات كثيرة ؟ » .

الجواب : « سبيلنا الا نستغرب ذلك ، لأننا قـد سـمعنا الرب قائلا : ان كثيرين يقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وأخرجنا شياطين ، وصنعنا قوات كثيرة ؟ فأقول لهم ، انى لا أعرفكم قط ، انصرفوا عنى يا فاعلى الاثم » ، فعلى أكثر الحالات يتسبب الشفاء بايمان المتقدم وليس بسيرة المجترح ، لأنه مكتوب : « ان ايمانك خلصك » . لأنه ليس فى الارثوذكســية فقط اجتراح آيات ، بل وقوم أردياء ، مرارا كثيرة تقشفوا وقدموا لله أتعابا ، فأخذوا أجرهم فى هذا العالم فسحة من الله ، كشفاء الأمراض لكيما يسمعوا ذلك فى العالم العتيد : « انك قد استوفيت خيراتك فى حياتك » .

(أ) هل تعتقد فى الأحلام

+ فى بعض الأوقات جاء اخوة الى **الأب انطونيوس** يخبرونه عن أحلام يرونها ليعلموا هل هى حقيقة أم من الشياطين ، وكان معهم أتان قد مات فى الطريق ، فلما سلموا عليه ابتدرهم قائلا : «كيف كان طريقكم؟ وكيف مات الأتان الصغير؟»

فأجابوه : « من أين علمت يا أبانا ؟ » فقال لهم : « ان الشياطين أرونى ذلك فى الحلم » ، فقالوا له : « ونحن لهذا الأمر بعينه جئنا نسألك ، لئلا نضل ، لأننا نرى أحلاما ونصدقها مرارا كثيرة » ، فأكد لهم الشيخ من حال الزمن الذى أخبرهم به ان هذه التخيلات من الشياطين .

+ من كتاب الدرج :

المصدق المنامات يشبه من يريد أن يلحق ظله ليمسكه ، فان شياطين العجرفة ينذروننا فى الحلم بما يكون مكرا منهم ، فاذا تمت المنامات نتخشع نحن كأننا قد تقربنا من نعمة النبوة فيتعجرف فكرنا جملة ، طائعين الشيطان ، ان الشيطان هو روح علام بما فى أسقطس الهواء فاذا عرف أنه قد مات فلان يسرع ويخبو به ويخدع الخفيفى العقول وقد يتشكل مرات بشكل ملاك نور أو شهيد من الشهداء ، ويرينا ذلك فى الحلم واذا انتبهنا يملأنا فرحا وابهة .

+ راهب اسمه نومينوس ، هذا أظهر من ضبط الهوى مقدارا زائدا ، ومكث سنين كثيرة حابسا نفسه فى قلاية ، فهذا تلاهت به الشياطين فيما بعد وهزات به باعلانات ومنامات أظهروها له ، فتهود واختتن ، بعد أتعاب وفضائل جزيلة فاق بها جميع الاخوة ، لأن الشيطان لما رام خديعته أراه مرارا منامات صادقة ليحسن قبول نفاقه ، ويجعله حسن الانصياع لقبول الضلالة التى كان عتيدا أن يمليها عليه أخيرا ، فأراه فى بعض الليالى شعب المسيحيين مع الرسل والشهداء مظلمين مكمدين معبسين مغمومين من كل خزى ، ثم أراه شعب اليهود مع موسى والأنبياء ملألئا ، باشا مستبشرا ، وعرض عليه الخداع قائلا : « ان شئت نوال فرح وضياء هذا الشعب تهود واختتن » .

+ وآخر أيضا ، كان كثير الصلاة والصوم والجهاد ، وكان كل يوم فى ازدياد وحرص ، وحدث أنه اتكل على أعماله الصالحة ، فجاءه المجرب فى الليل فى شبه امرأة تائهة فى البرية ، ووثبت ودخلت قلايته ، ووقعت بين رجليه ، وكانت تطلب اليه أن تستقر عنده تلك الليلة ، فظن فى نفسه حينئذ أن يصنع معها خيرا ، وبدأ يسألها كيف تاهت ؟ فاخبرته بكل ما أصابها .. ثم بدأت تكلمه ، وتزرع فى قلبه الأفكار الدنسة ، وترثى لحاله ، وتتظاهر بالاشفاق عليه ، وهكذا أطالت فى كلامها حتى أمالته الى الشهوة النجسة ، مريدة جذبه الى نفسها ، وبالضحك السمج أضلته حتى أنه بسط يديه اليها ، فاقترب منها مسبيا بها ، مقدما نفسه ليتم الشهوة ، فصاحت بغتة . وخرجت هاربة مثل الدخان ، وصوت الضحك سمع فى الهواء من الأرواح النجسة يصيحون ويقولون : « يا من تعظم ونرفع الى العلا ، انظر كيف هبطت الى الهاوية » . ومن بعد هذا غدا حزينا ، ولبث هكذا فى حزن أياما كثيرة حتى قطع رجاؤه ورجع الى العالم . وعلى هذا المنوال يفعل الشيطان ، فانه اذا غلب انسانا يجعله بغير معرفة لئلا يقوم من

سقطته . من أجل ذلك يجب علينا الهروب من العالم ، والحذر من ملاقاة امرأة ، ولا نقطع رجاءنا أبدا من رحمة ربنا .

(ب) خيالات التنبؤ

+ **قل القديس انطونيوس :**

وان تظاهر الشياطين بسابق المعرفة ، فلا تمل اليهم . لأنهم يخبرون بأشياء كثيرة قبل كونها بأيام ، ليقنعوا الذين يصغون اليهم بصدقهم . فاذا صدقوهم بعد ذلك ، أهلكوهم . أما هم (أعنى الشياطين) فليس لهم سابق معرفة لأن علم الغيب لله وحده ، وانما هم سعاة خفيفون مسرعون فى الهواء ، والذى يرونه يسبقون وينذرون به فاطلبوا من الله ليؤازركم على دحضهم ، ومتى طرقوكم ليلا على أنهم ملائكة ، لا تصدقوهم لأنهم كذبة .

+ **وقال أيضا :**

اذا ما بدأ الانسان فى المجىء من بلدة بعيدة ، فعندما يراه الشياطين هكذا يسبقون وينذرون بمجيئه قبل أن يجىء وقد يتفق مرارا كثيرة أن ذلك الانسان يعاق أو يرجع لعارض ما ، فيظهر كذب الشياطين ، وهكذا ينبئون عن ماء النيل ، لأنهم متى عاينوا الأمطار الكثيرة فى بلاد الحبشة . يعرفون ان ماء النهر يكون كثيرا ، فيسبقون ويخبرون بذلك . وكما كان ديدبان داود الملك يقف فى أعلى موضع فينظر ما لم ينظره من كان تحته فيخبر به . هكذا هؤلاء الأرجاس أيضا يفعلون ذلك ليضلوا ..

+ **دخل راهب** الى البرية وكان يصوم الستة أيام ، وفى اليوم السابع كان يأتى الى الصلاة ويتناول الطعام . ولا يزيد عن الصلاة كلمة ، فهذا مضى اليه الشياطين وخدعوه فى أشياء كثيرة وأنذروه بأمور جرت فى بلدان مختلفة ، فصدق بما خيل له وظن بالمخيلين له أنهم (أرواح) قوات قديسة ، واتفق وقتئذ أن مضى ليفتقد أخا مريضا وتظاهر لقوم كانوا هناك كأنه يحكى عن غيره فقال : هل يمكن لانسان أن يعلم ما يجرى فى العالم ؟ .. فلما سمعوه فهموا أنه هو المخدوع ، فزجروه قائلين : ان اشغلت فكرك بمثل هذا الخداع فلا تعد الينا . وللوقت انتبه وندم ، فلما عادت الشياطين تخبره دعاهم كذبة ، وللوقت تغيرت صورهم الى حيوانات مفزعة وتهددوه وانصرفوا عنه .

(ج) خيالات الرؤى

+ **سئل شيخ :**

ما رأيك فى اناس يقولون انهم يبصرون ملائكة ؟

فأجاب الشيخ : طوبى لمن أبصر خطاياه كل حين .

+ **وقال آخر :**

ان الشياطين يخفون شرهم وراءهم ، ونورهم آخره ظلام ، فلا تعمل شيئا بغير مشورة الآباء العارفين بقتالهم .

+ **من رسالة للقديس سمعان :**

جميع المناظر التى يمكن الناس ابانتها فى الأجسام ، انما هى من تخايل أفكار النفس وليست من أفعال النعمة ، لأن من شأن هذا الأمر أن يتبع الرهبان الشديدى البحث ، محبى العجرفة ، الجانحين الى الكبرياء والأبهة ، المتمسكين بالرفيعات ، المرائين .

انسان سكن طور سيناء ، وكان يظن أنه يسلك سلوكا حسنا، ، هذا عجرفته الشياطين فى المنامات ، وتخيل أنه قبل شرطونية الأسقفية ، فجلس وأخذ يعمل عمل الأساقفة .

ولقد رأينا أيضا متوحدا ساكنا مغارة ، لعبت به المنامات فأعيا أهويته وطارد ضلالات فضاع عقله وفسد قلبه وسقط من السيرة الفاضلة ومات مجنونا ،

+ **وراهب آخر اسمه ولاس** ، قورنثانى(١) العقل متشامخ ، هذا جاء الى البرية وسكن مع الآباء لعدة سنين ، وأتقن التقشف وشظف السيرة الى أقصى غاية فخدع من الأبهة وتناهى فى العجرفة كثيرا ، وأقنعه ابليس بأن ملائكة تخدمه فى كل ما يحتاج اليه ، وكما حكى عنه رفاقه ، انه فى وقت من الأوقات وهو يخيط الزنابيل فى ليل عميق داج أن رمى بالمسلة على الأرض فظهرت له شمعة بفعل ابليس ، فتعجرف واستكبر من هذا الحادث المر ، فاتفق أن قوما غرباء أحضروا الى الاخوة فاكهة ، فأرسل **الأب مقاريوس الطوباوى** لكل واحد نصيبا بمقدار حفنة ، وأنفذ له ضمنا ، فلم يأخذ ما أرسل اليه ، بل شتم وضرب موصله وقال له : « امض وقل لمقاريوس ما أنا دونك لتنفذ لى بركة » ، فعلم الأب أنه قد خدع .

وبعد يوم مضى اليه ليعزيه ، وقال له : يا أخى لقد تلاهت بك الشياطين ، فكف واطلب من الله أن يرحمك . فلم يصغ الى كلامه ، فمضى من عنده حزينا متحققا انخداعه ، فلما رأى ابليس انه قد انخدع له وانقاد اليه ، تشكل له بشكل المخلص وأتاه بالليل مع شياطينه كملائكة الرب حاملين أنوارا ، وظهر له فى كرة نارية قد تخيل له فى وسطها المخلص ، وان واحدا من الشياطين قال له ان المسيح قد أحب سيرتك وقد جاء لينظرك ، فأخرج من قلايتك ولا تعمل شيئا آخر

---

(١) نظرا لرفاهية أهل كورنثوس ، كان من يلجأ الى الرفاهية يسمى كورنثانى وهنا معناها انه مغرور معتد بما هو فيه .

سوى انك تقوم من بعيد . واذا نظرته قائما وسط الكل ، خر له ساجدا ، ثم أرجع ادخل قلايتك .

فلما خرج ولاس وراء المصاف وحاملى الانوار وقف، على بعد وسجد لضد المسيح . وهكذا انخدع عقله المفسود لدرجة أنه جاء الى البيعة فى اليوم التالى وبمشهد من جماعة الاخوة قال : انى لست فى حاجة الى قربان لانى بالامس قد شاهدت المسيح . وحينئذ ربطه الآباء بالحديد مدة سنة كاملة حتى كسروا عجرفته وكبرياءه بسيرة لا عجبة فيها ، وشفوا الضد بالضد على ما يقال .

فان كان مع غروس الفردوس نبت معرفة الخير والشر ، فلا عجب أن نبتت مع المناقب الشريفة أثمار ردية تولد الموت ؛ فيليق بالمفرز أن يكون كل حين حذرا ، لأنه مرارا كثيرة تصير الفضائل الجلية أسبابا لسقطات عظيمة متى لم يحكمها محكم بنية متضلعة ذات افراز .

وعلى ما كتب : « رأيت صديقا هالكا ببره » مع أن البر لم يكن بسبب الهلاك بل العجرفة .

+ وأيضا انسان اسمه ماليطون كان يرى آراء غريبة . ويتجاسر على العظائم . هذا تنسك محتملا الأتعاب والمعاطب الكثيرة ، متشبثا بامساك الهوى لأبعد غاية . وعلى ما قيل تتلمذ لأوليانوس الطوباوى مدة من الزمان، وصحبه الى طور سيناء والى بلد القبط . وشاهد أنطونيوس الكبير وصحبه ، وصاحب غيره من القديسين الكبار . وسمع منهم أقوالا كثيرة تتعلق بالطهارة وخلاص النفوس ، وأشياء كثيرة من التذكارات التى تهون من احتمال المصاعب ، وما يتعلق بمناظر الروح ، وسمع أيضا أنه يمكن النفس اذا ما نظفت كما يجب وبلغت الى عدم الانفعال ، أى انها اذا ألقت عنها — بحفظ الوصايا — لباس الآلام العتيق ، وثبتت ثباتا قويا بالله على صحتها الطبيعية التى كانت لها أولا ، فانها حينئذ تبلغ الى المناظر الالهية .

فهذه الأمور وما شاكلها لما سمعها ماليطون ، التهب بالعجرفة كالملتهب بالنار ، ثم انه انفرد فى موضع وانفصل من الاجتماع بالباقين وانعكف على نصب وتعب طويل ، وتبتل للصلوات والطلبات ليحظى فقط بما كان يؤمله من المناظر الرفيعة التى سمع بها ، وكان شغوفا بنوالها . مع أنه لم يكن قد احترف صناعتها ، أى تواضع اللب وتمسكن القلب ، وجعل اعتماده على مواصلة الأتعاب والتوفر على الأصوام دون أن يذلل ذاته أو يخضع عقله جملة . ودون أن يفهم حيل وكمائن ابليس المحارب ، ولم يصغ الى القول القائل : « اكملتم كل شىء فقولوا انا عبيد بطالون » ، بل تعجرف عقله بالكبرياء والأبهة ؛ فلما نظر الشيطان أنه لا هم له الا فى عدم تمسكن العقل ، ولا عرض له سوى رغبة نوال المناظر العالية ، أظهر له ذاته محاطا بمجد عظيم ونور كثير وقال له : « أنا هو البار قليط ، أرسلت

الآن من الآب اليك لأهبك شيئا من المناظر الرفيعة جزاء لأتعابك الكثيرة ، هذه المدة الطويلة ، لأنك أكملت زمان العمل ، وقد حان أوان الراحة » . وطلب منه السجود له ، ففرح جدا بما سمع ولم يشعر بالعطب ، وللوقت خر ساجدا له ، فلما نال العدو السجود الذى أراده ، استولى عليه بالكلية ، وأعطاه تخيلات شيطانية عوض المناظر الالهية ، التى كان يشتاق لرؤياها ، وفرغ من الأتعاب والاغراق كأنه قد بلغ الى عدم الانفعال ، وقال له : « ان كنت قد بلغت الى هذا الحد من عدم الآلام ، فليست هناك حاجة بعد الى تعب وعرق جسدى » . ومن ههنا جعله ابليس مقدما واماما لمقالة (لبدعة) الساجدين المصلين ، فلما انكشف أمره للأسقف ، أبعده ورذله ونفاه بعيدا .

+ **قيل عن بعض الآباء** أن الشيطان تراءى له فى شبه ملاك نورانى وقال له : « أنا غبريال ، قد أرسلت اليك » .

أجاب الشيخ : « لعلك أرسلت الى غيرى واما أنا فخاطىء » .

فلما سمع الشيطان هذا الكلام منه باتضاع ، اختفى ولم يره .

+ **كان أحد الشيوخ** جالسا فى قلايته مجاهدا ، وكان ينظر الشياطين عيانا ويحتقرهم ، فلما رأى ابليس نفسه مقهورا من الشيخ ، ظهر له قائلا : أنا هو المسيح . فأغمض الشيخ عينيه ، فقال له الشيطان : أنا المسيح ، وتغمض عينيك منى ؟ . فأجابه الشيخ قائلا : لا أريد أن أبصر المسيح ههنا .

فلما سمع ابليس منه ذلك ، غاب عنه .

+ **قال أحد الشيوخ :**

حتى ولو ظهر لك ملاك حقيقى فلا تقبله بل حقر ذاتك قائلا : أنا عائش بالخطايا فلا أستحق أن أنظر ملاكا .

+ **قال الشيخ أوغريس :**

لا تشتق أن تنظر ملائكة أو قوات ، أو المسيح حسيا ، لئلا يضيع عقلك بالكلية ، وتقبل ذئبا بدلا من خروف ، وتسجد لأعدائك الشياطين ، لأن بدء ضلالة العقل التيه والكبرياء ، اذا ما بدأ العقل يتحرك فى العجرفة ، فانه يروم أن يحصر الاله فى صور وأشكال ، لذلك يجب الا تجهل هذا الغش ، وهو أنه فى وقت ما ، يقسم الشياطين ذواتهم ، فبعض منهم يبدأون بمحاربتك ويحققون عندك أنهم شياطين ، فاذا طلبت المعونة ، تجد البقية يدخلون اليك فى شكل ملائكة قديسين — وهم شياطين — ويطردون أولئك الأولين ليخدعوك ، فتظن أنهم ملائكة قديسون ، وهم شياطين ، كذلك توسوس لك الشياطين فى وقت ما بأفكار ، ثم يحركونك

للصلاة عليهم ومقاومتهم فينصرفون باختيارهم ، كيما اذا انخدعت ظننت بنفسك شيئا ، فتتكبر كأنك قد بدأت أن تقهر أفكارك وتفزع الشياطين .

+ **جلس أحد الرهبان** ناسكا فى قلايته ، فأراد الشياطين أن يخدعوه بصورة ملائكة ، وانهم أنهضوه للذهاب الى اجتماع الكنيسة وأروه أنوارا ، فجاء الى شيخ وقال له : يا أبانا ، ان الملائكة تأتينى بصورة وتقيمنى لأذهب الى اجتماع الكنيسة .

قال له الشيخ : لا تقبل منهم ذلك يا ولدى ، انهم شياطين ، فاذا أتوك قل لهم : أنا متى أردت قمت ، ومنكم لا أسمع .

وفى الليلة التالية جاء الشياطين فنبهوه كعادتهم ، فأجابهم بما قاله له الشيخ . فقالوا له : هذا الشيخ السوء الكذاب انما يخدعك . فقد أتاه أخ يستعير منه شيئا كان عنده ، لكنه كذب وقال : ليس عندى ، وصرفه دون أن تعطيه شيئا . فجاء الأخ بكرة الى الشيخ وأخبره بما كان ، فقال له الشيخ : اما ما طلبه الأخ منى وكان عندى ولم أعطه فذلك لأنى عرفت أنه شىء يسبب له خسارة نفسه ، فرأيت أن أتجاوز وصية واحدة (١) ولا أتجاوز عشرة وصايا كى لا ينتهى أمرنا الى الحزن ، فأما أنت فلا تسمع من الشياطين الذين يريدون أن نخدعوك . وبعد أن دعمه بالتعليم صرفه الى قلايته .

+ **قال أنبا أور :**

انى أبصرت انسانا فى البرية خيلت له الشياطين طغمات ملائكة ومراكب حافلة ، وملكا فى وسطهم ، فقال له : يا أيها الانسان ، لقد أتقنت كل شىء ، اذن خر لى ساجدا وأنا أرفعك كما رفعت ايليا . فقال الراهب فى فكره : أنا فى كل يوم أسجد لملكى المسيح ، فلو كان هذا هو المسيح حقا ، لما التمس منى السجود الآن . ولما جال هذا فى فكره قال : ان ملكى هو المسيح وأنا دائما أسجد له ، وأما أنت فلست بملكى . ولما قال هذا الكلام ، تلاشى ذلك الخيال الوقت . هذا ما شرحه ذلك الأب كأنه عن غيره ، وأما الآباء الذين كانوا معه فقالوا : انه هو هو الذى رأى ذلك .

+ **جلس أخ** فى برية ملآنة من الشياطين مدة من الزمان وكان يظن انهم ملائكة ، وكان والده يزوره من حين الى حين ، وفى بعض الأيام أخذ منه فأسا ليحطب به ويعيده اليه ، وحدث فى عودته اليه أن سبق أحد الشياطين وقال له : ان شيطانا يشبه أباك آت ومعه فأس فى زمبيله يريد أن يضربك به ، فلما جاء

(١) لم يقل الشيخ انه كذب ، بل يغلب انه اعتذر عن اعطاء المطلوب . أما قوله انه كسر وصية فلعلها القائلة : « من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا » مت ٥ : ٤٠ .

أبوه حسب عادته ، أخذ الابن الفأس وضربه فقتله . وللوقت صرعه الروح النجس وخنقه .

+ **راهب آخر** كان ينظر دائما فى قلايته ضوء سراج ، فانقاد لعدم التمييز ، وقبل فى بعض الأوقات شيطانا على أنه ملاك ، فأمره ذلك الشيطان أن يقدم لله ولدا له كان معه فى الدير لينال بذلك كرامة أب الآباء ابراهيم ، فانقاد لهذه المشورة لدرجة أنه كاد أن يتممها بالفعل ، لولا أن الغلام نظره يسن السكين بخلاف العادة ويجهز ما يربطه به ، فهرب منه ونجا .

+ **حكى راهب تقى قائلا :**

انى فى حال سفرى لأسجد فى أورشليم جئت الى موضع حيث كان هناك جرف عال وفيه مغارة ، ومن تحته يوجد دير ، فدخلت اليه ، فقال لى سكانه ان أحد الرهبان أراد أن يسكن تلك المغارة ، وسأل الرئيس فى ذلك ، فقال له : يا ولدى ، انك لا تقدر أن تسكن المغارة ، لأنك لم تخضع أسقام نفسك بعد ، ولا آلام جسمك للقوة الناطقة ، كما أنك لا زلت تجهل حيل ابليس المتفننة . فالأجود لك أن تقيم بالدير ، وتخدم آباءك وتربح صلواتهم ولا تبق وحدك مقاتلا شياطين خبثاء .

ولكنه لم يقتنع . فأفسح له الرئيس فى ذلك ، وصعد الى المغارة ورفع السلم . وكان أحد الاخوة يحضر له طعاما ويرفعه فى زنبيل . ثم ان ابليس – الذى لم يزل محاربا للسالكين طريق الفضيلة – دبر له وهقا ليرميه فى هوة الكبرياء ويأخذه أسيرا ، فظهر له فى شكل ملاك نورانى وقال له : اعلم أيها الاخ ، انه لطهر نيتك وشرف سيرتك ، أرسلنى الرب خادما لقدسك .

فأجابه الراهب : وما الذى فعلته حتى تخدمنى ملائكة ؟

قال له ذاك : ان جميع أعمالك جليلة وقد انعزلت عن الرهبان وسكنت وحدك فى هذا الموضع ، فكيف لا تخدمك ملائكة ؟

بهذه الأقاويل وأمثالها نفخ التنين فى ذلك الراهب ، وصار يأتيه كل يوم ويخاطبه بمثل هذا الكلام .

ثم أنه حدث فى بعض الأيام أن رجلا وقع بين اللصوص وسلبوا ماله ، فسعى الى مغارة الأخ ، فتقدم ابليس وجاء اليه فى صورة ملاك وقال له : ان انسانا يقبل اليك ، سرق اللصوص بيته ووضعوا ما أخذوه منه فى مكان كيت وكيت . فأتى الرجل وسجد تحت المغارة فأجابه الراهب من فوق : مرحبا بك يا أخى ، قد عرفت حزنك ، ان لصوصا أخذوا حاجاتك وهى كذا وكذا ، وهى مخبأة فى المكان الفلانى ، امض خذها وصل على .

فرجع الرجل الى ذلك المكان ولما وجد أشياءه انذهل ، وأشاع الخبر بين الناس أن الراهب ساكن المغارة يعلم الغيب . فاقبل اليه جمع غفير ، رجالا ونساء وأحداثا متسائلين . ودخل فيه الشيطان وصار يخبر كل واحد بما ناله فى زمانه وما يناله ، فلما سمع رهبان ديره عجبوا كيف بلغ هذه المنزلة فى زمن يسير . وفى يوم الاثنين ثانى أسبوع القيامة ، ظهر له ابليس وقال له : اعلم أيها الأب ، انه لحسن سيرتك فان ملائكة كثيرين مرسلون خلفك ليحملوك الى السماء حتى تعاين المجال الذى هناك . وان الاله المتحنن لم يشأ هلاكه ، فألهمه أن يطلع الرئيس على هذا الأمر ، فراسله بيد الأخ الذى يأتيه بالطعام ، فلما سمع الرئيس بذلك أسرع بالمضى اليه وقال له : « يا والدى لماذا استدعيتنى ؟ فأجابه قائلا : « بماذا أكافئك يا أبى عن جميع ما عملته مع حقارتى ؟ » فأجابه الرئيس : وماذا عملت معك من الخير ؟ » ، فقال : « خيرك على كثير بك استحققت لبس هذا الزى ، بك سكنت هذه المغارة ، بك بلغت أن انظر ملائكة ، بك الهمت بعلم الغيب » .

فلما سمع ذلك قال له : « أأنت يا شقى تنظر ملائكة وتعلم الغيب ؟ أما قلت لك : لا تصعد الى المغارة لئلا تضلك الشياطين ؟ » .

فقال الراهب : « لا تقل هكذا يا أبى المكرم ، انى بصلواتك أنظر ملائكة وفى يوم الصعود ها أنا عتيد أن أرتفع معهم الى السماء بجسدى هذا ، واذا وصلت الى هناك فانى أسأل ربى يسوع المسيح أن يأمر بأن ترفعك الملائكة أنت أيضا ، فتكون وتعاين المجد الذى هناك » .

فلما سمع الرئيس هذا لطم على وجهه وحدبه قائلا : « لقد جننت يا شقى، وضاع رشدك ، ولكن على كل حال ها أنا مقيم معك حتى أعاين آخر أمرك ، فاذا رأيت ملائكتك الارجاس ، اعلمنى » . ثم انه أمر برفع السلم ، وأقام معه مصليا الابصالتس وصائما ، فلما كان اليوم المعين لارتفاعه نظر الشياطين قادمة اليه ، فقال : « لقد جاءوا أيها الأب » حينئذ احتضنه الرئيس وصرخ بصوت جهورى : « أيها الرب يسوع ابن الله . آزر الأخ المخدوع » ، فارادوا أخذه من يد الرئيس ، فزجرهم باسم الرب ، فما كان منهم الا أن أخذوا وزرة الأخ وغابوا مقدار ساعة ، واذا بالوزرة ساقطة نحو الأرض ، فقال له الرئيس : « أنظرت يا شقى ماذا فعل الشياطين بوزرتك ؟ هكذا أرادوا أن يعملوا بك » ، ثم أنه أحضر السلم وأنزل الأخ معه الى الدير ورسم له أن يخدم فى المخبز والمطبخ مدة سنة ، وبذلك ذلل فكره .

+ **قال الأب أوغريس :** « لا تصور بعقلك اللاهوتية أشكالا وأنت تصلى ولا تسمح لعقلك بالجملة أن يتصور الاله بشكل ما ، لأن الله تعالى غير هيولى ،

فان علمت ذلك ، فانك سوف تجد فهما يليق بالغير الهيولى أى الاله . احفظ ذاتك من مصائد المحاربين لأنهم اذا رأوك تصلى بنقاوة يجعلون أشكالا غريبة تظهر قدامك بغتة ليجذبوك الى كبرياء القلب ، وذلك بأن يصوروا لك الاله والله ليس له شبه ولا قياس ولا صفة .

+ من قول مار اسحق :

كل الذين يزعمون ان المسيح بعد ارتفاعه الى السماء يظهر شبه انسان تراه عين الجسد ، هم رفاق أولئك القائلين : ان نعم الملكوت أكل وشرب .

+ قال شيخ روحانى :

« فى أى وقت تبصر فيه الثاؤريا شبه نار مركبة ، فاعلم أن هذا هو فخ الدغل الذى يريد أن يعيدك به للهلاك ، وان كل ما يشبه قرصا يضىء قدامك ، أو شبه كوكب أو قوس قزح الذى يرى بالسحاب ، أو شبه كراس أو مركبة أو خيل نار ، فهذه كلها من طغيان الشياطين وباختصار أقول : ان كل شىء تراه حولك بهذه الأشباه ، فهو من طغيان الشياطين ، ان منظر الثاؤريا بسيط وليس بشىء مركب » .

الفصل الخامس

تدبير المحبة

١ – الراهب والله

٢ – الراهب والمجمع

٣ – الراهب والعالم

١- الراهب والله

(أ) ما هو الحب

+ قال مار أسحق :

النفس المحبة لله سعادتها فى الله وحده . محبة الله هى فردوس كل النعيم الذى فيه شجرة الحياة وما لم يخطر على قلب بشر . فمن يدركه لا يموت لأنه يغتذى بلا تعب من الخبز الذى نزل من السماء الذى يهب الحياة للعالم . فمن عاش فى هوى حب المسيح قد استنشق منههنا نسيم الأبرار بعد القيامة .

الحب هو هذا الملك المعد الذى وعد به السيد المسيح لمحبيه والحب هو المسيح لأن الرسول يقول : « ان الله محبة » .

+ قال القديس باسيليوس :

ابتداء المحبة حسن الثناء ، وابتداء البغضة الوقيعة .

+ وقال أحد الآباء :

كما أنه لا يستطيع أن تكون الصحة والمرض فى جسد واحد ولا يفسد أحدهما من الآخر ، هكذا لا يمكن للحب والبغضة أن يسكنا فى انسان واحد ولا يفسد أحدهما رفيقه .

(ب) كيف يقتنى

+ يقول ماراسحق :

ـ ان مخافة الله تتقدم محبة الله .

ـ كما أنه لا يمكن عبور النهر بلا سفينة كذلك لا يمكن لأحد أن يعبر الى حب الله . لأن التوبة هى السفينة والمخافة هى مديرها والمحبة هى ميناء السلامة والكرامة حيث يلقى المتعبون راحتهم والعمالون المجاهدون نياحهم والتجار ربحهم حيث هناك الآب والروح القدس الاله الواحد له المجد ...

ـ المخافة هى عصا الآب التى تسوقنا الى محبة الله .

(ج) خوف الله

+ قال مار اقليمس :

« من لا يجد فى نفسه خوف الله فليعلم أن نفسه ميتة » .

+ قال أنبا مكسيموس :

« الخوف الالهى هو غاية اهتمام الانسان بألا يقع فى عقوبة الآخرة بسبب خطاياه » .

+ قال مار افرام :

« ان شئت الا تخطىء ، احفظ مخافة الله » .

+ من قول بعض الشيوخ :

« فى كل شيء تصنعه ، اعلم ان الله ينظر اليك دائما ، لتكون مخافته فيك » .

+ من أقوال أنبا يعقوب :

« مثل المصباح الذى ينير البيت المظلم ، كذلك خوف الله اذا دخل فى قلب الانسان ، فانه يضيئه ويعلمه جميع الوصايا » .

+ قال القديس باسيليوس :

« كما أن الجسديين لا يقدرون أن يغضبوا بحضرة الملك ، كذلك الذين يتدبرون بالروحانية يمنعهم من الغضب الخوف من الله الملك المعقول الناظر اليهم دائما » .

+ قال شيخ لتلميذه :

« ويح لنا يا ابنى فاننا لا نخاف من الله حتى ولو مثلما نخاف من كلب » فقال له تلميذه : « لا تقل هكذا يا أبى ، والا فأنت تجدف على الله » . فقال له الشيخ : « أأجدف ؟ ! » انى سوف أبين لك بهذه الحقيقة وهى : ربما أنا مضيت ليلا الى موضع لأسرق ، فكنت اذا سمعت صوت الكلاب ، اخرج لساعتى فزعا منها ، فالخطأ الذى لا يردنى عنه خوف الله ، ردنى عنه خوف الكلاب » .

+ سأل أخ أنبا بيمين :

« ماذا أصنع لأن نفسى قاسية ، ولا تخاف الله ؟ » قال له الشيخ : اذهب واجلس مع انسان يخاف الله ، وهو يعلمك خوف الله » .

+ سأل الاخوة **الأب سلوانس** عند موته قائلين : « أية سيرة صنعتها أيها الأب حتى اقتنيت هذه الحكمة ؟ » فأجاب : « لم أترك قط فى قلبى ذكرا يسخط الله » .

+ قال دياراخس :

« لا يقدر انسان أن يقتنى خوف الله الا اذا أحب خصالا وأبغض خصالا أخرى ، وذلك ان أراد أن يكون راهبا حقا » ، قالوا له : « وما هى الخصال التى تحب ؟ » قال : « هى الشجاعة فى غلبة الأهواء المظلمة ، المحبة ، العفة ، العلم ، الاتضاع ، المسكنة ، الرحمة ، حسن الحديث ولينه ، الصبر ، السهر ، التعب ، الطاعة ، وما أشبه ذلك مما يرضى الله ، فمن كانت له هذه الخصال رجوت له الخلاص » فقالوا : « وما هى الخصال التى تبغض ؟ » قال : الشره ، العشق ، الحقد ، اللجاجة ، الرياء ، الكذب ، النميمة ، الحسد ، الشر ، العجز ، الضجر ، التوانى ، الغفلة ، البذخ ، التيه ، التعظم ، العجب ، العصلف ، وما أشبه ذلك » .

(د) متى يقتنى حب الله

+ قال مار اسحق :

– حل قلبك من الرباطات البرانية أولا حينئذ تقدر أن تربطه بحب الله .

– من لم يعظم نفسه من حب الدنيا لا يستطيع أن يتذوق حلاوة محبة الله .

– ان أعمال الروحانية تتولد من الأعمال النفسانية والأعمال النفسانية تتولد من الأعمال الجسدانية .

(هـ) محبة الله لنا

+ قال أحد الاخوة :

سمعت أن **القديس أنبا انطونيوس** اعتاد أن يقول :

ان الله لا يسمح للقتالات فى هذا الجيل أن تشتد كما اذن لها فى الأجيال الغابرة لأنه يعرف أن البشر الآن أكثر ضعفا ولن يستطيعوا احتمالها .

(و) محبتنا لله

+ قال أنبا انطونيوس لتلاميذه :

أنا لاأخاف الله . . . فدهشوا وقالوا له : ما هذا الكلام الصعب يا أبانا ! فقال : نعم يا أولادى لأنى أحبه والحب يطرد الخوف .

ومرة ذهب **أنبا آمون** الذى من نيتريا الى **أنبا أنطونيوس** وقال له : آن الأتعاب التى أقوم بها أعظم من اتعابك فلماذا أرى ان اسمك ذو صيت حسن بين الناس دون اسمى . اجابه القديس : لأنى احب الله اكثر منك » .

من كلام القديس سمعان العمودى :

« اذا كانت حمى الجسد تمنعه من أن يعمل أعماله الجسدانية ، كذلك مرض النفس بالخطية يمنعها من ممارسة أعمال الحياة الروحانية ، فالله يريد من النفس ان تحبه وتطلبه بجرص ، فاذا أحبته وطلبته بكل قوتها ، فحينئذ يسكن فيها ويملك على أفكارها فيهديها الى ما يريده لها » .

+ قال القديس باسيليوس :

« علامة الخلوة مع الله هى الابتعاد من القلق والبغضة لسيرة العالم » .

+ قال شيخ :

« يجب على الراهب فى كل بكرة وعشية أن يحاسب نفسه ويقول : « ماذا عملنا مما يحبه الله ؟ وماذا عملنا مما لا يحبه الله ؟ » ، لأنه يجب علينا أن نفتقد حياتنا بالتوبة هكذا ، وبهذه السيرة عاش أرسانيوس لأن من عمل كثيرا ولم يحفظه أتلفه ، ومن يعمل قليلا ويحفظه يبقى معه » .

+ **وقال أيضا :**

لو أننا نحب الله مثلما نحب أصدقاءنا لكان طوبى لنا ؛ فقد أبصرت أناسا كثيرين قد أحزنوا أصدقاءهم فلم يهدأوا الليل مع النهار بالشفاعات والهدايا حتى ردوا الحب فيما بينهم ، أما الله ، فحزين من أجل خطايانا ، وما نكترث لذلك ولا نطلب رضاه » .

+ **قال أنبا تيموثاوس :**

« لا توجد طريق مستقيمة ، سوى طريق ربنا يسوع المسيح ؛ لأنه هو الطريق والحق والحياة » .

+ **قال شيخ :**

« اذا أردت أن ترضى الله فنق قلبك من جميع الناس ، ضع ضميرك تحت الخليقة ، ولا تدن أحدا ، واجعل فكرك فى الله ، واذا أبصرت أحدا يخطىء ، صل لله قائلا : « اغفرلى فانى أنا الذى فعلت هذه الخطية » ، فتتم فيك الكلمة المكتوبة . « ما من حب أعظم من هذا أن يضع الانسان نفسه عن رفيقه » .

+ **التقى** سائح بسائح آخر فى برية سيناء ، فسأله : « بماذا يكون الخلاص ؟ » قال له : « بالمعرفة بحقائق الأمور والعمل بحسب الحق » ، قال له « اذن فمن لا يعرف لا يخلص ؟ » قال : « لا » فقال : « وما هى المعرفة اذن ؟ » قال : « أن يعرف العبد حقيقة خالقه ، وممَ خلقه ، وما يؤول اليه أمره ، فاذا عرف ذلك ، فانه لن يعصياه ، بل سوف يصنع مرضاته طول حياته » ، فقال « صدقت » ثم انصرف .

+ **قال شيخ :**

« اهتم بالله ، و لاتتهم بشىء أرضى ، استند الى الله ، ومن جهة المنافقين لا تفزع » .

+ **سئل أحد الشيوخ :**

« ما هو الباب الضيق ؟ » قال : « أن يضيق الانسان على نفسه ، ويزيل ارادته كلها لأجل حب الله وطاعته ، بحسب ما قيل : « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك » ، لأنه لم يكن لهم غنى وتركوه . بل تركوا مشيئتهم » .

+ **قال شيخ :**

« الذى يريد الاختصاص بالملك ، لا يفعل أمور السوقة والعوام ، ومن يختار المقام فى معركة الابطال ، لا يفعل أمور الصبيان والأطفال » .

+ **قال أنبا تيموثاوس :**

« ان شئت أن تصادق الله ، فلا تحزن أحدا من الناس ، حتى ولو أكثر الاساءة اليك ، بل اترك الأمر لله . أما اذا أنت صادقت الله فسوف يقوم الكل عليك ؛ ويرفعون عقبهم عليك ولكنك ان ثبت ففى النهاية يوضع اكليل من ياقوت عليك . وتاج ملوكى على رأسك » .

٢ - الراهب والمجمع

حياة المجمع :

+ قال أحد الشيوخ :

« ان الرهبان الموحشين بالزى المقدس ، القاطنين فى الاديرة ، لا يليق بهم أن يقولوا : لى ولك ، ولهذا ولذاك . والجماعة المشتركة كذلك ، ليس لهم أن يعتبروا شيئا ما ملكا لواحد منهم ، ولا يدور فيما بينهم : لى ولك ، ولهذا ولذاك . والا فما يليق أن تدعى (كنونيون) الذى هو (العيشة المشتركة) بل مجامع لصوص — مملوءة من كل رذيلة وسلب للأشياء الطاهرة » .

+ قال سمعان العمودى :

« لتكن أسماء الاخوة حلوة فى فيك ، ومناظرهم جميلة محبوبة فى عينيك ، وخدمتهم سهلة ميسورة فى يديك . اعمل برغبة واتضاع ، وعلم بلا حسد ولا بخل » .

+ سأل أخ الأنبا بيمين قائلا :

« كيف ينبغى أن يكون الراهب الساكن فى الكينونيون ؟ » فأجابه قائلا : « الذى يسكن فى الكنونيون ، ينبغى أن يكون جميع الاخوة عنده واحدا فى المحبة ، وأن يحفظ لسانه وعينه . وحينئذ يكون فى راحة » .

+ سأل أخ شيخا قائلا :

« كيف نتعب نحن فى النسك ولا ننال المواهب مثل الأولين ؟ » قال له الشيخ : « كان فى ذلك الزمان الحب الكثير حيث كان كل واحد يجر رفيقه الى فوق ، أما فى هذا الزمان فقد قل الحب . وصار كل واحد يجر رفيقه الى أسفل . ومن أجل ذلك لا ننال المواهب » .

+ سئل القديس باسيليوس :

« ماذا ينبغى للانسان كى يحب قريبه ؟ » فقال : « كالمكتوب تحب قريبك مثل نفسك ، وأيضا ما من حب أعظم من هذا أن يبذل الانسان نفسه عن أحبائه » .

+ وأيضا من أقوال القديس سمعان العمودى :

« مثل انسان يتكلم عن غنى ليس له ، ويحب حال قوم آخرين ، وهو نفسه ليس له شىء ، بل تجده عريانا معوزا فقيرا ، كذلك الذى لم يقتن لنفسه شيئا من غنى المسيح ، وهو مرافق لأناس قديسين ، فتجده عريانا من مشاركة الروح ، لا يربح شيئا من غنى القديسين ، لأنه مشارك لهم بالسكنى ، وليس مشاركا لهم فى الفضيلة » .

+ **وقال مار اسحق :**

« كالنعجة التى تخرج من الدوار ، وتمضى لتقيم فى جحر الذئاب ؛ هكذا الراهب الذى يترك موافقة اخوته ، ويداوم الطياشة والنظر فى الخليقة » .

+ **قال شيخ :**

« ان السيرة اليابسة المقرونة بالمحبة ، تدخل الراهب الى ميناء غلبة الآلام بسرعة » .

+ **سئل القديس أنبا أنطونيوس :**

« هل جيد للراهب أن يكتفى بذاته فلا يأخذ من الاخوة ولا يعطيهم » . قال : ان تصرف الراهب هكذا فهو يعيش بلا اتضاع ولا رحمة . ويبعد بذلك من الخيرات المعدة للمتضعين والرحماء .

+ **وقال أيضا :**

ان حياة وموت الانسان من جاره . فاذا ربحنا أخانا فنحن قد ربحنا أنفسنا. اما أن أسأنا اليه فقد أخطأنا الى الله .

وأعمال المحبة تأخذ صورا شتى منها :

١ ـ المحبة تتأنى وترفق

(أ) طول الأناة

+ **جاء أحد الاخوة الى شيخ من الرهبان** وشكى أخاه قائلا : ماذا أصنع يا أبى فان أخى يحزننى لأنه دوار ؟ .

قال الشيخ : احتمله يا حبيبى ، فان الله قادر أن يرده اذا ما رأى تعبك وصبرك ، وأخذك له بالرفق واللين . واياك والقسوة ، فان شيطانا لا يطرد شيطانا وبرفقك وصبرك يرجع . لان الله انما يرد الانسان بطول روحه وطيب قلبه واحتماله

+ **وقيل أيضا :**

شكا أخ الى شيخ قائلا : انى أضرب المطانية للأخ الغاضب معى ، وهو غير نقى الفكر والضمير معى ؟

فقال له الشيخ : لست تقول الحق ، لأنك وأنت تضرب المطانية ، تؤديها له بدون أن تتوب اليه من كل قلبك .

فقال له الأخ : نعم ، بالصواب حكمت .

قال له الشيخ : من أجل ذلك لا يقنعه الله أن ينقى ضميره ضميره معك ، لأنك لم تضرب له المطانية وأنت مسلم بخطئك نحوه ، بل لا زال يعلق فى ضميرك انه هو المخطىء . ضع فى ضميرك أنك أنت المخطىء ، وزك أخاك وبرئه من الخطيئة ، وحينئذ يحقق الله ذلك فى فكره ، ويعطفه عليك .

+ **سال اخ شيخا قائلا :** ماذا اعمل يا ابى ، فانى عاتب عـلى اخى ، وليس فى نيتى سماح بأن اغفر له ؟ . فلما سمع الشيخ هـذا الكلام رفع عينيه الى السماء وضرب صدره قائلا له : يا شقى ان كنت تغضب رب السموات والأرض وهو يطيل روحه عليك ويغفر لك اذا ما تبت اليه ، فكيف لا تغفر انت لأخيك ؟ .

+ **سأل أخ شيخا :** « كيف أخلص » ؟

فقال له الشيخ : هوذا أنا مصور لك دين الله ، واريك اياه : انت تقول ارحمنى فيقول لك ارحم اخاك وانا ارحمك ، وان قلت اغفرلى ، يقول لك : اغفر لأخيك وانا اغفر لك ؟ ألست ترى أن العلة هى منا ؟ .

+ **قال انبا أوغريس :**

« الوديع ولو صنعوا به الشر ، فلن يتخلى عن المحبة »

+ **أخ اغضبه أخوه ،** ولما دخل قلايته ، استحى ان يصـلى لله بسبب الوجع المتقد فى قلبه ، ولكنه لما تطارح قدام الله قائلا : « يا سيدى ، لقد غفرت لأخى من كل قلبى » . فللوقت جاءه صوت يقول له : « قد أخـذت شبهى ، اذن فصـل لى بدالة » .

+ **كان للأب جلاسيوس** انجيل يساوى ١٨ دينارا ، اذ كان محتويا على العتيقة والحديثة . وكان موضوعا فى الكنيسة فكل من جاء من الاخوة قرأ فيـه ، فجاء أخ غريب الى الشيخ ، ولما دخل ذلك الأخ الى الكنيسة ، ابصر الكتاب فاشتهاه وسرقه ومضى . فلم يتبعه الشيخ الذى كان قد علم بما فعله الأخ ... فمضى به الأخ الى المدينة فأعطاه لانسان وطلب منه ١٦ دينارا .

فقال المشترى : انى لا ادفع الثمن دون أن افحص الكتاب .

فتركه عنـده . واذا بالرجـل يأتى به الى **أنبا جلاسيوس** ويعرفه بما وافق البائع عليه .

فقال الشيخ : اشتره فانه جيد ويساوى اكثر من هذا الثمن .

فمضى ذلك الرجل وقال للأخ : انى قد أريته **للأب جلاسيوس** ، فقال لى ان هذا الثمن كثير .

فسأله الأخ : الم يقل لك الشيخ شيئا آخر ؟ فقال : لا .

حينئذ قال الأخ : انى لا أريد أن أبيعه . ثم ان الأخ اخذ الـكتاب وجاء به الى **الأب جلاسيوس** وهو نادم ، فلم يشأ الشيخ أن يأخذه ، فطلب اليه الأخ قائلا : ان لم تأخذه ، فلن يكون لى راحة . فقبله . وبعد ذلك مكث الأخ فى خدمة الشيخ الى حين وفاته .

+ **كان لرجل شريف** دين عند احد الناس فلبث يطالبه مدة عشرة سنين ولم

يجبه ، وكان الدائن بطيبه يصبر ، وكان له صديق ، فقال له : « انى متعجب منك كيف لم تحنق عليه لأن لك زمانا وانت تطالبه وهو لا يجيبك » فقال له : « انكتعجب لأنى أطلت روحى عليه عشر سنين ، وهو ذا الله أكثر من ٥٠ سنة ، يطلب الى ان احفظ وصاياه ، وحتى الآن لم أجبه ، ولم أصنع هواه ، وهو بطيبه يصبر على فان كنت وأنا الانسان لم أجب الله وهو لا يغضب على ، فليس بعجيب ان كان انسان مثلى لا يجيبنى ، وأطيل روحى عليه » .

(ب) الاحتمال

+ **قال شيخ :**

لا يليق بالراهب ان شتمه أخوه أو أهانه الا يكون كاملا فى محبته له قبل أن يلقاه .

+ **قال الأنبا أور :**

ان وقع بينك وبين أخ حزن ، وجحد ما قاله فيك ، فلا تلاججه ، والا فمصره أن يتوقح ويقول : نعم أنا قلت .

+ **قيل أحد الشيوخ :** انه كان رجل وديعا كثير الحب ، ولم يفكر فى الشر أصلا ، وحدث مرة أن أحد الاخوة سرق زنابيل وحملها وأودعها عنده ولم يعلم الشيخ بسرها . فبعد أيام عرفت الزنابيل ، واتهم الشيخ بسرقتها ، فلما اتهم انه السارق سجد بمطانية وقال : « اغفروا لى يا اخوتى من أجل الله فأتوب من هذه الدفعة الواحدة » . وصار يبكى ، فلما نظر الاخوة بكاءه تركوه . وبعد أيام قلائل جاء الأخ الذى سرق الزنابيل ، وأنشأ خصومة مع الشيخ قائلا : أنت سارق ، وقد سرقت زنابيل فلان . فسجد الشيخ بين يديه قائلا : « اغفر لى يا أخى كما غفر لى بقية الاخوة » . وكان هذا الشيخ دائما اذا غلط أخ وأنكر عليه، يسجد هو قائلا : اغفروا لى يا اخوتى هذه الغلطة . وكان كلامه على الدوام بهدوء واتضاع وسكينة ، ولم يخاصم أحدا قط ، ولا سبب وجع قلب لأحد قط فى وقت من الأوقات حتى ولو بكلمة صغيرة .

+ **ذكروا عن أحد الاخوة** أنه كان مجاورا لشيخ من المشايخ له فضل ، فكان يدخل فى قلايته كل يوم ويسرق ما يجده فيها . وكان الشيخ يفهم ذلك ولا يوبخه ولا يعاتبه ، بل كان يكد ويزيد على وظيفته فى عمله ، ويقول فى نفسه : « لعل الأخ انما يفعل هذا بسبب الحاجة » . وكان الشيخ شديد التعب والكد بسبب ذلك لدرجة أنه ما كان يفضل له ما يأكل به خبزا . فلما حضرت الشيخ الوفاة ، أحاط به الاخوة ، فنظر واذا بذلك الأخ الذى كان يسرق متاعه بينهم فقال له : ادن منى يا ابنى واندفع يقبل يديه ويقول : يا اخوة أنا أشكر هاتين اليدين اللتين بهما ادخل ملكوت السماء . فلما سمع الأخ ذلك ، رجع الى نفسه وندم على فعله ، وكان ذلك سببا فى توبته .

+ **ذكر الطوباوى زوسيما :** جاءنى فى بعض الأوقات احد الاخوة الآخذين منى

الاسكيم ، وكنت ألاطفه لانه كان من الشبان المترفين ، فقال لى : يا معلم انى أحبك فقلت له : انى لم أجد بعد من يحبنى كما أحبه . انت قلت انك تحبنى ، وصدقت فى قولك ، ولكنك ان عرض لك منى امر لا تريده ، فانك سوف لا تثبت على ما انت عليه الآن ، أما انا فلا يغيرنى عن المحبة عارض ما .

وحدث ، بعد أن عبر زمان يسير ، أن انفصل منى ، وصار يسبنى كثيرا ، ويقول على أقوالا قبيحة ، وكانت تبلغنى . فكنت اقول فى ذاتى : ان هذا هو مكوى يسوع ، أرسله ليداوى تكبر نفسى . وكنت أقول لمن يخبرنى بهذا الكلام : انه انما يقول بما رأى من شرورى التى كانت ظاهرة له . أما قبائحى الخفية فلن يحصى عددها .

وبعد زمان ، التقى بى فى قيصرية ، وسلم على كعادته . اما انا فقبلته ببشاشة، كأن لم يبدو لى منه قبيح . أما هو فسجد لى وقال : « يا معلم . من أجل الرب اغفر لى ، فقد تقولت عليك بمثالب رديئة كثيرة » . فقلت له بطلاقة وجه : هل تذكر محبتك عندما قلت لى اننى أحبك كثيرا ؟ وقلت لك وقتئذ انى ما وجدت من يحبنى كما احبه ، ولتحقق قلبك انه ما خفى عنى ما قلته . ولمن قلته وفى أى وقت قلته . وان أردت قلته لك . ولم تقل شيئا الا وسمعته كما هو كما قيل . ولم يقنعنى أى مقنع ان أقول فيك قولا رديئا . ولم اترك ذكرك فى صلواتى ، ولكى تعلم صحة محبتى لك ؛ فقد حدث لى فى بعض الأوقات . أن أوجعتنى عيناى وجعا شديدا . فصليت وأنا منكب على وجهى وقلت : يا ربى يسوع المسيح اشفنى بصلوات الأخ فلان . وفى الحال شفيت . هذا عن جميع ما قلته الأخ .

+ قيل :

مدح الآباء شخصا فى وجهه بين يدى **الأب انطونيوس** فأراد الأب أن يمتحنه ان كان يحتمل الذم فلم يحتمل . فقال : « هذا الأخ يشبه قرية مزينة من خارج ، ولكنها من داخل خاوية ، بل ملآنة من اللصوص » .

(جـ) قبول التأديب والتوبيخ

+ قال بعض الآباء :

انه لا يوجد أفضل من هذه الوصية : لا تزدر بأحد من الاخوة . هوذا قد كتب : توبيخا توبخ قريبك ولا تأخذ بسببه خطية . فان علمت ان اخاك مخطىء ولم تخبره بغلطته وثبت فيها يموت بخطيئته . ما أجود التوبيخ لا سيما اذا كان بمحبة واتضاع ، لا بمعيرة وازدراء .

+ قال انبا أنطونيوس :

- أدب بخوف الله ولا تشفق . لا تأخذ بوجه كبير ولا صغير بل اقطع بكلام الحق باستقامة .
- ادب ابنك بلا شفقة فدينونته عليك .

+ **قال أحد الشيوخ :**

أدبوا الأحداث ياأخوة قبل أن يؤدبوكم .

+ **سئل القديس باسيليوس :**

كيف ينبغى للانسان ان ينتهر ؟ .

قال : كما ينتهر الأب ابنه ، وكالطبيب الذى يقصد شفاء المريض .

+ **كما سئل :**

كيف يجب أن يقبل الانتهار ؟ .

فقال : كما يقبل الولد تأديب والده ، والمريض مداواة طبيبه .

+ **قال أخ للأب لوقيوس** : انى أوثر أن أهرب من الناس . فقال له الشيخ : « ان لم تستطع تقويم نفسك وانت بين الناس ، فلن يمكنك تقويمها وانت وحدك » .

+ **قال أنبا اثناسيوس :**

من يعاتبك ويوبخك على زلاتك ، أحبه مثل نفسك ، واتخذه لك صديقا .

+ **وقال ايضا :**

من يشتم الذى يعلمه خلاصه ، فانه يشتم رجاء الله مخلصه .

+ **قال شيخ :**

لأى شيء تحزن الذى يعلمك ، وتبغض الذى يحزنك ، فاعلم أنه ليس هو الذى ظلمك وأحزنك ، ولكنه هو الشيطان ، فيجب عليك أن تبغض المرض ولا تبغض المريض .

(د) عدم الغضب

+ **قال القديس أنبا انطونيوس :**

- ارفض الرد على من يبغضك و لاتفكر فى قلبك بشر .
- لاتقاتل أحدا وان استفزك باطلا فلا تغضب .

+ **قال القديس يوحنا القصير :**

- احب بفكرك حبا فاضلا ذاك الذى يكلمك بكلام نافع . ولا تحزن من الذى يبكتك لئلا تكون عدوا لكلمة الله .
- لا تغضب من الذى يتعظم عليك لأنه قليل المعرفة ، لأن من قلة المعرفة يتعظم الأخ على أخيه فكن هادئا لينا . كن منبسطا كي تحل عليك نعمة الله . كن ساكنا بين اخوتك كميت عادم كل غضب لانه من الغضب تأتى الخطية .

+ **سال أخ الأب بيمين قائلا :** « مامعنى قوله : الذى يغضب على أخيه باطلا ؟ » قال له : « ان أخذ منك شيئا ، وظلمك فيه وغضبت عليه بسببه ، فغضبك هذا يكون باطلا ، لانك غضبت لأجل أشياء باطلة ، اما ان أراد ابعادك عن الله خالقك ، فحينئذ اغضب جدا ، لأن غضبك حينئذ لا يكون باطلا » .

+ **وسمع** عن انسان مرة انه كان يواصل صوم ستة ايام لكنه كان يغضب ، فقال : « ان كان هذا قدتعلم كيف يطوى الأسبوع ،فكيف لا يتعلم كيف يبعد عنه الغضب ؟ ! » .

+ **قال الأب مقاريوس :**

ان كنت فى حال ردعك غيرك تحرد وتغضب فأولى بك ان تشفى الملك اولا ، لانه لا يليق ان تهتك نفسك لتخلص غيرك .

+ **سال اخوة الأب ارمانيوس قائلين :** « ما يجب ان نتدبر ؟ » فأجابهم الشيخ « لا اتذكر انى سألت فى وقت من الأوقات انسانا بأن يعمل شيئا ما لم اسبق فأجيل فى خاطرى انى لا أغضب متى خالفنى ، ولم يعمل بما قلته له . وهكذا عشنا عمرنا كله بسكون وسلام » .

(هـ) عدم الحقد

+ **قال انبا زينون :**

« ليس شيء يصيرنا مثل الله سوى عدم الحقد ، وأن نكون بلا شر قبالة الذين يسيئون الينا » .

+ **قال شيخ :**

« من يحقد على اخيه ، فقد خزن ذنوبه فى ذاته ، وختم عليها » .

+ **وقال آخر :**

« ليس شيء من الخطايا يستمر وجوده بالفعل فى الانسان سوى الحقد ، فان القاتل مثلا يكون زمان مباشرته بالفعل لخطيئة اقل بكثير من زمان تركه لها ، وكذلك الزانى والسارق وغيرهم . أما الذى يحقد ، فانه ان كان جالسا او راقدا او ماشيا او متكلما او ساكتا او صائما او آكلا او فى سائر حالاته واوقاته فالحقد لا يزال ملازما لقلبه ، فمثل هذا الانسان ، صلاته باطلة لانه يطلب الغفران وهو لا يغفر حتى ولو سفك وجهه كالشهداء ، لأن الرسول قد قال : ان هذه كلها لا تغير شيئا مع عدم الحب ، ولا حب مع الحقد » .

+ **قال القديس باخوميوس :**

– **اجعل** لك سلامة بينك وبين اخوتك فيسكن الرب فى قلبك .

– **لا تحقد** على الناس لئلا تصبح مرذولا من الله بل اجعل لك سلاما مع أخيك لتكون محبوبا من ربك .

ـ اذا صرت طاهرا فى كل شىء ولكن بينك وبين اخوتك عداوة فأنت غريب عن الله ، لأنه مكتوب : « اتبعوا السلامة والقداسة اللتين بدونهما لا يعاين أحد الله » . وقد قال الرب : « اغفروا يغفر لكم . فان لم تغفر لأخيك لا يغفر هو لك » . لانه يقول : هكذا يصنع بكم ابى السماوى ان لم تغفروا لاخوتكم من كل قلوبكم . فان حقدت على أخيك فهىء نفسك للعذاب لأنه يقول : « انه اسلمه للمعذبين » الآن قد صرنا مسكنا للاله الصالح بالعماد . فلا ندعه يتركنا بأعمالنا السيئة . لأن كل الذين جازوا فى البحر الأحمر بادوا فى القفر لأنهم قاوموا ارادة الله ، وتبعوا أغراض قلوبهم .

ـ اذا أكمل الانسان جميع الحسنات وفى قلبه حقد على أخيه ، فهو غريب من الله .

+ قال شيخ :

« ان الذى يخاصمه أخوه ولا يحزن قلبه ، فقد تشبه بالملائكة ، فان خاصمه هو أيضا ثم رجع وصالحه من ساعته فهذا هو عمل المجاهدين ، فأما الذى يحزن اخوته ويحزن منهم ويمسك الحقد فى قلبه ، فهذا مطيع للشيطان مخالف لله ، ولا يغفر له الله ذنوبه اذا لم يغفر هو لاخوته » .

٢ ـ المحبة لا تطلب ما لنفسها

+ قال مار افرام :

« من يشاء أن يعيش فى كل موضع عيشة سلامية ، فلا يطلب نياحه بل نياح رفيقه بالرب ، فيجد النياح » .

+ قال شيخ :

« ان عملت عملا وسط جماعة ، وعرفت أنه يحدث عثرة وشكا ، فاسرع واستره ، ولا تتوسع فيه ، ليعبر بغير قلق » .

+ قيل عن الأب يوحنا السريانى :

« انه كان عديم الشر جملة ، فقد حدث فى بعض الأيام أن اقترض دينارا من بعض الاخوة ، وابتاع له كتانا ليعمله ، فأتاه أحد الاخوة ، وطلب منه أن يعطيه بعضا من الكتان ، فأعطاه بفرح ، وسأله آخر ، فأعطاه بانبساط . وأخيرا أتاه صاحب الدينار طالبا ديناره ، فقال له الشيخ : « ها أنا مهتم برده اليك » . وللوقت ، قام منطلقا الى **أنبا يعقوب** ـ صاحب الدياكونية ـ ليأخذ منه دينارا ليدفعه للأخ ، وفى طريقه اليه ، وقع بصره على دينار مطروح على الأرض فلم يأخذه ، بل صلى صلاة وعاد الى قلايته . فرجع اليه الأخ مطالبا اياه بالدينار ، والح عليه فى الطلب ، فقال له الشيخ : « ها أنا ماض لأحضره لك » وقام ومضى ، فوجد الدينار فى نفس المكان مطروحا ، فصلى صلاة وأخذه ، وجاء به الى **أنبا يعقوب** وقال له : « انه فى كل مرة اجىء فيها اليك ، اجد هذا الدينار مطروحا على الأرض ، فاصنع محبة ، وناد فى

جميع الجبل لئلا يكون قد سقط من أحد الاخوة » . فنادى فى كل ذلك الجبل . فلم يوجد أحد ضاع منه دينار . فقال الشيخ **لأنبا يعقوب** : « انى مديون لفلان الأخ بدينار ، فادفعه له ، لأنى كنت آتيا اليك لأتصدق منك دينارا لارده له » . فعجب **أنبا يعقوب** كيف كان مدينا ، ولم يأخذ الدينار الذى وجده ، ليوفى دينه . وكان كل ما يأتيه طالبا شيئا يعطيه . لكنه لم يكن يعطى بنفسه ، بل كان يقول للسائل : « ادخل أنت وخذ ما تريد واذا رد له أحد شيئا كان يقول له : « ضعه موضع ما أخذته » . أما الذى لا يرد له ، فما كان يطالبه قط » .

+ **أخوان** ذهبا الى مدينة ليبيعا شغل ايديهما . فلما دخلا المدينة ، افترقا بعضهما عن بعض بحيلة من ابليس ، فوقع أحدهما فى الخطية . ولما فرغا من شغلهما ، التقيا . فقال الذى لم يخطىء للآخر : « هيا بنا نمضى الى الدير » فقال ذاك : « لست اريد المضى الآن ! » فلما سمع أخوه ذلك انزعج وقال له : « لماذا لا تريد المضى الآن ؟ » فأجابه : « انى لما افترقت عنك وقعت فى الخطية » فأراد أخوه أن يريح نفسه . فقال له : « أما أنت فلم تبق عليك خطية لأنك اعترفت بخطيتك ، واما أنا فانى وقعت فى الخطية . ومن عظم الكبرياء امتنعت عن أن أقول لك ؛ ولكن امض بنا الى الدير لنطلب التوبة . فأتيا الى الدير ومضيا الى الشيوخ . وأعلماهم بما أصابهما ، وطلبا التوبة . فوضعوا عليهما قانونا متعبا . وكان الأخ الذى لم يخطىء يصنع القانون ويقول : « هذا التعب ليس لى فيه شىء ، بل احسبه يا رب بدلا من خطية أخى » . فلما نظر الله محبته لأخيه ، وما يقاسيه من التعب عنه ، كشف لبعض الشيوخ أمرهما وقيل له فى الرؤيا : من أجل محبة الأخ الذى لم يخطىء ، غفر الله للذى اخطأ » .

+ **وجاء خبر عن أخوين** : قوتل أحدهما بالزنا .. فقال لأخيه : يا أخى ، انى منطلق الى العالم . فبدأ اخوه يبكى ويقول : « لا أتركك تذهب الى العالم لئلا تتلف تعب رهبانيتك وبتوليتك » . فأبى أن يقبل منه وقال له : « اما أن تتركنى أمضى وحدى . واما أن تجىء معى » . فذهب أخوه وحدث أحد الشيوخ بحاله ، فقال له الشيوخ : « اذهب معه . فان الله من اجل تعبك لا يتركه يقع فى الزنا » فلما بلغوا القرية ، رفع الله عنه قتال الزنا من اجل تعب اخيه وعنائه معه . واذ به يخاطب اخاه قائلا : « هب انى وقعت فى دنس الخطية ، فأى ربح لى من ذلك ؟ » ثم انهما رجعا الى قلايتهما وحمدا الله على خلاصه وحسن صنيعه معهما .

(ا) زيارة المرضى

+ **قال القديس انبا انطونيوس :**

اذا قمت باكرا كل يوم اسأل عن المرضى الذين عندك .

(ب) الخـــدمة

+ **سأل اخوة الأنبا أنطونيوس** : ان كان جيدا ان يكتفى الراهب بنفسه اذا فلا هو يخدم أحدا ولا يدع أحدا يخدمه كذلك . فقال : ان الرب علمنا أن نخدم

اخوتنا كما يخدم العبيد سادتهم . وكما شد هو وسطه وغسل ارجل التلاميذ . لا نمتنع من ان نخدم . لأن بطرس لما امتنع من غسل رجليه قال له السيد ان لم اغسلك فلن يكون لك نصيب معى .

+ **اخبروا عن انبا تاؤدورس** : انه لما كان شابا وهو يسكن فى البرية قام ذات يوم يخبز لنفسه خبزا . فوجد اخا ليس له من يعمل له خبزا اذ لم يكن يجيد صناعة الخبز فترك **أنبا تاؤدورس** خبزه وعمل خبز ذلك الأخ ، وجاء ايضا أخ آخر فخبز له خبزه . وبعد أن أراحهم ، حينئذ عمل خبزه ايضا .

+ **كان انبا ابللو** اذا جاءه احد الاخوة طالبا معونته فى عمله ، فانه يمضى معه بفرح قائلا : « لقد حسبت اليوم مستحقا لأن أعمل مع الملك المسيح ، وذلك أفضل جدا من نفسى » .

+ **اخبروا عن اخوين** روحانيين ساكنين بعضهما مع بعض وان احدهما اقتنى له عظم محبة فى رفيقه جدا فى كل شيء وكان ينيح أخاه حتى انه كان يخرج فراشه فى الشمس ويفرشه ويحرص فى خدمته . وهو واثق من اجل حب المسيح ان كل ما يصنعه معه يصنعه مع المسيح فاستحق حسنة عظيمة من الله . لأجل حبه الذى بلا رياء ونظرا لنموه الصالح ، ارسل اليه ملاكا لكى يباركه وان الأخ لم يحتمل أن يقبل منظر الملاك لأجل بهاه . ثم جعل فى نفسه انه غير مستحق ثم بدأ يقول للملاك لعلك ارسلت الى اخى لأنى غير مستحق لهذا ومكث الملاك قائما لكى يباركه . فلما بدأ يقاطع على الملاك ، تعجب من اتضاعه الكثيروان الأخ عاد وقال للملاك : ان كان الرب أرسلك بحق لكى تباركنى وانا غير مستحق فبارك على اخى الذى معى وانا اؤمن انى قد بوركت .

فلما راى الملاك عظم محبته تعجب منه . ثم قال له : الناموس أمر ان تحب رفيقك اكثر من نفسك من اجل هذا ضابط الكل هو الذى يباركك . ولما قال هذا اذ صوت جاء من السماء من فم الرب وهو يبارك على الأخ قائلا : «مباركا تكون » .

(ج) الطـــاعة

+ **قال القديس يوحنا القصير :**

لا ترد الجواب على أمر تؤمر بأدائه بل كن مطيعا فى كل شى لكيما تحب من كثيرين .

(د) الصـــدقة

+ **قال القديس انبا انطونيوس :**

صدقتك اعطها لفقراء ديرك .

+ **قال القديس انبا موسى الأسود :**

ـ الصدقة بمعرفة تولد التأمل فيما سيكون وترشد الى المجد . اما الانسان القاسى القلب فانه يدل على انعدامه من اى **فضيلة** .

ـ قساوة القلب تولد الغيظ والوداعة تولد الرحمة .

ـ اعط المحتاجين بسرور ورضى لئلا تخجل بين القديسين وتحرم من امجادهم .

ـ أحب المساكين لتخلص بسببهم فى أوان الشدة .

(هـ) حب قريبك كنفسك

+ قال القديس موسى الأسود :

لنكرم اقرباءنا فى كل الأمور لنخلص من الدينونة . لنحب الكل بمحبة خالصة فنخلص من الغيرة والحسد فالمحبة هى مصدر كل صلاح .

+ قال شيخ :

« ان من لا يقبل الاخوة جميعهم بمساواة بل يفرق ، فلن يستطيع أن يكون كاملا » .

+ وقال آخر :

« ما تكرهه لنفسك . لا تقله لآخر ، فأنت تغضب على من ينم عليك فلا تنم انت على أحد . انت تبغض من يكذب عليك ، فلا تكذب على أحد ، انت تبغض من يشتمك ، فلا تشتم انت احدا ، فمن له اذنان تحفظان هذه الأمور فانها تكفيه » .

+ كذلك قيل :

ان كنت بالمسيح ولدت ، فكذلك اخوك . وعلى ذلك فأكثر من اخيك لا تحب نفسك فى شيء ما .

(و) الافتقـاد او الزيارة

سؤال : « اخبرنى يا ابى كيف افتقد الأخ ؟ » .

الجواب : افتقاد الأخ جيد ، والكلام البطال ردىء ، وهذا الامر يأتى بك الى التجربة ، فافتقد اذن اخاك ، وتحفظ من الكلام البطال ، وليكن حديثكما فى أخبار الآباء السالفين ، وفيما كانوا يعملونه ، وتقول له : « كيف انت ؟ وكيف حالك يا أخى ويا أبى ؟ » ، ولا تلتمس منه سوى كلام الحياة فقط ، وقل له : « صل على ، فان لى خطايا كثيرة وما شاكل ذلك ، واعمل للحين مطانية وانصرف من عنده بسلام » .

٣ ـ المحبة لا تفرح بالاثم ولا تظن السوء

+ قال انبا بيمين :

« الشر لا يغلب بالشر ، وان اساء اليك انسان فاحسن انت اليه . فانك انت باحسانك اليه ، تستأصل الشر ، لأنه لا ينبغى أن تكافىء شرا بشر » .

+ سأل أخ القديس يوسف قائلا :

« ماذا أعمل فانه لا يمكننى أن أتعب أو أعمل أو اتصدق » ؟ فقال له الشيخ : « ان لم يمكنك العمل فاحفظ قلبك ونيتك من كل ظن سوء بأخيك فتخلص لأن الله يريد النفس ألا تكون خاطئة » .

(ا) عدم الادانة

+ قال القديس موسى الأسود :

ـ لا تكن قاسى القلب على أخيك فاننا جميعنا قد تغلبنا الأفكار الشريرة .

ـ اياك أن تسمع بسقطة أحد اخوتك لئلا تكون دنته خفية .

ـ احفظ سمعك لئلا تجمع لك حزنا فى ذاتك .

ـ خير للانسان أن يضع نفسه للموت من أن يضع جاره ، ولا يدينه فى شئ ما .

ـ خير للانسان أن يموت عن كل شر ولا يحزن أحدا قبل رحيله عن الجسد .

+ وقال أيضا :

مكتوب انه لما قتل الرب أبكار المصريين لم يكن هناك بيت خال من ميت فسأله الاخوة قائلين ما معنى هذا ؟ فقال الشيخ :

اذا علمنا أننا كلنا خطاة فلنحذر من أن نترك خطايانا وندين خطايا القريب لأنه من الجهل حقا أن يكون لانسان فى بيته ميت فيتركه ويذهب ليبكى على ميت جاره . فانظر خطاياك أولا واقطع اهتمامك بكل انسان ولا تحتك بانسان ولا تفكر بشر على انسان ولا تمشى مع النمام ولا تصدق كلام النميمة بخصوص انسان .

+ قال القديس أنبا أنطونيوس :

ـ لا تفتر على أخيك ولو رأيته عاجزا عن اتمام جميع الفرائض ، لئلا تقع فى أيدى أعدائك وتفعل الخطايا القديمة التى فعلتها .

ـ اياك أن تعيب أحدا من الناس لئلا يبغض الله صلاتك ولا تعير أحدا مهما كانت الأسباب .

+ أدعوا مرة على أخ فى دير بأنه زنى . فخرج من ديره وجاء الى **أنبا أنطونيوس** . فجاء اخوة ديره ليردوه وبدأوا يوبخونه بأنه فعل كذا وكذا أما هو فأجاب بأنه لم يفعل شيئا من هذا ، واتفق أن **أنبا بفنوتيوس** كان هناك فقال لهم مثلا : رأيت رجلا على شاطئ النهر وقد رموه فى الطين الى ركبه فجاءه قوم ليساعدوه فغطسوه الى كتفيه .. فلما أنبئ أنبا أنطونيوس بكلام بفنوتيوس

قال : ان هذا الرجل قادر أن يشفى ويخلص النفوس .. فلما سمع الاخوة ندموا على الكلام الذى قالوه وصنعوا مطانية للأخ وحملوه الى ديره .

+ قال أخ لشيخ :

« لماذا لا أستطيع مساكنة الاخة ؟ » فقال : « لأنك لا تتق الله . فلو تذكرت المكتوب « ان لوط تخلص من بين أهل سدوم ، لأنه لم يكن يدين احدا منهم » فلو تذكرت ذلك ، لاستطعت الاقامة أينما شئت ، حتى ولو بين الوحوش .

+ قال أنبا تيموثاوس :

« المحبة لا تعرف أن تدين رفيقها . ولا تكافىء بالسيئات » .

+ سأل أخ شيخا قائلا :

« ان سكنت مع الاخوة ، ورأيت منهم أمرا غير لائق فهل تشاء أن أتكلم ؟ » قال الشيخ : « ان كانوا هم أكبر منك أو فى مستواك ، فسكوتك خير لك . لأنك بسكوتك تخلص » . فقال الأخ : « فماذا أعمل أيها الأب . لأن الأرواح تقلقنى بأن أتكلم ، وهكذا تجدنى متعبا » . فقال له الشيخ : « ان كان ولابد فاذكرهم مرة باتضاع وذلك بأن تؤخر ارادتك وتخضع لله . محتاطا لنفسك ألا تتكلم فيهم بنميمة وعندى أن السكوت أفضل . لأنه دليل على الاتضاع » .

(ب) لنلوم أنفسنا

+ قال القديس باسيليوس :

« عاتب نفسك فهذا أفضل من أن تعاتب غيرك » .

+ قال شيخ :

« لقد تركنا الطريق المستقيمة التى رسمها لنا آباؤنا . وهى أن نلوم ذواتنا ، ورجعنا باللائمة على القريب منا . وأصبح كل واحد منا يحرص ويجتهد فى أن يرجع السبب على أخيه فى كل أمر ويطرح ثقله على قريبه . كما صار كل واحد منا متهاونا . وفى نفس الوقت نطالب قريبنا بحفظ الوصايا . مع أننا لا نحفظ شيئا منها » .

+ حدث فى أحد الأيام أن جاء الى شيخ أخوان غاضبان على بعضهما وشكا اليه الأكبر منهما قائلا : « انى اذا أمرت أخى بعمل شىء . فان أمرى هذا يحزنه ، كما أنى أحزن كذلك لحزنه مفتكرا أنه لو كان كاملا فى محبته لى لكان يقبل ما أقوله له بفرح » . أما الأصغر فقال : « يا ليته يكلمنى بحسب مشيئة الله . لكنه يأمرنى بسلطة حسب مشيئته . ولذلك لا يوافقنى قلبى على طاعته بحسب ما أوصى به الآباء » . فقال الشيخ : « يعلم الله انى متحير كيف أن الاثنين يلوم كل منهما الآخر ، كما يحزنان دون أن يلومهما أحد . فعوض أن يرجع الواحد منهما باللائمة على نفسه ويقول : « حقا انى بسلطة أكلم أخى ولذلك يحزن » نراه بالعكس يقول : « انه لم يكن كاملا فى محبته لى » . كذلك الآخر فعوض أن يقول « ان أخى يكلمنى بحسب

مشيئة الله لمنفعتى » نراه بالعكس أيضا يقول : « انه يأمرنى بسلطة حسب مشيئته» وهكذا بقى الاثنان حزينين بدون وجه حق ، وذلك لأننا نستعمل أقوال آبائنا باعوجاج حسب نياتنا الخبيثة ، فكل واحد منا يلقى الذنب على رفيقه ، ولذلك لا ننجح ولا نفلح » .

+ **قصد راهبان احد الشيوخ ،** وكان احدهما شيخا والآخر شابا ، فشكى الأكبر من الأصغر ، فنظر الشيخ الى الشاب متأملا وقال له : « أصحيح ما قاله عنك ؟ » فقال : « نعم يا ابانا لأنى أحزنته ثم فكر الشاب فى قلبه وندم على ما قاله ، وقال : « لست أنا بل هو الذى أحزننى الا انى جعلت اللائمة على نفسى بكلامى » ، وتوقف ولم يقدر أن يجيب بشىء آخر ، وان الشيخ صاح بصوته ، فقالوا له : « لماذا صحت يا أبانا ؟ » فأجاب : « بأنه عند دخول هذين الراهبين عندى رايت شيطانا واقفا قدامهما وبيده قوس ونشاب ، وكان ينشب نحوهما ، وما كانت النشابة تصيب سوى ثيابهما ، فلما تذمر الشاب ، أرسل الشيطان النشاب نحوه فكادت تقتله ، من أجل ذلك كان صراخى هذا عليه كيلا يقتله » ، ثم ان الأخوين سألا من الشيخ شفاء العارض ، فقال لهما الشيخ : « متى وقعت بينكما خصومة فتذكرا الشيطان ، فيكف تأثير الخطية عنكما » فعادا وفعلا ذلك وشفيا .

(جـ) عدم النميمة والوقيعة

+ **قال انبا مرقس :**

« كل ما تقوله خلف أخيك ولاتقدر ان تذكره قدامه ، فهو نميمة وسعاية كما ان كل اهتمام لا يفض الى اصلاح العبادة ، هو اهتمام عالمى » .

+**قال شيخ :**

ان كل كلمة يتكلم بها الانسان و لايستطيع أن ينطق بها قدام أخيه ، تعتبر نميمة ووشاية » .

+ **من كتاب الدرجى :**

« سمعت نمامين ، فلما زجرتهم قالوا لى بانهم لا يفعلون شرا ، وانما يفعلون ذلك محبة وشفقة على أولئك الذين يتكلمون فى حقهم ، أما أنا فقلت لهم : ليست هذه محبة لكنك ان كنت تحبه حقا ، فصل من أجله خفية ولا تهج أو تسب أحدا » .

+ **قال أنبا مطرا :**

« الامساك الذى هو افضل من امساك البطن ، والذى يجب ان تجذب نفسك اليه هو هذا : ان لاتأكل لحم انسان ولا تشرب دمه بالوقيعة » .

+ **قال انبا شيشاى :**

« ان بالنميمة اغوت الحية حواء واخرجتها من الفردوس ، وآدم معها ، فمن يقع بصاحبه (ينم) فانهيهلك من يسمعه ونفسه لا تنجو » .

+ قال الأب ايرايس :

« انه جيد أن يأكل الانسان لحما ويشرب خمرا ، و لايأكل لحوم الاخوة ويشرب دماءهم بالوقيعة فيهم » .

+ وقال ايضا :

« كما أن الحية لما ساررت حواء أخرجتها من الجنة ، كذلك يشبهها ذلك الذى يقع بقريبه ، فى أنه يهلك نفس سامعيه ، ونفسه كذلك لن تفلت .

سؤال : ما هى خطية الوقيعة ؟ » .

الجواب : « ان خطية الوقيعة من شأنها الا تترك صاحبها يحضر قدام الله ». لأنه مكتوب : « انى كنت أطرد من كان يعاتب صديقه سرا » .

٤ ـ المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ

+ قال شيخ :

« ان كلمت انسانا كلمة تنخسه بها ، لكنه لم يحس فلا تتب اليه ولا تعطه مطانية ولا تقلق الأخ » .

+ قال احد الشيوخ :

« عود نفسك يا ابنى عند كلامك عن الرهبان أن تقول : ان هذا اخير منى ، وهذا أحرص منى فى رهبانيته ، وهذا أبر منى » ، على أن تقول ذلك بنية صادقة من كل قلبك ، لأن ذلك يجعلك تنظر ذاتك تحت الخليقة كلها ، وحينئذ يسكن فيك روح الله ، أما ان كنت تزدرى باخوتك وتحتقرهم وتعد نفسك شيئا وتستكبر ، فان نعمة الله تبعد عنك ، وتسلم الى دنس الجسد الذى يقسى قلبك مثل الحجر » .

(١) رفض الكرامة واحترام الكل

+ قال القديس يوحنا القصير :

ـ ليكن كل واحد كبيرا فى عينيك ، ولا تهن الذين هم أقل منك معرفة .

ـ كن مثل ابن بين اخوتك كى تكون محبوبا عند كل الناس .

ـ هوذا شيءردىء جدا يفسد علينا النقاوة بالكلية وهو حب الرئاسة والكرامة والمدح من الناس ، فان كل هذه الأوجاع عظيمة ورجاء كاذب وقليلون هم الذين يتخلصون منها بالسكوت لأنها أشر من اللذات وشره البطن .

فأما حب الرئاسة والكرامة الحاضرة والسبح الباطل والارتباط به فانه من العسير الانحلال منها لأن هذه أوجاع تلبس الانسان بلا نهاية فلا نطلب نحن رئاسة فى هذا العالم الزائل المظلم الأرضى ، فان رئاستنا نحن وكرامتنا فى العالم المضىء السمائى وحب المسيح ربنا وحده هو يخلصنا من هذه الأوجاع .

ـ لا تطلب كرامة من أحد ، لكى تتضع لكل الناس ، كن صغيرا بين الناس لكيما تكن فاضلا عند ربك ، ولتكن عند نفسك دون الكل .

(ب) علاقة الأب بابنه

ليكن الأخ الذى يقيم معك مثل ابن وتلميذ ، وان هو أخطأ وافسد شيئا فعظه واكشف له خطأه لكيما يرجع عنه ، وان هو ـ كتجربة ـ نيح آخر اكثر منك ؛ فلا تحزن ، فلعل الله أراد ذلك . فاصبر لكل محنة لأنه بالصبر على الأحزان نقتنى أنفسنا ، وبالأحزان نشارك يسوع فى أوجاعه واذا شاركناه فى أوجاعه ، فاننا نشاركه فى مجده .

كذلك عظ ابنك بخوف الله ، صافحا عن خطايا أخيك ، ألا تعلم أن الشيطان يريد أن يبليك بالغضب بسبب الأخ الذى معك قائلا لك : « ان كلمته مرة ومرتين فاتركه يعمل حسب هواه وكن بلا هم كما قال الآباء » ، فاعلم أن هذا الفكر ليس يحسب مشيئة الله ؛ لأنك قد تجمع وتستزيد النعمة فى أيام كثيرة فلا تفرغ الكيس منها فى لحظة واحدة فتبقى مفلسا . أما طول الروح الذى بحسب مشيئة الله ، فهو بالصبر الى التمام بدون قلق ، وأما طول الروح الكاذب الذى أصابك من خداع الشيطان ، الذى يوند للأخ سجسا وغضبا ، فانه يصيب قليلى الرأى . وهذا ما أقوله لك . فاذا علمت أنك مع تلميذك مثل الأب مع ابنه ، فبدلا من أن تضرب معرفة الأخ دفعة واحدة كل يوم وتعرفه خطأه كما هو واجب عليك ، نراك وقد صيرته بسكوتك لا يعلم غلطه ، وبعد أن تطيل روحك عليه أياما كثيرة ، اذا بك تضربه ضربة واحده فى موضع يصيبمنه مقتلا ، فتنزع روحه منه ، فاعلم يا أخى أنك مخدوع ، اذ تقول أن خطايا الأخ كائنة حقا . فقل لى : « اذا كنت تعلم باستقصاء أن خطاياه حق ، فهل وصفت له العلاج ليصح منها ؟ ؟ » أليس هذا من الاعجاب والكبرياء ؟ وأيضا بشأن أى الخطايا قال الرب « ان لم تتركوا للناس خطاياهم ، لا يترك لكم أبوكم خطاياكم » أليس بشأن الخطايا الحقاتية ؟ فكيف تدين أنت أخاك من أجل ما لا صحة له . فأنت تلقى نفسك فى أشد العذاب . لأنك اذا طالبت أخاك هكذا ، طالبك الله بشأن خطاياك ، فأما المكتوب فهو « لا تدع الشمس تغرب على غيظكم ، واحملوا ثقل بعضكم بعضا » ، وكيف يخدمك الأخ ، أليس ذلك من شأن الله ؟ فاذا قرعت فكره ، فامسك أنت لفكرك ، و لاتحسب نفسك شيئا ، وأنت تتنيح ، وقاتل الأفكار التى تجلب لك السجس وأنت تعان .

سؤال : انى قد وعظت الأخ بحب الله ، وقد تسجست بسبب كونه لم يقبل منى ، فماذا أعمل ؟ .

الجواب : أنت لاتفهم ما تقول ، فان كنت من أجل الله وعظته فكيف تسجست؟ لأن العظة من أجل محبة الله لا تدع الانسان يستجس ، حتى ولو وقع الموعوظ فى الواعظ لاحتمل ثقله ولم يتسجس ، وانما كل عظة تدع السجس يدخل فى قلب الانسان فهى ليست فى ذات الله ، لكنها شيطانية ، مخلطة بتزكية الذات ، فقد بان

اذن أن الأمر تجربة ، ولكن الله يبطلها عنكما ويمنحكما معرفة لتفهما حيل العدو ، وينجيكما منه ، فصليا من أجلى » .

سؤال : ياابى ، ان الأخ يحتقرنى جدا ، وأحب ان ابدله بتلميذ آخر أو ابقى وحدى ، لأن فكرى يقول لى : « لو كنت وحدك ما كنت تحزن » .

الجواب : لا يجب أن تقبل تزكية نفسك ، ولا تقل : لو كنت وحدى ما كنت أحزن ، لأنه لا يكون خلاص بدون أحزان ، لأنك بقولك هذا تبطل الكتاب القائل : « كثيرة هى أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب » وأيضا « كثيرة هى جلدات الخطأة » فان كنت صديقا أو كنت خاطئا ، فواجب عليك قبول الأحزان . وليست هناك أشياء يتساوى الأمر فى فائدتها مثل الأحزان . لأن الأحزان هى مقدمة الخلاص ، لأن الرسول يقول : « اننا بأحزان كثيرة ندخل الى ملكوت السموات » . فالذى يطلب النياح فى كل شىء ليسمع « انك قد اخذت خيراتك فى حياتك » فان كان ربنا قد صبر من أجلنا على الأوجاع ، فواجب علينا أن نصبر على الأحزان لنكون شركاءه فى آلامه المحييه . أما بخصوص استبدال تلميذك بتلميذ آخر ، فالأمر واحد ، لأنك اذا اتخذت آخر ، وصادفك منه ما يحزنك ، فما عملت شيئا فيجب عليك اذن احتمال التلميذ الذى لك ، وسياسته . ويلزمه هو القبول منك ، على أن تحتمل أنت ثقله بخوف الله .

٣ - الراهب والعالم

(١) الراهب والعـالم

+ قال شيخ :

جاهل ، ذاك الذى يوجد فى ذكره شىء من العالم ، ما خلا الميراث الذى يأخذه ، اعنى القبر فقط . .

+ قال مار اسحق :

كما أنه لا يتمكن من قد حبس رأسه فى بئر عميقة مملوءة ماء ، من استنشاق هواء هذا الجو المتدفق فى الفضـاء ، هـكذا من غطس ضـميره باهتمامات الأمـور الحاضرة ، فانه لا يمكن أن تقبل نفسه استنشاق حسن العالم الجديد .

+ وقال كذلك :

ان الذى يلتقى بالناس يلزمه ان يكون باشا بوجهه ، وأما بقلبه فليتنهد .

+ من أقوال القديس يوحنا التبايسى :

ان البيت لا يمكن أن يبنى من فوق الى اسفل ، بل من الأساس الى فوق .

فقالوا له : ما معنى هذا القول ؟. فقال لهم : ان اساس كل عمل هو المحبة للقريب ، فيجب علينا ان نربحه قبل كل شيء ، لأن وصايا المسيح الهنا كلها متعلقة بهذا .

+ ومن اقوال القديس يوحنا القصير :

كن حزينا على الذين هلكوا ، كن رحيما على الذين طفوا ، كن متألما مع المتألمين ، مصليا من اجل المخطئين .

(ب) الراهب والرحمة

+ قال الشيخ الروحانى :

- من يترحم على انسان ، فان باب الرب مفتوح لطلباته فى كل ساعة .
- ذو الافراز ، بكسرة خبز يشترى لنفسه الملكوت ، ومن يفرق ماله بغير افراز ، فباطل هو عمله .
- من يفرح بحسنات كل الناس ، تفيض عليه الحسنات من الرب ، ومن يحزن بصلاح حال الآخرين ، فليس بعد ذلك من شر ، وبسرعة يكون انكساره .

+ قال شيخ :

جيد ان يوجد اسمك مكتوبا فى بيوت المساكين والأرامل والضعفاء ، ذلك افضل من أن يوجد مكتوبا فى بيوت باعة الخمر .

+ قالت الأم القديسة سارة :

جيد أن يصنع الانسان رحمة ولو من أجل الناس (١) ، فيأتى فيما بعد الى ان يرضى الله .

+ عند وفاة الأب توما قال لتلاميذه :

لا تكن اياديكم مبسوطة للأخذ ، بل بالحرى للعطاء .

+ كان لراهب ثوب جيد ، فتصدق به على مسكين ، وبعد يوم مر الراهب بالمدينة ، فأبصر ثوبه على زانية ، فحزن جدا ،فتراءى له ملاك الرب وقال له : لا تحزن لأجل ان ثوبك لبسته زانية ، لأنك ساعة دفعته لذلك المسكن لبسه المسيح ، وان كان ذاك قد أعطاه للزانية فهو يحمل اثمه على نفسه .

+ قيل عن شيخ انه كان كثير الرحمة ، فحدث غلاء عظيم ، ولكنه لم يتحول عن فعل الرحمة ، حتى فقد كل شيء له ، ولم يبق عنده سوى ثلاثة خبزات ، فحين اراد ان يأكل أحب الله امتحانه ، وذلك بأن قرع سائل بابه ، فقال لنفسه جيد لى ان اكون جائعا ، ولا ارد اخ المسيح خائبا فى هذا الغلاء العظيم ،

(١) اى بدوافع الشفقة الانسانية الطبيعية الموجودة لدى كل الناس وليس بدافع الظهور

فاخرج خبزتين له ، وأبقى لنفسه خبزة واحدة وقام يصلى وجلس ليأكل ، واذا سائل آخر قد قرع الباب ، فضايقته الأفكار من أجل الجوع الذى كان يكابده داخله ، ولكنه قفز بشهامة ، وأخذ الخبزة وأعطاها للسائل قائلا : « أنا أؤمن بالمسيح ربى ، انى اذا أطعمت عبده فى مثل هذا الوقت الصعب ، فانه يطعمنى هو من خيراته التى لم ترها عين ، التى أعدها لصانعى ارادته » . ورقد جائعا ، وبقى هكذا ثلاثة أيام لم يذق شيئا . وهو يشكر الله ، وبينما كان يصنع خدمة بالليل ، جاءه صوت من السماء يقول له : لأجل انك أكملت وصيتى ، وغفلت عن نفسك وأطعمت أخاك الجوعان ، لا يكون فى أيامك غلاء على الأرض كلها » ، فلما أشرق النور وجد على الباب جمالا محملة خيرات كثيرة ، فمجد الله وشكر الرب يسوع المسيح ، ومن ذلك اليوم عم الرخاء الأرض كلها .

+ **كان راهب مسكينا** لا يملك شيئا ، لكنه كن رحيما ، فأتاه سائل يطلب صدقة ، ولم يكن عنده سوى خبزة واحدة فدفعها اليه ، ولكن السائل قال له : لست محتاجا الى خبزة ، بل الى ثوب . فأراد الأخ اقناعه فأخذه بيده وأدخله الى القلاية ، فلما أبصر السائل أنه ليس له شيء غير الثوب الذى على جسده رق له وصب تليس خبز كان معه .

+ **كان رئيس دير** أبا لمائتى راهب ، هذا زاره السيد المسيح بصورة شيخ مسكين ، فسأله البواب أن يقول للمعلم عنه ، فدخل فوجده يخاطب آخرين ، فصبر ثم عرفه ، فقال له : دعنا فى هذا الوقت ، فتأخر البواب .

وعند الساعة الخامسة زارهم رجل موسر ، فتلقاه رئيس الدير بسرعة ، فتقدم ربنا السائل قائلا : أنا أريد يا معلم أن أكلمك . ولكن الرئيس لم يلتفت اليه ودخل مسرعا مع ذلك الغنى ليصلح له طعاما ، بمعنى أنه غريب ، وبعد الأكل شيعه الى الباب ، ونسى المسكين الغريب الى المساء ولم يقابله ، ثم انصرف الرب ، بعد أن راسله على لسان البواب قئلا : « قل للمعلم ان كنت ترى كرامة وتشريفا فذلك لأجل سالف تعبك ، انى مرسل لك أقواما يزورونك من أربع جهات الدنيا ، وأما خيرات ملكوتى فعلى هذا الوضع لا تذوقها » . فعرف حينئذ أن الشيخ المسكين هو الرب ، وندم .

+ **أخبر بعض الشيوخ** عن رجل كان يعمل فاعلا فى البساتين ، ويتصدق بجميع أجره خلا قوته ، ثم وسوس له الشيطان قائلا له : « ها قد قضيت عمرك جميعه وأنت تتصدق بأجرك ، فهل ضمنت لنفسك عوارض الزمان ؟ .. اجمع أجرك واحفظه ينفعك » ، فجمع ما استطاع جمعه من أجره .

وحدث بعد قليل وهو يعمل فى البستان ، أن دخلت شوكة فى رجله ، وسببت له وجعا شديدا ، فأنفق جميع ما كان معه ، ولم ينتفع بشيء منه ، وبعد ذلك ابتدأ يسأل ويستجدى من الذين كان يتصدق عليهم ، وأخيرا انتبه

رجله جدا ، فأشار عليه الأطباء بقطعها . لئلا يتلف الجلد جميعه والقدم تسوس وأوصوا بسرعة قطعها فورا .

وفى تلك الليلة بينما كان يبكى ويتنهد ، رجع الى نفسه وندم . لأنه أخطأ بجمعه الصدقة التى كان يتصدق بها ، وكان يقول : « أخطأت يا رب ، اغفر لى من أجل محبتك لجنس البشر » . فظهر له ملاك الرب قائلا له : « أين هى الفضة التى أدخرتها وتوكلت عليها لتعينك فى مرضك ، لقد راح ما جمعته باطلا ، والصدقة لتى كنت تصرفها قد رجعت وأخذتها ؟ » .

فبدأ يبكى ويقول : « أخطأت اليك ، اغفر لى ، وان رجعت معافى قويا ، عدت الى ما كنت عليه أولا » ، فمس الملاك رجله ، وشفيت للوقت ، وقام من ساعته ومضى الى البستان الذى كان يعمل فيه .

وباكرا حضر اليه الطبيب ، ومعه المنشار ليقطع رجله ، فقالوا له : لقد مضى الى البستان يعمل فيه . فمضى اليه الطبيب ، فوجده واقفا يحفر فى الأرض وهو صحيح ، فتعجب وسبح الله ، وحينئذ عرفه سبب مرض رجله وشفائها ، فمجد الله وانصرف عنه .

فالواجب علينا أن نفحص السبل التى سلك فيها الرهبان الذين تقدمونا ونستقيم مثلهم ، فنجد أمورا كثيرة جدا قالوها وصنعوها ، لأن واحدا منهم قد قال ان الأكل بضيق ، والحياة بغر تلذذ ، اذا اقترنا بالمحبة يوصلان الراهب بسرعة الى ميناء عدم الأوجاع ، وقد شفيا فعلا أحد الاخوة من خيالات الليل التى كان يقلق منها . اذ أمر أن يخدم المرضى وهو صائم فخفت عنه . وحينئذ قال : ان أمثال تلك الأعراض لا يستطيع أحد اجتنابها الا بالرحمة .

+ **حدثنا القديس أنبا زوسيما** عن خبر سمعه من **أنبا تادرس** . انه فى مدينة الاسكندرية فى أيام يوحنا الأسقف الذى من نيقية ، كانت صبية وثنية مات والداها وخلفا لها ثروة كثيرة . ومرة أثناء نزهتها فى بستانها شاهدت رجلا يريد أن يخنق نفسه . فأسرعت اليه ومنعته وسألته عن سبب ذلك . فعرفها أنه فى ضيقة بسبب ديونه الكثيرة وضغطات الدائنين عليه وأن الموت أحسن من هذه الحياة المحزنة . فتعهدت له بتسديد ديونه حتى لو كلفها ذلك كل أملاكها ولا يهلك نفسه هكذا . وقد كان . فسدد الرجل ما عليه من ديون وأنفق فى ذلك معظم أموال الفتاة تقريبا . وبعد أيام ضاق بها الحال واحتاجت هى الأخرى بعد أن بذلت معظم ميراثها وثروة والديها لهذا الرجل . واذ لم يكن لها من يهتم بذلت جسدها للزنا .

ولكن الله رب الرحمة والحنان لم يشأ لها هذه الحياة ، واذ أراد مكافأتها سمح لها بمرض . وبينما هى على فراش المرض عادت الى ذاتها وندمت على

فعلها وعزمت أن تصير مسيحية . واذ أخذت تتعافى ويتركها المرض قالت لجيرانها : اعملوا على نفسى رحمة واسألوا البابا أن يجعلنى مسيحية ، ولكنهم تهاونوا جميعهم بها . وقالوا : من يقبل هذه وهى زانية وقد شاع ذكرها . فحزنت الصبية واغتمت لتهاونهم بها . ولكن ملاك الرب وقف بها فى صورة الرجل الذى رحمته وقال لها ما حالك عرفينى ، فانا هو الذى رحمتينى . فقالت له انى أشتهى أن أصير مسيحية وليس لى من يتكلم فى أمرى ويهتم بى . فقال لها : هل بالحقيقة تشتهين ذلك من كل قلبك ؟ فقالت نعم .. وأتضرع اليك أن تعيننى ان استطعت . فقال لها : لا يحزنك هذا أبدا ولا يغمك فانا أحضر من يحملك الى الكنيسة . ثم أحضر ملاكين آخرين حملاها الى الكنيسة وتمثل الثلاثة بصورة أشخاص من ذوى الجاه والعظمة فى المدينة المعروفين فى حاشية وكيل الملك . فحضر القسوس بسرعة والشمامسة المكلفون بالمعمودية . وقالوا اعملوا محبة وعمدوا هذه المرأة .

فأجاب القسوس هل تضمنها محبتكم . فقالوا نعم ، نحن نضمنها . فأخذوها وعمدوها والبسوها ملابس بيضاء . ثم حملها أولئك أيضا وأعادوها الى بيتها وغابوا عنها سريعا .

ولما رآها جيرانها بملابس بيضاء سألوها عن الذى عمدها فحدثتهم بكل ما جرى لها . فقال لها الجيران ومن هم هؤلاء الناس الذين حملوك وطلبوا تعميدك ؟ فلم تعرف . فذهبوا للبابا وعرفوه بخبرها . فأحضر البابا القسوس وسألهم : هل أنتم عمدتم هذه المرأة ؟ فقالوا : نعم ، فقد سألنا فلان وفلان من أكبر البلد فى حاشية وكيل الملك أن نعمدها . ولما دعا البابا أولئك الذين ذكروهم من قصر الولاية وسألهم هل هم الذين ضمنوها فقالوا : ما عرفنا ذلك وما عملناه أصلا .

حينئذ علم البابا ان الأمر الذى جرى هو من الله ، ولما دعا المرأة سألها : أخبرينى أى صلاح عملت فى حياتك يا ابنتى . فقالت له : اذ كنت زانية ومسكينة خاطئة فأى صلاح أعمل . فقال لها البابا : تذكرى يا ابنتى هل عملت صلاحا واحدا . فقالت له قصة الرجل الذى انقذته من الديون وخلصت حياته من الموت والشنق . وعندما فرغت من كلامها هذا رقدت لساعتها . فمجد البابا الرب قائلا : عادل انت يا رب واحكامك عظيمة جدا جدا .

+ قصة عن أهمية عمل الرحمة :

أخبر الآباء عن رجل من أهل دمشق ، وجهه الملك فى حاجة ، وفيما هو ماض فى طريقه ، وجد انسانا ميتا عريانا ملقى على قارعة الطريق فرحمه ذلك الرجل وخلع ثوبه من عليه والقاه على ذلك الميت ، ومضى فى طريقه . وبعد أيام وجهه الملك

فى حاجة ، فبينما هو ماض فى الطريق راكبا وقـع من على دابته فانكسرت رجله وحمل الى منزله وعولج وبعد أيام فسدت رجله . فتشاور المعالجون فيما بينهم اذا لم تقطع هذه الرجل فجسده يفسد جميعه ويتهرأ . وانصرفوا ووعدوه انهم يصيرون اليه بالغداة . فلما فارقوه أمر غلامه أن يتبعهم ويسألهم عما يريدون ان يفعلوه . فقالوا له : رجل سيدك محتاجة الى القطع . اذا صرنا اليـه أخبرناه بذلك . فرجع الغلام باكيا وأخبر سيده بقول الأطباء . فحزن ولم يرقد فى تلك الليلة . وكان عنده مسروج فنظر الى انسان وقد دخل اليه نصف الليل من الكوة ، فقال له : ما بالك أيها الانسان حزينا باكيا ، فقال له : وكيف لا أبكى وأحزن وقد انكسرت رجلى والأطباء يريدون قطعهـا . فقال له : أرنى رجلك . فلمـا أبصرها مسحها بيده وقال له : قم امشى أيضا . فقال له : رجل عبدك يا سيدى مكسورة وكيف أمشى ؟ ! فقال له : استند على وامش . فتقدم يمشى وهو لا يعرج أبدا . فقال له ذلك الانسان : يا أخى ان الرب قال فى انجيله المقدس : طوبى للرحماء لأنهم يرحمون . وأراد الانصراف فقال له : من أجل خاطر الذى أرسلك أما تعرفنى من أنت ؟ فأراه ثوبه عليه . وقال له : أتعرف هذا ؟ فقال : نعم يا سيدى كان لى . . فقال له : أنا ذلك الميت الملقى على الطريق الذى ألقيت على ثوبك أرسـلنى الله لأشفيك فاشكره واعمل الرحمة فتخلصك من الآفات وتغفـر خطاياك . ولمـا أتم الكلام انصرف عنه . وقام العليل صحيحا يشكر الله ويسبحه .

(جـ) الراهب والجزية

+ **قال الأب زوسيما :**

اتفق انى كنت مع آخر سـالكين مع علمانيين فى طريق نابلس ، فوصلنا الى موضع تجبى فيه ضريبة ، فالعلمانيون لمعرفتهم الأمر أعطوا ما وجب عليهم من الضريبة ، وأما الأخ الذى كان معى فأخذ فى المقاومة قائلا : أتتجاسرون على أن تأخذوا خراجا من رهبان ؟ . فلما سمعته يقول هكذا ، قلت له : ما هذا الـكلام الذى تقوله يا أخى ؟ كأنك تريد أن تطالبهم باكرامك اكرام قديس ان شاءوا وان أبوا ؟ فياليتهم كانوا قد أبصروا ما توقعوه من حسن اجابتك وتواضعك ، فكانوا يخجلون ويقولون اغفر لنا ، فاعطهم اذن الجزية كتلميذ وديع للاله الوديع الذى تمسكن ودفع الدرهمين ، ثم أعبر بسلام .

(د) الراهب والمحاكم

+ **من (الديارنس) :**

الذى قد نال وقارا بمعرفة مقدسة وذاق الحلاوة الالهية ؛ لا يجب له أن يحاكم قط ولا يقيم دعاوى أو يجذب الى مجلس حكم بالجملة ؛ حتى ولو سـلبه سالب ملابسه ؛ لأن عدالة السلاطين فى هذا الدهر ليست شيئا بالمرة بالنسبة

الى عدالة الله ، والا فأى فارق اذن بين أولاد الله وأولاد هذا الدهر ؟ واليك ما فعله سيدنا المسيح فانه لما شتموه لم يشتم هو عوضا ، ولما آلموه لم يهدد ، ولما نزعوا ثيابه لم يتكلم ، وتوجع لأجل خلاصنا ، وما هو أعظم من ذلك كله ، أنه سأل الآب الغفران لفاعلى المكروه به .

(هـ) الراهب واللصوص

+ **قيل عن شيخ** أنه فى وقت أتاه اللصوص وقالوا له : جئنا لنأخذ جميع ما فى قلايتك . فقال لهم : خذوا ما شئتم أيها الأولاد . فلما أخذوا جميع ما وجدوه مضوا ونسوا مخلاه كانت مستورة بخوص ، فلما نظرها الشيخ أخذها وخرج مسرعا وراءهم وهو يصيح : يا بنى ، خذوا ما قد نسيتم . فلما رأوا ذلك منه عجبوا من دعته وسلامة قلبه . وردوا كل ما أخذوه الى قلايته ، وقال بعضهم لبعض : بحق أن هذا رجل الله . وكان ذلك سبب توبتهم وتركهم ما كانوا عليه من اللصوصية .

+ **نهب انسان شرير** مال أحد الحكماء فلم يغضب عليه ، فقيل له : لماذا لم تغضب على الذى نهب مالك ؟ . فقال : انى شبهته بالموت لأن الموت ينتزع كل انسان من ماله ولا يغضب عليه أحد .

(و) الراهب والأشرار

+ **قصد الأب يوحنا السريانى** اناس أشرار خبثاء ، فأخذ ماء فى طست وغسل أقدامهم ، فما كان منهم الا أن احتشموا من اكرامه لهم ، فتابوا .

+**وقال شيخ :**

ان أنت قصدت الاحسان الى الأخيار والاساءة الى الأشرار فمنزلك منزلة قاض لا عابد .

+ **سأل أخ أنبا سيصوى الصعيدى** : اذا كنت جالسا فى البرية وقدم بربرى وأراد قتلى . وقويت عليه ، أفأقتله ؟

فأجابه الشيخ : لا . لكن سلم الأمر لله . لأن أى محنة تأتى على الانسان ، ليس له الا أن يقول : انها من أجل خطاياى .

+ **قال الأنبا أثناسيوس :**

اهتم بعمل الخير حسب قوتك من أجل الله ، لا سيما مع المسيئين اليك ومبغضيك ، لكى تغلب الشر الذى فيهم من نحوك .

+ **قال القديس يوحنا ذهبى الفم :**

ان أردت أن لا يتأتى لك حزن فلا تحزن انسانا ما .

+ **قال القديس اغريغوريوس :**

ان كنت غير مذنب عند الاله ، فلا تغفر للمذنبين اليك ، وان كنت تعلم انك مذنب ، فسلف الرحمة وقدمها قدامك ، فان الله يضاعف الرحمة للرحماء .

(ز) الراهب والأعداء

+ **مضى أخ الى الأب سلوانس** وأخبره بأن عدوا قد كثر شره وقد سأل السحرة فى اهلاكه ، وانه يريد أن يسلمه الى السلطان ليؤدبه وتنتفع نفسه . فقال له الشيخ : اعمل ما شئت . فقال الأخ : اصنع لى صلاة . فقام الشيخ ليصلى ، ولما بلغ الى قوله : « اغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ الينا » قال : « لا تغفر لنا يا رب خطايانا ، كما لم نغفر نحن لمن أخطأ الينا » فقال الأخ : لا تقل هكذا يا أبى . فأجابه الشيخ : اذا كنت تريد أن تنتقم ممن أساء اليك ، فهذا ما يجب أن يقال يا ولدى وهكذا يكون .

فصنع الأخ مطانية وصفح عن عدوه .

(ح) الراهب والهراطقة والرؤساء

+ **لما دنت وفاة الأب توما قال لتلاميذه :** « لا تكن لكم خلطة مع هيراطقى ولا معرفة برئيس » .

(ط) الراهب والغرباء

+ **قال شيخ بخصوص قبول الغرباء :**

« اذا كنت نبيا وصديقا ، ولا تقبل من يأتيك مثل نبى وصديق فليس لك أجر ، وان لم تكن نبيا ولا صديقا ، ولكنك قبلت من أتاك مثل نبى وصديق ، فاجر نبى وصديق تأخذ » .

تذييل
مشاهير الآباء الذين وردت أسماؤهم بالبستان

١ ـ القديس اثناسيوس الرسولى

البطريرك العشرون من بطاركة الكنيسة القبطية . لقب بالرسولى وحامى الايمان ، وثالث عشر الرسل .. ولد فى الاسكندرية سنة ٢٩٦م . قدمته أمه وهو فى سن الخامسة عشر للبابا الكسندروس ليحيا التكريس معه . تلقى علومه الدينيه بمدرسة الاسكندرية اللاهوتية .. تتلمذ للقديس أنطونيوس الكبير فترة عاد بعدها للاسكندرية وسيم شماسا فرئيسا للشمامسة وصحب البابا الكسندروس الى المجمع المسكونى الأول بنيقية حيث كان فارس الميدان وبطل الايمان الأرثوذكسى الذى استطاع أن يقف أمام آريوس الهرطوقى وكل أعوانه وفند أضاليلهم .. سيم بطريركا سنة ٣٢٦م ونالته شدائد كثيرة من الآريوسيين الذين استطاعوا أن يستميلوا بعض أباطرة الدولة فنفوا أثناسيوس عدة مرات .. وأخيرا بعد كفاح جبار وقيادة حكيمة للكنيسة وحفاظ أمين على الايمان رقد فى الرب ٣٧٣م .

٢ ـ القديس ارسانيوس
معلم أولاد الملوك

ولد بروما فى أوائل النصف الثانى من القرن الرابع من عائلة مسيحية . جمعت بين شرف الحسب والتقوى .. أتقن علوم عصره .. وقع عليه الاختيار ـ كأفضل وأتقى معلم ـ ليعلم أركاديوس وهونوريوس ابنى الملك ثيئودوسيوس الكبير .. كان يطلب من الله أن يعلمه ماذا يعمله لكى يخلص . فسمع هاتفا يوما يقول له «اهرب من الناس وأنت تخلص» .. ومن وقتها ترك بلاط الامبراطور الى حياة النسك فى اسقيط مصر حوالى سنة ٣٩٤ .. عاش فى مغارة منفردة بعيدة عن الاخوة الرهبان .. وأتقن فضيلة الصمت والنسك ، كما عرف بكثرة الدموع .. عاش أربعين سنة فى الاسقيط واثنى عشر سنة فى جبل طره وثلاث سنوات فى كانوب قرب الاسكندرية . تنيح حوالى سنة ٤٤٥م .

٣ ـ مار اسحق السريانى

من الآباء السريان . ترهب فى دير مار متى فى نينوى . سيم أسقفا على نينوى فى أواخر القرن السادس . ترك الأسقفية ليتوحد فى اسقيط مصر بعد أن أتاه يوما دائن يحتكم اليه ضد مدين . وكان هذا الأخير يطلب اليه أن يمهله بعض الوقت

ليسدد له دينه . أشار مار أسحق على الدائن أن يمهله مستندا الى كلام الانجيل . لكن الدائن قال له : « دع عنك كلام الانجيل » فقال مار اسحق فى نفسه : ان كانوا لا يستمعون لكلام الانجيل فماذا أتيت لأعمل ... وهكذا ترك الأسقفية الى البرية أتقن حياة الوحدة ووضع فى ذلك أربعة كتب فى تعلم النسك تعتبر غاية فى السمو والروحانية وهى مترجمة الى العربية ومحفوظة مخطوطة فى أديرتنا .

٤ ـ مار افرام السريانى

من الآباء السريان الأعلام .. من أعظم شعرائهم وكتابهم . دعى نبى السريان ومعلمهم وقيثارة الروح القدس . ولد فى مدينة نصيبين وتعلم بها فى أوائل القرن الرابع .. توحد فى جبل الرها وعاش حياة نسكية عجيبة .. ترك وحدته ليخدم فى مدينة الرها بناء على رؤيا ليخلص نفوس المؤمنين من الذئاب الآريوسية التى أخذت تفسد ايمانهم .. كما نزل اليها ليخدم أهلها بعد أن اجتاحتهم مجاعة . . زار القديس باسيليوس الكبير فى قيصرية كبادوكية بعد أن رآه فى رؤيا عمودا منيرا يصل من الأرض الى السماء .. وضع ميامر كثيرة وفسر كثيرا من الأسفار المقدسة لكن فقد معظمها . وهو بلا شك من أعظم نساك السريان وأكثرهم روحانية وأعذبهم أسلوبا .. تنيح على أرجح الآراء فى سنة ٣٧٣م .

٥ ـ القديس انطونيوس الكبير

هو أب جميع الرهبان ومؤسس نظام الرهبة . ولد سنة ٢٥١م ببلدة قمن العروس بنى سويف .. مات والده وهو بعد شاب فى سن الثامنة عشر أو العشرين وخلف له أملاكا كثيرة (٣٠٠ فدانا) ... وزعها جميعها على الفقراء بعد أن سمع الشماس فى الكنيسة يقرأ قول الرب فى الانجيل .. « ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أموالك واعط الفقراء فيكون لك كنزا فى السماء » . تنسك أولا فى أطراف قريبة ثم أخذ يتوغل فى الصحراء الشرقية رويدا رويدا حتى وصل الى المكان الحالى الذى يقع فى ديره بجوار ساحل البحر الأحمر . بعد سنوات سمع عنه الناس وتوافدوا اليه ، بعضهم طالبا بركته وبعضهم طالبا شفاءه والبعض طالبا التتلمذ له . ومن ضمن تلاميذه أثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية . وقد كتب تاريخ حياته وحمله معه سنة ٣٣٩م . فى زيارته لروما . وتركه هناك . هذه السيرة التى اشعلت الرغبة النسكية فى بلاد غرب أوروبا . وكانت من أقوى العوامل فى توبة اوغسطينوس . تنيح فى سنة ٣٥٦م .

٦ ـ القديس أوغريس

ولدا ببلدة ايبورا ببلاد بنطس بآسيا الصغرى حوالى سنة ٣٤٥م . كان ذا ثقافة يونانية عالية . سامه باسيليوس الكبير اغنسطسا ورقاه اغريغوريوس النيزينزى (الثيئولوغوس) شماسا وصحبه معه الى القسطنطينية سنة ٣٨١ ليحضر المجمع المسكونى الثانى المنعقد بها . لكنه ما لبث أن تركها حوالى سنة ٣٨٢ قاصدا أورشليم

بعد ان تعرض لتجربة هددت طهارته . مرض هناك بالحمى ونذر نفسه لله . ذهب الى مصر سنة ٣٨٣ وترهب فى جبل نتريا وبعد سنتين ذهب الى الموضع المسمى بالقلالى حيث امضى الخمسة عشر عاما الباقية من حياته وهناك تتلمذ للقديس مقاريوس الاسكندرى . عرف عنه انه كان ينزل الى الاسكندرية ليفحم الفلاسفة اليونانيين . حاول البابا تاوفيلس ٢٣ ان يرسمه اسقفا على طمويس لكنه هرب . تنيح حوالى سنة ٣٩٩ وله من العمر أربعة وخمسون سنة .

٧ ـ القديس باخوميوس

((أب الشركة))

مصرى من الصعيد الأعلى . نشأ وثنيا وتجند فى جيش الدولة الرومانية الحاكمة لمصر فى ذلك الوقت . أحب المسيحية لما لمسه فى مسيحيى اسنا من محبة وشفقة حينما قدموا لجنود معسكر قريب لهم طعاما وشرابا وكانوا فى حالة سيئة تأثر باخوميوس من حياة المسيحيين وأخلاقهم . بعد أن صدر الأمر بتسريح فرقته تعمد وترهب بعد ثلاث سنوات عند راهب قديس اسمه بلامون ومكث تحت طاعته عدة سنوات . ترك الأنبا بلامون وأسس شركة رهبانية ـ بناء على ارشاد ملاك الرب له . شيد جملة أديرة فى الصعيد الاعلى وكان مدبرا ومرشدا لآلاف الرهبان الذين كانوا يعيشون معا عيشة مشتركة فى المأكل والملبس والعمل اليدوى . حاول البابا أثناسيوس الرسولى أن يرسمه قسا فهرب ونصح اولاده ان يهربوا من الكهنوت . وبعد حياة حافلة بالنسك والجهاد الروحى تنيح .

انتقلت قوانينه النسكية وأنظمته الرهبانية الى أوروبا وما زالت متبعة فى بعض الرهبانيات حتى الآن بعد أن أدخلوا عليها بعض التعديلات .

٨ ـ الأنبا دانيال

قمص شيهيت

لا يعرف مكان مولده ، أما تاريخه فيرجح أنه حوالى سنة ٣٨٥م انطلق الى برية شيهيت وهو بعد شاب . ترهب وعاش حياة نسكية عجيبة . كان يتناول وجبة واحدة من الطعام كل يوم فى وقت الغروب . كان يقوم بعمل السلال ويبيعها لينفق منها . حياته المثالية وتقشفه وقدرته الفائقة فى حسن الادارة أهلته لرتبة الكهنوت بل أن يصبح قمصا لشيهيت كلها وهى اعلى رتبة فى البرية . وقع اسيرا فى يد البربر ثلاث مرات . فى المرة الأولى أسر لمدة سنتين حتى خلصه أحد البحارة ، وفى الثانية أسر لمدة ستة شهور لكنه تمكن من الهرب ، وفى الثالثة رمى حارسه بحجر أرداه قتيلا وهرب عائدا الى قلايته لكن هذا العمل الأخير أقلق ضميره للغاية حتى أنه لجأ الى البابا تيموثاوس الذى اذ لمس ندمه الشديد وحزنه على خطيته وتوبته أعطاه

الحل وصرفه بعد أن نبهه الى خطئه . لكنه مع ذلك لم يهدأ فأخذ يقصد آباء قديسين فى أماكن متفرقة طالبا مشورتهم وقيل انه لما لم يرتح حتى قدم نفسه للسلطات الحاكمة فى الاسكندرية لتوقيع عليه العقوبة ، لكن لم يهتم أحد باعتباره مدانا . اكتفى الأنبا دانيال بهذه المحاولات وعاد الى البرية جاعلا من ذاته قاضيا لنفسه فانسحق انسحاقا شديدا وضاعف من أتعابه وأسهاره معتنيا بمريض مقعد ، ذارفا الدموع شاعرا ببشاعة خطيته . ولما أرسل الامبراطور الرومانى جستنيان وفدا الى الاسقيط للضغط على الرهبان لقبول قرارات مجمع خلقيدونية . قاد الأنبا دانيال حركة العصيان وحرض الرهبان على عدم الخضوع لهذه القرارات فلقى عذابا شديدا هو ومن معه من الآباء وأخيرا طردوه من البرية حيث التجأ الى بلدة تمبوك احدى قرى الدلتا وهناك بنى له ديرا صغيرا استمر فيه حتى وفاة جستنيان سنة ٥٦٥م ، بعدها عاد الى الاسقيط . .

وقد أعطى من الله موهبة عمل المعجزات والكشف الروحى والافراز ، أخيرا بعد جهاد شاق وقيادة حكيمة لرهبان البرية تنيح وقد تجاوز التسعين عاما .

٩ ـ القديس مقاريوس الكبير

هو أب رهبان الاسقيط وأحد المقارات الثلاثة القديسين . ولد فى سنة ٣٠٠ أو سنة ٣٠١م فى شبشير منوفية من والدين تقيين . كان ابوه قسا . ولد بوعد الهى . تزوج على غير ارادته تحت ضغط الناس حتى يرسم قسا ليخلف والده . تم ذلك لكنه لم يعاشر زوجته وعاش معها بتولا . وكان يذهب مع جمال أبيه الى وادى النطرون الى مصر . هناك رأى رؤيا عن سكناه فى هذا الجبل وتلمذته لكثيرين . سرعان ما ماتت زوجته . أما هو فنفذ الرؤيا وتوحد فى الاسقيط . زار الأنبا انطونيوس وتزود ببركته وتتلمذ له آخذا منه نصائح تفيده فى حياته الرهبانية بعد أن البسه اسكيم الرهبنة .

تتلمذ له كثيرون منهم من وفد اليه من بلاد نائية من بينهم مكسيموس ودماديوس ابنا الملك فالنتياتوس امبراطور الدولة الرومانية ... ذاع صيته كأب ومرشد روحى عرفت عنه الحكمة العجيبة فى قيادة النفوس . كما أعطى من الله موهبة صنع المعجزات بنى أول دير له مكان دير البرموس الحالى ثم تركه وبنى ديرا آخر ما زال يحمل اسمه حتى اليوم (دير أبو مقار) . تنيح فى سن التسعين بعد حياة حافلة بالنسك والجهاد الروحى وما زال جسده محفوظا فى ديره بوادى النطرون .

١٠ ـ القديس مقاريوس الاسكندرى

هو أحد الثلاثة مقارات القديسين ، وسمى بالاسكندرى تمييزا له عن مقاريوس الكبير ومقاريوس الأسقف . عاصر القديس مقاريوس الكبير . ولد فى أواخر القرن الرابع وربما حوالى سنة ٢٩٦ أو سنة ٢٩٧ . كانت مهنته قبل رهبنته « حلوانى » بالاسكندرية ذهب الى البرية حوالى سنة ٣٣٠م واشتهر بضروب التقشف الصارمة

التى كان يمارسها . سمع عن أنبا باخوم فى دير طبانسين وعن رهبانه فاشتهى أن يراه . وهناك طلب من أنبا باخوم أن يقبله راهبا فى ديره . لكن باخوم رفض لكبر سنه . وبعد الحاح قبله . بدأ صوم الأربعين المقدسة ولوحظ أنه لم يذق خلاله خبزا ولم يثن ركبتيه أو يرقد مرة ، ولم يتناول طعاما سوى أوراق الكرنب فى أيام الآحاد فقط حتى يظهر انه يأكل . وازاء ذلك اعترى رهبان الدير صغر نفس وذهبوا الى انبا باخوم وطلبوا اليه أن يخرجه . فاندهش باخوم وصلى الى الله ليكشف له عن شخصية ذلك الرجل . وفعلا تم ذلك وتباركا من بعضهما البعض وعاد مقاريوس الى موضعه .

كان له أربع قلالى يقيم فيها . واحدة فى الاسقيط فى البرية الداخلة ، والثانيه فيما كانوا يسمونه ليبيا ، والثالثة فى الموضع المعروف باسم القلالى والرابعة فى جبل نتريا . كانت الأخيرة فسيحة يقابل فيها قصاده والثالثة كانت ضيقة لدرجة أنه كان لا يستطيع أن يفرد ساقه والأولى والثانية كانتا بدون نوافذ وكان يقضى فيهما صوم الأربعين المقدسة فى ظلام .

اعطى من الله موهبة صنع المعجزات وشفاء الأمراض . كان اذا سمع عن انسان يمارس فضيلة لم يمارسها هو لا يهدأ باله حتى يتقنها . ومع أنه كان ناسكا متحمسا لكنه كان بشوشا ومحبا للآخرين . تنيح فى سن المائة .

١١ ـ الأنبا موسى الأسود

يخبرنا بلاديوس المؤرخ عنه أنه كان حبشيا ولذا يلقب بالأسود وأنه كان عبدا وعتقه سيده لسوء سلوكه وكثرة سرقاته وارتكابه جرائم قتل . وكان من القوة لدرجة أن صار رئيس عصابة . ويقال انه ذات مرة عبر النيل سباحة والسيف بين فكيه ليقتل راعيا للانتقام . يختلف المؤرخون فى كيفية توبته ، لكن من الثابت أنه تاب على يد الأنبا ايسيذروس القس .

بهر موسى بهيبة وروحانية ايسيذورس الذى اخذ يحدثه عن التوبة والحياة مع الله فتأثر لدرجة أنه ترهب فى شيهيت تحت طاعة الأنبا ايسيذورس سلك دروبا شاقة من النسك . وجاهد ضد شهواته جهادا مضرب الأمثال حتى صار فى أواخر أيامه من كبار الآباء النساك . كان محبا للغرباء والاخوة كان يقضى الليل حاملا جرات المياه الى قلالى الاخوة التى تبعد كثيرا عن الماء . رسم قسا بيد الأنبا ثاوفيلس البطريرك ٢٣ . وفى سن الخامسة والسبعين استشهد على يد البربر فى غارتهم الأولى ويعتبر الأنبا موسى أول شهداء شيهيت . وكان ذلك على أرجح الآراء حوالى سنة ٤٠٧ . وما زال جسده محفوظا فى تابوت واحد مع معلمه الأنبا ايسيذورس فى دير البرموس .

١٢ ـ القديس نيلوس السينائى

ولد فى غلاطية . عمل بعض الوقت حاكما لمدينة القسطنطينية واستقال منها حوالى سنة ٣٩٠ . قاصدا برية سيناء ليترهب هناك هو وابنه ثيئودوسيوس اجتاح البربر صحراء سيناء وأسروا بعض الرهبان من بينهم ابنه اما هو فنجا بأعجوبة ، بيع ثيئودوسيوس عبدا . أخذ نيلوس يبحث عنه حتى وجده عند أسقف كان قد اشتراه .. عاد الى سيناء وأستأنفا حياتهما النسكية ... ترك كتابات فى مواضيع مختلفة وتنيح .

١٣ ـ القديس يوحنا ذهبى الفم

ولد بانطاكية سنة ٣٤٧ من أسرة شريفة . كان يوحنا ما زال شابا حين مات والده . فاهتمت أمه التقية بتربيته . بعد أن انتهى من دراسة علوم عصره عرض عليه منصب قاض لكنه لشغفه بالدين توحد فى أحد الأديرة القريبة من انطاكية حيث عكف على الصلاة ودراسة الكتاب المقدس . اضطر للعودة الى المدينة لاعتلال صحته. وهناك سيم شماسا فقسا ليقوم بخدمة الوعظ . ولما أرادوا سيامته بطريركا على القسطنطينية دبروا حيلة حتى فازوا به وسيم سنة ٣٩٧ . عرفت عنه شجاعته وصراحته فى الحق مما أثار عليه الملكة الشريرة افدوكسيا التى لم تحتمل توبيخه لها فنفته ومات فى منفاه سنة ٤٠٧ بعد أن خلف للكنيسة تراثا رائعا من العظات وتفاسير لبعض الأسفار المقدسة ما زال معظمها باقيا حتى الآن . لفصاحته النادرة وقوة تأثير كلماته لقبته الكنيسة بذهبى الفم .

١٤ ـ القديس يوحنا سابا

وهو معروف باسم الشيخ الروحانى . من الآباء فى القرن السادس الميلادى . ترهب بدير على نهر الفرات . وهو من مشاهير كتاب ونساك السريان . له كتابات روحية بليغة .

١٥ ـ القديس يوحنا القصير

هو أحد أعمدة الرهبنة فى برية شيهيت . لا يعرف عن طفولته الا بعض شذرات متفرقة . يرجح أنه ولد فى سنة ٣٣٩ وذهب الى البرية حوالى ٣٥٧ ولد ببلدة أطسا بقرب المنيا من والدين تقيين . كان يشتهى من صغره حياة الوحدة والانفراد والهدوء ذهب الى برية شيهيت وقصد الأنبا بمويه الذى رفض قبوله لصغر سنه اذ كان يبلغ ١٨ سنة فى ذلك الوقت . وبعد الحاح أمضى الأنبا بمويه تلك الليلة فى الصلاة الى الله طالبا ارشاده بخصوص هذا الأخ الجديد . فأخذ ارشادا من الله بقبوله وأنه سيكون غرسا يانعا وسيصير أبا لجماعات كبيرة . رهبنه بمويه وعاش فى طاعته عاكفا على الصلوات ودراسة الأسفار المقدسة والتأمل . أراد الأنبا بمويه أن يختبر ثباته فطرده ذات مرة وطلب اليه أن يعود الى بيته لأنه لا يقدر على حياة التقشف الخشنة.

ولم تفلح توسلات يوحنا . فظل اسبوعا كاملا واقفا قدام باب الأنبا بموبه .. بعد ذلك فتح له المعلم وأدخله .. ومرة اخرى اراد ان يختبر طاعته فأعطاه عودا يابسا وطلب اليه أن يغرسه فى الأرض ويسقيه . فأطاع وكان يسقيه من عين ماء بعيدة مرتين كل يوم . وبعد ثلاث سنوات اينع العود وصار شجرة كبيرة . هى التى عرفت باسم شجرة الطاعة فيما بعد . وقيل انها ظلت باقية حتى سنة ١٩٢١ . اصيب معلمه بمرض شديد لازمه مدة ١٢ سنة كان يخدمه خلالها خدمة أمينة حتى انه قبيل نياحته مسك بيده قدام الآباء الحاضرين وقال لهم « ان هذا ملاك وليس بانسان » . بنى ديرا وما زالت خرابة موجودة حتى الآن بوادى النطرون .. وكان أبا عطوفا ومرشدا امينا لكثير من الرهبان .. ومن أهم ما عرف عنه استغراقه فى التأمل فى الالهيات كما اعطى من الله موهبة الكشف الروحى . رسمه الأنبا تيموثاوس الأول (البطريرك ٢٢) كاهنا بناء على طلب شيوخ البرية وقيل أنه أثناء الرسامة سمع صوت من السماء يقول « اكسيوس اكسيوس اكسيوس » أى مستحق مستحق مستحق . وبعد حياة حافلة بالجهاد والنسك تنيح بسلام وله من العمر سبعين سنة وجسده ما زال محفوظا بدير القديس أبو مقار بوادى النطرون .

فهرست هجائى للآماكن

(أ)

أردن ١٧٥ – ١٣٤

ارمون ١٠٨

ارميوس (دير) ١٠٨

اسكندرية
٢٥ – ٣٤ – ٦٢ – ٦٤
٦٩ – ٨٨ – ١١٠ – ١١١
١١٢ – ١١٧ – ١١٨ – ١١٩
١٨٧ – ٢١٤ – ٢٦٥ – ٣٢٠
٣٣٠ – ٤١٣ – ٤٥٠

اسنا ٤٧

أسيوط ٣٦٧

اطفيح ٢١

انطاكية ١١٥

أورشليم ٢٩٣ – ٣٣٣ – ٣٣٥–٤٢١

ايطاليا ٦١

(ب)

بابل ٤٠٥

بابلون ٦٤

بارما ٢٠٧

بانوس ٥٠

باقوس ٣٣٦

بترا Patâra ٦٣

بحر أحمر ٤٣٧

براموس ٢٧ – ١١٩

بهلس ٣٨

بيافوا ٣٣٠

(ت)

تاسه (دير) ٢٥٣

(د)

دمشق ٤٥١

ديولفن ٢٠١

(ر)

رومية ٥٤ – ٥٩ – ٦١ – ٦٢
٨٨ – ٨٩ – ٢٣٤

بلد **الرها** ٣٣٢

(س)

سدوم ٤٤٣

سورية ٢٤ – ٤٣ – ٢٨٨

سينا ٦١ – ٤٢٩

(ص)

صعيد ٤٧ – ٧٩ – ٣٢٤ – ٣٤١

صور ١٧٥

(ط)

طره ٦٤

طور سيناء
٥٢ – ٢٣٤ – ٢٦٧ – ٣٠٠
٤١٨

(ف)

فارما (الفرما) ١٠٤

فلسطين ١٠٢ – ٣٣١ – ٣٤٤

(ق)

قسطنطينية
٣١ – ٥٤ – ٥٧ – ١١٠
٢٧٧

قيصرية ٤٣٤

(ك)

كريت ٢٥٨

مصر ٢١ – ٢٧ – ٣٥ – ٣٦

٥٢ – ٥٤ – ٥٤ – ٦٤
٧٣ – ٨٨ – ٨٩ – ٩٨
١٠٣ – ١٦٣ – ١٨٣ – ٢١٠
٢٩٧ – ٣٢٣ – ٣٢٤ – ٣٤٥

منف ٦٤

منوف ٨١

(ن)

نابلس ٤٥٢

نقيوس ١١٩

نيتريا ٢٤ – ٢٧ – ٣٣ – ١٠٢ – ٣٢٠ – ٤٢٨

نيقية ٤٥٠

نينوى ٥٢

(و)

وادى العربة ٢١

فهرست للأشخاص

(أ)

ابرام (أنبا)
١٦٣ – ١٦٦ – ٢٩٩ – ٣١٩

ابرام (تلميذ أنبا شيشاى) ٢٢١

أبراهيم (أنبا) ١٢٨

ابراهيم (أب المؤمنين)
٤٣ – ١١١ – ٢٠٧ – ٢٩٩
٣٨٢ – ٤٠٥

ابراهيم (راهب) ٣٣٥

ابطلما ٣٥٥

أبللو ١٧١ – ٤٣٩

ابيفانيوس
١٧٤ – ٢٥٥ – ٢٧٩ – ٣٣٥
٣٣٦ – ٣٧٣ – ٣٩٨ – ٣٩٠
٣٩٥

اثناسيوس الرسولى
٤٩ – ٨٧ – ٣٠١ – ٤١٥
٤٣٥ – ٤٥٣ – ٤٥٥

اخيلاس ١٠٣

آدم (الرجل الأول)
٤٥ – ٦٩ – ٧٥ – ٢١٣
٤٤٤

ارسانيوس (معلم أولاد الملوك)
٥٤ – ٦٤ – ١٧٠ – ١٧١
١٧٩ – ١٨٦ – ٢١٣ – ٢٢٧
٢٣١ – ٢٣٤ – ٢٣٧ – ٢٨٥
٣٠٧ – ٣٥٧ – ٣٦٣ – ٣٨٣
٤٥٥

ارمانيوس (أ ب) ٤٣٦

أرميا (النبى) ٣٥٤

اسبيانوس ٣٣٢

اسحق (أسقف نينوى ـ المتوحد)
٥٢ – ١٣٣ – ١٦٤ – ١٦٦
١٦٨ – ١٧١ – ١٧٢ – ١٧٣
١٩١ – ١٩٢ – ١٩٣ – ٢٠١
٢١٩ – ٢٢٠ – ٢٢٢ – ٢٢٧
٢٢٨ – ٢٣٤ – ٢٣٦ – ٢٤١
٢٤٣ – ٢٤٧ – ٢٤٨ – ٢٥٤
٢٦٠ – ٢٦٣ – ٢٦٦ – ٢٦٦
٢٧١ – ٢٧١ – ٢٧٩ – ٢٨٥
٢٨٧ – ٢٨٨ – ٢٩٢ – ٢٩٤
٢٩٧ – ٢٩٨ – ٣٠٧ – ٣١٣
٣١٤ – ٣١٦ – ٣١٧ – ٣٢٥
٣٢٧ – ٣٢٨ – ٣٢٩ – ٣٣٩
٣٥١ – ٣٥٣ – ٣٥٥ – ٣٥٩
٣٦٥ – ٣٦٩ – ٣٧٥ – ٣٧٧
٣٨٦ – ٣٩٠ – ٣٩٢ – ٣٩٨
٤٢٣ – ٤٢٧ – ٤٢٨ – ٤٣١
٤٤٧ – ٤٥٥

اسحق (ابن ابراهيم) ٣٨٢

اسحق (القس التبايسى) ٤٠٢

اسحق (قس القلالى)
١٦٦ – ٢٠١ – ٢٠٧ – ٢٣١
٢٣٣ – ٢٦٧ – ٢٩٢ – ٣٢٠

اشعيا (الاسقيطى)
٣٠ – ٥٥ – ١٤١ – ١٥٤
٢١٤ – ٢١٦ – ٢٢٩ – ٢٨٤
٤٠٠

اشعيا (النبى)
٢٥١ – ٢٨٢ – ٣٤١ – ٣٤٣

اصطفان ٣٠١

اغابيوس ٤٣

اغاثون ٦٦ – ٦٨ – ٦٩ – ١٦٠
١٦٦ – ١٦٨ – ١٧٠ – ١٧١
١٧٤ – ١٩٠ – ٢٠٠ – ٢١٠
٢٣٩ – ٢٤١ – ٢٥٠ – ٣٠٩
٣١٠ – ٣٢٩ – ٣٥١ – ٣٥٥
٣٧٥ – ٣٨٦ – ٣٩٠

اغريبوس ٣٢٠

اغريغوريوس الثاؤلوغس
١٨٩ – ٢٠٥ – ٣٠١ – ٤٥٣

افراطس ١٧٧ – ٣٥١

افرام (السريانى)
١٦٣ – ١٧١ – ١٧٢ – ١٧٤
١٨٩ – ٢٠١ – ٢٠٧ – ٢١١
٢٢٨ – ٢٤٧ – ٢٥٨ – ٢٦٤
٣١٢ – ٣٥٦ – ٣٦٥ – ٣٦٨
٣٧٤ – ٤٠٩ – ٤٢٧ – ٤٣٨
٤٥٥

اقليمس ٤٢٧

اكليمادوس ١٣٠

اكليماكوس (الدرجى)
٢١٢ – ٢٩٩ – ٣٠٤

الاديوس ٣٤٥ – ٣٦٨

الكسندروس (تلميذ أنبا ارسانيوس)
٥٦ – ٦٣ – ١٨٦

البينوس ٤١٣

اليشع (النبى) ١١١ – ١٨٣ – ١٨٥

الينوس ٢٥١ – ٣٢٠ – ٢٢٥ – ٣٣٢

أموس ٢٧٦

أمون ٦٧ – ٤٠٠

أمون (الذى زار أنطونيوس)(١)
٢٣ – ٢٤

أمون (أب جبل نيتريا)(٢) ٤٢٨

أمون (أمونيوس – الأسقف)
٢٨٦ – ٣٢٠ – ٣٢٩ – ٣٣٠
٤٠٢

أمونا (انبا) ٣٩٦

أموناس (انبا) ١٠٣ – ٣١٢

اناستاسية الشماسة ١١٠ – ١١٢

انانية ١٦٣

انسطاسيوس (السينائى)
٤٠٨ – ٤١٤

أنطونيوس (أب الرهبان)
٢١ – ٢٦ – ٣٢ – ٣٣
٤١ – ٤٩ – ٦٩ – ٩٩
١٠٠ – ١٦٤ – ١٦٨ – ١٧٠
١٧٨ – ١٧٩ – ١٨٣ – ١٩٢
١٩٣ – ١٩٤ – ١٩٧ – ١٩٨
١٩٩ – ٢٠٣ – ٢٠٧ – ٢٠٨
٢١٠ – ٢١٧ – ٢١٩ – ٢١٩
٢٤٨ – ٢٤٩ – ٢٥٦
٢٦٥ – ٢٦٦ – ٢٧٨ – ٢٧٩
٢٨٤ – ٢٨٧ – ٢٩٢ – ٢٩٣
٣٠٢ – ٣٠٣ – ٣٠٤ – ٣٠٥
٣٢٦ – ٣٣٢ – ٣٥٣ – ٣٦٥
٣٧١ – ٣٧٦ – ٣٧٨ – ٣٨٠
٣٨٢ – ٣٨٤ – ٣٨٩ – ٣٩٠
٣٩١ – ٤٠٩ – ٤٠٩ – ٤١٢

---

(١) وتنيح قبيل سنة ٣٥٥م .
(٢) ويقال انه الذى زار أنطونيوس ج ١ بلاديوس ص ١٠٢ .

٤١٥ – ٤١٦ – ٤١٩ – ٤٢٨
٤٣١ – ٤٣٥ – ٤٣٦ – ٤٣٩
٤٤٠ – ٤٤٢ – ٤٥٥
أور ٢٩٢ – ٣٨١ – ٤١٨ – ٤٣٣
أوراسيبوس ٣١٥
أورانيوس ٢٩٦ – ٣١٢ – ٢٧١
أوريجانوس ٣٣٦
أوغارينوس (أب)
٢٥٤ – ٣١٥ – ٣٤١ – ٣٦٩
٣٧٣ – ٣٧٧
أوغريس
٢٨ – ٥٢ – ١٧٤ – ١٩٣
٢٣٦ – ٢٣٧ – ٢٥٣ – ٣٠٠
٣٢٣ – ٣٣٤ – ٣٦٥ – ٣٧٧
٤٠٠ – ٤٢٠ – ٤٢٣ – ٤٣٢
٤٥٦.
أولوجيوس (تلميذ أنبا يوحنا الاسقف ٣٣٠ – ٣٤٠
أولونيوس (أسقف فيلوا بولاوس)
٣٤٣
أوليانوس ٤١٩
ايرايس (أنبا)
١٧٨ – ١٩٧ – ٣٧٣ – ٤٤٤
ايرنيس (شيخ) ٤١٢
ايسيذورس (قس الاسقيط)
٦٩ – ٦٩ – ٧١ – ٧١
٧٢ – ٧٤ – ٧٩ – ٨١
٢٣٩ – ٣٥١
ايلاريون ٢٤ – ١٢٥
ايليا (أنبا)
٦٦ – ٢٦٠ – ٢٧٩ – ٢٧٨
٣٢٧
ايليا (النبى)
١١١ – ١٨٣ – ١٨٥ – ٢٠٧
٢٥٦ – ٤٢١
ايليا (السائح) ١٩٥
أيوب (أنبا) ٩٢

(ب)

باخوميوس (أب الشركة)
٢٨ – ٤٧ – ٥٢ – ١٦٤
١٧٩ – ١٨٩ – ١٩٣ – ٢٠٣
٢١٧ – ٢١٩ – ٢٢٠ – ٢٢٢
٢٤٠ – ٢٥١ – ٢٥٣ – ٢٥٦
٢٥٨ – ٢٨٤ – ٣٠٩ – ٣١٠
٣١٥ – ٣١٦ – ٣١٧ – ٣١٩
٣٢٠ – ٣٢١ – ٣٥٥ – ٣٦٠
٣٩٨ – ٤٣٧ – ٤٥٦
باريكوس (أب) ٣٨٠.
باسيليوس (القديس)
١٢٩ – ١٦٢ – ١٧٨ – ١٧٩
٢٥١ – ٢٦٦ – ٢٨٠ – ٢٨٤
٢٩٢ – ٣٠٥ – ٣١٦ – ٣١٨
٣٢١ – ٣٤٠ – ٣٤٩ – ٣٥١
٣٧٥ – ٤٠٠ – ٤٢٧ – ٤٢٧
٤٢٩ – ٤٣١ – ٤٣٥ – ٤٤٣
بائيسه ٨١
برصنوفيوس
١٦٠ – ١٦٥ – ١٧٨ – ٢٠١
٢٠٧ – ٢١٣ – ٢١٨ – ٢٢٩
٢٤٩ – ٢٥٢ – ٢٥٧ – ٢٨٣
٢٨٨ – ٢٩٢ – ٣٠٩ – ٣١٤
٣٢٠ – ٣٢١ – ٣٤٩ – ٣٥٥
٣٦٠ – ٣٦٦ – ٣٧٩ – ٣٩٣
برنابا (الرسول) ٣١٧
بطرس (الرسول)
٤٤ – ٢٥٩ – ٢٨٠ – ٣١٧
٣٥٤ – ٤٣٩
بفنوتيوس
١٠١ – ١٩٣ – ٢٩٨ – ٣٧٧
٣٨٩ – ٤١٣ – ٤٤٢
بفنوتيوس (تلميذ أنبا مقاريوس)
٣٥ – ١٨٢

بفنوتيوس (المتوحد) ١٠١
بلا (أنبا) ١٩٤
بلامون ٤٧ – ٤٩ – ٥٠
بلاماى (أنبا) ٣٨٢
بموا ٦٩ – ٧٥ – ٨١ – ١٦٧
١٨٣ – ٢٠٧ – ٢١٠ – ٢٢٦
بنيامين (أنبا) ٢٢١
بنيامين (أب السبط) ٦٨
بولس ٣٦
بولس البسيط
٢١ – ٢٢ – ٩٩ – ١٠٠
٢٨٢ – ٣٥٤
بولس (الرسول)
٤٣ – ٤٨ – ١٣٠ – ١٦٢
٢١٦ – ٢٥٦ – ٣١٧ – ٣٥٤
٣٥٦ – ٣٩٨
بيساريون ٩٦ – ١٠٠ – ٣٢٥
بيسير ٣٧٤
بيشاى (زميل أنبا يوحنا القصير)
٨٧
بيمين
٦٤ – ٦٦ – ٦٧ – ٧٧
٨٤ – ٩٢ – ٩٤ – ١٢٦
١٧١ – ١٩٢ – ١٩٤ – ٢٠٥
٢٠٧ – ٢١٠ – ٢١١ – ٢١٩
٢٣١ – ٢٣٣ – ٢٣٩ – ٢٦٧
٢٧١ – ٢٧٩ – ٢٩٦ – ٢٩٧
٣١١ – ٣١٨ – ٣٢٠ – ٣٢٦
٣٥١ – ٣٥٦ – ٣٥٨ – ٣٧٣
٣٧٦ – ٣٧٧ – ٣٧٩ – ٣٨٩
٤٠٠ – ٤٠١ – ٤٠٢ – ٤٢٧
٤٣٠ – ٤٣٦ – ٤٤١
بيور ٤٠٦

(ت)

تادرس (الأسقف)
٢٠٤ – ٣٧٦ – ٤٠٥
تادرس (تلميذ أنبا باخوميوس)
٤٨ – ٥٢
تادرس (الاسقيطى)
١٠٤ – ١٠٤ – ٢٨١ – ٣٩٥
تادرس (الفرمى)
٥٩ – ١٧٠ – ١٧٥
تادرس (الرهاوى) ٤٠٥
تاؤدروس (أنبا) ٤٣٩
تاؤدوره (الأم)
٣١٢ – ٣٥٠ – ٣٥٢ – ٣٥٦
٣٦٣ – ٣٦٩
تائيس ٩٨ – ١٠٠
تودرى ٢٦٥
توما ٤٤٨ – ٤٥٤
توماييس ١٠٦
تيموثاوس (أنبا)
١٦٣ – ٢٨٤ – ٣١٨ – ٣٢٧
٣٥٢ – ٤٢٩ – ٤٣٠ – ٤٤٣
تيودور ٢٠٧

(ث)

ثاؤفيلس (البطريرك ٢٣)
٦١ – ٦٢ – ٦٤ – ٦٩
١٧٥ – ٣٢٠ – ٣٥٦ – ٣٧٧
ثيئوبمبتس ٣٤
ثيئودوسيوس الكبير
٥٤ – ٦٤
ثيئودوسيوس ٢٣٤

(ج)

جراسيموس ٢٧٩
جرمانوس (زميل يوحنا كسيان)
٣٤٤
جرينوس ١٩٦
جسريانوس ٥٥
جيحزى (تلميذ اليشع) ١٨٣
جلاسيوس
٢٥٠ – ٣٩٦ – ٤٣٢ – ٤٣٣

(ح)

حام (ابن نوح) ١٨٥
حواء (المرأة الأولى)
٢٥١ – ٣١٧ – ٤٤٤

(د)

دانيال (تلميذ أنبا ارسانيوس)
٥٦ – ٥٨ – ٥٩ – ٦٣
١٧٩ – ٣٢٤

دانيال (الاسقيطى)
١٠٦ – ١١٢ – ٢٠١ – ٢٠٨
٣٣٩ – ٤٥٧

دانيال (النبى) ١٦٥ – ٣٥٤

داود (النبى)
١٨٣ – ٢٠٧ – ٢٥٠ – ٢٩٣
٣٨٢

دكياس ٣٣٣

دوروثيئوس
١٢٧ – ٣٥٤ – ٤٠٢ – ٤٠٤
٤٠٧

دوماديوس (ابن ملك الروم . فالنتيانوس أولانديوس)
٤١ – ٤٣

دياراخس ٢٥٨ – ٤٢٧

ديسقورس (الشماس) ٣٤٥

ديمتريوس ١١٩

(ر)

روفس ٣٦٤

(ز)

زكريا (الراهب)
٧٩ – ٧٩ – ٢٦٧ – ٣٤٤

زكريا (ابن برخيا) ٣٨١

زوسيما ١٧٥ – ٣٥١ – ٣٥٢
٤٣٤ – ٤٥٠ – ٤٥٢

زويل ٥٦ – ٦٢ – ٦٣

زينون ١٠٢ – ١٧٧ – ٢٦٦ – ٢٧٧
٢٨٨ – ٢٩٤ – ٣٠٥ – ٤٠٤
٤٣٧

(س)

سارة (الأم)
١٦٤ – ٢١٣ – ٢٢٨ – ٢٩٩
٣٦٨ – ٤٤٨

سام (ابن نوح) ١٨٥

ستروتين (مدبرة دير) ٢٩٣

سرابيون (اسقف دندره)
٤٩ – ٢٤٨

سرأبيون (الراهب)
٨٨ – ٩٠ – ١٦٩ – ١٨٧
٢٥٢

سفرنيكى (راهبة)
١٦٩ – ١٧٨ – ٢٣٦ – ٢٨٦
٢٨٧ – ٣١٢ – ٣٣٢ – ٣٤١
٣٤٩ – ٣٦٩ – ٣٨٦ – ٣٩٣

سلوانس (الأب)
١٨٥ – ١٨٦ – ٢٠٤ – ٢٠٦
٢٦٧ – ٤٢٧ – ٤٥٣

سلوانس (المتوحد)
١٨٥ – ١٨٦ – ٢٠٤ – ٢٠٦
٢٦٧ – ٣٣١ – ٣٣٢ – ٣٤٤

سمعان (الراهب) ٤١٧

سمعان (العمودى)
١٢٥ – ٣٥٤ – ٣٨٩ – ٤٢٨
٤٣٠ – ٤٣١

سمبوس ١٠٣

سيحون (ملك كنعان) ٣٩٨

سيمون (الساحر) ٤١٥

(ش)

شاول (تلميذ أنبا بيساريون)
٩٧

شاول (أحد ملوك اسرائيل) ٤٠٩

شمعون (أب السبط) ٦٨

(ص)

صموئيل (النبى) ٤٠٩
صيصوى
٢٦ – ٧٥ – ١٦٥ – ٢١١
٢٣٣ – ٢٣٩ – ٢٦١ – ٢٨٠
٢٩٥ – ٣٤٣ – ٣٧١ – ٣٧٣
٣٧٧ – ٣٨١ – ٤٥٣
صيصوى (الصعيدى)
٢٠٧ – ٢٨٠ – ٣٥٣ – ٣٩١
٤٥٣

(ع)

عوج (ملك الكنعانيين) ٣٩٨
عيسو (اخو يعقوب) ١٨٣

(ف)

الفتية الثلاثة ٣٥٤ –٣٨٣
فرعون ٤٧
فسطوس ٣٣٤

(ق)

قاريون ٧٩ – ٧٩
قيسان ٣٣٩

(ك)

كالب (ابن يفنه) ١٨٥
كرونيوس ٢٠٧
كيرادوس (الأسقف الشهيد) ٢١٠

(ل)

لعازر (المسكين) ٤٠٥ – ٤٠٧
لنجيوس
٢٥٥ – ٢٦٤ – ٢٣٠ – ٢٣١
٣٣٩ – ٣٨١
لوط (القديس) ٢١٠
لوط (ابن أخ ابراهيم) ٤٤٣
لوقيوس
٢٠٦ – ٢١٠ – ٣٤١ – ٣٤١
٣٤٩ – ٣٧٥ – ٤٣٥

(م)

مادانا ٢٩٨
ماطوس ٢٠٥ – ٢٩٧ – ٣٧٤
مالبطون (تلميذ لأوليانوس الطوباوى)
٤١٩
مرثا (اخت لعازر) ٢٠٦
مرقص ٢٠٥ – ٤٤٤
مرقص (تلميذ الأب سلوانس)
١٨٥ – ١٨٦
مرقص (المصرى) ٢٤٩ – ٤٠٨
مريم (مريم اخت لعازر) ٢٠٦
مريم (العذراء) ٢٦٧
مسطوفس ٢٦٧
مطايوس (انبا) ٢٣٩
مطرا ٤٤٤
مقدونيوس (اسقف هرطوقى)
٥١ – ٤١٤
مقارة الكاتب ١١٧ – ١١٩
مقاريوس (الاسكندرى)
٥٨ – ١٦٨ – ١٧١ – ١٧٤
٢٥٨ – ٥٣٧ – ٥٣٨ – ٤٥٨
مقاريوس (المصرى)
٢٧ – ٤٥ – ٥٢ – ٥٤ – ٥٩
٦٠ – ٧١ – ٧١ – ٧٩ –١٦٤
١٦٩ – ١٧٢ – ١٧٤ – ١٧٦
١٨٢ – ١٨٣ – ١٩٨ – ٢٠٠
٢٠١ – ٢٠٢ – ٢٠٣ – ٢١٣
٢١٤ – ٢٢٧ – ٢٣١ – ٢٤٣
٢٤٨ – ٢٤٩ – ٢٥٠ – ٢٥٢
٢٥٨ – ٢٥٩ – ٢٦٢ – ٢٧١
٣٣٤ – ٣٥٩ – ٣٦٥ – ٣٦٦
٣٧٦ – ٣٨٤ – ٣٩٠ – ٤١٠
٤١٨ – ٤٣٦ – ٤٥٧
مكسيموس (ابن ملك الروم)
٤١ – ٤٣
مكسيموس (راهب)
٢٧٦ – ٣١٢ – ٣٣٩ – ٤٢٧

موسى الأسود
٥٧ – ٥٨ – ٧١ – ٧٨
٧٩ – ١٦٣ – ١٦٦ – ١٦٨
١٧٠ – ١٨١ – ١٨٩ – ١٩٢
١٩٣ – ١٩٤ – ١٩٥ – ١٩٦
١٩٧ – ١٩٨ – ٢٠٨ – ٢١٠
٢١٤ – ٢١٩ – ٢٣٣ – ٢٣٩
٢٤٠ – ٢٤٢ – ٢٥٢ – ٢٥٧
٢٦١ – ٢٦٢ – ٢٦٦ – ٢٧١
٢٧٩ – ٢٨٧ – ٢٩٦ – ٢٩٨
٣٠٩ – ٣١٠ – ٣٢٣ – ٣٢٤
٣٢٩ – ٣٣٢ – ٣٧٦ – ٣٧٩
٣٨٤ – ٣٩١ – ٤١٢ – ٤٤٠
٤٤٢ – ٤٥٩

موسى (النبى)
٢٣ – ٥٢ – ٥٥ – ٧٥
١٢٨ – ١٨٥ – ٢١٣ – ٢٩٢
٣٨٣ – ٣٨٤ – ٤١٥

ميلينوس ٣٢٩

(ن)

نستاريون
١٦٦ – ٢٥٢ – ٢٨٥ – ٣١٩
٣٢٥ – ٤٠١

نوح ٣٨٤

نومينوس (راهب)
٤١٦

نيلس (السينائى)
١٣٥ – ٢١٠ – ٢١١ – ٤٥٩

(هـ)

هاروت وماروت ٤١٥

هونوريوس واركاديوس (أولاد الملك ثيؤدوسيوس) ٦٤

(و)

ولاس ٤١٨

(ى)

يافث (ابن نوح) ١٨٥

يشوع (ابن نون) ٦٦ – ١٨٥

يشوع بن سيراخ ٣٦٩

يعقوب (راهب)
٩١ – ١٧٠ – ٢١٣ – ٤٢٧
٤٣٨

يعقوب (أب الأسباط)
٦٨ – ١٠٣ – ٢٤١

يعقوب (الرسول)
٤٠ – ٢١٥ – ٣٢١

يوحنا (الاسقف) ٣٣٠ – ٤٥٠

يوحنا (التبايسى الاسيوطى – المتوحد
٥٢ – ٣٢٣ – ٣٦٧ – ٤٤٧

يوحنا (تلميذ أنبا مقاريوس)
١٨٣

يوحنا (الخادم) ٢١١

يوحنا (ذهبى الفم)
١٩٩ – ٢٥٢ – ٣٤١ – ٣٥٢
٣٦٤ – ٤٥٣ – ٤٥٩

يوحنا (صاحب القلالى) ٢٩٨

يوحنا (الرسول) ٤٠ – ٢١٥

يوحنا (السريانى) ٤٣٨ – ٤٥٣

يوحنا (السينائى) ٤٠٤

يوحنا (القصير)
٨٠ – ٨٧ – ١٢٥ – ١٨٣
٢١٩ – ٢٣٤ – ٢٤٠ – ٢٤٨
٢٥٥ – ٢٥٨ – ٢٦٦ – ٣٦٨
٣٦٩ – ٣٦٩ – ٣٧١ – ٣٧٢
٣٧٨ – ٣٨٤ – ٤٣٦ – ٤٤٠
٤٤٤ – ٤٤٧ – ٤٦٠

يوحنا سابا (الشيخ الروحانى)
١٣٩ – ١٣٩ – ٢١٩ – ٢٧٢
٣٧٢ – ٤٢٣ – ٤٤٧ – ٤٥٩

يوحنا كسيان (قسيانوس الرومى)
١٨١ — ٢٠٥ — ٢٣٠ — ٣٤٤

يوداس (يهوذا الاسخريوطى)
١٨٥ — ٢١٥ — ٢٥١ — ٣٢٥
٤٠٨

يوساب (السائح) ١١٥ — ١١٥

يوسف (الراهب)
٦٦ — ٦٦ — ١٢٦ — ١٧٠
٣٠٥ — ٣٧٤ — ٤٠٨ — ٤٤١

يوسف (التبايسى Thebaid) ٣٥٠

يوسف (الصديق)
٦٨ — ١٨٩ — ٢٠٧ — ٢٤١
٣١٥ — ٣٢٣ — ٣٥٧ — ٣٧٢

يوسف (بيافوا) ٣٥٥

فهرست للموضوعات

(ا)

اتضاع ٢٧ — ٢٨ — ٢٩ — ٤٩
٥٢ — ٥٧ — ٥٩ — ٦٩
٧١ — ٧٢ — ٧٣ — ٩٣
٩٦ — ١٠٣ — ١٣١ — ١٣٤
١٥٠ — ٢٨٩ — ٢٩٠ — ٣٠٢
٣٠٤ — ٣٠٧ — ٣٣٦ — ٣٧١

اخفاء التدابير
٧٤ — ١٠٨ — ١٠٩ — ٣٢٩
٣٣٢

انسحاق
٥٢ — ٧٢ — ٧٩ — ١٢٧
١٢٨ — ١٣١ — ١٤١ — ١٨٨
٢٦١ — ٢٦٢ — ٢٧٧ — ٢٩٣
٢٩٦

انكار الذات
٢٢ — ٢٣ — ٥٩ — ٩٣
١٠١ — ١٣٧ — ١٥٠ — ٣٠٤
٣٠٥ — ٣٢٩

رفض الكرامة
٤٤٤ — ٤٤٥

احتمال ٢٧ — ٣٢ — ٤٨ — ٥٨
٨٤ — ١٣٨ — ١٥٢ — ٣٢١
٣٤٩ — ٣٦٠ — ٤٣٣ — ٤٣٥

اســاءة الغير
١٥١ — ٤٣٠

اهانة
٢٧ — ٧٢ — ٨٢ — ٩٦
٣٢٣ — ٣٢٤ — ٣٥١ — ٣٥٢
٣٥٣ — ٤٣٣

حزن
٢٧٧ — ٢٩٠ — ٣٥٠ — ٣٥٥
٣٥٦ — ٣٥٨ — ٣٧٣ — ٤٥٠
٤٥١

شـــدائد
٣٥٣ — ٣٥٤ — ٣٥٨ — ٣٥٩

ضرب
٢٧ — ٤٨ — ٥٢ — ٣٥٣

مرض
٤٤ — ٤٨ — ١٥٩ — ٢٧٧
٣٤٩ — ٣٥٠

اختبار ٣٣٣

آداب اجتماعية ١٥٤ — ١٥٤

آداب المـائدة ١٣١ — ١٣٦ — ١٤٦

اعتراف
٧١ — ٧١ — ١٥٣ — ١٨٠
٢٦٦ — ٢٧٧ — ٢٨١ — ٢٨٧
٢٨٨ — ٢٨٩ — ٢٩٠ — ٢٩١

افراز ٢٤ — ٥١ — ٥٢ — ٨٣
١٢٥ — ١٤١ — ١٤٢ — ٣٥٨
٤٠٩ — ٤١٣

أمانة ٦٧ — ١٠١

(طول) أناة
٦٩ – ٧٠ – ٨٢ – ٤٣١
٤٣٢ – ٤٣٣
ايمان ١٥١

(ب)

بساطة ٣٦ – ٦٧ – ٨٨ – ١٧٧

(ت)

تأمل ٢١ – ٢٨ – ٥٨ – ٦٠
٧١ – ٨٣ – ١٩٥ – ٢١٠
٢٨١ – ٣٦٥ – ٣٨٩ – ٣٩٢
تجرد ١٠٤ – ١٤٩ – ١٥١ – ١٥٤
١٧٠ – ٣٧٨ – ٣٧٩
تعب ٢٧ – ٣٢ – ٣٣ – ٤١
٤٤ – ٤٥ – ٤٧ – ٤٧
٥١ – ٥٩ – ٦٩ – ٧٩
١٠٣ – ١١٥ – ٢٣٤ – ٢٣٤
٣٤٩ – ٣٦٩
تقشف ٣١ – ٣٢ – ٤١ – ٤٢
٥٨ – ٩٤ – ١٠١ – ١٠٦
تناول ٤١ – ٤٥ – ٧٩ – ٨٦
١١٠ – ١٤٣ – ٢٨١ – ٢٨٣
٢٩٠ – ٢٩٦ – ٣٣٤
توبة ٢٥ – ٤٤ – ٤٥ – ٥٠
٧١ – ٩٣ – ٩٨ – ١٠٠
١٠٦ – ١٠٨ – ١٣٤ – ١٤٢
١٤٧ – ٢٣٦ – ٢٧١ – ٣٠٥
٤٥٠ – ٤٥١
ثمارها ٢٨١ – ٣٠٢ – ٣٠٥
توحد ١٣٣

(ث)

مثابرة ٢٤٠.

(ج)

جزية ٤٥٢
جسد ١٤٨ – ٢٧٨ – ٢٩٠
اذلاله ٣٣٩
تعبه ١٤٣ – ٢٠٨ – ٢١٠
حركاته ٤٠٩ – ٤١٠
سكونه (انظر سكون)

شهواته ٤٥ – ١٩٠ – ١٩٤
نياحة ١٧٠ – ١٩١ – ١٩٢
جهاد روحى
٧١ – ٩٦ – ١٣١ – ١٣٥
١٤١ – ١٤١ – ١٤٣ – ٢٢٧
٢٤١
جهاد وشجاعة مع الشياطين
٢٨ – ٢٩ – ٣٧ – ٣٨
٣٩ – ٥٦ – ٥٧ – ٦٩
٧١ – ١١١ – ١٣١ – ٢٣٧
٢٣٩ – ٢٣٩
اكليل الجهاد ٢٤٢ – ٢٤٣

(ح)

حرص ٦٨ – ٢٨٢ – ٢٩٢ – ٢٩٢
(انظر احتمال)
حزن
حواس
التحرر من قيودها ٢٠١ – ٢٠٢
ضبطها
١٣٦ – ١٤٥ – ١٤٦ – ١٩٧
٢٠٠ – ٢٢٢ – ٣٣٩ – ٣٤٠
٣٦٨ – ٣٦٩
السمع ٨٤ – ١٤٥
النظر
٣٥ – ٤٧ – ١٤٥ – ١٩٧
٢١٤ – ٣٦٨
حقد ٤٣٨
حلم ٤١٥ – ٤١٦

(خ)

خدمة ٢٥ – ٥٨ – ٧١ – ٨٣
٨٧ – ٨٧ – ٢٩١ – ٤٣٩
٤٤٠.
خطية
أسبابها ٧١ – ٧١ – ٧٦ – ١٩١
٣٢٩
عواقبها ٢٧١
ستر الخطايا ٣٤ – ٣٥
خلطة ١٤٤ – ٢٢٢ – ٢٩٧ – ٢٧٧
٣٧٨

مع الاطهار والعمالين ٢٢٢
مع الجيران ٢١٩
مع الاخوة غير الحكماء ٢٢٠
مع الرؤساء ٢١٩ – ٤٥٤
مع الصبيان ١٤٤ – ٢١٩ – ٢١٩
مع العلمانيين ١٣٩ – ٢١٥ – ٢١٦ – ٢١٧ – ٢١٩ – ٣٧٨
مع الاخوة المتعظمين ٢٢٠
مع الاخوة المنحلين ٦٦ – ٦٧ – ٢٢٠
مع الهراطقة ٤٥٤

خـــوف الله ١٢٩ – ١٤٧ – ٢٠٣ – ٢٠٤ – ٢١٤ – ٢٤٨ – ٢٨٩ – ٢٩٦ – ٢٩٩ – ٣٥٧ – ٣٧٦ – ٤٢٧ – ٤٢٧

(د)

دالة ١٤٤ – ٢٠٠ – ٢٠١ – ٢٢٢
ادانة ٣٤ – ٣٥ – ٤٤ – ٦٧ – ٦٨ – ٧٥ – ١٣٨ – ١٥١ – ٢٤٩ – ٣٢٠ – ٣٢١ – ٣٢٨ – ٣٧٤ – ٤٣٢ – ٤٤٢ – ٤٤٣
خطورتها ٤٠٢ – ٤٠٨
ديثونة (الله)
٥١ – ٦٨ – ٩٦ – ٩٩ – ٢٠١ – ٢٣٠ – ٢٦٧ – ٢٧٧ – ٢٧٨ – ٢٩٤ – ٢٩٩ – ٣٢٦ – ٣٥٧
دموع ٢٨ – ٣٠ – ٣٦ – ٥٨ – ٥٩ – ٦٤ – ٧١ – ٩٦ – ١١٢ – ١٣٤ – ١٨٧ – ٢٣٤ – ٢٦٢ – ٢٦٣ – ٢٦٥ – ٢٦٦ – ٢٧١ – ٢٧٧ – ٢٨١ – ٢٨٢ – ٢٨٣ – ٢٨٩ – ٢٩٠ – ٢٩١ – ٢٩٣ – ٢٩٤ – ٣٥٨ – ٤٥١

(ر)

رهبنة ٤١ – ٤٧ – ٨٢ – ١٢٥ – ١٢٦ – ١٣٠ – ٢٩٠
الراهب
٧٩ – ١٢٥ – ١٢٥ – ١٢٦ – ١٣٠
سيرته
١٢٥ – ١٢٦ – ١٢٧ – ١٢٩ – ١٣٦ – ١٣٧ – ١٤٦ – ١٤٧
نصائح للراغبين فى الرهبنة
١٢٦ – ١٢٨ – ١٣٠ – ١٣١
نصائح له فى ابتداء رهبنته
١٣٩ – ١٣٩

رحمة ٣٧ – ٤٠ – ٨٨ – ٩٦ – ٩٧ – ١٣٤ – ١٣٨ – ١٥٤ – ١٨٨ – ٢١١ – ٢٤٨ – ٢٧١ – ٢٨١ – ٢٨٢ – ٢٩٠ – ٤٤٧ – ٤٥٢

رؤى
رؤى الهية
٥٨ – ٧٩ – ٧٩ – ٨٣ – ٨٦
رؤى خادعة شيطانية
٥٢ – ٣٣٢ – ٣٣٣ – ٤١٤ – ٤٢٣
رؤية الله ٤٩ – ٢٠٣

زى ٢١ – ٢٧ – ٤١ – ٤٢ – ٤٨ – ٦٣ – ٦٤ – ٧٩ – ٩٣ – ١٠٤ – ١٠٦ – ١١٠ – ١١١ – ١٢٧ – ١٢٩ – ١٤٨ – ١٦٢ – ١٦٦ – ١٦٧ – ٢١٤ – ٢١٥ – ٢٤٨ – ٢٧٧ – ٢٨٠ – ٢٨١ – ٢٩١
زيارات ٢٥ – ٢٧ – ٤١ – ٤٢ – ٦١ – ٦٣ – ٧١ – ٩٣ – ١٠٤ – ١٠٦ – ١١٠ – ٢١٧ – ٢٩٠ – ٤٣٩ – ٤٤١

زنا ٣٤ – ٤٧ – ٤٨ – ٦٠ – ٧٤ – ٧٦ – ٨٨ – ٨٨ – ١٠٦ – ١٠٦ – ١٦٦ – ١٨١ – ١٩٥ – ١٩٥ – ١٩٦ – ٢٠١ – ٢٠٤ – ٢٢١ – ٢٣٠ – ٢٤٩

٢٥٠ – ٢٧٧ – ٢٨٢ – ٢٨٩
٣٤٠ – ٣٧٢ – ٣٩٣ – ٣٩٥
٤٠٤ – ٤٠٧ – ٤٠٨ – ٤٣٨
٤٣٩ – ٤٤٢ – ٤٤٨ – ٤٥٠
٤٥١

زهد ٢٢ – ٢٨ – ٣١ – ٤١
٤٢ – ٤٧ – ٧٣ – ٨٥
١٢٨ – ١٢٩ – ١٤٨ – ١٥١

(س)

تسبيح
٣٨ – ٤٠ – ٤٩ – ٦٩
٨٧ – ٢٦١ – ٣٥٨ – ٤٥٢
(أنظر خطية)

ستر الخطايا

سكون ٢٨ – ٥٧ – ٥٨ – ٥٩
٦٠ – ٧٩ – ٩٦ – ١٤٤
٣٨٦
سكون الجسد ٣٧٢ – ٣٧٩
سكون الفكر ٣٦٨ – ٣٧٢
سكون القلاية
٦٩ – ٧٤ – ٣٧٩ – ٣٨٦

سلام ٤٣ – ٤٥ – ١٠٦

سهر ٤٥ – ٤٨ – ٤٩ – ٥٦
١١٥ – ١٣٤ – ١٤٢ – ٢٥٥
٢٥٦ – ٢٨١ – ٢٧٢

سياحة ١١٥ – ١١٩

(ش)

شدائد (انظر احتمال)

شرب ١٤٧ – ١٦٦

شركة (أنظر مجمع فى حرف الميم)

شك ١٩٧

شكر ٤٥ – ٤٨ – ٥٩ – ١٥١
٢٦٤ – ٢٤٨ – ٢٥٧ – ٢٦٠
٢٦١ – ٣٤٩ – ٣٥١ – ٣٥٤
٣٥٧ – ٤٠٨ – ٤٥٢

استشهاد ٤٢ – ٧٥

شهوة ٤٥ – ٤٦ – ١٩٣

(ص)

صبر ٤٥ – ٤٨ – ٥٧ – ٥٩
٩٦ – ١١٢ – ١٢٩ – ١٨٧
٢٧٨

صدقة ٤٠ – ٥٩ – ٨٤ – ١٠٦
١١٢ – ١٧٧ – ١٨٧ – ٢١١
٢١٥ – ٢٤٨ – ٢٨١ – ٤٤٠

صلاة ٢١ – ٢٢ – ٢٤ – ٣٠
٣٦ – ٣٧ – ٤١ – ٤٢
٤٥ – ٤٧ – ٤٩ – ٥٠
٥٦ – ٥٧ – ٥٨ – ٦٩
٧١ – ٩٦ – ١٠٤ – ١١٢
١٨٨ – ٢٣٤ – ٢٤٧ – ٢٦٧
٢٧٨ ٢٨١ – ٢٨٢ – ٢٨٣
٢٩٤
روح الصلاة ٢٤٧ – ٢٥١
فكر الصلاة ٢٥٢ – ٢٦٠
مادة الصلاة ٢٦٠ – ٢٦٦
درجاتها العليا ٢٦٦ – ٢٦٧
فاعلية الصلاة ٢٣ – ٧٤
١٤٠ – ٢٤٩ – ٢٥٠ – ٢٦٦
الجهاد فى الصلاة
٤٨ – ٤٩ – ٥٦ – ٨٤
١٤١ – ٢٥٠
الصلاة الجامعة والانفرادية
٥٢ – ١٣١
الصلاة فى الطريق ٣٠
الصلاة حسب مشيئة الله ١٦٠
صلوات الساعات
٥٢ – ٥٨ – ٨١ – ١١٧
١١٨ – ١٣٤ – ١٤١ – ٢١١
الصلاة فى وقت الضيق ٢٦٦

صليب ٢١ – ٩٤ – ١١١ – ١٢٩
٢١٦ – ٢٤٧ – ٢٤٨ – ٣٢٥

صمت ٢٠ – ٤١ – ٤٧ – ٥٧
٥٩ – ٦٦ – ٧٩ – ١٣٤
١٤٩ – ٣٧٥ – ٣٧٧

صوم ٢١ – ٣٤ – ٤٥ – ٤٧

٤٨ ــ ٧١ ــ ٨٥ ــ ٩٢
١١٦ ــ ١٣١ ــ ١٣٤ ــ ١٤٢
١٦٢ ــ ٢٣٤ ــ ٢٧٧ ــ ٢٧٨
٢٨٩ ــ ٣٣٩ ــ ٣٤٥ ــ ٣٧٢
شيطان الصوم ٥١ ــ ٥٢ ــ ٤٠٨

(ض)

ضرب (انظر احتمال)
ضحك ٢٢ ــ ٤٨ ــ ٨٤ ــ ١٣١
١٤٦ ــ ١٩٩ ــ ٣٩٠ ــ ٤٠١
ضيقات الاستسلام لها
٨٤ ــ ١٣١ ــ ١٣٤

(ط)

طاعة ٢١ ــ ٢٢ ــ ٤٧ ــ ٥٢
١٧٨ ــ ١٨٧ ــ ٢٣٤ ــ ٢٩٠
٤٤٠
لله ١٧٨
المرشـد الروحى (انظر المرشـد الروحى)
طعام ٢٩ ــ ٣٧ ــ ٤٥ ــ ٥١
٥٤ ــ ٥٥ ــ ٥٨ ــ ٦٩
٦٩ ــ ٩٩ ــ ١١٥ ــ ١١٥
١١٧ ــ ١٤٧ ــ ١٤٨ ــ ١٦٢
١٦٤ ــ ١٦٥ ــ ١٨٧ ــ ١٩٣
١٩٤ ــ ٢٧٨ ــ ٣٤٠ ــ ٣٤١

(ع)

عادة ٢٣٤
عبادة ٢٧ ــ ٥١ ــ ٨٢ ــ ٨٨
١١٥ ــ ٢٣٤ ــ ٢٣٤
عالم ٣٧ ــ ٥٥ ــ ٦٠ ــ ١١٢
١٤٣ ــ ١٧١ ــ ١٧٢ ــ ١٧٣
١٩٤ ــ ١٩٥ ــ ٢١٤ ــ ٢١٤
٢١٥ ــ ٤٤٧
عزلة ٢١ ــ ٢٨ ــ ٥٤ ــ ٩٤
١٣٥ ــ ١٣٦ ــ ١٤٣ ــ ١٤٤
٢١٤
عدل (اعتدال)٣٧
عفة ٤٧ ــ ١٣٦ ــ ١٣٧ ــ ١٤٥
١٤٦ ــ ١٦٣ ــ ١٨٩ ــ ٢٠٤
٢٨١

عفيفات ١٨٩
عقاب ٢٦ ــ ٤٧ ــ ٤٨ ــ ٢٨١
٢٩٤
عقل ٧٧ ــ ٧٩ ــ ٩٦ ــ ١٤٧
٢٩١
جمع العقل
١٤٧ ــ ١٩٦ ــ ١٩٧ ــ ٢٥٢
٢٥٣ ــ ٢٥٤ ــ ٣٦٩ ــ ٣٦٩
شغل العقل
٦٠ ــ ٦٩ ــ ٢٣١
ظلمة العقل ٢٥٤
يقظة العقل ٣٩٥ ــ ٣٩٧
عمل ١٣٤ ــ ١٥٣ ــ ٢٠٩ ــ ٢١١
باجتهـاد ٤٤ ــ ٢٠٩ ــ ٢٠٧
بهدوء ٢٠٧ ــ ٢٠٧
العمل الباطنى ٢٠٧ ــ ٢٠٨
عمل اليدين
٢١ ــ ٢٥ ــ ٢٧ ــ ٢٧
٣٢ ــ ٣٣ ــ ٣٦ ــ ٤١
٤٧ ــ ٤٧ ــ ٥٩ ــ ٦٦
٦٧ ــ ٨٥ ــ ٨٨ ــ ١٠٣
١٥٣ ــ ١٦٢ ــ ٢١٠ ــ ٢١١
٢١٢ ــ ٤٣٨

(غ)

غربة ٤٢ ــ ٦٦ ــ ١٣٧ ــ ١٦٠
٢٠٠ ــ ٢٩٢ ــ ٢٩٢ ــ ٣٧٦
٣٧٧
غرباء (أنظر محبة)
غضب ٦٩ ــ ٦٩ ــ ٧٢ ــ ٧٦
٧٨ ــ ٨٤ ــ ٤٦١

(ف)

فرد (اختلاف طبائع الافراد)
٥٧ ــ ٥٨
فضيلة
اقتنـاؤها ٢١٥ ــ ٢٣٦ ــ ٢٣٦
فقر ١٦١ ــ ١٧٧
العطف على الفقراء ٨٥ ــ ٨٨

فكر ارتقاء الفكر
٢٣٤ – ٢٣٤ – ٢٦٦ – ٢٦٧
سكون الفكر (انظر سكون)
ضبط الفكر
٧٨ – ٨٥ – ٢٩٣ – ٤٠١
أفكار شريرة (مقاومتها)
١٩٦ – ١٩٧ – ٣٩٨ – ٤٠٠
أفكار العظمة
٤٠ – ٤١ – ٦٩ – ٩٠
٣٣٣ – ٣٣٦
قراءات ٤٥ – ٨٥ – ٨٨ – ١٣١
١٣٤ – ٣٦٩ – ٣٧٩ – ٣٨٩
٣٩٠ – ٣٩٢
أقرباء ١٤٩
أهل ١٤٤ – ٢١٧ – ٢١٩
قناعة ٣١ – ٣٢ – ٦٧
قنية ٣٥ – ١٤٨ – ١٦٨ – ١٦٩
١٧٠ – ١٧٣ – ١٧٧ – ٢١٥
قلاية العمل فى القلاية ١٥٣
سكون القلاية (انظر سكون)

(ك)

كبرياء ٤٩ – ٥٠ – ١١٩ – ٢١٤
٣٠٣ – ٣٠٧ – ٣١٠ – ٣١٦
٣٢٣ – ٣٢٥ – ٣٣٤ – ٣٣٥
٣٤١
كرامة رفضها
٩٣ – ٩٤ – ٩٦ – ٢٠١
٢٠٢ – ٣١٣ – ٤٤٤ – ٤٤٥
كنيسة ٢٧ – ٣٣ – ٤١ – ٤٥
٥٢ – ٥٧ – ٥٩ – ٦٤
٦٩ – ٧١ – ٧٣ – ٧٤
٧٩ – ٨٠ – ٨٢ – ٨٧
٩٣ – ٩٦ – ٩٨ – ١٣١
١٦٧ – ١٨٧ – ١٨٧ – ٢٢٢
٢٤٩ – ٢٨٢ – ٢٨٣ – ٢٩٠
٢٩٨
٣٢٢ – ٣٧٦ – ٤١٣ – ٤٢٠
٤٣٢ – ٤٥٠

(ل)

اللسان ضبطه
٤٠ – ٤٧ – ٤٧ – ٤٨
٨٤ – ٨٥ – ٩٣ – ١٣٦
١٤٥ – ١٤٦ – ١٩٨ – ١٩٩
٣٧٢ – ٣٧٥

(م)

مال ٢١ – ٣١ – ٣٢ – ١١٢
١٦٧ – ١٦٨ – ٢٠١ – ٢١٤
٢١٥
محبته ٢١ – ٢١٥ – ٢١٦
٢٩١
الزهد فيه ٢١ – ٣١ – ٣٢
٥٥
توزيعه ٤٥٠
محاسبة النفس
(أنظر نفس فى النون)
محبة ٣٤ – ٤٣ – ٤٥ – ٥٧
٦٦ – ٩٣ – ١١٢ – ١٥٩
٢٧٧ – ٣٢٦ – ٣٢٧ – ٣٢٨
٣٣٤ – ٤٥٤
لله ٩٣ – ١٤٧ – ٢٨١ – ٢٩٨
٤٢٨ – ٤٤٠
للخطاه
٨٢ – ٨٨ – ٨٨ – ٩٣
٩٣ – ١٠٣
للغرباء
٤٠ – ٥٧ – ٨١ – ١٠٢
٤٤٩ – ٤٥٤
للأعـــداء ٤٥ – ٤٥٣ – ٤٥٤
مجد باطل
٣٠ – ٤٩ – ٥٠ – ٧٣
١٤٧ – ١٥٣ – ١٦٢ – ٢٠١
٢١٤ – ٢٣٦ – ٣١٧ – ٣١٩
٣٣٢ – ٣٤٩ – ٤٤٥

مجمع الحياة فيه
٩٦ ـ ٤٣ ـ ٤٣١
شركة
٢٨ ـ ٤٧ ـ ٥٢ ـ ٥٢
٩٢
مديح
٤٢ ـ ١٥٠ ـ ٢١٦ ـ ٣٣٢
٣٣٣
مرشد روحى
٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٩ ـ ٧٩
١٠٤ ـ ١٥٤ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠
٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٩٤
اختياره ١٨١ ـ ١٨٢
طاعته
٨١ ـ ١٧٩ ـ ١٨٥ ـ ١٨٨
ملازمته ١٨٥
مرض ٢٢ ـ ٤٤ ـ ٤٨ ـ ٨١
٨٦ ـ ١١١ ـ ١٣٤ ـ ١٥١
١٦٠ ـ ٢٣٠ ـ ٢٧٧ ـ ٢٩٠
٣٥٠ ـ ٣٥٧ ـ ٤٥٠
مزامير ٤٢ ـ ٨٥ ـ ٨٨ ـ ١٣٤
١٣٧ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٨٨
٢٣٠ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٢ ـ ٢٨٨
٢٧٩ ـ ٢٩١ ـ ٢٩٢
مشيئته ضبطها
٤٣ ـ ١٠١ ـ ١٣١ ـ ١٤٩
١٥٢ ـ ١٥٩ ـ ٣١٥ ـ ٣١٦
مطانية ٢٢ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢
٥٤ ـ ٥٩ ـ ٦٢ ـ ٦٣
٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٥ ـ ٨٩
٩٠ ـ ١٠٤ ـ ١٠٤ ـ ١٠٦
١٠٩ ـ ١٣٤ ـ ١٥١ ـ ١٥٢
١٨٧ ـ ٢٣٤ ـ ٢٤٠ ـ ٢٧٧
٢٨٣ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٧ ـ ٣٢٢
٣٢٤ ـ ٣٥٧ ـ ٤١٠ ـ ٤١١
٤١٢ ـ ٤٣٢ ـ ٤٣٤ ـ ٤٤١
٤٤٢ ـ ٤٥٤
معجـــزات ٤٠ ـ ٥١ ـ ٦٦
٨٧ ـ ٨٩ ـ ٦٧ ـ ٩٨
١٠٧

مغاره ٢٦ ـ ٣٠ ـ ٥٢ ـ ١١١
١٩٥ ـ ٢٣٤ ـ ٢٩٠ ـ ٣٣٤
٣٦٧ ـ ٤٢١ ـ ٤٣٠
ملبس ١٢٨
ملل ٢٢ ـ ١٤٣
ملاك ٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٥٨
٥٩ ـ ٦٠ ـ ٦٢ ـ ٦٤
٦٦ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٩
٨١ ـ ٨٥ ـ ٨٦ ـ ١١٧
١٣٠ ـ ١٣٩ ـ ١٥٩ ـ ١٦١
١٦١ ـ ١٨٨ ـ ٢١٠ ـ ٢١٠
٢١٥ ـ ٢١٦ ـ ٢٣٠ ـ ٢٥٨
٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٩١ ـ ٣٠٠
٣٠١ ـ ٣٢٢ ـ ٣٣٢ ـ ٣٤٤
٣٥٢ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧٦ ـ ٤٠٢
٤٠٤ ـ ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ـ ٤٠٨
٤١٠ ـ ٤١٣ ـ ٤١٤ ـ ٤١٦
٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤٢٠ ـ ٤٢١
٤٢٢ ـ ٤٢٣ ـ ٤٣٧ ـ ٤٤٠
٤٤٨ ـ ٤٤٩ ـ ٤٥٠
موت ذكره والاستعداد له
٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤
٤٠ ـ ٤٨ ـ ٦٨ ـ ١٢٩
١٣٣ ـ ١٣٩ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩
١٦١ ـ ١٨٨ ـ ٢١٨ ـ ٢٥٦
٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٨١ ـ ٢٨٢
٢٩٠ ـ ٢٩٨ ـ ٣٠٢ ـ ٣١٤
٣٥٨ ـ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ـ ٤٥٢
٤٥٣

(ن)

نبوة خيـالات التنبؤ ٤١٦ ـ ٤١٧
نبيذ ٣١ ـ ١٠١ ـ ١٣٤ ـ ١٦٣
١٦٦ ـ ٣١٥ ـ ٣٤٢ ـ ٤١٣
٤٤٤
نساء البعد عنهن
٣٥ ـ ٦٠ ـ ٦٢ ـ ٦٣
١٢٥ ـ ١٣٩ ـ ١٤٤ ـ ٢٠٠
٢٠١ ـ ٢١٤ ـ ٢١٥ ـ ٢٢٠
٢٢١ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٩ ـ ٢٩٠
٣٧٨ ـ ٤١٣

نسك ٢١ – ٣٤ – ٣٦ – ٤٨
٥٤ – ٩٤ – ١٠٠ – ١٣١
١٣٤ – ١٣٧ – ١٤٧ – ١٤٨
١٦١ – ١٦١ – ١٦٢ – ١٦٣
١٦٤ – ٣٤٤ – ٣٤٥
عدم الافراز فى النسك
٥١ – ٥٢ – ١٦٢ – ٤١٢
٤١٣
نظر (انظر حواس)
نفس تبكيتها ٣١٩ – ٣٢٠ – ٣٢١
تنقيتها محاسبتها
١٤٧ – ١٤٧ – ٢٠٢ – ٢٥٥
٢٨٥ – ٢٨٦ – ٢٨٧ – ٢٨٩
٢٩٠ – ٣٠٥
أقوال عنها – أمور تتعلق بها
٧٧ – ١٩٥
نقاوة ٦٧ – ٨١ – ١٤٧ – ١٤٧
٢٣٤ – ٢٧٧ – ٣٢٧
نميمة ١٩٨ – ٤٤٤ – ٤٤٥
نوح ٢٨ – ١٣٤ – ١٤٧ – ١٤٧
١٦٩ – ٢٣٠ – ٢٩٧ – ٢٩٨
٣٢٣
نوم (رقاد)
٣٧ – ٤٧ – ٤٩ – ٥٦
٦٩ – ١٠٤ – ١١٢ – ١٢٤
١٤٦ – ١٦٤ – ١٧٠ – ١٩٤
٢١٧

(هـ)

هدوء ٥٧ – ٥٨

(و)

توبيخ ٤٧ – ٤٨ – ٦٩ – ٣٢١
٣٢٢ – ٤٣٥ – ٤٣٦
وحدة ٢١ – ٢١ – ٣٠ – ٣١
٥٢ – ٥٩ – ٦٠ – ٦٩
٣٦٥ – ٣٦٦
المتوحد ١٣٣
سيرته ١٣٣ – ١٣٤
الثبات فى الوحدة ٢١٤
كرامة الوحدة ٢١٢ – ٢١٣
وحدة السكن
١٤٣ – ١٤٤ – ٢١٧

(ى)

يأس ١٨١ – ١٨٢ – ٢٧٧ – ٢٧٩
٢٨١

مطبوعات لجنة التحرير والنشر
بمطرانية بنى سويف

الأجبية سبع صلوات خط كبير حجم الجيب
أجبية باكر والغروب والنوم
قطمارس الصوم الكبير عربى
قطمارس الصوم الكبير قبطى جزأن
قطمارس البصخة عربى
قطمارس البصخة قبطى
قطمارس الخماسين عربى
قطمارس الخماسين قبطى
دورة عيدى الصليب وأحد الشعانين وطروحات للصحه
طروحات وأبصاليات برمونى الميلاد والغطاس
الدفنار يخدم السنة كلها عربى وقبطى
الخولاجى المقدس ثلاث قداسات عربى وقبطى
الخولاجى المقدس ثلاث قداسات معرب
الأبصلمودية الكيهكية
الأبصلمودية السنوية كاملة ٧٦٨ صفحة
اللقان والسجدة
الأسفار القانونية المحذوفة
ترتيب اسبوع الالام
الأبصاليات السنوية جـ١
الأبصاليات السنوية جـ٢
أبصاليات وذكصولوجيات جديده
التماجيد المقدسة للعذراء والملائكة والشهداء والقديسين
ترتيب قسمة الكهنوت وتكريس أوانى المذبح

❖❖❖❖❖

بستان الرهبان
الإلتصاق بالله
العبادة الكاملة
الأباء السواح
الكلمات السبع الموجهة إلى المسيح المصلوب
المسيح فى العهد القديم
المسيح والإنسانية
المواعظ الإلهية جزء ثان
المواعظ الإلهية جزء خامس
فضائل السيدة العذراء
روحانية الشباب المسيحى
مشتهى كل الأمم
حياة التلمذة
الترهب والخدمة
حياة الشركة المسيحية
أم الكلمة المتجسدة
ترانيم الملائكة به أجبية ومدائح وترانيم وألحان (مجلد)
إيرينى باسى
شهادتنا كلنا
الكلمة اتخذ جسداً
الأبدية
عواقر ولدن (ساره)
لمحات طقسية وكنسية
يسوع المسيح صام عنا
حياة البساطة

❖❖❖❖❖

تفسير إنجيل متى للأنبا أثناسيوس
تفسير إنجيل يوحنا للأنبا أثناسيوس
تفسير أعمال الرسل للأنبا أثناسيوس
تفسير سفر رومية
مفاتيح أسفار الإلهية
الدليل الروحى جزء أول
الدليل الروحى تابع جزء أول
ميمر أيوب الصديق
تأملات فى سفر يونان

❖❖❖❖❖

إنجيل متى
إنجيل مرقس
إنجيل لوقا
الله يكلمنا
قصة الخلاص
حياة الخلاص
التهاليل والتسابيح جـ١
التهاليل والتسابيح جـ٢
الرحلة والشريعة

السقوط والإعداد للخلاص
تاريخ إنتشار المسيحية
سر الألم (أيوب)
شخصيات غيورة
الحكمة عبر الأجيال
الكنيسة
العبور إلى كنعان
تاريخ الحكم الإلهى جزء أول
تاريخ الحكم الإلهى جزء ثان
نبى التبكيت وبشرى الخلاص
رحلة الحياة
النبى الباكى

◆◆◆◆◆

قديس معاصر القس عبد المسيح المقارى
سيرة الأنبا باخوميوس أب الشركة
حياة ملشيصادق كاهن الله العالى
سيرة الأم دولاجى وأولادها الخمسة
سيرة القديس بوليكاربوس الشهيد
علمانيون أبرار
الأنبا تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس أب الشركة
القديسان أباكير ويوحنا
سيرة القديس أباكلوج
كاهن بنى صامت (أبونا إبراهيم البسيط)
العذراء تظهر فى أدفو
العذراء مريم وظهوراتها العامة
عذراء الزيتون سجل تاريخى عند الظهور
ولم يحبوا حياتهم حتى الموت
سيرة القديس أبو قسطور
الأنبا ويصا تلميذ الأنبا شنودة رئيس المتوحدين
الأنبا هدرا السائح الأسوانى
سيرة الأنبا متاؤس الفاخورى
القديس الأنبا شيشوى
قديسوا ومشاهير من إيبارشية بنى سويف
حياة الأنبا أنطونيوس أب الرهبان
القديس الأنبا أندرواس
الشهيد يوحنا الهراقلى
القديس أباهور وأبا فييس
الأنبا الياس البشواوى والأنبا الياس السمهودى

الأنبا موسى الأسود
القديس مكاريوس الكبير

◆◆◆◆◆

روحانية طقس القداس الإلهى
تأملات فى الثلاث قداسات مع سير واضعيها
كيف نستفيد من القداس
روحانية التسبحة سبعة أجزاء
سمو الرهبنة أربعة أجزاء
روحانية طقس القراءات
روحانية قراءات أحاد الصوم
تأملات روحية فى مزامير النوم
أحداث وطقوس اسبوع الالام
الأعياد السيدية الكبرى
الصعود فى حياتنا الروحية
عيد الصعود المجيد
العليقة والتابوت
الرب يسوع والقيامة
ليلة أبو غالمسيس سبت الفرح
تاريخ إيبارشية بنى سويف
ميامر أسبوع الآلام
روحانية طقس صلوات التجنيز

◆◆◆◆◆

كيف تخدم مرحلة الطفولة
ترانيم مرحلة الطفولة
هلموا معى نخدم الرب فى كنيسته (الإعداد التربوى للخدام)
تحضير مناهج إعدادى
تحضير مناهج إبتدائى للست سنوات
صور التربية الكنسية مناهج البطريركية
أربعة ألوان توضع فى البوم للمواظبة

يطلب من
لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف
ودار الينبوع الثقافى ١٦ ش الكنيسة المرقسية بالأزبكية
ت ٥٩٠٩٢٥٥

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܙܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܒܝܬ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܢܗܘܐ ܡܢ ܒܢܝ̈ ܚܪ̈ܡܐ ܘܫܘܒܩܢܐ ܠܐ ܢܩܒܠ
ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܟ ܠܗ ܟܬܒܐ ܗܢܐ ܠܕܘܟܬܗ
ܘܐܝܢܐ ܕܢܥܒܪ ܗܠܝܢ ܢܩܒܠ ܥܦܝ̈ܦܐ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
Liturgies: Devotional
Beth Mardutho Library

بستان الرهبان

ⲠⲒϬⲰⲘ ⲚⲦⲈ ⲚⲒⲘⲞⲚⲀⲬⲞⲤ

لآباء الكنيسة القبطية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السابعة

قام بمراجعته وتنقيحه

لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا